







اهداءات ٢٠٠١

المحتور / القطب محمد طلبة

القاهرة



كتاب الشعب

# نفس القرآن العظيم

للحافظ ابن كثير

٧٠٠-٧٧٤ هـ

تحقيق

عبد العزيز غنيم محمد أحمد عاشور د. محمد إبراهيم البنا

المجلد الرابع

٢٢

دار الشعب

١٩٨١ م ١٤٠٢ هـ



موتوقاً ومرفوعاً ، وعمر بن الخطاب ، نحوه - رضى الله عنهم - : أيأ مال أدبّت زكاته ليس بكثر ، وإن كان مدفوناً في الأرض ، وأيأ مال لم تؤد زكاته فهو كثر يكرى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض .

وروى البخارى من حديث الزهري ، عن خالد بن أسلم قال : خرجنا مع عبد الله بن عمر ، فقال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما نزلت جعلها الله طهوراً للأموال .

وكذا قال عمر بن العزيز ، وعمران بن مالك : نسخها قوله تعالى : ( خذ من أموالكم ) ،

وقال سعيد بن محمد بن زياد ، عن أبي أمامة أنه قال : حلبة السيوف من الكثر ، ما أحذركم إلا ما سمعت ،

وقال الثوري ، عن أبي حصين ، عن أبي الضحى ، عن جملة بن هيرة ، عن علي رضى الله عنه قال : أربعة آلائف لها دونها نفقة ، فما كان أكثر منه فهو كثر (١) .

وهذا غريب . وقد جاء في مدح الثقل من الذهب والفضة ودم التكرار منهما ، أحاديث كثيرة ، ولورد منها هنا طرفا يدل على الباطي ، فقال عبد الرزاق : أخبرنا الثوري ، أخبرني أبو حصين ، عن أبي الضحى ، عن جملة بن هيرة ، عن علي رضى الله عنه في قوله : ( والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ) ، قال نبي صلى الله عليه وسلم : تباً للذهب تباً للفضة ، يقولها ثلاثاً ، قال : فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : فتأى مال نتخذ ؟ فقال عمر رضى الله عنه : أنا أعلم لكم ذلك ، فقال : يا رسول الله ، إن أصحابك قد شق عليهم ، قالوا : فتأى المال نتخذ ؟ قال : لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجة تبين أحذكم على دينه (٢) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، حدثني سالم ، حدثني عبد الله بن أبي المقداد ، حدثني صاحب لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تباً للذهب والفضة - قال : فحدثني صاحبه أنه انطلق مع عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ، قولك : تباً للذهب والفضة ، ماذا تدخر (٣) ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وزوجة تبين على الآخرة (٤) .

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة ، عن أبيه ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا : فتأى المال نتخذ ؟ قال : عمر : أنا أعلم ذلك لكم فأوضح على يمين فأنكره ، وأنا في أثره ، فقال يا رسول الله أى المال نتخذ قال (٥) : ليتخذ أحذكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا ، وزوجة تبين أحذكم في أمر الآخرة (٦) .

ورواه الترمذى ، وابن ماجه (٧) ، من غير وجه ، عن سالم بن أبي الجعد - وقال الترمذى : حسن ، وحكى عن البخارى أن سالما لم يسمعه من ثوبان .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٦٦٥٨ : ٢١٩/١٤

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٦٦٦٣ : ٢٢١/١٤ ، ٢٢٢ .

(٣) فى المسند : و تباً للذهب والفضة ، ماذا ؟ قال : دون ذكر و قشر .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٦٦/٥ .

(٥) ما بين القوسين سقط من المخطوطة : أنيتخذ من المسند .

(٦) لفظ المسند : و زوجة تبين على أمر الآخرة ، يفر منه أحد ، ٢٨٢/٥ .

(٧) تحفة الأشراف ، تفسير سورة التوبة : الحديث ٥٠٩٢ : ٤٩١/٨ - ٤٩٢ . وابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب

أفضل النساء ، الحديث ١٨٥٦ : ٥٩٦/١ .

قلت : ولما رواه بعضهم عنه مرسلًا ، والله أعلم ،

حديث آخر ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حميد بن مالك ، حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي ، حدثنا أبي ، حدثنا غيلان بن جامع المحاربي ، عن عثمان أبي اليقظان ، عن جعفر بن إياس ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ( والذين يكتزون الذهب والفضة ) : كثر ذلك على المسلمين ، وقالوا : ما يستطيع أحد منا [ أن يركب ] لولده ما لا يبقى بعده . فقال عمر : أنا أفرج عنكم . فانطلق عمر وابنه ثوبان ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا بني الله ، إنه قد كثر على أصحابك هذه الآية . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يفرض الزكاة إلا لطيب بها ما بقي من أموالكم ، وإنما فرض الموارث من أموال تبتى بعدكم - قال : فكثير عمر ، ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أخبرك بخير ما يكثر المرء ؟ المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته ؛

ورواه أبو داود ، والحاكم في مستدركه ، وابن مردويه من حديث يحيى بن يعلى ، به - وقال الحاكم : صحيح على شرطهما ، ولم يخرجاه ؛

حديث آخر ، قال الإمام أحمد : حدثنا روح<sup>(١)</sup> ، حدثنا الأوزاعي ، عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن أوس رضي الله عنه في سفر ، فزل منزلا ، فقال لخلامه : اثننا بالشجرة<sup>(٢)</sup> . فعثت بها ، فأنكرت عليه ، فقال : ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أعظمها<sup>(٣)</sup> . وأزمتها خير كلمتي هذه ، فلا تحفظوها علي ، واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا كثرت الناس الذهب والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الذبات في الأمر والزينة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قليا سليما ، وأسألك لسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم ، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفر لك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب<sup>(٤)</sup> .

وقوله تعالى : ( يوم يحسب عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هلما ما كنتم لأنفسكم ، فلو فوا ) كنتم تكتزون ) ، أي : يقال لهم هذا الكلام يكتينا وتقربا وتبكما ، كما في قوله : ( ثم صبروا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذئ ذلك أنت العزيز الكريم )<sup>(٥)</sup> ، أي : هلما بذلك ، وهو الذي كنتم تكتزون لأنفسكم . ولهذا يقال : من أحب شيئا وقدمه على طاعة الله ، عذب به . وهؤلاء لما كان جمع هذه الأموال أثر عندهم من رضا الله عنهم ، عذبوا بها ، كما كان أبو شبيب لعنه الله جاهدنا في عدوة الرسول - صلوات الله عليه - وامرأته تبعته في ذلك ، كانت

(١) للمشارك : تفسير سورة التوبة : ٣٣٣/٢ .

(٢) الشجرة والشفيرة : التي تقع من التكاثر بأيسره ، وهي تقيض التميز . ( البان ) .

(٣) أي : أربطها وأشدتها . يريد الاحتراز فيما يقوله ، والاحتياط فيما يلفظ به ، ومثله : وأزمتها .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢٣/٤ .

(٥) سورة لقمان ، آية : ٤٨ ، ٤٩ .

يوم القيامة صوتاً حلّ هذابه أيضاً ( في جديها ) ، أي : عتقا ( حبل من معد ) ، أي : تجمع ، الخليفة في النار وتلقى عليه ، ليكون ذلك أبلغ في هذابه من هو أشق عليه - كان - في الدنيا ، كما أن هذه الأمثال لما كانت آخر الأشياء حلّ أربابها ، كانت آخر الأشياء عليهم في النار الأخيرة ، فيحسّ عليها في نار جهنم ، وناهيك بحرها ، فتكوى بها جباههم وجنوحهم وظهورهم :

قال صفيان ، عن الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله غيره ، لا يكوى جدي بكبر ، فبمس دينار ديناراً ، ولا درهم درهم ، ولكن يوسّع جلده ، فيوض كل دينار ودرهم على حدة (١) وقد رواه ابن مردويه ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، ولا يصح رفعه ، والله أعلم :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن طلوس ، عن أبيه قال : بلغني أن الكثر يتحول يوم القيامة شجاعاً (٢) يتبع صاحبه ، وهو يفر منه ويقول : أنا كرك ! لا يتركك منه شيئاً إلا أخذه (٣) :

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن ممدان بن أبي طلحة ، عن ثوبان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : من ترك بعده كترا مثقل له يوم القيامة شجاعاً أقرح له زبيبتان ، بنبه ، يقول : ويك ما أنت ؟ فيقول : أنا كرك الذي تركته بملك ! ولا يزال يبعه حتى يلتصق يده فيكسفة (٤) ثم يبعه سائر جسده (٥) :

ورواه ابن حبان في صحيحه ، عن حديث يزيد ، عن سعيد به : وأصل هذا الحديث في الصحيحين من رواية أبي الزناد ، عن الأخرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه (٦) ،

وفي صحيح مسلم ، من حديث سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله ، إلا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الثامن ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار (٧) ، وذكر تمام الحديث :

وقال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا قتبية ، حدثنا جرير ، عن حصين ، عن زيد بن وهب قال : مررت على أبي ذر بالرياسة (٨) ، فقلت : ما أتراك بهذه الأرض ، قال : كنا بالشام ، فقرأت : ( والذين يكتزون الذهب والنفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يشرهم بهذاب أليم ) ، قال معاوية : ما هذه فتيا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ! قال قلت : إنما قلنا وفيهم (٩) ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٨٢ : ١٦٦٨٣ : ٢٣٢/١٤ .

(٢) الشجاع - يمشي الشين وكسرهما - : الحية .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٨١ : ٢٣٢/١٤ .

(٤) كلما في خطوطة الأثر ، وتقصص الثوب : كسره . وفي تفسير الطبري : وتقسيمها .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٨٠ : ٢٣٢/١٤ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة التوبة : ٨٢/٦ .

(٧) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : إثم مانع الزكاة : ٧٢، ٧١/٣ .

(٨) الرياسة : من قرى المهينة : على ثلاثة أسيال منها ، بما قبل أبي ذر .

(٩) البخاري ، تفسير سورة التوبة : ٨٢/٦ .

ورواه ابن جرير من حديث عتبة (١) بن القاسم، عن حصين، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر رضى الله عنه،  
فلكوه وزاد : فارتفع في ذلك ينفى وبينه القول ، فكتب إلى عثمان يشكرني ، فكتب إلى عثمان أن أقبل إليه ، قال :  
فأتيت ، فلما قدمت المدينة ركنني الناس كأنهم لم يروني قبل يومئذ ، فشكرت ذلك إلى عثمان ، فقال لي : قَسَحَ قريبا  
قلت : والله لن أدرح ما كنت أقول (٢) .

قلت : كان من ملعب أبي ذر رضى الله عنه تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال ، وكان ينفى بذلك ، ويحبهم  
عليه ، ويأمرهم به ، ويحفظ في علاقته . فنهاه معاوية فلم يته ، فخشى أن يضرب بالناس في هلم ، فكتب يشكوه  
إلى أمير المؤمنين عثمان ، وأن يأخذه إليه ، فاستقدمه عثمان إلى المدينة . وأزله بالريضة وحده ، وبها مات  
رضى الله عنه في خلافة عثمان : وقد اختبره معاوية رضى الله عنه وهو عنده ، هل يوافق عمله قوله ؟ فبعث إليه بألف  
دينار ، ففرقها من يومه ، ثم بعث إليه الذي أتاه بها فقال : إن معاوية إنما يهني إلى غيرك فأحطأت ، فهات الذهب !  
فقال : وبك ! إنما خرجت ، ولكن إذا جاء مالي حاصبتك به .  
وهكذا روى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس أنها عامة .

وقال السدي : هي في أهل القبلة :

وقال الأحنف بن قيس : قدمت المدينة ، فبينما أنا في حلقة فيها ملاً من قريش ، إذ جاء رجل أشعث الثياب ،  
أشعث الجسد ، أشعث الوجه ، فقام عليهم فقال : بشر الكاذبين يرصّف (٣) بحصى عليه في نار جهنم ، فيوضع على  
حكمة ثدي أحدهم حتى يخرج من ثغص (٤) كفته ، ويوضع على ثغص كفته حتى يخرج من حلمة لثبه يتزلزل  
- قال : فوضع القوم رؤوسهم ، فلما رأيت أحدا منهم رجّع إليه شيئا - قال : وأدبر فأتيته حتى جلس إلى سارية ،  
فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت لهم . فقال : إن هؤلاء لا يعلمون شيئا (٥) .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : ما يصرني أن عندي مثل أحد ذنبا عر عليه ثلاثة  
وعندي منه شيء ، إلا دينار أرصده لدين (٦) :

فهذا - والله أعلم - هو الذي حدا أبا ذر على القول بهذا :

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا حماد ، حدثنا قتادة ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن عبد الله بن الصامت  
رضي الله عنه : أنه كان مع أبي ذر ، فخرج عطاؤه ومعه جارية [ له ] ، فجعلت تقضي حوائجها ، ففضلت معها

(١) كلما في خطبته الأخر فوخلقت وفي تفسير الطبري : هشيم عن حصين . وفي التلخيص ١٢٦/٥ : حشر بن القاسم الزبيدي ،  
أبو زيد الكندي ، روى عن حصين بن عبد الرحمن ... وعنه أحد بن عبد الله بن يونس ، وأبوه أبو حصين عبد الله بن أحد .  
ونسب ما في تفسير الطبري خطأ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٧١ : ٢٢٧/١٤ .

(٣) الرصّف : الحجارة المصاة على النار .

(٤) مضي شرح هذه الكلمة في ٤٠٢/١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٧٦ : ٢٣١/١٤ .

(٦) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب : قوله لئن صلى الله عليه وسلم : ما أحب أن لي مثل أحد ذنبا . ١١٧/٨ .

ولفظ الصحيح : ومنعني من دينار إلا شيئا .

سبعة ، فأمرها أن تشتري به فلوساً - قال قلت : أو ادخرته للحاجة فتنبؤك والضيف يقول بك ! قال : إن خليلي عهد لي أن أنأجأ ذهابه أو نقصة أو أكسبني (١) عليه ، فهو جسر على صاحبه ، حتى يفرضه في سبيل الله عز وجل (٢) .

ورواه عن يزيد ، عن همام ، به - وزاد : إفرانها (٣) .

وقال الحافظ ابن عساكر بسنده إلى أبي بكر الشيلي في ترجمته ، عن محمد بن مهادي : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، عن صدقة بن عبد الله ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي فروة الزهري ، عن عطاء ، عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **الئن الله فقيراً ولا تلقه غنياً** : قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : **ما سألت فلا تمنع** ، وما رزقت فلا تخشع : قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو ذاك وإلا فالنار : إسناده ضعيف .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا حنيفة ، عن يزيد بن الصرم قال : سمعت علياً رضى الله عنه يقول : **مات رجل من أهل الصفة ، وترك دينارين - أو : درهمين - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتبتان ، صلوا على صاحبكم (٤)** .

وقد روى هذا من طرق أخرى (٥) .

وقال قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة صدق بن عجلان قال : **مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في ماله دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كية ! ثم قولي رجل آخر فوجد في ماله ديناران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتبتان (٦)** .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو النضر إصافي بن إبراهيم القراديسي ، حدثنا معاوية بن يحيى الأضرابلسي ، حدثني أرواة ، حدثني أبو حاتم الموزني ، سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **ما من رجل يموت وعنده أحمر أو أبيض ، إلا جعل الله بكل قرطاب صفحة من نار يكوي بها من قدمه إلى ذنبه** .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا محمود بن خداش ، حدثنا سيف بن عبد الثوري ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا يوضع الدينار على الدينار ، ولا الدرهم على الدرهم ، ولكن يؤسج جلدته يكوي بها جباههم وجنابهم وظهورهم ، هذا ما كنتم لأفئسكم فلو فارقا ما كنتم تكفرون** .

سيفت هذا : كذاب ، مفروك .

(١) أى : دهره وقد عليه وكاد - يكر الواء - وهو الخيط الذى تشبه به الصرة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٥٦/٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٧٥/٥ ، ١٧٦ ، أى رواية يزيد : حتى يفرضه إفرانها في سبيل الله .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٠١/١ .

(٥) ينظر المسند : ١٣٧/١ ، ١٣٨ ، ومسند عبد الله بن مسعود : ١٢٢/١ .

(٦) تفسير الطبري : الأثر ١٦٦٦٤ : ٢٢٢/١٥ .

إِنْ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ ذَلِكَ  
لِلَّذِينَ آمَنُوا فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسُكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٦﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل ، أخبرنا أيوب ، أخبرنا محمد بن سيرين ، عن أبي بكرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة ، فقال : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة [ حرم ، ثلاثة ] متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . ثم قال : ألا أي يوم هذا ؟ قلنا : لله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : لله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : بلى . ثم قال : أي بلد هذا ؟ قلنا : لله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : هـ أليست البلدة ؟ قلنا : بلى . قال : فإن دماءكم وأموالكم - قال : وأحبابكم - قال : وأعمالكم - ألا لا ترجعوا بعدي حرماً مطهراً يؤمكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدي ضللاً يضرب بعضكم بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا ليبلغ الشاهد الغائب منكم ، فقل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه (١) :

ورواه البخاري في التفسير وغيره ، ومسلم من حديث أيوب ، عن محمد - وهو ابن سيرين - عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة ، عن أبيه به (٢) .

وقد قال ابن جرير : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا روح ، حدثنا أنس ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ، وَرَجَبُ مَضَرَ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ (٣) .

ورواه الزُّبَيْرُ ، عن محمد بن معمر ، به . ثم قال : [ لا يروى ] عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، وقد رواه ابن عوف وقره ، عن ابن سيرين ، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبيه ، به .

وقال ابن جرير ، أيضاً : حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا موسى بن عبيدة الرِّبَاسِيُّ ، حدثني صدقة بن يسار ، عن ابن عمر قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يعني في أوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فقال : أيها الناس ، إن الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٧/٥ .

(٢) مسند البخاري ، تفسير سورة التوبة : ٨٢/٦ . ومسلم ، كتاب القسامة ، باب : تليظ ترمم الحمد والأعراس والأزال : ١٠٧/٥ - ١٠٨ .

(٣) تفسير طبري ، الأثر : ١٦٦٨ : ٢٣٥/١٤ .



وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ، أولهن رَجَبُهُ مفسر بفتح جمدى وضمها ، وذو القعدة ؛ وذو الحجة ، والحرم <sup>(١)</sup> .

وروى ابن سُرْدُوبَه من حديث موسى بن هُبَيْشَةَ ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، مثله أو نحوه .

وقال حماد بن سلمة : حدثني علي بن زيد ، عن ابن حُرَّة ، حدثني الرقاشي ، عن حمه - وكانت له صحبة - قال : كنت أخذاً يزمام لآفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوسط أيام التشريق ، أذود الناس عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم <sup>(٢)</sup> .

وقال سعيد بن منصور : حدثنا أبو معاوية ، عن الكلبى ، عن ابن صالح ، عن ابن عباس في قوله : ( منها أربعة حرم ) ، قال : ( حرم ، ورجبه ، وذو القعدة ، وذو الحجة ) .

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : ( إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ) ، تقرير منه - صكرات الله وسلامه عليه - وتثبيت للأمر على ما جعله الله تعالى في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ، ولا زيادة ولا نقص ، ولا نسيء ولا تبديل ، كما قال في تحريم مكة : ( إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ) ، وهكذا قال هاهنا : ( إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ) ، أى : الأمر اليوم شرها كما ابتداء الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض .

وقد قال بعض القسرين والمتكلمين على هذا الحديث : إن المراد بقوله : ( قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ) ، أنه اتفق أن حجَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة ، وأن العرب قد كانت لسأت النسيء ، فيجوزون في كثير من المنين ، بل أكثرها ، في خبر ذي الحجة ، وزعموا أن حجة الصديق في سنة لمع كانت في ذي القعدة ، وفي هذا نظر ، كما ستبينه إذا تكلمنا على النسيء .

وأغرب منه ما رواه الطبراني ، عن بعض السلف ، في جملة حديث : أنه اتفق حج المسلمين واليهود والنصارى في يوم واحد ، وهو يوم النحر ، عام حجة الوداع ، والله أعلم :

### [ حاشية فصل ]

ذكر الشيخ علم الدين السخاوى في جزء جمعه ماه « المشهور في أسماء الأيام والشهور » : أن الحرم سمي بذلك لكونه شهراً محرماً . وعندى أنه سمي بذلك تأكيداً لتحريمه ، لأن العرب كانت تَمْتَلِكُ به ، فتحله عاماً وتحرمه عاماً - قال : ويجمع على حرمت ، وحرام ، ومحارم .

صفر : سمي بذلك لخروج بيوتهم منهم ، حين يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : ( صكر المكان ) : إذا خلا ، ويجمع على أسفار كجتمك وأجرام .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٦٦٨٤ : ٢٢٤/١٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث طویل ، ٧٢/٥ : ٧٢ .

شهر ربيع الأول : سمي بذلك لارتباطهم فيه ، والارتباط الإقامة في حِمْيَر ، وجميع على أربعماء كمنصيب وأنصبا ، وعلى أربعة ، كزيف وأرشفة .  
ربيع الآخر : كالأول .

جُمَادَى : سمي بذلك لجمود الماء فيه - قال : وكانت الشهرة في حِمْيَر لا تدور ، وفي هذا نظر ، إذ كانت شهرهم منومة بالأهلة ، ولا بد من درائها ، فظلمهم سموه بذلك ، أو كما ما سمي عند جمود الماء في البرد ، كما قال الشاعر :

وَكَلِيلَةٌ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَّةٍ • لَا يُبْصِرُ الْعَبْدُ فِي ظُلُمَاتِهَا الطُّلُبَ (١)  
لَا يَنْتَحِ الْكَلْبُ فِيهَا شَيْءٌ وَاحِدَةً • حَتَّى يَكُفَّ حَتَّى عُرْطُومِهِ الذُّنْبَا

ويُجمع على جُمَادِيَّاتٍ ، كحمارى وحِمْيَارِيَّاتٍ ، وقد يذكر ويؤنث ، فيقال : جُمَادَى الْوَلَى وَالْأُولَى ، وجمادى الآخر والآخره .

رجب : من الترجيب ، وهو التمثيل ، ويجمع على أَرْجَبِيَّاتٍ ، ورجَبَاتٍ (٢) ،

هَيْبَان : من تشبیه للقبائل وتلقاها لغارة ويجمع على شَمَائِيْنٍ وشَمَائِيَّاتٍ :

رمضان : من شدة الرمشاء ، وهو الحر ، يقال : « رَمَضَتِ النِّصَالُ » : إذا عطش ، ويجمع على رَمَضَاتٍ وَرَمَضِيَّاتٍ وَأَرْمَضَةٍ (٣) - قال : وقرن من قال : إنه اسم من أسماء الله ، خطأ لا يرجح عليه ، ولا يلتفت إليه : قلت : قد ورد فيه حديث ، ولكنه ضعیف ، ويته في أول كتاب الصيام :

شَوَاك : من شالت الإبل بأذنابها للطراق ، قال : ويجمع على شَوَاكٍ وشَوَاكِيْلٍ وشَوَاكَاتٍ :

القعدة : بفتح القاف - قلت : وكسرها - لقعودهم فيه عن القتال والترحال ، ويجمع على ذَوَاتِ الْقَعْدَةِ :

الحجة : بكسر الحاء - قلت : وفتحها - سمي بذلك لإيقاعهم الحج فيه ، ويجمع على ذَوَاتِ الْحِجَةِ .

أسماء الأيام : أولها الأحد ، ويجمع على آحاد ، وأُحَادٍ ووجود (٤) : ثم يوم الاثنين ، ويجمع على اثنتين : اثْنَاءَ ، ويُنْكَسَرُ ويؤنث ، ويجمع على ثلاثاوات وأثَلث : ثم الأربعاء بالمد ، ويجمع على أربعاوات وأَرْبَعِيَّاتٍ . والخميس : يجمع على أخمسة وأخماس ، ثم الجمعة - بضم الميم ، وإسكانها ، وفتحها أيضا - ويجمع على جُمُعٍ وجُمُعَاتٍ (٥) . السبت : مأخوذ من السَبَّت ، وهو القطع ، لانتهاء العدد عنده ، وكانت العرب تسمى الأيام أول ، ثم أعون ، ثم جُبَار ، ثم ديار ، ثم مؤنس ، ثم العروبة ، ثم شيار ، قال الشاعر ، من العرب الرباء الغاربة المنقلبين (٦) :

(١) الطنب : جبل الخياء والبرادق .

(٢) ورجوب للهجاء ، (اللسان) .

(٣) وأرمضاء وأرمض أيضا (اللسان) .

(٤) كذا ، وفي اللسان والنتاج أنه يجمع على : آحاد وأعداد .

(٥) في الخطوط : « وجهايات » . والمثبت من المرجعين السابقين .

(٦) البيتان في تاج المروس ، واللسان : مادة : جبر ، ودير ، وغيرهما .

أَرْحَمَ لِلْأَرْحَمِينَ وَأَنْ يَوْمَئِذٍ يُؤْتَى بِأُولَىٰ أَوْ يَأْخُذُ أَوْ يُجْزَىٰ  
أَوْ يُنْفَخُ أَوْ يُنْفَخُ أَوْ يُنْفَخُ أَوْ يُنْفَخُ أَوْ يُنْفَخُ أَوْ يُنْفَخُ

وقوله تعالى : ( منها أربعة حرم ) ، فهذا ما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه ، وهو الذي كان عليه جمهورهم ، إلا طائفة منهم يقال لهم « البسلى » (١) ، كانوا يحرّمون من السنة ثمانية أشهر ، تعمقاً وتشديداً .

وأما قوله : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والحرم ، ورجب مضى الذي بين جمادى وشعبان ، [ فإنما أضافه إلى مضر ، لبيان صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان ] ، لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال ، وهو رمضان اليوم ، فينبى - عليه السلام - أنه رجب مضر لا رجب ربيعة . وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة . ثلاثة سرّدت وواحد فرد ، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة . فحرم قبل شهر الحج شهر ، وهو ذو القعدة ، لأنهم يقضون فيه عن القتال ، وحرم شهر ذو الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشفقون فيه بأداء المناسك ، وحرم بعده شهر آخر ، وهو المحرم ، ليرجعوا فيه إلى تاني (٢) أقصى بلادهم آسئين ، وحرم رجب في وسط الحول ، لأجل زيارة البيت والاعتبار به ، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب ، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمناً .

وقوله : ( ذلك الدين القيم ) ، أى : هذا هو الشرع المستقيم ، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر المحرم ، والاحتساب بها على ما سبق في كتاب الله الأول :

وقال تعالى : ( فلا تظلموا فيه أنفسكم ) ، أى : في هذه الأشهر المحرمة ، لأنه أكد وأبلغ في الإنذار من غيرها ، كما أنه لما مضى في البلد الحرام تضاعف ، لقوله تعالى : ( ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره من عذاب ألم ) (٣) ، وكذلك الشهر الحرام تظلم فيه الآثام ، ولهذا تظلم فيه الدنيا في مذنب الشافعى ، وطائفة كثيرة من العلماء ، وكلنا في حق من قتل في الحرم أو قتل في الحرم :

وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، في قوله : ( فلا تظلموا فيه أنفسكم ) ، قال : في الشهور كلها (٤) ،

وقال علي ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ( إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ) : الآية ، ( فلا تظلموا فيه أنفسكم ) : في كلهن ، ثم اقتص من ذلك أربعة أشهر فيجعلهن حراماً ، وعظم حرماًهن ، وجعل الذنب فيهن أعظم ، والعمل الصالح والأجر أعظم (٥) .

(١) ينظر خريم في سيرة ابن هشام : ١٠٢/١ : ١٠٣ .

(٢) في المطبوعة : قال أقصى ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) سورة الحج ، آية : ٢٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٩ : ٢٣٨/١٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٩ : ٢٣٨/١٤ .

وقال قتادة في قوله : ( فلا تظلموا فيه ) أن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا ، من الظلم في سواها ، وإن كان الظلم على كل حال حراما ، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء . قال : إن الله اصطفى صفتها من خلقه ، اصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس رسلا ، واصطفى من الكلام ذكرته ، واصطفى من الأرض المساحد ، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم ، واصطفى من الأيام يوم الجمعة ، واصطفى من الليالي ليلة القدر . فاعتظموا ما عظم الله ، فإنما تعظم الآثور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل (١) .

وقال الثوري ، عن قيس بن مسلم ، عن الحسن بن محمد بن الحنفية : بأن لا تحرموهن كحرمتهن (٢) .

وقال محمد بن إسحاق : ( فلا تظلموا فيه أنفسكم ) ، أي : لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما ، كما فعل أهل الشرك ، فإنما النسيء الذي كانه يصنعون من ذلك ، زيادة في الكفر ( يضل به الذين كفروا ) (٣) الآية . وهذا القول اختيار ابن جرير .

وقوله : ( وقاتلوا المشركين كافة ) ، أي : جميعكم ، ( كما يقاتلونكم كافة ) ، أي : جميعهم ، ( واطلوا إن الله مع المتقين ) .

وقد اختلفت العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام : هل هو منسوخ أو محكم ؟ على قولين :

أحدهما ، وهو الأشهر : أنه منسوخ ، لأنه تعالى قال ها هنا : ( فلا تظلموا فيه أنفسكم ) ، وأمر بقتال المشركين . وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بلك أمرأ حاما ، فأمر كان محرما في الشهر الحرام لأوشك أن يقبده بالتسلخها ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر أهل الطائف في شهر حرام - وهو ذو القعدة - كما ثبت في الصحيحين : أنه خرج إلى هوازن في شوال ، فلما كسرهم واستفاء أموالهم ، ورجع فكتبهم (٤) . فلبثوا إلى الطائف - صمد إلى الطائف فحاصرها أربعين يوما ، وانصرف ولم يفتتحها فثبت أنه حاصر في الشهر الحرام :

والقول الآخر : أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام ، وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام ، لقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام (٥) ) ، وقال : ( الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتصوا عليه بما اعتدى عليكم ) (٦) الآية ، وقال : ( فإذا نالكم الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ) (٧) وقد تقدم أنها الأربعة المقررة في كل حدة ، لا أشهر التصير على أحد القولين :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٦٩٨ : ٢٣٨/١٤ : ٢٣٩ .

(٢) المصدر السابق ، الأثر ١٦٧٠١ : ٢٣٩/١٤ : ٢٣٩ . ولفظ الطبري : « ظلم أنفسكم » : أن لا تحرموهن كحرمتهن .

(٣) المصدر السابق ، الأثر ١٦٦٩٩ : ٢٣٩/١٤ : ٢٣٩ .

(٤) أي : المهزومون منهم .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٢ .

(٦) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .

(٧) سورة التوبة ، آية : ٥ .

وأما قوله تعالى : ( وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يَفْقَهُوا ) ، فيحصل أنه مقطوع مما قبله ، وأنه حكم مستأنف ، ويكون من باب التبيين والتحصيل ، أى : كما يجمعون لحربكم إذا حاربكم فاجتنبوا أنتم أيضا لم إذا حاربتموه ، وقاتلوهم بغير ما يفعلون. ويحصل أنه أذن للمؤمنين بقتال للمشركين في الشهر الحرام إذا كانت البغاة منهم ، كما قال تعالى : ( الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص )<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ( وَلَا تَقَاتِلُوا عِدَّائِيَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ إِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ) ... الآية ،<sup>(٢)</sup> وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف ، واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام ، فإنه من تمة قتال هوازن وأحلافها من قتيق ، فإنهم هم الذين ابتلوا القتال ، وجمعوا الرجال ، ودعوا إلى الحرب والتزال ، فمتدا قصصهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، فلما تحصنوا بالطائفة ذهب إليهم ليترهم من حصونهم ، فثاروا من المسلمين ، وقتلوا جماعة ، واستمر الحصار بالجانيق وغيرها قريبا من أربعين يوما . وكان ابتداءه في شهر حلال ، ودخل الشهر الحرام ، فاستمر فيه أياما ، ثم قتل عنهم لأنه يفتقر في اليوم مالا يفتقر في الابتداء ، وهذا هو أمر مقرر ، وله نظائر كثيرة والله أعلم ، ولذكر الأحاديث الواردة في ذلك<sup>(٣)</sup> ، وقد حوتها في السيرة ، والله أعلم .

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ عَمَّا وَبِعَوا بِأَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

هذا ما دام الله تعالى به للمشركين من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة ، وتخليطهم ما حرم الله وتحريرهم ما أحل الله ، فإنهم كان فيهم من القوة النفسانية والشهامة والحمية ، ما استطاد به سنة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أخذوا قبل الإسلام بمدة تحليل الحرم وتأنيرهم إلى صفر ، فيحلون الشهر الحرام ، ويعرمون الشهر الحلال ، ليواطوا عدة الأشهر الأربعة ، كما قال شاعرهم - وهو حمير بن قيس المعروف - بجلل الطعان<sup>(٤)</sup> :

لَقَدْ حَلَلْتُ مَعْدَنَ قَوْمِي كِرَامُ النَّاسِ أَنْ لَهُمْ كِرَامًا  
لَسْنَا الْفَاسِقِينَ عَمَلُ مَعْدَنَ شُهُورُ الْجَلِّ لِيَجْعَلَهَا حَرَامًا  
فَأَيُّ النَّاسِ لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ يَكُنْ لِيَجْعَلَهَا حَرَامًا؟

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ( إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ) ، قال : النسوة أن جندة بن حوشب ابن أمية الكفاي ، كان يرأس الموسم في كل عام ، وكان يكنى « أبا ثمامة » ، فبنادى : « ألا إن أبا ثمامة لا يحسب »<sup>(٥)</sup>

(١) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٩١ .

(٣) لم يذكر ابن كثير هذه الأحاديث . وبهذه في غلظة الأثر فرأى يسر أربعة أسطر .

(٤) الأبيات في سيرة ابن هشام : ٤٥/١ ، وقال السبيل في الرؤف الأتف : ٤٢/١ ، وروى « بجل الطعان » ، لبيته في الحرب ، كأنه بجل شجرة واقف . وقيل : لأنه كان يستنقش برأيه ويسترأج إليه ، كما تستريح البهيمة الجارية إلى الجبل تنحله به .

(٥) يقول : أي الناس لم يقدحهم ولتكمهم كما يقدح القوس والبالج ؟

(٦) أى : لا ينسب إلى الحوطة وهو الإثم .

ولا يحاتب ، إلا وإن صفر العام الأول المأم حلال ، فيحلبه الناس ، فيحرم صغرا عاما ، ويحرم الحرم عاما ، فذلك قول الله : ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) [ إلى قوله : ( الكافرين ) . وقوله : ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) ] ، يقول : يفركون الحرم عاما ، وعاما يحرمونه (٢) .

وروى العوفي ، عن ابن عباس نحوه .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له ، فيقول : يا أيها الناس ، إني لا أعاب ولا أحاب ، ولا مرَدَ لا أقول ، إنا قد حرّمنا الحرم ، وأخبرنا صفر . ثم يحج العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ، ويقول : إنا قد حرّمنا صفر ، وأخبرنا الحرم ، فهو قوله : ( ليواطئوا عدة ما حرم الله ) ، قال : يعني الأربعة - ( فيطأوا ما حرم الله ) ، لتأخير هذا الشهر الحرام (٣) .

وروى عن أبي وائل ، والضحاك ، وقنادة نحو هذا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) : الآية ، قال : هذا رجل من بني كنانة يقال له : القنسس ، وكان في الجاهلية ، وكانوا في الجاهلية لا يغيّر بعضهم على بعض في الشهر الحرام ، يأتي الرجل قاتل أبيه ولا يمتدّ إليه يده ، فلما كان هو ، قال : اخرجوا بنا ، قالوا له : هذا الحرم ! قال : ننتسب العام ، هذا العام صفران ، فإذا كان العام القابل قضيتنا جعلناها هـرمين ، قال : فعل ذلك ، فلما كان عام قابل قال : لا تفزوا في صفر ، حرّموه مع الحرم ، هما حرمان (٤) .

فهذه صفة غريبة في النسيء ، وفيها نظر ، لأنهم في عام إنما يحرمون على هذا ثلاثة أشهر فقط ، وفي العام الذي يابه يحرمون خمسة أشهر ، فأين هذا من قوله تعالى : ( يحلوه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ) ؟

وقد روى عن مجاهد صفة أخرى غريبة أيضا ، فقال عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ( إنما النسيء زيادة في الكفر ) الآية ، قال : فرض الله عز وجل الحج في ذي الحجة . قال : وكان المشركون يسمون [ الأشهر ] ، ذا الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وربيع ، وريبع ، وجمادى ، وجمادى ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوالا ، وذا القعدة : وذو الحجة ، نجون فيه مرة أخرى ثم يسكنون عن الحرم ولا يذكرونه ، ثم يبردون فيسمون صفر [ صفر ] ، ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ، ثم (٥) يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون شوالا رمضان ، ثم يسمون ذا القعدة شوالا ، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ، فيحجون فيه ، واسمه عندهم ذو الحجة . ثم عادوا بمنزل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عامين ، حتى وافق حجة أبي بكر الآخر من العامين في القعدة .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٠٩ : ٢٤٥/١٤ ، وأثر العوفي بعده .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧١٥ : ٢٤٦/١٤ ، ٢٤٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧١٦ : ٢٤٩/١٤ .

(٥) لفظ الطبري : ثم يسمون شعبان رمضان ، ثم يسمون رمضان شوالا ، ثم يسمون ذا القعدة شوالا ، ثم يسمون

ذا الحجة ذا القعدة ، ثم يسمون المحرم ذا الحجة .

ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة التي حج ، فوافق ذا الحجة ، فلذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته :  
« إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض » (١) »

وهذا الذي قال مجاهد فيه نظر أيضا ، وكيف تصح حجة أبي بكر وقد وقع في ذي القعدة ، وأتى هذا ؟ وقد قال الله تعالى : ( وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ) : الآية ، وإنما نودي بذلك في حجة أبي بكر ، فلم تكن في ذي الحجة لا قال تعالى : ( يوم الحج الأكبر ) : ولا يلزم من تطهير النبي ﷺ هذا الذي ذكره ، من دوران السنة عليهم ، وحجهم في كل شهر حامين ، فإن النبي ﷺ حاصل بدون هذا ، لأنهم لما كانوا يداون شهر الحرم عاما يحرمون عونه صفرا ، وبعد ربيع وريبع إلى آخر [ السنة بحالها من نظامها وعينها وأيامها وشهورها ] ثم في السنة الثانية يحرمون الحرم ويتركونه على نحره ، وبعد صفرا ، وريبع وريبع إلى آخرها فيحطونه عاما ويحرمونه عاما ، ليوأمنوا علة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، أي : في تحريم أربعة أشهر من السنة ، إلا أنهم تارة يقسمون تحريم للشهر الثالث من الثلاثة المتوالية وهو الحرم ، وتارة ينسوته إلى صفرا ، أي : يؤخروه ، وقد قلنا الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والأرض » ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ووجب مضره ، أي : أن الأمر في هذه الشهور وتحريم ما هو حرم منها ، على ما سبق في كتاب الله من العدد والقول ، لا كما يقتضيه جهلة العرب ، من فصلهم تحريم بعضها بالنسبة عن بعض ، والله أعلم »

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا صالح بن بشر بن سلمة الطبراني ، حدثنا مكى بن إبراهيم ، حدثنا موسى بن حبة : عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر أنه قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، فاجتمع إليه من شاء الله من المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « وإنا النبي ﷺ من الشيطان ، زيادة في الكفر ، يفضل به للذين كفروا ، يحونوه عاما ويحرمونه عاما » فكانوا يحرمون الحرم عاما ، ويستطون صفرا ، ويستطون الحرم ، وهو النبي ﷺ

وقد تكلم الإمام محمد بن إسحاق على هذا في « كتاب السيرة » كلاما جيدا ومفيدا حسنا ، فقال : « كان أول من نسا الشهور على العرب ، فأحل منها ما حرم الله ، وحرم منها ما أحل الله عز وجل ، فالتبس » ، وهو أحذق من عبد قيس ابن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مسربة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عتيق ثم من بعده حياذ بنه ، فكلح بن حياذ ، ثم ابنه أمية بن قلع ، ثم ابنه : حوف ابن أمية ، ثم ابنه أبو لامة جندة بن حوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام . فكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فقام فيهم خطيبا ، فحرم : رجيا ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، وعجل الحرم عاما ، ويجعل مكانه صفرا ، ويجرمه عاما ليوأمنوا علة ما حرم الله ، فيحل ما حرم الله ، يعني : ويجرم ما أحل الله (٢) »

(١) تفسير الطبري ، الآثار ١٦٧١٣ : ٢٤٨/١٤

(٢) سيرة ابن هشام : ٤٤٧/١

يُنَاقِبُ الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِنْ قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفَأَقَلُّمَ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ  
الْآخِرَةِ قُلْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٥٠﴾ لَا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا  
خَيْرَ ذِكْرٍ وَلَا تَفْزَحُوا شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

هذا شروع في خطاب من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خروجه تبوك، حين طابت الثمار والظلال  
في شدة الحر وحماضة القبط، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله)، أي: إذا دعيت  
إلى الجهاد في سبيل الله (انطلقوا إلى الأرض)، أي: تكاسلتم ولمنم إلى اللقار في الدعة والحفص وطيب الثمار، (أرضيتكم  
بالحياة الدنيا من الآخرة؟) أي: ما لكم قتلتم هكذا أرضاً منكم بالدنيا بدلا من الآخرة؟

ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة، فقال: (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)، كما قال  
الإمام أحمد:

حدثنا وكيع بن سعيد قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن المستورد أنشأ بين فهر قال: قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يعمل أحدكم أصبعه هذه في الميم، فليظن يوم ترجع؟»  
وأشار بالسبابة (١).

الفرق بالخرابج مسلم (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا بشر بن مسلم بن عبد الحميد الحمصي، عن حمص، حدثنا الربيع بن روع، حدثنا محمد بن  
عائذ الوهي، حدثنا زياد - يعني الجصاص - عن أبي عثمان قال قلت: يا أبا هريرة، سمعت من إخواني بالبصرة  
أنك تقول: سمعت نبي الله يقول: «إن الله يجزي بالهنة ألف ألف حسنة؟» قال أبو هريرة: بل سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يجزي بالهنة ألفي ألف حسنة»، ثم تلا هذه الآية: (فما متاع الحياة الدنيا في  
الآخرة إلا قليل).

فالدنيا ماضى منها وما بقى منها عند الله قليل.

وقال الثوري، عن الأعمش في الآية: (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل).

قال: كراد الراكب.

وقال عبد العزيز ابن أبي حازم، عن أبيه: لما حضرت عبد العزيز بن مروان الوفاة قال: انصوني بكفى الذي أكفرت به.  
أنظر إليه: فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أسألك من كثير ما اختلف من الدنيا إلا هذا؟ ثم وثى ظهره فبكى وهو  
يقول أفت لك من دار؟ إن كان كثير لك قليل، وإن كان قليل لك نصير، وإن كنا منك لى غرور.

(١) مسند الإمام أحمد: ٢٢٨/٤.

(٢) مسلم: كتاب الجنة، باب: «فناء الدنيا وبيان الخسر يوم القيامة» ١٠٦/٨.



لم توحّد تعالى على ترك الجهاد فقال : ( لا تنفروا بغيركم طلباً ألبماً ) ، قال ابن عباس : استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً من العرب ، فقاتلوا عنه ، فأسلك الله عنهم القنطرة فكان علاجهم (١) :

( ويستبدل قوماً غيركم ) ، أى : لنصرة نبيه وإقامة دينه ، كما قال تعالى : ( وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ) (٢) .

( ولا تنفروهم شيئاً ) ، أى : ولا تنفروا الله شيئاً بتوليكم من الجهاد ، وتكولكم وتنافلكم عنه ، ( والله على كل شيء قدير ) ، أى : قادر على الانتصار من الأعداء بكونكم .

وقد قيل : إن هذه الآية ، وقوله : ( انفروا خفافاً وثقالاً ) (٣) ، وقوله : ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ) (٤) — إيهن منسوخات بقوله تعالى : ( وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ) (٥) ، روى هذا ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وزيد بن أسلم . ورده ابن جرير وقال : ( إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد ، فتمنع عليهم ذلك ، فلوتركه لموتوا عليه ) (٦) ، وهذا له إيجاب ، والله تعالى أعلم .

إِذَا تَنَصَّرُوهُ فَقَدْ تَنَصَّرَهُ اللَّهُ إِذْ أُخْرِجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ  
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ أَمْوَاهَا وَجَعَلَ لِكُلِّ الْفِرْقَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا آتِغَالِي وَكَلِمَةُ اللَّهِ  
هِيَ الْعَلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى : ( لا تنصروه ) ، أى : لا تنصروا رسوله ، فإن الله ناصرهم ومؤيده وكافيه وحافظه ، كما نزل نصره . ( إذ أخرجهم الذين كفروا ثانياً اثنين ) ، أى : عام الهجرة ، لما هجم المشركون بقتله أوجسبه أوفيه ، فخرج منهم هارباً صحبة صدّيقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة ، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلّاب الذين خرجوا في آكارهم ، ثم يسبروا نحو المدينة ، فجهل أبو بكر رضى الله عنه بجزع أن يتطلع عليهم أحد ، فخلص — إلى الرسول عليه السلام ، منهم أذى ، فجهل النبي صلى الله عليه وسلم بسكينة ويثبته ويقول : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، كما قال الإمام أحمد .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٢١ : ١٤/٢٥٤ ، ٢٥٥ ، والتميز ، المظهر .

(٢) سورة عبه ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة لقوبة ، آية : ٤١ .

(٤) سورة لقوبة ، آية : ١٢٠ .

(٥) سورة لقوبة ، آية : ١٢٢ .

(٦) ينظر نص ابن جرير في تفسيره : ١٤/٢٥٦ .

حدثنا عفان ، حدثنا حماد ، أنبأنا ثابت ، عن أنس أن أبابكر حدثه قال : قلت لئن صلى الله عليه وسلم ، ولعن في الغار : لو أن لحجم نظرتي علمية لأبصرنا تحت قدميه . قال : فقال : « يا أبابكر ، ما ظنك بانين الله ثالثهما » (١) ، أخرجه في الصحيحين (٢) .

ولهذا قال تعالى : ( فأُتِيَ اللَّهُ مَكِّيَّةً عَلَيْهِ ) ، أي : تأييده ونصره عليه ، أي : حل الرسول في أشهر القبول ؛ وقيل : حل أبي بكر ، ورؤي عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول لم تزل معه مكينة ، ولهذا لا يبان تَجَدُّدُ مكينة خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : ( وأُيِّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ) ، أي : الملائكة ، ( وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ) .

قال ابن عباس : يعني « كلمة الذين كفروا » : الشرك وكلمة الله : هي : لا إله إلا الله (٣) . وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حسيبة ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٤) . وقوله : ( والله عزيز ) ، أي : في انتقامه وانتصاره ، منيع الجنتاب ، لا يُضَامُ من لاذ ببابه ، واحتمى بالنسك غضابه ، ( حكيم ) في أقواله وأفعاله .

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجُنُودًا بِأَمْرٍ لَكَ وَأَنْفِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ يَخْبَرُ لَكَ إِنْ كُنْتُمْ مُعْلَبِينَ ﴿١١﴾

قال سفيان الثوري ، عن أبيه ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح : هذه الآية : ( انفروا خفافاً وثقالاً ) أول ما نزل من سورة براءة (٥) .

وقال مجتهد بن سليمان ، عن أبيه قال : زعم حَضَرِي أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ أَنَّ نَاسًا كَانُوا حَصَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمْ حِيلًا أَوْ كِبَرًا ، فيقول : إني لا أكرم (٦) ، فأُتِيَ اللَّهُ : ( انفروا خفافاً وثقالاً ) . الآية (٧) .

أمر الله تعالى بالثغر العام مع الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - عام غزوة تبوك ، لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب ، وحَتَمَ على المؤمنين في الخروج معه كل حال في المُنْشَطِ والمَكْرَهِ والعُسْرِ والبُسْرِ ، فقال :

(١) مسند الإمام أحمد : ٤/١ .

(٢) صحيح البخاري ، تفسير سورة التوبة : ٨٣/٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٧٣٣ : ١٤/٢٦١ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب « من سأل - وهو قائم - عالماً جالساً » ٤٢/٤٣ ، ومسلم كتابه الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله : ٤٦/٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٧٥٨ : ١٤/٢٧٠ .

(٦) لفظ الطبري : « إن اجتبه إياه ، فاني أكرم » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٧٥٣ : ١٤/٢٦١ : ٢٦٧ .

(انفروا خفاةً وتقالاً) •

وقال علي بن زيد ، عن أنس ، عن أبي طلحة (١) : كهولاً وشباباً ، ما أسمع الله عدّ أحداً ، ثم خرج إلى الشام فقاتل حتى قُتِلَ :

وفي رواية : قرأ أبو طلحة سورة براءة ، فاتى على هذه الآية : ( انفروا خفاةً وتقالاً وجهادوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ) ، فقال : أرى أننا يستفترنا شيوخاً وشباباً ، جهزوني يا بَنِي د فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنهضوا لغزو هناك ، فأتى ، فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة مدغوه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير ، فدفنوه بها •

وهكذا روى عن ابن عباس ، وعكرمة وأبي صالح ، والحسن البصري ، وغير بن عطية ، ومقاتل بن حيان • والشعبي وزيد بن أسلم • ثم قالوا في تفسير هذه الآية : ( انفروا خفاةً وتقالاً ) قالوا كهولاً وشباباً ؛ وكذا قال عكرمة والفحاح ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد •

وقال مجاهد : شباباً وشيوخاً ، وأغنياء ومساكين • كل قال أبو صالح ، وغيره •

وقال الحكم بن عتيبة : مشاغل وغير مشاغل •

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ( انفروا خفاةً وتقالاً ) ، يقول : انفروا للباطل وغير للباطل • وكذا قال قتادة •

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( انفروا خفاةً وتقالاً ) ، قالوا : قال فينا الضيل ، وهذا الحاجة ، والضيعة والشغل ، والمتيسر (٢) به أمره ؛ فأنزل الله وأتى أن [ يملأهم دون أن يغفروا خفاةً وتقالاً (٣) ] وعلى ما كان منهم ؟ وقال الحسن بن أبي الحسن البصري أيضاً : هـ السر واليسر • وهذا كله من مقتضيات العموم في الآية ، وهذا اعتبار ابن جرير •

وقال الإمام أبو عمرو الأزاعي : إذا كان الضرب إلى دُروب الروم لغزو الناس إليها خفاةً وركباناً ، وإذا كان الضرب إلى هذه السواحل نفروا إليها خفاةً وتقالاً ، وركباناً وشاةً • وهذا تفصيل في المسألة ؛ وقد روي عن ابن عباس ، وعبد بن كعب ، وعطاء الأنصاري وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ( قلوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ) • وسألت الكلام على ذلك إن شاء الله •

وقال السدي قوله : ( انفروا خفاةً وتقالاً ) ، يقول : غنياً وقبلاً ، وقويماً وضعيفاً • فجاهد رجل يومئذ ، وهو أنه المقتد ، وكان عظيمًا سمياً ، فشكا إليه وسأله أن يأذن له ، فأتى ، فنزلت يومئذ • ( انفروا خفاةً وتقالاً ) ، فلما

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٦٧٣٦ : ١٤ / ٢٦٢ . وفي المخطوط : « من أنس » من حل بين أي طلحة : « وهم خطا » وأبو طلحة هو زيد بن سميل الأنصاري البخاري • حتى يروى • يروى عنه أنس بن مالك •

(٢) في القدر المنثور : « والمنثور به أمره في ذلك » •

(٣) ما بين القوسين المتوفين من القدر ٣ / ١٦٧ : « ومكانه في المخطوط : « وعلهم » •

ولدت هذه الآية الله على الناس شأنها ففسنها الله ، فقال : ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما يفتقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله )

وقال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن حبان ، حدثنا أبو يعرب ، عن محمد بن قيس : شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بئرا ثم لم يتخلف عن شراة المسلم إلا وهو في آخرهم إلا عاماً واحداً قال : وكان أبو أيوب يقول : قال الله : ( انصروا خفاً وثقالاً ) ، فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً (١) :

وقال ابن جرير : حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، حدثنا بقية ، حدثنا حريز ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة ، حدثني أبو راشد الجعفي قال : وأبنت المقداد بن الأسود قارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً على تابوت من أوابت الصيارة خصص ، وقد فضل عنها من عظمت ، وبهد الغزو ، قتلته له : لقد أعلن الله إليك . فقال : أنت علينا سورة البحوث (٢) : ( انصروا خفاً وثقالاً ) (٣)

وبه قال حريز : حدثني حبان بن زيد الشرعي قال : تكبرنا مع صفوان بن عمرو ، وكان والياً على حمص قبل الأنسوس (٤) ، إلى الجراجمة فقلت شيخاً كبيراً هماً (٥) ، وقد سقط حجاباه على عيبيه ، من أهل دمشق ، على راحلته ، فبين أغار : فأقبلت إليه قتلتي : يا عم ، لقد أعلن الله إليك . قال : فرغ حجابيه فقال : يا ابن أخي ، استفتونا خفاً وثقالاً ، إنه من محبة الله يبتليه ، ثم يمهده الله فيبتيه . وإنما يبذل الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يمهده إلا الله عز وجل (٦)

ثم رغب تعالى في النفقة في سبيله ، وبذلك المخرج في مرضاته ومرضاة رسوله ، فقال : ( وجاهدوا أموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ) ، أي : هذا خير لكم في الدنيا والآخرة ، ولأنكم تفرمون في النفقة قليلاً ، فينكم الله أموال عدوكم في الدنيا ، مع ما يتدبر لكم من الكرامة في الآخرة . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : وتكفل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يبدله الجنة ، أو يرده إلى منزله نائلاً مانعاً من أجر أو حنيفة (٧) :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٥٤ : ٢٦٧/١٤ .

(٢) في الضلوة : « سورة البحوث » . بالعين ، والضم من تفسير الطبري . والهاء لاين كثير ، وفي النهاية : « يعي » سورة التوبة : « صحت بما لما قصت من البحث من أسرار المنافقين ، وهو إثارتها والتمسيتها بها . والبحوث : جمع بحث . ورأيت في الفائق : سورة البحوث » بفتح الباء ، قال صحت فهي قول ، من أبنية المبالغة ، ويقع على الذكر والأنثى ، كرامة صبور ، ويكون من باب إضافة الموصوف إلى المصفة .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٥٦ : ٢٦٨/١٤ .

(٤) في الضلوة : « الأنسوس » . ومثله في خطورة الطبري . وقد أثبت السيد محقق تفسير الطبري « الأنسوس » ، وقال : « بلد بئر طرسوس ، وطرسوس : مدينة بغير الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم . والجراجمة : نبط الشام ، ويقال : هم قوم من الصميم بالجزيرة .

(٥) الهـ - بكسر الهاء ، وتشديد الميم - : الشيخ الكبير الذي .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٥٥ : ٢٦٤/١٤ : ٢٦٥ .

(٧) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٦٦/٩ . ومسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الجهاد والمخرج في سبيل الله : ٣٤/٦ . ومسنن الإمام أحمد بن أبي هريرة : ٢٢١/٢ : ٣٧٤ : ٣٩٩ : ٤٢٤ : ٤٩٤ .

ولهذا قال تعالى : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تنهروا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)؛  
ومن هذا القبيل ما رواه الإمام أحمد :  
حدثنا محمد ابن أبي عدي ، عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : أسلم ؟ قال : أجل  
كارهاً . قال : أسلم وإن كنت كارهاً (١) .

فَمَنْ كَانَ عَرَضًا قَرِيْبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا فَلْيَتَّبِعْكَ وَلَكِنْ بَدَعَتْ عَلَيْهِمُ الشُّفْعُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا مَخْرَجًا  
مَعَكُمْ يَسْئَلُونَ اللَّهَ وَهُمْ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى موضحاً للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما استأذوه في ذلك ، مظهرين أنهم ذوو أعداء ، ولم يكونوا كذلك ، فقال : ( لو كان عرضاً قريباً ) - قال ابن عباس : غزوة قريبة ، ( وسفراً قاصداً ) ، أى : قريباً أيضاً ، ( لاتبعوك ) ، أى : لكانوا جاءوا معك لذلك ، ( ولكن بدعت عليهم الشفعة ) . أى : المصافة إلى الشام ، ( وسيحلفون بالله ) ، أى : لكم إذا رجعت إليهم ( لو استطعنا لخرجنا معكم ) ، أى : لو لم تكن لنا أعداء لخرجنا معكم - قال الله تعالى : (هلكون أنفسهم ، والله يعلم أنهم لكاذبون)؛

عَلَّا اللَّهُ هَكَذَا فَمَنْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ سَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يَذْمُرُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِنْهُمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٨﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي . حدثنا أبو حصين [ يحيى بن ] (٢) سليمان الرزازي ، حدثنا ميثاق بن عيسى ، عن مسهر ، عن حرون قال : هل سمعتم عصابة أحمس من هذا ؟ بدأ بالعفو قبل المصافة فقال : ( علما الله هكذا لم أذنت لهم ) . وكذا قال مروق العجل وغيره ؛

وقال قتادة : عانيه كما تسمعون ، ثم أنزل النبي في سورة التور ، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ؛ ( فإذا استأذنتك لعصى شامم فأذن لمن شئت منهم ) (٣) . وكذا روى عن عطاء الخراساني :  
وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس قالوا : استأذنوا رسول الله فإن أذن لكم فامضوا ، وإن لم يأذن لكم فامضوا (٤)

(١) مسند الإمام أحمد : ١٠٩/٣ . ورواه الإمام أحمد أيضاً عن يحيى ، عن عبيد ، به . لمسته : ١٨١/٣ .

(٢) ما بين القوسين من ترجمته في الجرح والمعدل لأبن أبي حاتم : ٣٦٤/٢/٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٧٦٤ : ٢٧٣/١٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٦٧٦٣ : ٢٧٣/١٤ .

ولهذا قال تعالى : (حقى يطيع لك الدين صدقوا) ، أى : فى إبداء الأعداء ، (وتعلم الكاذبين) ، يقول تعالى : هلا تركتهم لما استأذنوك ، فلم تأذن لأحد منهم فى القعود ، لتعلم الصادق منهم فى إظهار طاعتك من الكاذب ، فلم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو [ وإن لم تأذن لهم فيه : ولهذا أخبر تعالى أنه لا يستأذنه فى القعود عن الغزو ] أحد يؤمن بالله ورسوله ، فقال : (لا يستأذنك) ، أى : فى القعود عن الغزو (الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) لأن أولئك يرون الجهاد قرينة ، ولما نسبهم إليه يادروا وامتلوا ، (والله علم بالمقربين) إنما يستأذنك ، أى : فى القعود عن لعل له (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) ، أى : لا يرجون ثواب الله فى الدار الآخرة على أعمالهم ، (وارتابت قلوبهم) ، أى : شككت فى صحة ما جتهد به ، (فهم فى ريبهم وترددون) ، أى : يتحيرون ، يفتقدون رجلا ويؤمنون أخرى ، وليست لهم قدم ثابتة فى شيء ، فهم قوم حيارى هلكى ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضل الله فلن نجد له سبيلا :

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةٌ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَطَّهٖمْ وَقِيلَ لَهُمْ قَاعِدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ۖ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَافَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝١١١﴾

يقول تعالى : (ولو أرادوا الخروج) ، أى : ملك إلى الغزو (لأعدوا له عدة) ، أى : لكانوا تأهبوا له ، (ولكن كره الله انبعاثهم) ، أى : أبغض أن يخرجوا معك قلدا ، (فتبطلهم) ، أى : آخرهم ، (وقيل : أقعدوا مع القاعدين) ، أى : قلدا ۝

ثم بن وجه كرامته لخروجهم مع المؤمنين ، فقال : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا) ، أى : لأنهم جنباء هذلولون ، (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) ، أى : ولأضروا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة ، (وفيكم سماعون لهم) ، أى : مطيعون لهم ومستحسنون لحديثهم وكلامهم ، يستمعونهم وإن كانوا لا يعلمون حاتم ، فيؤدى هذا إلى وقوع شر بين المؤمنين وفساد كبير :

وقال مجاهد ، وزيد بن أسلم ، وابن جرير : (وفيكم سماعون لهم) ، أى : صيون يسمعون لهم الأخبار ويقولونها إليهم<sup>(١)</sup> ، وهذا لا يتحقق له اختصاص لخروجهم معهم ، بل هذا عام فى جميع الأحوال ، والمضى الأول أظهر فى المناسبة بالنسبة ، وإليه ذهب قتادة وغيره من المفسرين .

وقال محمد بن إسحاق : كان فيا بلقى - من استأذن - من ذوى الشرف منهم ، عبد الله بن أبي بن سلول والجد ابن قيس ، وكانوا أشرافا فى قومهم ، فبطلهم الله ، لعلمه بهم : أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده . وكان فى جنده قوم أهل حجة لم وطاعة فيا يدعونهم إليه ، لشرعهم فيهم ، فقال : (وفيكم سماعون لهم) (٢) .

(١) ينظر تفسير الطبري : ٢٨١/١٥ : ٢٨٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٤٦٧٨١ : ٢٨١/١٥ .

ثم أنشبر تعالى عن تمام حلمه فقال : ( والله علم بالظالمين ) ، فأنشبر بأنه ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون . ولهذا قال تعالى : ( لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ) ، فأخبر عن حلمه كيف يكون لو خرجوا ومع هذا ما خرجوا ، كما قال تعالى : ( ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ) (١) ، وقال تعالى : ( ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ) (٢) ، وقال تعالى : ( ولو أنا كنيتا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تبتاً . وإذا لأتيناكم من لدنا أجرأ عظيماً . ولعلينا هم صراطاً مستقيماً ) (٣) ، والآيات في هذا كثيرة .

لَقَدْ ابْتِغَا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿١٥﴾

يقول تعالى عرضاً لنبيه عليه السلام على المناقشين : ( لقد ابتغوا الفتنة من قبل ، وكتبوا لك الأمور ) ، أى : لقد أحملوا فكرهم وأجالوا آراءهم في كيلك وكيد أصابك وخذلان دينك وإخالة مدة طويلة ، وذلك أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم للدينة : رتمه العرب عن قوس واحدة ، وحاربه يهود المدينة ومناقضوها ، فلما نصره الله بمر وأهل كلمته ، قال عبد الله بن أبي وأصحابه : هذا أمر قد تزوجناه (٤) . فدخلوا في الإسلام ظاهراً ، ثم كلما أمر الله الإسلام وأهله غاظهم ذلك وسامهم ، ولهذا قال تعالى : ( حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ) ،

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ إِنَّا لَا تَنْفِيهِ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ومن المناقشين من يقول لك يا محمد : ( الذن لي ) في القعود ( ولا تَنْفِيهِ ) بالخروج منك ، بسببه الجوارى من نساء الروم . قال الله تعالى : ( ألا في الفتنة سقطوا ) ، أى : قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا كما قال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، وي زيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وحاصم بن [ عمر بن ] قتادة وغيرهم قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وهو في جهازه ، للجد بن قيس أنسى بنى سلمة : هل لك باجدة العالم في جلد بنى الأصغر ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتنى ، فوالله لقد عرف قوسى ما رجل أشد حباً بالنساء منى ، وإنى أنسى إن رأيت نساء بنى الأصغر أن لا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

(١) سورة الأنعام ، آية : ٧٨ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ٢٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآيات : ٦٦ - ٦٨ .

(٤) أى اللقى والنسب ، يقال الرجل لما كبر معه : له زوج . أى فيه الله أى الله ؟ لئلا له في الله واليهادة صبور هذه سبل الله عليه وسلم . ونصر الله .

قد أذنت لك : فلي الجعد بن قيس ثلث هذه : ( ومنهم من يقول الثلث لى ولا نفقى ) : الآية ، أى : إن كان إنما يفتنى من نساء بنى الأصغر وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة يتخلقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه ، أعظم (١) :

وهكذا روى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : أنها ثلث في الجعد بن قيس : وقد كان الجعد بن قيس هذا من أشرف بنى سلمة ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم : « من سيديكم يا بنى سلمة ؟ » قالوا : الجعد بن قيس ، على أنا نبينكه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وأى داء أودأ من البخل . ولكن سيديكم الفقع الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور (٢) » :

وقوله تعالى : ( وإن جهنم خليقة بالكافرين ) ، أى : لا مَحِيدَ لِمَ عنها ، ولا مَحِيصَ ، ولا مَهْرَبَ :

**إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ فُسِّرْهُمُ وَإِنْ تُصِيبْكَ مُصِيبَةٌ قُولُوا قَدْ أَخْلَلْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلِ وَيَتَوَلَّوْهُمْ فِرْحُونٌ ۖ قُلْ لَنْ يَصِيبَكُمْ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝**

يُعلم تبارك وتعالى لييه بدلاوة هؤلاء له ، لأنه مهما أصابه من ( حسنة ) ، أى : فتح ونصر وظفر على الأعداء ، مما يسره ويسر أصحابه ، سامح ذلك ، ( وإن تصيبك مصيبة يقولوا قد أخلنا أمرا من قبل ) ، أى : قد احترزنا من متابته من قبل هذا ، ( ويتولوا وهم فرحون ) : فأرشد الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه — إلى جوابهم في هدأوتهم هذه الثامة : فقال : ( قل ) ، أى : لم ( لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ) ، أى : نحن تحت مشيئة الله ، وقدره ، ( هو مولانا ) ، أى : سيدنا ومولانا ( وعلى الله فليترك المؤمنون ) ، أى : ونحن متوكلون عليه ، وهو حبيبنا ونعم الوكيل .

**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِإِذْنِنَا ۚ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ۝ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ إِنْتِكِرُكُمْ قَوْمًا فَلْيَفْقِرُوا ۚ وَمَا مَنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَذَالٍ وَلَا يُغْنِفُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ۝**

يقول تعالى : ( قل ) لم يا محمد : ( هل ترهبون بنا ) ؟ أى : تنتظرون بنا ( إلا إحدى الحسينين ) : شهادة أولئك منكم . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقادة ، وغيرهم : ( ونحن نترهب بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بإذنيننا ) ، أى : تنتظر بكم هذا أو هذا ، إما أن يصيبكم الله بقارعة من عنده أو بإذنيننا ، بسى أو يقتل ، ( فترهبوا إنا معكم مترهبون ) :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٧٨٨ : ١٤ / ٢٨٣ : ويظهر سيرة ابن هشام : ١٠٦٩ / ٢ .

(٢) يظهر سيرة ابن هشام : في أمياه من . شبه العقبة : ٤٦١ / ١ . والروض الأنت السجيل : ٢٨٢ / ١ . وأمد القادة :



وقوله : ( قل انظروا طوعاً أو كرها ) ، أى : مهما أنفقتم من نفقة طالعياً أو مكروهياً ( لى يقبل منكم ، إنكم كنتم قوماً فاسقين ) .

ثم أخبر تعالى عن سببه ذلك ، وهو أنهم لا يقبل منهم ، ( لأنهم كفروا بالله وبرسوله ) ، أى : والأعمال إنما تصح بالإيمان ، ( ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ) ، أى : ليس لهم قصد صحيح ، ولا همة فى العمل ، ( ولا يتقون ) نفقة ( إلا وهم كارهون ) .

وقد أخبر الصادق المصدوق أن الله لا يعمل حتى تغلوا ، وأنه طيب لا يقبل إلا طيباً . فهذا لا يقبل الله من هؤلاء نفقة ولا حلا ، لأنه إنما يقبل من المؤمنين .

قُلْ تَعْبُدُوا اللَّهَ مَا شَاءَ عِبَادُهُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السموات والأرض والجن والإنس وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الْمُتَّقِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - : ( قل تعبدوا الله ما شاء عباد الله ) ، كما قال تعالى : ( ولا تمسكوا بعصمك إلى ما مانت به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه ، ووزق ربك خبر وأبني (١) ) ، وقال : ( أبصروا أن ما نغصم به من مال وبنين نشارككم فى الخيرات بل لا يشعرون (٢) ) .

وقوله : ( إنما يريد الله ليذهب بها فى الحياة الدنيا ) ، قال الحسن البصرى : بركاتها ، والنفقة منها فى سبيل الله (٣) . وقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر ، تقديره : فلا تعبدكم أموالكم ولا أولادكم [ فى الحياة الدنيا ] إنما يريد الله ليذهب بها [ فى الآخرة (٤) ] .

واختار ابن جرير قول الحسن (٥) ، وهو القول القوي الحسن .

وقوله : ( وتزق أنفسهم وهم كافرون ) ، أى : ويريد أن يهتيم حين يهتيم على الكفر ، ليكون ذلك أنكم لم وأشد لملاهم ، فإذا بالله من ذلك ، وهذا يكون من باب الاستخراج لم فبهم فيه :

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَهُمْ مَنَاصِدٌ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿١٠٣﴾ لَوْ يَخْتَفُونَ مَلَجًا أَوْ مَغَارًا أَوْ مُدْخَلًا

لَأُولَئِكَ لَئِيْلٌ وَمِنْ صِغَرٍ ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالى نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - من جزعهم وفرعهم وفرقتهم وهمتهم أنهم ( يعلمون بالله أنهم لئيل ) ، مبنياً مؤكدة ، ( وما هم منكم ) ، أى : فى نفس الأمر ، ( ولكنهم قوم يفرقون ) ، أى : فهو الذى حملهم على الخلف . ( لى يخبثون ملجأ ) ، أى : حصناً يتحصنون به ، وحرزاً يختبئون به ، ( أو مغارات ) ، وهى التى فى الجبال ،

(١) سورة طه : آية ١٣١ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) تفسير الطبرى : الأثر ١٦٨٠٦ : ٢٩٦/١٤ . ولفظ الطبرى : « بأعد الزكاة » .

(٤) تفسير الطبرى : الأثر ١٦٨٠٥ : ٢٩٦/١٤ ، وما بين القوسين منه .

(٥) ينظر تفسير الطبرى : ٢٩٦/١٤ ، ٢٩٧ .

(أو مدخلا) ، وهو السَّرب في الأرض والنَّفق : قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ، وجاهد ، وقادة - (لؤلؤا إليه وهم يجمعون) ، أى : يسرعون في ذهابهم [عنكم] ، لأنهم إنما يخالطونكم كرها لا محبة ، وودوا أنهم [ لا يخالطونكم ] ولكن للضرورة أحكام ، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وعَمَمٌ ، لأن الإسلام وأهله لا يزال في عزٍّ ونصر ورفعة ، فلهذا كلما سَرَّ المؤمنين سامع ذلك ، فهم يردون أن لا يخالطوا المؤمنين ، ولهذا قال : ( لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لؤلؤا إليه وهم يجمعون ) •

يَوْمَئِذٍ مَن يَلْزِكْ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَغْثِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا عَنِتُّهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُتِمُّنَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى : ( ومنهم ) ، أى : ومن المنافقين ( من يلزك ) ، أى : ييب عليك ( في ) قسم ( الصدقات ) إذا فرقتها ، ويصعبك في ذلك ، وهم للثعمون للمأبوتون ، وهم مع هذا لا ينكرون للدين ، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم ، ولهذا إن ( أعطوا منها رَضوا ، وإن لم يعطوا منها إِذَا هُمْ يَسْتَغْثِرُونَ ) ، أى : يفتضرون لأنفسهم .  
قال ابن جرير : أئبني خالد بن أبي حاصم قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة ، فقسمها هاهنا وهاهنا حتى ذهبت . قال : ووراء رجل من الأنصار فقال : ما هذا بالعدل ؟ فقلت هذه الآية (١) :

وقال قتادة في قوله : ( ومنهم من يلزك في الصدقات ) ، يقول : ومنهم من يطعن عليك في الصدقات ؛ وذكر ، لما أن رجلاً من البادية حديث عهد بأعرابية ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهاباً وفضة ، فقال : يا محمد ، والله لئن كان الله أمرك أن تمهل ، ما عدلت . فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : ويلك . فن ذابمك عليك بعدى : ثم قال نبي الله : احملوا هذا وأشباهه فإن في أمي أشباه هذا ، يقرمون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، فإذا خرجوا فاقطعوا ، ثم إذا خرجوا فاقطعوا ، ثم إذا خرجوا فاقطعوا : وذكر لما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذي نفسي بيده ، ما أعطيتكم شيئاً ولا أمتكموه ، إنما أنا خازن (٢) :

وهذا الذى ذكره قتادة شيء مما رواه الشيخان من حديث الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد في قصة ذي الجَرِيصَة - واسمه جرَّج - لما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم حين قسم غنم حنين ، فقال له : أعدل ، فانك لم تمهل . فقال : لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رآه مقبياً : إنه يخرج من ضيق نفسه هذا قوم يحقر أحدكم صلاحه مع صلاحهم ، وصياهم مع صياهم ، يتركون من الدين مَرُوقَ السهم من الرمية ، فأبنا يقيمهم فاقطعوا ، فانهم شر قتل تحت أديم السماء (٣) : . وذكر بقية الحديث ، ثم قال تعالى مَنبُتاً لهم على ما هو خير من ذلك لهم ، فقال : ( ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا : حسبتا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ) ، فتضمنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً وسراً شريفاً ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨١٥ : ٣٠٢/١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨١٥ : ٣٠٢/١٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : ذكر الخوارج وصلاهم : ١١٢/٣ .

حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده ، وهو قوله : ( وقالوا حميتا الله ) ، وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول وامتنال أوامره ، وترك زواجه ، وتصديق أخباره ، والاتصاف بآثاره

• إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعْلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلُفَةُ قُلُوبِهِمْ إِلَى الرِّقَابِ وَالْخَيْرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
رَقَابِينَ الْفَيْلِ فِي رِضَةٍ مِنَ اللَّهِ وَلَهُ عِلْمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٠﴾

لما ذكر تعالى امراض المنافقين الجبهة على النبي صلى الله عليه وسلم ولزم إياه في قسم الصدقات ، به تعالى أنه هو الذي قسمها ويحكمها ، وتولى أمرها بنفسه ، ولم يسكن قسمها إلى أحد غيره ، فجزأها هؤلاء المذكورين . كما رواه الإمام أبو داود في سننه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم - وفيه ضعف - عن زياد بن لبيد ، عن حماد بن الحارث الصدقاني رضي الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فبسطته ، فأتى رجل فقال : أعطني من الصدقة فقال له : إن الله لم يرش بحكم أبي ولا غيره في الصدقات حتى يحكم فيها هو ، فجزأها ثمانية أصناف ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك (١) .

وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثمانية : هل يجب استيعاب الدفع إليها أو إلى ما أمكن منها ؟ هل قولك : أحدها : أنه يجب ذلك ، وهو قول الشافعي وجماعة .

والثاني : أنه لا يجب استيعابها ، بل يجوز الدفع إلى واحد منها ، ويعطى جميع الصدقة مع وجود الباقي . وهو قول مالك وجماعة من السلف والخلف ، منهم : عمر ، وحليقة ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وسعيد بن جبير . ويمسك بن مهران .

قال ابن جرير : وهو قول عامة أهل العلم ، وعلى هذا فأنما ذكره الأصناف هاهنا ليبان المصرك لا لزوجه استيعاب الإعطاء .

ولوجود الحسب والمأخذ مكان غير هذا (٢) ، والله أعلم .

وأما قدم القراء هاهنا لأهم أسرج من البقية على المشهور ، لشدة فائتهم وحاجتهم . وعند أبي حنيفة أن المسكين أسوأ حالا من الفقير ، وهو كما قال ، قال ابن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عتيبة ، أنبأنا ابن عوف ، عن عبد قال : قال عمر رضي الله عنه : الفقير ليس بالذي لا مال له ، ولكن الفقير الأغنياء الكسب - قال ابن حنبل : والأغنياء : والمحاركة مثلا (٣) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب من يعطى الصدقة ، وحديثه : ١٦٣٥ ، ١١٩٧/٢ .

(٢) تفسير الطبري : ٣٢٢/١ .

(٣) تفسير الطبري ١٦٨٣٣ : ٣٠٨/١٤ ، والأخلاق : الثالث ، وفي حديث فاطمة بنت قيس : « وأما معاوية فرجل أغني عن المال » ، يقال : حبر أغني ، أي أغني مصبته لا يؤثر فيه شيء . « والمحاركة » : هو المتفوض إليها المهرور . « هذا طلب التزك في هذه » : هذه المبالغة .

والجمهور على خلافه : وروى عن ابن عباس ، وجاهد ، والحسن البصري ، وابن زيد . واختار ابن جرير وغير واحد أن القبر هو المتنفذ الذي لا يسأل الناس شيئا ، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف ويتبع الناس .

وقال قتادة : « القبر » من به زامة ، والمسكين « الصحيح الجسم » (١) .

وقال الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم : هم قراء المهاجرين قال سفيان الثوري : يعنى ولا يعطى الأعراب منها شيئا (٢) .

وكذا روى عن سعيد بن جبير ، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي

وقال حكمة : لا تقرأوا لقراء المسلمين مساكين ، وإنما للمساكين [ مساكين ] أهل الكتاب (٣) ،

ولذلك أحاديث تتعلق بكل من الأصناف الثمانية .

فأما « الفقراء » ، فمن ابن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا نحل الصدقة لمنين » ولا لذي مبرأة صبي » . ورواه أحمد (٤) ، وأبو داود ، والترمذي .

ولأحمد أيضا (٥) ، والشافعي ، وابن ماجه عن أبي هريرة ، مثله .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث : أن رجلين أخبراه : أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه من الصدقة ، فقلب فيهما البصر ، فرأهما جكنتين ، فقال : « إن شيئا أعطيكنما ، ولا حظ فيهما لنبي ولا لقوى مكتسب » .

ورواه أحمد (٦) ، وأبو داود ، والشافعي بإسناد جيد قوى .

وقال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح [ والتعديل ] : أبو بكر العيسى قال قرأ عمر رضى الله عنه [ إنما الصدقات للفقراء ] ، قال : هم أهل الكتاب (٧) روى عنه عمر بن نافع ، سمعت أبي يقول ذلك .

قلت : وهذا قول غريب جدا يقتضيه صحة الإسناد ، فإن أبا بكر هذا ، وإن لم ينص أبو حاتم على جهالة ، لكنه في حكم المجهول .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨٢٦ ، ٣٠٧/١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨٢٧ ، ١٦٨٢٨ ، ٣٠٧/١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٨٢٥ ، ٣٠٨/١٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٤/٢ ، ١٩٢ ، وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « من يطلى الصدقة » ، وحديثه ، الحديث ١٦٤٣ ، ١١٨/٣ . وصنفه الأسيوطي ، أبواب الزكاة ، باب « ما جاء من لا تحل له الصدقة » ، الحديث ٦٤٧ ، ٣١٦/٣ ، ٣١٧ ، وقال الترمذي : « حديث عبيد الله بن عمرو حديث حسن » . ( والمرأة - بكسر الهمزة وتشديد الراء : القوة ، والسوى : السليم الأعضاء » .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٣٧٧/٢ ، ٣٨٩ . والنسائي ، كتاب الزكاة ، باب « إذا لم يكن له درهم » ، وكان له صاع » ، ٩٩/٥ . وابن ماجه ، كتاب الزكاة ، باب « من سأل عن طهر خي » ، الحديث ١٨٣٩ ، ٥٨٩/١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٢٤/٥ ، ٣٦٣/٥ . وسنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « من يطلى الصدقة وحده » ، الحديث ١٦٨٢٢ ، ١١٨/٢ . والشافعي ، كتاب الزكاة أيضا ، باب « مسألة لقوى المكتسب » ، ٩٩/٥ ، ١٠٠ .

(٧) ما بين القوسين المحفوظين سقط من خطبة الأثر . وله وقع في ترجمة أبي بكر العيسى ، في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم مطبوع . ينظر ٣٤١/٢/٤ .

رواه الشيخان (١) : البخاري ومسلم :

ولا لآل محمد ، إنما هم أوصاخر الناس ( ٢ ) •

كما قال الإمام أحمد :

لأحب الناس إلى (٣) .

ورواه مسلم والترمذی ، من حدیث یونس ، عن الزهري ، به (۴) •

فی نار جنہم (۴) ۵۴ •

أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعبيدة بن يدر ، وعلمقة بن علاثة ، وزيد الخير ، وقال : أنألفهم (٦) .

- (١) رواية في كتاب الزكاة، ينظر البخاري، باب قول الله تعالى: (لا يسألون الناس الخلفاً) ١٥٤/٢، ومسلم، باب المسكين الذي لا يجد ولا يظن له فيتمسك عليه ٩٥/٣.
- (٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استبدال آل النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة ١١٩/٤.
- (٣) سنة الإجماع أخره: ٤٦٥/٦، وما بين القوسين منه.
- (٤) مسلم، كتاب القسائل، باب ما عطل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً عطل فقال: ولا، وكثيراً عطله: ٧٥/٧. وتجدد الأعراس، أبواب الزكاة، باب ما جاء في إصطفاة المرفقة تلوجهم: الحديث ٦٦١/٣، ٣٣٣/٤، ٣٣٤.
- (٥) البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (لا يسألون الناس الخلفاً) ١٥٤/٢، ومسلم، كتاب الزكاة أيضاً: باب إصطفاة من يخاف على إقامته: ١٥٤/٣.
- (٦) صحيح البخاري، كتاب الأضياف، باب قول الله عز وجل: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) ١٦٧/١، ١٦٧/٤، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الشواجر وصفاتهم: ١٥٦/٣.

ومنها من يُعطى لا يرجى من إسلام نظرائه : ومنهم من يُعطى ليجي الصدقات بمن يليه ، أو لينفخ عن حوزة المسلمين الضر من أطراف البلاد . وعمل تفصيل هذا في كتب القروع ، والله أعلم .

وهل تعطى المولفة على الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيه خلاف ، فرؤى عن عمر ، وعاصم الشعبي وجماعة : أنهم لا يُعطون بعده ، لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ، ومكّن لم في البلاد ، وأذل لم وقاب العباد (١) . وقال آخرون : بل يُعطون ، لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج إليه فيصرف إليهم :

وأما الرقاب ، فرؤى عن الحسن البصري ، ومقاتل بن حيان ، وعمر بن عبد العزيز ، وسعيد بن جبيرة ، والنخعي ، والزهري ، وابن زيد : أنهم المكاتبون ، وروى عن أبي موسى الأشعري نحوه ، وهو قول الشافعي والليث :

وقال ابن عباس ، والحسن : لا بأس أن تمتد الرقبة من الزكاة ، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ومالك ، وإسحاق ، أي : إن الرقاب أهم من أن يعطى المكاتب ، أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً . وقد ورد في ثواب الإعتاق وفك الرقبة أحاديث كثيرة ، وأن الله يعق بكل عضو منها عضواً من محتقها حتى التفرج بالفرج . وما ذلك إلا لأن الجزاء من جنس العمل ( وما يجزون إلا ما كنتم تعملون ) :

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حق على الله عزهم : الغازي في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والتائب الذي يريد المغاف » :

رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود (٢) :

وفي المسند عن البراء بن عازب قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ، دأب على عمل يقرئني من الجنة ويباعدني عن النار . فقال : أحق التسمية وفك الرقبة . فقال : يا رسول الله ، أليسوا واحداً ؟ قال : لا ، عتق النسمة أن تُفرد بعثها ، وفك الرقبة أن تمتد في ثمنها (٣) :

وأما الغارمون ، فهم أقسام ، فمنهم من يحسك حاملة (٤) أو ضمن ديناً فآخضه ، أو غرم في أداء دينه أو في مصعب . ثم أب ، فهؤلاء يدفع إليهم . وأصل من هذا الباب حديث قبيصة بن حاري ادلى قال : تحملت حاملة ،

(١) ينظر الآثار في ذلك في تفسير الطبري : ٣١٥/١٤ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٥١/٢ ، ٤٣٧ . وتحفة الأحوي : أبواب فضائل الجهاد ، باب « ما جاء في الجهاد » والمكاتب والتائب وحدث الله إياهم ، الحديث ١٧٠٦ : ٢٩٦/٥ ، وقال القرطبي : « هذا حديث حسن » ، وابن ماجه ، كتاب العتق ، باب « المكاتب » ، الحديث ٢٥١٨ : ٢٥١/٢ ، ٨٤٢ . والشافعي ، كتاب التكاثر ، باب « مدونة الله التائب الذي يريد المغاف » : ١١/٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٩٩/٤ .

(٤) الحالة - بفتح الحاء - ما يتصله الإنسان من غيره من دية أو غرامة ، مثل أن يقع سرب بين فريقين تسلك فيها القساء ، فيدخل بينهم رجل يتصل ديات القتلى ، ليصلح ذات البين .

فأنبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسنانه فيها ، فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة : فأنمر أك بها : قال : ثم قال : يا نبيسة . إن المسألة لا تحمل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ، ثم يمسك . ورجل أصابته جائحة (١) اجتاحت ماله ، فحلت له المسألة حتى يصيب قواما (٢) من عيشه . أو قال : سدا من عيشه . ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوى الحبا من قومه ، فيقولون : لقد أصابت فلانا فاقة (٣) فحلت له المسألة ، حتى يصيب قواما من عيشه - أو قال : سدا من عيشه - فإسواهن من المسألة سحت (٤) يأكلها صاحبها إسحتاً . ورواه مسلم (٥) .

وعن أبي سعيد قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها ، فذكر دينه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : تصدقوا عليه . فتصدق الناس ، فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لغيرائه : خلوا ما وجدتم ، وليس لكم إلا ذلك . ورواه مسلم (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، أنبأنا صدقة بن موسى ، عن أبي هريرة الجوفى ، عن قيس بن زيد عن قاضي المصريين (٧) ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يدهو الله بصاحبه الدين يوم القيامة حتى يوقف بين يديه ، فيقول : يا ابن آدم ، قم أضلت هذا الدين ؟ وبيع ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول : يا رب ، إنك تعلم إنى أضلته فلم أكل ولم أشرب ولم أضيع ، ولكن أتيت على يدى إما حرق وإما سرق وإما وضعية (٨) . فيقول الله : صدق عبدى ، أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فيدهو الله بشيء يفضيه في كفة ميزانه ، فترجع حسنته على سيئاته ، فيدخل الجنة بقضيل الله ورحمته (٩) .

وأما من سبيل الله ، فنهى الغزاة الذين لاحق لم في الليوان ، وعند الإمام أحمد ، والحسن ، وإسحاق ، والحج من سبيل الله للحديث :

وذلك ابن سبيل ، وهو المسافر المجتزأ في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره ، فيعطى من الصدقات ما يكتفيه إلى بلده وإن كان له مال ، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء ، فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه . والدليل على ذلك الآية ، وما رواه الإمام أبو داود وابن ماجه من حديث معمر ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحمل الصدقة لغير ذور العتل .

(١) الخائفة : الآلة التي تملك الثمار والأموال وتشتاها ، وكل مصيبة عظيمة .

(٢) أي : أي عهد ما تقوم به حاجته . والصداد - بكسر اللين - : ما يده به حاجته .

(٣) أي : حتى يقوموا حل ودوس الأشهاد قائلين : إن فلاناً أصابته فاقة . والمراد للمبالغة في ثبوت الفاقة . وذور الحبا : ذور العتل .

(٤) السحت : الحرام .

(٥) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : من تحمل له المسألة ، ٩٨ ، ٩٧/٣ .

(٦) مسلم ، كتاب البيوع ، باب : استحباب الرشح من الدين ، ٣٠ ، ٢٩/٥ .

(٧) قاضي المصريين : هو شريح ، والمصريان : البصرة والكوفة . ينظر مست الإمام أحمد ، ١٩٧/١ .

(٨) الوضعية : الخسارة .

(٩) مست الإمام أحمد ، ١٩٧/١ ، ١٩٨ .

إلا خمسة : العامل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو غارم ، أو غازى في سبيل الله ، أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى لنفي (١) »

وقد رواه السفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء مرسل . ولأبي داود عن عطية العرق ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحل الصدقة لنفي إلا في سبيل الله ، وابن السبيل ، أو جار فقير فيهدى لك أو يدعوك (٢) »

وقوله : ( فريضة من الله ) أي حكما مقدرا بتقدير الله وفرضه وقسمه ، ( والله عليم حكيم ) ، أي : عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده ، ( حكيم ) فبا يفعله ويقول به ويشرعه ويحكم به ، لا إلا هو ، ولا رب سواه »

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلِ أُذُنُ خَيْرَ الْبَشَرِ يَوْمَئِذٍ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَحْمَةِ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

يقول تعالى : ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلام فيه ويقولون : ( هو أذن ) ، أي : من قال له شيئا صدقه ، ومن حدثه فينا صدقه ، فإذا جئنا وحلفنا له صدقنا . روى عنه ابن عباس ، وبجاءه ، وقادة : قال الله تعالى : ( قل أذن خير لكم ) ، أي : هو أذن خير ، يعرف الصادق من الكاذب ، ( يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ) ، أي : ويصدق للمؤمنين ، ( ورحمة للذين آمنوا منكم ) ، أي : وهو حجة على الكافرين ، ولهذا قال : ( والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم )

يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُفْرًا لِيَرْضَوْهُ وَآلَهُ وَرَسُولَهُ أَحْسَنَ أَلْفَ رِضْوَانٍ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ فِي مِحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْ تَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ أَجْزَى الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾

قال قتادة في قوله تعالى : ( يخلفون بالله لكفرا ليرضوه وآله ورسوله أحسن ألف رضى ) ... الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا ، وإن كان ما يقول محمد حقا ، ولم شر من الحسير . قال : فسميها رجل من المسلمين فقال : والله إن ما يقول محمد لحق ، ولأنت أشر من الحसार . قال : فسمي بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال : ما حملك على الذي قلت ؟ فجعل يلتمس (١) ، ويخلف بالله ما قال ذلك . وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب . فأنزل الله عز وجل : ( يخلفون بالله ليرضوه ، والله ورسوله أحسن أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ) (٢) .

وقوله تعالى : ( ألم يعلموا أنه من محادد الله ورسوله فإن تار جهنم خالدا فيها ) ، أي : ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله ، أي : شاقه وحاربه وتخالفه ، وكان في حد الله ورسوله في حد ( فإن تار جهنم خالدا فيها ) ، أي : مهانا مملبا ، ( ذلك أجرى العظيم ) ، أي : وهذا هو الذل العظيم ، والشقاء الكبير .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني » الحديث ١٦٣٥ : ١١٩/٢ . وابن ماجه ، كتاب الزكاة أيضا ، باب « من تجل له الصدقة » الحديث ٥٨٩/١ : ١٨٤١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب « من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني » الحديث ١٦٣٧ : ١١٩/٢ .

(٣) أي : يلين نفسه .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٠٦ : ٢٢٩/١٤ : ٣٣٠ .



يَحْذَرُ الْمُتَنَبِّهُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِدُوا اللَّهَ إِنْ أَنْتُمْ حَرَجٌ مَّا تُخْتَلَرُونَ ﴿٣٥﴾

قال مجاهد : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله أن لا يفتي علينا سرنا هذا (١) ،

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : ( وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ، ويقولون في أنفسهم : لو لا يعلننا الله بما نقول ، حينهم يجهل يصلونها فيس المصير (٢) ) . وقال في هذه الآية : ( قل استزدوا إن الله يخرج ما تخلصون ) ، أي : إن الله سيترى على رسوله ما يفضحكم به ، وبين له أمركم كما قال : ( أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ) إلى قوله : ( ولترغبهم في الحق الله يعلم أعمالكم (٣) ) ولهذا قال قتادة : كانت تسمى هذه السورة « الفاضحة » ، فاضحة المنافقين (٤) .

هَلْ يَنْصَرِفُ عَنْكُمْ قُلُوبُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَكْثَرُ كُفْرِهِمْ قُلِ اسْتَزِدُوا اللَّهَ إِنْ أَنْتُمْ حَرَجٌ مَّا تُخْتَلَرُونَ ﴿٣٥﴾ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

قال أبو معشر المديني ، عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين : ما أرى قُرْآننا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبتنا عند اللقاء . فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لجاهد إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ، [إننا نخوض ونملب] . فقال : ( أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ) إلى قوله : ( جرمين ) وإن جعله تستهزئ (٥) للحجارة وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متعلق بمنسمة (٦) رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رجل في هزوة تروك في مجلس : ما رأيت مثل قُرْآننا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنة ، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المسجد : كذب ، ولكلك منافق . لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن - قال عبد الله بن عمر : وأنا رأيت متعلقا بحنك (٨) ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه (٩)

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٠٨ : ١٤ / ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) سورة المجادلة ، آية : ٨ .

(٣) سورة محمد ، آية : ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٠٩ : ١٤ / ٣٣٢ .

(٥) في المخطوطة : « ليسفان » . وللتبث عن تفسير الطبري ، والتبث : التلع ، ونالقه سوف : كلف التراب في مدها . وتنفان الحجارة : كناية عن مدوه وجريه .

(٦) النسمة - بكر فسكون - : سير مضطرب يجعل زماما للبير .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩١٦ : ١٤ / ٣٣٥ .

(٨) الحنك - يفتح الحاء والفاء - : حبل يشد به الرسل في يمين البير .

(٩) نكته الحجارة : نمت ، أي نالته وأكذته .

الحجارة ، وهو يقول : يا رسول الله ، إنا كنا نخوض ونلعب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أبأله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون : لا تعتزلوا قد كفرتم بعد إيمانكم (١) )  
وقد رواه البيهقي ، عن هشام بن سعد ، بنحو من هذا .

وقال ابن إسحاق : ولقد كان جماعة من المنافقين منهم ودبة بن ثابت ، الحارث بن أمية بن زيد ، من بني عمرو ابن عوف ، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له : مَخْشَن (٢) بن حُمَيْر يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أنصبروا جلاد بني الأصفر (٣) كفنا العرب بعضهم بعضا ؟ والله لكأننا بكم خذاً مَعْرَتَيْن في الحيا ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين . فقال مَخْشَن (٤) بن حُمَيْر : والله لو ددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، ولنا نَنَفَكُتْ أن يتزل فينا قرآن لقائتكم هذه : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يلقي - لهار بن ياسر - أدرك القوم فأنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا : فانطلق إليهم هار ، فقال ذلك لهم ، فأثروا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتدلون إليه ، فقال ودبة ابن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على راحلته ، فجعل يقول وهو أخذ بحماتها : يا رسول الله ، إنا كنا نخوض ونلعب ، [فأنزل الله عز وجل : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) ] (٥) فقال مَخْشَن بن حُمَيْر يا رسول الله ، لقدني اسمي واسم أختي فكان الذي حكى عنه في هذه الآية خشن بن حُمَيْر ، فتسمى عبد الرحمن (٦) وسأل الله أن يقتل شهيدا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر (٧) :

وقال قتادة : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) ، قال : فبينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وركب من المنافقين يسرون بين يديه ، فقالوا : [يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها : هيئات هيئات : فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا ، فقال : عسى يهولاء النفر : فدعاهم ، فقال : قلتم كذا وكذا وحفظوا ما كنا إلا نخوض ونلعب (٨) ] .

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية : كان رجل من إن شاء الله حفا عنه يقول : اللهم إني أسمع آية أنا أعنى بها ، فتشعر منها الجلود ، وتجب (٩) منها القلوب ، اللهم فاجعل وفائي قتلا في سريتك ، لا يقول أحد : أنا غَسَلْتُ ، أنا كُنْتُ ، أنا دفنت . قال : فأصيب يوم اليمامة ، لما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره (١٠) .  
وقوله : ( لا تعتزلوا قد كفرتم بعد إيمانكم ) ، أي : بهذا المقال الذي استهزأتم به (إن نفع عن طائفة منكم نلعب

(١) تفسير البكري ، الأثر ١٦٩١٢ : ١٤ / ٣٣٣ ، ٣٣٤ . وأثر البيهقي .

(٢) قال ابن هشام في السيرة : ويطلق : مخشي . وينظر ترجمته في أمه الغيبة .

(٣) يعني : الروم .

(٤) ما بين القوسين عن سيرة ابن هشام .

(٥) كذا في السيرة . وفي أمه الغيبة : « وسأل النبي أن يغير اسمه » فهذه هي الآية من بين آياته .

(٦) سيرة ابن هشام : ٥٧٤ / ٢ ، ٥٧٥ . وينظر تفسير البكري ، الأثر ١٦٩١٢ : ١٤ / ٣٣٢ .

(٧) تفسير البكري ، الأثر ١٦٩١٢ : ١٤ / ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٨) تجيب : فسطرج .

(٩) تفسير البكري ، الأثر ١٦٩١٢ : ١٤ / ٣٣٤ .

طائفة ) ، أى : لا يفتى من جميعكم ، ولا بد من طلب بعضكم ، ( بأنهم كانوا يجرمون ) ، أى : يجرمون بهذه الطائفة الفاجرة الخاطئة :

الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ  
نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ  
خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٢﴾

يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين ، ولما كان المؤمنون يأمرون بالمعروف وينهون  
عن المنكر ، كان هؤلاء ( يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ) ، أى : من الإنفاق في سبيل الله ،  
( نسوا الله ) ، أى : نسوا ذكر الله ، ( فنسيهم ) ، أى : عاملهم معاملة من نسيهم ، كقوله تعالى : ( وقيل : اليم  
نساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا (١) ) (إن المنافقين هم الفاسقون) ، أى : الخارجون عن طريق الحق ، الداخلون في طريق  
الضلالة .

وقوله : ( وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نارا جهم ) ، أى : على هذا الصنيع الذى ذكر عنهم ، ( خالدين  
فيها ) ، أى : ما كتب فيها عذابهم ، هم والكفار ، ( هي حسيهم ) ، أى : كضيقهم في العذاب ، ( ولعنهم الله ) ،  
أى : طردهم وأبعدهم ، ( ولهم عذاب مقيم ) ،

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَنكِرَ قُوَّةٍ وَأَوْفَرُوا أَمْوَالًا فَأَسْتَمْتُوا بَحْثًا فَمَا أُنْفِقُوا فَمَا اسْتَمْتُمْ بِهِمْ فَلَا تُؤْتُوا لَهُمْ  
شَيْئًا سَتَجِدُنَا أَلْيَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِأَعْيُنِنَا قَدْ جَاءَكُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣﴾

يقول تعالى : أصحاب هؤلاء من عذاب الله في الدنيا والآخرة كما أصاب من قبلهم وقد كانوا أشد منهم قوة وأكثر  
أموالًا وأولادًا ، ( فاستمعوا غلاتهم ) - قال الحسن البصري يدينهم (٢) - ( كما استمعت الذين من قبلكم غلاتهم وخصمتهم  
كاللئى خاسروا ) ، أى : في الكذب والباطل ، ( أولئك حبطت أعمالهم ) ، أى : بطلت مساعيهم ، فلا ثواب لهم عليها  
لأنها فاسدة ( في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ) ، لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب .

قال ابن جرير عن عيسى بن عطاء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ( كاللئى من قبلكم ) : الآية ،  
قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة ، ( كاللئى من قبلكم ) هؤلاء بنو إسرائيل ، شعثا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال :  
« والذى نفسى بيده ، لتبينهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر قنسب لاختنموه » (٣) .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٤ . وكان في المخطوطة : « فالיום نساكم » وليست آية ، وآية الأمر ١ هي : « فاليرم

لنساكم . كما نسوا لقاء يومهم هذا » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٣٤ = ٣٤٣/١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٤١ = ٣٤١/١٤ = ٣٤٢ .

قال ابن جريج : وانصرف زياد بن سعد ، عن عبيد بن زيد بن ماجر ، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لتبين سنن الدين من قبلكم ، شبرا يشبر ، وفراها يفرأ ، وباعا يباع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه : قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ أهل الكتاب ؟ قال : قسمه (١) »

وهكذا رواه أبو معشر ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكره وزاد : قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولاداً ، فاستمعوا لخطابهم فاستمعتم بخلانكم كما استمع الذين من قبلكم لخطابهم ) — قال أبو هريرة : الخلاق الدين — (وخضعتم كاللبيد خاضوا) — قالوا : يا رسول الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : قول الناس إلا هم (٢) »

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح ،

لَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودَ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ وَابْتِغَيْنَتْ قَسَاكُنَ اللَّهِ لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى واعظا هؤلاء الملائقين المكلفين للرسول : ( لم يأتهم نبا للذين من قبلكم ) ، أى : لم تُخبروا خبر من كان قبلكم من الأمم المكلفة للرسول ( قوم نوح ) ، وما أصابهم من الفرق العام لجميع أهل الأرض ، إلا من آمن بعبده ورسوله نوح عليه السلام ، ( وعاد ) كيف أهلكوا بالريح العقيم ، ( ما كذبوا هودا عليه السلام ، ( وثمود ) كيف أخذتهم الصيحة لما كذبوا صالحا عليه السلام وصفروا الناقة ، ( وقوم إبراهيم ) كيف نصره الله عليهم وأيده بالمعجزات الظاهرة عليهم ، وأهلك ملكهم اخروذ بن كتمان بن كوش الكنعاني لعنه الله ، ( وأصحاب مدين ) وهم قوم شيب عليه السلام وكيف أصابهم الرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة : ( والمؤتفكات ) : قوم لوط ، وقد كانوا يسكنون في مدائن ، وقال في الآية الأخرى : ( والمؤتفكة أهوى ) ( ٣ ) ، أى : الأمة المؤتفكة ، وقيل : أم قراهم ، وهى « سدوم » ، والغرض : أن الله تعالى أهلكهم من آخرهم بتكذيبهم نبي الله أوطا عليه السلام ، ولإتيانهم الفاحشة إلى لم يحقهم بها أحد من العالمين

( أتتهم رسلهم بالبينات ) ، أى : بالجميع والدلائل القاطعات ، ( فإكان الله ليظلمهم ) ، أى : لإهلاكه إياهم ، لأنه أقام عليهم الحجة بإرسال الرسل ولزاحة اللل ، ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) ، أى : بتكذيبهم الرسل وخالفاتهم الحق ، فصاروا إلى ما صاروا إليه من المناب والممار

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٣٢ : ٢٤٢/١٤ . د . م . ه . اسم استفهام ، أسلما « ما » ثم وقف عليها بالهاء .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٣٠ : ٣٨٤/١٤ .

(٣) سورة النجم ، آية ٥٣ .

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾

لما ذكر تعالى صفات المنافقين النجسة ، عطف بذكر صفات المؤمنين الحمودة ، قال : ( بعضهم أولياء بعض ) ، أى : يتناصرون ويتعاضدون ، كما جاء في الصحيح : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (١) » ، وشك بين أصابعه : وفي الصحيح أيضا : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (٢) »

وقوله : ( يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) ، كما قال تعالى : ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (٣) )

وقوله تعالى : ( ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ) ، أى : يطيعون الله ويحسون إلى خلقه ، ( ويطيعون الله ورسوله ) ، أى : فيما أمر ، وترك ما نهى ، ( أولئك سيرحمهم الله ) أى سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات ، ( إن الله عزيز حكيم ) ، أى : عزيز ، من أطاعه أجزه ، فان البرة لله ورسوله وللمؤمنين ، ( حكيم ) فى قسمته هذه الصفات هؤلاء ، وتخصيصه ، المنافقين بصفاتهم للتقدمة ، فان له الحكمة فى جميع ما يفعله ، تبارك وتعالى

يُنْفِرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا اللَّهُ أَكْثَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٧﴾

يُنْفِرُ تعالى عما أعده للمؤمنين به وللمؤمنات من الخيرات والتعيم المقيم فى (جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) ، أى : ما كنن فيها أبداً (ومسكن طيب) ، أى : حصة البناء ، طيبة القرار ، كما جاء فى الصحيحين من حديث ابن عمران الجوزي ، عن أبي بكر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جنات من ذهب آتيتهما وما فيها ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم لإلزام الكبرياء على وجهه فى جنة عدن (٤) »

(١) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب « تشييك الأصابع فى المسجد وغيره » ١٢٩/١ . ومسلم ، كتاب البر ، باب « تراحم المؤمنين وتماثلهم وتماثلهم » ٢٠/٨ .

(٢) البخارى ، كتاب الأدب ، باب « وحدة الناس واليهام » ٩١/٨ . ومسلم ، كتاب البر ، باب « تراحم المؤمنين وتماثلهم وتماثلهم » ٢٠/٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٠٤

(٤) البخارى ، تفسير سورة الرحمن ١٨١/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة وهم سحاته وتعالى » ١١٢/٨

وبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن في الجنة خيبة من لؤلؤة واحدة مضمومة ، طوله ستون ميلا في السماء ، المؤمن فيها أطول بطوف عليهم ، لا يرى بعضهم بعضا (١) » . أخرجه .

وفي الصحيحين أيضا ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة وحام رمضان ، فإن حقا على الله أن يدخله الجنة ، حاجر في سبيل الله ، أو جلتس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا : يا رسول الله ، أفلا نخر الناس ؟ قال : إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فاسأله الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تخرج أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن (٢) » .

وعند الطبراني والترمذي وابن ماجه ، من رواية زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ... فذكر مثله (٣) .

ولترمذي ، عن عبادة بن الصامت ، مثله (٤) .

وعن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة ليرامون الثروة في الجنة ، كما ترامون الكوكب في السماء (٥) » . أخرجه في الصحيحين .

ثم ليعلم أن أعلى منزلة في الجنة مكان يقال له « الوسيلة » لقربه من العرش ، وهو مسكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن ليث ، عن كعب ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا صليتم على فسلوا الله في الوسيلة . قيل : يا رسول الله ، وما الوسيلة ؟ قال : أعلى درجة في الجنة ، لا يتألف إلا رجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا هو (٦) » .

وفي صحيح مسلم ، من حديث كعب بن حلقمة ، عن عبد الرحمن بن جببر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمع المؤمن يقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله . وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة يوم القيامة (٧) » :

(١) مسلم ، كتاب الجنة ، باب « في صفة عيام الجنة ، وما للمؤمنين فيها من الأهلية » : ١٤٨/٨ . والبخاري ، تفسير سورة الرحمن : ١٨٢/٦ .

(٢) البخاري ، كتاب التوحيد : ١٠٣/٩ .

(٣) تحفة الأوسدي ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة درجات الجنة ، الحديث ٣٦٥٠ : ٢٣٥/٧ - ٢٣٧ .

(٤) المرجع السابق ، والباب ، الحديث ٢٦٥١ : ٢٣٧/٧ .

(٥) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « صفة الجنة والنار » : ١٤٣/٨ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « تراض أهل الجنة أهل الفرد » كما يرى الكوكب في السماء : ١٤١/٨ - ١٤٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٦٥ .

(٧) مسلم ، كتاب الصلاة ، باب « القول مثل قول المؤمنين » : ٤/٢ . ولفظ مسلم : « حلت له الشفاعة » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن علي الأبار ، حدثنا الوليد بن عبد الملك المحمدي ، حدثنا موسى ابن اعرس . عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلوا الله في الوسيلة . فإنه تم يسألك في عبد في الدنيا لا كنت له شهيدا - أي شفيما - يوم القيامة .

وفي مسند الإمام أحمد . من حديث سعد بن عباد الطائي ، عن أبي المذكرة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله ، حدثنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : لبننة ذهب ، ولبننة فضة ، وملاطها (١) للسك وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران . من يدخلها يتم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفتنى شبابه (٢) .

وروى ابن جرير مرفوعا ، نحوه .

وعند الترمذي من حديث عبد الرحمن بن إسماعيل ، عن النعمان بن سعد ، عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها : فقام أعرابي فقال : يا رسول الله ، إن هي ؟ فقال : لمن طيب (٣) الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام . ثم قال : : حديث غريب (٤) .

ورواه الطبراني ، من حديث عبد الله بن عمرو وأبي مالك الأشعري ، كل منهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يتحده ، وكل من الاستاذين جيد حسن ، وعنده أن السائل هو « أبو مالك » فآله أعلم .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : ألا هل مُشْتَمَرٌ (٥) إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا تخطر (٦) لها ، هي - ورب الكعبة - نور يلاقي ، وريحانة تَهْتَرُ ، وقصر مُشِيدٌ ، ونهر مُطَرَّدٌ ، وثمرات نصيبية ، وزوجة حسنة جميلة ، وحلحله كثيرة ، ومقام في أبد (٧) ، في دار سليمة ، وفاكهة وخضرة وحبيرة (٨) ونعمة في حلة عالية . بينة . قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن انتمشرون لها ، قال : قولوا : إن شاء الله ، فقال القوم : إن شاء الله ، رواه ابن ماجه (٩) .

وقوله تعالى : ( ووضوان من الله أكبر ) ، أي : رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعم ، كما قال الإمام مالك رحمه الله ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول

(١) الملائ - بكسر الميم - : اللين الذي يجعل بين ماني البناء ، يلط به الحافظ ، أي يخلط . والسائق وكل صفة اللين ، بكسر الباء .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٠٤ / ٢ ، ٣٠٥ .

(٣) لغت الترمذي - ١ : في تحفة الأحرف - : « لمن أطاب الكلام » .

(٤) تحفة الأحرف ، أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة غرف الجنة » ، الحديث ٢٦٤٧ ، ٢٣١٧ .

(٥) أي : هل فيكم ساع إلى الجنة غاية السعي ، طالع لها من صدق ووجه ؟ .

(٦) أي : لا مثل لها .

(٧) لغت ابن ماجه : « في مقام أبد » .

(٨) الجيرة : النعمة وسمعة البش

(٩) سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب « صفة الجنة » ، الحديث ٤٣٣٢ ، ١٤٤٨ / ٢ ، ١٤٤٩ .

الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَأَهْلُ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، قِيْلُوْنِ ؟ لِيَبْكُ يَا رِبَّنَا وَسَعِدَكَ ، وَانْبِرِئْ فِى يَدَيْكَ . قِيْلُوْنَ : هَلْ رَضِيعٌ ؟ قِيْلُوْنَ : وَمَا لَنَا نَرْضَى يَا رَبِّ ، وَقَدْ أَعْطَيْنَا مَا مَنَعْتَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ؟ قِيْلُوْنَ : أَلَا أَعْطَيْتُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قِيْلُوْنَ : يَا رَبِّ ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ قِيْلُوْنَ : أَحِبُّوا هَلِيكُمْ رَضَوْنِى فَلَا أَعْطَى هَلِيكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا » (١) « وَأُخْرِجَاهُ مِنْ حَبْلَتِى مَالِكٌ »

وقال أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي : حدثنا الفضل الرحامي ، حدثنا الثريائي ، عن مقيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله عز وجل : هل تشبهون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ، ما نحن مما أعطيتنا ؟ قال : رضوانى أكرم » .

ورواه البراء في مستدركه ، من حديث الثوري ؛ وقال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه « صفوة الجنبه » ؛ هذا عندى على شرط الصحيح ، والله أعلم .

كَلَّمَ اللَّهُ الْكَلْبَ جَنِّدَ الْكَلْبَرِ وَالْمُتَّقِينَ وَأَعْلَمَ عَلَيْهِمْ وَأَمْرُهُمْ جَهَنَّمَ وَنَسِ الْأَمِيرِ ۝ يَتْلُونَ بِاللَّهِ  
عَالَمًا ۝ وَقَدْ قَالُوا كَذِبًا كَذِبًا وَكَفَرُوا بِأَعْلَمَ لَهُمْ وَهُمْ لَا يَتْلُونَ وَمَا تَقُولُوا إِلَّا أَنْ أَعْلَمَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ  
مِنْ فَضْلِهِ ۝ فَإِنْ تَرَوْا بِلَيْهِ خَيْرًا فَهُمْ لَا يَتْلُونَ بِعَدْلِهِمُ اللَّهُ عَدْلًا بِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ (١٧٩)

أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين والمظلمة عليهم ، كما أمره بأن يخفف جناحه لمن اتبعه من المؤمنين ، وأنه آنه مصر الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة . وقد تقدم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : يهت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسيف ، سيف للمشركين : ( فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين ) ، وسيف للكفار أهل الكتاب : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون ) ، وسيف للمنافقين : ( جاهد الكفار والمنافقين ) ، وسيف للباطل : ( قاتلوا التي تبغى حتى تقضى إلى أمر الله ) .

وهذا يقتضى أنهم مجاهدون بالسيرف إذا أظهروا الصلح ، وهو اختيار ابن جرير (٢) .  
وقال ابن مسعود في قوله تعالى : ( جاهد الكفار والمنافقين ) قال : بيده ، [ فان لم يستطع قبله ، فان لم يستطع  
فبقيله ] (٣) فان لم يستطع فليظهر في وجهه (٤) .

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب «صفة الجنة والنار» ١٤٢/٨. ومسلم، كتاب الجنة، باب «إحلال الرضوان من أجل الجنة فلا يحسن عليهم أبداً» ١٤٤/٨.

(۲) تفسیر الطبری : ۳۵۹/۱۴ : ۳۶۰ .

(٣) ما بين القومين سقط من المخطوطة ، أثبتناه من تفسير الطبري ، وهو سقط نظر .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر (١٦٩٦) ، ١٤/٢٥٨ .



وقال ابن عباس : أمره الله تعالى بجهاد الكفار بالسيف ، وللتائيق بالسان ، وأذهب الرق عنهم (١) .  
وقال الضحاك : جاهد الكفار بالسيف ، واغلظ على المتائيق بالكلام ، وهو يجاهدتهم (٢) : وعن مقاتل ، والربيع مثله .  
وقال الحسن وقشادة : يجاهدتهم إقامة الحدود عليهم .  
وقد يقال : إنه لا منافاة بين هذه الأقوال ، لأنه تارة يقاتلهم بهذا ، وتارة بهذا بحسب الأحوال ، والله أعلم .

وقوله : ( يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر ، وكفروا بعد إسلامهم ) ، قال قتادة : نزلت في عبد الله ابن أبي ، وذلك أنه اقتل رجلان : جهنم وأنصارى ، فعلا الجهنم على الأنصارى ، فقال عبد الله للأنصار : ألا تنصروا أنحكم ؟ والله ما مثنا ومثل محمد إلا كما قال القاتل : « سمن كليك يأكلك » ، وقال : ( لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز منها الأذل ) : فسمى بها رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوصل إليه نسائه ، فجعل يحلف بالله ما قاله ، فأثّر الله فيه هذه الآية (٣) .

وروى إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة ، عن عمه موسى بن عتبة قال : تحدثني عبد الله بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : حزنّت على من أصيب به بالحرة (٤) من قري ، فكتب إلى زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ، يذكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار . وذلك ابن الفضل في أبناء أبناء الأنصار . قال ابن الفضل : فسأل أنساً بعض من كان عنده عن زيد بن أرقم ، فقال : هو الذي يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوفى الله له بأذنه : (٥) وذلك حين سمع رجلاً من المتائيق يقول : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب - لئن كان هذا صادقاً فنحن شر من الحمير ، فقال زيد بن أرقم : فهو والله صادق ، ولا كفر مع الحمير : ثم رُفِعَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجمّده القاتل ، فأثّر الله هذه الآية تصديقاً لزيد . يسمع قوله : ( يحلفون بالله ما قالوا ) الآية .

رواه البخاري في صحيحه ، عن إسماعيل بن أبي أويس ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عتبة : إلى قوله : وهذا الله أوفى الله له بأذنه (٦) : ولعل ما بعده من قول موسى بن عتبة ، وقد رواه محمد بن ظهير ، عن موسى بن عتبة بإسناده لم قال : وقال ابن شهاب ، فذكر ما بعده عن موسى ، عن ابن شهاب .

والشههور في هذه القصة أنها كانت في غزوة بني المصطلق ، فعمل الراوي وهم في ذكر الآية ، وأراد أن يذكر غيرها فذكرها ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٦٢ : ٣٥٨/١٤ ، ٣٥٩ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٦٤ : ٣٥٩/١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثران ١٦٩٧٤ ، ١٦٩٧٥ : ٣٦٤/١٤ .

(٤) كانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين ، وهي حرة واقم تقع بظاهر المدينة ، وذلك أن أهل المدينة خرجوا على يزيد لقلّة دينه . فجهز طرهم جيشاً ، فالتقوا بهذا المكان في ذي الحجة ، فقتل من أولاد المهاجرين والأنصار ٦٥٩ أنفساً ، كما نقل بشر الصماية . (المير للهي : ١٧٧/١ ، ١٧٨) .

(٥) أي : أظهر الله صدقته في إخباره عما سمع أنه .

(٦) البخاري ، تفسير سورة والمتفقون : ١٩٢/٩ .

## [ حاشية ]

قال : الأموي ، في معانيه : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، عن جده قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذني قوى فقالوا : إنك امرؤ شاعر ، فان شئت أن تعترف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض العلة ، ثم يكون ذنباً تستغفر الله منه .. وذكر الحديث بطوله ، إلى أن قال : وكان ممن تخلف من المنافقين ، ونزل فيه القرآن منهم ، ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم : الجلاس بن سويد بن الصامت ، وكان على أم حُمَير بن سعد ، وكان عمر في حجره ، فلما نزل القرآن وذكرهم الله بما ذكر مما أنزل في المنافقين ، قال الجلاس : والله لئن كان هذا الرجل صادقاً فيما يقول لنحن شر من الحُمَير . فسميها حُمَير بن سعد فقال : والله - يا جلاس - إنك لأحب الناس إلي ، وأحسنهم عندى بلاء ، وأعزهم على أن يصله شيء يكرهه ، ولقد قلت مقالة لئن ذكرتها لتفضححك<sup>(١)</sup> ولئن كتبها لتهلكني ، ولإحداهما أهون على من الأخرى : فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له مقال الجلاس : فلما بلغ ذلك الجلاس خرج حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فحلف بالله ما قال ما قال عمر بن سعد ، ولقد كلب على : فأئز الله عز وجل فيه : ( يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر ، وكفروا بعد إسلامهم ) ، إلى آخر الآية : فوقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها . فرموا أن الجلاس تاب فحسنت توبته ، ونزع فأحسن النزوع<sup>(٢)</sup> : هكذا جاء هنا « مدرجاً »<sup>(٣)</sup> في الحديث متصلاً به ، وكأنه والله أعلم من كلام ابن إسحاق نفسه ، لا من كلام كعب بن مالك :

وقال عروة بن الزبير : نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد بن الصامت ، أقبل هو وابن امرأته مُصعب من قُيَّاه ، فقال الجلاس : إن كان ما جاء به محمد حقاً فنحن أشرف من حُمَيرنا هذه التي نحن عليها . فقال مُصعب : أما والله - يا جلاس - لا يخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت : فأثيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وخفت أن يتزل في القرآن ، أو تصيبني قارعة ، أو أن أخلط بحبيطته ، فقلت : يا رسول الله : أقبلت أنا والجلاس من قُيَّاه ، فقال كذا وكذا ، ولولا عفاة أن أخلط بحبيطته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك . قال : فدعا الجلاس فقال : . يا جلاس ، أفلت الذي قاله مصعب ؟ فحاف ، فأئز الله : ( يحلفون بالله ما قالوا ) : ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم الآية<sup>(٤)</sup> ،

(١) في المخطوطة : « لتفضحني » . والمصواب ما أثبتناه ، ونلفظ سيرة ابن هشام ١/١٩١ : « ولئن كتبها عليك لأتفضحك » . وينظر ترجمة « الجلاس » في أسد الغابة ٣٤٧/١ بتحقيقنا .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١/١٩١ : « ٢٣٠ » .

(٣) المدرج - بضم الميم - وفتح الراء - أقسام : منها : أحدها مدرج في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن يذكر الراوى عليه كلاً ما لنفسه أو لغيره ، فيرويه من بعده مصححاً بالحديث من غير فصل ، فيتوهم أنه من الحديث . والثاني : أن يكون منه مثلاً ينادين ، فيرويهما بأسدهما . والثالث : أن يسمع حديثاً من جماعة تخلفين في إسناده أو منته ، فيرويه ههنا باتفاق ، ولا يبين ما اختلف فيه . وقد قال المحدثون : تمتد كل واحد من الثلاثة حرام ، وصاحبه من يعرف الكلم من مواضعه ، وهو ملحق بالكذابين . إلا ما كان لتفسير غريب فلا يمنع ، وقد فعله الزهري وغير واحد من الأئمة .

والمدرج الذي صاه ابن كثير هنا هو من القسم الأول .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٨ : ١٤/٣٦٢ .

وقال محمد بن إسحاق: «كان الذي قال تلك المقالة - فيما بلغني - الجليلي بن مريد بن الصامت، فرفضها عليه رجل كان في حمير، فقال له: «عمر بن سبيل»<sup>(١)</sup>، فأفكرها، فحلفت بالله ما قلنا. فلما أزل فيه القرآن تاب وتزوج وحسنت توبته، فيما بلغني<sup>(٢)</sup>»

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثني أيوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الله بن رجاه ، حدثنا إسرائيل عن سفيان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة ، فقال : انه سائيتكم إنسان ينظر إليكم بعيني الشيطان ، فاذا جاء فلا تكلموه . فلم يلبثوا أن طلع رجل أرقق (٤) ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فأنطلق الرجل فجاء بأصحابه ، فحلقوا بأفاهم ما قالوا ، حتى تجاوز عنهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ فاحلقون باله ما قالوا ﴾ : الآية (٥) ،

وقوله : ( وهما عالم بالثألوا ) ، قيل : نزلت في الجلاس ، وذلك أنه هم يقتل ابن امرأه حين قال : لأخيه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وقيل : في عهد الله بن أبي ، هم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال السدي : نزلت في أناس أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي ، وإن لم يرخص رسول الله .

وقد ورد أن نفرًا من المنافقين هموا بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ن غزوة تبوك ، في بعض تلك الليالي ،

في حال السر ، وكانوا بضعة عشر رجلا - قال الضحاك : ففهم نزلت هذه الآية ،

وذلك بَيِّنٌ - فيما رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب [ دلائل النبوة ] من حديث محمد بن إسحاق ، عن الأعمش عن عمرو بن مَرْثُة ، عن [ أبي ] البَحْثَرِيِّ ، عن حليفة بن البان رضى الله عنه قال : كنت أَسْمَعُ عِظَامَ نَاثَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْوَدَ به ، وعمار يسوق الناقة - أو أنا : أسوقه ، وعمار يقوده - حتى إذا كنا بالعقبه فإذا أنا بامرئ حشر راجعاً قد أَعْرَضَهُ فيها ، قال : فأنهت رسول الله صلى الله عليه وسلم [ بهم ] فصرخ بهم قولوا ملهين ، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل عرفتم القوم ؟ قلنا : لا ، يا رسول الله ، قد كانوا متلصحين ، ولكنا قد عرفنا الركاب . قال : هؤلاء المتناقون إلى يوم القيامة ، وهل تدرون ما أرادوا ؟ قلنا : لا . قال : أرادوا أن يَزْجِمُوا رسول الله في الصِّبَةِ ، فيلقوه منها . قلنا : يا رسول الله ، ألا ليست إلى عشارهم حتى يبعث إليك كل قوم برأس صاحبه ؟ قال : لا ، أكره أن تتحدث العرب بيته أن محمداً قاتل بقوم حتى [ إذا ] أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم ، ثم قال : اللهم ازمهم بالذَّبْسَةِ . قلنا : يا رسول الله ، وما الذَّبْسَةُ ؟ قال : شهاب من نار يتم على باطن قلب أحدهم فيهلك (\*) .

(١) كذا في المخطوطة : « سعيد » . ومثله في تفسير الطبري ، وقد تقدم : « حيدر بن سعيد » . وقد ذكر ابن الأثير في أنه للنابة الخلف في اسمه .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٦٩ : ١٤ / ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

(٣) يمين أزرق العين ، والزرقاة : خضرة في سواد العين . وقيل أن يفتنى سوادها يئس . وكانت العرب تتشام بالآزرق .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٦٩٧٣ : ١٤/٣٦٣ .

(هـ) دلائل النبوة الباقية ، خطوط بدار الكتب برقم ٢١٧ حديث ، الجزء السادس ، ورقة ١٧٥ هـ -

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يزيد ، أخبرنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل قال : لا أتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خروته تبرك ، أمر متادبا فنادى : « إن رسول الله أخذ العقبة فلا يأخذها أحد » ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوده حليفة ويسوقه عمار ، إذ أتبع رجلا متلثمون على الراحل فنشوا عمارا وهو يسوق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عمار رضى الله عنه يضرب وجه الراحل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحليفة : « قد » ، « قد » (١) حتى هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ فلما هبط ] نزل ورجع عمار ، فقال : يا عمار ، هل علمت القوم ؟ قال : قد علمت عامة الراحل ، والقوم متلثمون ، قال : هل تدري ما أرادوا ؟ قال : الله ، ورسوله أعلم ، قال : أرادوا أن ينفروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيطرحوه ، قال : فصار (٢) عمار رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أنشدك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال : أربعة عشر ، فقال : إن كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر ، قال : فصار (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة قالوا : والله ما سمعنا منادى رسول الله ، وما علمنا ما أراد القوم ، فقال عمار : أشهد أن الاثنى عشر الياقين حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويقيمون الأشهداء (٤) ، وهكذا روى ابن خزيمة ، عن أبي الأسود ، عن عروة بن الزبير نحو هذا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يمشي الناس في بطن الرادى ، وصعد هو وحليفة وعمار العقبة ، فتبعهم هؤلاء نفر الأزدلون ، وهم متلثمون ، فأرادوا سلوك العقبة ، فأطلع الله على مرادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر حليفة فرجع إليهم ، فغضب وجوه وواصلهم ، فغزاه ورجعوا مقبوحين (٥) ، وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حليفة وعمار بأسيئهم ، وما كانوا هموا به من الفتنة به ، وصلوات الله وسلامه عليه ، وأمرهما أن يكتبا عليهم (٦) .

وكذلك روى يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، إلا أنه سَمَّى جماعة منهم ، فأنه أعلم (٧) .

وكذا قد حكى في معجم الطبراني ، قاله البيهقي ، ويشهد لهذه القصة بالصحة ، ما رواه مسلم :

حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا أبو أحمد الكوفي ، حدثنا الوليد بن جميع ، حدثنا أبو الطفيل قال : كان [ بيت ] رجل من أهل العقبة [ وبين حليفة بعض ما يكون بين الناس ] ، فقال : أنشدك بالله ، كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره إذ سألك ، قال : كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثنين عشر منهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويقيمون الأشهداء ، وعشر ثلاثة قالوا : ما سمعنا منادى رسول الله

(١) أنه : صلبه .

(٢) في نسخة : صلبه .

(٣) في نسخة : فبده .

(٤) سمى الإمام أحمد : ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٥) في خطوطة الأزهري ودار الكتب : ١ ، تفسير : متوخين . والمثبت عن الطبقات السابقة .

(٦) دلائل النبوة لبيهقي ، خطوط بدار الكتب برقم ٢١٧ ، الجزء السادس ، ورقة : ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٧) المرجع السابق : مائة ، ١٦٨ - ١٧٥ .

صلى الله عليه وسلم ، ولا حملنا بما أراد القوم : وقد كان في حرة منشى فقال : إن الله قلي ، فلا يستجيب إليه أحد ، فوجد قوما قد سبقوه ، فظنهم يرمونه (١) ۝

وما رواه مسلم أيضا ، من حديث قتادة ، من أبي نفرة ، عن قيس بن عباد ، عن عمار بن ياسر قال : أخبرني حنيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : في أصحابي اثنا عشر مثاقا ، لا يدخلون الجنة ، ولا يجعلون فيها حتى يلبس [ الجمل ] في سم الخياط : ثمانية منهم تكفيهم الديلة : سراج من نار يظهر بين أكثافهم حتى ينجم من صدورهم (٢) ، ولما كان حنيفة يقال له : صاحب السر - الذي لا يعلم غيره : أي : من تعين جماعة من المنافقين ، وهم هؤلاء ، قد أعلمهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره ، والله أعلم ۝

وقد ترجم الطبراني في مسند حنيفة تسمية أصحاب القبة ، ثم روى عن علي بن عبد العزيز ، عن الزبير بن بكار أنه قال : هم معتب (٣) ، بن قشر ووديع بن ثابت ، وجد بن عبد الله بن تبتل (٤) ، بن الحارث من بني عمرو بن حوف ، والحارث بن يزيد الطائي ، وأوس بن قيطي ، والحارث بن سويد ، وسعد بن زولة (٥) ، وقيس بن فهذ ، وسويد وحاس من بني الحلي ، وقيس بن عمرو بن سهل ، وزيد بن الصبب ، وسالمة بن الحمام ، وهما من بني قيس عيلان ، أظهر الإسلام ۝

وقوله : ( وما تقرا إلا أن أنعام الله ورسوله من فضله ) ، أي : وما لرسول عندهم ذنب إلا أن أنعام الله أنعام ببركه وعين مفارقة ، ولو تمت عليهم السعادة لندم الله لما جاء به ، كما قال عليه السلام للأشجار : ألم أجعلكم شجلا فهداكم الله في؟ وكتم مفرقن فالفكم الله في؟ وعالة فأضاكم الله في؟ كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أسن (٦) ۝

وهذه الصيغة يقال حيث لا ذنب ، كما قال تعالى ( وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ) ، وكما قال عليه السلام ما يقم ابن جسيم إلا أن كان قديرا فأضاه الله (٧) ۝

ثم دعاهم الله تبارك وتعالى إلى التوبة فقال : ( فإن يتوبوا يك خيرا لهم ، وإن يتولوا يبطلهم الله خلقا ألما في الدنيا والآخرة ) ، أي : وإن يستمروا على طريقهم ( يبطلهم الله خلقا ألما في الدنيا ) ، أي : بالقتل والعلم والقلم ، ( والآخرة ) ، أي : بالمطالب والتكاليف والموانع والصغار ، ( وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ) ، أي : وليس لهم أحد يخلصهم ولا ينجلهم ، ولا يحصل لهم خيرا ، ولا يدفع عنهم شرأ ۝

(١) مسلم ، كتاب صفات المنافقين ١٢٣/٨ ۝

(٢) مسلم ، الكتاب المصنف ١٢٢/٨ ١٢٣ ۝

(٣) كلما في الطبعات السابقة ، وفي ضلوة الأثر ودار الكتب : معتب بن نير ۝

(٤) كلما في الطبقات ، وفي لفظين سابقين : تبتل ۝

(٥) كلما في الطبقات السابقة ، وفي لفظين سابقين : سعد بن زولة ۝

(٦) خصي تفرج هذا الحديث في : ٢٨٪ ۝

(٧) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى ( من الرقاق وفي سبيل الله ) : ١٠١٪ ٢ ۝ مسلم ، كتاب الزكاة

أيضا : باب في تقديم الزكاة ومنها : ٦٨٪ ٢ ۝

• وَيَتِمُّ مِنْ عَهْدِ اللَّهِ لَكُمْ أَنَّا نَسْتَأْذِنُ فَعَلَيْهِ لَتَصَدَّقَ وَلَتَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا دَانَتْهُمْ مِنْ فَضْلِهِ  
تَجَسَّأُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَعْتَبْتُمْ يَنَاقَا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ  
وَمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٣٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى : ومن للتائبين من أعطى الله عهده وميثاقه : لئن آغاثه من فضله ليصدقن من ماله ، وليكونن من  
الصلحين ، فما وفى بما قال ، ولا صدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع لفتاكما سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل  
يوم القيامة ، حيافا بالله من ذلك .

وقد ذكر كثير من المفسرين ، منهم ابن عباس ، والحسن البصري : أن سببه نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة  
ابن حاطب الأنصاري .

وقد ورد فيه حديث رواه ابن جرير حاشا وابن أبي حاتم ، من حديث معاذ بن رفاع ، عن حل بن يزيد ، عن  
أبي عبد الرحمن القاسم بن عبد الرحمن ، مولى عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية ، عن أبي أمامة الباهلي ، عن ثعلبة  
ابن حاطب الأنصاري أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقني مالا ، فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ويحك يا ثعلبة : قليل تؤدى شكره جبر من كثير لا طبعه ، قال : ثم قال مرة أخرى ، فقال : أما ترضى أن تكون  
مثل نبي الله ، فر الذي تقضى بيده لو شئت أن تسير معي الجبال خفا وفضة لساوت ؟ قال : ولقي بذكك بالحق لئن  
دموت الله فرزقي مالا لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا ، قال :  
فأخذ خيما ، فمت كما يتمو البدو ، فضاقت عليه المدينة ، فتحنى عنها ، فترك وادها من أوديتها ، حتى جعل يصل  
الظهر والعصر في جماعة ، ويترك ما سواهما ، ثم تحت وكشرت ، فتحنى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهي تنمو  
كما يتمو البدو ، حتى ترك الجمعة ، فطلق يتلقى الركبان يوم الجمعة ، يسألهم عن الأخبار ، قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : ما فعل ثعلبة ؟ قالوا : يا رسول الله ، أخذ خيما فضاقت عليه المدينة ، فأنشروه بأمره ، قال : يا وريح ثعلبة ،  
يا وريح ثعلبة ، يا وريح ثعلبة : وأنزل الله جبل ثناؤه : (خذ من أموالهم صدقة : تطهرهم وتزكهم بها) :: الآية -  
قال : ونزلت عليه فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة : رجلا من جهة ، ورجلا  
من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : «مرا بصلبة ، وبفلان - رجل من بني سليم -  
فخذوا صدقاتهما : فخرجتا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذه  
إلا جزية ، ما هذه إلا أمت الجزية : ما أدري ما هذا : انطلقا حتى تفرقا ثم عودا إلى : فانطلقا وسمع بهما السلي ،  
فنظر إلى خيار أسنان إبله ، فخذها للصدقة ، ثم استغلبها بها : فلما رأوها قالوا : ما بجيب عليك هذا ، وما نريد أن نأخذ  
هذا منك : قال : بل ، فخذوها فإن تقضى بلك طيبة ، وإنا هي له (١) : فأخذوها منه : فلما فرغا من صدقاتهما  
رجعا حتى مرأا بصلبة ، فقال : لروني كتابكما : فنظر إليه ، فقال : ما هذه إلا أمت الجزية : انطلقا حتى أرى رأيي .

فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهما قال : يا ويح ثعلبة ، قبل أن يكلهما ، ودعا الصلي بالبركة .  
فاخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع الصلي : فأئزله الله عز وجل . ( ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن )  
إلى قوله ( وبما كانوا يكذبون ) - قال : وهند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك ،  
فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أئزله الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم ،  
فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك ، فجعل يحث على رأسه القراب ، فقال  
له رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ هذا ] حملك ، قد أئزتك فلم تطعني . فلما أتى أن يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسج إلى منزله ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلفت .  
فقال : قد علمت منزلي من رسول الله ، وموضعى من الانصار ، فأقبل صدقتي . فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول  
الله صل الله عليه وسلم ، وأبى أن يقبلها ، فقبض أبو بكر ولم يقبلها ، فلما ولي عمر رضى الله عنه أتاه فقال : يا أمير  
المؤمنين ، أقبل صدقتي . فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ، وأنا أتقبلها منك ، فقبض ولم  
يقبلها ثم ولي عثمان رضى الله عنه [ فأتاه ] فسأله أن يقبل صدقته ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا  
أبو بكر ولا عمر ، وأنا أتقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان (١) .

وقوله تعالى : ( بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ) ، أى : أحقهم النفاق في قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد  
وكلهم ، كما جاء في الصحيح ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : آفة المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا  
وعد أخلف ، وإذا أوتى حان (٢) . وله شواهد كثيرة ، والله أعلم .

وقوله : ( ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله هلام الغيوب ) ، يخبرهم تعالى أنه يعلم السر وأخفى  
وأنه أعلم بفسادهم وإن أظهروا أنه [ إن ] حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها ، قاله أعلمهم من أنفسهم .  
لأنه تعالى هلام الغيوب ، أى : يعلم كل خيب وشهادة ، وكل سر ونجوى ، ويعلم ما ظهر وما بطن .

وَالَّذِينَ يَمُوزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَسَخِرَ مِنْهُمْ رَبُّهُمْ  
وَلَعَلَّكَ غَلِيظٌ عَلَيْهِمُ ﴿١٨﴾

وهذه أيضا من صفات المنافقين : لا يسلم أحد من هيئهم وثرهم في جميع الأحوال ، حتى ولا المتصدقون يسلمون  
منهم ، إن جاء أحد منهم بمال جزيل قالوا : هذا مرأه وإن جاء بشئ يسير قالوا : إن الله لنرى من صدقة هذا ، كما قال البخاري .  
حدثنا عبيد الله بن سعيد ، حدثنا أبو التيمان البصري ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن أبي وائل ، عن أبي مسعود قال :  
لما نزلت آية الصدقة كنا نتحامل (٣) على ظهورنا ، فجاء رجل فصدق بشئ كثير ، فقالوا : مرأى ، وجاء رجل

(١) تفسير البخاري : الأثر ١٩٩٨٧ : ٣٧٠ - ٣٧٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « حكمة النفاق » ، ١٤/٩ . مسلم كتاب الإيمان أيضا ، باب « بيان حصاد النفاق » .

١٠٦٠ .

(٣) تنكف الحبل بالاجرة لتكسب ما تصدق به . وروى تحامل . هذه رواية البخاري في كتاب التفسير . وأما في كتاب

الزكاة فهو : تحامل .

فصلت بصرام ، فقالوا : إنا لله لنرى عن صدقة هذا ، فترت ( الذين يسمون المطهرين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجلو إلا وجههم ) (١) الآية .

وقد روه مسلم أيضا في صحيحه ، من حديث شعبة ، (٢) ، ٤ :

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا الجري ، عن أبي السليل قال : وقف علينا رجل في مجلسنا بالبيع فقال : حدثني أبي - أو : عمي - أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع ، وهو يقول : من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة ؟ قال : فصلت من عامي لوتا أو لوئين ، وأنا أريد أن أتصدق بها ، فأدركني ما يدرك ابن آدم ، ففقدت على عامي . فجاء رجل لم أرب بالبيع وجلاشد سوادا [ ولا ] أقصر قملة (٣) ، ولا أدم بين منه [ يقود ناقة ] (٤) ، لم أرب بالبيع ناقة أحسن منها ، فقال : يا رسول الله ، أصدقه ؟ قال : نعم . فقال : دونك هذه الناقة . قال : فلمزه رجل فقال : وهذا يتصدق به : هو الله لي غير منه : قال : فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كذبت . بل هو خير منك ومنها - ثلاث مرات - ثم قال : ويل لأصحاب المتن من الإبل - ثلاثا - قالوا : ألا من يا رسول الله ؟ قال : [ إلا من قال ] (٥) بالمال هكذا وهكذا ، وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : قد أفلح المزهد المجهد (٦) - ثلاثا - لئلا يهد في العبادة (٧) .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الأنصار بصاع من طعام ، فقال بعض المنافقين : والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا وياه ، وقالوا : إن كان الله ورسوله لفتين عن هذا الصاع (٨) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : إن رسول الله خرج إلى الناس يوما فنادى فيهم : أن اجتمعوا صدقاتكم : فجمع الناس صدقاتهم ، ثم جاء رجل من أنحرم بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا صاع من تمر [ بت ليلتي أجز بالجري للماء ] (٩) ، حتى نلت صاعين من تمر [ فأمسكت أحدهما ، وأعطيتك الآخر . فأمره رسول الله صلى الله عليه

(١) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : اتقوا النار ولو بشق تمره ... : ٢ / ١٣٦ . وأخرجه البخاري من وجه آخر في تفسير سورة التوبة : ٦ / ٨٤ .

(٢) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : الحمل بأجرة يتصدق بها ، والتمس من تنفيس المتصدق بقليل ٣ / ٨٨ .

(٣) في المخطوطة : « أشد سوادا أسمر منه » . وفي المتن : « أسمر منه » . والمكتب من تفسير الطبري ، الأثر ١٧٠١٥ : ١٤ / ٣٩٠ . والله : « لا أرى بالبيع رجلا أنصر لمة » ولا الله سوادا . والقيمة : القملة .

(٤) في المخطوطة : « ولا أدم » ، بغير ساقه . وفي المتن : « وير بناية » والمكتب من المرجع السابق . وما بين القوسين منه . وأدم : من أعضائه . وهي فتحة .

(٥) قال بالمال هكذا : يعني تصدق به ، فالعرب تطلق القول على جميع الأموال .

(٦) المزهد - بغير اللام وكسر الزاي - : التذلل الشيء . والمجهد - بهذا القبط أيضا - : ذو الوجه والمشقة .

(٧) مست الإمام أحمد : ٣٤ / ٣٨٢ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٠٠٣ : ١٤ / ٣٨٢ .

(٩) الجري : السيل . وأراد أنه كان يستقي الماء بالمثل .



وسلم أن يشتره في الصدقات : ففسخ منه رجال ، وقالوا : إن الله ورسوله لثنيان عن هذا ، وما يصنعان بصاعك من شيء . ثم إن عبد الرحمن بن عوف قال [ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ] هل بقي أحد من أهل الصدقات ؟ فقال لا فقال له عبد الرحمن بن عوف : فإن [ عندى مائة أوقية من ذهب في الصدقات : فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أجنون أنت ؟ قال : ليس بي جنون : قال : فقلت ما فعلت ؟ قال : [ نعم ] ، مالى ثمانية آلاف ، أما أربعة آلاف فأقرضها ربي ، وأما أربعة آلاف فلى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت . ولزمه المنافقون فقالوا : والله ما أعطى عبد الرحمن عطيته إلا رياء : وهم كاذبون ، إنما كان به متطوعا ، فأنزل الله عز وجل عذره وحلر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر ، فقال تعالى في كتابه : ( الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات (١) ) ٣٣٣ الآية .

وكذا روى عن جاهد ، وغير واحد .

وقال ابن إسحاق : كان المطوعون من المؤمنين في الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، تصدق بأربعة آلاف درهم (٢) . وحاصم بن عدي أخا بنى الجبلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب في الصدقات ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف ، وقام حاصم فتصدق بمائتين من تمر ، فليزهما وقالوا : ما هذا إلا رياء . وكان الذى تصدق بجهده : أبو حنبل أخو بنى أنيف الإثاشى حليف بنى عمرو بن عوف ، أتى بصاع من تمر فأقرضه في الصدقة ، ففشا حسركا به وقالوا : إن الله لعفى عن صاع أبي حنبل (٣) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا طلوت بن عباد ، حدثنا أبو حنيفة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن عمر أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تصدقوا ، فإني أريد أن أبعث بعثا : قال : فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : يا رسول الله ، عندى أربعة آلاف ، ألقين أقرضهما ربي ، وألقين لعلنى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارك الله لك فيما أعطيت ، ويارك لك فيما أمسكت : وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر ، فقال : يا رسول الله ، أصبت صاعين من تمر : صاع أقرضه لربي ، وصاع لعللى . قال : فليزهما المنافقون وقالوا : ما أعطى الذى أعطى ابن عوف إلا رياء . وقالوا : ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ؟ فأنزل الله : ( الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجهدون إلا جيهدهم فيفسخون منهم ) ٣٣٣ الآية .

ثم رواه عن أبي كامل ، عن أبي حنيفة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه مرسلًا - قال : ولم يستند أحد إلا طلوت . وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن موسى بن عبيدة ، حدثني خالد ابن يسك ، عن ابن أبي حنبل ، عن أبيه قال : بئس أجر الجري على ظهري ، على صاعين من تمر ، فأقبلت بأحدهما إلى أهلى يتبخلون به ، وبحث بالآخر أقرب [ به ] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١ : ١٧٠٠٤ : ١٤ / ٢٨٣ .

(٢) في تفسير الطبرى : « بأربعة آلاف دينار » . حل أنه بعد ذلك في خلال الأثر قال : « تصدق بأربعة آلاف درهم » .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١ : ١٧٠١٢ : ١٤ / ٢٨٧ .

فأجابه . فقال : انتم في الصدقة . قال : فسخر القوم وقالوا : لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين : فأنزل الله : ( الذين يلزمون لظواهر من المؤمنين في الصدقات ) ... الآيةين (١) .

وكذا رواه الطبراني من حديث زيد بن الحباب ، به . وقال : « اسم [ أبي ] عقیل حَبِيب (٢) » ، ويقال : عبد الرحمن (٣) بن عبد الله بن حلبة

وقوله : ( فيسخرهم منهم صخر الله منهم ) ، وهذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين ، لأن الجزء من جنس العمل ، فعاملهم معاملة من سخر بهم ، انتصارا للمؤمنين في الدنيا ، وأعد للمنافقين في الآخرة عذاباً أليماً .

الْـسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾

خير تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء المنافقين ليسوا [ أهلاً ] للاستغفار ، وأنه لو استغفر لهم ، ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم .

وقد قيل : إن السبعين إما ذكرت حياء لماعة الاستغفار لهم ، لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ، ولا تريد التحديد بها ، ولا أن يكون ما زاد عليها مجازاً .

وقيل : بل لما مفهوم ، كما روى العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية : أسمع ربى قد ونص لي فيهم ، فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة ، لعل الله أن يغفر لهم ، فقال الله من شدة غضبه عليهم : ( سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين (٤) ) .

وقال الشعبي : لما تكلم عبد الله بن أبي ، انطلق ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي قد استخضر ، فأحب أن تشهد وتصل عليه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما اسمك . قال الحباب بن عبد الله : قال : بل أنت عبد الله ابن عبد الله ، إن الحباب اسم شيطان . قال فانطلق معه حتى شهده وأبسه قميصه وهو حرق ، وصلى عليه ، فقيل له : أنصلي عليه [ وهو منافق ] ؟ قال : إن الله قال : ( إن تستغفر لهم سبعين مرة ) ، ولأستغفرن له سبعين وسبعين وسبعين وكذا روى عن عروة بن الزبير وجاهد بن جبر ، وقادة بن دعامة . رواها ابن جرير بأسانيد (٥) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٤ : ١٧٠١٤ ، ٣٨٩ .

(٢) في المطبوعة : « حباب » . ويظهر ترجمة حبيب في أسد الغابة ١ : ٤٣٨ بتسقيتنا .

(٣) ينظر أسد الغابة ٣ : ٤٦٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٠٢٠ : ١٤ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

(٥) ينظر تفسير الطبري ، ١٤ : ٣٩٥ - ٣٩٧ .

فَرِحَ الْمُتَنَفِّثُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٥﴾ فَلْيَضْحَكُوا خَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَيْدًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِكَيْدِهِمْ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذاما للمتأففين المتخلفين عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عروة تبوك ، وفروحو ، فمعدب بملء خروجه ، ( وكرهوا أن يجاهدوا ) معه ( بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا ) ، أي : بمصمهم لبعض : ( لا تنفروا في الحر ) . وذلك أن الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر ، عند طيب الظلال والثمار ، قللها قائلوا : ( لا تنفروا في الحر ) ، قال الله تعالى لرسوله : ( قل ) ثم : ( نار جهنم ) التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم ( أشد حرا ) مما فرتم منه من الحر ، بل أشد حرا من النار ، كما قال الإمام مالك ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نار بني آدم التي يوقدون بها جزء من سبعين جزءا [ من نار جهنم ] فقالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية » . قال : « إنها فضلت عليها بسبعة وستين جزءا » (١) أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك ، به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سمعان ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، وضربت بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل [ الله ] فيها مضخة لأحد (٢) » . وهذا أيضا إسناد صحيح :

وقد روى الإمام أبو عيسى الترمذي وابن ماجه ، عن عباس الدوري ، عن يحيى بن أبي بكير ، عن شريك ، عن حاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم إوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء كالليل اللظلم » . ثم قال الترمذي : لا أعلم أحدا رفعه غير يحيى (٣)

كذا قال . وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه عن إبراهيم بن محمد ، عن محمد بن الحسين بن مكرم ، عن حبيب الله بن سعد ، عن حم ، عن شريك - وهو ابن عبد الله التيمي - . وروى أيضا ابن مردويه من رواية مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ( نارا ) وقودها الناس والحجارة » ، قال : « إوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى احمرت . وألف عام حتى اسودت ، فهي سوداء كالليل لا يضيء فيها .

(١) الموطأ ، كتاب جهنم ، باب : « ما جاء في صفة جهنم » : ٢ / ٩٩٤ . والبخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب : « صفة النار وأنها مخلوقة » : ٤ / ١٤٧ . وما بين القوسين سقط من المخطوطة آتية من الموطأ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٢٤٤ .

(٣) تحفة الأحرفي ، أبواب صفة جهنم ، الحديث ٢٧١٧ - ٢٧١٨ : ٧ / ٣١٦ ، ٣١٧ . وصن ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب : « صفة النار » ، الحديث ٤٣٢٠ : ٢ / ١٤٤٥ .

وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عام بن نجيح - وقد اختلف فيه - عن الحسن ، عن انس مرفوعاً لو أن شرارة بالمشرق - أي من قار جهنم - لوجد حرها من بالمغرب ٥

وروى الحافظ أبو يعلى عن إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن أبي عبيدة الحداد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن شبيب ، عن جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جببر ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كان في هذا المسجد مائة ألف أويديون ، وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه ، لاحترق المسجد ومن فيه » ٥ ٥ ٥

وقال الأعمش عن أبي إسحاق ، عن التيمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهون أهل النار هذا يوم القيامة لمن له ملآن وشرا كان من نار ، يلقى منهما دماغه كما يلقى المرء رجل ، لا يرى أن أحداً من أهل النار أشدّ هذا منه ، وإنه أهونهم عذاباً » : أخرجه في الصحيحين ، من حديث الأعمش (١) ٥

وقال مسلم أيضاً : حدثنا يحيى بن أبي شبة ، حدثنا يحيى بن أبي بكير ، حدثنا زهير بن محمد ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن التيمان بن أبي عياش ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل النار هذا يوم القيامة يتنمل بتنملين من نار ، يلقى دماغه من حرارة عليه (٢) » ٥

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن ابن حبان ، سمعت أبي ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أدنى أهل النار هذا رجل يجعل له ملآن يلقى منها دماغه (٣) » ٥

وهذا إسناد جيد قوي ، رجاله على شرط مسلم ، والله أعلم ٥

والأحاديث والآثار النبوية في هذا كثيرة ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز : « كلا إنها لظى لظى للشرى (٤) » ، وقال تعالى : « يصب من فوق رؤوسهم الحميم : يصهر به ما في بطونهم والجلود : ولم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أصيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٥) » ، وقال تعالى : « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب (٦) » .

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : « قل : نار جهنم أشدّ حرّاً لو كانوا يفقهون » ، أي : لو أنهم يفقهون ويفهمون لفروا مع الرسول في سبيل الله في الحر ، ليقبوا به من حرّ جهنم ، الذي هو أضعاف أضعاف هذا ، ولكنهم كما قال الآخر (٧) : ٥

٥ كالمستجير من الرمضاء بالنار ٥

- 
- (١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « أهون أهل النار عذاباً » ٥ ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ . والذي أماننا في البخاري الآن رواية شعبة ٥ و « إسرائيل » عن أبي إسحاق . ينظر كتاب الرقاق ، باب : « صفة الجنة والنار » ٥ ٨ / ١٤٤
  - (٢) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « أهون أهل النار عذاباً » ٥ ١ / ١٣٥
  - (٣) مسند الإمام أحمد ٥ ٢ / ٤٣٨ ، ٤٣٩ . وينظر أيضاً ٥ ٢ / ٤٣٢
  - (٤) سورة الماعج ، آية : ١٥ - ١٦
  - (٥) سورة الحج ، الآيات : ١٩ - ٢٢
  - (٦) سورة النساء ، آية : ٥٦
  - (٧) صفة : « والمستجير يسره عند كربته » ٥

## وقال الآخر :

عُرِكَ بِالْحَبِيبَةِ أَثْبَتَتْ مَحَاكَ الْبَارِدِ وَالْحَارِ  
وَكَانَ أَوَّلَى بَكَ أَنْ تَقَى مِنَ الْمَخَاصِي حَلَّتِ النَّارُ

ثم قال تعالى جل جلاله متوعداً هؤلاء المنافقين على صنيعهم هذا : ( فليضحكوا قليلاً وليكوا كثيراً ) قوله ما كانوا يكسبون .

قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الدنيا قليل ، فليضحكوا [ فيها ] ما شاءوا ، فإذا انقطع الدنيا وصلوا إلى الله عز وجل ، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبداً . وكذا قال أبو رزين ، والحسن ، وقاعدة ، والربيع بن خثيم ، وعون المكي ، وزيد بن أسلم<sup>(١)</sup> .

وقال الحافظ أبو بلي الموصلي : حدثنا عبد الله بن عبد الصمد بن أبي خبش ، حدثنا محمد بن جرير<sup>(٢)</sup> ، عن ابن المبارك ، عن عمران بن زيد ، حدثنا يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس ، أبكوا ، فإن لم تبكوا فبأبكوا ، فإن أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتى تنقطع الدموع فتسيل [ السماء ] فتخرج المير ، فلو أن سقناً أنزجيت فيها ليجرت<sup>(٣)</sup> . ورواه ابن ماجه من حديث الأعمش - عن يزيد الرقاشي - به<sup>(٤)</sup> .

وقال الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباس ، حدثنا حماد الجعفي ، عن زيد بن رفيع ، رفعه قال : إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمناً ، ثم بكوا القيح زمناً - قال : فضول لهم للجنة : يامعشر الأضياف ، تركم البكاء في الدار للرحوم فيها أهلها في الدنيا . هل تجدون اليوم من تستغيثون به ؟ قال : فيرون أصواتهم : يا أهل الجنة ، يامعشر الآباء والأمهات والأولاد ، خرجنا من القبر عطاشاً ، وكنا طول الوقت عطاشاً ، ونحن اليوم عطاش ، فافوضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، فبذعون أربعين سنة لا يبيهم ، ثم يبيهم : ( إنكم ماكثون ) ، فيأسون من كل خير .

فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَفْتَوْكَ فَخُروج فَقُلْ لَنْ أَخْرِجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تَقْتُلُوا مَعِيَ دُونَكُمْ  
وَيَضْمٌ بِالْفَعُولِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَالْفَعُولُ مَعَ الْمُخْلِيفِينَ ﴿٥﴾

يقول تعالى أمر أرسوله عليه الصلاة والسلام : ( فإن رجعتكم الله ، أي : ردك الله من شؤرك هذه إلى طائفة منهم ) - قال قاعدة : ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً ، فاستأفوك للخروج ) ، أي : عدك إلى غزوة أخرى ، ( قل : لن أخرجوا معي أبداً ، ولن تقتلوا معي عدواً ) ، ( إنكم

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤ / ٥٠٩ - ٥٠٣ .

(٢) كلما في المطبوعة ، ولا ندرى من هـ منه بن جرير هـ هذا ؟

(٣) يقال : رجاء - ورجاء - بتضعيف السين - وللرجاء : سأل .

(٤) سنن ابن ماجه هـ كتاب الزهد هـ باب هـ صفة النار هـ الحديث ٣١٢٤ : ٢ : ١٥٤٦ هـ

وحيثما بالعبود أدرك مرة ، وهذا كقوله تعالى : ( وتقلب أفتدبهم وأبصارهم كالم يرمونوا به أدرك مرة ) (١) ، فإن مع جزاء السيئة السيئة بعدها كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، كما قال في حصة الحبيبية : ( سيتول الخلقون إذا الطلقتم إلى مقامات لأجلهم ، ذروا تهمكم ، يريدون أن يدلوا كلام الله ، قل لئن تهموا ، كذلك قال الله من قبل (٢) ، وقوله تعالى : ( فاعلموا مع الخالقين ) - قال ابن عباس : أي الرجال الذين تعلقوا عن التزكاة ، وقال قتادة : ( فاعلموا مع الخالقين ) ، أي : مع النساء .

قال ابن جرير : وهذا لا يستقيم ، لأن جميع النساء لا يكونن بالباه والنور ، ولو أريد النساء لكان : فاعلموا مع الخالقين ، أو الخالقات ، ورجح قول ابن عباس رضي الله عنهما (٣) .

وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿١٠٠﴾ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا تَأْتُوا بِهِ مِنْهُ لَيُحْكِمَنَّ أَمْرًا

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من المنافقين ، وأن لا يصل على أحد منهم إذا مات ، وأن لا يقوم على قبره . يستغفر له أو يدعوه له ، لأنهم كفروا بالله ورسوله ، وما أتوا عليه ، وهذا حكم عام في كل من هرب عنه لغناه ، وإن كان سببه ترك الآية في عهد الله بين أيديهم سلوكه ، وأمن المنافقين ، كما قال البخاري :

حدثنا عبيد بن إسحاق ، عن أبي أسامة ، عن عبيد الله ، عن لافع ، عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله - هو ابن أبي - جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكتسب فيه أباه ، فأعطاه ، ثم سأله أن يصل عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصل عليه ، فقال عمر لأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، تصل عليه وقد نهك أن تصل عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما خيرني الله فقال : ( استغفر لم أو لا تستغفر لم إن تستغفر لم سيحرم مرة فإن يغفر الله لم ) ، وسأزيده على السبع ، قال : إنه منافق ، قال : فعلى عليه [ رسول الله صلى الله عليه وسلم ] فأثرك الله هل وجهي آية (ولا تصل على أحد منهم ماته أبدا ولا تقم على قبره) (٤) .

وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن أبي أسامة حماد بن أسامة ، به (٥) .

ثم رواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر ، عن أنس بن حياض ، عن عبيد الله - وهو ابن عمر العنبري - به وقال :

فصل على ، وصلينا معه ، وأثرك الله (ولا تصل على أحد منهم ماته أبدا) (٦) .

وحكنا رواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن عبيد الله ، به (٧) .

(١) سورة الأنعام : آية ١١٥ .

(٢) سورة الفتح : آية ١٥ .

(٣) ينظر الآثار وقول ابن جرير في تفسيره : ١٥ / ٢٤٤ : ٤٥٥ .

(٤) البخاري ، تفسير سورة براءة : ٦ / ٨٥ .

(٥) مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٨ / ١٢٠ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة براءة : ٦ / ٨٦ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٥٥٠ .

وقد روي من حديث عمر بن الخطاب قصة أيضاً بنحو من هذا ، قال الإمام أحمد :

حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، حدثني الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لا تولى عبد الله بن [ أبى ] دعوى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أهلك عدوؤك الله عبد الله بن (١) [ أبى ] القتال يوم كنا كلنا وكلنا - يُعَدُّ أباه - قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحسم ، حتى إذا أكرمت عليه قال : أخرت حتى يامر ، إلى خيبر فاخترت ، قد قيل لي : ( استغفر لم أو لا تستغفر لم ، إن استغفر لم سبعين مرة فلن يغفر الله له ) ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت . قال : ثم صلى عليه ، ومضى معه ، وقام على قبره حتى فرغ منه - قال : فتعجب لي وبترافق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ! قال : فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تم على قبره إنه كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم فاسقون ) : فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمه على منائى ، ولا قام على قبره ، حتى يقبض الله عز وجل (٢) :

وهكذا رواه الترمذي في التفسير ، من حديث محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، به - وقال : حسن صحيح (٣) . ورواه البخاري عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن الزهري ، به - فذكر مثله وقال : أخرت حتى يامر : فلما أكرمت عليه قال : إلى خيبر فاخترت ، ولو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها . قال : فصل عليه رسول الله ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من برامة : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تم على قبره ) : الآية ، فمجيئ بعد من جرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي حبيب ، حدثنا عبد الملك ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال : لما مات عبد الله بن أبي ، أتى ابنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنك إن لم تزل تُحَيِّرُ بهنا : فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجدته قد أدخل في حفرة ، فقال : أفلا قبل أن تدخلوها ! فأنخرج من حفرة ، وتكفل عليه من قرنه إلى قمعه ، وألبسه قميصه (٥) :

ورواه النسائي ، عن أبي داود الحمراني ، عن يعل بن حديد ، عن عبد الملك - وهو ابن أبي سليمان - به . وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن عثمان ، أخبرنا ابن عبيدة ، عن عمرو ، بهم جابر بن عبد الله قال :

(١) ما بين القوسين سقط من نسخة الأثر ، أجبته من المست .

(٢) سنة الإمام أحمد : ١ / ١٦ .

(٣) تحفة الأحرار ، تفسير سورة برامة ، الحديث ٥٠٩٥ : ٨ / ٤٩٥ - ٤٩٩ . ولفظ الترمذي : هذا حديث حسن .

فريق صحيح .

(٤) البخاري ، تفسير سورة برامة : ٦ / ٨٥ ، ٨٦ . ولفظ البخاري : والله ورسوله أعلم .

(٥) سنة الإمام أحمد : ٤ / ٤٧١ .

« أن النبي صلى الله عليه وسلم حيد الله بن أبي لهبه بعد ما أدخل في قبره ، فأمر به فأخرج ، ووضع على ركبته ونكت عليه من رقبته ، وألبسه قميصه ، والله أعلم » (١) »

وقد رواه أيضاً في غير موضع مع مسلم والنسائي ، من غير وجه ، عن سفيان بن عيينة (٢) »

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن حيد لما تلقى الزوار في مسنده : حدثنا عمرو بن حل ، حدثنا يحيى ، حدثنا جبال ، حدثنا عامر ، حدثنا جابر (ح) ، وحدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء اللخمي ، حدثنا جبال ، عن الشعبي ، عن جابر قال : مات ولمس المتقين - قال يحيى بن سعيد : بالمبيت فأوصى أن يصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي أوصى أن يكن في قميصك - وهذا الكلام في حديث عبد الرحمن بن مغراء - قال يحيى في حديثه : فصل عليه ، وألبسه قميصه ، فأثول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره - وزاد عبد الرحمن : وخلع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه ، فأعطاه إياه ، ومضى فصل عليه ، وقام على قبره ، فأثول جبريل عليه السلام لما قاله : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ) وهذا يستدل بأبى به ، وما قبله شاهد له »

وقال الإمام أبو جعفر الطبري : حدثنا [ أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلى على حيد الله بن أبي لهبه ، فأخذ جبريل بنو به وقال : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ) (٣) »

ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده ، من حديث يزيد الرقاشي (وهو ضعيف) »

وقال قتادة : أرسل حيد الله بن أبي لهبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ، فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أهلكك حبة يهود قال : يا رسول الله : إنما أرسلت إليك تستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتؤذي ، ثم سأله حيد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه ، فأعطاه إياه ، وصلى عليه ، وقام على قبره ، فأثول الله عز وجل : ( ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ) (٤) »

وقد ذكر بعض السلف أنه إنما ألبسه قميصه ، لأن حيد الله بن أبي لهبه لما قدم النجاشي طلب له قميص ، فلم يوجد له على قميصه إلا ثوب حيد الله بن أبي لهبه ، لأنه كان ضحياً طويلاً ، ففعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مكافأة له ، والله أعلم ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الكريمة عليه لا يصلى على أحد من المتقين ، ولا يقوم على قبره ، كما قال الإمام أحمد :

(١) البخاري ، كتاب النجاشي ، باب : ليس القميص ، ص ١٨٥ ، رقم ١٨٥٠ . وقد رواه البيهقي أيضاً في كتاب الجنائز عن مالك ابن إسماعيل عن ابن عيينة بمسند ، باب : الكفن في القميص ، ص ٢٠٢ ، رقم ٩٧ . ورواه أيضاً عن علي بن عبد الله ، عن سفيان بن بابويه عن طريق أبيه عن القبر ، ص ٢٠٢ ، رقم ١١٦٦ .

(٢) مسلم ، كتاب صفات المتقين وأسمائهم ، ص ٨ / ١٢٠ ، والنسائي ، كتاب الجنائز ، باب : القميص في الكفن ، ص ٣٨ ، رقم ٣٧٠٠ .

(٣) صحيح البخاري ، الأثر ١٧٥٥ ، رقم ١٤٠٣٧ .

(٤) الترمذي ، صحيحه ، الأثر ١٧٥٥ ، رقم ١٤٠٣٧ .



حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن أبيه ، حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعي للجنائز سأل عنها ، فإن أتى عليها خبر قام فصلى عليها ، وإن أتى عليها خبر ذلك قال لأهلها : شأنكم بها ، ولم يصل عليها (١) . »

وكان عمر بن الخطاب لا يصل على جنازة من جهل حاله ، حتى يصل عليها حنيفة بن اليمان ، لأنه كان يعلم أعيان المنافقين قد أخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يقال له : « صاحب السر » الذي لا يعلمه غيره أي من الصحابة :

وقال أبو عبيد في كتاب « الغريب » ، في حديث حسر أنه أراد أن يصل على جنازة وجل ، فتمرزه حنيفة ، كأنه أراد أن يصد عن الصلاة عليها ، ثم حكى عن بعضهم أن الممرزة بلفظ أهل اليمامة هو : « التمرص بأطراف الأصابع » ولما نهى الله عز وجل عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم للاستغفار لهم ، كان هذا الصنيع من أكبر القربات في حق المؤمنين ، فشرع ذلك . وفي فله الأجر الجزيل ، لا ثبت في الصحاح وغيرها من حديث ابن هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد الجنائز حتى يصل على عليها فله قيراط ، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان » قيل : وما القيراطان ؟ قال : « أصبحهما مثل إحد (٢) » .

وأما القيام عند قبر المؤمن إذا مات فقد قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى الرزازي ، أخبرنا همام عن عبد الله بن بشير ، عن هانيء - وهو أبو سعيد البربري ، مولى عثمان بن عفان - عن عثمان رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيك » ، واسألوا له التثبيت » فله الآن يسأل » .

انظر بإخراجه أبو داود رحمه الله (٣) .

وَلَا تُجِيبُكَ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُزَكِّيَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾

قد تقدم (٩) تفسير نظير هذه الآية الكريمة ، والله الحمد .

وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ قُلْنَا بِهَا وَجَّهُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولَ الَّذِينَ كَفَرُوا دُفِنُوا وَكُلُوا دَرَنًا حَتَّى تَخْشَوْا السَّيْئَةَ فَرَأَوْا سُورًا مِّنَ الْبُرْجِ يُصْهَرُ لَهُمْ فَيَقُولُوا ذَٰلِكَ أَسْفَلُ مَا عُذِّبُوا بِهِ وَلَئِنْ رَأَوْا سُورًا مِّنَ السَّمَاءِ سَأُولَ الْأَنْفَالِ أَسْفَلُ مَا يُعَذِّبُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى منكراً وذاً للمنتحلين عن الجهاد ، التاكلف منه مع القدرة عليه ، ووجود السعة والظنك (٤) :

(١) مصنف الإمام أحمد ٤ : ٤٩٩ ، ٣٠٠ .

(٢) أخرجه في كتاب الجنائز ، ينظر البخاري ، باب : « من انظر حتى تدفن » ١١٠ / ٢ . وسلم ، باب : « فضل الصلاة على الجنائز وأنبأها » ٣٠ / ٥١ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : « الاستغفار عند القبر الميت » ، الحديث ٣٧٢١ ، ٣٧٢٢ ، ٢١٥ .

(٤) ينظر تفسير الآية ٥٥ ، من هذه السورة .

(٥) الظنك - بتخفيف السين - أي : الغنى .

ولما أخذوا الرسول في القعود ، وقالوا : ( ذرنا نحن مع القاعدنين ) ، ورضوا لأنفسهم بالماء والقعود في البلد مع النساء ، ومن الخوالب ، بعد خروج الجيش ، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس ، وإذا كان آمن كانوا أكثر الناس كلاماً ، كما قال تعالى عنهم في الآية الأخرى : ( فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كاللدى يفتنى عليه من الموت ، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألست حذاد ) (١) ، أي : حلت ألسنتهم بالكلام الخاد القوي في الأمن ، وفي الحرب أجبن شيء ، وكما قال الشاعر :

أبى السك أحياناً جفكو وخلفكوك  
وفي الحرب أشباه النساء الموارك (٢)

وقال تعالى في الآية الأخرى : ( ويقول الذين آمنوا : لولا نزلت سورة ، فإذا أنزلت سورة محكمة ، وذكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك تنظرَ الفتى عليه من الموت ، فأولى لم : طاعة وقول معروف ، فإذا حزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ) (٣) :

وقوله : ( وطبع على قلوبهم ) ، أي : بسبب تكولهم عن الجهاد والمخرج مع الرسول في سبيل الله ، ( فهم لا يفقهون ) ، أي : لا يفهمون ما فيه صلاح لم يفعله ، ولا ما فيه مضرة لم فيجتنبهه :

لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٣٦﴾  
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٧﴾

ذكر تعالى ثم للمؤمنين ، بين ثناء للمؤمنين ، وما لم في آخرهم ، فقال : ( لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا ) ، أي : إلى آخر الآية ، من بيان حلهم ومآلهم ، وقوله : ( وأولئك لهم الجهاد ) أي : في الدار الآخرة ، في جنات الفردوس والدرجات العلى .

وَجَاءَ الْمُعَذِّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ

أليم ﴿١٣٨﴾

ثم بين تعالى حال قوى الأعداء في ترك الجهاد ، الذين جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظرون إليه ، ويبينون له ما هم فيه من الضعف ، وعدم القدرة على الخروج ، وهم من أحياء العرب من حول المدينة :

- (١) سورة الأحزاب ، آية : ١٩ .  
(٢) البيت في سيرة ابن هشام منسوباً إلى حذيفة بن اليمان ، وهو من فوائد سيوفه في الكتاب : ١ / ١٧٢ .  
والبريد في المنتخب : ٣ / ٢٦٥ ، والكمال : ٩٠٢ .  
والأخبار : ج ١ - طبع في - وهو الحار ، ألبا كان أم وحيا ، ولما الموارك بين الخوالب ، قال السجستاني في  
الروضة : ٢ / ٨٧ ، ٢٤٥ : من كرك المراك وروسه وطقت ، إذا سالت .  
(٣) سورة مائدة ، آية : ٧٥ ، ٢١ .

قال الضحاك ، عن ابن عباس : إله كان يقرأ ، ( وجاء المعتدرون ) ، بالكثيف ، ويقول : هم أهل العنبر (١) .  
وكذا روى ابن عيينة ، عن حميد ، عن مجاهد (٢) . سواء .  
قال ابن إسحاق : وبلغني أنهم فُكّر من بني غفار [ منهم ] . خُفّاف بن إيماء بن رَحْصَة (٣) .  
وهذا القول هو الأظهر في معنى الآية لأنه قال بعد هذا : ( وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ) ، أي : لم يأتوا  
فيقتلوا ؟

وقال ابن جريج عن مجاهد : ( وجاء المملون من الأعراب ) ، قال : فمر من بني غفار ، جاموا فاعتلوا  
فلم يخلّهم الله ، وكذا قال الحسن ، وقتادة ، وعبد بن إسحاق ، والقول الأول أظهر والله أعلم ، لما قد عرفت من قوله بعده  
( وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ) ، أي : وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتلار ، ثم أودعهم بالمذاب الأليم ،  
فقال : ( سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ) .

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى  
الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ أَوْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُعِيضُكُمْ  
طَبِّعُوا نَفْسَهُمْ تَفِضْ مِنَ الدَّمْعِ حَرْشًا لَا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَنتَقِذُونَ نَفْسَهُمْ  
وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رِضًا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

ثم ين تملى الأعداء إلى لا حرج على من قد فيها عن القتال ، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه ، وهو  
الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجهاد ، ومنه المعنى والعرج ونحوها ، ولهذا بدأ به ، ما هو عارض  
بسبب مرض عن له في يده ، شغله عن الخروج في سبيل الله ، أو بسبب فقره لا يقدر على التجهز للحرب ، فليس  
على هؤلاء حرج إذا فعلوا ونصحوا في حال قعودهم ، ولم يرجعوا بالناس ، ولم يُبْتَغَظْهُمْ ، وهم يحسنون حالهم  
هذا ، ولهذا قال : ( ما على المحسنين من سبيل ، والله غفور رحيم ) .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي ثمانية رضى الله عنه قال : قال الحواريون يا روح الله ،  
أعجبنا عن الناصب لله ؟ قال : الذى يؤثر حق الله على حق الناس ، وإذا حدث له أمراك - أو - بدلا له أمر الدنيا  
وأمر الآخرة - بدأ باللى للآخرة ثم تفرغ لللى الدنيا .

وقال الأوزاعي : خرج الناس للاستسقاء ، فقام فيهم بلال بن سعد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا معشر من  
حضر ، السهم مقربين بالإسالة ؟ قالوا : اللهم نعم . فقال : اللهم إنا نسمعك تقول ( ما على المحسنين من سبيل ) ، اللهم ذلك  
أقرربنا بالإسالة فاقض لنا وارحمنا واسقنا ووقع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٠٧٣ : ١٤ ٪ ٤٦٩ .

(٢) المرجع السابق ، الأثر ١٧٠٧٦ : ١٤ ٪ ٤١٨ .

(٣) المرجع السابق ، الأثر ١٧٠٧٧ : ١٤ ٪ ٤١٨ .

وقال كاتبة : تركت هذه الآية في حاشي بن عمرو المزني :

[وقال] ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، حدثنا ابن جابر ، عن ابن فروة ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتبُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أكتبُ براءة ، فإنني لو اضيعُ القلم على أذنِ إذ أمرتُ بالقتال ، فبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ما يترك عليه ، إذ جاء أعمى فقال : كيف يدعى رسول الله وأنا أعمى ؟ فأنزل الله ( ليس على الضعفاء ) ولا على المرضى ) ، الآية .

وقال العوفي ، عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يتبعوا غازيهم معه ، فجماعه عصابة من أصحابه ، فيهم عبد الله بن مسعود المزني (١) ، فقالوا : يا رسول الله ، احملنا ، فقال لهم : والله لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا ولم يكاء ، وعز عليهم أن يخلصوا عن الجهاد ، ولا يحملون نفقة ولا حملا ، فلما رأى الله حرصهم على عيته وعبدة رسول الله أنزل عظمى في كتابه ، فقال : ( ليس على الضعفاء ولا على المرضى ، ولا على الذين لا يحملون ما يفتقرون حرج ) إلى قوله تعالى : ( فهم لا يملكون ) (٢) .

وقال عبيد بن قريظ : ( ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ) نزلت في بني مسعود من مزينة (٣) .

وقال محمد بن كعب : كانوا سبعة نفر ، من بني عمرو بن حوف : سالم بن حبيب (٤) - ومن بني واقف : هرمي (٥) - ابن عمرو - ومن بني مزنة بن النجار : عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا ليلى - ومن بني المصطلق : [ سليمان بن صخر - ومن بني حارثة : عبد الرحمن بن يزيد ، أبو حيلة ، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه (٦) ] - ومن بني سميكة : عمرو ابن هنسة (٧) ، وحده الله بين عمرو المزني (٨) .

(١) في غطوطة الأثر وخطوطة الهاء : ١٠ تفسير : عبد الله بن معقل بن مقرن المزني ، وهو ما تباين يروي عن علي وابن مسعود . والمثبت من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ٢٩ : ٦٧٠٨٠ - ١٦٠٨٣ : ١٤ § ٤٢٩ : ٤٢٢ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ٢٩ : ١٦٠٨٠ - ١٦٠٨٣ : ١٤ § ٤٢٩ : ٤٢٢ .

(٤) في الخطوطة : سالم بن حوف . والمثبت من تفسير الطبري ، وأسد الغابة . الترجمة ١٨٩٩ : ١٩٠٤ : ٢٢ / ٣١٠ ، ٣١١ . ويقال له أيضا : سالم بن عمرو .

(٥) في الخطوطة : هرمي . بالخاء . وكان مثله في غطوطة الطبري . والطبقات السابقة . والمثبت من أسد الغابة : ٢ / ٥٧٠ .

وهرمي بن عمرو ، هكذا في الخطوطة ، وتفسير الطبري ، والذي في الإصابة : هرمي بن عبد الله . وفي الإصابة وأسد الغابة تتلوا من أبي حرمي بن عبد البر : أنه من بني عمرو بن حوف ، فلعل صواب اسمه : هرمي بن [ عبد الله بن أبي ] عمرو . فثبت ما بين القريظين المتخوفين ، فاستمع هرمي بن عمرو . ولم نجد خلافا في نسبة سوى ما سألته ابن الأثير في أسد الغابة من ابن ماكولا أنه قال : وقيل له : هرمي بن مغبة ، وعليه فيجوز أن يكون هرمي بن مغبة من مغبة ، والله أعلم .

هذا ، والله وود في سورة ابن هشام ٢ / ٥١٨ : هرمي بن عبد الله .

(٦) ما بين القريظين المتخوفين من تفسير الطبري . ومكانه في الخطوطة : فضل الله .

(٧) في تفسير الطبري : هنسة . بالتثنية . والمثبت من الخطوطة ، ويقول الحافظ في الإصابة : الترجمة ٩٢٢ : ٢ / ٩ .

هزيمة - وفوق مفقوتين .

(٨) تفسير الطبري : الأثر ٢٩ : ١٦٠٨٨ - ١٦٠٨٣ : ١٤ § ٤٢٣ . وينبغي أن تشير هنا إلى أنه وقع خلاف كبير في تسمية الكهاتين .

ومن يفتح الهاء الألف في أسد الغابة عهدته لله جل هذا .

وقال محمد بن إسحاق في ميثاق خزوة تبوك : « ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم اليكادون ، وهمبيعة نفر من الأنصار وغيرهم ، من بني عمرو بن عوف : سالم ابن عُسَير ، وعليه بن زيد أنصاري حارة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، أنصاري ملازن بن التجار ، وعمر بن الحسام بن الجموح ، أنصاري سكة ، وعبد الله بن الفضل المزني ، وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني ، وهشام بن عبد الله ، أنصاري واقف ، وهشام بن (١) بن سارية القناري ، فاستحملوا رسول (٢) الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون (٣) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن الأودي ، حدثنا وكيع ، عن الربيع ، عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد خلفتم بالمدينة أقواما ، ما أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم واديا ، ولا ظم من عدو نبلا إلا وقد شركوكم في الأجر ، ثم قرأ : ( ولا حل الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت : لا أجد ما أحملكم عليه ) الآية » .

وأصل هذا الحديث في الصحيحين من حديث [أنس] (٤) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بالمدينة أقواما ما قطعتم واديا ، ولا سرتهم إلا وهم معكم . قالوا : وهم بالمدينة ؟ قال : نعم حسبهم العدو (٥) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد خلفتم بالمدينة رجلا ، ما قطعتم واديا ، ولا سلكتهم طريقا إلا شركوكم في الأجر ، حسبهم المرض (٦) » ، ورواه مسلم ، وابن ماجة ، من طرق ، عن الأعمش ، به (٧) .

ثم رد تعالى الملائة على الذين يستأذنون في القعود وهم أغنياء ، وأنبئهم في رضاهم بأن يكونوا مع النساء الخوالف في الرجال ، ( وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ) :

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لِيْ أَتُؤْمِنُ كَلِمَةً تَبَيَّنَّا أَنَّ اللَّهَ مِنْ خُبْرِكُمْ وَسَيَرُّ اللَّهُ عَنْكُمْ رَسُولَهُ ثُمَّ تَذَرُونَ لِكُلِّ عِلْمٍ غَيْبٍ وَالشَّهَادَةُ بَيْنَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أُنْظِرْتُمْ إِلَيْهِمْ لَيُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَيُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرَضَا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢﴾

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم ، ( قل [ لا تعتذروا ] لأن يؤمن لكم ) ، أي :

(١) في الخطوط : « وهشام » . والخط من سورة ابن هشام ، وأسه القنابة : الترجمة ٣٦٢٤ : ٤ / ١٩ .

(٢) أي : طلبوا منه ما يحملهم عليه .

(٣) سورة ابن هشام : ٢ / ١٨ .

(٤) ما بين التوسمين مكانه بياض في الخطوط . والمنبت من البتاري ، والذي أماننا في صحيح مسلم من رواية جابر : ينظر كتاب الإمارة ، باب : ثواب من حبه عن التزمر مرض أو طرد : ٦ / ٤٩ .

(٥) البتاري ، كتاب الجهاد ، باب : مع حبه الدار من الغزو : ٤ / ٣١ . وآخر كتاب المغازي : ٦ / ١٩ : ١٠ .

(٦) صفة الإمام أحمد : ٣ / ٣٠٠ .

(٧) سبق تفريجه حديث مسلم . والحديث في سنن ابن ماجه . كتاب الجهاد ، باب : من حبه للدين من الجهاد : الحديث

لن تصدقكم ، ( قد لبأنا الله من أعشاركم ) ، أى : قد أعلمنا الله أسراركم ، ( وسرى الله عليكم ورسوله ) ، أى : سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا ، ( ثم تدعون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ) ، أى : فيخبركم بأعمالكم ، خيرها وشرها ، ويخبركم عليها :

ثم أخبر عنهم أنهم سيحلفون معتدون ليعرضوا عنهم فلا تحسبوهم ، ( فأعرضوا عنهم ) ، احتقارهم ، ( إنهم رجس ) ، أى : عيباء نجس يواصلهم واعتقاد أنهم ، ( وماؤهم ) في آخرتهم ( جهنم ) ، ( جزاء بما كانوا يكسبون ) ، أى : من الآثام والخطايا . وأخبر أنهم وإن رضوا عنهم يحلفهم لهم ، ( فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ) ، أى : الخارجين عن طاعته وطاعة رسوله ، فإن الفسق هو الخروج ، ومنه سميت الفارة : فؤيقة : لخروجها من جحرها للإفساد ، ويقال : فسقت الرطة : إذا خرجت من أكمامها :

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ . وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾  
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَخُذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُرِّ الدَّوَاءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ الْعَذَابِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴿١٨﴾  
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَقُولُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ مَنُفِقٌ يَخُذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عَلَيْهِ وَاللَّهُ وَصَلَتْ أَسْوَاقُ الْأَعْرَابِ لِيُخَبِّرَهُمْ  
بِمَا كَفَرُوا بِاللَّهِ فِي وَحْشِهِ . إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾

أخبر تعالى أن في الأعراب كفارا منافقين ومومنين ، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من كفرهم وأشد ، وأجدر ، أى : أحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، كما قال الأعشى عن إبراهيم قال : « جالس أعرابي إلى زيد بن صوحان وهو يحدث أصحابه وكانت يده قد أصيبت يوم نأوتد ، فقال الأعرابي : والله إن حديثك ليمجني ، وإن يدك لتزيبنيش » فقال زيد : ما يزييلك من يدي ؟ إنها الشيا . فقال الأعرابي : والله ما أدري ، البئس يقطعون أو الشيا ؟ فقال زيد بن صوحان : صدق الله : ( الأعراب أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ) (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن أبي موسى ، عن وهيب بن مثنبه ، عن أبي هباص : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من سكن البادية جفا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى السلطان أفتن » (٢) ، ورواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي من طرق ، عن سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : « حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث الثوري » (٣) .

ولما كانت الغلظة والجهالة في أهل البوادي لم يصف الله منهم رسولا ، وإنما كانت البعثة من أهل القرى ، كما قال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى ) (٤) ، ولما أهدى ذلك الأعرابي ، تلك الهدية لرسول

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٦٤٩٧ : ١٥ ٪ ٤٢٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١ : ٣٥٧ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الصيد ، باب : « في اتباع الصيد » ، الحديث ٢٨٥٩ : ٣ ٪ ١١٩ وتحفة الأحرف : أبو هباص ، الحديث ٣٣٥٧ : ٦ ٪ ٥٣٢ : ٢٣٣ . والنسائي : كتاب الصيد ، باب : « اتباع الصيد » ، ٧ ٪ ١٩٥ : ١٩٦ .

(٥) سورة يوسف : آية ١٤٩ .

الله صلى الله عليه وسلم فرد؟ عليه أخصافها حتى رضى ، قال : « قد حسنت أن لا أقبل حلبة إلا من قريش ، أو ثقيف أو أنصاري ، أو دؤسي » (١) ؛ لأن هؤلاء كانوا يسكنون للند : مكة ، والطائف ، والمدينة ، واليمن ، فهم أطقت اخلافاً من الأعراب : لا في طبايح الأعراب من البقاء .

حديث [ الأعرابي ] (٢) في تقبيل الولد ، قال مسلم : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالوا : حدثنا أبو أسامة وابن شمر ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أن يكون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . قالوا : لكتا والله ما نتقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأمثلك أن كان الله يزع منكم الرحمة ؟ - وقال ابن عمر : من قلبك الرحمة (٣) .

وقوله : ( والله علم حكيم ) أى : علم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم ، ( حكيم ) فيما قسم بين عباده من العلم والجهل والإيمان والكفر والفاق ، لا يسأل عما يفعل ، لعلمه وحكمته ،

وأخبر تعالى أن منهم ( من يتخذ ما يفتى ) ، أى : فى سبيل الله ( مغرماً ) أى : حرماً وخسارة ، ( ويتربص بهم الدوائر ) ، أى : ينتظر بهم الحوادث والآفات ، ( عليهم دائرة السوء ) ، أى : هى منكمسة عليهم والسوء دائرة عليهم ، ( والله صبيح عالم ) ، أى : صبيح لعماده ، علم بمن يستحق النصر ممن يستحق الخللان .

وقوله : ( ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما يفتى قريبات عند الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم ) ؛ هذا هو القسم للممدوح من الأعراب ، وهم الذين يتخذون ما يفتون فى سبيل الله قربة يتقربون بها عند الله ، ويتقربون بالله دعاء الرسول لهم ، ( ألا إنها قربة لهم ) ، أى : ألا إن ذلك حاصل لهم ، ( سيدخلهم الله فى رحمته ، إن الله غفور رحيم ) .

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَلْفَ لَهُمْ جَنَّتْ الْجَنَّتِ تَحْتَهُ مِنَ الْأَنْهَارِ عُثُلُكٌ لَهَا أُنْدَادُ ذَلِكَ الْعُثُكُ الْعَظِيمُ ﴿٥﴾

غير تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ورضاهم عنه بما أمد لهم من جنات النعيم ، والنعيم للقيم .

قال الشعبي : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان علم الحسنية (٤) .

(١) التفسير ، كتاب العمى ، باب : حلية المرأة بغير إذن زوجها ، ٦ : ٢٨٠ . ومسته الإمام أحمد عن ابن عباس :

٢٩٥ .

(٢) ما بين التوسمين المقربين ساقط من خطوط الأثر ، أتجناه عن الطبقات السابقة ، وهو حديث مسلم كله . وكان فى هذه الطبقات : « قال حديث مسلم » لفظنا كلمة « حديث » .

(٣) مسلم ، كتاب النكاح ، باب : رحمة صلى الله عليه وسلم للصبيان والعمال ، وتواضعه وقبول ذلك ، ٦ : ٢٦٠ . ومعنى : « وأمثلك » أى : أو أمثلك ؟ هل الاستفهام الذى يقصد به النفى ، أى : لا أمثلك أن أدفع ما ثبت فى قلوبكم ، وما لعمرك الله عليكم . ورواية البخارى فى كتاب الأدب ، باب : رحمة الولد وتقبيله ومعاقبته ، ٨ : ٩٠ . أو أمثلك أن أدفع الله من قلبك الرحمة ؟ . وهى أوضح .

(٤) يظهر تفسير الطبرى : ١٨ : ٤٣٥ .

وقال أبو موسى الأشعري ، وسعيد بن المسيب ، ومحمد بن سيرين ، والحسن ، وقادة ، هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

وقال محمد بن كعب القرظي : «مرَّ عمر بن الخطاب برجل يقرأ : ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ) ، فأخذ عمر بيده فقال : من أقرأك هذا ؟ فقال : أبي بن كعب . فقال : لا تغارني حتى أذهب بك إليه ؟ فلما جاءه قال عمر : أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا ؟ قال : نعم ، قال : وسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قال : لقد كنت أرى أنا وقتنا رغبة لا يبلغها أحد بعدنا ، فقال أبي : تصديق هذه الآية في أول سورة الجمعة : ( وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ) ، وفي سورة الحشر : ( والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقوا بالإيمان ) ( والذين آمنوا وهاجروا وجاهلوا معهم فأولئك منكم ) ( إلى آخر ، الآية (رواه ابن جرير (٢) ، قال : «وذكر من الحسن البصري أنه كان يقرأها برفع ( الأنصار ) عطفًا على ( السابقون الأولون ) (٣) »

فقد أعجب الله العظيم أنه قد رضى عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باسنان ، فيأول من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سبهم بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم ، أحنى الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبى بكر بن أبي قحافة ، رضى الله عنه ، فإن الطائفة المخلوطة من الرافضة يهاذون أفضل الصحابة ويُبغضونهم ويَسبُّونهم ، هيذا باقة من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسيئون من رضى الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فاتهم بترغيب عن رضى الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويرأون من يوالى الله ، ويمادون من يهادى الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتنون ولا يتدنون ولهذا هم حزب الله المفلحون وحياده المؤمنون :

وَمِنْ حِزْبِكَ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنَاقِبَةٌ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خَمِنَ تَعْلَمُهُمْ سَعِيدٌ بِهِمْ  
مَرْتَبَتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ (٤)

يُفَسِّرُ تعالى رسوله صكوات الله وسلامه عليه — أن في أحياء العرب ممن حول المدينة مناقبون ، وفي أهل المدينة أيضا مناقبون (مرَدُّوا على النفاق) ، أى : «مرلوا واستمروا عليه ، ومنه يقال : «شيطان مريد ومارد» ، ويقال : «نمره فلان على الله» أى هنا ونجس» .

وقوله : ( لا تعلمهم نحن نعلمهم ) ، لا ينافى قوله تعالى : ( ولو نشاء لأريناكم فلتعرفنهم بعلامهم ، ولتعرفنهم في الحن القرون ) (٥) الآية ، لأن هذا من باب التوسيم فيهم بصفات يعرفون بها ، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التبعيه ، وقد كان يعلم أن في بعض من يخاطبه من أهل المدينة نفاقاً ، وإن كان يراه صهاً ومساءً ، وشاهد هذا بالصحة ما رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قاله :

(١) المربع بالسنة ١٤ : ٤٣٦ : ٤٣٧ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧١١٧ : ١٤ : ٤٣٨ .

(٣) تفسير الطبري ، ١٤ : ٥٢٩ .

(٤) سورة هود : آية ٥٥ .



حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، عن رجل ، عن جبر بن مطعم وضع الله حة قال قلت : يا رسول الله ، إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة ، فقال : تأييدكم لجزركم ولو كنتم في جحر ثعلبية ، وأصغى (١) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم برأسه فقال : إن في أصغى مناقبين .

ومناه أنه قد يروح بعض المناقب والمرجعية من الكلام عالا صحة له ، ومن مثله صدق هذا الكلام لقلبي صمعه جبر ابن مطعم ، وتقدم في تفسير قوله : ( وهوا ما لم يتألفوا ) أنه عليه السلام أعلم حكمة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر مناقباً ، وهذا تخصيص لا يقتضي أنه أطلع على أسماهم وأعيانهم كلهم ، والله أعلم .

وروى الحافظ ابن حساكر في ترجمة «أبي عمر البزوف» من طريق هشام بن حمر : حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا ابن جابر ، حدثني شيخ ببزوف بكى بأبهر ، أنه حدثني عن أبي البرداء ، أن رجلاً قال له : حرمة ، «أبي النبي صلى الله عليه وسلم» فقال : «الإيمان ما هنا - وأشار بيده إلى لسانه - والفاق ما هنا - وأشار بيده إلى قلبه ولم يذكر الله إلا قليلا» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم أجبل له لساناً ذا كرا ، وقلبا ذا كرا ، وأرزقه حيين ، وحيه من يميني ، وصبر أمره إلى غير ، فقال : يا رسول الله ، إنه كان لي أصحبه من المناقب وكنت رأساً عليهم ، ألا أتيتهم ؟ قال : من أئانا استغفرا له ، ومن أسر على دينه فأنه أولى به . ولا تخرقن - على أحد سراً .

قال : وكذا رواه أبو أحمد الحاكم ، عن أبي بكر الباقضي ، عن هشام بن حمر ، به .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حله الآية أنه قال : ما يك أنوام يكتلون علم الناس ؟ فلا في اللجنة وفلان في النار ، فإذا سألت أحدهم عن نفسه قال : لأدري ، أستمري أنت بنفسك (٢) أعلم منك بأحوال الناس ، ولقد تكلفت شيئاً ما تكلفه الأنبياء قبلك ، قال بين الله نوح ، (وما على بما كانوا يعملون) ، وقال بين الله شبيب ، (يتبئ الله خبير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بخفيث) ، وقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : (لا أعلمهم نعم لصلوبهم) (٣) .

وقال الهادي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس في حله الآية قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال : أخرج بالان ، فإلك مناق ، وأخرج بالان فإلك مناق ، فأخرج من المسجد ثلثاً منهم ، فقصهم فجاءهم وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياد أنه لم يشهد الجمعة ، وظن أن الناس قد الصرخوا ، وانجأوا هم من هر ، غنوا أنه قد علم بأمرهم ، فجاءهم فدخل المسجد فإذا الناس لم يصلوا ، فقال له رجل من الصليين : أبشر [ بأمر] ، قد ففصح الله للمناقبين اليوم ، قال ابن عباس : فهنا الملبأ الأول حين أخرجهم من المسجد ، والملبأ الثاني حبابه القبر (٤) .

(١) بين : مال إليه برأسه .

(٢) في الصلوة : «بتصديق» ، والثلث من تفسير الطبري ، ولقد للتور ٢٢١ و ٢٢٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٣١٢١ : ١٤ / ٤٤١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧١٢٢ : ١٤ و ١٤٦ و ٤٤٢ .

وكما قال الثوري ، من السلي ، من أني مالك شو هذا .

وقال حماد بن قزوه : ( سئلهم عن رجل ) ، يعني : القتل والسياء ، وقال - في رواية - بالجمع ، وعذاب القبر ، ثم يردون إلى عذاب عظيم<sup>(١)</sup> .

وقال ابن جرّوج : غلب الدنيا ، وغلب القبر ، ثم يردون إلى غلب النار (٢) ،

وقال الحسن البصري : حذاب في الدنيا ، وحذاب في القبر (٢) ،

وقال عبد الرحمن بن زيد : أما غلب في الدنيا فالأموال والأولاد ، وقرأ قول الله : ( فلا تصحبك أموالهم ولا أولادهم ، إنما يريد الله ليصيبهم بها في الحياة الدنيا ) ، فهذه المصائب هم غلب ، وهي للمؤمنين أجر ، وغلب في الآخرة في النار — ( ثم يردون إلى غلب عظيم ) ، قال : ( النار : ٤ ) .

وقال محمد بن إسحاق (١) : (سئلهم مرتين) ، قال : هو - فيا بلقي - ما هم ؟ (٢) فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيث ذلك على غير حجة ، ثم عليهم في القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه ، طاب الآخرة والخلد فيه (٣) .

وقال سعيد ، عن قتادة بن قولة ( «سئلهم مرتين : « حباب الدنيا ، وحباب الآخرة ، ( ثم يردون إلى حباب حطيم ) ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر إلى حليفة بأبني عشر رجلا من المنافقين ، قال : « ستة منهم تكفيكم لذية » سراج من نار جهنم ، يأخذ في كسف أحدهم حتى يفيض إلى صده ، وستة يموتون موتاً » وذكر لنا أن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات رجل من يرقى أنه منهم ، نظر إلى حليفة ، فإن صلى عليه وإلا تركه . وذكر لنا عمر قال حلال حليفة ، أنشدك بالله ، لمنهم أنا ؟ قال : لا ، ولا أومن منها أحداً بحدك (٢) .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٦٦

لَا يَتَّبِعُ تَعَالَى حَالُ الْمُنَافِقِينَ الْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْفِرَّةِ رَغْبَةً مِنْهَا وَكَرْهًا وَشُكًا ۖ شَرَعَ فِي يَأْنَ حَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَلَاوَعُوا مِنَ الْجِهَادِ كَسَالًا وَمِيلًا إِلَى الرَّاحَةِ ۖ مَعَ أَتَائِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ بِالْحَقِّ ۚ قَالَ : ( وَأَعْرَضُوا عَنْقُوا يُلَاقِيهِمْ ) ۚ أَيْ : أَتَوْا بِهَا وَأَعْرَضُوا فَوَاقِيَهُمْ وَبَيْنَ رِيَّتِهِمْ ۚ وَلَهُمْ أَصْدَالُ أَنْتَرٍ صَالِحَةٍ ۚ خَطَلُوا هَلْهَ جَلَّكَ ۚ فَيُؤَلِّدُ تَحْتَهُ حُفْلًا لَقَدْ وَغَّرَ اللَّهُ ۚ

(۱) تفسیر الطبری ۳: ۱۱۴ ج ۲، ۲۲۷.

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٧١٢٢ : ١٤ / ٤٤٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧١٣١ : ١٤ / ٤٤٣ .

(٤) تقرير الطبري ، الأثر ١٧١٤٣ : ١٤ / ٤٤٤ .

(هـ) لفظ الطيرين : هـ هـ ظهرهما فيه : هـ هـ

(٦) قسمة الطرية : ١٩١٢ : ١٢ = ١٥٩ ر ٤

(v) قسم الطوارئ - الأثر: ١٧١٢٠ + ١٤ / ٤٨٢ =

وهذه الآية - وإن كانت أولت في أناس معينين - إلا أنها عامة في كل الملل والاطلاق المطلق المطلق.

وقد قال مجاهد : إنها نزلت في أبي ثبابة لما قال لبي قريظة : « إنه الذئب » ، وأشار بيده إلى حلقه (١) .

وقال ابن عباس : ( وآخرون ) ، نزلت في أبي ثبابة وجماعة من أصحابه ، تخلفوا عن غزوة بؤك ، فقال بعضهم : أيرلابة وخسة معه ، وقيل : وسمة معه ، وقيل : وتسمة معه ، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة ، ربطوا أنفسهم بسوارى المسجد ، وحلقوا لأجلهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أترك الله هذه الآية : ( وآخرون ) اعترفوا ببلوهم ) ، أطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وحقق عنهم :

وقال البخاري : حدثنا مؤمل بن هشام ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عوف ، حدثنا أبرجاء ، حدثنا مسمر : ابن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا : « أتأخذ الليلة آتيان فابتمنا فانتبنا إلى مدينة مينة بئير ذهب ولين فضة ، فلقنا رجال شطرو من خلقهم كالحسين ما أنت راء ، وشر كاقبح ما أنت راء ، قالوا : هم ، اذهبوا ففعلوا في ذلك النهر فوقوا فيه ، ثم رجوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا في أحسن صورة ، قالوا : في هذه جنة عدن ، وهذا مترك » قالوا : أما القوم الذين كانوا شطرو منهم حسرت شطر منهم قبيح ، فأنهم خلطوا حملا صالحا وآخر سيئا ، فتجاوز الله عنهم (٢) .

هكذا رواه ضمرأ ، في تفسير هذه الآية .

خَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْنَا إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لِمَنْ رَأَى اللَّهُ يُبَيِّعُ عَلَيْنَا (٣)  
يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِي هُوَ لَقَوْلِهِ لِرَحِيمٍ (٤)

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم ويذكرهم بها ، وهذا عام وإن أضاف بعضهم الضمير في « أموالهم » إلى « الذين اعترفوا ببلوهم وخلطوا حملا صالحا وآخر سيئا » ، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون ، وإنما كان هذا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا احتجوا بقوله تعالى : ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ويذكرهم بها وصل عليهم ، إن صلاتك سكن لهم ) ، وقد رده عليهم هذا التأويل والقهم الفاسد الصديق أبي بكر وسائر الصحابة ، وقاتلهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة ، كما كانوا يؤذونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قال الصديق : والله لومتوني عقالا (٥) - وفي رواية : حنقنا (٦) يؤذونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكلتهم على منته (٧)

(١) ينظر تفسير الطبري : ١٤ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢) البخاري : تفسير سورة براءة : ٦ ، ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) العقاب ، يكرس اللين : ما يشد به ظلف الجير بأمره حال يروكه : حتى لا يقوم بفردة .

(٤) المنافق ، يفتح العين : الأثني من ولد للمز .

(٥) البخاري : كتاب الاحتصام ، باب : الاقتداء بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ١١٠ ، ١١١ ، وسلم : كتاب

الإيمان ، باب : الأمر بقتال الناس حتى يقتلوا ، لا إله إلا الله عهد رسول الله : ١٠ ، ٣٨ .

وقوله : (وصل عليهم) ، أى : ادع لهم واستغفر لهم ، كما رواه سلمى صحيحه ، عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم سكن عليهم ، فأتاه أبو بصرة فقال : « اللهم سكن على آل أبي أوفى » (١) وفي الحديث الآخر أن امرأة قالت : يا رسول الله ، « سكن على » وعلى زوجي ، فقال : « صلى الله عليك ، وعلى زوجك » (٢) :

وقوله : (إن سكناك) ، قرأ بعضهم : (سكنائك) على الجمع ، وآخرون قرأوا : (إن سلكك) على الأفراد (سكن لهم) ، قال ابن عباس : رحمة لهم . وقال قتادة : وقار .

وقوله : (والله سميع) ، أى : لهما لك (عليه) ، أى : بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له . قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا أبو المُنْصَرِّف ، عن أبي بكر بن عمرو بن حبة ، عن ابن الحليفة ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا لرجل أصابته ، وأصابته ولده ، وولد ولده (٣) .

ثم رواه عن أبي نعيم ، عن مسهر ، عن أبي بكر بن عمرو بن حبة ، عن ابن الحليفة - قال مسهر : ولد ذكره مرة عن حليفة - : إن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم تُسَلِّكُ الرجل وولده وولد ولده (٤) .

وقوله : (لَمْ يَلْمُوا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) : هذا تنبيه إلى التوبة والصدقة اللتين كل منهما حِطُّ النَّوَصِيَّةِ وَمَحْضُهَا وَمَحْضُهَا :

وأشهر تعالى أن كل من تاب إليه تاب عليه ، ومن تصدق بصدقة من كسب حلال فإن الله تعالى يقبلها يمينه فيريها لصاحبها ، حتى تصير المدة مثل أحد . كما جاء بذلك الحديث ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما قال الثوري وكيع ، كلاهما عن عباد بن منصور ، عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها يمينه فيريها لأحدكم ، كما يري أحدكم مهره ، حتى إن القمعة لتصير مثل أحد » وتصدق ذلك في كتاب الله عز وجل : « وهو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » (٥) و(يحقق الله الرِّبَا ويربي الصدقات) (٦) :

وقال الثوري والأعمش كلاهما ، عن عبد الله بن السائب ، عن عبد الله بن أبي قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل . ثم قرأ هذه الآية : (لَمْ يَلْمُوا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) (٧) .

(١) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « الدعاء لمن أتى بصدقة » ٣ / ١٢١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب « الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم » ، الحديث ١٥٢٣ / ٢ ، ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ٥ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ٥ / ٤٠٠ .

(٥) - كما « وليست آية » ، ويظهر تفسير الطبري ، وتعليق الأستاذ محمود شاكر .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٧١٦٨ ، ١٧١٦٩ / ١٤ ، ٤٦١ . ويظهر الأحاديث الواردة في ذلك عند الآية ٢٧٦ من

سورة البقرة : ١ / ٤٨٧ - ٤٨٩ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٧١٦٤ ، ١٧١٦٦ / ١٤ ، ٤٦٠ .





وكان هذا الناس قد حفر حفائر فيها بين الصنم ، فوقع في إصباحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصيب ذنبه  
 أيمن ، فصرخ في وجهه وكسرت ريأعيثته أيمن السمل، وشج رأسه .. صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبوهم في  
 أول المبارزة إلى قومه من الأنصار ، فخطبهم واستألفهم إلى نصره ومواقفته : فلما عرفوا كلامه قاروا : « لا أنهم نته بئس  
 جينا يافاسق ياهدو الله » ، وقالوا منه وسبوه : فرجع وهو يقول : « والله لقد أصاب قوى بعدي شر » ، وكان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل غزاه ، وقرأ عليه من القرآن ، فأنى أن يسلم وتعمد ، فدعا عليه رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أن يموت بعيداً طريداً ، فثالثه هذه الدعوة : فذلك أنه لما قرخ الناس من أحد ، ورأى أمر الرسول صلواته  
 الله وسلامه عليه في (١) ارتقاع وظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده  
 ومناه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل التفاف والريبه يعلمهم ويصليهم أنه سيقدم بجيش  
 يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده مما هو فيه ، وأمرهم أن يتخلوا له مسقلا يقدم عليهم فيه من يقدم  
 من عنده لأحد كشيء ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه  
 وأحكموه ، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، وجاءوا فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أن يأتى إليهم فيصلى في مسجدهم ، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تفريره وإلثامه ، وذكروا أنهم إذا بنوه للضعفة  
 منهم وأهل اللثة في الليلة الثانية ، فقصصه الله من الصلاة فيه فقال : « إنا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » فلما  
 فعل عليه السلام راجعاً إلى المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي بحجر مسجد  
 الضرار ، وما اعتمد به يأنوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء ، الذي أسس من أول  
 يوم على التقوى : فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من حكمه قبل مقدمه للمدينة ، كما قال صلى الله  
 عليه وسلم : « إنا نلجأ إلى الله » (والذين اتخلوا مسجداً ضراراً) : وهم أناس من الأنصار ، ابتنوا مسجداً ، فقال  
 لهم أبو عامر : « ابنوا مسجداً واستعملوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فأني بجند  
 من الروم وأخرج عمداً وأصحابه » فلما فرغوا من مسجدهم ، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : « قد فرغنا من  
 بناء مسجدنا ، فحبب أن تصلى فيه وتدعو لنا بالبركة : فأنزل الله عز وجل : ( لا تقم فيه أبداً المسجد أسس على التقوى  
 من أول يوم ) إلى ( والله لا يجدي القوم الظالمين ) :

وكذا روى من سيد بن جبير ، ومجاهد ، وهروة بن الزبير ، وقتادة وغير واحد من العلماء

وقال محمد بن إسحاق بن يسار ، عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن حنظل  
 قتادة وغيرهم ، قالوا : أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى من تبوك - حتى نزل بذي أوان - بلد بينه وبين  
 للمدينة ساحة من نهار - وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا  
 قد بنينا مسجداً لليلة الطيرة واليلة الشامية ، وإنا نحب أن تأتينا فنصلى - لنا فيه : فقال : « إني على  
 جناح سفر وحال شغل - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولو قد قمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم  
 فيه . فلما نزل بذي أوان أتاه خير المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن

(١) لفظ المخطوطة : « ورأى أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه كلما له في ارتقاع وظهور » وللفظ غير مستقيم .

عوف ، ومن بن عدى - أو : أعناه عامر بن عدى - أما : بلعجلان فقال : « اطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهل ، فاحدماه وحرماه : فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رطط مالك بن النختم ، فقال مالك لمن : أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهل : فدخل أهل فأخذ سمكا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتد أن حتى دخلا المسجد وفيه أهل ، فحرماه وحرماه وتفرقا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : (والذين اغتلبوا مسجدنا ضرارا وكفرا) . إلى آخر القصة . وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بني عبّيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق - ونعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد - ومعتب بن قشير ، من ضبيعة بن زيد - وأبو حبيبة بن الأزهر ، من بني ضبيعة بن زيد - وعبيد بن حنيفة ، أخو سهل بن حنيفة ، من بني عمرو بن عوف - وجارية بن عامر ، وابناه : مجسج بن جارية ، وزيد بن جارية - ولتبشّل الحارث ، وهم من بني ضبيعة - وبنو جارية بن بني ضبيعة - وعبد بن عثمان وهو من بني ضبيعة - وودعة بن ثابت ، وهو إلى بني أمية (١) رطط أي نهاية بن عبد المنذر »

وقوله ( وليحلفن ) ، أي : الذين بنوه ( إن أردنا إلا الحسنى ) ، أي : ما أردناه ببنايته إلا خيرا ورفقا بالناس ، قال الله تعالى : ( والله يشهد إنهم لكاذبون ) ، أي : فيما قصدوا وفيما تنوّوا ، وإنما بنوه ضرارا لمسجد قباء ، وكفرا بالله ، وتفرقا بين المؤمنين ، وإرسادا لمن حارب الله ورسوله ، وهو أبو عامر القاسق ، الذي يقال له : الزاهد ؛ لعنه الله وقوله ( لا تقيم فيه أبدا ) ، نهي من الله لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ، والأمة تبع له في ذلك ، من أن يقوم فيه ، أي : يصلي فيه أبدا »

ثم حث على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى ، وهي طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وجمعا لكلمة المؤمنين ومعتلا وموتلا للإسلام وأهله : ولهذا قال تعالى : ( لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحسن أن تقوم فيه ) ، والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة في مسجد قباء كعمرة (٢) » : وفي الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء راكباً ومشياً (٣) ، وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بناه وأسس أول قنومه وزلوه على بني عمرو ابن عوف ، كان جبريل هو الذي حثّ له جهة القبلة ، فالله أعلم »

(١) ما بين القوسين المعرفين سقط من مخطوطة الأزهر ، وقد أثبتناه من نسخة ابن هشام ٢٧٠ ٥٣٠ ، وتفسير الطبري : الأثر ١٧١٨٦ / ١٤ / ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة ، باب « ما جاء في الصلاة في مسجد قباء » ، الحديث ١٤١١ : ٤٢٢/١ من أسيد بن ظهير الأتصاري .

(٣) مسلم كتاب الحج ، باب « فضل مسجد قباء » ، وفضل الصلاة فيه : ١٢٧/٤ ، ومسنن الإمام أحمد من ابن عمر :



وقال أبو داود : حدثنا محمد بن الملاء ، حدثنا ميناوية بن هشام ، عن يونس بن الحارث ، عن إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نزلت هذه الآية في أهل قباء : ( فيه رجال يحبون أن يطهروا ) » قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم الآية (١) : »

ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث يونس بن الحارث ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : « وفيه من هذا الوجه (٢) » . وقال الطبراني : حدثنا الحسن بن حل للمعمرى حدثنا محمد بن حميد الرزقي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ابن إسحاق ، عن الأعشى ، عن حماد ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يطهروا » ، بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حوْزم بن ساعدة فقال : ما هذا الطهور الذي أتى الله عليكم ؟ فقال : يا رسول الله ، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال : مقمطه - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هو هذا . وقال الإمام أحمد : حدثنا حُسَيْن بن محمد ، حدثنا أبو أُويس ، حدثنا شرحبيل ، عن حوْزم بن ساعدة الأنصاري : أنه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء ، فقال : « إن الله تعالى قد أحسن [ عليكم التناءة ] في الطهور في قصة مسجدكم ، فإِذَا هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ قالوا : والله - يا رسول الله - ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود ، فكانوا يفسلون أدبارهم من الغائط ، ففصلنا كما فسلوا (٣) » .

ورواه ابن عثْمَرَة في صحيحه :

وقال هشيم ، عن عبد الحميد المنفي ، عن إبراهيم بن إسحاق (٤) الأنصاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحوْزم بن ساعدة : ما هذا الذي أتى الله عليكم ؟ ( فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين ) ؟ قالوا : يا رسول الله ، إذا غسل الأديار بالماء (٥) :

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن صُفارة الأسدي ، حدثنا محمد بن سعد (٦) ، حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل ابن سعد قال : سمعت عثْمَرَة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية : « فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين » ، قال : كانوا يفسلون أدبارهم من الغائط (٧) :

حديث آخر ، قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مالك - يعني ابن مَعْوَل - سمعت سياراً (٨) أبا الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد الله بن سلام قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعني

(١) سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب « في الاستنجاء بالماء » الحديث ٤٤٨ / ١١٧٩ .

(٢) تحفة الأوسى ، تفسير سورة التوبة ، الحديث ٥٠٩٨ : ٥٠٣ / ٨ . وابن ماجه ، كتاب الطهارة ، باب « الاستنجاء بالماء » ، الحديث ٣٥٧ : ١٢٨ / ١ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤٢٢ / ٣ .

(٤) في المخطوطة : « إبراهيم بن لعل الأنصاري » . ولم نجده . والتثبت من تفسير الطبري .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٩ : ١٤ / ٤٨٧ .

(٦) في تفسير الطبري : « إبراهيم بن سبه » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٢ : ١٤ / ٤٨٧ .

(٨) في المتن : « يسار » . وهو خطأ ، ينظر الخلاصة .

له، فقال: «إن الله عز وجل قد أتى عليكم من الطهور خيراً، أفلا تجربونه؟» - يعني قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) والله عهد الطهرين، فقالوا: يا رسول الله، إنا نجد مكتوباً علينا في التوراة الاستنجاء بالماء (١) وقد صرح بأنه مسجد بناء جماعة من السلف، ورواه علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، وقاله عطية المقوق، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وأشعبي، وإسحق البصري، وثقة الباقين عن سعيد بن جبير، وثقة:

وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو في جوف المدينة ، هو المسجد الذي أسس على التقوى ، وهذا صحيح ، ولا منافاة بين الآية وبين هذا ، لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى مع أول يوم ، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : حدثنا أبو ثعلبة ، حدثنا عبد الله بن حامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي الأس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المسجد أسس على التقوى مسجدى هذا (٢) » ، فترد به أحمد

حديث آخر ، قال الإمام أحمد - حدثنا وكيع ، حدثنا ديمية بن عثمان التيمي ، عن عمر بن أبي أسيد ، عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد للناس أسنس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : هو مسجد نبياء ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فسالاه ، فقال : هو مسجدى هذان ، فرد به أحمد أيضاً .

حدیث آخر ، قال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا لیث ، عن عمران بن أبی الأس ، عن معبد بن أبی معبد  
البلعری رضي الله عنه قال : سمی رجلاً فی المسجد الذی أسس علی القری ، فقال أحدنا : هو مسجد قباء ، وقال  
الآخر : هو مسجد النبی صلی الله علیه وسلم ، فقال النبی صلی الله علیه وسلم : هو مسجدی لهذا (۴) ۛ

تقریر بہ احمد :

طريق أخرى ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث ، حدثني عمران بن أبي أمان ، عن أبي  
 أبي سعيد ، عن أبيه أنه قال : تخارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد  
 نبياء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو مسجدى (١) .  
 وكذا رواه الترمذى (٢) ، والنسائى عن ثنية ، عن أبي الليث ، وصححه الترمذى ، ورواه مسلم كما سيأتي .

(١) محبة الإمام أحمد . ٦ ٥ ٦ .

(٢) مجلة الإمام أحمد : ١ / ١١٦

(۳) مستند الإمام أحمد : ۳۳۱ / ۵

(٤) مستند الإمام أحمد : ٨٩ / ٢

•  $\forall \beta \in \mathbb{R} : \text{الإمام أحمد} (\bullet)$

(٦) تحفة الأسوقى ، تفسير سورة التوبة ، الطبع ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م ، ٤٠٧ ص .

طريق أخرى ، قال أحمد : حدثنا يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان : رجل من بني غنْدَرَة ، ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الصمري : هو مسجد قباء ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك ، فقال : هو هذا المسجد - لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : في ذلك [ خير كثير ] ، يعني مسجد قباء (١) .

طريق أخرى ، قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد - حدثنا حميد الطرمي اللذي سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد قلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال لي : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أين المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصاه ف ضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هنا ، ثم قال : [ فقلت له : هكذا ] [ سمعت أباك (٢) يذكره ؟ ]

رواه مسلم متروفاً به عن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، به : ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن حاتم بن إسحاق ، عن حميد الطرمي ، به (٣) :

وقد قال بأنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف ، وهو مروى عن عمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب . واختاره ابن جرير ، ونوله : [ المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحسن أن تقوم فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين ] ، دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له ، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين ، والعباد العاملين المخلصين على إسباغ الوضوء ، والتمسك من ملابس الطائورات :

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمر ، سمعت شيباً أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ بهم الروم فأوهم ، فلما انصرف قال : إنه يلبس علينا القرآن ، إن أروا منكم يعملون معنا لا يحسنون الوضوء ، فن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء (٤) :

ثم رواه من طريقين آخرين ، عن عبد الملك بن عمر ، عن شيبان أبي روح من نفي الكلاخ : أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ... فذكره (٥) . فقل هنا على [ أن ] [ إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ، ويمين على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها :

(١) مسند الإمام أحمد ٢٢/٣ . وما بين القوسين حته .

(٢) ما بين القوسين عن تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٠٦ : ١٤ / ٤٧٧ .

(٤) مسلم ، كتاب الحج ، فضل المساجد الثلاثة : ٩ / ١٦٨ ، ١٦٩ شرح لثعوي .

(٥) مسند الإمام أحمد ٢٢ / ٤٧١ ، ٤٧٢ .

وقال أبو العالية في قوله تعالى : ( والله يحب المطهرين ) : إن الطهور بالماء الحسن ، ولكنهم المطهرون من اللبوس .

وقال الأعمش : الثوب من اللب ، والتطهير من الشرك .

وقد ورد في الحديث المروي من طرق ، في السلق وغيرها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء : قد أتى الله عليكم في الطهور ، فإذا تصفون ! فقالوا : نستحي بالماء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد الله بن شبيب ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال : وجده في كتاب أبي ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء ، ( فيه رجال يبرون أن يطهروا ، والله يحب المطهرين ) ، فسألم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا نضع الحجارة الماء .

ثم قال : فرده به محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، ولم يروه عنه سوى ابنه .

قلت : وإنما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء ، ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين ، أو كلهم ، والله أعلم .

أَفَنُؤَسِسُ بَنِيئَهُمْ عَلَى تَقْوَىٰ مِنْ أَنَّهُ وَيَسْئَلُونَ خَيْرُ أَمِّ مَنْ أَسَسَ بَنِيئَهُ عَلَىٰ شَفَا جَرْفٍ هَارٍ فَانْتَابِرَتْ  
فِي تِلْكَ جِهَتِهِمْ وَأَنَّهُ لَا يَجِدُ الْقَوْمَ لِلْغُلَبِ ۖ لَا يَزَالُ يَمْنَحُهُمُ الْبَيْعُ حَتَّىٰ يَدْرِي فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْلَعُ  
قُلُوبُهُمْ وَأَنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝

يقول تعالى : لا يستوي من أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، ومن بني مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين ، وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وإنما بني هؤلاء بنيانهم ( على شفا جرف هار ) ، أي : طرف كثيرة مائل ( في تلك جهتهم ) لأنه لا يجد القوم للغلبة ، أي : لا يصلح حمل المسلمين .

قال جابر بن عبد الله : رأيت المسجد الذي بني ضراروا يخرج منه النخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال ابن جرير : ذكر لنا أن رجلا حفرها فوجدوا النخان يخرج منه (٢) ، وكذا قال قتادة :

وقال خلف بن يسير للكني : رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله تعالى في القرآن ، وفيه جعر يخرج منه النخان ، وهو اليوم مؤنثة ، رواه ابن جرير رحمه الله (٣) .

وقوله ( لا يزال يمينهم التي بنوا رية في قلوبهم ) ، أي : شكافا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع ، أوردتهم فكانا في قلوبهم ، كما أشرب حابلوا للمحل حبه .

(١) تفسير البكري ، الأثر ١٧٢٤٨ : ١٤ / ٤٩٣ .

(٢) تفسير البكري ، الأثر ١٧٢٤٧ : ١٤ / ٤٩٣ .

(٣) تفسير البكري ، الأثر ١٧٢٥٠ : ١٤ / ٤٩٤ .

وقوله : (إِلَّا أَنْ تَقْلَعَ قُلُوبُهُمْ) ، أى : عجزهم - قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، والسدى ، وحبيب بن أبى ثابت ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغير واحد من علماء السلف .  
(والله علم) ، أى : بأعمال خلقه ، (حكيم) ، فى مجازاتهم عنها ، من غير شر .

• **إِنْ أَشْرَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ تُبَدِّلَ سَبِيلَ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**  
**وَعَدَا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي الثَّوَرَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ**  
**بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَرْصُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾**

يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بدلوها فى سبيله بالجنة ، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما يفضل به على عباده المطيعين له ، ولهذا قال الحسن البصرى وقتادة : بايعهم والله فأغل ثمنهم :

وقال شمر بن عطية : ما من مسلم إلا وثق من وجب فى حنكته بيعة ، وفى بها أو مات عليها ، ثم تلا هذه الآية (١) .  
ولهذا يقال : من حمل فى سبيل الله بايع الله ، أى : قبل هذا القصد وفى به .

وقال محمد بن كعب القرظى وغيره : قال عبد الله بن ربيعة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى ليلة العقبة : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : اشترط لربى أن تبذلوه ولا تشركوا به شيئا ، واشترط لنفسى أن تمنعنى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم ، قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال : الجنة ، قالوا : وبيع البيع ، لا لتفعل ولا لتستفيل (٢) ، فنزلت : (إِنْ أَشْرَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) ۖ الآية (٣) .

وقوله : (يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ) ، أى : سواء قتلوا [ أو قُتِلُوا ] ، أو اجتمع لهم هذا وهذا ، فقد وجبت لهم الجنة . ولهذا جاء فى الصحيحين : « وتكفل الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرج به إلا جهاد فى سبيل » ، وتصدق برسلى ، بأن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه ، فإلا ما نال من أجر أو غنمة (٤) .  
وقوله : (وعدا عليه حقا فى الثوراة والإنجيل والقرآن) تأكيد لهذا الوعد ، وإخباراً بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة ، وأثّر على رسله فى كتبه الكبار ، وهى الثوراة المتركة على موسى ، والإنجيل المتروك على عيسى ، والقرآن المتروك على محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٢٦٦ : ٤٩٩/١٤ .

(٢) الإقالة : فسح البيع ، يقال : تقابل البيعان ، إذا فسحا البيع . وعاد البيع إلى مالكه والثن إلى المشتري . وتكرره الإقالة فى البيع والمهاد ، و « استغفاله » ، طلب إليه أن يغفله .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٢٧٠ : ٤٩٩/١٤ .

(٤) البخارى ، كتاب الجهاد ، باب قول النبى : « أسألتكم لفتننا » : ١٠٤/٤ . وصلى « كتاب الإمامة » ، باب « فضل الجهاد والغزو » فى سبيل الله : ٢٢/٦ .

وقوله : ( ومن لوق بهمه من الله ) ، فإنه لا يخلّف الجهاد ، ولهذا كثر له تعالى : ( ومن أصدق من الله حديثاً ) ، ( ومن أصدق من الله قيلاً ) ، ولهذا قال : ( فاستبشروا بيمينكم الذي يابئكم به وذلك هو الفوز العظيم ) ، أى : فليستبشروا من قام بمقتضى هذا المقدور وفى هذا العهد ، بالفوز العظيم ، والتميم المقيم :

اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يَدْعُوهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١) اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يَدْعُوهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٢) اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يَدْعُوهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٣) اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ بِمَا يَدْعُوهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤)

هذا نصّ المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة : ( الثابون ) من الذنوب كلها ، الثابرون للفواحش ، ( العابدون ) ، أى : الثابون بعبادة ربهم عافقين عليها ، وهى الأقوال والأفعال فمن أخصّ الأقوال الحمد ، فلها قال : ( الحامدون ) ، ومن أفضل الأعمال الصيام ، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع ، وهو المراد بالسباحة هاهنا ، ولهذا قال : ( السابحون ) ، كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فى قوله تعالى : ( ساجدات ) (١) ، أى : صائمات ، وكلنا الركوع والسجود ، وهما حجارة من الصلاة ، ولهذا قال : ( الراكعون الساجدون ) ، وهم مع ذلك يتبعون خلق الله ، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه ، وهو حفظ حدود الله فى تحليته وتحريره ، علماً وعملًا ، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ، ولهذا قال : ( ويؤتى المؤمنين ) ، لأن الإيمان يشمل هذا كله ، والسعادة كل السعادة لأن انصف به .

### [ بيان أن المراد بالسباحة الصيام ]

قال سفيان الثوري ، عن حاصم ، عن زيد ، عن عبد الله بن مسعود قال : ( السابحون ) الصائمون (٢) : وكلما روى عن سعيد بن جبّير ، والعرقي عن ابن عباس :

وقال حلى بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : كل ما ذكر الله فى القرآن السباحة ، هم الصائمون (٣) . وكلما قال الضحاك رحمه الله :

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إبراهيم بن يزيد ، عن الوليد بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت : سبّحتُ هذه الأمة الصيام (٤) :

وهكذا قال جاهد ، وسعيد بن جبّير ، وعطاء ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والضحاك بن مزاحم ، وسفيان ابن عيينة وغيرهم : أن المراد بالسابحين الصائمون :

وقال الحسن البصري : ( السابحون ) الصائمون شهر رمضان :

(١) سورة القصص ، آية ٥٥ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٢٨٩ ، ١٥ / ٢٠٠٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٠١ ، ١٥ / ٢٠٠٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣١٣ ، ١٥ / ٢٠٠٥ ، ٥٠٦ .







وقال أبو هريرة التيمي : ( الساعون ) الذين يدعون الصيام من المؤمنين .

وقد ورد في حديث مرفوع نحو هذا ، وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عبد الله بن بريح ، حدثنا حكيم بن حزام ، حدثنا سليمان ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الساعون هم الصائمون (١) » وهذا الموقوف أصح .

وقال أيضا : حدثني يونس ، عن ابن وهب ، عن عمر بن الخطاب ، عن عمرو بن دينار ، عن صبيد بن هبيرة قال : مثل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعين فقال : « هم الصائمون (٢) » .

وهذا مرسل جيد .

فهذه أصبح الأقوال وأشهرها ، وجاء ما يدل على أن السباحة الجهاد ، وهو ما روى أبو داود في مسنده ، من حديث أبي أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله ، أئتنى في السباحة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سباحة أمي الجهاد في سبيل الله (٣) » .

وقال ابن المبارك ، عن ابن لهيعة : أخبرني حمارة بن خزيمة : أن السباحة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبلتنا الله ببلاتك الجهاد في سبيل الله ، والتكبر على كل شرف » .

وعن حكمة أنه قال : « هم طلبة العلم » وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « هم المهاجرون » ورواه ابن أبي حاتم .

وليس المراد من السباحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السباحة في الأرض ، والتفرد في شواطئ الجبال والكهوف والبراري ، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام القسطنطين والزلزال في النين ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غُصَم يَتَّبِعُ بها شَعَبُ الجبال » ومواقع القسطنطين ، يقر به من القسطنطين (٤) .

وقال العوفي وحمل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ( والحافظون لحُدود الله ) ، قال : القائمون بطاعة الله . وكذا قال الحسن البصري ، عنه رواية : ( الحافظون لحُدود الله ) ، قال : لفراس الله ، وفي رواية : القائمون على أمر الله .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٢٨٧ = ١٤ / ٥٠٣ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٢٨٦ = ١٤ / ٥٠٢ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب : « القسطنطين » .

(٤) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : « من الذين القراس قسطنطين » ، ١٠ / ١١ . وكتاب القسطنطين ، باب : « مصر » - أي القسطنطين .

مع الأعراب - في القسطنطين - ٩ / ٦٦ . و« قسطنطين » - راسخا قسطنطين ، ومع : أهل الجبل .

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا ۚ وَمَا كَانَ لِمَنْ يُشْرِكُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِلَّا عَنْ مَوَدَّةٍ وَعَدَوَاتٍ بَيْنَهُمْ وَلَهُمْ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ تَرَاهُمْ ۖ إِنَّ زَيْدَ اللَّهِ لَكَلِمَةٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبيه قال : لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاة ، دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : أَيُّ هَـم ؟ قل : « لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ قال : فلم يزالا يكلانه حتى قال آخر شيء كلمهم به : هل ملة عبد المطلب [ (١) ] فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أَلَهُـ هـك : فقلت : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ) ، قال : وولدت فيه ( إنك لا تهدي من ) (٢) أحببت ) ، أخرجه (٣) . وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ، أخبرنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الخليل ، عن من علي رضي الله عنه قال : سمعت رجلا يستغفر لأبويه ، وهما مشركان ، فقلت : أيستغفر الرجل لأبويه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ) إلى قوله : ( فلنبيئن له آله حدوثة ) ، قال : « لا مات » ، فلا أدري قاله سفيان أو قاله إسرائيل ، أو هو في الحديث وما مات (٤) .

قلت هذا ثابت عن مجاهد أنه قال : لا مات (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا زيد بن الحارث الباهي ، عن مهاجر بن دثار ، عن ابن بريدة ، عن أبيه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فتل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب ، فصل ركعتين ، ثم أقبل علينا بوجهه وحيثما تكدّر لسان فقام إليه عمر بن الخطاب وقدها بالأب والأم ، وقال : يا رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت ربي عز وجل في الاستغفار لأمتي ، فلم يأذن لي ، فلدعت عييتي رحمة لها من النار ، وإني كنت نبيكم عن ثلاث : نبيكم عن زيارة القبور فزوروها ، لتذكركم زيارتها خيرا . ونبيكم عن طوم الأضاحي بعد ثلاث ، فكلوا وأمسكوا ماشتم . ونبيكم عن الأشربة في الأوعية ، فاشربوا في أي وعاء ولا تشربوا مسكرا . (٦) .

(١) ما بين القوسين سبعة من خطوطة الأزهري ، والثلث عن مسند الإمام أحمد .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٥/٣٣٠ .

(٣) البغاري ، تفسير سورة التوبة : ٨٧/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « أول الإيمان قول لا إله إلا الله » : ٤٠/١٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٩٩/١ . وقوله : « فلا أدري قاله سفيان ... » إلخ ، يعني أن يحيى بن آدم فلك في لفظ « لا مات » أخر من أصل الحديث من كلام علي ، أم هو بيان من سفيان الثوري ، أم من إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي . ويظهر من هذا أن يحيى بن آدم سمعه أيضا من إسرائيل بن جده أبي إسحاق ، ينظر مسند الإمام أحمد ، ط حار المعارف : ١١٦/٢ .

(٥) تفسير البغاري ، الأثر : ١٧٢٤٧ : ١٤/١٩٩٠ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٣٥٥/٥ .

وروى ابن جرير ، من حديث حلقة بن مَرْكَد ، عن سليمان بن يَرْبُدة ، عن أبيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رَسَمَ قبر ، فجلس إليه ، فجلس مخاطباً ، ثم قام مستعبراً ، فقلنا : يا رسول الله ، إنا رأينا ما صنعتك (١) . قال : إني استأذنت ربِّي في زيارة قبر أبي ، فأذن لي ، واستأذنته في الاستغفار لما ظلم بأذن لي : فأرؤي باكية أكرم من يومظرك . وقال ابن أبي حاتم ، في تفسيره : حدثنا أبي ، حدثنا خالد بن خنّاش ، حدثنا عبد الله بن وهب ، عن ابن جرير ، عن أيوب بن حنّان ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً إلى المقابر ، فاتبعناه ، فجاء حتى جلس إلى قبر منها ، فأتاه طويلاً ثم بكى فبكينا [ليكاته] ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب ، فدعاه ثم دعانا ، فقال : ما أبكاكم ؟ قلنا : بكينا ليكاته ؛ قال : إن القبر الذي جلستُ عليه قبر أمّك ، وإني استأذنتُ ربِّي في زيارتها فأذن لي ، [ثم أوردته من وجه آخر ، ثم ذكر من حديث ابن مسعود قريباً منه ، وفيه] : وإني استأذنتُ ربِّي في الدعاء لما ظلم بأذن لي ، وأتوك حلّي ( ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى توبى ) ، فأخذه ما يعجز الولدُ لهواله ، وكنت نيتكم من زيارة القبور فزوروها ، فلما تذكر الآخرة (٢) ،

حديث آخر في معناه ، قال الطبراني : حدثنا محمد بن حلّ المروزي ، حدثنا أبو النرداء عبد العزيز بن منبج ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى قبر هزوة تبرك واعتبر ، فلما هبط من نية حُصَافان أمر أصحابه : أن استملوا إلى القبة حتى أرجع إليكم ، فذهب فترك حلّي قبر أمّه ، فأتى قبره طويلاً ، ثم إنه بكى فاشتد بكاءه ، وبكى هوّلاً ليكاته ، وقالوا : ما بكى نبي الله جلّالاً للمكان إلا وقد أحلّت في أمّه شيء لا تُطيقه : فلما بكى هوّلاً قام فرجع إليهم ، فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : يا نبي الله ، بكينا ليكاته ، قلنا : لعله أحدث في أمّك شيء لا تُطيقه ، قال : لا ، وقد كان بعضه ، ولكن نزلت حلّي قبر أبي فدعوت الله أن يأذن لي في شفاعتها يوم القيامة ، فأبى الله أن يأذن لي ، فرحمتها وهي أمّي ، فبكيت ، ثم جئتُ جبريل فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا من موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ) ، فترأّأت من أمك ، كما تبرأ إبراهيم من أبيه ، فرحمتها وهي أُمّي ، ودعوت ربّي أن يرفع عن أمّي أريعاً ، فرفع عنهم اثنين ، وأبى أن يرفع عنهم اثنين : دعوت ربّي أن يرفع عنهم الرجم من السماء والفرق من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيئا ، وأن لا يليق بعضهم بأمر بعض ، فرفع الله عنهم الرجم من السماء ، والفرق من الأرض ، وأبى الله أن يرفع عنهم القتل والحرج ، وإنما حدث لي قبر أمّه لأنها كانت مدفونة تحت كبدك ، وكانت حُصَافان لهم (٣) .

وهذا حديث غريب وسياق عجيب ، وأغرب منه وأشدّ تذكّاراً ما رواه الخطيب البغدادي في كتابه : السابق واللاحق

(١) في تفسير الطبري : وإنا رأينا . وما أئبته من خطورة الأثر . ورواه الشيخ فريزيه : جيله شاكا .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٧٣٣٠ : ١٢/١٤ .

(٣) الأثر في القدر المنثور عن ابن أبي حاتم ، والطحاكي ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل ٢٨٣/٣ : ٢٨٤ .

(٤) الأثر في القدر المنثور عن الطبراني وابن مردويه : ٢٨٣/٤ .

يسند مجهول ، من عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فأمنت ثم حادت . وكذلك ما رواه السهيلي في (الروض) ، يسند فيه جماعة مجهولون : أن الله أحيا له أبياء وأمه ، فأنتا به (١)

وقد قال الحافظ ابن دحية : (٢) [ هذا الحديث موضع يرده القرآن والإجماع ، قال الله تعالى : ( ولا الذين يموتون وهم كفار ) . وقال أبو عبد الله القرطبي : إن مقتضى هذا الحديث ... ورد حكي ابن دحية (٣) في هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة ، كما رجحت الشمس بعد غروبها فبقي حكي العصر ، قال الطحاوي : وهو ثابت ، يعني حديث الشمس

قال القرطبي : ليس إحيائها بمنع عقلا ولا شرعا ، قال : وقد سمعت أن الله أحيا أمه أبا طالب ، فأمن به قلت : وهذا كله متوقف على صحة الحديث ، فإذا صح فلا مانع منه ، والله أعلم .

وقال الموق ، من ابن عباس في قوله : ( ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ) الآية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يستغفر لأمه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : «فإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه ، فأئزل الله : ( وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا من موعدة وعدها إياه ) : (٤) الآية وقال هل من أبي طلحة ، من ابن عباس ، في هذه الآية : كانوا يستغفرون لهم ، حتى تزلت هذه الآية ، فلما [ تزلت أسكروا عن الاستغفار لأموالهم ، ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ] ، (٥) ثم أئزل الله : ( وما كان استغفار إبراهيم لأبيه ) : (٥) الآية

وقال قتادة في هذه الآية : ذكر لنا أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : ياني الله ، إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويؤتي المائت ، ويؤتي باللمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل ، والله إنني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه . فأئزل الله : ( ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا

(١) الروض الأثنت السهيلي : ١١٣/١ ، ولفظ السهيلي : « وروى حديث غريب لعله أن يصح ، وحديثه ينطج جعله أبي عمران [ كلما ] أحمد بن أبي الحسن القاضي رحمه الله يسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب التلخيص من كتاب معوية ابن داود بن معوية الزاهد ، يرفعه إلى أبي الزناد ، من حرو ، من عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأحيهما له ، وأبنا ، ثم أماتهما الله . والله قادر على كل شيء ، وليس تميز رحمة وقدرته من شيء ، وفيه عليه السلام أمل أن يحييه بما شاء من فضل ، ويمن عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم . ثم ذكر السهيلي ما رواه الخطيب في كتابه « المائق واللائق » .

هذا وقد قسم السهيلي هذا الحديث بالتصنيف ، فيما به ، عند ذكر وفاة أبي طالب ، ينظر الروض : ٢٠٩/١ .

(٢) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجليل بن دحية الكلبي الأندلسي ، المتوفى سنة ٩٣٣ ، تلمذ لسهيل وروى عنه ، ودخل القاهرة ، وله في الكامل دار الحديث الكلامية ، وجملة تصنيفها : ينظر فيفة الوعاة للسيوطي : ٢١٨/٢ .

(٣) ما بين القوسين المتوسمين مستقل من خطورة الأثر ، أثبتته من الطبقات السابقة . وقول ابن دحية ذكره القرطبي في كتابه « التذكرة في أسرار الموق وأمور الآخرة » : ١٥ . وتصور رد أبي عبد الله القرطبي به أن ذكر كلام ابن دحية : « ذكره الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية ، وفيه نظر » وذلك أن فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوال وتتابع إلى حين حياته ، فيكون هذا ما فعله الله تعالى وأكرمه به ، وليس إحياءها وإزالتها بمنع عقلا ولا شرعا . ثم ذكر إحياءه قبل بلز إسرائيل ، وإخباره من قتاله ، وذكر أيضا حديث الشمس .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣١ : ١٧٢/١٤ .

(٥) ما بين القوسين مستقل من خطورة الأثر ، أثبتته من تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٢ : ١٧٣/١٤ .

للمشركين) ، حتى بلغ : (البحيم) ، ثم حذر الله تعالى إبراهيم ، فقال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا من موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قال : (وذكر لنا أن نبي الله قال : «أوحى إلي آيات ، فدخلن في أفني ووقرن في قلبي : أمرت أن لا استغفر لمن مات مشركا ، ومن أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن أمسك فهو شر له ، ولا يلم الله على كفارة» (١) )

وقال الثوري ، عن الشيباني ، عن سميد بن جبير قال : مات رجل يهودي وله ابن مسلم ، فلم يخرج معه ، فذكر ذلك لابن عباس فقال : فكان ينبغي له أن يعيش معه ويشفه ، ويهدو له بالصالح ما دام حيا ، فإذا مات وكتبه إلى شانه ، ثم قال : (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا من موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) ، لم يدع (٢) وهذا يشهد له بالصحة ما رواه أبو داود وغيره ، عن علي بن أبي طالب قال : لما مات أبو طالب قلت : يا رسول الله ، إن علك الشيخ الضبال قد مات . قال : اذهب فواره ولا تحدثن شيئا حتى تأتي . وذكر تمام الحديث (٣) .

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مرت به جنازة عمه أبي طالب قال : وصلى عليه وحسب بأهم .

وقال عطاة بن أبي رباح : ما كنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ، ولو كانت حيشية حلى من الزنا ، لأن لم أسمع الله حبيب الصلاة إلا عن للمشركين ، يقول الله عز وجل : (ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)

وروى ابن جرير ، عن ابن وكيع ، عن أبيه ، عن عصمة بن زامل عن أبيه قال : سمعت أبا هريرة يقول : رحم الله رجلا استغفر لأبي هريرة ولأمه . قلت : ولأبيه ؟ قال : لا ، قال إن أبي مات مشركا (٤) .

وقوله : ( فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ) ، قال ابن عباس : ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه : وقع رواية : لما مات تبين له أنه عدو لله (٥) .

وكذا قال عباد ، والضحك ، وقاعدة ، وغيرهم رحمهم الله .

وقال عبيد بن عسيب ، وسميد بن جبير : إنه تبرأ منه يوم القيامة حيث يلقى أباه ، وعلى وجهه أبيه الغيرة والفتنة فيقول : يا إبراهيم ، إن كنت أعصيك وإلى اليوم لأعصيك .. فيقول : آتى ربي ، ألم تمنني أن لا تخزي يوم يبعثون ؟ فأني خزي أخزي من أبي الأبد ؟ فيقال : انظر إلى ما وراءك ، فإذا هي يديني (٦) . ملطخ ، أي : قد مسخ ضياعا (٧) ، ثم يسحب بقوامه ، ويلقى في النار .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٣ : ١٣/١٤ .  
والكشاف - يفتح الكاف - من الرزق على قدر الحاجة ، لا يفضل منه شيء ، وإذا لم يكن لمرء نسل من حاجته ، لم يلمه الله على أنه لا يعطي أحدا .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٦ : ١٤/١٤ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب الرجل يموت له قرابة مشرك ، الحديث ٣٢١٤ : ٢/٢١٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٣٩ : ١٧/١٤ .

(٥) ينظر تفسير الطبري : ١٩/١٤ .

(٦) اللطخ - بكسر اللام - ذكر الضماع . وأراد بالملطخ : التلطيخ برجعه أو بالطمس .

(٧) الضمان ، بكسر فسكون ، ذكر الضماع ، والألف : التمسح ، يفتح لضم ، ويقال للذكر أيضا : هجم .

وقوله : (إن إبراهيم لأواه حليم) ، قال سفيان الثوري وغير واحد ، من حاصم بن بداه ، من لؤز بن حَبِيث ، من عبد الله بن مسعود أنه قال : الأواه النعماء وكلنا روى من غير وجه ، عن ابن مسعود (١) .  
وقال ابن جرير : حدثني الثوري ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا عبد الحميد بن جرام ، حدثنا شهر بن حوشب ، من عبد الله بن شداد بن الحاد قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجالس قال رجل : يا رسول الله ، ما الأواه ؟ قال : للفرح ، قال : (إن إبراهيم لأواه حليم) (٢) .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن المبارك ، عن عبد الحميد بن جرام ، به ، قال : للفرح الدماء ، وقال الثوري ، من سلمة بن كهيل ، عن مسلم التميمي عن أبي العبيد بن (٣) أنه سأل ابن مسعود عن الأواه ، فقال : هو الرحيم (٤) .

وبه قال مجاهد ، وأبو مسرة مروى عن شريحيل ، والحسن البصري ، وقتادة : أنه الرحيم ، أي : بمباد الله . وقال ابن المبارك ، عن خالد ، عن حكمة ، عن ابن عباس قال : الأواه : المؤمن بلسان الحبشة . وكلنا قال العوفي ، عن ابن عباس : أنه المؤمن . وكلنا قال مجاهد ، والضحك . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الأواه : المؤمن - زاد علي بن أبي طلحة عنه : المؤمن الثواب . وقال العوفي عنه : هو المؤمن بلسان الحبشة . وكلنا قال ابن جريج : هو المؤمن بلسان الحبشة (٥) .

وقال أحمد : حدثنا موسى ، حدثنا ابن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد ، عن علي بن رياح ، عن عتبة بن هاجر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل يقال له : ذو اليجادين : : إنه أواه ، وذلك أنه رجل (٦) كثير الذكر لله في القرآن ويرفع صوته في الدعاء (٧) .  
ورواه ابن جرير (٨) .

وقال سعيد بن جبير ، والشمي : الأواه المسبوح . وقال ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : لا يحافظ على سبحة الصبح إلا أواه .

(١) ينظر تفسير الطبري : ٥٢٣/١٤ ، ٥٢٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤١٦ : ٥٢١/١٤ ، ٥٢٢ .

(٣) في غلطة الأحر : : عن أبي العسر : حذو نقط ، والمثبت من الطبري ، وأبو العبيد بن جابر : : معاوية بن مرة بن حسين السوائي الماسري الأحمي : ثقة ، كان ابن مسعود يديه ويقره : ينظر التذييل : ١٠٦/١٠ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٣٧٨/٤/٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٣٧٠ : ٥٢٤/١٤ .

(٥) ينظر حله الأثر في تفسير الطبري ، ٥٢٧/١٤ - ٥٢٩ .

(٦) لغة المسد : : وذلك أنه كان رجلا ... .

(٧) سد الإمام أحمد : ١٠٩/٤ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤١٨ : ٥٢٣/١٤ .

وقال ضَعْنِي بَيْنَ مَتْنٍ ، من ابن أبيوب : الأواه الذي إذا ذكر خطبا باصغر منها

ومن جهاده : الأواه الخفيف الوجلي ، يملك الذئب سرا ، ثم يخرجه منه سرا

• ذكر ذلك كله ابن أبي حاتم ، رحمه الله •

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا المارقي ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن الحسن بن مسلم بن عطاء :  
أن رجلا كان يكثر ذكر الله ويستحب ، فلما ذكر ذلك لثني صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه أواه • (١)

وقال أيضا حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن بيان (٢) ، حدثنا المنهال بن خليفة ، عن حجاج بن أرقط ، عن حجاج •  
عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مينا ، فقال : رحمتك الله إن كنت لأواها ؟ - يعني تكلم القرآن (٣) •  
وقال شعبة ، عن أبي يونس الباهلي قال سمعت رجلا يثبته - وكان أصله روميا ، وكان قاصيا - يحدث عن أبي هريرة •  
كان رجل يطوف بالبَيْتِ الحرام ويقول في دعائه : أَوْه ! أَوْه ! ، فلما ذكر ذلك لثني صلى الله عليه وسلم فقال : إنه أواه -  
قال : فخرجت ذات ليلة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذعن ذلك الرجل ليلا ومعه المصباح •

هذا حديث غريب رواه ابن (٤) جرير ومشاء •

وروى من كتب الأخبار أنه قال : (٥) (إن إبراهيم لأواه) ، قال : كان إذا ذكر النار قال : أَوْه من النار •

وقال ابن جرير عن ابن عباس (إن إبراهيم لأواه) ، قال : فقيه (٦) •

قال الإمام العلم أبو جعفر بن جرير : وأولى الأقوال قول من قال : إنه الدَّهَّاء وهو ، المناسب للحياتي ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر أن إبراهيم إنما استغفر لأبيه من مودة وعدها أباه ، وقد كان إبراهيم كثير الدعاء حليا عن ظلمه وأثامه مكرها ، ولهذا استغفر لأبيه مع شدة أذاه في قوله : ( أراغب أنت عن آثمي يا إبراهيم لئن لم تته لأرجنك وأهجرنك مليا ) قال سلام عليك سأستغفر لك ربّي إنه كان في حنيا ، فطمع حته مع آذاه له ، ودعا له واستغفر ، ولهذا قال تعالى :  
(إن إبراهيم لأواه حليم) (٧) •

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٠٧ : ٥٢٩/١٤ •

(٢) في الخطوط : « ابن هانئ » . والمثبت من تفسير الطبري ، وهو يحيى بن يمان السبيل ، يروي عن المنهال بن خليفة •  
وعنه أبو كريب ، التلخيص : ٣٠٦/١١ •

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٠٩ : ٥٢٩/١٤ •

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤١١ : ٥٣٠/١٤ •

(٥) في الخطوط : « يروي من كتب الأخبار أنه قال : سمعت عبد الله بن رباح الأضاري يقول : سمعت كعبا يقول : إن إبراهيم لأواه ، قال . . . » •

(٦) الأثر في تفسير الطبري برقم ١٧٤١٥ : ٥٣١/١٤ • ويروي ابن جرير عن جهاده •

(٧) تفسير الطبري ، ٥٢٧/١٤ •

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا يَهْتَدُونَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَسِيرَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَكُم مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٦﴾

يقول تعالى خبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل : إنه لا يضل قوماً بعد بلاغ الرسالة إليهم ، حتى يكونوا قد قاموا عليهم الحجة ، كما قال تعالى ( وأما ثمود فهلمناهم فلما استجبوا لعلي الهدي ) الآية .

وقال ابن جرير : وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ) ، قال : بيان الله عز وجل [ للمؤمنين ] في الاستغفار للمشركين خاصة ، وفي بيانه طاعته ومعصيته عامة ، فافعلوا أو ذروا (١) :

وقال ابن جرير : يقول الله تعالى : وما كان الله ليقتضي عليكم في استغفاركم لولا تكم للمشركين بالفضل بعد إذ رزقكم الهداية ووفقكم للإيمان به وبرسوله ، حتى يقدم إليكم بالنهي عنه فتتركوا (٢) ، فأما قيل أن يبين لكم كراهيته ذلك بالنهي عنه ، ثم تصدوا شبه إلى ما نهاكم عنه ، فإنه لا يحكم عليكم بالفضل ، فإن الطاعة والمصية إنما يكونان من المأمور والنهي ، وأما من لم يؤمر ولم ينه فغير كائن مطيعاً أو حاصياً فيها لم يؤمر به ولم ينه عنه (٣) .

وقوله : (إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ، وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) ، قال ابن جرير : هذا تحريض (٤) من الله لعباده المؤمنين في قتال المشركين وملوك الكفر ، وأن يقضوا بتصر الله ملك السموات والأرض ، ولا يرهبوا من أعدائه ، فإنه لا ولي لهم من دون الله ، ولا نصير لهم سواه :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) عن عطاء ، حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن صفوان بن عرز ، عن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه إذ قال لهم : هل تسعون ما أسمع ؟ قالوا مانع من شيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأسمع (\*) أطيع الساء وما تلام أن تنكح ، وما فيها من موضع شبر إلا وعليه مالك ساجد أو قائم .

وقال كعب الأحبار ، مامن موضع خرمة ليرة من الأرض إلا وملك موكل بها ، يرفع علم ذلك إلى الله ، وإن ملائكة الساء لأكثر من عدد الأرباب ، وإن حملة العرش مابين كعب أحدهم إلى منته مسرة مائة عام .

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ قَوْمٍ مِن بَنِي نَسِيتُمْ مِمَّن تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَرَوْنَكُمْ كَمَا رَأَوْفَ رَحِيمٍ ﴿١٧﴾

قال مجاهد وخبر واحد : نزلت هذه الآية في غزوة تبوك ، وذلك أنهم خرجوا إليها في شدة من الأمر في سنة مسجدية ، وحر شديد ، وحر من الزاد والماء :

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٧٤١٩ : ١٤/٣٧ .

(٢) لفظ الطبري : فتتركوا الانتباه عنه .

(٣) تفسير الطبري : ١٤/٣٦ .

(٤) لفظ الطبري : وهذا حصن من الله جل ثناؤه المؤمنين هل قتال كل من كفر به من الممالك ، وإقراره منه لم يجرهم .

(هـ) الألبط : صوت الرسل ، وأتينا الإبل رخصة ، والمقصود : صوت الساء .



قال قتادة : عرجوا إلى الشام عام ثوبك في لَهْيَانِ الحر ، على ما يعلم الله من الجهد ، أصابهم فيها جهد شديد ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان الثمرة بينهما ، وكان الثور يتداولون الثمرة بينهما ، بعصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم بعصها هذا ثم يشرب عليها ، فتاب الله عليهم وأقبلهم من غزوهم .  
وقال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن معبد ابن أبي هلال ، عن حبة بن أبي حبة ، عن نافع بن جبير بن مطعم ، عن عبد الله بن عباس : أنه قيل لعمر بن الخطاب في شأن العسرة ، فقال عمر بن الخطاب : هرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثوبك في قيظ شديد ، فزلنا متزلا ، فأصابنا فيه عطش ، حتى ظننا أن رقابنا مستقطع ، [ حتى إن كان الرجل ليذهب يلتبس الماء ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته مستقطع (١) ] ، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيصبر فترثه فيشربه ، ويجعل ما بيني على كبد ، فقال أبو بكر الصديق : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد حوذك في الدماء خيرا ، فادع لنا : قال : تصبه ذلك ؟ قال : نعم ! فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت السماء فأظلمت (٢) ثم سكبت ، فألوا ما معهم ، ثم ذهبتا ننظر فلم نجد ما جاوزه للسكر (٣) .

وقال ابن جرير في قوله : ( لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساحة العسرة ) ، أي : من الثقة والظهور والازد والماء ، ( من بعد ما كاد تزيغ (٤) قلوب فريق منهم ) ، أي : عن الحق ويشك في دين رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ويرتاب ، بالذي نالهم (٦) من المشقة والشدة في سفره وغزوه ، ( ثم تاب عليهم ) ، يقول : لم رزقهم الإلانة إلى وجه ، والرجوع إلى الثبات على دينه ، ( إنه بهم وحوف وحيم ) :

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَعَنُوا أَن يُسَلَّمُوا  
مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَهُهُمُ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتَوَبَّأَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله ، عن محمد بن مسلم الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائدا كعب بن بنه حين عسى - قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ثوبك ، فقال كعب بن مالك : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة غيرها قط إلا في غزوة ثوبك ، غير

(١) ما بين القوسين مقتط من المخطوطة ، أئتمناه من تفسير الطبري .

(٢) في المخطوطة : فأظلمت . والسراب من تفسير الطبري . ومعنى « فأظلمت » : أي : جاء السحاب بالظل .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٢٩ : ٤١٦/١٤ : ٥٤٢ .

(٤) كلما في مخطوطة الأثر « تزيغ » ، بكاء المتأنة من فوق . ويقول أبو حيان في البحر المحيط ١٠٩/٥ : « وترا حزنة »

وحسن « يزيغ » بالهله ... وقرأ باقي السبعة « يالاه » .

(٥) لفظ الطبري ٣٩/١٤ : « ويشك في دينه » .

(٦) أي : بسبب الذي نالهم .

أني كنت مختلف في غزاة بدر ، ولم يهاجبه أحدٌ تخلف عنها ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هرب قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عذرهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكّر في الناس منها وأشهر ، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بؤرك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدامي يريد غزوة يزوجها إلا ورى (١) بشيها ، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرة شديدة ، واستقبل سفرا بعيدا ومفازا (٢) ، واستقبل عدوا كثيرا ، فسجّلت للمسلمين أمرهم (٣) ليتأهبوا أهبة عدوهم ، فأعبرهم وجهته الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجتمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - فقال كعب : فقتل رجل يريد أن يفتيه إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم يتزل به وحى من الله عز وجل ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حيث طابت للثمار والظل ، وأنا إليها أصغر (٤) ، فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه ، وطلعت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض من جهazy شيئا ، فأقول لنفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يبادي بيني حتى شمر بالناس (٥) الجيد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم هاديا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهazy شيئا ، ولت الجهاد بعد يومين ثم ألحقه ، ففوت بعد ما فصلوا إلى الجهر ، فرجعت ولم أقض شيئا من جهazy : لم غدت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل [ ذلك ] يبادي بيني حتى أمرتوا ونفارت (٦) للغزو ، فهممت أن أرحل فأدركهم - ولت أتى فقلت - ثم لم يتقدّر ذلك لي ، فطلعت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم [ فطقت فيهم ] يحزنني أن لا أرى إلا رجلا مقموصا (٧) عليه في النفاق ، أو رجلا بمن حله رسول الله ، عز وجل ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ بؤرك ، فقال وهو جالس في القوم ببؤرك : ما فعل كعب بن مالك ؟ قال رجل من بني سكة : حسبه يا رسول الله بزّاه ، والنظر في عطفيه (٨) ، فقال له معاذ بن جبل : بشي قلت والله يا رسول الله ما حملنا عليه إلا خيرا ! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من بؤرك حضرني بشي (٩) ، فطلعت أذكر (١٠) للكذب ، وأقول : بماذا أخرج من صفته غدا ؟ أستبين على ذلك كل ذي رأى من

(١) أي سترها وكفى شيئا ، وأمرهم أنه يريد غيرها .

(٢) أي : بيرة طويلة قليلة الماء ، يثاق فيها الملاح .

(٣) لفظ المسد ، فجاء للمسلمين أمره .

(٤) أي : أسبل .

(٥) في الخطبة : حتى استمر بالناس الجيد . والمجدد من المسد ، ولفظ البخاري .

(٦) أي : فأت .

(٧) المنصوص عليه : من قولهم : غصص عليه قولاً قاله : أي : ما به ، وطمع به عليه . ويحيى : مطروفاً في دينه ، مشبها بالنفاق .

(٨) هذا كناية عن الإصباح بنفسه ، واعتباطه بحسن لباسه . والمعتان : الجانبان ، فهي تطلعت مع هذه خياله .

(٩) البش : أشد الخزن .

(١٠) لفظ المسد ، أفكر للكذاب .

أهل : لما قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلمَ قادماً ، زاح حتى لابل ، وهرفت أنه لم أبع منه (١) بنى - أبدا . فاجتمعت صفة ، وصيِّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع (٢) فيه (٣) وكعبين ، ثم جلس الناس . لما فعل ذلك جاءه المخفقون ليطفئوا يفتلونه إليه وعقود له - وكانوا بضعة وثمانين رجلا - قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حلائصهم ويستقر لهم ، ويكل سرازم إلى الله تعالى ، حتى جئت ، لما سلَّمت عليه بسم بسم للغضب ، ثم قال لي : تعال : فجلست أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما غلبك لم تلك قد اشتريت (٤) ؟ ظهرك ؟ قال قلت : يا رسول الله ، إني لو جلست عند خبرك من أهل الدنيا لرأيتك أن أخرج من منخله بغير ، قد أعليتُ جدلاً ، ولكنه والله قد علمتُ ثن حدتك اليوم حديث ككعب رضى به حتى ، ليوشكن الله بسخطك على ، ولئن حدثتك بمصدق تجدُ حكيمة فيه ، إني لأرجو أن أرب حتى (٥) ذلك [ علواً ] من الله عز وجل ، والله ما كان لي علم ، والله ما كنت قط أفرج ولا أبسر مني حتى تخلفت عنك - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هنا قد صدق ، قم حتى يقضى الله عليك : فقامت وبادرت (٦) رجلا من بني سكة واثمرو ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، وقد عجزت أن لا تكون احطوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما احط به المخفقون ، فقد كان كالكاء [ من ذلك ] استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك : قال : فوافقه ما زالوا يوترون حتى لودت أن أرجع فأكذب نفسي - قال : ثم قلت لهم : هل لي هنا مني أحد ؟ قالوا : نعم ، (٧) قية منك [ رجلا ] قالوا : وقيل لها مثل ما قيل لك : قلت : فإنها ؟ قالوا : مكررة ابن الربيع العامري ، وحلال بن أمية الوائلي : فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدلي في فيها أسوة - قال : فبعثت حين ذكروها لي - قال : ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامها - أيها الثلاثة - مع يده من تخلفته ، فاجتبت الناس وفتروا لنا ، حتى تكرر لي في نفسي الأرضي ، فإني بالارض التي كنت أموت ، فلبثت على ذلك حسين ليلة : فإما صاحبى فاستكانا وقعدا لي بينهما يكيان ، وأما أنا فكنيت أنفسي (٨) القوم وأجلستم ، فكنيت أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف بالأموال ، فلا يكلمني أحد ، وآتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فسلم ، وأقول في نفسي : حركه فففيه يرد السلام على أم لا ؟ ثم أميل قريبا منه ، وأسرله انظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى فإذا لفت نحوه أمرتني ، حتى إذا طال على ذلك من هجر المسلمين مكثت حتى تسورت (٩) حائط أبي قحافة - وهو ابن حمي ، وأحب الناس إلى - فسلمت عليه ، فوافقه ماود على السلام ، قلت له : يا أبا قحافة ، أشهدك الله : هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت : قال : فمدت فشدته [ فسكت ] فمدت فشدته [ فقال : الله ورسوله أعلم ] قال : فقامت عيناى وقوليت حتى تسورت الجدار : فيها أنى أمشي بسوق المدينة فشدته [ فقال : الله ورسوله أعلم ]

(١) لفظ المسد : « ألى أن أبصره » .

(٢) لفظ المسد : « أنه أصدر ظهرك » . ولفظ البخاري وسلم : « أنه اجتمع ظهرك » .

(٣) كلما لفظ عطوفة الأثر : « لفظ المسد : « إني لأرجو مرة مني علواً من الله تبارك وتعالى » . ولفظ البخاري

وسلم : « إني لأرجو فيه طو الله » .

(٤) لفظ المسد : « وبادرت رجلا » . ولفظ البخاري وسلم : « فقامت وتار رجلا » .

(٥) في المصطوفة : « أنه القوم » . والمكث من المسد : « والبخاري : وسلم » .

(٦) تسوده : « حله » .

إذا تَهَيَّأَ (١) من أنباط الشام ، من قَدِمَ بطعام بييمه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فلفظ " الناس يشرون له إلى " ، حتى جاء فدفع إلى كتابا من ملك حسان ، وكتبت كتابا ، فاذا فيه : « أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفلك ولم يجملك الله بدار هوان ولا مَضَيَّة ، فالحق بنا نؤاسك . قال : فقلت حين قرائتها : (٢) وهذا أيضا من البلاد . قال : فتهيمت به التورق فسجرت (٣) ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحميمين ، إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرك أن تعتزل امرأتك . قال فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربها . قال : وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك - قال فقلت لامرأتي : الحق بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر - قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له : يا رسول الله ، إن هلالا شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخمدته ؟ قال : لا ، ولكن لا يقرَّبَنَّكَ قالت : وإني والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما يزال يبيكي من لدن أن كان من امرأه ما كان إلى يومه هذا - قال : فقال لي بعض أهل : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخمدته . قال : فقلت : والله لا استأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته وأنا رجل شاب ؟ قال : فليتنا [ بعد ذلك ] عشر ليال ، فكمسَلْ لنا خمسون ليلة من حين نبي عن كلامنا - قال : ثم صليت صلاة العجرج صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا أجالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا : قد ضاقت على نفسي ، وضافت على الأرض بما رحبت ، سمعت صارخا أوفى على جبل (٤) سَكَنَ يقول بأعلى صوته ياكعب بن مالك ، أبشر . قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبوة الله علينا حين صلى العجرج ، فذهب الناس يشروننا ، وذهب قبيل صاحبي يشرون ، وركضوا إلى رجل فرسا ، وسعى ساع من أسلم وأوفى على جبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس . فلما جاعني الذي سمعت صوته يشرني ، فترعت ثوبي ، فكسوتهما إياه بشارته ، والله ما أمك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أوم (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلقي الناس فوجا فوجا يهتلون بالنبوة ، يقولون : « ليهنك نبوة (٦) الله عليك » . حتى دخلت المسجد ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إلى طلحة ابن عبيد الله يهرول ، حتى صاحني وهنَّاني ، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره - قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك . قال قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، حتى يعرف ذلك منه . فلما جلست بين

(١) التبط والأنباط والتبط : هم قدامو الحجج .

(٢) أي : الصيغة .

(٣) أي : أوقفته بالصيغة .

(٤) أي : أشرف عليه .

(٥) أي : أقصد .

(٦) في صحيح مسلم : « تهنك » . ويقال : هناء بالأمر والولاية « هنأ - يسكنون النوى - وهنأه هنة وتهنأه » إذا تلت له « لهنك » . وهذا وقد جعل ابن منظور « لهنك » دون هز من قول النابغة « وأن الصواب بالهز » أو بتشديد الهاء يقال : « لهنك » .

بديه قلت : يا رسول الله : إن من تريث أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله قال : « أسلك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال قلت : غلني أسلك سهوى الذى يجير . وقلت : يا رسول الله ، إنما تجاني الله بالصدق ، وإن من تريث أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت . قال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه (١) الله من الصدق فى الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلانى الله تعالى ، والله ما تصدقت ككبيته منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيا بى — قال : وأنزل الله تعالى : ( لقد تلبى الله حل النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم لأنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) قال كعب : فوالله ما أتم الله على من نعمة قط بعد أن هدانا للإسلام أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا نكون ككديته فأهلك كما هلك الذين كذبوه (حين كذبوه) ، فان الله تعالى قال للذين كذبوه (٢) حين أنزل الوصى شر ما قال لأحد ، قال الله تعالى : ( سيخلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أجمعين ) قال : وكذا خلعتنا — أيها الثلاثة — عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلفوا ، فبابهم واستقر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا ، حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله تعالى : ( وعلى الثلاثة الذين خلفوا ) ، وليس تخليفنا إيانا وأرجأه أمرنا الذى ذكر مما خلعتنا بتخلفنا عن الجزاء ، وإنما هو من خلف له واعتذر إليه ، فقبل منه (٣) .

هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته ، رواه أصحابنا الصحيح البخارى ومسلم من حديث أنس بن مالك (٤) .  
فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وبأيسرها ، وكلنا روى عن غير واحد من السلف فى تفسيرها ، كما رواه الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله فى قوله تعالى : ( وعلى الثلاثة الذين خلفوا ) ، قال : هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومروارة بن ربيعة وكلهم من الأنصار (٥) .

وكذا قال مجاهد ، والفسحاك ، وقاعدة ، والسدى وغير واحد — وكلهم قال : مروارة بن ربيعة .

وفى رواية من سديد بن جبر : ربيع بن مروارة .

وقال الحسن البصرى : ربيع بن مروارة ، أو : مروارة بن ربيع (٦) .

وفى رواية عن الضحاك : مروارة بن الربيع ، كما وقع فى الصحيحين ، وهو الصواب (٧) .

(١) أى : أتم عليه .

(٢) لنقل السند : وقال الذين كذبوه ، حين كذبوه شر ... »

(٣) حسنة الإمام أحمد ، ٤٥٦/٣ ، ٤٥٩ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، باب غزوة تبوك ، ٩٠٣/٦ . ومسلم : كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك .

وساقيه : ١١٢ - ١٠٨/٨ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٤٢٣ ، ١٧٤٣٤ ، ٤٤٤/١٤ .

(٦) فى المخطوطة : ربيع بن مروارة ، أو مروارة بن الربيع ، دون حله .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٤٤١ ، ٤٤٥/١٥ .

وقوله : « فاستمروا رجلين شهيدا بدوا » ، قيل : إنه خطأ من الفرغري ، فإنه لا يتركت شهادة واحد من هؤلاء الثلاثة بدوا ، والله أعلم ؛

ولا ذكر تعالى ما فرج به من هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب ، من هجر المسلمين أيام نوحا من حسين ليلة أبيهما ، وضائق عليهم أنفسهم ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت ، أى : مع سعتها ، فشدت عليهم المسالك والمناهب ، فلا يفتنون ما يصنعون ، فصبروا لأمر الله ، واستكانوا لأمر الله ، وبثروا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم ، وأنه كان من غير حذر ، فوثقوا على ذلك هذه المدة ، ثم تاب الله عليهم ، فكان حاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم ، ولهذا قال : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) ، أى : اصدقوا وألزموا الصدق تكونوا مع أهلهم وتنجوا من المهالك ويعمل لكم فرجا من أموركم ، ومخرجا ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن شقيق ، عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة » وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا (١) :

أخرجاه في الصحيحين (٢) .

وقال شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا هبيلة يحدث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : الكذب لا يصلح منه جود ولا عزل ، اقرءوا في شتم : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين ) - هكذا قرأها (٣) - ثم قال : فهل يجدون لأحد فيه رخصة (٤) ؟

وعن عبد الله بن عمر : ( اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) : مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه (٥) ، وقال الضحاك : مع أبي بكر وعمر وأصحابهما (٦) .

وقال الحسن البصري : إن أردت أن تكون مع الصادقين ، فليكن باقره في الدنيا ، والكف عن أهل الملة .

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْكُمْ مَنْ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ تَقِيَمِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا عَمَلَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَفُونَ مَوْلًى يَبْتَغِ الْكُفَارَ وَلَا يَسْأَلُونَ مِنْ مَوْلًى شَيْئًا إِلَّا كَيْبَ لِمَنْ يَدْعُ عَلَى صَلْحٍ إِنَّ اللَّهَ لَهُ بُحْبُوحُ الْأَعْمَاقِ ﴿١٥﴾

يعاتب تعالى المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، من أهل المدينة ومن سواها من أسياهم العرب ، وودعهم بأنفسهم من مواساته فيما حصل من المشقة ، فإنهم نكصوا أنفسهم من الاجر ، لأنهم ( لا يصيبهم

(١) مسند الإمام أحمد ٢/٣٨٤ .

(٢) البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ) ، وما ينشأ من الكذب : ٢٠/٨ . ومسلم ، كتاب البر ، باب : قبح الكذب وحسن الصدق وقضه : ٢٩/٨ .

(٣) أى : ( من الصادقين ) .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٥٨ : ١٤/٦٠ .

(٥) الأثر في الله للفظ من ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه : ٢٨٩/٢ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٥٧ : ١٦/٥٥٩ .

ظلمًا) - وهو : العنطش - (ولا تَصْبِّ) - وهو : التنب - (ولا ضَمَمَ) - وهي : الجماعة - (ولا يَتْلُونَ مِرْثًا) - يفيظ (الكفار) - أى : يتلون مِرْثًا يُرْهِقُ علومهم - (ولا يَنالُونَ) منه ظفرًا وخيلة عليه إلا كتب الله لهم بهم الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم ، وإنما هي ناشئة عن أنعمهم ، أعمالا صالحة ونوالها جزيلها ، (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) - كما قال تعالى : (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) ١٥

وَمَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى : ولا ينفق هؤلاء النفقة في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) - أى : قليلا ولا كثيرا - (ولا يقطعون واديا) - أى : في السير إلى الأعداء - (إلا كتب لهم) - ولم يقل هاهنا : به ؛ لأن هذه أعمال صادرة عنهم ، ولهذا قال : (ليجزىهم الله أحسن ما كانوا يعملون) ١٦

وقد حصل لأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ، ونصيب عظيم ، وذلك أنه اتفق في هذه النفقة النفقات الجليلة ، والأموال الجزيلة ، كما قاله عبد الله ابن الإمام أحمد :

حدثنا أبو موسى العنزي ، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني سفيان بن المغيرة ، حدثني الوليد بن أبي هشام ، عن فرقد بن أبي طلحة ، عن عبد الرحمن بن حنبل السلمي قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحث على جيش المسرة ، فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : على مائة بعير بأحلاسها وأتأبها (٢) : قال : ثم حث ، فقال عثمان : على مائة أخرى بأحلاسها وأتأبها . قال : ثم قول مِرْقَاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان بن عفان : على مائة أخرى بأحلاسها وأتأبها . قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا - يحركها - وأُخرج عبد الصمد بهذه كالتصويب ، ما على عثمان ما عمل بعد هذا (٣) :

وقال عبد الله أيضا : حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، حدثنا عبد الله بن شريك ، عن عبد الله ابن القاسم ، عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرّة ، عن عبد الرحمن بن سمرّة قال : جاء عثمان ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في ثوبه حين جهّز النبي صلى الله عليه وسلم جيش المسرة - قال : فصحبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يلقبها بيده ويقول : ما ضرب ابن عفان ما عمل بعد اليوم - يرددها مرارا (٤) :

وقال قتادة في قوله تعالى : (ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم) : الآية : ما ازداد قوم من أهلهم في سبيل الله بعدا إلا ازدادوا من الله قربا ٥

(١) سورة الكهف : آية ٣٥ .

(٢) أى : بأكثرها ، والأحلاس : جمع حلس ، يكسر فسكون ، وهو : الكساء الذي يلي ظهر الأمير تحت الثوب ، والثعب

يفصحن - البعير - بمثابة البردة المسار .

(٣) سنة الإمام أحمد : ٧٥/٤ .

(٤) سنة الإمام أحمد : ٩٣/٥٥ .

• **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً** فَلَوْلَا قَهْرُنَا لَكُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنفِقُوا فِي الدِّينِ وَلِيُذِلُّوهُ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٧﴾

هذا بيان من الله تعالى لما أراد من تكبير الأحياء مع الرسول في خروجه توكيداً ، فإنه قد ذهب طائفة من السلف إلى أنه كان يجب التفريق على كل مسلم إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال تعالى : ( انظروا خفافاً وثقالاً (١) ) ، وقال : ( ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ) (٢) ، قالوا : ففسخ ذلك بهذه الآية ،

وقد يقال : إن هذا بيان لمراعاة تعالى من تهم الأحياء كلها ، وشرعة من كل قبيلة إن لم يخرجوا كلهم ، ليضقه المشركون مع الرسول بما يتزل من الوحي عليه ، ويلتذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما كان من أمر العدو ، فيجتمع لهم الأمران في هذا : التفريق المبين ويهدم - صفوات الله وسلامته عليه - تكون الطائفة النافرة من الحنن إما للفضة وإما للجهاد ، فإنه فرض كفاية على الأحياء .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( وما كان المؤمنون ليضفروا كافة ) ، يقول : ما كان المؤمنون ليضفروا جميعاً ويؤفكوا النبي صلى الله عليه وسلم وحده ، ( فلولا قهر من كل فرقة منهم طائفة ) ، يعني : عصبة ، يعني السرايا ، ولا يتسبروا (٣) إلا بأذنه ، فإذا رجعت السرايا وقد أزل بعضهم قرآن تعلمه القاصدون من النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا : إن الله قد أزل على نبيكم قرآناً ، وقد تعلمناه . فتسكت السرايا بتعلموا ما أزل الله على نبيهم يعلمهم ، ويبحث سرايا أخرى ، فلذلك قوله : ( لينفقوا في الدين ) ، يقول : ليتعلموا ما أزل الله على نبيهم ، ولتعلموا السرايا إذا رجعت إليهم ( لعلمهم - يحذرون (٤) ) .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في أناس من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، خرجوا في البوادي ، فأصابوا من الناس مبروفاً ، ومن الخصب ما يتصفون به ، ودعوا من وجئوا من الناس إلى الهدى ، فقال الناس لهم : ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا . فوجدوا في أنفسهم من ذلك تحرجاً ، وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال الله عز وجل : ( فلولا قهر من كل فرقة منهم طائفة ) يتخوف الخبير ، ( لينفقوا ) وليستمعوا ما في الناس ، وما أزل الله يعلمهم ، ( وليلتذروا قومهم ) ، الناس كلهم ، ( إذا رجعوا إليهم لعلمهم يحذرون (٥) ) ،

(١) سورة التوبة : آية ٤١ .

(٢) سورة التوبة : آية ١٢١ .

(٣) في المخطوطة : ولا يسيروا . ولكتبت من تفسير الطبري

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٧١ : ١٤ / ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٦٦ : ١٤ / ٥٦٦ .



وقال قتادة في هذه الآية: هذا إذا بعث رسولك الله صلى الله عليه وسلم الجيوش، أمرهم الله أن لا يهزروا<sup>(١)</sup> بيته صلى الله عليه وسلم، وتقيم طائفة مع رسول الله لتفقه في الدين، وتطلق طائفة تدعو قومها، وتحرم وقائع الله فيمن هلا قبلهم<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا بنفسه لم يحل لأحد من المسلمين أن يضل عنه إلا أهل العذر، وكان إذا أقام فاستمرت<sup>(٣)</sup> السرايا لم يحل لم<sup>(٤)</sup> أن يتلقوا إلا بأذنه، فكان الرجل إذا أسرى فركه بعده قرآن، ثلاثة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه القاعدين منه، فإذا رجسته السرية قال لم الذين أقاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله أنزل بمذكر كل بيته قرآناً: فيقولونهم وينتهونهم في الدين، وهو قوله: (وما كان المؤمنون ليغفروا كافة) ، يقول: إذا أقام رسول الله - (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) - يعني بذلك: أنه لا ينبغي للمسلمين أن ينفروا جميعاً ولي الله صلى الله عليه وسلم قاعد، ولكن إذا قصد لهم الله تسريحه<sup>(٥)</sup> السرايا وقعه معه عظيم القاس<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن أبي عمير: أضاف الله إلى ابن عباس: قوله: (وما كان المؤمنون ليغفروا كافة) ، فأنها ليست في الجهاد، ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على منفسر بالثنتين أجدبت بلادهم، وكانت الثبيلة منهم تقبل بأسرها حتى جهلوا بالبلدية من الجهد، ويختلوا بالاسلام وهم كاذبون، فغضبوا على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم، فأنزل الله يخبر رسوله أنهم ليسوا مؤمنين، فقدم رسول الله إلى هشاشهم، وحذر قومهم أن يضلوا لعلمهم، لذلك قوله: (وليتذكروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)<sup>(٧)</sup>.

وقال العوفي: من ابن عباس في هذه الآية: كان ينطق من كل حي من العرب عصابة، فيأثر النبي صلى الله عليه وسلم، فيسأله ما يريدون من أمر دينهم، وينفقهون في دينهم، ويقولون لبي الله: ما قارنا أن نعلمه؟ وأهملنا [ما نفكر] أمشائنا إذا قلنا الطلقت إليهم فاك، فيأمرهم لبي الله بطلاعة الله وطاعة رسوله، ويوجههم إلى قومهم بالصلاة والزكاة. وكانوا إذا أتوا قومهم نادوا: إن من أصل فهو منا، ويندرونهم، حتى إن الرجل ليفارق<sup>(٨)</sup> أباه وأمه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم ويندروهم قومهم<sup>(٩)</sup>، فإذا رجعوا إليهم يدعونهم إلى الإسلام ويندرونهم للثأر ويشيرونهم بالجنة<sup>(١٠)</sup>.

(١) في المخطوطة: «أن يهزروا بيته». والمثبت من تفسير الطبري.

(٢) تفسير الطبري، الأثر ١٧٤٧٢: ٦٨/١٤.

(٣) هذا لفظ مخطوطة الأثر، ولفظ الطبري: «وأستريت»، وفي القاموس: «وأستريت كاستريت»، قال الخليل: وغفروا فأنما الجمال الجود فاستريت.

(٤) نص المخطوطة: «ولم يحل لأحد منهم أن يتلقوا»، وأثبتنا لفظ الطبري.

(٥) في المخطوطة: «فست»، والمثبت من الطبري.

(٦) تفسير الطبري، الأثر ١٧٤٧٣: ٦٨/١٤.

(٧) تفسير الطبري، الأثر ١٧٤٧٤: ٦٩/١٤.

(٨) لفظ الطبري: «ليمرقت أباه».

(٩) لفظ الطبري: «ويندرون قومهم».

(١٠) تفسير الطبري، الأثر ١٧٤٧٥: ٦٩/١٤.

وقال حكرمة : **« تزلزلت هذه الآفة : ( إلا تنفروا لمذبذبكم عدواً ) أيا »** ، ( وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا ) ، قال المقاتلون : **« هلك أصحاب الهدى الذين تخلفوا عن همد ولم يتفروا معه .. وقد كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى الهدى إلى قومهم يقتلهم يقتلهم »** ، فأنزل الله عز وجل : ( وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر مع كل فرقة منهم طائفة ) : الآفة ، ولا لك : ( والذين يجاجون في الله من بعد ما استجيب له ) الآفة (١) ، وقال الحسن البصري : ( فلولا نفر مع كل فرقة منهم طائفة ليقتلوا في الدين ) ، قال لينفقه الذين خرجوا ، بما يترجم (٢) الله من الظهور على المشركين ، والنصرة ، وينفروا قومهم إذا رجعوا إليهم (٣) .

**هَكَذَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٧١﴾**

أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً ، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام ، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب ، فلما فرغ منهم وضع الله عليه مكة والمدينة ، والطائف ، واليمن واليمامة ، ومهجر ، وهيب ، وحضرموت ، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب ، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجا ، شرع في قتال أهل الكتاب ، ففجئهم لنزول الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب ، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام لكونهم أهل الكتاب ، فبلغ تبوك ثم رجع لأجل جهنم الناس وجذب البلاد وضيق الحالك ، وكان ذلك سنة تسع من هجرة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع : ثم حاجته المدينة — صلوات الله وسلامه عليه — بعد الحجة بأحد وثمانين يوماً ، فاختاره الله لا عنده .

وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر رضى الله عنه ، وقد مال الدين ميله كاد أن ينجل (٤) ، فخطبه الله تعالى به فوطد القواعد ، وأبى الدمام : ورد شارد الدين وهوراع . ورد أهل الردة إلى الإسلام ، وأخذ الزكاة عن متبعيها من الطعام (٥) ، وبيع الحق لمن جهله ، وأدى عن الرسول ما حمله . ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم حينئذ الصليان ، وإلى القرم عبدة النيران ، ففتح الله ببركة سمائه البلاد ، وأرغم أنف كسرى وقبصر ومن أطاعهما من البلاد . وانفق كنوزهما في سبيل الله ، كما أخبر بملك رسول الإله .

وكان تمام الأمر على يدى وصيته من بعده ، وولى عهد الفاروق الأواب ، شهيد الغرابة ، أبى حفص عمر بن الخطاب ، فأرغم به أنوف الكفرة للملاحين ، وقمع الطغاة والمثاقين ، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً . وحملت إليه خبز غن الأموال من سائر الأقاليم بدءاً وقرباً . ففرقتها على الوجه الشرعى ، والسبيل المرضي .

- 
- (١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٧٧ : ١٤ / ٥٧٠ .  
 (٢) حلة لفظ خطوطة الأثر ، وفي تفسير الطبري : ما يرجع .  
 (٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٤٨٠ : ١٤ / ٥٧١ .  
 (٤) أى : يلعب .  
 (٥) الطعام أو غدا الناس .

ثم لما مات شهيداً وقد عاش حميداً ، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان  
شهيد الدار . فكسا الإسلام ورياسة حلة سابعة : وأمدت في سائر الآتاكم على رقاب العباد حجة الله البالغة ، وظهر الإسلام  
في مشارق الأرض ومغاربها ، وحلت كلمة الله وظهر دينه ، وبهذه الأمة الحنيفة من أهداه الله غاية مآرجها ، فكلمنا حكماً  
أمة انتقلوا إلى من بعدهم ، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار ، امتثالاً لقوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم  
من الكفار (١) ، وقوله تعالى : ( وليجدوا فيكم خلفاً ) ، [ أى : وليجد الكفار منكم خلفاً لا عليهم فـ ] فقاتلهم هم ،  
فان المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن ، غايثاً على عبوه الكافر ، كما قال تعالى : ( فسوف يأتي الله بقوم  
يحبهم ويحبونه ، آذلة على المؤمنين ، أحرزة على الكافرين (٢) ) ، وقال تعالى : ( محمد ورسوله الله والذين معه أشداء على  
الكفار رحماء بينهم ) (٣) ، وقال تعالى : ( يا أيها الذين جاهدوا الكفار والمنافقين واغلبوه ولا ياتواكم منكم من وراءكم  
الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا الضمير الضمير الضمير ، أى : أنه ضحك في وجهه وله ، قتاله عامة عبوده  
وفوه ) (٤) ( واحملوا أن الله مع المتقين ) ، أى : قاتلوا الكفار ، وتوكلوا على الله ، واحملوا أن الله معكم إن اتقيتموه  
وأطعتموه .

وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة ، إلى غاية الاستقامة ، القيام بطاعة الله تعالى ، لم يزالوا  
ظاهرين على عبودهم ، ولم تزل الفتوحات كثيرة ، ولم تزل الأعداء تسلك وخسار . ثم لما وقصه الله في الأهموالاختلافات  
بعض الملوك ، طبع الأعداء في أطراف البلاد ، وتقدموا إليها ، فلم ياتوا لقتل الملوك بعضهم ببعض ، ثم تقدموا إلى حوزة  
الإسلام ، فاحتلوا من الأطراف بلداناً كثيرة ، ثم لم يزالوا حتى استعوزوا على كثير من بلاد الإسلام ، والله سبحانه الأمر  
من قبل ومن بعد : فكلمنا قام ملك من ملوك الإسلام ، وأطاع أوامر الله ، وتوكل على الله ، فتج الله عليه من البلاد ،  
واسترجم من الأعداء حصه ، وبقتل ما فيه من ولاية الله ، والله المستر للأنموك أن يمكن المسلمين من نواحي أديانهم  
الكافرين ، وأن يمل كلمتهم في سائر الآتاكم ، إله جواد كريم .

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ يُدْرِكُهُمْ كَذَابُهُمْ هَيَّاهُ إِلَيْنَا قُلْ مَا أَنَا بِمُرْسِي الدَّيْنِ وَبَشِيرٌ وَنَذِيرٌ  
بِسَيِّئِهِمْ ﴿١﴾ قُلْ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ قُلْ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ قُلْ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ قُلْ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ لِلْعَالَمِينَ

يقول تعالى : ( وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول : يدركهم كذابه هياها إلينا ) أى : يقول بعضهم لبعض  
أيكم زاده هذه السورة إيماناً ؟ قال الله تعالى : ( فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون )  
وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد ويقصر ، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أمة العلماء  
على حد حكى الإجماع على ذلك غير واحد ، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في أول شرح البهائى ، رحمه الله .

(١) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٣) سورة الفتح : آية ٢٩ .

(٤) سورة التوبة : آية ٧٧ ، والفتح : آية ٩ .

وأما اللبيق في قلوبهم مزيه فإذهم وجسا إلى رجسهم ، أي : زادهم شكا إلى شكهم ، وربيا إلى ريبهم ، كما قال تعالى : ( ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسار ) (١) وقال تعالى : ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عيب ، أولئك ينادون من مكان بعيد ) (٢) . وهذا من جملة شقائهم أن ما يهدى القلوب يكون سبيها لفسادهم ودمارهم ، كما أن سبي المزاج لو غلب بما غلب به لا يزيد إلا خبالا ونقصا .

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ لِيُزْجَمَ تَمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى أولا يرون أنهم يفتنون ، أي : يختبرون ، في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، أي : لا يتوبون من ذنوبهم السابقة ، ولا هم يذكرون فيما يستقبل من أحوالهم ،

قال جاهد : يخبرون بالسنة والجوع (٣) .

وقال قتادة : بالغزو في السنة مرة أو مرتين .

وقال شريك ، عن جابر - هو النجفي - عن أبي الضمري ، عن حنيفة : ( أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ) ، قال : كنا نسمع في كل عام كذبة أو كذبتين ، فيضل بها فقام (٤) من الناس كثير ، رواه ابن جرير (٥) ، وفي الحديث عن أنس : لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شقا ، وما من عام إلا والذي بعده شر منه ، صمته من نبيكم صلى الله عليه وسلم (٦) .

وقوله : ( وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض : هل يراكم من أحد ثم أنصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ) ، هذا أيضا اختيار من المتأخرين أنهم إذا أنزلت سورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ( نظر بعضهم إلى بعض ) ، أي : تلتفتوا ، ( هل يراكم من أحد ، ثم أنصرفوا ) ، أي : تولوا عن الحق وأنصرفوا عنه ، وهذا حالهم في الذين لا يثبتون عند الحق ولا يقبلونه ولا يفهمونه كما قال تعالى : ( فما علم عن التذكرة معرضين : كأنهم حُمُرٌ

(١) سورة الإسراء : آية ٨٢ .

(٢) سورة فصلت : آية ٤٤ .

(٣) السنة : الجهد والقتل . والآثر في تفسير الطبري : ١٤/٨٨٧ . وأثر قتادة به .

(٤) الفقام : للجوامع .

(٥) تفسير الطبري : الآثر ١٧١٩٦ : ١٤/٨١١ .

(٦) سلمة ابن ماجه : كتاب التقي ، باب : فقه الزماني . ٤ : ٤٠٧٩ : ١٧١٩٦ : ١٧١٩٦ .

مستقرة : فرح من سورة (١) ، وقال تعالى : ( فما للذين كفروا بآياتك مبطل : من البقيع ومن الشياطين ) (٢) ، أى : ما هؤلاء القوم يتفكرون (٣) عنك عينا وشيئا ، هربوا من الحق ، وذهبا إلى الباطل .  
وقوله : ( لم انصرفوا صرف الله قلوبهم ) ، قوله : ( ولما انشأنا آيات الله قلوبهم ) (٤) ، ( يا أي قوم لا يقلقوا )  
أى : لا يبهمون من الله خطابه ، ولا يفتعلون لهمه ولا يريدونه ، بل هم في شكه (٥) عنه وتغور عنه فاهلها صاروا إلى ما صاروا إليه .

لَقَدْ جَاءَكَ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكَ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾

يقول تعالى مبتدئا حل المؤمنين عما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم ، أى : من جنسهم وحل لغتهم ، كما قال إبراهيم عليه السلام : ( ربنا وابست فيهم رسولا منهم ) (٦) ، وقال تعالى : ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) (٧) ، وقال تعالى : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) ، أى : منكم وبلغكم ، كما قال جعفر بن أبي طالب قتيبي ، والمغيرة بن شعبة رسول كسرى : إن الله بعث فينا رسولا منا ، يعرف لبيه وصفه ، ويدخله وخرجه ، وصلته وأمانته : وذكر الحديث :

وقال صفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه في قوله تعالى : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) ، قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية ، وقال صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح » (٨) .  
وقد وصل هذا من وجه آخر ، كما قال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الراسته مزي في كتابه « التلخيص بين الراوى والراعى » (٩) : حدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زياد ، حدثنا ابن أبي عمير ، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال : أشهد على أبي الخدي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأبى لم يمسي من سفاح الجاهلية شيء » (١٠) .

(١) سورة الفاتح ، الآيات ٤٩ - ٥١ .

(٢) سورة الماعج ، آية ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) يريد : يفتنون . وأصل منى تغلل : انهمز ، قال ابن منظور : « قال القوم يغلهم لالا : حرمهم ، فالتلوا ، وتغلوا » ومن شأن المنهمز أن يفتن ويغتم .

(٤) سورة الصف ، آية ٥٠ .

(٥) أى : فعل ، يقال كفه - بالياء للجهول - : مضى وفعل .

(٦) سورة البقرة ، آية ١٢٩ .

(٧) سورة آل عمران ، آية ١٦٤ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٠٠ و ١٥٨٥٤ .

(٩) حركات ، الحديث كقائل بين الراوى والراعى . قال عنه ابن سير السلفي في تعليقه لآية الذكر : « له مع قوله ما ألف في كتب اصطلاح أهل الحديث . » من نسخة نسخة نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم ١٨٢٣ مستطع .

(١٠) نشر للتقدم السوطي عن سنة ابن أبي عمير ، والبخاري في الأوسط ، وأبو نعيم في حلال وابن سائر ، مع حل .

وقوله : ( حُرِّمَ عليه ما حُرِّمَ ) أى : يحُرِّمُ عليه الشيء الذى يَحْتَسُنُ أمته ويشق عليها ؛ ولهذا جاء فى الحديث المروى مع طرق عنه أنه قال : « يَحْتَسُنُ بالخليفة السمعة (١) » ، وفى الصحيح : « إن هذا الدين يسر » (٢) ، وشربته كلها سهلة سمحة كاملة ، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه .

( خربصه عليه ) أى : على هذا يتكلم ووصوك النفع الدنيوى والأخروى إليكم .

قال الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرى ، حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن حفص بن غوث عن أبي العباس ، عن أبي ذر قال : تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر بقلب جناحيه فى الغمام إلا وهو يذكرنا منه علما - قال : وقال صلى الله عليه وسلم : « ما بقى شيء يُقَرَّبُ من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينى لكم » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا [أبو] (٣) قطن ، حدثنا السعوى ، عن الحسن بن سعد ، عن جعدة الشهدى (٤) ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يحرم حُرْمَةً إلا وقد علم أنه سيطلبها منكم بمطلب ، ألا والله أشدُّ حُسْرًاكم أن تهافوا فى النار ، كهافت القراش ، أو اللباب » (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن حلى بن زيد بن جندب ، عن يوسف بن جهران ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ملكان ، فبأى يرى التائب ، فعقد أحدهما عند رجليه والأخر عند رأسه ، فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته ، فقال : إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سكرت أنفوسهم إلى رأسى مفازة (٦) ، فلم يكن معهم من أفراد ما يقضون به المفازة ، ولا ما يرجعون به فيبئنا هم كذلك إذ أنهم أوجعوا فى حُلَّةِ حَبْرَةٍ (٧) فقال : أراهم إن وُردت بهم رياضاً معشبة ، وحياضاً روكاء تبتغون ؟ فقالوا : نعم ، قال : فأتطلق بهم ، فأودعهم رياضاً معشبة ، وحياضاً رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم أفكم على تلك الحال ، فبئستم لي إن وردت بهم رياضاً معشبة وحياضاً رواء أن تبتغون ؟ فقالوا : بلى . قال : فإن بين أيديكم رياضاً هى أعشبه

(١) مسند الإمام أحمد عن أبي أسامة ٢٦٦/٥ . وعن عائشة ٢٣٣/٦ .

(٢) البخارى ، كتاب الإيمان ، باب « الذين يسرون من أبي هريرة » ١٦/١ . ومسند الإمام أحمد عن عروة بن الرقيم ١٩/٥٥ .

(٣) ما بين القوسين من مسند الإمام أحمد . وأبو قطن هو : عمرو بن الحارث بن قطن - بفتح الكاف - الزبيدى ، روى عنه الإمام أحمد ، ثقة . ينظر الخلاصة .

(٤) فى المختار « المجلد » . والمثبت عن مسند الإمام أحمد ، وفق التلخيص ٥٧/٦ . « حيدة بن سون التميمى » ، ويقال : التيمى ، أبو الوليد الكوفى ، ويقال : حيدة ، ويقال : لسر بن سون ، أسد بنى نصر بن مدابة ، يختلف فى صحته ... روى عن ابن مسعود . .. ورواه الحسن بن سدة . .. وينظر ترجمته فى الجرح لاين أبى حاتم ، ٨٩/١/٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٣٩٠/١ .

(٦) المفازة : الفلاة لا ماء فيها .

(٧) الخيرة - بوزن حبة - : خمر من يروى اليق .

مع هذه ، وحاشا هي أروى من هذه ، فانيقئ : قتالت طائفة : صلب ، والله ليعصه : وتلك طائفة : قد رخصنا بها تقم عليه (١) .

وقال الفراء : حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا : حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي ، عن حكومة عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن أمرا بيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعينه في شيء - قال حكومة : أراه قال : ( في دم ) - فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، ثم قال : أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي : لا ، ولا أجملت . فغضب بعض المسلمين ، وهوا أن يقرعوا إليه ، فلما رسل الله إليهم : أن كفوا : فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبلغ إلى منزله ، دعا الأعرابي إلى البيت ، فقال له : إنك جئتنا فأسألتنا فأعطيناك ، قلت ما قلت : فزاده رسول الله شيئا ، وقال : أحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي : نعم ، فبكر الله من أهل عشيرة خيرا : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( إنك جئتنا تسألتنا فأعطيناك ، قلت ما قلت ، وفي أنفس أصحابك عليك من ذلك شيء ، فلما جئت قتل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يلعب من مدهوم : قال : نعم . فلما جاء الأعرابي قال : إن صاحبكم كان جاعا فسألتنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وأنا قد دعوتاه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى ، [ كذلك يا أعرابي ؟ ] قال الأعرابي : نعم ، فبكر الله من أهل عشيرة خيرا . قال أنس رضي الله عنه : إن مثل ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كان له ناقة ، فشردت عليه ، فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا فقروا : فقال لهم صاحب الناقة : خارا بيني وبين ناتي ، فأنا أرتق بها ، وأعلم بها : فتوجه إليها وأخذ لها من قدام (٢) الأرض ، ودعاها حتى جاءت واستجابت ، وشد عليها رحلها وإنه لو ألتصقكم حيث قال ما قال لدخل النار ، ثم قال الفراء لا تعلمه يروى إلا من هذا الوجه .

قلت : وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان ، والله أعلم .

وقوله : ( يا مؤمنين دعوف رحم ) ، كما قال تعالى : ( واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ) فإن مصوك قل ، إن يري بما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم (٣) .  
وهكذا أمره تعالى .

وهذه الآية الكريمة ، وهي قوله تعالى : ( فان تولوا ) ، أي : تولوا عما جئتم به من الشريعة العظيمة المظهر الكاملة الشاملة ، ( قل حسبي الله ) أي : الله كافي ، لا إله إلا هو عليه توكلت - كما قال تعالى : ( وب للمشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذته وكيلا ) .

( وهو رب العرش العظيم ) ، أي : هو مالك كل شيء وعالقه ، لأنه رب العرش العظيم ، الذي هو سقته المخرقات

(١) بسند الإمام أحمد : ٢٦٧/١ .

(٢) كذا في مشروحة الأعر . ولقنم : القهار .

(٣) سورة المائدة : الآية ٢١٥ - ٢١٧ .

وجميع الخلق مع السجدة والأربع وما بينهما تحت طرش مقهورون بقدرة الله تعالى ، وحده محيط بكل شيء ، وقدره فائق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل .

قال الإمام أحمد : حدثني محمد بن أبي بكر ، حدثنا بشر بن عمر ، حدثنا شعبه ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهزيب ، عن ليث بن عيسى ، رضي الله عنهما ، عن أبي بن كعب قال : آخر آية نزلت من القرآن هذه الآية ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) إلى آخر السجدة (١) .

وقال محمد بن الإمام أحمد : حدثنا روح بن عبد المؤمن ، حدثنا عمر بن شقيق ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه : أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فكان رجال يكتبون ويعلو عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة : ( ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ) ، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن ، فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأني بهذا آيتين : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ) إلى : ( وهو ربه العرش العظيم ) قال : هذا آخر ما أنزل من القرآن قال : فظنوا بما فُتِح به ، بأنه الذي لا إله إلا هو ، وهو قول الله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يُوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) (٢) ، غريب أيضا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن بحر ، حدثنا محمد بن سبلية ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنه قال : أتى الحارث بن خزيمة جاتين الآيتين من آخر براءة : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ) إلى عمر بن الخطاب ، فقال : من معك على هذا ؟ قال : لا أدري ، والله إني لأشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها . فقال عمر : وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم قال : لو كانت ثلاث آيات لجهلتها سورة على حدة ، فانظروا سورة من القرآن ، فضعوها فيها ، فوضعوها (٣) في آخر براءة .

وقد تقدم أن عمر بن الخطاب هو الذي أشار على أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهما ، بجمع القرآن ، فأمر زيد بن ثابت فجعله ، وكان عمر يحضرهم وهم يكتبون ذلك . وفي الصحيح أن زيدا قال : فوجدت آخر سورة براءة : مع خزيمة ابن ثابت - أو : أبي خزيمة (٤) ، وقدما أن جماعة من الصحابة تذكرنا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال عروبة بن ثابت حين ابتليهم بها ، والله أعلم .

(١) مسند الإمام أحمد : ١١٧/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣٤/٥ .

(٣) لفظ المسند : « فرسختها » . والهدف رواه الإمام أحمد في المسند : ١٩٩/١ .

(٤) البخاري : تفسير سورة براءة : ٨٩/٩ : ٩٠ .





(٧) قسمة الطوبى : الأثر ١٧٥٢٩ : ١٥/١٥ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ( أن لهم قدم صدق عند ربهم ) ، يقول : أجرا حسنا ، بما قدموا (١) ، وكلنا قاله الضحاك ، والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : وهذا كقوله تعالى : ( لينزل بأسا شديدنا من لدنه ، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا : ما كتبت فيه أبدا ) (٢) .  
وقال مجاهد : ( أن لهم قدم صدق عند ربهم ) ، قال : الأعمال الصالحة صلاحهم وصومهم ، وصدقهم وتبصيرهم (٣) .  
قال : ومحمد بن أبي عبد الله عليه وسلم شفيح لهم . وكلنا قال زيد بن أسلم ، ومقاتل بن حيان :  
وقال قتادة : سكتف صدق عند ربهم :

واختار ابن جرير قول مجاهد أنها الأعمال الصالحة التي قدموها . قال : كما يقال : له قدم في الإسلام ، ومه قول [ حسان ] رضي الله عنه :

لنا القَدَمُ السَّيِّئَةُ إِلَيْكَ وَخَلَقْنَا • لِأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَبَعٌ  
وقول ذي الرمة :

لَكُمُ قَدَمٌ لَا يُنْكِرُ النَّاسُ أَنَّهَا • مَعَ الْحَسَنَةِ الْعَادِي طَسَسَتْ عَلَى الْبَحْرِ

وقوله تعالى : ( قال الكافرون : إن هذا لساحر مبين ) ، أي : مع أنا بعثنا إليهم رسولا منهم ، رجلا من جنسهم ، بشيرا ونذيرا ، ( قال الكافرون إن هذا لساحر مبين ) ، أي : ظاهر ، وهم الكاذبون في ذلك .

إِنْ تَبْكُرْ أَفَلَا تَذَكَّرُ • أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُعْزِينَ • وَيُنْزِلُ الْمُكَذِبِينَ • وَالْكَافِرِينَ فِي سُنُوحِ السَّمَاءِ • وَتُجْزَى لَهُمُ النَّارُ •  
إِنْ تَبْكُرْ أَفَلَا تَذَكَّرُ • أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْمُعْزِينَ • وَيُنْزِلُ الْمُكَذِبِينَ • وَالْكَافِرِينَ فِي سُنُوحِ السَّمَاءِ • وَتُجْزَى لَهُمُ النَّارُ •

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِ جَمِيعِهِ ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ - قِيلَ : كَهَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَقِيلَ : كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعْلُونَ . كما سيأتي بيانه ، ثم استوى على العرش ، والعرش أعظم المخلوقات وسبقها ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا حجاج بن حمزة ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا إسحاق بن أبي خالد قال : سمعت سعد الطائي يقول : العرش بأقوى حمراء .

وقال وهب بن منبه : خلقه الله من لونه .

وهذا غريب .

( تدبر الأمر ) ، أي : تدبر أمر الخلائق ، ( لا يهرب عنه مقال مرة في السموات ولا وفي الأرض ) (٤) ، ولا يشغل شأن من شأن ، ولا تنقله المسائل ، ولا يتبرم بأخاخ الملحين ، ولا يلبيه تدبير الكبر عن الصغير ، فه الجبال

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٧٥٣١ : ١٤/١٥ .

(٢) سورة الكهف ، آية ٢ : ٣ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥ : ١٤ .

(٤) سورة سبأ ، آية ٢٢ .

والبحار والعمراء والقفار ، ( وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين ) (١) : ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) (٢) :

وقال الدرر الأوردى ، عن سعد بن إسحاق بن كعب أنه قال حين نزلت هذه الآية : ( إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ) لقيهم ركب عظيم من العرب ، فقالوا لهم : من أنتم ؟ قالوا ، من الجن ، خرجنا من المدينة ، أخرجتنا هذه الآية ، رواه ابن أبي حاتم .

( ما من شئ إلا من بعد إذن ) ، كقوله تعالى : ( من ذا الذي يشمع عنده إلا باذنه ) (٣) ، وكقوله تعالى : ( وكل من معك في السموات لا تنفث شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ) (٤) ، وقوله : ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) (٥) .

وقوله : ( ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ) ، أى : أفرحوه بالعبادة وحده لا شريك له ، ( أفلا تذكرون ) ، أى : أيا المشركون في أمركم ، تعبدون مع الله غيره ، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق ، كقوله تعالى : ( ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله ) (٦) ، وقوله : ( قل من ربه السموات السبع ورب العرش العظيم .سيقولون لله قل : أفلا تفتقرون ) (٧) ، وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها :

إِنِّي مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨﴾

أخبر تعالى أن إليه مرجع انخلاق يوم القيامة ، لا يترك منهم أحدا حتى يعيده كما بدأه ، ثم ذكر تعالى أنه كما بدأ الخلق كذلك يعيده ، ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) (٨) :

( ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالنسب ) ، أى : بالعدل والجزاء الأولي ، ( والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون ) ، أى : بسبب كفرهم يعذبون يوم القيامة بأنواع العقاب ، ( من سموم وحميم ، وظل من غيوم ) (٩) ، ( هذا فليلقوه حميم وضائق . وآخر من شكله أزواج ) (١٠) ، ( هذه جهنم التي يكذب بها الكافرون = يطوفون بينها وبين حميم آن ) (١١) :

- (١) سورة هود : آية : ٦ .
- (٢) سورة الأنعام آية : ٥٩ .
- (٣) سورة البقرة : آية : ٢٥٥ .
- (٤) سورة القصص : آية : ٢٦ .
- (٥) سورة صبا : آية : ٧٣ .
- (٦) سورة الزمر : آية : ٨٧ .
- (٧) سورة المؤمنون : آية : ٨٦ + ٨٧ .
- (٨) سورة الفرقان : آية : ٢٧ .
- (٩) سورة الواقعة آية : ٤٢ + ٤٣ .
- (١٠) سورة من آية : ٥٧ + ٥٨ .
- (١١) سورة الرحمن آية : ٤٣ + ٤٤ .

مَوَالِيٍّ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرُوا مَنَازِلَ لِيَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفْعَلُ الْآيَاتُ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّ فِي آخِظِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

غير تعالى مما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته ، وعظم سلطانه ، وأنه جعل الشماع الصاهر من جرم الشمس ضياءً وشماع القمر نوراً ، وهذا من وحده فن آخر ، فقاوت بينهما ثلاثاً يشبهها ، وجعل سلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل ، وقدر القمر منازل ، فأول ما يبدو صغيراً ، ثم يتزايد نوره وجرمه ، حتى يستوسق ويكمل لإبداره ، ثم يشرح في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر ، كما قال تعالى : ( والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون ) (١) ، وقال : ( والشمس والقمر حسياناً ذات تقدير العزيز العليم ) (٢)

وقال في هذه الآية الكريمة : ( وقدره ) ، أي : القمر ( منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ) ، فالشمس بحركتها الأيام ، وبسبب القمر تعرف الشهور والأعوام :

( ما خلق الله ذلك إلا بالحق ) ، أي : لم يخلقه حيثما بل له حكمة عظيمة في ذلك ، وحجة بالغة ، كما قال تعالى : ( وما خلقتنا السواء والأرضي وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا من قبل للذين كفروا من النار ) (٣) وقال تعالى : ( أنصنم أنما خلقناكم حيث وأنكم إنا لا نرجون : فمأى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ) (٤) .

وقوله : ( تفصل الآيات ) ، أي : ليتم الحجيح والأدلة ( لقوم يعلمون ) :

وقوله : ( إن في اختلاف الليل والنهار ) ، أي : تماقهما إذا جاء هذا ذهب هذا ، وإذا ذهب هذا جاء هذا ، لا يتأخر عنه شيئاً ، كما قال تعالى : ( يضيئ الليل النهار يطلبه حثيثاً ) (٥) ، وقال : ( لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ) (٦) ولا الليل سابق النهار ) ، وقال تعالى : ( فائق الإصباح وجادل الليل سكاناً ) (٧) ، والشمس والقمر حسياناً ، ذلك تقدير العزيز العليم (٨) :

(١) سورة يس : آية ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية ٩٦ .

(٣) سورة يس : آية ٢٧ .

(٤) سورة المؤمنون : آية ١١٥ و ١١٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ٥٠ .

(٦) سورة يس : آية ٤٠ .

(٧) هذا لفظ غلوطة الأخرى ، ويقول أبو إسحاق في البحر المحيط ١٨٦/٤ : « وقرأ الكوفيون ( وجادل الليل ) ، فلهذا »

ماضي ... وقرأ باقي السبعة : « وحامل » ، « هام قفاط » ، مضاعفاً إلى الليل . »

(٨) سورة الأنعام : آية ٩٦ .

وقوله : ( وما خلق الله في السموات والأرض ) ، أى : من الآيات الدالة على عظمته تعالى ، كما قال : ( وكأين  
من آية في السموات والأرض )<sup>(١)</sup> ، الآية

[ وقوله : ( قل انظروا ما في السموات والأرض ) وما نفى الآيات والتنزيه عن قوم لا يؤمنون<sup>(٢)</sup> ] ، وقال : ( أفلم  
يروا إلى ما يهدى أبصارهم وما خلفهم من الماء والأرض<sup>(٣)</sup> ) ، وقال : ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف  
الليل والنهار آيات لآولي الأبصار<sup>(٤)</sup> ) ، أى : القول ، وقال هاهنا : ( آيات لقوم يتقون ) ، أى : عذاب الله ،  
ومستخطه ، وعذابه .

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابَتِنَا غٰفِلُونَ ﴿١٠٦﴾  
مَلَأْنَاهُمْ أَثَرًا ۖ مَا كَانَ يَكْتُمُونَ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى خبراً عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاء الله شيئاً ، ورضوا بهذه  
الحياة الدنيا واطمأننوا إليها أشقيهم .

فأما الحسن : والله ما زبناها ولا رفعوها ، حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يشكرون فيها ،  
والشرعية فلا يهتمون بها ، بأن ما دام يوم محادهم النار ، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والأجرام ،  
مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله والبرم الآخر .

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَرْجُونَ ﴿١٠٨﴾ يَخْرُجُونَ مِنْ حَيْثُ ءَالَتْهُمُ الْأَمْثَلُ فِي حَيْثُ النَّعِيمِ ﴿١٠٩﴾ دَعَوْنَهُمْ  
فِيهَا سَمِعْتِكَ اللَّهُمَّ وَنَجَّيْتَهُمْ فِيهَا سَلَّمَ وَءَاتَاهُ دَعَوْنَهُمْ أَنْ اطمئِنَّ إِلَهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٠﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ، وامتثلوا ما أُمروا ، فعملوا الصالحات ، فإله  
يسهلهم بآياتهم .

يحتمل أن تكون : الآية : هاهنا سببية ، فتقديره : بسبب إيمانهم في الدنيا سهلهم الله يوم القيامة على الصراط ، حتى  
يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة . ويحتمل أن تكون للاستعانة ، كما قال مجاهد في قوله : ( يهدى بهم بآياتهم ) ، قال :  
[ يكون لهم نوراً يمشون<sup>(٥)</sup> به ] .

وقال ابن جرير في الآية : يمثل له عمار في صورة حنة وريح طيبة إذا قام من قبره ، يعارض صاحبه ويشهره  
يكل خبر ، فيقول له : من أنت ؟ فيقول : أنا عمارك . فيجعل له نوراً . من بين يديه حتى يدخله الجنة ، فذلك قوله

(١) سورة يوسف ، آية ١٠٥ .

(٢) سورة يونس ، آية ١٠١ .

(٣) سورة ص ، آية ٩٥ .

(٤) سورة آل عمران ، آية ١٩٠ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٠٩ : ٢٨/١٥ .

تمالى : ( يهيم بهم بإتمامه ) . والكار يشتمل له منه في صورة سجن وبيع مثله ليلزم صاحبه ويكره حتى ينفذ من ثلثه (١) .

وروى نحوه عن قتادة مرسل ، قاله أحرم .

وقوله : ( دعواهم فيها سبحانه الله ونعيم فيها سلام ، وأمر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ) ، أى : هنا حال أهل الجنة .

قال ابن جرير : أخبرني عن قوله : ( دعواهم فيها سبحانه الله ) ، [ قال : إذا مرجع الطير يشتهونه ، قالوا : سبحانه الله (٢) ] ، وذلك دعواهم فيأثمهم الملك بما يشتهونه ، فيسلم عليهم ، فيردون عليه ، فذلك قوله : ( ونعيمهم فيها سلام ) ، قال : فإذا أكلوا حملوا الله رجيم ، فذلك قوله : ( وأمر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (٣) ) .

وقال مقاتل بن حيان : إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم : ( سبحانه الله ) ، قال : فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم ، مع كل خادم صحيفة من ذهب ، فيها طعام ليس في الأخرى ، قال : فيأكل منهن كلهن . وقال سفيان الثوري : إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال : ( سبحانه الله ) :

وله الآية فيها فيه من قوله : ( حيثهم يوم يقول له سلام وأحد لهم أجراً كراماً ) (٤) ، وقوله : ( لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيلاً إلا لילה سلاماً سلاماً ) (٥) ، وقوله : ( سلام قولاً من ربهم ) (٦) ، وقوله : ( ولما لا يسمعون من كل باب . سلام عليهم بما صبرتم فعمى الثلث ) (٧) .

وقوله : ( وأمر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ) ، هنا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبداً ، للعبود على طول المدى ، ولهذا حمده نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره ، وفي ابتداء كتابه ، وعند ابتداء تزيده ، حيث يقول تعالى : ( الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب (٨) ) ، ( الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ) (٩) ، إلى غير ذلك من الأحوال التى يطول بسطها ، وأنه المضمود في الأول ، والآخرة في الحياة الدنيا وفي الآخرة . في جميع الأحوال ، ولهذا جاء في الحديث : (إن أهل الجنة يلهثون التسميع والتحميد كما يلهثون النفس) (١٠) . وإذا يكون ذلك كذلك لا يرونه مضاعف مع الله عليهم ، فكرر وتعاد وتراد ، فليس غا اقتضاء ولا أمداً ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه ،

(١) أى : يكرهه ويصعب به .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٦٢ : ٢٨/١٥ .

(٣) ما بين القوسين وضع في غير موضعه في خطوطة الأثر ، واكتفت من تفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٦٣ : ٢٨/١٥ .

(٥) سورة الأعراب ، آية : ٤٤ .

(٦) سورة الواقعة ، آية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٧) سورة هود ، آية : ٥٨ .

(٨) سورة الفرق ، آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٩) سورة الكهف ، آية : ١ .

(١٠) سورة الأنعام ، آية : ١ .

(١١) سلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : في صفات الجنة ولطائفها ونعيمهم فيها بكرة وعشبة ، من جابر بن عبد الله : ١٤٦/٨ . وصلة الإمام أحمد من جابر أيضاً : ٣٤٩/٣ ، ٣٥٤ ، ٣٨٤ .

• وَلَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِجَابًا لَخَبِرَ لِقَابِي أَيُّهُمْ قَلِيلًا لَئِنْ لَمْ يَرْجُوا لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ

يَسْمُونَ ﴿١١﴾

يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده : أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم أو أموالهم أو أولادهم ، في حال غضبهم وغضبهم ، وأنه يعلم منهم حقد القصد إلى إرادة ذلك ، فلهذا لا يستجيب لهم - والحالة هذه - لطفًا ورحمة ، كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم وأولادهم بالخير والبركة والثناء ، ولهذا قال : (ولو يجعل الله للناس الشر استجابة بالخير ليقبى إليهم أجلهم) ، أي : لو استجاب لهم كلما دعوه به في ذلك ، لأهلكهم ، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك ، كما جاء في الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده :

حدثنا حماد بن عمر ، حدثنا يعقوب بن حماد ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو حمزة ، عن حمادة بن الوليد ، حدثنا جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا على أنفسكم ، لا تدعوا على أولادكم ، لا تدعوا على أموالكم : لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة يستجيب لكم »

ورواه أبو داود ، من حديث حاتم بن إسماعيل ، به (١) .

وقال البزار : تفرد به حمادة بن الوليد بن حمادة بن الصامت الأنصاري ، لم يشاركه أحد فيه ، وهذا كقولته تعالى : (ويدع الإنسان بالشئ الجميل) وكان الإنسان حزينًا (٢) .

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : (ولو يجعل الله للناس الشر استجابة بالخير) : وهو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه : اللهم لا تبارك فيه والمنة : فلو يجعل لهم الاستجابة في ذلك ، كما يستجاب لهم في الخير ، لأهلكهم (٣) .

وَإِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ أَهْلِيهِ أَوْ قَوْمِيهِ أَوْ قَوْمًا مِّنْ دُونِهِمْ مَّا كَانَ يُسْمُونَ ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلة إذا منه الضر ، [كقوله : (وإذا منه الشر) فلو دعاه عريض (١) ] ، أي : كثير ، وما في معنى إرجاء ، وذلك لأنه إذا أصابه شدة فكلق لها وخرج منها ، وأكثر الدعاء عند ذلك ، فدعا الله

(١) سنن أبي داود ، كتاب الوتر ، باب «التي من أن يدعو الإنسان على أهله وماله» ، الحديث ١٥٣٢ : ٨٨٪٧ .  
ورواه مسلم ، في كتاب الزهد ، باب «حديث جابر الطويل» : ٢٣٢٪٨ .

(٢) سورة الإسراء آية ١١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٧٣ : ١٥ : ٢٤٪٤٥ .

(٤) سورة فصلت آية ٥١ .



في كشفها وزوالها عنه في [ حال ] استلجابه وتعمده وقيامه ، وفي جميع أحواله ، فإذا أَرَجَّ الله وجهه وكشفت كربته ، أَرَضَى رِئَايَ بِنَاتِيهِ ، وَخَسِبَ كَانَهُ مَا كَانَ بِهِ مِنْ ذَاكَ <sup>(١)</sup> ، (مركان لم يبدعوا إلى غير منه) .

ثم ذم تعالى مَنْ عَدِه صِفَتِهِ وطريقته فقال : ( كَلِمَةُ زَيْنٍ لِمُسْلِمٍ مَا كَانُوا يَسْتَوُونَ ) ، ثُمَّ مَا مِنْ رُؤْيَا لِهَذَا الْمَدَائِدِ وَالسَّادَاتِ وَالْفُتُوحِ وَالرَّهَادِ ، فَإِنَّهُ مَسْتَشَى مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا تَأْتِي تَمَلُّهُ : ( إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) (١) ، وَكَفَوُا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حَبِيبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ » ، لَا يَقْضِي اللَّهُ لَهُ قَضَاءَ إِلَّا كَانَ حَبِيبًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ (٢) ، « وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ » .

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ تَبْلُكَ لَمَّا ظَنُّوا وَجِلَّتْهُمْ رُءُوسُهُمْ بِالْغَيْبِ وَمَا كُنَّا لِنُزِيلَهُمْ بِهِمْ سَبْعَ مِائَةِ سَنَةٍ (٣)  
الْقَوْمَ الْأَعْيُرِ مِنْ (٤) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَيْنِهِمْ لِنَبْلُوكَ نَظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (٥)

أخبر تعالى عما أَهْلَ بِالْقُرُونِ المائتين ، في تكليمهم الرسل فيما جازهم به من اليقظة والنجاة والصلاح ، ثم استخلف الله هؤلاء القوم من بينهم ، وأرسل إليهم رسولاً لينظر طاعتهم له ، واتباعهم رسولاً ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نَصْرَةَ ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ قَدِيتُ حُلُوتَ مُعْصِرَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَاظْطَرُّوا مَاذَا تَعْمَلُونَ » ، فَأَتَوْا الدُّنْيَا وَاتَّهَمُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ قَتْلَةٍ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ (٦) .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا زيد بن حوف ، أبو ربيعة : نهد (٧) ، حدثنا حماد ، عن ثابت البناني : عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن حورف بن مالك قال لأبي بكر : رأيت نبياً يرى الناس كأن سبباً (٨) ، دعى من السبأ ، فانتشط (٩) ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعيد ، فانتشط أبو بكر ، ثم دُرِحَ (١٠) الناس حول المنبر ، ففضل عمر بثلاث أذرع إلى المنبر : فقال عمر : دعنا من رؤيائك ، لا أَرَبَ لَنَا فِيهَا ، فَمَا اسْتَخْلَفَ عُمَرُ قَالَ : يَا حُورَفُ ، رُؤْيَاكَ أَقَالَكَ ، وَحَلَّ لَكَ فِي رُؤْيَايَ مِنْ حَاجَةٍ ؟ أَوْ لَمْ تَنْتَهَرْ ؟ قَالَ : وَحَلَّ : إِنْ كَرِهْتَ أَنْ تَتَنَّى نَخِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهَسَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ : « دُرِحَ النَّاسُ إِلَى الْمَنْبَرِ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ الْأَفْرَحِ » ، قَالَ : « أَمَا إِحْدَاهُنِ فَإِنَّهُ كَانَتْ حَلِيفَةً ، وَأَمَّا الْآخَرَةُ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُفَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ » ، وَأَمَّا الْثَلَاثَةُ فَانَّهُ شَهِيدٌ ، قَالَ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ( ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ حَلِيفَةً ) .

(١) سورة هود : آية ١١ .

(٢) مسلم : كتاب الزهد ، باب : المؤمن لمسه كله غير . ٢٢٦/٨ ، ومسنود الإمام أحمد عن صحيح ابن شاذان عن أبي عبد الله .

٣٣٢/٥ ، ٣٣٣ ، ١٥٢/٦ .

(٣) مسلم : كتاب الفرائض ، باب : أكثر أهل البعة الفقراء ، وأكثر أهل كثار قضاء ، وبيان قضاء بالنساء ، عن أبي سعيد الخدري : ٨٩/٨ .

(٤) في المخلوقة مكان : نهد ، و : سيد . وأثبت عن تفسير الطبري : رزيه بن حورف بكى أبا ربيعة ، وأما فقده للغة : ينظر ترجمته في المرح والتمثيل لابن أبي حاتم : ٥٧٢/١ .

(٥) السبب : الجليل .

(٦) أي : انتزع وجلب إلى السبأ .

(٧) أي : قنع ما بينهم وبين المنبر بالإنجاز ، يقال : دُرِحَ كَرَجٌ ، إِذَا تَغَيَّرَ بِالْمَقَامِ .

ملائك في الأرض مع بلعم فتنزل كيف تملكون ، قد استخلفت يا ابن أم هر ، فانظر كيف تعمل ؟ وأما قوله :  
وإني لأخاف أن أقول له لأم - فإشاه الله - . وأما قوله ( شهيد ) ، فأتى لعمر الشهاده وللمسلمين مطبقون به (١) ؟

وَإِذَا تَنَادَىٰ مَلَائِكَتَايَا بَنِي إِسْرَءِيلَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقَرَةٌ غَيْرُهَا هَذَا أَوْ يَدُلُّكَ قُلُوبُكَ قُلُوبُكَ لَا تَكُونُ لَكَ أَنْ  
أَتِيكَ مِنْ تِلْكَ النَّفْسِ أَنْ أَتِيْعَ إِلَّا مَا يُرْسِي إِلَيَّ إِنَّكَ أَخَافُ أَنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٥﴾  
قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥٦﴾

غير تعالى من عصت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحق المرشحين عنه ، أنهم إذا قرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وحججه الواضحة قالوا له : « انت بقران غير هذا » ؛ أي : رد هذا وجهاً بغيره من خط آخر ، أو بدله إلى وضع آخر - قال الله لئيبه حلوات الله عليه وسلامه عليه ( قل : ما يكون لي أن أبده من تلقاء نفسي ) ؛ أي : ليس هذا لي ، إنما أنا عبد مأمور ، ورسول مبلغ عن الله ، ( إن أتبع إلا ما يوحى إلي ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ) ؛

لم قال هتجا عليهم في صبحه ما جلهم به : ( قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ) ، أي : هذا إنما جشتم به من إذن الله لي في ذلك ومشيته وإرادته ، والدليل على أني لست أقوله من عندي ولا افترته أنكم جازون من معارضته ، وأنكم تعلمون صدق وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثي الله عز وجل ، لا تنتقدون على شيئا تعصبوني (أ) به ، ولهذا قال : ( قد لبث فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ) ، أي : أفليس لكم عقول تعرفون بها الحق من الباطل ، ولهذا سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان ومن معه ، فيما سأله من صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : هل كنتم تهمون به بالكلب قبل أن يقول ما قال ؟ قال أبو سفيان : قلنا : لا - وقد كان أبو سفيان إذ ذاك رأس الكفرة وزعيم المشركين ، ومع هذا اعترف بالحق ،

« واقتضل ما شهدت به الأعداء » .

فقال له هرقل : فقد أصرف أنه لم يكن ليدع الكلب هل الناس ثم يلعب فيكلب على الله : !  
وقال جعفر بن أبي طالب للتجاشي ملك الحبشة : بعث الله فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته ، وقد كانت مدة مقامه عليه السلام بين أظهرنا قبل النبوة أربعين سنة : وعن سعيد بن المسيب : ثلاثا وأربعين سنة . والصحيح للشهور الأول .

قُلْ أَكْبَرُكُمْ مُّحِبٌّ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُكْذِبُونَ ﴿١٥٧﴾

يقول تعالى : لا أحد أعظم ولا أعنى ولا أشد إجراما ( من افترى على الله كذبا ) ، وتعتزل على الله ، وزعم أن الله أرسله ، ولم يكن كذلك ، فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظكما من هذا ، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٥٨٠ د ٣٩٤١٥ .

(٢) عنه ، استقره وجاهه وتناول به .

فكيف يشبه حال هذا بالأنبياء ! فإن من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا ، فلا بد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ما هو أظهر من الشمس ، فإن الفرق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين مسيلة للكتاب من شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى ووقت نصف الليل فحتس الظلماء ، فتمنّ سبّا كل منهما وكلامه وفعاله يستدلّ من له بصيرة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكلّيت مسيلة للكتاب ، وصحاح ، والأسود العنسيّ .

قال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل (١) الناس ، فكنّث فيمن انجفل ، فلما رأته عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب ، فكان أول ما سمعته يقول : « يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، [ وصلوا الأرحام ] ، وصلوا بالليل والناس نيام لتدخلوا الجنة بسلام (٢) » .

ولما قدم ضيما بن ثعلبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه بني سعد بن بكر قال لرسول الله فيها قال له : من رفع هذه السماء ؟ قال : الله ؛ قال : ومن نصب هذه الجبال ؟ قال : الله ؛ قال : ومن سلع هذه الأرض ؟ قال : الله ؛ قال : فبالذي رفع هذه السماء ، ونصب هذه الجبال ، وسلع هذه الأرض ؛ الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ قال : اللهم نعم ؛ ثم سأله عن الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام ، وعلفت عند كل واحدة هذه اليمين ، وعلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : صدقت ، والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص (٣) .

فاكتفى هذا الرجل بمجرد هذا ، وقد أثبت بصلته — صلوات الله وسلامه عليه — بما رأى وشاهد من الدلائل للعالم عليه ، كما قال حسان بن ثابت (٤) :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ • كَانَتْ بِكِبَرِهِتِهِ تَأْثِيكَ بِالْجَهَنَّمَ

وأما مسيلة من شاهده من ذرى البصائر ، علم أمره لا محالة ، بأقواله الركيكة التي ليست بملصقة ، وأماله غير الحسنة بل القبيحة ، وقرآته التي عكده في النار يوم الحسرة والنفصحة ، وكم من فرق بين قوله تعالى : ( الله لا إله إلا هو الخالق القديم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم ) — وبين عراكه (٥) مسيلة فيحه الله ولته : « يا خفدح بنت الضفدحين ، نبيّ كم تقبّل من اللاء تكديرين ، ولا الشارب تمنّين » ، وقوله — فصح ولن (٦) — : « لقد أنم الله على الحبل ، إذ أخرج منها نسمة تسمى ،

(١) أي : حربه للناس .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٥١/٥ .

(٣) سورة ابن هشام : ٥٧٣/٢ ، ٥٧٥ ، وتاريخ الطبري : ١٢٤/٧ ، ١٢٥ ، وأسد الغابة : الترجمة ٢٥٦٨ .

(٤) ٥٧/٧ ، ٥٨ ، بحقيقتهما .

(٥) لم تجده في ديوان حسان .

(٦) العلك — بضم اللام ونصبها — ما يملكه ويبيع .

(٧) في المخطوطة : « قبح وأمن » ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

من بين صفات وحشيتي (١) ، وقوله - وحدّره (٢) الله في نار جهنم ، وقد فعل - : القيل وما [ أدراك ما ] القيل ؟ له (كُفْرٌ) (٣) طويل - وقوله - أبعد الله من رحمة - : والمجانبات حجاب ، والمجانبات حجابا ، واللاحقات قسا ، وإعاقه وسدا ، إن قريبا قوم يحدّون : إلى غير ذلك من المحليات والمخالفات التي يأتي الصبيان أن يتلفظوا بها ، إلا على وجه السخرية والاستهزاء ، ولهذا أرغم الله أنه ، وشرب يوم « حليقة الموت » (٤) حنّته . ومزّق حمله . ولعله صحبه وأهله . وقدموا على الصديق تائبين ، وجاءوا في حين الله راغبين ، فألم الصديق خليفة الرسول - صلوات الله وسلامه عليه ، ورضى عنه - أن يقرأوا عليه شيئا من قرآن مسيلة لفته الله ، فسأله أن يفيهم من ذلك ، فأبى عليهم [ إلا ] أن يقرأوا شيئا منه ليسمعه من لم يسمعه من الناس ، فيقرأوا فضل ما هم عليه من الهدى والعلم . فقرأوا عليه من هذا الذي ذكرناه وأشابهه ، فلما فرغوا قال لم الصديق رضى الله عنه : ويحكم ! أين كان يُلحَب بشوكم ؟ والله إن هذا لم يخرج من إلّ (٥) .

وذكروا أن وفد عمرو بن العاص على مسيلة ، وكان صديقا له في الجاهلية ، وكان عمرو لم يسلم بعد ، فقال له مسيلة : ويحك يا عمرو ! ماذا أنزل على صاحبكم - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في هذه المدة ؟ فقال : لقد سمعت أصحابها يقرأون سورة عظيمة قصيرة ، فقال : وما هي ؟ فقال : ( والعصر . إن الإنسان لني غسر . إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) . ففكر مسيلة ساعة ، ثم قال : وقد أنزل على مثله ، فقال : وما هو ؟ فقال : « يا وَيْرُ » (٦) ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حَقَرٌ نَقَرٌ ، كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : « والله إنك لتعلم أنى أعلم أنك لتكذب » ، فإذا كان هذا من مشرك في حال شركه ، لم يشتبه عليه [ حال ] محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه ، وحال مسيلة - لعله الله - وكذبه ، فكيف بأولى البصائر والنهى ، وأصحاب المقول السليمة المستقيمة والحمى ! ولهذا قال الله تعالى : ( ومن أظلم ممن اتقى على الله كلبا ، أو قال : أوحى إلى ،

(١) الصفات - بكسر الصاد - : الجلة الأسفل التي تحت الجلد التي عليه الشعر ، أو هو ما بين الجلد والمصران ، والحي - بفتح الحاء والسين - : ما دون الحجاب ما في البطن كله ، من الكبد والطحال والكروش .

(٢) أى : أزمه الشعر ، من قولهم « جارية غضرة » ، إذا أزمّت الشعر .

(٣) في المخطوطة « زلوم » . ولم نجد ، وزلوم القيل - كما في مستفوك تاج العروس - : حلقومه .

(٤) الحديثة : اسم لستان كان بأرض البصرة ، فيها قتل مسيلة الكتاب ، وأصحابه يسوبها « حليقة الموت » . ينثر

مراسد الاصلاح : ٢٨٧/١ ..

(٥) أى : من ربوبية - والإل - بكسر الهزة - : هو الله تعالى ، وقيل : « الإل » هو الأصل الجيد ، أ : لم يجه من الأصل الذي جاء منه القرآن . وقيل : « الإل » النسب والقراءة ، فيكون المنى : إن هذا كلام غير صادر من مناسبة الحق ، والإدلاء بسبب بينه وبين الصدق .

(٦) الورى - بتسكين الين - : دويبة حل قدر السنور غيرها أو يشبهه ، من دواب الصحراء - حنة العرين ، حديثة الحيلة ، تكون بالغور ، والأنى : ويرة .

وفي اللسان : « والرب تقول : قالت الأرب الورى : وير وير ، حيز وصغر ، وسائرك حقر حقر . فقال لما الورى : أرأيت أرأيت ، حيز وكفان ، وسائرك أكفان » .

والحق - بتسكين الين - والحقير : الصغير الذليل . ويقال : « حقير فقير ، وحقر وققر » ، وهذا من أساليب الإتياع ، ويقال أيضا : « حقرت وققرت » .

ولم يوح إليه شيء ، ومن قاله : سأزله مثل ما أنزل الله ( ١ ) ، وقال في هذه الآية الكريمة : ( ومع أظلم من الفرج ) على الله كلبا أو كذّاب بآياته ، إنه لا يفلح المجرمون ( ٢ ) ، وكذلك من كذّب بالحق الذي جاءت به الرسل ، وقاسمه عليه الخبيث ، لا أحد أظلم منه كما جاء في الحديث : ( أضى الناس على الله رجل قتل نبياً ، أو قتله لبي ( ٣ ) ) .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فَيَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، بظانين أن تلك الآلة تنفعهم شفاعتها عند الله ، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً ، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها ، ولا يكون هذا أبداً ، ولهذا قال تعالى : ( قل أنتهون الله عما يعلم في السموات ولا في الأرض ) .

وقال ابن جرير : معناه : أخبرون الله عما لا يكون في السموات ولا في الأرض ( ٤ ) ؟ ؟ .

ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم ، فقال : ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) :

ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس ، كائن بعد أن لم يكن ، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد ، وهو الإسلام ، قال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام ، ثم وقع الاختلاف بين الناس ، وعُدلت الأصنام والأنداد والأوثان ، فبث الله الرسل بآياته وبيناته وحججه البالغة وبراهينه الدامغة ، ( ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ( ٥ ) ) .

وقوله : ( ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون ) ، أى : لو لا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعلب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، وأنه قد أجل الخلق إلى أجل معلود لقضى بينهم فيما فيه اختلفوا ، فأبعد المؤمنين ، وأعتت الكافرين .

وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٧﴾

أى : ويقول هؤلاء الكفرة المكذبون المماندون : « لو لا أنزل على محمد آية من ربه » ، يبنون كما أعطى الله لغيره الناقة ، أو أن يحول لهم الصفا ذهباً ، أو يريح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأهباراً ، ونحو ذلك مما الله عليه قادر ، ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله ، كما قال تعالى : ( تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من

( ١ ) سورة الأنعام : آية ٩٤ .

( ٢ ) سورة الأنعام : آية ٢١ .

( ٣ ) رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ١٠٧/١ ، ولفظه : « أشد الناس طغياناً يوم القيامة رجل قتل نبياً ، أو قتل

نبيّاً ، وإمام ضلالة ، وعطل من المشايخ » .

( ٤ ) تفسير الطبري ٤ : ٤٦/١٥ .

( ٥ ) سورة الأنفال : آية ٥٢ .

محتها الأنهار ويجعل لك قصورا • بل كلبوا بالساعة واحتدوا لمن كذب بالساعة صعباً (١) ) وقال تعالى : ( وما منعا أن  
نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وأتينا ثمود الناقة مبصرة ، فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخوفاً (٢) )  
يقول تعالى : إن متى في خلق أتى إذا آتاهم ما سألو ، فإن آمنوا وإلا حاجلهم بالعقوبة : ولهذا لما خيّر رسول الله  
عليه الصلاة والسلام بين أن يخطى ما سألو ، فإن أجابوا وإلا هوجلوا ، وبين أن يتركهم ويُنظرهم ، اختار إنظارهم ،  
كما حلم عنهم خير مرة - صلوات الله عليه - : ولهذا قال تعالى إرشاداً لنبهه إلى الجواب مما سألو : ( فقل إنما النيب  
له ) ، أى : الأمر كله لله ، وهو يعلم المواقف في الأمور ، ( فانتظروا إلى معكم من المنتظرين ) ، أى : إن كنتم لا تؤمنون  
حتى تشاهدوا ما سألتهم ، فانتظروا حكم الله في فيكم : هلما مع أنهم قد شاهدوا من معجزاته عليه السلام أعظم مما سألو ،  
حين أشار بمحضرتهم إلى القمر ليلة إبلاده ، فاشتق باثنين : فرقة من وراء الجبل ، وفرقة من دونه . وهذا أعظم من  
سائر الآيات الأرضية مما سألو وما لم يسألوا ، ولو علم الله منهم أنهم سألو ذلك استرشاداً وتبلياً لأجابه ، ولكن حلم  
أنهم إنما يسألون عناداً ودمناً ، فتركهم فيما رآهم ، ولم أنهم لا يؤمن منهم أحد كما قال تعالى : ( إن الذين حققت  
عليهم كلمة ربك لا يؤمنون : ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) (٣) : وقال تعالى : ( ولو أننا نزلنا إليهم  
الملائكة وكلهم الموقى ، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون (٤) )  
ولما فهم من المكابرة ، كما قال تعالى : ( ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا : إنما سكرت أبصارنا  
بل نحن قوم مسحورون (٥) ) ، وقال تعالى : ( وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مكرهم (٦) ) ، وقال تعالى :  
( ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) ) ، فقل هؤلاء أقل من  
أن يجابوا إلى ما سألو ، لأنه لا فائدة في جواب هؤلاء ، لأنه دائر على نعمتهم وعنادهم ، لكثرة فجورهم وفسادهم ،  
ولهذا قال : ( فانتظروا إلى معكم من المنتظرين ) •

(١) سورة الفرقان : آية ١٠ ، ١١ •

(٢) سورة الإسراء : آية ٥٩ •

(٣) سورة يونس : آية ٩٦ ، ٩٧ •

(٤) سورة يونس : آية ٩٦ ، ٩٧ •

(٥) سورة الأنعام : آية ١١١ •

(٦) سورة الحجر : آية ١٤ ، ١٥ •

(٧) سورة الطور : آية ٤٤ •

(٨) سورة الأنعام : آية ٧ •

وَإِذَا أَخَذْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَدِّ ضَرَامِهِمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ تَكْوِينًا ۚ وَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَشَدِيدٌ ۚ  
 تَحْمُرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْقِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِنَّا كُنْتُمْ فِي الْغُلُقِيِّ وَهَرُونَ يَوْمَ يَرْجُ طَبَقٌ رَافِعٌ  
 بِمَا جَاءَتْكُمْ رَحْمَتُ رَبِّكُمْ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنُونَ كُلِّ مَكَانٍ وَنُفِثُوا فِيهِمْ أَحْبَبَ إِلَهُكُمْ اللَّهُ خَلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَيْتَ  
 أَعْيُنُنَا عَنْ سِمْكَاتِكُمْ بِرَحْمَتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

يخبر تعالى أنه إذا أخاف الناس رحمة من بعد ضرامهم مستهم ، كالخطاء بعد الشدة ، وانلصب بعد الجذبة ، والمطر بعد العطش ونحو ذلك ، (إنا لم نكر في آياتنا) »

قال جامد : استهزاء وتكذيب : كما قال : ( وإذا منى الإنسان الفرس دحالا لجنه أو قاعداً أو قاعداً لما كلفنا  
 حه ضربه متروكان لم يهدنا إلى ضربه مسه (١) ) ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح على  
 أثر مياه - مطر - أصابهم من الليل ثم قال : هل تلبون ماذا قال ربكم الآية ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال :  
 قال : أصبح من عباده مؤمنين وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن به كافر بالكوكب ،  
 وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر به مؤمن بالكوكب (٢) »

وقوله : ( قل الله أسرع تكوينا ) ، أي : أشد استعراجا وإمهالا ، حتى يظن الظان مع الجرمع أنه ليس بمعه ،  
 وإنما هو في مهلة ، ثم يؤخذ على مرة منه ، والكاثيون الكرام يكونون عليه جميع ما يفعل ، ويحضره عليه ، ثم يفرقه  
 على عالم الغيب والشهادة ، فيجازيه على الحقيق والجليل ، والتقدير والتعظيم »

ثم أخبر تعالى أنه ( هو الذي يسوّر في البر والبحر ) ، أي : يحفظكم ويكلوكم بحراسته ، ( حتى إذا كنتم في الفلك  
 وجري بهم يروح طية وفروجا بها ) ، أي : بسرعة سرهم والفتن (٣) ، فيها هم كذلك إذا جاءتها ) ، أي : تلك  
 السفن ( ربح عاصف ) ، أي : شديدة ( وجاءهم الموج من كل مكان ) ، أي : العظم (٤) البحر طيمم ، ( وظنوا  
 أنهم أحبط بهم ) ، أي : هلكوا ( دعوا الله خالصين له الذين ) ، أي : لا يدعون معه صنوا ولا وثقا ، بل يهملونه  
 بالدعاء والابتهال كما قال تعالى : ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ) فلما نجاكم إلى البر أمرضتم ،  
 وكان الإنسان كسورا (٥) ، وقال هاتما : ( دعوا الله خالصين له الذين لن أنجيتكم من هذه ) ، أي : هذه الحالة

(١) سورة يونس ، آية ١٢ .

(٢) البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب قول الله تعالى : ( وتعملون وزركم أنكم تكذبون ) ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥

( لنكفرن من الشاكرين ) ، أى : لا نشرك بك أحداً ، ولنفرّد تلك بالعبادة هناك كما أفرّدناك بالدعاء هاهنا : قال الله تعالى : ( فلما أنبأهم ) ، أى : من تلك الورطة ( إذا هم يبنون فى الأرض بغير الحق ) ، أى : كأن لم يكن من ذلك شيء ، ( كأن لم يدهنا إلى ضرر منه ) :

ثم قال تعالى : ( يا أيها الناس إنما يليكم على أنفسكم ) ، أى : إنما يلدق وبال هذا البنى أنتم أنفسكم ولا تفرون به أحداً غيركم ، كما جاء فى الحديث : ما من ذنب أجدر أن يصجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يتدّخر الله لصاحبه فى الآخرة ، من البنى وقطيعة الرسم (١) :

وقوله : ( متاع الحياة الدنيا ) ، أى : إنما لكم متاع فى الحياة الدنيا الدنيئة الخفيفة ، ( ثم إلينا مرجعكم ) ، أى : مصبركم ومآلكم ، ( فننبئكم ) ، أى : فنخبركم بجميع أعمالكم ، ونوفيك إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه :

فَمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَنَخْتَلِفُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَطُنَّ أَهْلُهَا أَنْهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنَّهُمْ آمَرْنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْآلَمِينَ كَذَلِكَ نَقُصُّ الْأَلْبَتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَائِرِ السَّلَاسِ وَيَهْدِيهِمْ مَن يَشَاءُ إِلَى مِرْقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝

فهرب تعالى مثلاً زهرة الحياة الدنيا وزينتها ومرحة انقضائها وزوالها ، بالنبات الذى أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء ، مما يأكل الناس من زرع وثمار ، على اختلاف أنواعها وأصنافها ، وما تأكل الأنعام من أبى وقشيب وغير ذلك ، ( حتى إذا أخذت الأرض زخرفها ) ، أى : زينتها القانية ( وازبَيّت ) ، أى : حسنت بما خرج من ربها من زهور تفسر مختلفة الأشكال والألوان ، ( وطن أهلها ) ، الذين زرعوها وفروها ، ( أنهم قادرون عليها ) ، أى : على جنىها وحصادها فينتام كذلك إذ جاءتها صاعقة ، أو ريع باردة ، فأبيست أوراقها ، وأثلقت ثمارها : ولهذا قال تعالى : ( أنها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً ) ، أى : يَبَساً بعد الخضرة والنبات : ( كأن لم تنن بالأمس ) ، أى : كأنها ما كانت حسنة قبل ذلك :

وقال قتادة : ( كأن لم تنن ) : كأن لم تنم (٢) :

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب ، باب : فى التنبى من البنى ، ، الحديث ٤٩٠٢ : ٧٧٦/٣ . وابن ماجه فى كتاب الزهد ، باب : البنى ، ، الحديث ٤٢١١ : ١٤٠٨/٢ .  
(٢) الأثر فى تفسير القابري ، برقم ١٧٦٠٢ : ٨٨/١٥ ، ولفظه : ( كأن لم تنن بالأمس ) ، يقول : كأن لم تنس .  
مجان لم تنم . فليد الله قد وقع سقط فى لفظ ابن كثير .



وهكذا الأمور بعد زوالها كما لم تكن : ولهذا جاء في الحديث : « يؤتى بأنفس أهل الدنيا ، فيعسى أن تثار حسنة ، ثم يقال له : هل رأيت خيراً قط ؟ [ هل مر بك نعم قط ؟ ] فيقول : لا : ويؤتى بأشد الناس مذنباً في الدنيا ، فيعسى أن التزم حسنة ، ثم يقال له : هل رأيت سوءاً قط ؟ فيقول : لا (١) »

وقال تعالى إخباراً عن المهلكين : ( فأصبحوا في حلوجهم جاثمين كأن لم ينشروا فيها (٢) )

ثم قال تعالى : ( كذلك نفصل الآيات ) ، أي : تبين المصحح والأدلة ، ( فقوم يفكرون ) ، فيجربون بهذا المثل في زوال الدنيا عن أهلها سريعاً مع اختلاصهم بها ، وتمكنهم بواجبها وتفككتها منهم ، فإن من طغيان الحرب عن طلبها ، والطلب لمن هرب منها ، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنات الأرض ، في خبر ما آتت من كتابه العزيز ، فقال في سورة الكهف : ( واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، فانحبط به نيات الأرض ، فأصبح شياً تلوذوه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً ) (٣) ، وكذا في سورة الزمر (٤) ، والحديد (٥) يضرب بملك مثل الحياة الدنيا كماء

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعت مروان - يعني ابن الحكم - يقرأ حل للشر : ( ولزمت وطن أهلها أنهم قادرون عليها ، وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها ) ، قال : قد قرأتها ولمست في الصلوة ، فقال عباس بن عبد الله بن عباس : هكذا يقرؤها ابن عباس . فأرسلوا إلى ابن عباس فقال : هكذا أقرأ أنبي بن كعب (٦) :

وهذه قراءة خفيفة ، وكأني زيادة للتفسير .

وقوله : ( والله يدعو إلى دار السلام ) ... الآية ، لا ذكر تعالى الدنيا وسرعة زوالها ، رغب في الجنة ودعا إليها وسماها دار السلام ) ، أي : من الآفات ، والنقائص والتكيات ، فقال : ( والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم )

قال أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « قيل لي : لتتبعنيك ، ولتتبع قلبك ، وتسمع أذنك » ، فقامت ضحى ، وعقل قلبي ، وسمعت أذنك ثم قيل : « سيد يتتبعك دلوا ، ثم صنع مادبة وأرسل داعياً »

(١) رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك ، ينظر كتاب الزهد ، باب : صلة الناس ، الحديث ٤٣٢١ : ٤٤٥٠٪

(٢) سورة هود : آية : ٩٤ : ٩٥ .

(٣) آية : ٤٥ .

(٤) آية : ٢١ .

(٥) آية : ٢٠ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٠١ : ٥٧/١٥ .

هذا وجه العزيز الذي يروى من الحارث بن أبي أسامة ، هو عبد العزيز بن أبيان الأموي ، قال عنه يحيى : « كتاب هبة » حدث بأحاديث موضوعة ، وقال البخاري : « تركوه » . ينظر ميزان الاعتدال : ٧٢٢

فمن أجابه الداعي دخل النار ، وأكل من المأدبة ، ورضي عنه السيد : ومن لم يجب الداعي لم يدخل النار ، ولم يأكل من المأدبة ، ولم يرض عنه السيد ، فالله السيد ، والدار الإسلام ، والمأدبة الجنة ، والداعي محمد صلى الله عليه وسلم (١) وهذا حديث مرسل ، وقد جاء متصلا من حديث الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : **إِنَّ رَأَيْتَ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ جَبْرِيلَ حَتَّى رَأَيْتَ ، وَمِيكَائِيلَ حَتَّى رَجَلِي ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِنَصَاحِي : اضْرِبْ لَهُ مِثْلًا : فَقَالَ : أَسْمِعْ سَمِعْتُ أَذْكَ ، وَاحْتَلِ عَمَلَكِ قَلْبَكِ ، إِنَّمَا سَكَّنَكَ وَمِثْلَ أَمْتِكَ كَمِثْلِ مَلِكٍ اخْتَلَدَ دَارًا ، ثُمَّ بَنَى فِيهَا بَيْتًا ، ثُمَّ جَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً ، ثُمَّ بَعَثَ رُصُلًا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى طَعَامِهِ ، فَفَهَمَ مِنْ أَجَابِ الرَّسُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَ ، فَاللهُ الْمَلِكُ ، وَالِدَارُ الْإِسْلَامُ ، وَالْبَيْتُ الْجَنَّةُ ، وَأَنْتَ بِأَعْدَمِ الرَّسُولِ ، فَمَنْ أَجَابَكَ دَخَلَ الْإِسْلَامَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَكَلَ مِنْهَا ، وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٢) .**

وقال قتادة : حدثني حُكَيْمُ بْنُ الْمَعْشَرِيِّ ، عن أبي النضر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **مَا مِنْ يَوْمٍ طَلَمَتْ فِيهِ شُمْسُهُ إِلَّا وَجَبَتْ بِهَا مَلَكَانِ [ يَتَذَكَّرَانِ ] يَسْمَعُهُمَا (٣) خَلَقَ اللهُ لَهُمْ إِلَّا الْقُلُوبَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، إِنْ مَا قُلْ وَكُنْ ، خَيْرٌ مَا كُنْتُمْ وَلَمْ يَ .** قال : وأُنزل ذلك في القرآن ، في قوله : **( وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيُخْرِجُ مِنَ بَيْتِهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ )** ، ورواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير (٤) .

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَمُوتُوا مِنْ قَوْلِهِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (٥)

غير تعالى أن من أسسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح أبده : الحسن في الدار الآخرة ، كما قال تعالى : **( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ) (٦) .**

وقوله : **( وَزِيَادَةٌ )** ، هي : تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة حشر أمثلها إلى سبعة أضعاف ضعف ، وزيادة على ذلك ، ويشمل ما يطعمهم الله في الجنان من اللصصور والخور والرضا عنهم ، وما أنشأ لهم من قرة عين ، وأفضل [من] ذلك وأعلى للنظر إلى وجهه الكريم ، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه ، لا يستحقونها بعملهم ، بل بفضل وبرحمته . وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، عن أبي بكر الصديق ، وحليمة بن البان ، وعبد الله بن عباس ، وعبد بن المسيب ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعجماء ، وعكرمة ، وعامر بن سعد ، وحصاء ، والفسطاط ، والحسن ، وقاتدة ، واللسدي ، وعمد بن إسحاق ، وغيرهم من السلف والخلف .

(١) تفسير الطبري ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٠ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢١ ، ١٨٢٢ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٣١ ، ١٨٣٢ ، ١٨٣٣ ، ١٨٣٤ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ ، ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ ، ١٨٤١ ، ١٨٤٢ ، ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، ١٨٥٥ ، ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ ، ١٨٦١ ، ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، ١٩٩٣ ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٢ ، ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ ، ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ ، ٢٠١٩ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢١ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣ ، ٢٠٢٤ ، ٢٠٢٥ ، ٢٠٢٦ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٢٩ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٣١ ، ٢٠٣٢ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٣٤ ، ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤١ ، ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٦ ، ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٥٤ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٥٦ ، ٢٠٥٧ ، ٢٠٥٨ ، ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ ، ٢٠٦٤ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٦٩ ، ٢٠٧٠ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٢ ، ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧ ، ٢٠٧٨ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٤ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٦ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩٠ ، ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢ ، ٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٦ ، ٢٠٩٧ ، ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩ ، ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١٠٣ ، ٢١٠٤ ، ٢١٠٥ ، ٢١٠٦ ، ٢١٠٧ ، ٢١٠٨ ، ٢١٠٩ ، ٢١١٠ ، ٢١١١ ، ٢١١٢ ، ٢١١٣ ، ٢١١٤ ، ٢١١٥ ، ٢١١٦ ، ٢١١٧ ، ٢١١٨ ، ٢١١٩ ، ٢١٢٠ ، ٢١٢١ ، ٢١٢٢ ، ٢١٢٣ ، ٢١٢٤ ، ٢١٢٥ ، ٢١٢٦ ، ٢١٢٧ ، ٢١٢٨ ، ٢١٢٩ ، ٢١٣٠ ، ٢١٣١ ، ٢١٣٢ ، ٢١٣٣ ، ٢١٣٤ ، ٢١٣٥ ، ٢١٣٦ ، ٢١٣٧ ، ٢١٣٨ ، ٢١٣٩ ، ٢١٤٠ ، ٢١٤١ ، ٢١٤٢ ، ٢١٤٣ ، ٢١٤٤ ، ٢١٤٥ ، ٢١٤٦ ، ٢١٤٧ ، ٢١٤٨ ، ٢١٤٩ ، ٢١٥٠ ، ٢١٥١ ، ٢١٥٢ ، ٢١٥٣ ، ٢١٥٤ ، ٢١٥٥ ، ٢١٥٦ ، ٢١٥٧ ، ٢١٥٨ ، ٢١٥٩ ، ٢١٦٠ ، ٢١٦١ ، ٢١٦٢ ، ٢١٦٣ ، ٢١٦٤ ، ٢١٦٥ ، ٢١٦٦ ، ٢١٦٧ ، ٢١٦٨ ، ٢١٦٩ ، ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ ، ٢١٧٤ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٦ ، ٢١٧٧ ، ٢١٧٨ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ ، ٢١٨١ ، ٢١٨٢ ، ٢١٨٣ ، ٢١٨٤ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٦ ، ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ ، ٢١٩١ ، ٢١٩٢ ، ٢١٩٣ ، ٢١٩٤ ، ٢١٩٥ ، ٢١٩٦ ، ٢١٩٧ ، ٢١٩٨ ، ٢١٩٩ ، ٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ ، ٢٢٠٢ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٧ ، ٢٢٠٨ ، ٢٢٠٩ ، ٢٢١٠ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٢ ، ٢٢١٣ ، ٢٢١٤ ، ٢٢١٥ ، ٢٢١٦ ، ٢٢١٧ ، ٢٢١٨ ، ٢٢١٩ ، ٢٢٢٠ ، ٢٢٢١ ، ٢٢٢٢ ، ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦ ، ٢٢٢٧ ، ٢٢٢٨ ، ٢٢٢٩ ، ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ ، ٢٢٣٢ ، ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ ، ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣ ، ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧ ، ٢٢٤٨ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٥٠ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٥٢ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٤ ، ٢٢٥٥ ، ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩ ، ٢٢٦٠ ، ٢٢٦١ ، ٢٢٦٢ ، ٢٢٦٣ ، ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ ، ٢٢٧٢ ، ٢٢٧٣ ، ٢٢٧٤ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٦ ، ٢٢٧٧ ، ٢٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ ، ٢٢٨٣ ، ٢٢٨٤ ، ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٦ ، ٢٢٨٧ ، ٢٢٨٨ ، ٢٢٨٩ ، ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢ ، ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٤ ، ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٦ ، ٢٢٩٧ ، ٢٢٩٨ ، ٢٢٩٩ ، ٢٣٠٠ ، ٢٣٠١ ، ٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣ ، ٢٣٠٤ ، ٢٣٠٥ ، ٢٣٠٦ ، ٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨ ، ٢٣٠٩ ، ٢٣١٠ ، ٢٣١١ ، ٢٣١٢ ، ٢٣١٣ ، ٢٣١٤ ، ٢٣١٥ ، ٢٣١٦ ، ٢٣١٧ ، ٢٣١٨ ، ٢٣١٩ ، ٢٣٢٠ ، ٢٣٢١ ، ٢٣٢٢ ، ٢٣٢٣ ، ٢٣٢٤ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٦ ، ٢٣٢٧ ، ٢٣٢٨ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣٠ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٢ ، ٢٣٣٣ ، ٢٣٣٤ ، ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٦ ، ٢٣٣٧ ، ٢٣٣٨ ، ٢٣٣٩ ، ٢٣٤٠ ، ٢٣٤١ ، ٢٣٤٢ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٤ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٧ ، ٢٣٤٨ ، ٢٣٤٩ ، ٢٣٥٠ ، ٢٣٥١ ، ٢٣٥٢ ، ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٦ ، ٢٣٥٧ ، ٢٣٥٨ ، ٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ ، ٢٣٦١ ، ٢٣٦٢ ، ٢٣٦٣ ، ٢٣٦٤ ، ٢٣٦٥ ، ٢٣٦٦ ، ٢٣٦٧ ، ٢٣٦٨ ، ٢٣٦٩ ، ٢٣٧٠ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٧٧ ، ٢٣٧٨ ، ٢٣٧٩ ، ٢٣٨٠ ، ٢٣٨١ ، ٢٣٨٢ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٦ ، ٢٣٨٧ ، ٢٣٨٨ ، ٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠ ، ٢٣٩١ ، ٢٣٩٢ ، ٢٣٩٣ ، ٢٣٩٤ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ ، ٢٣٩٧ ، ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٠٢ ، ٢٤٠٣ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧ ، ٢٤٠٨ ، ٢٤٠٩ ، ٢٤١٠ ، ٢٤١١ ، ٢٤١٢ ، ٢٤١٣ ، ٢٤١٤ ، ٢٤١٥ ، ٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٤١٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٠ ، ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٢٤ ، ٢٤٢٥ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٨ ، ٢٤٢٩ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣١ ، ٢٤٣٢ ، ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٤ ، ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦ ، ٢٤٣٧ ، ٢٤٣٨ ، ٢٤٣٩ ، ٢٤٤٠ ، ٢٤٤١ ، ٢٤٤٢ ، ٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤ ، ٢٤٤٥ ، ٢٤٤٦ ، ٢٤٤٧ ، ٢٤٤٨ ، ٢٤٤٩ ، ٢٤٥٠ ، ٢٤٥١ ، ٢٤٥٢ ، ٢٤٥٣ ، ٢٤٥٤ ، ٢٤٥٥ ، ٢٤٥٦ ، ٢٤٥٧ ، ٢٤٥٨ ، ٢٤٥٩ ، ٢٤٦٠ ، ٢٤٦١ ، ٢٤٦٢ ، ٢٤٦٣ ، ٢٤٦٤ ، ٢٤٦٥ ، ٢٤٦٦ ، ٢٤٦٧ ، ٢٤٦٨ ، ٢٤٦٩ ، ٢٤٧٠ ، ٢٤٧١ ، ٢٤٧٢ ، ٢٤٧٣ ، ٢٤٧٤ ، ٢٤٧٥ ، ٢٤٧٦ ، ٢٤٧٧ ، ٢٤٧٨ ، ٢٤٧٩ ، ٢٤٨٠ ، ٢٤٨١ ، ٢٤٨٢ ، ٢٤٨٣ ، ٢٤٨٤ ، ٢٤٨٥ ، ٢٤٨٦ ، ٢٤٨٧ ، ٢٤٨٨ ، ٢٤٨٩ ، ٢٤٩٠ ، ٢٤٩١ ، ٢٤٩٢ ، ٢٤٩٣ ، ٢٤٩٤ ، ٢٤٩٥ ، ٢٤٩٦ ، ٢٤٩٧ ، ٢٤٩٨ ، ٢٤٩٩ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠١ ، ٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣ ، ٢٥٠٤ ، ٢٥٠٥ ، ٢٥٠٦ ، ٢٥٠٧ ، ٢٥٠٨ ، ٢٥٠٩ ، ٢٥١٠ ، ٢٥١١ ، ٢٥١٢ ، ٢٥١٣ ، ٢٥١٤ ، ٢٥١٥ ، ٢٥١٦ ، ٢٥١٧ ، ٢٥١٨ ، ٢٥١٩ ، ٢٥٢٠ ، ٢٥٢١ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٣ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، ٢٥٢٦ ، ٢٥٢٧ ، ٢٥٢٨ ، ٢٥٢٩ ، ٢٥٣٠ ، ٢٥٣١ ، ٢٥٣٢ ، ٢٥٣٣ ، ٢٥٣٤ ، ٢٥٣٥ ، ٢٥٣٦ ، ٢٥٣٧ ، ٢٥٣٨ ، ٢٥٣٩ ، ٢٥٤٠ ، ٢٥٤١ ، ٢٥٤٢ ، ٢٥٤٣ ، ٢٥٤٤ ، ٢٥٤٥ ، ٢٥٤٦ ، ٢٥٤٧ ، ٢٥٤٨ ، ٢٥٤٩ ، ٢٥٥٠ ، ٢٥٥١ ، ٢٥٥٢ ، ٢٥٥٣ ، ٢٥٥٤ ، ٢٥٥٥ ، ٢٥٥٦ ، ٢٥٥٧ ، ٢٥٥٨ ، ٢٥٥٩ ، ٢٥٦٠ ، ٢٥٦١ ، ٢٥٦٢ ، ٢٥٦٣ ، ٢٥٦٤ ، ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، ٢٥٦٧ ، ٢٥٦٨ ، ٢٥٦٩ ، ٢٥٧٠ ، ٢٥٧١ ، ٢٥٧٢ ، ٢٥٧٣ ، ٢٥٧٤ ، ٢٥٧٥ ، ٢٥٧٦ ، ٢٥٧٧ ، ٢٥٧٨ ، ٢٥٧٩ ، ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١ ، ٢٥٨٢ ، ٢٥٨٣ ، ٢٥٨٤ ، ٢٥٨٥ ، ٢٥٨٦ ، ٢٥٨٧ ، ٢٥٨٨ ، ٢٥٨٩ ، ٢٥٩٠ ، ٢٥٩١ ، ٢٥٩٢ ، ٢٥٩٣ ، ٢٥٩٤ ، ٢٥٩٥ ، ٢٥٩٦ ، ٢٥٩٧ ، ٢٥٩٨ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٠٠ ، ٢٦٠١ ، ٢٦٠٢ ، ٢٦٠٣ ، ٢٦٠٤ ، ٢٦٠٥ ، ٢٦٠٦ ، ٢٦٠٧ ، ٢٦٠٨ ، ٢٦٠٩ ، ٢٦١٠ ، ٢٦١١ ، ٢٦١٢ ، ٢٦١٣ ، ٢٦١٤ ، ٢٦١٥ ، ٢٦١٦ ، ٢٦١٧ ، ٢٦١٨ ، ٢٦١٩ ، ٢٦٢٠ ، ٢٦٢١ ، ٢٦٢٢ ، ٢٦٢٣ ، ٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥ ، ٢٦٢٦ ، ٢٦٢٧ ، ٢٦٢٨ ، ٢٦٢٩ ، ٢٦٣٠ ، ٢٦٣١ ، ٢٦٣٢ ، ٢٦٣٣ ، ٢٦٣٤ ، ٢٦٣٥ ، ٢٦٣٦ ، ٢٦٣٧ ، ٢٦٣٨ ، ٢٦٣٩ ، ٢٦٤٠ ، ٢٦٤١ ، ٢٦٤٢ ، ٢٦٤٣ ، ٢٦٤٤ ، ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦ ، ٢٦٤٧ ، ٢٦٤٨ ، ٢٦٤٩ ، ٢٦٥٠ ، ٢٦٥١ ، ٢٦٥٢ ، ٢٦٥٣ ، ٢٦٥٤ ، ٢٦٥٥ ، ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٧ ، ٢٦٥٨ ، ٢٦٥٩ ، ٢٦٦٠ ، ٢٦٦١ ، ٢٦٦٢ ، ٢٦٦٣ ، ٢٦٦٤ ، ٢٦٦٥ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧ ، ٢٦٦٨ ، ٢٦٦٩ ، ٢٦٧٠ ، ٢٦٧١ ، ٢٦٧٢ ، ٢٦٧٣ ، ٢٦٧٤ ، ٢٦٧٥ ، ٢٦٧٦ ، ٢٦٧٧ ، ٢٦٧٨ ، ٢٦٧٩ ، ٢٦٨٠ ، ٢٦٨١ ، ٢٦٨٢ ، ٢٦٨٣ ، ٢٦٨٤ ، ٢٦٨٥ ، ٢٦٨٦ ، ٢٦٨٧ ، ٢٦٨٨ ، ٢٦٨٩ ، ٢٦٩٠ ، ٢٦٩١ ، ٢٦٩٢ ، ٢٦٩٣ ، ٢٦٩٤ ، ٢٦٩٥ ، ٢٦٩٦ ، ٢٦٩٧ ، ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩ ، ٢٧٠٠ ، ٢٧٠١ ، ٢٧٠٢ ، ٢٧٠٣ ، ٢٧٠٤ ، ٢٧٠٥ ، ٢٧٠٦ ، ٢٧٠٧ ، ٢٧٠٨ ، ٢٧٠٩ ، ٢٧١٠ ، ٢٧١١ ، ٢٧١٢ ، ٢٧١٣ ، ٢٧١٤ ، ٢٧١٥ ، ٢٧١٦ ، ٢٧١٧ ، ٢٧١٨ ، ٢٧١٩ ، ٢٧٢٠ ، ٢٧٢١ ، ٢٧٢٢ ، ٢٧٢٣ ، ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ ، ٢٧٢٦ ، ٢٧٢٧ ، ٢٧٢٨ ، ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٠ ، ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣ ، ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ، ٢٧٣٦ ، ٢٧٣٧ ، ٢٧٣٨ ، ٢٧٣٩ ، ٢٧٤٠ ، ٢٧٤١ ، ٢٧٤٢ ، ٢٧٤٣ ، ٢٧٤٤ ، ٢٧٤٥ ، ٢٧٤٦ ، ٢٧٤٧ ، ٢٧٤٨ ، ٢٧٤٩ ، ٢٧٥٠ ، ٢٧٥١ ، ٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، ٢٧٥٤ ، ٢٧٥٥ ، ٢٧٥٦ ، ٢٧٥٧ ، ٢٧٥٨ ، ٢٧٥٩ ، ٢٧٦٠ ، ٢٧٦١ ، ٢٧٦٢ ، ٢٧٦٣ ، ٢٧٦٤ ، ٢٧٦٥ ، ٢٧٦٦ ، ٢٧٦٧ ، ٢٧٦٨ ، ٢٧٦٩ ، ٢٧٧٠ ، ٢٧٧١ ، ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ ، ٢٧٧٤ ، ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ ، ٢٧٧٧ ، ٢٧٧٨ ، ٢٧٧٩ ، ٢٧٨٠ ، ٢٧٨١ ، ٢٧٨٢ ، ٢٧٨٣ ، ٢٧٨٤ ، ٢٧٨٥ ، ٢٧٨٦ ، ٢٧٨٧ ، ٢٧٨٨ ، ٢٧٨٩ ، ٢٧٩٠ ، ٢٧٩١ ، ٢٧٩٢ ، ٢٧٩٣ ، ٢٧٩٤ ، ٢٧٩٥ ، ٢٧٩٦ ، ٢٧٩٧ ، ٢٧٩٨ ، ٢٧٩٩ ، ٢٨٠٠ ، ٢٨٠١ ، ٢٨٠٢ ، ٢٨٠٣ ، ٢٨٠٤ ، ٢٨٠٥ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٠٧ ، ٢٨٠٨ ، ٢٨٠٩ ، ٢٨١٠ ، ٢٨١١ ، ٢٨١٢ ، ٢٨١٣ ، ٢٨١٤ ، ٢٨١٥ ، ٢٨١٦ ، ٢٨١٧ ، ٢٨١٨ ، ٢٨١٩ ، ٢٨٢٠ ، ٢٨٢١ ، ٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣ ، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦ ، ٢٨٢٧ ، ٢٨٢٨ ، ٢٨٢٩ ، ٢٨٣٠ ، ٢٨٣١ ، ٢٨٣٢ ، ٢٨٣٣ ، ٢٨٣٤ ، ٢٨٣٥ ، ٢٨٣٦ ، ٢٨٣٧ ، ٢٨٣٨ ، ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ ، ٢٨٤١ ، ٢٨٤٢ ، ٢٨٤٣ ، ٢٨٤٤ ، ٢٨٤٥ ، ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٧ ، ٢٨٤٨ ، ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٠ ، ٢٨٥١ ، ٢٨٥٢ ، ٢٨٥٣ ، ٢٨٥٤ ، ٢٨٥٥ ، ٢٨٥٦ ، ٢٨٥٧ ، ٢٨٥٨ ، ٢٨٥٩ ، ٢٨٦٠ ، ٢٨٦١ ، ٢٨٦٢ ، ٢٨٦٣ ، ٢٨٦٤ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦ ، ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٦٩ ، ٢٨٧٠ ، ٢٨٧١ ، ٢٨٧٢ ، ٢٨٧٣ ، ٢٨٧٤ ، ٢٨٧٥ ، ٢٨٧٦ ، ٢٨٧٧ ، ٢٨٧٨ ، ٢٨٧٩ ، ٢٨٨٠ ، ٢٨٨١ ، ٢٨٨٢ ، ٢٨٨٣ ، ٢٨٨٤ ، ٢٨٨٥ ، ٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧ ، ٢٨٨٨ ، ٢٨٨٩ ، ٢٨٩٠ ، ٢٨٩١ ، ٢٨٩٢ ، ٢٨٩٣ ، ٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥ ، ٢٨٩٦ ، ٢٨٩٧ ، ٢٨٩٨ ، ٢٨٩٩ ، ٢٩٠٠ ، ٢٩٠١ ، ٢٩٠٢ ، ٢٩٠٣ ، ٢٩٠٤ ، ٢

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد : حدثنا عفان ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صهيب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : ( الذين أحسنوا الحسنَى وزيادة ) ، وقال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد : يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ لم يُنقل هؤلاء نادى ويبيض وجوها ، ويدخلنا الجنة ، ويرزقنا (١) من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب ، فينظرون إليه ، فوالله ما أعلم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ، ولا أثر لأهنيهم (٢) .

وهكذا رواه مسلم (٣) ، وجماعة من الأئمة ، من حديث حماد بن سلمة ، به .

وقال ابن جرير : أخبرنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنا شيبة ، عن أبان ، عن أبي تميمه المجشمي : أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبيت يوم القيامة ثمانين نادى : يا أهل الجنة - بصوت يُسمَع أولهم وآخرهم - : « إن الله وعدهم الحسنَى وزيادة » ( الحسنَى ) : الجنة ، و ( زيادة ) : النظر إلى وجه الرحمن عز وجل ، (٤) .

ورواه أيضاً ابن أبي حاتم ، من حديث أبي بكر الملقبي ، عن أبي تميمه المجشمي ، به .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثنا ابن حميد ، حدثنا إبراهيم بن الحضر ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن كعب ابن عجرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( الذين أحسنوا الحسنَى وزيادة ) ، قال : « النظر إلى وجه الرحمن عز وجل » (٥) .

وقال أيضاً : حدثنا ابن عبد الرحيم ، حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، سمعت زهيراً عن مسجع أنها العالية ، حدثنا أبي بن كعب : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : ( الذين أحسنوا الحسنَى وزيادة ) ، قال : « الحسنَى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل » (٦) .

ورواه ابن أبي حاتم أيضاً من حديث زهير ، به .

(١) في المتن : « ويرزقنا » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٣٣/٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب « إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لرحم سبحانه وتعالى » ١١٢/١ . ونحله الأشعري في تفسير سورة يونس ، الحديث ١٠٣ : ٢٢/٨ ، ٢٣ . وقال الثعلبي : « حديث حماد بن سلمة . هكذا رواه غير واحد من حماد بن سلمة مرفوعاً . وروى سليمان بن المغيرة هذا الحديث عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله ، ولم يذكر فيه من صهيب » عن النبي صلى الله عليه وسلم . وسئل ابن ماجه : المقتضا : للحديث ١٨٧ ، ١٨٧/١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٦١٨ : ٦٥/١٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٦٢١ : ٦٨/١٥ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٦٢٢ : ٦٩/١٥ .

وقوله تعالى : ( ولا يَمُنُّ بِوَجْهِهِمْ قَر ) ، أي : قام وسواد في حرّيات الحشر ، كما يمتري وجوه الكفرة النجسة من الكفرة والنجسة ، ( ولأنه ) ، أي : هو ان وصفاً ، أي : لا يحصل لهم إهانة في الباطن ، ولا في الظاهر ، بل هم كما قال تعالى في حقهم : ( فوَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَلَقَدْ أَتَوْهُ مُتَتَرِّفِينَ ) ، أي : تضرع في وجوههم ، وسرواً في قلوبهم ، جعل الله منهم بفضلهم ورحمته ، آمين :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَلْبَسُوا لَهُمِ الشَّيْطَانُ أَثْمَالَهُمْ وَعَتَمَهُمُ الذُّلَّةُ الْمَلْسَمَةُ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَائِيسَ كَانَتْ أَغْشَيْتُ وَجُوهَهُمْ  
فَلَمَّا مَنِ الْبَلِي مَطْلَبُ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٧﴾

٦٧ أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يضاهون لهم الحسنة ، ويضادون على ذلك ، صلت بذلك حال الأتقياء ، فلذكر حاله تعالى بهم ، وأنه يجازيهم على السجدة بطلها ، لا يزيهم على ذلك ، ( وترحمهم ) ، أي : ترحمهم وتطوهم ذلك من معاصيهم ووجوههم منها ، كما قال تعالى : ( وترام يترضون عليها غاشمين من اللئيم ينظرون من طرف خفي ) (١) ، وقال تعالى : ( ولا تحسن الله خلقاً لها يحمل الظالمون ، إنما يترحمهم يوم تخلص فيه الأبصار مهبط منقلى رعوهم لا يرد إليهم طرفهم وأنتهم هراء ) وأتلى الناس يوم يأثمهم اللطاب (٢) ، وقوله : ( ما لم من الله مع حاسم ) ، أي : من مانع ولا واق يقبهم اللطاب ، كما قال تعالى : ( يقول الإنسان يومئذ أين المكر - كلاً لا وزر - إلى ربك يومئذ المسقر (٣) ) .

وقوله : ( كَانَتْ أَغْشَيْتُ وَجُوهَهُمْ قطعاً من الليل مظلماً ) ، إنباه عن سواد وجوههم في النار الآخرة ، كما قاله تعالى : ( يوم يبيض وجوه وسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكثرهم بعد إيمانكم ؟ فلو قوا الطلاب بما كنتم تكفرون ) وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (٤) ، وكما قال تعالى : ( وجوه يومئذ مسفرة - ضاحكة مستبشرة - ووجوه يومئذ عليها غبرة - ترحقها قرة ، أولئك هم الكفرة الفجرة (٥) ) : هذه الآية .

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَمًا ثُمَّ يَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ قَالُوا قُرْبَانًا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارٌ تَلْبَسُونَ ﴿٦٨﴾ فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا وَإِنَّكَ إِذْ عَنْ عِبَادَتِكَ لَغَفِيلٌ ﴿٦٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ  
وَعُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوَاسِمَهُمُ لَمُتٍ وَقَدْ خَلَتْ عَنْهُمْ آكَافُهُمْ يَتَفَرَّقُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى : ( يوم نحشرهم ) ، أي : أهل الأرض كلهم ، من إنس وجن ، وير ولنهر ، كما قاله : ( وحشرناهم فلم يفلت منهم أحداً ) (٦) .

- (١) سورة القصص : آية : ٤٥ .
- (٢) سورة الأعراف : الآيات : ٤٤ - ٤٦ .
- (٣) سورة القلم : الآيات : ١٢ - ١٤ .
- (٤) سورة آل عمران : آية : ١٠٦ ، ١٠٧ .
- (٥) سورة سبأ : الآيات : ٢٨ - ٤٢ .
- (٦) سورة الكهف : آية : ٤٦ .

( لم نقول للذين آمنوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ) ، أى : أقموا أنتم وهم مكاناً معيماً ، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين ، كما قال تعالى : ( وامتازوا اليوم أيها المجرمون ) (١) ، وقال : ( ويوم تقوم الساعة يرمدد يفرقون ) (٢) ، وفى الآية الأخرى : ( يومئذ يصدحون ) (٣) ، أى : يصيرون صِدْحِينَ (٤) ، وهذا يكون إذا جاء الرب تعالى لفصل القضاء ولهذا قيل ذلك (٥) ..... يستشفح للمؤمنين إلى الله تعالى أن يأتى لفصل القضاء ويرحمنا من مقامه هذا ، وفى الحديث الآخر : « نحن يوم القيامة على كثرهم فوق الناس » (٦) .

وقال الله تعالى فى هذه الآية الكريمة إخباراً عما يأمر به المشركين وأولادهم يوم القيامة : ( مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فربنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون ) ، أنكروا عبادتهم ، وتبرءوا منهم ، كما قال تعالى : ( سيكتفرون بعبادتهم ويكونون : عليهم ضلأ ) (٧) الآية : وقال ( إذئبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ) ، وقال : ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون : وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) (٨) .

وقال فى هذه الآية إخباراً عن قول الشركاء فيما واجهوا فيه عابدين عند ادعائهم عبادتهم : ( تكفى بالله شهيدياً بيننا وبينكم إن كنا من عبادكم الظالمين ) ، أى : ما كنا نشعر بها ولا نعلم ، وإنما أنتم تمدوننا مع حيث لا ندرى بكم ، والله شهيد بيننا وبينكم أنا ما دعوكم إلى عبادتنا ، ولا أمرناكم بها ، ولا وضعتنا منكم بذلك .

وفى هذا تذكير عظيم للمشركين الذين هبوا مع الله ضربه ، ممن لا يسمع ولا يبصر ، ولا يلقى عنهم شيئاً ، وهم بأمرهم بذلك ولا رعى به ولا أراداه ، بل تبرأ منهم [قفاً وقتك أخرج ما يكونون إليه ، وقد تركوا عبادة الله للقديم ، للسميع البصير ، القادر على كل شئ ، العليم بكل شئ ، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه ، أمراً بعبادته ، وحده لا شريك له ، ناهياً عن عبادة ما سواه ، كما قال تعالى : ( ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا : أن اعبدوا الله واجتنبوا المظالم ) ، فلهذه من هدى الله ومنهم من حققت عليه الضلالة ] (٩) . وقال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يؤتىه

(١) سورة يس ، آية : ٥٩ .

(٢) سورة الروم ، آية : ٩٤ .

(٣) سورة الروم ، آية : ٤٣ .

(٤) الصبح - بكسر فسكون - ، القرعة ، أى يصيرون فرقتين .

(٥) بئنه يابض فى المظلمة - وحديث الاستشفاح ، أخرجه البخارى فى التفسير سورة البقرة : ٢١٩/٢٦ . وابن ماجه فى كتاب التزهد ، باب : ذكر القفاعة : الحديث ٤٣١٢ ، ١٤٤٢/٢ . والإمام أحمد فى مسنده : ١٩٩/٢٣٠ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن جابر بن عبد الله : ٣٤٥/٢٣ .

وكرم - يقع التكاف وسكون الواو - ولحنها كرمه - هى : المراضع للمصيبة العالية .

(٧) سورة مريم ، آية : ٨٢ .

(٨) سورة الأنعام ، آية : ٩٠ .

(٩) سورة النمل ، آية : ٢٩ .

إله أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (١) ، وقال : ( وسأله من أرسلنا من قبلك من رسلنا ليعلمنا من دون الرحمن أنه يعبدون (٢) ) ؟

وللمشركون أنواع وأنسام كثيرون ، قد ذكروهم الله في كتابه ، وبينت أسواقهم وأقوالهم ، وودّ عليهم فيما هم فيه أتم ود . وقوله : ( هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ) ، أي : في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من خير وشر ، كما قال تعالى : ( يوم تبل السرائر (٣) ) ، وقال تعالى : ( بينا الإنسان يومئذ بما قدم وأخبر (٤) ) ، وقال تعالى : ( ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيماً (٥) ) .

وقد قرأ بعضهم : ( هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت (٦) ) ، وفسرّها بعضهم بالقرامة ، وفسرّها بعضهم بمعنى تتبع ما قلعت من خير وشر ، وفسرّها بعضهم بحديث : « تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس للشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر للقمر » ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت (٧) ... الخ الحديث .

وقوله : ( وردوا إلى الله مولاهم الحق ) ، أي : ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل ، فضلها ، وأدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار .

( وضل عنهم ) ، أي : ذهب عن المشركين ( ما كانوا يفترون ) ، أي : ما كانوا يعبدون من دون الله اقراء عليه .

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمِنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا يَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَئِنْ لَكَ اللَّهُ رَيْبٌ فَتَقَدَّرَ بِهِ السُّعْيُ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنَّ يَوْمَهُمْ كَذَلِكَ هَصَفَ لَكُمُ اللَّهُ يَوْمَ تَكُونُ يَدُكَ عَلَى الْآيِنِ فَسَقُوا أَنفُسَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

يخرج تعالى على المشركين باضرافهم يوحدهيته وديوبيته على وحدانية الإله ، فقال : ( قل من يرزقكم من السماء والأرض ) ، أي : من ذا الذي ينزل من السماء ماء للطر ، فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيته ، فيخرج منها (حياً) وحيهاً ونفسها : وزيوتها وحبها : وحدائقها : وثمارها وأبها (٨) ، إله مع الله ؟ فيقولون : الله : ( أمن هذا

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ . وديوسى : هكذا في خطوطة الأثر ، وهي قراءة ثابتة ، ينظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٠٧/٦ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٤٥ .

(٣) سورة الطلاق : آية ٩ .

(٤) سورة القلم : آية ١٣ .

(٥) سورة الإسراء : آية ١٣ ، ١٤ .

(٦) نسخة البغوي : ٨١/١٥ ، إلى جماعة من أهل الكوفة ، وبعض أهل الحجاز ، وينظر البحر المحيط لأبي حيان ١٥٣/٥ .

(٧) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرواية : ١١٢/٦ . والبيهقي ، تفسير سورة النساء : ٥٦/٦ .

(٨) سورة ص : الآيات ٢٧ - ٣١ .

الذى يرزقكم إن أمسك رزقه ؟ (١) وكذلك قوله : (أمن بلك السمع والأبصار) (٢) ، أى : الذى وهبكم هذه القوة السامعة ، والقوة الباصرة ، ولو شاء لذهب بها وسلبكم إياها ، كما قال تعالى : ( قل : هو الذى أنشأكم ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ) (٣) وقال : ( قل : أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وجنم على قلوبكم ، من إله غير الله يأتيكم به ) (٤) .

وقوله : ( ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ) ، أى : بقدرته للعظيمة ، ومعه السميمة ، ولد تادم ذكر الخلافة فى ذلك ، وأن الآية عامة فى ذلك كله ،

وقوله : ( ومن يبدل الأمر ) ، أى : من يبدل ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ، وهو المتصرف الحاكم الذى لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ( يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن ) (٥) ، فالملك كله المسئوب والمسئول ، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان ، فقبرون إليه ، حيدله ، خاضعون لديه ، ( فيقولون الله ! أى : هم يعلمون ذلك ويعترفون به ، ( قل أأنا نتقون ) ، أى : أأنا نخافون منه أن يهدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم ؟

وقوله : ( فذلك الله ربكم الحق فإذا بهد الحق إلا الضلال فأتى تصرفون ) ، أى : فهذا الذى احترق بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذى يستحق أن يفرد بالعبادة ، ( فإذا بهد الحق إلا الضلال ) ، أى : فكل مبدع سواه باطل ، لا إله إلا هو ، واحد لا شريك له .

( فأتى تصرفون ) ، أى : فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه ، وأنتم تعلمون أنه الرب الذى خلق كل شىء ، والمتصرف فى كل شىء ؟ .

وقوله : ( كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ) ، أى : كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره ، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف فى الملك وحده ، الذى بعث رسلا بنوحه ، فلها حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من سأكى النار ، كقوله : ( قالوا ! بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) (٦) .

(١) سورة الملك ، آية ٢١ .

(٢) سورة يونس ، آية ٢١ .

(٣) سورة الملك ، آية ٢٢ .

(٤) سورة الأنعام ، آية ٤٦ .

(٥) سورة الرحمن ، آية ٢٩ .

(٦) سورة الزمر ، آية ٧١ .

[illegible]

وهذا إيظافاً للمواهم فبما أشركوا بالله غيره ، وحيداً من الأسماء والأنداد ، ( قل : هل من شركائكم من بيننا الخلق ثم يعيده ؟ ) ، أى : من بدأ خلق هذه السموات والأرض ثم ينشئ ما فيهما من المخلوقات ، ويفرق أجرام السموات والأرض ويصلحها [ يفتنا ما فيها ] ، ثم يعيد المخلوق خلقاً جديداً ؟ ( قل : الله ) ، هو الذى يفضل هذا ويستقل به ، وحده لا شريك له ، ( فأتى تؤفكون ) ، أى : فكيف تصرفون عن طريق الرشd إلى الباطل ؟ !

( قال : هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ؟ قال : الله يهدي الحق ) ، أي : أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تضر  
 حل هداية ضالّك ، وإنما يهدي الطيار والضلّال ، ويقبض القلوب من النى إلى الرشد ، الله الذى لا إله إلا هو

(الفرى جعدىك الحق اسحق ان يقع لمن لا جعدىلا أن جعدى ) ، أى : أليستجيب [العبد الذى يهدى إلى الحق ويؤمن به] الناس ، أم للذى لا جعدى إلى شئ - [إلا ] أن جعدى ، لعماه وبكمه ؟ كما قال تعالى [خياراً عن إبراهيم أنه قال : يا أبت تصد ما لا سمع ولا بصر ولا يخفى عليك شيئاً<sup>(١)</sup>] ، وقال لقومه : ( أمنهلدون ما ننسئون ؟ والله خلقكم وما تعملون<sup>(٢)</sup>) ) ، إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ( فما لكم كيف تحكمون ) ، أى : فما بالكم بكمحبّ بقولكم ، كيف سويم بين الله وبين خلقه ، وعذبتهم هذا جلا ، وعهدتم هذا مهلا ؟ ولما أفردتم الرب جلالة المالك الحاكم المادى من الضلالة بالمهادنة وحده ، وأنخلص إليه الدعوة والإجابة ؟ !

ثم يرد الله أنهم لا يهود في دينهم هذا دليلا ولا برهانا ، وإنما هو ظن منهم ، أي ، توهم وتخييل ، وذلك لا يخفى عنهم شيئا ، (إن الله عالم بما يقولون) ، تعجب لهم ، ووعيد شديد ، لأنه تعالى أخبر أنه سيجازيهم على ذلك آثم الجزاء .

(۱) سورة مريم، آية ۴۷.

(٢) صورة المساقط : آية ٤٤ و ٤٥ :



وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ نَحْنُ نُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِلُ الْكِتَابَ لِرَبِّهِ  
فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْطَمَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ إِنَّكُمْ كُنتُمْ مَعْدُودِينَ ﴿٥١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا إِلَيْهِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ تِلْكَ الْآيَاتُ مِنْ قَبْلِهِمْ  
فَانْتَرَكُوهَا فَكُلُّهُمْ عِزَّةٌ بِمَا لَهُمْ وَلَكِنْ نَحْنُ زَاهِدُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ مِّنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يَأْتِ بِالْعَمَلِ الْفَاسِدِ ﴿٥٣﴾

هنا بيان لإعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتيوا بمثله ، ولا بشر سور ، ولا بسورة من مثله ، لأنه يصاحبه وبلاغته وجزاه وحلاوته ، وإشباله على المعاني العزيرة ، الطافه في الدنيا والآخرة ، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبه شيء في ذاته ولا صفاته ، ولا في أفعاله وأقواله ، فكلما لا يشبه كلام الخلقين ، ولهذا قال تعالى : ( وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ) ، أي : مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ، ولا يشبه هذا الكلام البشر . ( ولكن تصديق الذي بين يديه ) ، أي : من الكتب المنقطة ، ومهيئاً عليها ، ومبينا لا وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل .

وقوله ، ( وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب المانع ) ، أى : وبين الأحكام والحلال والحرام ، بياناً شافياً كافياً حقاً لا ريب فيه من الله رب العالمين ، كما تقدم فى حديث الحارث الأعور ، عن عبد بن أبي طالب ، « فى خبر ما فىكم ، وتباً ما بكم ، وفصل ما بينكم » ، أى : خبر عما سلف وما مبالغ ، وحكم فيما بين الناس بالشرع الذى فيه الله وبراهنه »

وقوله : ( أَمْ يَقُولُونَ افترأ ؟ قل : فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من أسفلهم من دون الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ )  
 أَيْ : إِنْ ادَّعَيْتُمْ وَافْتَرَيْتُمْ وَشَكَكْتُمْ فِي أَنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَلَقَدْ كُتِبَ لَكُمْ وَمِثْلًا : إِنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ ، فَحُجِّدْ بَشَرَكُمْ ،  
 وَقَدْ جَاءَ فِيَا زَعَمَ بِهِمَا الْقُرْآنُ ، فَأْتُوا أَنْتُمْ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، أَيْ : مِنْ جِنْسِ الْقُرْآنِ ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ  
 مَنْ تَقَدَّرَ عَلَيْهِ مِنْ لُغَوِيٍّ وَجَاهِلٍ .

وهذا هو المقام الثالث في التحلى ، فإنه تعالى تلمذهم ودعاهم ، إن كانوا صادقين في دعواهم ، أنه من عند محمد ، فلتأمرهم به ، فليأمرهم بما جاء به وحده واستمعوا لغيره ، فليستعجبوا ، ثم لا يتقدموا على ذلك ، ولا يسبقوا له ، فقال تعالى : قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتيوا بعلم هذا القرآن لا يأتيون به مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ( ١ ) ، ثم تقاصر معهم إلى حشر سورته ، فقال في أول سورة هود : ( أم يقولون افتراء ) قل : فأتوا بشيء مثله ، فمقربات ، واحدها من استسلم من دون الله إن كنتم صادقين ( ٢ ) ، ثم تنازل إلى سورة ، فقال في هذه العنود : ( أم يقولون افتراء ) قل : فأتوا بسورة مثله ، واحدها من استسلم من دون الله إن كنتم صادقين ( ٣ ) ، وكلنا في سورة

(١) سورة الإسراء، آية ٨٨.

(۲) سورة: هود، آية: ۳۳.

البقرة - وهي مدنية - نعام بسورة منه ، وأخير آتهم لا يستطيعون ذلك أبداً ، فقال : ( فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فانفوا النار ) (١) ... الآية .

هذا وقد كانت القصص من سجاياهم ، وأشعارهم ومعلقاتهم إليها انتهى في هذا الباب ، ولكن جاءهم من الله ما لا قبيل لأحد به ، ولهذا آمن من آمن منهم بما عرف من بلاغة [ هذا الكلام وحلاوته ، وجزالته وطلاوته ، وإفادته وبراعته ] ، فكانوا أعلم الناس به ، وأفهمهم له ، وأتبعهم له وأشدهم له انقياداً ، كما عرف السحرة ، لعلهم يفنون السحر ، أن هذا الذي فعله موسى عليه السلام لا يصدر [إلا] عن مؤيد مُسَدَّد مرسل من الله ، وأن هذا لا يستطيع لبشر إلا بإذن الله . وكذلك عيسى عليه السلام بُعث في زمان علماء الطب ومعالجة المرضى ، فكان يرىء الأكمة والأبرص ، وينجي الموتى بإذن الله ، ومثل هذا لا يدخل للعلاج والدواء فيه ، فعرف من عرف منهم أنه عبد الله ورسوله ، ولهذا جاء في الصحيح ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن حل مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابهاً » (٢) .

وقوله : ( بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولا يأتهم تأويله ) ، يقول : بل كذب هؤلاء بالقرآن ، ولم يفهموه ولا عرفوه ، ( ولا يأتهم تأويله ) ، أي : ولم يحصسوا ما فيه من المعنى ودين الحق إلى حين تكذيبهم به جهلاً وسفهاً ؛ ( كذلك كذب الذين قبلهم ) ، أي : من الأمم السالفة ، ( فانظر كيف كان حاقية الظالمين ) ، أي : فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم وفسادهم وظلماً وحلوا ، وكفرا وعناداً وجهلاً ، فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم .

وقوله : ( ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به ، وربك أعلم بالمفسدين ) ، أي : ومن هؤلاء الذين بُعثت إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن ، ويتبعك ويتتبع بما أرسلت به ، ( ومنهم من لا يؤمن به ) ، بل عوت على ذلك ويمت عليه ، ( وربك أعلم بالمفسدين ) ، أي : وهو أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه ، ومن يستحق الضلالة فيضلّه . وهو العادل الذي لا يجوز ، بل يعطى كلا ما يستحقه ، تبارك وتعالى وتقدس وتزه ، لا إله إلا هو .

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي حَسْبِيَ اللَّهُ وَلَكَرَّهْتُمْ أَنْتُمْ بَرِيغُونَ بِمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الصُّبَّاءَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : وإن كذبك هؤلاء المشركون ، فبأمر منهم ومن حَسْبُكَمْ ، ( قل : لي حبل ولكم حبلكم ) ، كقولهم تعالى : ( قل يا أيها الكافرون : لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما

(١) البقرة آية : ٢٤ .

(٢) البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، ٢٢٤/٦٦ . وسلم ، كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا همه صل الله عليه وسلم ونسخ الملل ماله ، ٩٢/١٠١ ، ٩٢ .

حديث : ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين<sup>(١)</sup> . وقال إبراهيم الخليل وأتباعه قومهم المشركين : إنا بريء منكم وتعبدون من دون الله ككفرنا بكم ، ولما بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده<sup>(٢)</sup> :  
وقوله : ( ومنهم من يستحقون إليك ) ، أي : يسمعون كلامك الحسن ، والقرآن العظيم ، والأحاديث الصحيحة النصيحة الثابتة في القلوب والأبدان والأديان ، وفي هذا كفاية عظيمة ، ولكن ليس ذلك إليك ولا إليهم ، فإنك لا تقدر حل إسماع الأصم - وهو الأرض - فكذلك لا تقدر حل حداية هؤلاء ، إلا أن يشاء الله .

( ومنهم من ينظر إليك ) ، أي : ينظرون إليك وإلى ما أعطاك الله من التزودة ، وللمست الحسن ، والخلق العظيم ، والدلالة الظاهرة على نبوتك لأولى البصائر والنبي ، وهؤلاء ينظرون كما ينظر غيرهم ، ولا يحصل لهم من الهداية شيء مما يحصل لغيرهم ، بل للؤمنون ينظرون إليك بمن الوار ، والكافرون ينظرون بمن الاحقار ، ( وإذا أولئك إن يخطئوك إلا هزوا أملاً الذي بعث الله رسولا : إن كاد ليشأنا أن نصبراً عليها ، وسوف يطمعون حين يرون المطلب من أفضل صيلا<sup>(٣)</sup> .

ثم أخبر تعالى أنه لا يظلم أحد شيئاً ، وإن كان قد عدى به من عدى وبصر به من العسى ، وفتح به أعتابهما ، وأذاخنا صبا ، وقلوباً خلقا ، وأضل به عن الإيعان آخرين ، فهو الحاكم للمصرف في ملكه بما يشاء ، الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته وعدله ، ولما قال تعالى : ( إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ) ، وفي الحديث من أبى ذو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » - إلى أن قال في آخره : يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوليكم بها ، فمن وجد غيراً فلا يجد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه : « رواه مسلم بطوله<sup>(٤)</sup> .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ ۚ فَكَانَ لِلرَّبِّ السَّطْوَةُ ۖ لَا مَنَافَةَ مِنْ أَهْلِهَا ۚ يَتَحَارَفُونَ فِيهِمْ فَدَّخِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِيقَادِ اللَّهِ وَكَانُوا مُهَيِّئِينَ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى مذكراً للناس قيام الساعة وحشرهم من أجدانهم إلى حرصات القيامة : كأنهم يوم يوالونها لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعته من النهار ، كما قال تعالى : ( كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا ذرة لَوْ عَسِوا فُوعِصاً<sup>(٥)</sup> ) ، وقال تعالى : ( يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً : يتحارفون بينهم إن ليتم الإعشار : نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أظلم طريقة إن ليتم إلا يوماً<sup>(٦)</sup> ) ، وقال تعالى : ( ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ) ، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان : لقد لبثتم في كتابنا الله إلى يوم القيمة ، فهلما يوم القيمة ولكنكم كنتم لا تعلمون<sup>(٧)</sup> ) ،

(١) سورة الكافرون ١-٢-٣-٤-٥-٦ .

(٢) سورة النصف آية ٤ .

(٣) سورة الفرقان آية ٥١ ، ٥٢ .

(٤) مسلم ، كتاب قهر ، باب : تحريم الظلم ، ١٧٠ ، ١٧١ .

(٥) سورة النحل آية ٤٦ .

(٦) سورة طه ، الآيات ١٠٢ - ١٠١ .

(٧) سورة الروم آية ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٦ .

وهذا كله دليل على استعصار الحياة الدنيا في النار الآخرة كما قال : ( قال : كم ليتم في الأرض عدد متيق ر قالوا : لبتنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين : قال : إن ليتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون (١) ) »

وقوله : ( يتعارفون بينهم ) ، أي : يعرف الأبناء الآباء ، والقرابات بعضهم بعضا ، كما كانوا في الدنيا ، ولكن كل مشغول بنفسه ، ( فإذا لقح في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (٢) ) ، وقال تعالى : ( ولا يسألك حميم حميا يصرونهم يوم الغرم لو يغتنى من هذاب يومئذ بينية وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تؤبه ومن في الأرض جميعا لم ينسبه : كلا (٣) ) »

وقوله : ( قد خسر الدين كلوا بقاء الله وما كانوا مهتئين ) ، كتوله تعالى : ( ويل يومئذ للمكذبين (٤) ) ، لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران العظيم ، فهذه هي الخسارة العظيمة ، [ ولا خسارة أعظم من خسارة ] من فرق بينه وبين أخيه ، يوم الحسرة والندامة

وَأَمَّا لِرَبِّكَ بِمَعْضُ الثَّنَىٰ لِحُجَّتِهِ أَوْ تَنفِيذِكَ فَاَلَيْتُمْ أَنَّ رَبَّكُم مِّنْ مَّجْمُوعٍ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ مَّوْعِدٌ فَإِذَا جَاءَ مُوْعِدُهُمْ يَقْنَطُ بِهِمْ بِإِغْتِيَابِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم : ( وأما لربك بمعض الثنأ لحجته أو تنفيذك فإليتكم مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ) أي : تستم [ منهم ] في حياتك ، فترجعهم إليك منهم ، ( أو تنفيذك فإليتكم مرجعهم ) ، أي : مصيرهم ومقتدبهم ، والله شهيد على أفعالهم بعمله

وقد قال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا حنيفة بن مكرم ، حدثنا أبو بكر الحنفي ، حدثنا داود بن الجارود ، عن أبي السليل ، عن حنيفة بن أسيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُرِّبْتُ عَلَى أُمِّي الْهَارِثَةِ لِهَذِهِ الْحِجَةِ ، أَوْهَا وَأَخْرَجَهَا ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حُرِّبَ حَلِيقُكَ مِنْ حَلِيقِكَ ، فَكَيْفَ مَعَ لَمْ يُلْقَ ؟ فَقَالَ : صَوَّرَهَا لِي فِي الطَّبَقِ ، حَتَّى إِذَا لَاحَظْتُ بِالْإِنْسَانِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِصَاحِبِهِ »

ورواه عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن حنيفة بن مكرم ، عن يونس بن بكير ، عن زياد بن المنذر ، عن أبي الطفيل ، عن حنيفة بن أسيد ، به نحوه

وقوله : ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ مَّوْعِدٌ فَإِذَا جَاءَ مُوْعِدُهُمْ ) ، قال قتادة : يعني يوم القيامة (١٥) »

(١) سورة المزمل : آية ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) سورة المزمل : آية ١٦٩ .

(٣) سورة الماعج : الآيات ١١ - ١٥ .

(٤) سورة المزلت : آية ١٥ .

(٥) تفسير الطبراني ، الأثر ١٢٧٦٩ ، ١٢٧٧٠ .

(لنفي بينهم بالقطع وهم لا يظلمون) ، كما قال تعالى: (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبي والشهداء ونفى بينهم بالحق ، وهم لا يظلمون) (١) ، فكل أمة تمرّس على الله بحضرة رسولها ، وكتاب أهلها مع خبر وشر موضوع شاهد عليهم ، وحفظهم من اللاتكة شهود أيضا أمة بعد أمة : وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم في الخلق ، إلا أنها أول الأمم يوم القيامة بفعل بينهم ، ونفى لهم ، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، المقضى لهم قبل الخلاق » (٢) ، فانه إنما حازت قسمة السابق لثرفت رسولها ، صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين .

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي شَيْئًا وَلَا لِقَوْمِي إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴿١١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ مَلَائِكَةً لَوْ تَهَادَرُوا مَاذَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُ الْمُجِيبُونَ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَأْمُرْ إِذَا مَا وَقَعَ دَعَانُكُمْ بِهِ ؕ الْفَنّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَجِيبُونَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ يَنْسِلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قُلُوبًا مَّنْقَابًا لَّئِنْ لَمْ يَنْجِئْهُم مِّنْ عُذْرٍ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى غيبراً عن كثر هؤلاء المشركين في استعجالهم للمدائب وسؤالهم عن وقته قبل التصديق ، مما لا يفتقر فيه لهم ، كما قال تعالى : ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق ) (١٣) ، أي : كانت لا حالاً وواقعة ، وإن لم يعلموا وقتها حيناً ، ولها أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم فقال : ( قل لا أملك لنفسي شراً ولا نقماً إلا ما شاء الله ) ، أي : لا أقول إلا ما حطني ، ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني عليه ، فأتانا جبهه ورسوله إليكم ، وقد أخبركم بحجي الساعة وأنها كائنة ، ولم يطلعني على وقتها ، ( لكل أمة أجل ) . أي : لكل قرن مدة من العمر مقدرة ، فإذا انقضى أجلهم ( فلا يستعجلون ساعة ولا يستسلمون ) ، كما قال تعالى : ( ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ) (٤) ثم أخبرهم أن عذاب الله سيأتيهم بغتة ، فقال : ( قل أرايتم إن أتاكم حمله بيانا أو نهاراً ) ، أي : ليلاً أو نهاراً ، ( ماذا يستعجل منه المجرمون . ألم إذا ما وقع آمنتم به ) ، يعني : أستم إلا جاعلهم للعذاب قالوا : ( ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحاً إننا موقنون ) (٥) ، وقال تعالى : ( فلما رأوا بأسنا قالوا : آتتنا بآله وحدد ، وكفرت بما كنا بمشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في قبلي وللمفسدين عذاباً عظيم ) (٦) .

هاتك الكافرون (٦) .

- (١) سورة الزمر ، آية ٦٩ .
- (٢) مسلم ، كتاب الجمعة ، باب حذابة هذه الأمة ليوم الجمعة ، ٧٢٣ .
- (٣) سورة الشورى ، آية ١٨ .
- (٤) سورة المائدة ، آية ١١ .
- (٥) سورة السجدة ، آية ١٢ .
- (٦) سورة طه ، آية ٨٥ .

ثم قيل للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار ، أي : يوم القيامة يقال لهم هذا نيكيتا وقرعيا ، كقوله : ( يوم يُدْعَوْنَ إلى نار جهنم دُعَاً ، هذه النار التي كنتم بها تكلمون ، أنسر هنا أم أنتم لا تبصرون ، اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إذا تجاوزت ما كنتم تعملون ) (١) .

وَيَسْتَعِزُّونَكَ الْفِتْنَةُ وَفِي ذَلِكَ الْبَاطِلِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِندَ رَبِّكَ أَكْثَرَ مِنَ الْعِزِّ لَأَقْبَلَتِ الْكُفْرُ الْإِثْمَ وَالْزُلْمَ وَكُلَّ الْبَاطِلِ يُفْضَىٰ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى : ويستعيزونك الفتن ، ( أفتي هو ) ؟ أي : للمعاد والقيامة من الأحداث بعد صيرورة الأجسام ترابا : قل : لئن أدرك الله لئن وما أنتم بمعجزين ، أي : ليس صيروتكم ترابا بمعجزه من إعادتكم كما بئاكم من العدم : ( إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن فيكون ) (٢) .

وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيات أنبياء ، يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد : [ قل : ] سورة سبأ : ( وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة ، قل : بل ودي لآياتكم ) (٣) ، وفي النحل : ( زعم الذين كفروا أن لن نمشوا ، قل : بل ودي فيمن ، ثم ليتبين بما حملتم ، وذلك على الله يسير ) (٤) .

ثم أنسر تعالى أنه إذا قامت القيامة يرد الكافر لو التفتى من حباب الله جلء الأرض ذعبا ، ( وأمرؤا الندامة لما أراوا الحذاب ، وفتق بينهم بالقسط ) ، أي : بالحق ، ( وهم لا يعلمون ) .

أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ الَّذِي يُعْطِي

يُضَرِّمُ تِلْكَ ، العلم بما تفرق من الأجسام وتفرق في سائر أقطار الأرض والبحار والتفاز :  
يُضَرِّمُ تِلْكَ ، العلم بما تفرق من الأجسام وتفرق في سائر أقطار الأرض والبحار والتفاز :

يُعْطِي السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَمَا فِي الْأَرْحَامِ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ قُلْ يُغْنِي عَنْكَ اللَّهُ وَعْدَهُ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُؤْتِي

يقول تعالى : ( يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم ، وشقاء في الصور ) ، ( وشقاء في الصور ) ، أي : من الشبهة والشكوك ، وهو إزالة ما فيها من رجس ودنس ، ( وهدي ورحمة ) ، أي : حصن لما للحياة والرحمة من الله تعالى : ( وإنما ذلك المومنين به والمصدقين للوحي )

(١) سورة الطور : الآية ١٧ - ١٦ .

(٢) سورة يس : الآية ٨٢ .

(٣) سورة سبأ : الآية ٧ .

(٤) سورة النحل : الآية ٦٣ .

وقد أسنده الحافظ أبو القاسم الطبراني ، فرواه عن أن زُرعة الدمشقي ، عن حَبِيرة بن شُرَيْح ، عن بَقِية ، فذكره .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ دِينِهِمْ يَفْعَلُهُمْ مُتَمِصَّةً وَمُسَوَّمَةً قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعته أبا الأحوص - وهو هرون ابن مالك بن - نضلة ، يحدث عن أبيه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قشفت<sup>(١)</sup> الحية ، فقال : هل لك مال ؟ قال قلت : نعم ، قال : من أي المال ؟ قال قلت : من كل المال ، من الإبل والرتيق والخليل والعمى ، فقال : إذا أتاك مالا فليكن عليك : وقال : هل تنتج إبل قومك صاحبا أختافها ، فصعد إلى موسى فقطع أختافها ، فقول : هذه بحر ونشها ، أو تنق جلودها وتقول : هذه صرم<sup>(٢)</sup> ، ونحرهما عليك وعن أمك ؟ قال : نعم ، قال : فاهي ما أتاك الله لك حل ، وساعد الله أشد من ساعدك ، ومومي الله أحد من موملك ، وذكر تمام الحديث<sup>(٣)</sup> .

- (١) سورة الإسراء : آية ٥٧ .  
 (٢) سورة فصلت : آية ٤٤ .  
 (٣) سورة الأنعام : آية ١٣٦ .  
 (٤) أي : الفارق والتخلف والقتل .  
 (٥) - صرم - بضمين - جمع صرم ، وهي التي صرمت ألبا ، أي : قتلت .  
 (٦) سورة الزمّاح : آية ٥٧ .

ثم رواه عن صفوان بن يحيى ، عن أبي الخضر عمرو بن عمرو ، عن عمه أبي الأحوص (١) : ومن جاز بين أسد ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الملك بن عمار ، عن أبي الأحوص به (٢) . وهذا حديث جيد قوى الإسناد .

وقد أنكر تعالى على من حرم ما أسل الله ، أو أسل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء ، التي لا مستند لها ولا دليل عليها : ثم توعد من حل ذلك يوم القيامة ، فقال : (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) ، أي : ما ظنهم أن يمتنع بهم يوم مرجعهم إليها يوم القيامة .

وقوله : (إن الله للوفيل على الناس) - قال ابن جرير : في تركه مما حلتهم بالقوبة في الدنيا (٣) ،

قلت : ويحتمل أن يكون المراد للوفيل على الناس فيما أباح لهم ، مما حلقه من المنافع في الدنيا ، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في ديارهم أو دينهم .

(ولكن أكثرهم لا يشكرون) ، بل يرمون ما أنعم الله عليهم ، ويفضون على أنفسهم ، فيجعلون بعضا حلالا وبعضا حراما : وهذا قد وقع فيه للمشركون فيما شرعوه لأنفسهم ، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم .

وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الخضر ، حدثنا رياح ، حدثنا عبد الله ابن سليمان ، حدثنا موسى بن الصباح (٤) في قوله الله عز وجل : (إن الله للوفيل على الناس) ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يرتن بأهل ولاية الله عز وجل ، فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف - قال : يوتن رجل من الصنف الأول فيقول : حبي ، لماذا علمت ؟ فيقول : يا رب : خلقت الجنة وأشجارها ونهارها وأتارها ، وحورها ونعيمها ، وما أعددت لأهل طاعتك فيها ، فأسهرت ليلي واضمأت نهارى شوقا إليها : قال : فيقول الله تعالى : حبي ، إنما علمت الجنة ، هذه الجنة طاعتك فيها ، ومن فضل عليك أن أحفظك من النار ، [ ومن فضل عليك أن أدخلك جنتي ] ، قال : فيدخل هو ومع معه الجنة - قال : ثم يوتن رجل من الصنف الثاني ، قال : فيقول : حبي ، لماذا علمت ؟ فيقول : (يا رب : خلقت نارا وخلقت أفللا وسعيرا وسعومها وسحمومها ، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها ، فأسهرت ليلي واضمأت نهارى شوقا منها : فيقول : حبي ، إنما علمت ذلك خوفا من نارى ، فإنى قد أحفظك من النار ، ومن فضل عليك أن أدخلك جنتي : فيدخل هو ومن معه الجنة : ثم يوتن رجل من الصنف الثالث ، فيقول : حبي ، لماذا علمت ؟ فيقول : رب ، حيا لك ، وشوقا إليك ، وحزنا لك قد أسهرت ليلي واضمأت نهارى شوقا إليك وحبا لك : فيقول تبارك وتعالى : حبي ، إنما علمت حبا لى وشوقا لى ، فيعجل له الرب جل جلاله ، ويقول : ها أنا ذا ، انظر لك : ثم يقول : من فضل عليك أن أحفظك من النار ، وأبسطك جنتي ، وأزيرك ملائكتى ، وأسلم عليك بنفسى : فيدخل هو ومن معه الجنة .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٣٦٤ ، ١٣٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ .

(٣) تفسير طبري : ١١٢٤١٠ .

(٤) في الخطوط : « موسى بن أبي الصباح » . ولعله من تركه في البحر لا في سلم . ١١٢٤١٠ . وهو : موسى بن أبي كريمة .



وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٧﴾

يُخبر تعالى نبيه صلوات الله عليه وسلامه ~ أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته ، وجميع الخلائق في كل ساعة وآلة ولحظة ، وأنه لا يعزب عن علمه وبصره مقال ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، كقوله : ( وعنده مقاييس الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ) (١) ، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك الدواب المارحة ، في قوله : ( وما مع دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمأثلكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ثم إلى ربهم يحشرون ؟ ) (٢) وقال تعالى : ( وما مع دابة في الأرض إلا على الله عز وجلها يعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ) (٣) .

وإذا كان هذا علمه بحر كات هذه الأشياء ، فكيف يعلمه بحر كات المكلفين بالمؤمنين بالمعاهدة ، كما قال تعالى : ( وتوكل على العزيز الرحيم : الذي يراد حين تقوم وتقبل في الساجدين ) (٤) ، ولهذا قال تعالى : ( وما تكون في شأن ، وما تنلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ) ، أي : إذ تأملون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راعون سامعون ، ولهذا قال عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه » فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (٥) .

أَلَا إِذْ أَوْفَىٰ ۖ أَفْءَ لَا تُخَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ هَزْنُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ الْغِيْرَةُ فِي النَّفْسِ ۚ اللَّهُ يُبْدِلُ الْأَيْمَانَ بِالْغِيْرِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾

يُخبر تعالى أن أولياءه وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما فسرهم بهم ، فكل من كان تقيا كان هوليا : الله (لا يخوف عليهم) فبا يستقبلون من أهوال القيامة ، (ولا هم هزونون) ، أي ما وراهم في الدنيا .

وقال عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ، وغير واحد من السلف : أولياء الله الذين إذا رُموا بكبر (٦) .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع كما قال الهلالي :

(١) سورة الأنعام ، آية ٥٩ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٣٨ .

(٣) سورة هود ، آية ٦ .

(٤) سورة الفمراء ، آية ٢١٣ ، ٢١٨ .

(٥) أخرجه في كتاب الإيمان ، ينظر البخاري ، باب : سؤال جبريل الذي صلى الله عليه وسلم من الإيمان ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٢ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١٦٨٩ ، ١٦٩٠ ، ١٦٩١ ، ١٦٩٢ ، ١٦٩٣ ، ١٦٩٤ ، ١٦٩٥ ، ١٦٩٦ ، ١٦٩٧ ، ١٦٩٨ ، ١٦٩٩ ، ١٧٠٠ ، ١٧٠١ ، ١٧٠٢ ، ١٧٠٣ ، ١٧٠٤ ، ١٧٠٥ ، ١٧٠٦ ، ١٧٠٧ ، ١٧٠٨ ، ١٧٠٩ ، ١٧١٠ ، ١٧١١ ، ١٧١٢ ، ١٧١٣ ، ١٧١٤ ، ١٧١٥ ، ١٧١٦ ، ١٧١٧ ، ١٧١٨ ، ١٧١٩ ، ١٧٢٠ ، ١٧٢١ ، ١٧٢٢ ، ١٧٢٣ ، ١٧٢٤ ، ١٧٢٥ ، ١٧٢٦ ، ١٧٢٧ ، ١٧٢٨ ، ١٧٢٩ ، ١٧٣٠ ، ١٧٣١ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ ، ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ ، ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٨ ، ١٧٣٩ ، ١٧٤٠ ، ١٧٤١ ، ١٧٤٢ ، ١٧٤٣ ، ١٧٤٤ ، ١٧٤٥ ، ١٧٤٦ ، ١٧٤٧ ، ١٧٤٨ ، ١٧٤٩ ، ١٧٥٠ ، ١٧٥١ ، ١٧٥٢ ، ١٧٥٣ ، ١٧٥٤ ، ١٧٥٥ ، ١٧٥٦ ، ١٧٥٧ ، ١٧٥٨ ، ١٧٥٩ ، ١٧٦٠ ، ١٧٦١ ، ١٧٦٢ ، ١٧٦٣ ، ١٧٦٤ ، ١٧٦٥ ، ١٧٦٦ ، ١٧٦٧ ، ١٧٦٨ ، ١٧٦٩ ، ١٧٧٠ ، ١٧٧١ ، ١٧٧٢ ، ١٧٧٣ ، ١٧٧٤ ، ١٧٧٥ ، ١٧٧٦ ، ١٧٧٧ ، ١٧٧٨ ، ١٧٧٩ ، ١٧٨٠ ، ١٧٨١ ، ١٧٨٢ ، ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ ، ١٧٨٥ ، ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ ، ١٧٨٩ ، ١٧٩٠ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٢ ، ١٧٩٣ ، ١٧٩٤ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ ، ١٧٩٩ ، ١٨٠٠ ، ١٨٠١ ، ١٨٠٢ ، ١٨٠٣ ، ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ ، ١٨٠٦ ، ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ ، ١٨٠٩ ، ١٨١٠ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ ، ١٨١٣ ، ١٨١٤ ، ١٨١٥ ، ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨١٨ ، ١٨١٩ ، ١٨٢٠ ، ١٨٢١ ، ١٨٢٢ ، ١٨٢٣ ، ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٧ ، ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٣٠ ، ١٨٣١ ، ١٨٣٢ ، ١٨٣٣ ، ١٨٣٤ ، ١٨٣٥ ، ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ ، ١٨٣٨ ، ١٨٣٩ ، ١٨٤٠ ، ١٨٤١ ، ١٨٤٢ ، ١٨٤٣ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ ، ١٨٥٥ ، ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، ١٨٥٨ ، ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ ، ١٨٦١ ، ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ ، ١٨٦٤ ، ١٨٦٥ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٧ ، ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ، ١٨٧٢ ، ١٨٧٣ ، ١٨٧٤ ، ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨١ ، ١٨٨٢ ، ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ١٨٨٨ ، ١٨٨٩ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، ١٩٩٣ ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٢ ، ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ ، ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ ، ٢٠١٩ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢١ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣ ، ٢٠٢٤ ، ٢٠٢٥ ، ٢٠٢٦ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٢٩ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٣١ ، ٢٠٣٢ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٣٤ ، ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤١ ، ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٦ ، ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٥٤ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٥٦ ، ٢٠٥٧ ، ٢٠٥٨ ، ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ ، ٢٠٦٤ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٦٩ ، ٢٠٧٠ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٢ ، ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧ ، ٢٠٧٨ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٤ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٦ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩٠ ، ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢ ، ٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٦ ، ٢٠٩٧ ، ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩ ، ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١

حدثنا علي بن حرب الرازي ، حدثنا محمد بن سعيد بن سابق ، حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري - وهو القمي - عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رجل : يا رسول الله ، مَنْ أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رُعوا ذُكِر الله ، ثم قال البزري : وقد روى عن سعيد مرسلًا .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو هشام الرافعي ، حدثنا أبو فضيل ، حدثنا أبي ، عن حمارة بن القنقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير بن جابر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من عبادة الله عبادة يقطعها الأنبياء والشهداء : قيل : من هم يا رسول الله ؟ قلنا نعيم : قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » : ثم قرأ : (ألا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (١) :

ثم رواه أيضًا أبو داود ، من حديث جرير ، عن حمارة بن القنقاع ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بمثله (٢) .

وهذا أيضًا إسناد جيد ، إلا أنه منقطع بين أبي زرعة وحمرو بن الخطاب ، والله أعلم .

وفي حديث الإمام أحمد ، عن أبي النضر ، عن عبد الحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن هزم ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي من أفناء (٣) الناس ولوازع القبائل قوم لم تحصل بينهم أرواح متقاربة ، تحابوا في الله ، وتضافوا في الله ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، يفرح الناس ولا يفرحون ، وهم أولياء الله ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » والحديث منقطع (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان بن صالح ، عن رجل ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) ، قال : « الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو تُرى له » (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر ، عن أبي الدرداء في قوله : ( لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) ، قال : سألت رجلًا أبا الدرداء عن هذه الآية ، فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعتُ [ أحسن ] سألت عنه بعد رجل سألت عنه رسول الله ، فقال : « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم ، أو تُرى له ، يشره في الحياة الدنيا ، ويشره في الآخرة [ الجنة ] » (٦) .

ثم رواه ابن جرير عن حديث سفيان ، عن ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن رجل من أهل مصر : أنه سأل أبا الدرداء عن هذه الآية ، فذكر نحو ما تقدم (٧) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣١٣ : ١٢٠/١٥ ، ١٢١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣١٤ : ١٢١/١٥ .

(٣) يعني : « رجل من أفناء الناس » ، أي : لم يعلم من هو ؟ القاموس : « فناء » ، بكسر فسكون .

(٤) مسند الإمام أحمد ، ٣٤٢/٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد ، ٤٤٥/٢٦ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٢٢ : ١٢٨/١٥ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ١٣٣٢٣ : ١٢٨/١٥ ، ١٢٩ .

وقال ابن جرير : حدثني الثني ، حدثنا الحجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن زيد ، عن حاصم بن بهدكة ، عن أبي صالح قال : سمعت أبا الدرداء ، وسئل عن : (الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى) ، فذكر نحوه سواء (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا أيان ، حدثنا يحيى ، عن أبي سلمة ، عن عبادة بن الصامت : أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ، لرأيت قول الله تعالى : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ؟ فقال : « لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمي - أو : أحد قبلك - قال : تلك الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل الصالح أو تُرى له (٢) » :

وكذا رواه أبو داود الطيالسي ، عن عمران القطان ، عن يحيى بن أبي كثير ، به : ورواه الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، فذكره : ورواه علي بن المبارك ، عن يحيى ، عن أبي سلمة قال : نُبئت عن عبادة بن الصامت ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ، فذكره .

وقال ابن جرير : حدثني أبو حميد الحمصي ، حدثنا يحيى بن سعيد ، حدثنا عمر بن عمرو بن عبد الاحموس ، عن حميد بن عبد الله المزني قال : أتى رجل عبادة بن الصامت فقال : آية في كتاب الله أسألك عنها ، قوله الله تعالى : (لهم البشرى في الحياة الدنيا) ؟ قال عبادة : ما سألتني عنها أحد قبلك ، سألت عنها نبي الله فقال مثل ذلك : « ما سألتني عنها أحد قبلك » الرؤيا الصالحة ، يراها العبد المؤمن في المنام أو تُرى له (٣) .

ثم رواه من حديث موسى بن هبة ، عن أبيوب بن خالد بن صفوان ، عن عبادة بن الصامت : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ، فقد حرفنا بشرى الآخرة الجنة ، فما بشرى الدنيا ؟ قال : « الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له ، وهي جزء من أربعة وأربعين جزءا أو سبعين جزءا من النبوة (٤) » .

وقال أحمد أيضا : حدثنا بيهز ، حدثنا حماد ، حدثنا أبو عمران ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبيه قال : قال يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل فيحمله الناس عليه ، ويثنون عليه به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك عاجل بشرى المؤمن (٥) » رواه مسلم .

وقال أحمد أيضا : حدثنا حسن - يعني الأشجبي - حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن عبد الرحمن بن جبلة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) - قال : الرؤيا الصالحة ببشرها المؤمن ، هي جزء من تسعة وأربعين جزءا من النبوة ، فمن رأى [ ذلك ] فليخبر بها ، ومن رأى سوى ذلك فلإنما هو من الشيطان ليحزنه ، فليبت عن يساره ثلاثا ، وليكبر ، ولا يخبر بها أبدا (٦) لم يخبر به .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٧٤١ : ١٣٦/١٥ : ١٣٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣١٥/٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٧٢٥ : ١٢٩/١٥ : ١٣٠ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٧٣٠ : ١٣٢/١٥ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٥٦/٥ ، ومسلم ، كتاب البر ، باب : وإذا أتى من العبد الصالح لبي بشرى ولا تفسده : ٤١/٨ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢١٩/٢ : ٢٢٥ .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أبانا ابن وهب ، حدثني عمرو بن الحارث ، أن حجاجاً أبا السمح حدثه عن عبد الرحمن بن جبير ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لهم البشرى في الحياة الدنيا ) ، الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن ، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (١) .

وقال أيضاً ابن جرير : حدثني محمد بن حاتم المؤدب ، حدثنا حماد بن محمد ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ( لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) - قال : هي في الدنيا والرؤيا الصالحة ، يرادها البعد أو تترك له ، وهي في الآخرة الجنة (٢) .

ثم رواه عن أبي كريب ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي حصيفة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه قال : للرؤيا الحسنة بشرى من الله ، وهي من الميشرات (٣) .

هكذا رواه عن هذه الطريق موقفاً .

وقال أيضاً : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر ، حدثنا همام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا الحسنة هي البشرى ، يرادها الحلم أو تترك له (٤) » :

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن حماد اللؤلؤي ، حدثنا سليمان ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، عن أبيه ، عن سباع ابن ثابت ، عن أم كرز الكلبية ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ذهبت النبوة وبقيت الميشرات (٥) » .

وهكذا روته عن ابن مسعود ، وأبي هريرة ، وأبي عيسى ، وجاهد ، وعروة بن الزبير ، ويحيى بن أبي كثير ، وليراعم النخعي ، وعطاء بن أبي رباح : أنهم فسروا ذلك بالرؤيا الصالحة .

وقيل : المراد بذلك بصره الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كما في قوله تعالى : ( إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتوكل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون . لزلاً من مغفور رحم ) (٦) .

وفي حديث البراء : أن المؤمنين إذا حضروا الموت ، جاءهم ملائكة يفيضون الوجوه ، يفيضون الثياب ، فقالوا : امزجوا أيتها الفرح للظية إلى روح وربان ، ووبخ غير خضبان ، فخرج من فمه ، كما قيل القطرة من فم السقاء (٧) .

وأما براهيم في الآخرة ، فكذلك قال تعالى : لا يجزئهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة : هل يا أيها يومكم اللذة

- (١) تفسير النجاشي : ١٧٧٥٤ - ١٧٧٥٥ .  
 (٢) تفسير النجاشي : ١٧٧٢٨ - ١٧٧٢٩ .  
 (٣) تفسير النجاشي : ١٧٧٢٧ - ١٧٧٢٨ .  
 (٤) تفسير النجاشي : ١٧٧٢٦ - ١٧٧٢٧ .  
 (٥) تفسير النجاشي : ١٧٧٢٧ - ١٧٧٢٨ .  
 (٦) سورة فصلت : الآيات ٧٠ - ٧٧ .  
 (٧) مسند الإمام أحمد : ٤٤٧٤٤ .

كهم يرحلون) (١)، وقال تعالى : ( يوم نرى المؤمنين وللمؤمنات سبي يوم يذابهم وبأيمانهم ، يفرحهم الله )  
جنت تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ) (٢) .

وقوله : ( لا تبديل لكلمات الله ) ، أى : هذا الرعد لا يبدل ولا يخلف ولا يغير ، بل هو مقرر محض كالمثل  
لا عاة : ( ذلك هو الفوز العظيم ) .

وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۖ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ أَلَا إِنَّ فِي السَّاعَاتِ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتِزُّوا  
بِالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ الْأَيْدِي وَبَعُودِ الدُّنْيَا ۚ إِنَّكُمْ أَعْيُنُكُمْ لَأَن أَبْصِرَكُمْ ۚ وَإِنَّكُمْ إِذْ لَمُمْ بِهِ السَّاعَاتُ لَأَخْرُجُنَّ  
كُلَّ أَهْلٍ لَكُمْ ۚ وَتَتَكُونُ الْأَرْضُ لِلَّهِ أَتَمًّا ۚ وَلِلَّهِ يَوْمَئِذٍ سَعِيدُ الْمَقَادِيرِ ﴿٦﴾

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ( ولا يحزنك ) قول هؤلاء المشركين ، واسمع بالله عليهم ، وتوكل  
عليه ، فإن العزة لله جميعا ، أى : جميعها له ورسوله والمؤمنين ، ( هو السميع العليم ) ، أى : السميع لأقوال عباده  
العلم بأحوالهم .

ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض ، وأن للمشركين يعملون الأصنام ، وهي لا تحل شيئا لا ضرأ ولا نفعا ،  
ولا دليل لهم على حاجتها ، بل إنما ينجون في ذلك ظنهم ونصرهم وكنهم وإفكهم .

ثم أخبر أنه الذى جعل لعباده الليل ليذكروا فيه ، أى : يستريحون فيه من تعبهم وكلامهم وحركاتهم ، ( وأنهار  
مهيض ) ، أى : مضطرب لماضهم وسعيهم ، وأسفارهم ومصالحهم ، ( إن في ذلك لآيات قوم يسمعون ) ، أى : يسمعون  
هذه الحجج والأدلة ، فيجربون بها ، ويستدلون على عظمتها خالقها ، ومقدرها ومسيرها .

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ سُبْحَنَهُ ۚ هُوَ الْغَنِيُّ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ  
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْبَثُونَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ آلًا فَمَا لَهُم بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ إِنَّمَا  
الْبَشَرُ مِثْلُكُمْ ۚ ثُمَّ يُدْعَوْنَ إِلَى الْعَذَابِ أَلَدًا ۚ بَلْ كَانُوا يَعْتَكِرُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى متكررا على من ادعى أن له ولدا : ( سبحانه هو الغني ) ، أى : تدينس من ذلك ، هو الغنى من كل ما  
مراه ، وكل شيء يقرب إليه ، ( له ما في السموات وما في الأرض ) ، أى : فكيف [ يكون ] له ولد ما خلق ، وكل  
شيء عمار له ، حيد له ؟ ( إن عندكم من سلطان هذا ) ، أى : ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان ؟  
( أقولون على الله مالا تعبتون ) : إنكار ووعيد أكيد ، ونهي شديد ، كما قال تعالى : ( وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ) .

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٢ .

(٢) سورة الطه ، آية ١٢ .

لقد جنم شيئا إذا تكاد السموات يظفرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا الرحمن ولداً : وما ينبغي الرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آليه يوم القيامة قرأه (١) :

ثم تود تعالى الكافرين عليه المقربين ، بمن زعم أن له ولداً ، بأنهم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة ، فلما في الدنيا لهم إذا استخرجهم وأمل لهم متعم قليلا ، ثم [ يضطرم ] إلى حذاب غليظ ، كما قال ما هنا : ( متاع في الدنيا ) ، أي : مدة قريبة ، ( ثم ألقاها مرجعهم ) ، أي : يوم القيامة ، ( ثم نلقيهم العذاب الشديد ) ، أي : للوجع المؤلم ( بما كانوا يكفرون ) ، أي : بسبب كفرهم وإفترائهم وكلبهم على الله ، فيا ادعوه من الإفك والזור .

• وَأَنزَلَ عَلَيْهِمْ تِبْيَٰئُوحَ إِذْ قَالُوا لَقَوْمُهُ يَتَفَرَّقُونَ إِنَّ كَانَ كَيْدُكُمْ مَفَٰي وَتَدَّكِرُ الْيَٰسَافُتُ اللَّهُ فَاعْلَمَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٧﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنِّي أَخَافُ أَن يُبْعَثَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ أَن يَأْمُرَ أَن يُصَبِّحَ أَهْلَ الْمَدْيَنَ ﴿١٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَتَبَّيَّنَتْ حَقُّهُ مِمَّا دَّٰعَىٰ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَذُنُّهُمْ فَجَنَّاتُ عَدْنٍ مِّنْ أَلْفَيْ أَلْفٍ مِّنْهُمْ خَالِفِينَ وَأَغْرِقْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا غَرَقِينَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى لنبيه - صلوات الله وسلامه عليه - : ( وأنزل عليهم تبيائوح إذا قالوا لقومهم يترفقون إن كان كيدكم مفاي وتدكر الياسفوت الله فاعلم الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غممة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ) (١٧) فإن توليتم فإنني أخاف أن يبعث إلي فرعون أن يأمر أن يصبح أهل المدينة (١٨) فكذبوه فتبينت حقه مما دأى إلى آلهتهم فذنبهم فجنات عدن من ألفي ألف منهم خاليفين وأغرقنا الذين كفروا غرقين فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٩) .

( فإن توليتم ) : أي : كلبتم وأهبرتم عن الطاعة ، ( فإنا سألتم من أجرة ) ، أي : لم أطلب منكم حل لصبي لماكم شيئا ، ( إن أجرة إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ) ، أي : وأنا أعتل ما أمرت به من الإسلام لله عز وجل ، والإسلام هو دين الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ، وإن توعدت شرائعهم وتعددت مناهجهم ، كما قال تعالى :

(١) سورة مريم ، الآية ٨٨ - ٩٠ .

(٢) سورة مريم ، الآية ٩١ - ٩٣ .

( لكل جعلنا منكم شرعة (١) ومنهاجا ) - قال ابن عباس : « سبلا وسنة » ، فهذا فروع يتقوا ( وأمرت أن تكون مع المسلمين (٢) ) ، وقال تعالى عن إبراهيم الخليل : ( إذ قال له ربه : أسلم ، قال : أسلمت لرب العالمين ) ووصى بها إبراهيم بينه وميقوه بإيائه إن الله اصطفى لكم الدين فلا تتوثن إلا وأنتم مسلمون (٣) ) ، وقال يونس : ( رب قد آتيتني من الملك وحلقتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، فتنني مسلما وأنقضي بالصالحين (٤) ) ، وقال موسى : ( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فليكن عليه تركلوا إن كنتم مسلمين (٥) ) ، وقالت السمرة : ( ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (٦) ) ، وقالت بلقيس : ( رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان هو رب العالمين (٧) ) ، وقال تعالى : ( إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا (٨) ) ، وقال تعالى : ( وإذا أوحيت إلى الموحدين أن أنزلوا به ورسولنا قالوا : أننا واشهد بأننا مسلمون (٩) ) ، وقال عاتم الرسل وميد البشر : ( إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين : لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٠) ) ، أي : من هذه الأمة ، ولهذا قال في الحديث الثابت ج ١ : نحن معشر الأنبياء أولاد حلالين ، حيث واحد (١١) ، م أي : وهو حيازة الله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت شرائعنا ، وذلك معنى قوله : « أولاد حلالين » ، وم : الإشرة من أمهات شتى والآب واحد .

وقوله تعالى : ( فكلبوه فنحيه ومن معه ) ، أي : على فيه ( في ذلك ) ، ومي : السلية ، ( وجعلكم حلالين ) ، أي : في الأرض ، ( وأفرقت الذين كتبوا بآياتنا فانظروا كيف كان عاقبة الملتزمين ) ، أي : يا عباد كيف أنجيتنا للمؤمنين ، وأهلكنا للمكذبين .

ثم يفتتح من بعدهم رسلا إلى قومهم بما هم بالبست لما كانوا فيها ما كانوا فيه من قبل ذلك طبع من قلوب السحرة

يقول تعالى : ثم يفتتح من بعد فروع رسلا إلى قومهم ، فجاءهم بالبينات ، أي : بالسبح والأدلة والبراهين على صدق ما جاءهم به ، ( فإكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ) ، أي : فإكانت الأمم لتؤمن بما جاءهم به وسلمهم ،

- (١) سورة المائدة : آية ٥٨ .
- (٢) سورة النمل : آية ٩١ .
- (٣) سورة البقرة : آية ١٧٦ ، ١٧٣ .
- (٤) سورة يونس : آية ١٠١ .
- (٥) سورة يونس : آية ٨٤ .
- (٦) سورة الأعراف : آية ١٧٦ .
- (٧) سورة النمل : آية ٤٤ .
- (٨) سورة المائدة : آية ٤٤ .
- (٩) سورة المائدة : آية ١١١ .
- (١٠) سورة الأنعام : آية ١١٢ ، ١١٦ .
- (١١) ياطر : ٨٤٧ : ٥ .

بسبب تكليهم لإياهم أول ما أرسلوا إليهم ، كما قال تعالى : ( ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) (١) .

وقوله : ( كذلك نطبع على قلوب المعتدين ) ، أى : كما طبع الله على قلوب هؤلاء ، فما آمنوا بسبب تكليهم المتقدم ، هكذا يطبع الله على قلوب من أشبههم بمن بعدهم ، ويحكم على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

والمراد : أن الله تعالى أهلك الأمم المكلفة للرسول ، وأنهى من آمن بهم ، وذلك من بعد نوح عليه السلام ، فإن الناس كانوا من قبله من زمان آدم عليه السلام [ على الإسلام ] ، إلى أن أحدث الناس عبادة الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام ، ولهذا يقول له المؤمنون يوم القيامة : أنت أول رسول بعث الله إلى أهل الأرض .

وقال ابن عباس : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام .

وقال الله تعالى : ( وكن أهلكا من القرون من بعد نوح وكفى بذنوب عباده خيرا بصيرا ) (٢) ، وفى هذا إنظر عظيم المشركى العرب الذين كلبوا بسيد الرسل ونظام الأنبياء والمرسلين ، فإنه إذا كان قد أصاب من كلب بئلك الرسل ما ذكره الله تعالى من العقاب والهلاك ، فافان ظن هؤلاء وقد ارتكبوا أكبر من أولئك ؟ .

فَمِنْ بَعْثُنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مَجْرِمِينَ ﴿١٧٠﴾  
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّنَا لَنَسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿١٧١﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ الْحَقُّ لَمَّا جَاءَكُمْ لَسِحْرٌ  
هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿١٧٢﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُقِيعَ عَبَا وَجِدْنَا عَلَيْهِ عِبَادَةً تَأْمَنُ وَتَكُونَ لَنَا الْكَرِيمَةَ فِي الْأَرْضِ  
وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾

يقول تعالى : ( ثم بعثنا من بعدك الرسل ( موسى وهارون إلى فرعون وملائته ) ، أى : قومه ، ( بآياتنا ) ، أى : حُجُوبنا وبراهيننا ، ( فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ) ، أى : استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له ، ( فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : إننا لنسحر مبين ) ، أى : قومه - تبجحهم بالله - أقسموا على ذلك ، وهم يعلمون أن ما قالوه كذب وبهتان ، كما قال تعالى : ( وجعلوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) (٣) ،

( قال ) لم ( موسى ) منكرا عليهم : ( اتقولون للحق لا جاءكم : أصر هذا ولا يفلح الساحرون : قالوا : اجئنا لطفنا ) ، أى : تنينا ( وما وجدنا عليه آباءنا ) ، أى : الذين [ اللذين ] كانوا عليه ، ( وتكون لكيا ) ، أى : لك وهارون ( للكريماء ) ، أى : السلطة والرياسة ( في الأرض وما نحن لكيا بمؤمنين ) .

وكثيرا ما يذكر الله تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون في كتابه العزيز ، لأنها من أحجبه القصص ، فإن فرعون حذر من موسى كل الحذر ، فسخره القدر أن رأى هذا الذى يسخر منه على فراشه ومالهته بمنزلة الولد ، ثم تعرض

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية ٩٧ .

(٣) سورة النمل ، آية ١٨ .



وعقد الله له سبياً أخرجه من بين أظهرهم ، ووزقه النيرة والرسالة والتكليم ، وبثه إليه ليدعوه إلى الله تعالى ليمده ويرجع إليه ، هذا مع ما كان عليه فرعون من عظمة المملكة والسلطان ، فجاءه برسالة الله ، وليس له وزير سوى أخيه هارون عليه السلام ، فتمرد فرعون واستكبر وأخلته الحمية ، والنفس الشليخ الآية ، وقوى رأسه وتولى بركنه ، وادعى ما ليس له ، ونجهم على الله ، وعدنا وبغى وأهان حرب الإيمان من بنى إسرائيل ، والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأبناء هارون ، ويحفظهما بعنايته ، ويحرسهما بعينه التي لا تنام ، ولم تولد الحاجة والمجادلة والآيات تقوم على يد موسى شيئاً بعد شيء ، ومرة بعد مرة ، مما يبهز العقول ويدهش الألباب ، مما لا يقوم له شيء ، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله ، ( وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها ) ، وصمم فرعون وسكّوه - فيجهم الله - على التكليم بذلك كله ، والجحد والعناد والمكابرة ، حتى أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد ، وأغرقهم في صيحة واحدة أجمعين ، ( قطع دابر الذين الظن ظلموا ، والحمد لله رب العالمين (١) ) .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِسِحْرِ عِيسَى ۖ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٦٧﴾  
فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِقُنِي وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾  
وَيُحْيِي اللَّهُ الْمَيِّتَ وَيُكَلِّمُ تِلْكَ الْأَشْجَارَ وَلَوْ أَنَّهُمْ لَمُحْسَرُونَ ﴿٦٩﴾

ذكر تعالى قصة السحرة مع موسى عليه السلام في سورة الأعراف ، وقد تقدم الكلام عليها هناك ، وفي هذه السورة ، وفي سورة طه ، وفي الشعراء ، وذلك أن فرعون - لعنه الله - أراد أن يتتخرج (٢) على الناس ، ويبارض ما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين ، يزخارف السحرة والمشعبدين ، فاستمكنس عليه النظام ، ولم يحصل له ذلك المرام ، وظهور البراهين الإيقية في ذلك الحفل العام ، و ( أتى السحرة ساجدين : قالوا آمنا برب العالمين : رب موسى وهارون (٣) ) فظن فرعون أن يستنصر بالسحار ، على رسول عالم الأسرار ، فخاب وخسر الجنة ، واستوجب النار :

( وقال فرعون : اتوني بكل ساحر عليم : فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ) ، وإنما قال لهم ذلك لأنهم لما اصطفوا - وقد عدوا من فرعون بالتقريب والعطاء الجزيل - ( قالوا : يا موسى ، إما أن تأتي وإما أن تكون أول من أتى . قال بل ألقوا (٤) ) ، فأراد موسى أن تكون البداية منهم ، ليرى الناس ما صنعوا ، ثم يأتي بالحق بعده فيبلغ باطلهم . ولهذا لما ( ألقوا سحرهم وأعين الناس واستر سريهم وجعلوا يسحرون عظيم (٥) ) ، فأوجس في نفسه خيفة موسى . قلنا : لا تخف ، إنك أنت الأعلى . وأتى ما في عينك تلقف ما صنعوا ، إن ما صنعوا كبد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦) ) : فعند ذلك قال موسى لما ألقوا ( ما جنم به السحر ، إن الله سيطلعه ) إن الله لا يصلح عمل المفسدين : ويحيى الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون )

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٥ .

(٢) قلنا في المخطوطة . وفي تاج العروس : هرج في الحديث : إذا خلط له .

(٣) سورة الشعراء : الآيات ٤٦ - ٤٨ .

(٤) سورة طه : آية ٦٥ ، ٦٦ .

(٥) سورة الأعراف : آية ١١٦ .

(٦) سورة طه : الآيات ٦٧ - ٦٩ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن حماد بن الحارث ، حدثنا عبد الرحمن - بنى الفشكي - أخبرنا أبو جعفر  
 قزالي ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - قال : بلغني أن هؤلاء الآيات خفاء من السحر يأخذ الله تعالى ، تقرأ في الماء  
 فيه ماء ، ثم يصب على رأس المسموم الآية التي من سورة يونس : ( قلما أتوا قال موسى : ما جئتم به السحر ، إن الله  
 سيضلّه إن لا يضلّ على القسدين ) وعين الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ) ، والآية الأخرى : ( فوقع الحق  
 وبطل ما كانوا يعملون ) : : : : : إلى آخر أربع آيات ، وقوله : ( إن ما صنعوا كيد سحر ولا يفلح السحر حيث أتى ) (١) .

فَأَمَّا آيَاتُ لُؤُوسِ بْنِ خُرَيْبٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ  
 فَهَاتِمٌ لِمَنْ الْمُسْرِقِينَ

غير تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات والحجج القاطعات والبراهين الساحطات ،  
 قليل من قوم فرعون ، من اللرية - وهم الشباب - حل وجبل وخوفته ومن ملكه ، أن يردوهم إلى ما كانوا  
 عليه من الكفر ، لأن فرعون كان جبلا حينئذ مسرفا في الفرد والتتر ، وكانت له سطوة ومهابة ، تخاف رعيته منه خوفا  
 شديدا :

قال القرطبي ، عن ابن عباس : ( فأما لؤوس بن خريب من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ) ، قال :  
 فإن اللرية التي آمنت لموسى ، من أناس غير بني إسرائيل ، من قوم فرعون يسير ، منهم : امرأة فرعون ، ومومنين  
 آل فرعون ، وحزبان فرعون ، وامرأة خازنة (٢) .

ودوي على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ( فأما لؤوس بن خريب من قومه ) ، يقول : بنى إسرائيل (٣)  
 وعن ابن عباس ، والضحاك ، وقاعدة : اللرية : القليل (٤) .

وقال جاهد في قوله : ( إلا خرية من قومه ) ، قال : هم أولاد الذين أرسل إليهم موسى ، من طوكة الرماح ،  
 ومات آباؤهم (٥) .

واختار ابن جرير قول جاهد في اللرية : [ أنها ] من بنى إسرائيل لا من قوم فرعون ، لعدم الضمير على أقرب  
 للذكرين (٦) :

وفي هذا نظر ، لأنه لو أراد باللرية الأحداث والشباب ، وأنهم من بنى إسرائيل ، فالمرء أن بنى إسرائيل كلهم  
 آمنوا بموسى عليه السلام ، واستبشروا به ، وقد كانوا يرون نته وصفته والبشارة به من كتبهم المستنقمة ، وأن الله تعالى

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٧٧٨١ : ١٦٤/١٥ .

(٢) تفسير الطبري : الأثر ١٧٧٨٢ : ١٦٥/١٥ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٦٣/١٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١٦٣/١٥ .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ١٧٧٧٩ : ١٦٤/١٥ .

(٦) تفسير الطبري : ١٦٥/١٥ .

مبطلهم به مع أسر فرعون وظهرهم عليه، ولهذا لا يبلغ هذا فرعون حدّز كل الحلو فلم ينجّده عنه شيئا، ولا جاء موسى آخاه فرعون أشد الأذى، و (قالوا أؤذيّا من قبل أن تأتيّا ومن بعد ما جئنا) قال: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) - وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى، ومم يفر إسرائيل؟

(على حوث مع فرعون وملئهم)، أي: وأهراق قومهم أن يقتلهم، ولم يكن في بني إسرائيل مع هؤلاء من أن يقتلهم عن الإيمان سوى فارون، فإنه كان من قوم موسى، فبني عليهم؛ لكنه كان طاروا إلى فرعون، معصيا به، متعلقا بجماله، ومن قاله: «إن الضمير في قوله: (وملئهم)، حاله إلى فرعون، وعظم الملك مع أجل ابناحه أو عذبت آل فرعون، وإقامة المضاف إليه مقامه: فقد أبدل، وإن كان ابن جوير قد حكاها عن بعض النحاة: وما يدل على أنه لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن قوله تعالى:

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذْ نَسَبَهُ نَوَسُوا لَكُمْ بِالْحَقِّ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ سَبَّيْتُمْ ۖ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَكُمْ آيَاتُنَا وَلَكُمْ عَذَابُ عَالِيينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى ابْنِ مَرْيَمَ إِذْ نَسَبَهُ نَوَسُوا لَكُمْ بِالْحَقِّ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْهُمْ سَبَّيْتُمْ ۖ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلَكُمْ آيَاتُنَا وَلَكُمْ عَذَابُ عَالِيينَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى خيرا عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: (يا قوم، إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)، أي: فإن الله كاف من توكل عليه، (اليس الله بكاف عبده)، (ومع توكل على الله فهو حسبه) (٢).

وكثيرا ما يقرن الله بعبادة والتوكل، كما في قوله تعالى: (فاعبدوه وتوكلوا عليه) (٣)، (قل: هو الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا) (٤)، (وبالشرق والغرب لا إله إلا هو فاتخذة وكيلا) (٥)، وأمر الله تعالى المؤمنين أن يتوكلوا في كل صلواتهم مرات متعددة: (إياك نعبد وإياك نستعين).

وقد امتثل بنو إسرائيل ذلك، فقالوا: (على الله توكلنا، ربنا لا نجعلنا لئمة لقوم الظالمين)، أي: لا نطهرم يا، ولسلطانهم علينا، فيظنوا أنهم إنما سلطوا لأنهم على الحق ونحن على الباطل، فيفتروا بذلك؛ هكذا روى ابن مسعود وأبو الضمري (٦).

وقال ابن أبي نجيح وغير واحد، عن مجاهد: لا تعذبنا بأبدى قوم فرعون، ولا يطهروا مع عدائهم، فيفتروا (٧) بنا.

(١) سورة الزمر، آية ٣٦.

(٢) سورة المائدة، آية ٣.

(٣) سورة هود، آية ١٢٣.

(٤) سورة الملك، آية ٢٩.

(٥) سورة المزمل، آية ٩.

(٦) تفسير الطبري، الآثار ١٧٧٨ - ١٧٧٨٥ - ١٦٩/١٥.

(٧) تفسير الطبري، الآثار ١٧٧٨٩ - ١٦٩/١٥ - ١٧٤.

وقال هدد الزواق : أنبأنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ( وبنا لا نجعلنا لفتة للقوم الظالمين ) ، لا تسلطهم علينا ، فيفتنونا (١) :  
 ( ونجنا برحمتك ) ، أى : خلصنا برحمة منك وإحسان ، ( من القوم الكافرين ) ، أى : الذين كفروا الحق وسوروه ، ونحن قد آمنا بك وتوكلنا عليك :

**وَأَمَّا إِنْ مَنِعَ عَنْ قَوْمِكَ أَنْ يُغِيرُوا قَرْيَتَكَ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَفِي ذَلِكَ لَعْنَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ**

يلذكر تعالى سبب إجماع بنى إسرائيل من فرعون وقومه ، وكيفية خلاصهم منهم ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى وإخاه هارون عليهما السلام ( أن يبرآ ) ، أى : يتخلدا لقومهما بمصر يبرآ . واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى : ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) ، فقال الثورى وغيره ، عن عاصم بن كريمة ، عن ابن عباس : ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) ، قال : أمرُوا أَنْ يَتَخَلَّوْهَا مَسَاجِدَ (٢) . وقال الثورى أيضا ، عن منصور ، عن إبراهيم ، ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) ، قال : كانوا خائفين ، فأمرُوا أَنْ يَصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ (٣) .

وكذا قال مجاهد ، وأبو مالك ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وأبو زيد بن أسلم : وكان هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم البلاء من قبل فرعون وقومه ، وضيقوا عليهم ، أمرُوا بِكُتُوبَةِ الصَّلَاةِ ، كما قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ (٤) ) : وفى الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى » - أخرجه أبو داود - ولهذا قال تعالى فى هذه الآية : ( واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشروا المؤمنين ) ، أى : يا ثوابيد والنصر القويص .

وقال الحوق ، عن ابن عباس ، فى تفسير هذه الآية قال : قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع القرائنة ، فأذن الله تعالى لهم أن يصلوا فى بيوتهم ، وأمرُوا أَنْ يَجْعَلُوا بُيُوتَهُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ (٥) : وقال مجاهد : ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) ، قال : لما خاف بنو إسرائيل من فرعون أن يقتلوا فى الكنائس الجامعة ، أمرُوا أَنْ يَجْعَلُوا بُيُوتَهُمْ مَسَاجِدَ مُسْتَقِلَّةَ الْكُفَّةِ ، يصلون فيها سرا (٦) . وكذا قال قتادة ، والضحاك . وقال سعيد بن جبير : ( واجعلوا بيوتكم قبلة ) ، أى : يقابل بعضها بعضاً (٧) .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٧٨٨ : ١٦٩/١٥ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٧٩٤ : ١٧٢/١٥ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٧٩٧ : ١٧٢/١٥ .

(٤) سورة البقرة ، آية ١٥٣ .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٨٠٨ : ١٧٤/١٥ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٨١١ : ١٧٤/١٥ .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٨١٨ : ١٧٥/١٥ .

وَقَالَ مُوسَى رَبِّىَ إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبِّىَ لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبِّىَ  
اعْلَمِمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠٠﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكَ  
فَاسْتَجِبْهَا وَلَا تَلْجَأَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

هذا إنذار من الله تعالى عما دعا به موسى عليه السلام على فرعون ومكنته، لما أبوا قبول الحق واستمعوا على ضلالهم  
وكفرهم معالدين جاحدين، ظلما وحلوا وتكبرا وهتوا، قال: (ربنا إنك أتيت فرعون وملائه زينة)، أى: من أثاث  
الدنيا ومناجها، (وأموالا)، أى: جزيلة كثيرة، (فى) هذه (الحياة الدنيا)، ربنا ليضلوا عن سبيلك - (بفتح الياء،  
أى: أعطيتهم ذلك وأنت تعلم أنهم لا يؤمنون بما أرسلنى به إليهم استدراجا منك لهم، كما قال تعالى: (لنقتلن فيه) •  
وقرأ آخرون: (ليضلوا) بضم الياء - أى: ليقتلن بما أعطيتهم من شئت من خلقك، ليظن من أخوته أنك إنما  
أعطيت هؤلاء هذا لحبك إياهم، واحتلاكهم •

(ربنا اطمس على أموالهم) - قال ابن عباس: ومجاهد: أى أهلكها • وقال الضحاك: وأبو العالية: والريح  
أنس: جيلها الله حجارة منقوشة كهيئة ما كانت (١) •  
وقال قتادة: بلغنا أن زورهم تحولت حجارة •

وقال محمد بن كعب القرظي: أجعل سككهم [حجارة] •

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا يحيى بن أبي بكير، عن أبي معشر، حدثني حماد بن  
قيس: أن محمد بن كعب قرأ سورة يونس على عمر بن عبد العزيز: (وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملائه) هذه  
إلى قوله (اطمس على أموالهم) إلى آخرها [فقال له: حر يا أبا حمزة، أى شئ اطمس؟ قال: عاده أموالهم كلها]  
حجارة (٢) فقال حر بن عبد العزيز لنظام له: اتنى بكيس • [فجاهد بكيس]، فإذا فيه حمص ويضى، قد قطع  
قد حول حجارة •

وقوله: (وأشدد على قلوبهم)، قال ابن عباس: أى اطمس عليها، (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) •  
وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام، غضبا لله ولدينه على فرعون ومكته، الذين تبيت له أنه لا خير فيهم •  
ولا يجيئ منهم شئ • كما دعا نوح عليه السلام فقال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • إنك إن تذرهم  
يفسادا يفسدوا ولا يفلتوا إلا فاجرًا مكثرا» (٣)، ولما استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة • لله أسوأ  
عليها أخوه هارون • فقال تعالى: (قد أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) •

(١) تفسير الطبري، الأثر ١٧٨٢٩، ١٥/١٨٠ •

(٢) ما بين القوسين مقتطع من المخطوطة • انظر من المخطوطة •

(٣) سورة نوح، آية ٢٦، ٢٧ •

قال أبو العالية، وأبو صالح، وعكرمة، وعبد بن كعب القرظي، والزيغ بن أنس: دعا موسى وأمنهار، وأى: لأهله كما أبا سائلا من للمبر آله فرعون:

وقد جمع هذه الآية من قوله : « إن تأمّن المؤمن على قراءة النافعة يتزكّج ملائكة قراءها لأن موسى دعا هارون .  
 آمن »

وقال **علاء** : ( قد أُجيبَ دَعْوَتُكَ فاستمِني ) ۞ ۞ ۞ الآية ، أَيْ : كما أُجيبَت دَعْوَتُكَ فاستمِني عَلِ أُمْرِي ۞  
قال **أبو جَرِيح** ، حَن ابْنِ حَبَّاس : ( فاستمِني ) ، فاستمِني أُمْرِي ، وَهِيَ الاسْتِمَاعُ — قال **أَبُو جَرِيح** : يَقُولُونَ : إِذَا  
فَرَعُونَ مَكْتُبًا بِهَذَا هَذِهِ الدَّعْوَةُ : أُرِيضُكَ سِتَّةَ ( ١ ) ۞  
وقال **عَمْد** بن **عَلِي** بن **الْحُسَيْنِ** أُرِيضُكَ يَوْمًا ۞

وَجَنَّتْهَا فِي إِبْرَاهِيمَ الْبَحْرَ فَأَنْجَاهُمْ فَرَعُونُ وَجَنَّدَهُمْ بِهَا وَعَدُوا خَيْجَ إِذَا أَدْرَكَهُمُ الْفَرَقُ قَالَ هَٰؤُلَاءِ أَتَمْرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي عَالَمَتْهُ يَسْمَاءُ بِئْسَ مَا يَكُونُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَاللَّهُ وَقَدْ صَبَّتْ قَلْبًا وَكَتَبَ فِي التَّائِبِينَ ﴿٥١﴾ قَالَهُمْ قَوْمَكُمُ يَنْكُرُكُمْ أَمْ يُؤْفَكُكُمْ أَفَعَلَىٰ فُجُورِكُمْ بَٰرِئٌ مِنْكُمْ وَلَا كَرْهِيَانِ لَكُمْ عَنْ أَنْ تُنْهَاجُوا الْقَوْمَ ﴿٥٢﴾

بذكر تعالى كيفية إهلاكه فرعون وجنوده ، فإن بين إسرائيل ما هرجوا من مصر صعبة موسى عليه السلام ، ولم  
 فيها جبل صلالة ألف مقاتل سوى الذرية ، وقد كانوا استماروا من القطيع حليبا كثيرا ، فخرجوا به معهم ، فاشهد حق  
 فرعون عليهم فلوصل في المذائق حاضرين (٢) يسمعون له جنوده من أقاليمة ، فركب وراهم في أبهة عظيمة ، وجيش  
 هائل ما يريده الله تعالى بهم ، ولم يختلف عنه أحد من له دولة وسطان في سائر ملكته ، فاستقوم وقت فروق الشمس ،  
 ( لما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى : إنا لمدركون (٣) ، وذلك أنهم لما انتهوا إلى ساحل البحر ، وأدركهم  
 فرعون ، ولم يبق إلا أن يقتال الجمعان ، وألح أصحاب موسى - عليه السلام - عليه في السواك كيف الخلفين بما تحب  
 فيه ؟ فيقول : إني أشرت أن أسلك ها هنا ، (كلا معي وفي سيهدين) (٤) ، فنعما ضايق الأمر اتسع ، فأمره الله  
 تعالى أن يضرب البحر بيماء ، فضره فانفلق البحر ، ( فكان كل فريق كالطود العظيم ) (٥) ، أي ، كالجبل العظيم ،  
 وصار الله عشر طريقاً ، لكل صوب واحد ، وأمر الله الريح فنشفت أرضه ، فاضرب لهم طريقاً في البحر يسيراً تخاف

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٥٦ : ١٨٧/١٥ .

(٢) ينظر أيضا مضي تفسير الآية ١١١ من سورة الأعراف ١٠٥٢/٣ .

(۳) سورة الشعراء : آية : ۶۱

(٤) سورة الشعراء : آية ٦٢ :

(٥) سورة الشعراء ، آية : ٦٧ •

هركا ولا تخشى) (١) ، وتخرق الله يرق الطرق كهيئة الشبايك ، ليرى كل قوم الآخرين لتلايقوا آتهم هلكتوا : وجاهت  
 بنو إسرائيل البحر ، فلما خرج أنكرهم من انتهى فرعون وجنوده إلى حافته من الناحية الأخرى ، وهو في مائة ألف آدم (٢)  
 سوى بقية الألوان ، فلما رأى ذلك حاله وأحسهم وهاب وهم بالرجوع ، وهيبات ولات حين مناص ، فقد القدر ،  
 واستجبت الدعوة : وجاء جبريل عليه السلام على فرس - وقد بق حائل (٣) ، فمر إلى جانب حصان فرعون فحسم إليها  
 وتقدم جبريل فالتهم البحر ودخله ، فالتصم الحصان وراه ، ولم يبق فرعون عاك من نفسه شيئا ، فنبذ لأمر الله ، وقال  
 لهم : ليس بنو إسرائيل بأحق بالبحر منا ، فالتصموا كلهم عن أنكرهم وميكائيل في ساقهم ، لا يترك أحدا منهم ،  
 إلا أخذه بهم : فلما استوسقوا (٤) فيه وتكاملوا ، وهم أولهم بالخروج منه ، أمر الله القدير البحر أن يرسل عليهم طائفة  
 عليهم ، فلم ينج منهم أحد ، وجعلت الأمواج ترفعهم وتغشهم ، وتراكت الأمواج فوق فرعون ، وغشيه سكرات  
 الموت ، فقال وهو كذلك : ( آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ) : فأنس حيث لا ينفعه  
 الإيمان ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرا بما كنا به مشركين . فلم يك يعضم إيمانهم لما رأوا بأسنا من الله  
 التي قد حطت في عباده وخسر هناك الكافرون (٥) :

وهكذا قال الله تعالى في جواب فرعون حين قال ما قال : ( الآن وقد عصيت قبل ) ، أي : أهذا الوقت لأزوق ،  
 وقد عصيت الله قبل هذا فيما بينك وبينه ؟ ( وكنت من اللعنين ) ، أي : في الأرض الذين أسألو الناس ، وجعلناهم  
 آفة يذبحون إلى النار ويوم القيامة لا يصررون (٦) :

وهذا الذي حكى الله تعالى عن فرعون من قوله هذا في حاله ذلك من أسرار النبي التي أعلم الله بها رسوله ، ولهذا  
 قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس  
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا قال فرعون : ( آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ) ، قال :  
 قال لي جبريل : [ يا محمد ] لو رأيته وقد أنزلت [ حالا ] (٧) من حال البحر ، فليسته في فيه صلاة أن تاله الرحمة (٨)  
 ورواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم في تفسيرهم ، من حديث حماد بن سلمة ، به . وقال الترمذي :  
 حديث حسن (٩) .

(١) سورة طه : آية ٧٧ .

(٢) الأدم : القوس .

(٣) فرس وحق : مريضة لقتل كتيبه .

(٤) أي : اجتمعوا .

(٥) سورة طه : آية ٨٥ .

(٦) سورة القصص : آية ٨١ .

(٧) ما بين القوسين من المسند ، وأصله هو طين الأسود .

(٨) سنة الإمام أحمد : ٣٠٩/١ .

(٩) نسخة الأصبهاني ، تفسير سورة يونس ، الحديث ٥١٠٧ : ٥٢٠/٨ . مرجع الحديث : الأثر ١٧٨٦١ : ١٧٨٧/١٥ .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل : لو رأيته وأنا أخذ من حال البحر ، غادسه في فم فرعون هافة أن تدركه الرحمة » وقد رواه أبو عيسى الترمذي أيضا ، وابن جرير أيضا ، من غير وجه ، عن شعبة ، به وقال الترمذي : حسن غريب صحيح (١) .

ووقع في رواية هند ابن جرير ، عن محمد بن الثني ، عن غندر ، عن شعبة ، عن عطاء وعدي ، عن سعيد ، عن ابن عباس ، رفعه أحدهما - وكان الآخر لم يرفعه ، فالحق أحق .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عمر بن عبد الله بن يحيى الثقفي ، عن سعيد بن جبير ، عن أبيه عباس قال : لما أغرق الله فرعون ، أشار بأصبعه ورفع صوته : ( أنت أنت لا إله إلا الله ) أملك به بنو إسرائيل ، قال : فخاض جبريل أن تصيب رحمة الله فيه غضبه ، فجعل يأخذ الحبال عنقه فيضرب به وجهه فبرسه .

وكذا رواه ابن جرير ، عن سفیان بن وكيع ، عن أبي خالد ، به موقوفا (٢) .

وقد روي عن حديث أبي هريرة أيضا ، فقال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا حكام ، عن حنيفة - هو ابن سعيد - عن كثير بن زاذان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لي جبريل : يا محمد ، لو رأيته وأنا أغلته وأمس من الحبال في فيه ، هافة أن تدركه رحمة الله ليفتر له - يعني فرعون (٣) .

كثير بن زاذان هذا قال ابن معين : لا أحرفه ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : مجهول ، وباق رجاله ثقات .

وقد أرسل هذا الحديث جماعة من السلف : قتادة ، وإبراهيم التيمي ، وميمون بن مهران ، ونقل عن الضحاك بن ليس : أنه خطبه بهذا للناس ، فالحق أحق .

وقوله : ( فاليرم تنجيكم بذلك لتكون من خلقه آية ) ، قال ابن عباس وغيره من السلف : إن بعض بني إسرائيل شككوا في موته فرعون ، فأمر الله تعالى البحر أن يلتقي بمجسده بلا روح ، وعليه ذرعه المروقة ، على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع ، ليتحققوا موته وهلاكه ، ولهذا قال تعالى : ( فاليرم تنجيكم ) أي : ترفعك على تشتر من الأرض ، ( بيدك ) - قال مجاهد : بمجسده وقال الحسن : بجسم لا روح فيه ، وقال عبد الله بن شداد : سوا صاحبها ، أي : لم يندرك ليتحققوه ويمرروه ، وقال أبو صخر : بمرسلك .

وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها ، كما تقدم ، والله أعلم .

(١) تحفة الأحرف : تفسير سورة يونس ، الحديث ١٠٨ : ٥٢٥/٨ ، ٥٢٦ ، وتفسير الطبري : ١٠٦/١٥ - ١١٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٦٧ : ١٥ / ١٩٣ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٦٩ : ١٥ / ١٩١ .



وقوله : ( لَنَكُونَنَّ مِنْ خَلْقِكَ آيَةً ) ، أي : لَنَكُونَنَّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ دليلاً على موتك وهلاكك ، وأن الله هو القادر الذي ناسبة كل دابة بيده ، وأنه لا يقوم لنفسه شيء ، ولما قرأ بعض السلف : ( لَنَكُونَنَّ مِنْ خَلْقِكَ آيَةً ) وإن كثيراً من الناس من آياتنا لَنَعْلَمُونَ ) ، أي : لا يستظنون بها ، ولا يعتبرون . وقد كان يوم عاشوراء ، كما قال البخاري ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، واليهود تصوم يوم عاشوراء فقالوا : هذا يوم قهر فيه موسى على فرعون : فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أَنْتُمْ أَحَقُّ بِعَومِي مِنْهُمْ ، فَصُومُوهُ » (١) .

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَوْجِئًا مَوْجِدٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا اسْتَخَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على بني إسرائيل من النعم الدينية والدنيوية (مُجِئًا مَوْجِدًا) ، قيل : هو بلاد مصر والشام ، مما يلي بيت المقدس ونواحيه ، فإن الله تعالى لما أهلك فرعون وجنوده استقرت يد الدولة الموسوية على بلاد مصر بكاملها ، كما قال الله تعالى : ( وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) ، وتمت كلمه بذلك الحصى على بني إسرائيل ما صبروا ، ودمرت ما كان يصح فرعون وقوموهما كانوا يعرشون (٣) : وقال في الآية الأخرى : ( فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَهْيَوانٍ وَكُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ) (٤) ولكن استمر مع موسى عليه السلام طالوت إلى بلاد بيت المقدس ، [ وهي بلاد الخليل عليه السلام ، فاستمر موسى بمن معه طالبا بيت المقدس ] ، وكان فيه قوم من العمالة ، [ فنكل بنو إسرائيل عن قتالهم ] ، فشردهم الله تعالى في قلبه أربعين سنة ، ومات فيه هارون ، ثم موسى عليهما السلام وخرجوا بعدهما مع يوشع بن نون ، ففتح الله عليهم بيت المقدس ، واستقردهم أبيهم عليها إلى أن أخذها منهم مختصر حيناً من الدهر ، ثم عادت إليهم ، ثم أخذها ملوك اليونان ، وكانت تحت أحكامهم مدة طويلة ، وبعت الله عيسى ابن مريم عليه السلام في تلك المدة ، فاستمات اليهود — تبعهم الله — على معاداة عيسى عليه السلام بملوك اليونان ، وكانت تحت أحكامهم ، ووشوا عنهم ، وأوصوا إليهم أن هذا يفسد عليكم الرعايا فيخرجوا من يقبض عليه ، فرفضه الله إليه ، وشبّه لهم بعض الخوارجين بحشية الله وقدره ، فأخذوه فصوليه ، واعتقدوا أنه هو ، ( وما قتلوه يقيناً . بل دفع الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا ) (٥) ثم بعد المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة ، دخل قسطنطين أحد ملوك اليونان — في دين النصرانية ، وكان فيلسوفاً قبل ذلك — فدخل في دين القيصري قبل : ثنية ، وقيل : حيلة

(١) قال أبو حيان في الجوهري المحيط ١٨٩/٥ : ١٩٠ : « وقرأت مرة : ( لن نخلقك ) » من الخلق وهو الله تعالى .

(٢) البخاري : تفسير سورة يونس : ٩١/٦ •

(٣) سورة الأعراف : آية : ١٣٧ •

(٤) سورة الشعراء : الآيات : ٥٨ — ٦٠ •

(٥) سورة قسطنط : آية : ١٥٧ • ١٥٨ •



الذي جعله مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (١) : الآية : ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من كتبهم كما يعرفون أبناءهم ، يبلسون ذلك ويعرفونه ويدلونه ، ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم ، ولهذا قال تعالى : ( إن الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون : ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ، أى : لا يؤمنون إيماناً بشعهم ، بل حين لا ينفع نفساً إيمانها ، ولهذا لما دعا موسى عليه السلام هل فرعون وملكه قال : ( وينا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم (٢) ) ، كما قال تعالى : ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم بالمرئ وحشراً نا عليهم كل شيء قبلاً ، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون (٣) ) ، ثم قال تعالى :

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَضَعَفَهَا ءِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَدَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى : فهلا كانت قرية آمنت بكاملها من الأمم السالفة اللذين بعثنا إليهم الرسل ؟ بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلا كلمه قومه ، أو أكثرهم كما قال تعالى : ( يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (٤) ) كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون (٥) ، كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من لغير إلا قال مزقوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (٦) : وفي الحديث الصحيح : « عرض على الأنبياء ، فجعل النبي يمر ومنه الغمام من الناس ، والنبي معه الرجل والنبي معه الرجلان ، والنبي ليس معه أحد » ثم ذكر كثرة أنواع موسى عليه السلام ثم ذكر كثرة أمته — صلوات الله وسلامه عليه — كثرة مدته الخافقين الشرق والغرب »

والفرض أنه لم توجد قرية آمنت بكاملها بنبيهم من سلف من القرى ، إلا قوم يونس ، وهم أهل ليثون ، وما كان إيمانهم إلا خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم ، بعد ما عاينوا أسبابه ، وخرج رسولهم من بين أظهرهم ، فعندما جأروا إلى الله واستغاثوا به ، ونصرهوا لديه : واستكانوا وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم ، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به لبيهم . فعندما رحمهم الله ، وكشف عنهم العذاب وأخبروا ، كما قال تعالى : ( إلا قوم يونس ، لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين (٧) )

واختلف القسرون : هل كشف عنهم العذاب الأخرى مع الديوى ؟ أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط ؟ هل قولن ، أحدهما : إنما كان ذلك في الحياة الدنيا ، كما هو مقيد في هذه الآية ، والقول الثاني فيها قوله تعالى : ( وأرسلناه

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٧

(٢) سورة يونس : آية ٨٨

(٣) سورة الأنعام : آية ١١١

(٤) سورة يس : آية ٣٠

(٥) سورة الأذاريات : آية ٥٧

(٦) سورة الزمر : آية ٢٢

(٧) سورة يونس : آية ٩٨

إلى مائة ألت أو يزِيلون . فآمنوا فمصنام إلى حيث ( ، فاطن عليهم الإيمان : والإيمان مقلد من المذاب الأعمري ، وهذا هو الظاهر ، والله أعلم )

قال قتادة في تفسير هذه الآية : لم يقع قرية كثرتم لم آمنت حين حضرها المذاب ، فركت ، إلا قوم يونس ، لا قتلوا ليقيم وطنوا [ أن ] المذاب قد خا منهم ، قلب الله في قلوبهم التوبة ، وليسوا المسوخ ، وفركوا بين كل بيعة وولعها لم عجزوا (١) إلى الله أربعين ليلة ، فلما عرف الله منهم الصلح من قلوبهم ، والتوبة والتسليم على ما مضى منهم كسفت الله عنهم المذاب بعد أن تلى عليهم - قال قتادة : وذكر أن قوم يونس كانوا يبنون أرض الموص (٢) :

وكلا روى عن ابن مسعود ، وجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغير واحد من السلف ، وكان ابن مسعود يقرؤها : (فبلا كانت قرية آمنت (٣) )

وقال أبو حنيفة ، عن أبي الجندب (٤) قال : لا فرق بين المذاب ، جعل يدور على رؤوسهم كقطع الليل المظلم ، فمشوا إلى رجل من علمائهم فلقوا : هلما دعاه لدخا به ، لعل الله يكشف عنا المذاب : فقال : قولوا : يا حي حي لا حي ، يا حيي المرنى ، لا إله إلا أنت : قال : فكشفت عنهم المذاب (٥) ، ونعم القصة سيأتي مفصلاً في سورة الصافات إن شاء الله .

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتَيْنَا فِي الْأَرْضِ كُلَّهَا جَنًّا أَفَّا تَكْتَرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مَوْتِينَ ﴿٦﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّكَ أَنْ يَتْلُو بِآيَاتِهِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَفِي صُلْحٍ إِلَى جَنِّ الْأَيْنِ لَا يَتْلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالى : ( ولو شاء ربك - يا محمد - لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جنتهم به ، فآمنوا كلهم ، ولكن له حكمة فبا يفعله تعالى كما قال : ( ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين : إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ) (٦) ، وقال تعالى : ( أظلم بيأس الذين آمنوا أن لو بقاء الله لدى الناس جميعاً (٧) ) : ولهذا قال تعالى : ( أفأنت تكفر الناس ) ، أي : تزعمهم وتلجهم ( حتى يكونوا موتين ) ، أي : ليس ذلك عليك ولا إليك ، بل الله ( يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تلعب نفسك عليهم حسرات ) (٨) ( ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ) (٩) ، ( لكأن بائع نفسه أن لا يكونوا

(١) على شرح الصحيح : في ١٨٧/٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٩٨ : ٢٠٧/١٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٠٨ : ٢١٠/١٥ .

(٤) حره بلان بن أبي فراس الأسدي . يظر ترجمته في الإبرج والتبديل لابن أبي حاتم : ١٧٨/١٢١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٠٧ : ٢١٠/١٥ .

(٦) سورة مريم ، آية ١١٨ : ١١٩ .

(٧) سورة الفرقان ، آية ٢١ .

(٨) سورة طه ، آية ٨٠ .

(٩) سورة القدر ، آية ٢٧٢ .

مؤمنين (١) ، ( إنك لا تهدي من أحببت ) (٢) ، ( فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) (٣) ، ( لنذكر إنما الله مذكور . لست عليهم بمسيطر ) (٤) :: إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو المتعال لما يريد ، العادي من يشاء ، المفضل لمن يشاء ، لعلمه وحكمته وعدله : ولما قال : ( وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس ) : وهو : الخبائث والفساد ، ( على الذين لا يقولون ) ، أى : حجاج الله وأدله ، وهو العادل في كل ذلك ، في هداية من هدى ، وإضلال من ضل .

قُلْ أَنْظَرُوا مَا فِي الْأَرْضِ وَالْأَسْمَانِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ قُلْ أَنْظَرُوا  
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ نَجِّنِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا  
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

يرشدُ تعالى عباده إلى التفكير في آلائه وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة للهدى الألياب ، مما في السموات من كواكب نيرات ، ثوابت وسارات ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، واختلافهما ، وإيلاج أحدهما في الآخر ، حتى يطول هذا ويقصر هذا ، ثم يقصر هذا ويطول هذا ، وارتفاع السماء واتساعها ، وحسنها وزينتها ، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفاين الثمار والزرع والأزهار ، وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وقفار وحرمان وغراب ، وما في البحر من العجائب والأمواج ، وهو مع هذا مدلل للمالكين ، يجعل صفتهم ، ويجري بها برفق [ يتسخّر ] القدير له ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ،

وقوله : ( وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ) ، أى : وأي شيء تجدي الآيات السابوية والأرضية ، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها ، عن قوم لا يؤمنون ، كما قال : ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) ،

وقوله : ( فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبهم ) ، أى : فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من الثمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبهم من الأمم المكذبة لرسولهم ، قل : فانظروا إلى معكم من المنتظرين . ثم تنجي رسلنا والذين آمنوا ) ، أى : ونهلك المكذبين بالرسول ، ( كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ) حقا

(١) سورة الشعراء : آية ٣ .

(٢) سورة القصص : آية ٥٦ .

(٣) سورة الفرق : آية ٤٠ .

(٤) سورة الفلق : آية ٢١ ، ٢٢ .

أوجه تعالى على نفسه الكرمة ، كقوله : ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) ، وكما جاء في الصحيحين ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي (١) » .

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٠﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَعَلْتُمْ بَاطِلًا إِنْ شَاءَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَشْرًا فَلَا تَكْشِفْهُ لَهُ ۖ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ بِشَيْءٍ فَلَا رَادَّ لِفَتْحِهِ ۖ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى لرسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - قل : يا أيها الناس ، إن كنتم في شك من صحة ما جئكم به من الدين الخفيف ، الذي أوحاه الله إلي ، فما أنا لا أعبد الذين تعبدون من دُون الله ، ولكن أعبد الله وحده لا شريك له ، وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ، ثم إليهم مرجعكم ، فإن كانت ألفتكم التي تدعون من دُون الله حقا ، فإنا لا أعبدها ، فادعوا فلنضرب ، فلها لا نضر ولا تنفع ، وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ،

وقوله : ( وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ، أي : أخلص العبادة لله وحده حنيفا ، أي : منحرفا عن الشرك . ولهذا قال : ( وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ) ، وهو معطوف على قوله : ( وأمرت أن أكون من المؤمنين ) .

وقوله : ( وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَشْرًا فَلَا تَكْشِفْهُ لَهُ ) ، بان لأن الخبر والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلى الله تعالى وحده لا يشاركه في ذلك أحد ، فهو الذي يستحق العبادة وحده ، لا شريك له .

روي الحافظ ابن عساكر ، في ترجمة صفوان بن سليم ، عن طريق عبد الله بن وهب : أخرني يحيى بن أيوب ، عن عيسى بن موسى ، عن صفوان بن سليم ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبوا الخبر دهركم كله ، وتمرضوا لنفحات رحمة الله ، فإن الله نفحات من رحمته ، يصيب بها من يشاء من عباده ، وأسألوه أن يسئروا دوائكم ، ويؤمنوا دوائكم » .

(١) البخاري ، كتاب بدء الخلق : ١٢٩/٤ . وكتاب التوحيد : ١٥٣/٩ . وسلم ، كتاب التوبة ، باب « في سنة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه » : ٩٥/٨١ ، ٩٦ .

ثم رواه من طريق اللبث ، عن عيسى بن موسى ، عن صفوان ، عن رجل من أشجع ، عن أبي هريرة مرفوعاً ،  
بمثل سواه .

وقوله : ( وهو الغفور الرحيم ) ، أى : لمن تاب إليه وتوكل عليه ، ولو من أى ذنب كان ، حتى من الشرك به ،  
فإنه يتوب عليه .

قُلْ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لِنُؤْتِيكَ مِنْ دُونِهِ مَا يَنْتَهِى عَنْهُ ۚ فَمَنْ اعْتَدَىٰ مِنَّا بَعْدَ ذَٰلِكَ ۖ إِنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝١٠٠  
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُكِيلٍ ۝١٠١ وَأَتَّبِعْ مَا يَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ ۚ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٢

يقول تعالى أمراً لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - أن يخبر الناس أن الذى جاءهم به من عند الله هو الحق الذى  
لا مزية فيه ولا شك ، فمن اعتدى به واتبه فإنما يعود نفع ذلك الاتباع على نفسه ، [ ومن ضل فإنا يرجع وبإل ذلك  
عليه ] . ( وما أنا عليكم بوكيل ) ، أى : وما أنا موكل بهم حتى تكونوا مؤمنين به ، وإنا أنا نلزم لكم ، والمداية  
على الله تعالى .

وقوله : ( واتبع ما يوحى إليك واصبر ) ، أى : تمسك بما أنزل الله عليك وأوصاه ، واصبر على مخالفة من يخالفك  
من الناس ، ( حتى يحكم الله ) ، أى : يفتح بينك وبينهم ، ( وهو خير الحاكمين ) ، أى : خير القائمين بمدا  
وحكمته .

(١) حديث الترمذى مساقط من خطوطه الأزهر . وقد أثبتناه من الطبعات السابقة ، ويحصل أن يكون سقط ألف ، وأما  
في رواية هود وأخواتها ، فليست في سنن الترمذى ، . والحديث أخرجه الترمذى في تفسير سورة الواقعة . ينظر تحفة الأصولي،  
الطبعات ٣٣٠١ / ٩ / ١٤٨٢ . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه » .



( أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ) أى : نزل هذا القرآن المحكم المفصل لعبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ( وما أؤمننا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنا لا إله أنا فأعبدون ) (١) ، قال : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن أعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ) (٢) .

وقوله : ( إني لكم منه نذير وبشير ) ، أى : إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه ، وبشير بالثواب إن أطعتموه ، كما جاء في الحديث الصحيح : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الصفا ، فلما بعث قريش الأقرب ثم الأقرب ، فاجتمعوا ، فقال : يا معشر قريش ، أرايتم لو أخبرتكم أن غيلا تصيحبكم ، أستم مصلحي ؟ فقالوا : ما جربنا عليك كذبا . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (٣) .

وقوله : ( وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه عتصمكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله ) أى : وأمركم بالاستغفار من الذنوب السابقة والثوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه ، وأن تستمروا على ذلك ، ( يمتصكم متاعا حسنا ) ، أى : في الدنيا ( إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ) ، أى : في الدار الآخرة ، قاله قتادة (٤) ، كقوله : ( من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجنيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ) (٥) ، وقد جاء في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسمد : « وإني لن تنفق نفقة تبتى بها وجه الله ، إلا أجزت بها حتى ما تجعل في في امرأتك » (٦) .

وقال ابن جرير [حدث] عن المسيب بن شريك ، عن أبي بكر ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن مسعود في قوله : ( ويؤت كل ذي فضل فضله ) ، قال : من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات . فإن هوب بالسيئة التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات ، وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات . ثم يقول : هؤلاء من غلب آحاده أعشاره » (٧) .

وقوله : ( وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ) ، هذا تهديد شديد لمن تولى عن أوامر الله تعالى ، وكذب رسله ، فإن العذاب يناله يوم معاده لا محالة ، ( إلى الله مرجعكم ) ، أى : معاذكم ومرجعكم يوم القيامة ، ( وهو على كل

(١) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

(٢) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة المائدة : ٢٢١/٦ . وسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ( وأأنذر مشير تلك الأتربين ) : ١٣٤/١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٣٦ : ٢٣١/١٥ .

(٥) سورة النحل ، آية : ٩٧ .

(٦) البخاري ، كتاب الإيمان ، باب « ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة » : ٢٣/١ . وسلم ، كتاب الوصية ، باب « الوصية بالثلث » : ٧١/٥ .

(٧) في الخطوط : « وقال ابن جرير عن ابن المسيب » . والثلث عن تفسير الطبري ، الأثر ١٧٩٣٧ : ٢٣١/١٥ . وترجمة المسيب في الجرح : ٢٩٤/١/٤ .

في قدير ) ، أى : وهو القادر على ما يشاء من إحسانه إلى أوليائه ، واندفاعه من أعدائه ، وإعادة الخلائق يوم القيامة ، وهذا مقام الترهيب ، كما أن الأول مقام ترغيب .

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

قال ابن عباس : كانوا يكرهون أن يستقبلوا السبأ بفروجهم ، وحال وقاعهم ، فأنزل الله هذه الآية . رواه البخاري من حديث ابن جريج ، عن محمد بن عباد بن جعفر : أن ابن عباس قرأ : ( أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ ) ، فقلت : يا أبا عباس ، ما تنتوني صدورهم ؟ قال : الرجل كان يجامع امرأته فيستحي - أو : يتخلى فيستحي ، فتزلت : ( أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ ) (١) :

وفي لفظ آخر له قال ابن عباس : أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا ، فيفضوا إلى السبأ ، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السبأ ، فتزل ذلك فيهم (١) .

ثم قال : حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال : قرأ ابن عباس : ( أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونِي صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ ) .

قال البخاري : وقال غيره ، من ابن عباس : ( يستغشون ) : يغطون رءوسهم (١) ،

وقال ابن عباس في رواية أخرى في تفسير هذه الآية : ينسئ به الشك في الله ، وعمل السيئات ، وكلما روى عن مجاهد ، والحسن ، وغيرهم : أى أنهم كانوا ينتنون صدورهم إذا قالوا شيئاً أو عملوه ، يظنون أنهم يستخفون من الله بذلك ، فأعلمهم الله تعالى أنهم حين يستغشون ثيابهم عند منامهم في ظلمة الليل ، ( يعلم ما يسرون ) من القول : ( وما يعلنون ) إنه عليم بذات الصدور ) ، أى : يعلم ما تكن صدورهم من النيات والقصائر والسرائر . وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى في معلقته المشهورة (٢) :

فَلَا تَكْتُمُنَّ ۖ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ  
لِيَخْفَى ، فَمَهْمَا يَكْتُمُ اللَّهُ يَكْتُمُ  
يُؤَنِّصُ فَيُؤْضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُنَبِّئُ  
أيوم حساب ، أَوْ يُعْجِلُ فَيُنَبِّئُ

فقد اعترف هذا الشاعر الجاهل بوجود الصانع وعلمه بالجزئيات ، وبالحداد وبالجزاء ، وبكتابة الأعمال في الصحف ليوم القيامة .

وقال عبد الله بن شداد : كان أحدهم إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره ، وغطى رأسه ، فأنزل الله ذلك (٣) .

وعود الصمير على الله أولى ، قوله : ( أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ) .

(١) البخاري : تفسير سورة هود : ٩١/٦ ، ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٨ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٣٣/١٥ ، ٢٣٤ .

وقرأ ابن عباس (ألا إنهم تنفون صدورهم) ، يرفع الصدور على الناعلة ، وهو قريب المعنى

• وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ①

أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات ، من سائر دواب الأرض ، صغيرها وكبيرها ، بحريها وبريها ، وأنه يعلم مستقرها ومستودعها ، أى : يعلم أين تنتهى سبيلها فى الأرض ، وأين تأوى إليه من وكرها ، وهو مستودعها :

وقال على بن أبى طلحة وغيره ، عن ابن عباس : ( ويعلم مستقرها ) أى : حيث تأوى ، ( ومستودعها ) ، حيث تموت (١) .

وعن مجاهد : ( مستقرها ) فى الرحم ، ( ومستودعها ) فى الصلب ، كالتى فى الأنعام (٢) : وكذا روى عن ابن عباس والفساحك ، وجماعة . وذكر ابن أبى حاتم أقوال للمفسرين هاهنا ، كما ذكره عند تلك الآية (٣) ، فالفقه أعلم ، وأن جميع ذلك مكتوب فى كتاب عند الله من جميع ذلك ، كما قال تعالى : ( وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بخطابيه إلا أُمُّ أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شيء ، ثم إلی ربهم يحشرون ) (٤) . وقوله : ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ) (٥) ،

وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ مِعْذُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا بَحْرٌ مَبِينٌ ② وَلَئِنْ أُنْتَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابُ لَوَ أَنَّ أُمَّةً مَعْدُودَةً لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِصُهُمْ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ يَوْمَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَرْجِعُونَ ③

يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء ، وأنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن جامع بن شداد ، عن صفوان بن عمرز ، عن عرآن بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقبلوا البشرى بأبى نعيم . قالوا : قد بشرتنا فأعطينا . قال : اقبلوا البشرى يا أهل

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٩٩٣ : ٢٤١/١٥ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٧٩٦٤ : ٣٤٢/١٥ .

(٣) ينظر تفسير الآية ٩٨ من سورة الأنعام : ٢٩٩/٣ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٣٨ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ٥٩ .

اليمين . قالوا : قد قبلنا ، فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان ؟ قال : كان الله فعل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء . قال : فأتاني آت فقال : يا عمران ، انحلت ناسلك من عقابها . قال : فخرجت في إثرها ، فلا أدري ما كان بعدى (١) .

وهذا الحديث خرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة ؛ فمنها : « قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر . فقال : كان الله ولم يكن شيء قبله - وفي رواية : غيره - وفي رواية : معه - وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض » (٢) .

وفي صحيح مسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء » (٣) .

وقال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، حدثنا أبو الزناد ، عن الأهرج ، عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أفنق أفنق حليك . وقال : يد الله ملأى لا يفيض (٤) نفقة ، سبحانه الليل والنهار . وقال : أروأيم ما أفنق منذ خلق السماء والأرض ، فإنه لم يفيض ما في يده ، وكان عرشه على الماء ، ويبدله الميزان يخفض ويرفع » (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس (٦) ، عن حمه أبي رزّين - واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق المصنّلي - قال قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : كان في حماء (٧) ، ما تحته هواء وما فوقه هواء ، ثم خلق العرش بعد ذلك (٨) .

وقد رواه الترمذي في التفسير ، وابن ماجه في السنة من حديث يزيد بن هارون به - وقال الترمذي : هذا حديث حسن (٩) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٣١/٤ ، ٤٣٢ .

(٢) البخاري ، كتاب بدء الخلق : ١٢٨/٤ ، ١٢٩ .

(٣) مسلم ، كتاب القدر : ٥١/٨ .

(٤) معنى تفسير هذه الكلمة في : ١٣٨/٣ .

(٥) البخاري ، تفسير سورة هود : ٩٢/٦ . وينظر فيما تقدم : ١٣٨/٣ .

(٦) يقال فيه « حدس » أيقناً . ينظر الخلاصة .

(٧) الهواء : السحاب ، ومعنى « في حماء » : أي فوق سحاب عالي عليه ، وقوله « ما فوقه هواء » ، يعني : الذي فوق السحاب هواء . وكذلك قوله « ما تحته هواء » ، يعني السحاب .

هذا وقد قيل إن ذلك « المسمى » مقصور وليس ممدوداً . والمعنى إذا كان مقصوراً لمعناه : لا فيه ثابت ، لأنه ما من خلق الخلق لكونه غير شيء ، فكأن قال في جوابه : « كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره . ثم قال : « ما فوقه هواء وما تحته هواء » ، أي : ليس فوق المسمى ، الذي هو لا شيء ، هواء ولا تحته هواء ، لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يشبه له هواء بوجه .

(٨) مسند الإمام أحمد : ١١/٤ .

(٩) تحفة الأحرار ، تفسير سورة هود ، الحديث ١٠٩ : ٥٢٨/٨ - ٥٣١ . وسن ابن ماجه ، المقدمة ، الحديث

وقال مجاهد : ( وكان عرشه على الماء ) ، قبل أن يخلق شيئا . وكلما قال وهب بن منبه ، وضمره بن [ حبيب ]  
وقاله (١) ، قتادة ، وابن جرير ، وغير واحد .

وقال قتادة في قوله : ( وكان عرشه على الماء ) ، يبتدئكم كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السموات والأرض .

وقال الربيع بن أنس : ( وكان عرشه على الماء ) ، فلما خلق السموات والأرض ، قسم ذلك الماء قسمين ، فجعل  
تصفاً تحت العرش ، وهو البحر المسجور .

وقال ابن عباس : إنما سمى العرش عرشاً لارتفاعه .

وقال إسماعيل بن أبي خالد ، سمعت سعداً الطائي يقول : العرش ياقوته حمراء .

وقال محمد بن إسحاق في قوله تعالى : ( وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ) ،  
فكان كما وصف نفسه تعالى ، إذ ليس إلا الماء وعليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، والمنة والسلطان ،  
والملك والقدرة ، والحلم والعلم ، والرحمة والتعنة ، الفعال لما يريد .

وقال الأحمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير قال : مثل ابن عباس عن قول الله ( وكان عرشه على  
الماء ) ، على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الربيع (٢) .

وقوله تعالى : ( ليلوكم أيكم أحسن عملاً ) ، أي : خلق السموات والأرض لنفع عباده الذين خلقهم ليعبدوه  
وحده لا شريك له ، ولم يخلق ذلك عبثاً ، كما قال تعالى : ( وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين  
كفروا فويل للذين كفروا من النار (٣) ) ، وقال تعالى : ( أنصبتُم أنما خلقتكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى  
الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم (٤) ) ، وقال تعالى : ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٥) ) .

وقوله : ( ليلوكم ) ، أي : ليختبركم ( أيكم أحسن عملاً ) ، ولم يقل ، أكرم عملاً ، بل أحسن عملاً ، ولا يكون  
العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله عز وجل ، على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففي نقد العمل واحداً من هذين  
الشرطين بطل وحبط .

وقوله : ( ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا صر مبین ) ، يقول تعالى :  
ولئن أخبرت يا محمد هؤلاء المشركين أن الله سيمنهم بعد مماتهم كما بدأهم ، مع أنهم يعلمون أن الله تعالى هو الذي خلق  
السموات والأرض ، [ كما قال تعالى : ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (٦) ) ، ( ولئن سألتهم من خلق السموات

(١) في المخطوطة : « وضمره بن وقال » . وما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٢) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ٢٤٥/١٥ ، ٢٥٠ .

(٣) سورة ص ، آية ٢٧ .

(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١١٥ ، ١١٦ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٥٦ .

(٦) سورة الزخرف ، آية : ٨٧ .

والأرض] وبشر الشمس والقمر ليقولن الله (١)، وهم مع هذا ينكرون البعث والمعاد يوم القيامة ، الذي هو بالنسبة إلى القدرة أمون من الابدانة ، كما قال تعالى : ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (٢) ) ، وقال تعالى : ( ما خلقكم ولا ينشئكم إلا كنس واحدة (٣) ) ، وقولهم : ( إن هذا إلا صفر مبین ) ، أى : يقولون كفرا وعنادا : ما تصدقك حل وقبح البعث ، وما يذكر ذلك إلا من بصرته ، فهو يتبعك حل ما تقول .

وقوله : ( ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما عجبناهم ) . يقول تعالى : ولئن أخرنا العذاب والمؤاخلة من هؤلاء المشركين إلى أجل معدود وأمد محصور وأوعدهناهم به إلى مدة مضروبة ، ليقولن تكليبا واستمجالا : ( ما عجبناهم ) ، أى : يؤخر هذا العذاب عنا ، فإن سبحانه قد ألقت التكليب والشك ، فلم يبق لهم حصص عنه ولا عيب .

« والأمة » تستعمل في القرآن والسنة في معان متعددة ، فإرادها الأمد ، كقوله في هذه الآية : ( إلى أمة معدودة ) ، وقوله في يوسف : ( وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة (٤) ) ، وتستعمل في الإمام المقتدى به ، كقوله : ( إن إبراهيم كان أمة فانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين (٥) ) ، وتستعمل في الملة والدين كقوله إخبارا عن المشركين أنهم قالوا : ( إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتلون (٦) ) ، وتستعمل في الجماعة كقوله : ( ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون (٧) ) وقال تعالى : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (٨) ) ، وقال تعالى : ( ولكل أمة رسول ، فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (٩) ) .

والمراد من الأمة هاهنا الذين يبحث فيهم الرسول مؤمنهم وكافرهم ، كما في صحيح مسلم : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار (١٠) » .

وأما أمة الأتباع ، فهم المصدقون للرسول ، كما قال تعالى : ( كنتم خير أمة أخرجت للناس ) ، وفي الصحيح : « فأقول : أمي أمي » .

وتستعمل الأمة في الفرقة والطائفة ، كقوله تعالى : ( ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١١) ) ، وقال تعالى : ( من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (١٢) ) .

(١) سورة النجم : آية ٦١ .

(٢) سورة الروم : آية ٢٧ .

(٣) سورة لقمان : آية ٢٨ .

(٤) سورة يوسف : آية ٤٥ .

(٥) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٦) سورة الزمر : آية ٢٣ .

(٧) سورة القصص : آية ٢٣ .

(٨) سورة النحل : آية ٣٦ .

(٩) سورة يونس : آية ٤٧ .

(١٠) مسلم ، كتاب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ٩٣/١ .

(١١) سورة الأعراف : آية ١٥٩ .

(١٢) سورة آل عمران : آية ١١٣ .

وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ زَكَّاهَا مِنْهُ إِثْمُ لَيْسَ كَمَفُورٍ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ رَبِّهِ بِإِذْنِهِ فَصَارَ سَافِرًا ﴿١١﴾ فَغَرَّاهُ أَصْحَابُ الْفُلِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا ﴿١٣﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤﴾

يُخبر تعالى عن الإنسان ومافيهِ من الصفات اللبيمة ، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين ، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة ، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل ، وكثر وجود لماضي الحال ، كأنه لم ير خيرا ، ولم يرج بعد تلك فرجا . وهكذا إن أصابته نعمة بعد نعمة ( يقولون ذهب السيثان عني ) ، أي : يقول : ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء ، ( إنه لفرح فخور ) ، أي : فرح بما في يده ، بطر فخور على غيره . قال الله تعالى : ( إلا الذين صبروا ) ، أي : في الشدائد والمكاره ، ( وعملوا الصالحات ) ، أي : في الرخاء والعافية ، ( أولئك لم يفتروا ) ، أي : بما يصيبهم من الضر ، ( وأجر كبير ) ، بما أسلفوه في زمن الرخاء ، كما جاء في الحديث : « والذى نفسى بيده لا يصيب المؤمن هم ولا غم ، ولا نصب ولا وصب ، ولا حزن حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياها (١) » ، وفي الصحيحين : « والذى نفسى بيده ، لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته مرأه فشكر كان خيرا له ، وإن أصابته ضراء فصر كان خيرا له ، وليس ذلك لأحد غير المؤمن (٢) » ، وهكذا قال الله تعالى : ( والعصر ) إن الإنسان لئى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) وقال تعالى ( إن الإنسان خلق هلوعا . إذا خسه الشر جزعوا . وإذا خسه الخير منوعا . إلا الصابرين ... الآية (٣) .

فَلَمَّا أَتَاهَا ذِكْرُهَا أَتَتْهَا رُسُلُ رَبِّهَا لَهَا كَرِيمَةٌ ﴿١٥﴾ فَاذْكُرْكُنَّ يَوْمَ إِذْ وَقَعْتُمُ الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿١٦﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا ﴿١٧﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى مسلما لرسوله صلى الله عليه وسلم ، عما كان يمتن به المشركون ، فيما كانوا يقولونه عن الرسول - كما أخبر تعالى عنهم - : ( وقالوا : ما هذا الرسول ؟ يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ؟ لولا أنزل عليه ملك لكانت من الكاذبين معه نديرا . أو يلقى إليه كثر ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون : إن تبيين وإرجلا مسجورا ) (٤) - فأمر الله تعالى رسوله - صلوات الله تعالى وسلامه عليه - وأرشده إلى أن لا يشيق بذلك منهم صدرك ، ولا يهينك (٥)

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري : ٤/٣ .

(٢) مسلم ، كتاب الزهد ، باب : المؤمن أمره كله خير : ٢٢٧/٨ .

(٣) سورة المخرج ، الآيات : ١٩ - ٢٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية : ٨ ، ٧ .

(٥) ينظر : ١٥٤/٢ .

ذلك ولا يُشَبِّهْتَهُ من دعاتهم إلى الله عز وجل أثناء الليل وأطراف النهار، كما قال تعالى: ( ولقد نعلم أنك بضيق صدرك بما يقولون . فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين . واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (١) ) ، وقال هاهنا: ( فاعمالك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا ) ، أى: لتقوم ذلك ، فإما أنت تلذز ، ولك أسوة بإخوانك من الرسل قبلك ، فإنهم كذبوا وأوذبوا ، فصبروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل .

ثم بين تعالى إعجاز القرآن ، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ، ولا بعشر صور مثله ، ولا بسورة من مثله ، لأن كلام الرب لا يشبهه كلام المخلوقين ، كما أن صفاته لا تشبه صفات المخلوقات . وذاته لا يشبهها شيء ، تعالى وتقدس وتزه ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

ثم قال تعالى: ( فإن لم يستجيبوا لكم ) ، أى: فإن لم يأتوا بمعارضة ما دعوهم إليه ، فاعلموا أنهم عاجزون عن ذلك ، وأن هذا الكلام متزل من عند الله ، متضمن علمه وأمره ونهيه ، ( وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ) .

مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا نَافِقًا فَبِمَا أَعْمَلَهُمْ فِيمَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْشَوْنَ ﴿٥٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَكْثَارٌ وَحِيطٌ مَّا صَبَّغُوا فِيهَا وَيَسْطُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس ، في هذه الآية : إن أهل الرياء يطلون بحسناتهم في الدنيا ، وذلك أنهم لا يظلمون تقبيرا ، يقول : من عمل صالحا اتخاها الدنيا ، صوما أو صلاة أو تهجد بالليل ، لا يعملها إلا الناس الدنيا ، يقول الله : أوفيه الذي اتخاها في الدنيا من المثابة ، وحيط عمله الذي كان يعملها الناس الدنيا ، وهو في الآخرة من الناسرين . وهكذا روى عن مجاهد ، والنضحاك ، وغير واحد .

وقال أنس بن مالك ، والحسن : تزلت في اليهود والنصارى . وقال مجاهد وغيره : تزلت في أهل الرياء .

وقال قتادة : من كانت الدنيا همه وسدته (٢) وطلبته ونجته ، جازاه الله بحسناته في الدنيا ، ثم يعرض إلى الآخرة ، وليس له حصة يعطى بها جزاء . وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ، ويثاب عليها في الآخرة (٣) .

وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا .

وقال تعالى : ( من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها معلوما مملوحا • ومن أراد الآخرة ، وسعى لها سعيها وهو مؤمن ، فأولئك كان سعيهم مشكورا • كَلَّا نَسِيدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ

(١) سورة الحجر آية ٩٨ ، ٩٩

(٢) السهم - يفتحون - : للولوع بالشيء والهج به ، والرغم بطلبه ، والتمس حل لفته .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩ : ١٨٠ / ١٥ : ٢٦٤ . وهذا الأثر رواه النادري عن الحسن ، المقتمة ، الحديث ٣٣٨ : ٨١ / ١ . وفيه : • همه وفيه • بالياء والثاء •



وما كان عطاء ربك مغظورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (١) ، وقال تعالى : ( من كان يريد حرث الآخرة ترد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نزلته منها ، وماله في الآخرة من نصيب (٢) ) .

أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوَبِّحٌ لِّمَا سَاءَ وَرَحْمَةٌ لِّكَ وَلِئَلَّكَ يَوْمَئِذٍ مِّنْ يَّكْفُرُونَ بِهِ مِمَّنَ الْأَخْرَابِ قَالَ رَأَوْهُم مَّوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

يُفِيَرُ تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده ، من الاختلاف بأنه لا إله إلا هو ، كما قال تعالى : ( فأتهم وجهك للذين حنفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم (٣) ) وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة مجتمعة ، هل تحسبون فيها من جدعاء ؟ » وفي صحيح مسلم عن عياض ابن حمار ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتاتهم من دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت (٤) لهم » ، وفي المسند والسنن : « كل مولود يولد على هذه الفطرة ، حتى يُعرب عنه لسانه (٥) » . الحديث ، فالؤمن باقى على هذه الفطرة .

[ وقوله : ( ويتلوه شاهد منه ) ، أى : ] وجاءه شاهد من الله ، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملّة للمفطمة المحتزمة بشريعة محمد — صلوات الله وسلامه وعليهم أجمعين : ولهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، والسدي ، وغير واحد في قوله تعالى : ( ويتلوه شاهد منه ) : إله جبريل عليه السلام (٦) .

وعن علي ، والحسن ، وقنادة : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وكلاهما قريب في المعنى ، لأن كلا من جبريل ومحمد — صلوات الله عليهما — بلغ رسالة الله تعالى ، فجبريل إلى محمد ، ومحمد إلى الأمة .

(١) سورة الإسراء : الآيات : ١٨ - ٢١ .

(٢) سورة الشورى : آية : ٢٠ .

(٣) سورة الروم : آية : ٣٠ .

(٤) مضمي حديث أبي هريرة ، وعياض بن حمار عنه تفسير الآية ١١٩ من سورة النساء ، وعرجناما وشرحا غريبهما هناك .

ينظر : ٣٦٨/٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله : ٣/٣٥٣ ، وعن الأسود بن سريع : ٤٣٥/٣ ، ٢٤٤/٤ .

(٦) ينظر تفسير الطبري : ٢٧٣/١٥ .

وقيل : « هو على » وهو ضعيف لا يثبت له قائل ، والأول والثاني هو الحق ، وذلك أن المؤمن صفة من القطرة ما يشهد للشرية من حيث الجملة ، والخصائص تؤخذ من الشريعة ، والقطرة تصديقها وتؤمن بها ، ولهذا قال تعالى : ( أفن كان على بينة من ربه ويظنوه شاهد منه ) ، وهو القرآن ، بلغة جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغه النبي همد إلى أمته .

ثم قال تعالى : ( ومن قبله كتاب موسى ) ، أي : ومن قبل القرآن كتاب موسى ، وهو التوراة ، ( إماما ورحمة ) ، أي : أنزل الله تعالى إلى تلك الأمة إماما لهم ، وقوة يقتدون بها ، ورحمة من الله بهم . فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن ، ولهذا قال تعالى : ( أولئك يؤمنون به ) .

ثم قال تعالى متريدا لمن كلب بالقرآن أو بشيء منه : ( ومن يكفر به من الأحزاب ، فالتار موعده ) ، أي : ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركهم : أهل الكتاب وغيرهم ، من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوأهم وأشكالهم وأجناسهم ، ممن بلغه القرآن ، كما قال تعالى : ( لأنذرکم به ومن بلغ (١) ) ، وقال تعالى : ( قل يا أيها الناس ، إني رسول الله إليکم جميعا (٢) ) . وقال تعالى : ( ومن يكفر به من الأحزاب فالتار موعده (٣) ) . وفي صحيح مسلم ، من حديث (٤) شعبة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبر عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يسمع في أحد من هذه الأمة يهودى أو نصرانى ، ثم لا يؤمن في ، إلا دخل النار » .

وقال أيوب السخيتاني ، عن سعيد بن جبر : قال : كنت لا أسمع بمحدث من رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه - أو قال : تصديقه - في القرآن ، فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يسمع في أحد من هذه الأمة ، [ ولا ] يهودى ولا نصرانى ، فلا يؤمن في إلا دخل النار . فجعلت أقول : أين مصداقه في كتاب الله ؟ قال : ولعلما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وجدت له تصديقا في القرآن ، حتى وجدت هذه الآية : ( ومن يكفر به من الأحزاب [فالتار موعده] ، قال : من الملل كلها (٥) ) .

قوله : ( فالتار في مرة منه إنه الحق من ربك ) ، أي : القرآن حق من الله ، لا مرة فيه ولا شك ، كما قال تعالى : ( ألم : تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٦) ) ، وهل تعالى : ( ألم : ذلك الكتاب لا ريب فيه (٧) ) .

(١) سورة الأملام : آية : ١٩ .

(٢) سورة الأعراف : آية : ١٥٨ .

(٣) سورة هود : آية : ١٧ .

(٤) كذا ، والحدیث فی صحیح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس . عن أبي هريرة : ٩٣/١ .

هنا : وقد رواه ابن جرير في تفسيره من طريق شعبة بهذا الإسناد الذي ذكره ابن كثير ، الأثر : ١٨٠٧٩ : ٢٨١/١٥ . فلهذه قد وقع سقط في تفسير ابن كثير ، والله أعلم .

(٥) ينتظر تفسير الطبري : ٢٧٩/١٥ : ٢٨٠ .

(٦) سورة البقرة : آية : ١ : ٢ .

(٧) سورة البقرة : آية : ١ : ٢ .

وقوله : ( ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ) ، كما قال تعالى : ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين (١) ) ، وقال تعالى : ( وإن طغى أكثر من في الأرض فيقولون من سبيل الله (٢) ) ، وقال تعالى : ( ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٣) ) .

وَمَنْ أَعْلَمُ بِمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كُتُبًا أُولَئِكَ هُمْ ضَعُفٌ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْإِسْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٢) أُولَئِكَ لَا يَسْكُونُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَصْصِرُونَ (٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ هُمْ الْخَاسِرُونَ (٤)

يعني تعالى حال المقتربين عليه وقضيبتهم في الدار الآخرة على دعوى الخلائق ومن الملائكة ، والرسل ، [ والأنبياء ] ، وسائر البشر والجان ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا جيز وعفان قالا : أخبرنا همام ، حدثنا قتادة ، عن صفوان بن عرز قال : كنت أخطأ بيد ابن عمر ، إذ عرض له رجل قال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في التنجيز يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل يبنى المؤمنين ، فيضع عليه كنفه (١) » ويسره من الناس ، ويقرره بلنوبه ، ويقول له : أنترف ذنب كلما ؟ أنترف ذنب كلما ؟ حتى إذا قرره بلنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا ، وإني أخفيها لك اليوم . ثم يعطى كتاب حسنته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول ( الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ) (٥) .

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين ، من حديث قتادة (٦) به ،

وقوله : ( الذين يصدون عن سبيل الله ويغونها عوجا ) ، أي : يردون الناس عن اتباع الحق وسلك طريق الهدى الموصلة إلى الله عز وجل ويعينهم الجنة ، ( ويغونها عوجا ) ، أي : ويريدون أن يكون طريقهم عوجا غير معتدلة ، ( وهم بالآخرة هم الكافرون ) ، أي : يجعلون بها مكذبين يقرعها وكونها .

(١) سورة يوسف ، آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١١٦ .

(٣) سورة سبأ ، آية : ٢٠ .

(٤) أي : ستره وغطوه وصفحه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٧٤ . ورواه الإمام أحمد من وجه آخر : ٢ / ١١٠٥ .

(٦) البخاري ، تفسير سورة هود : ٦ / ٩٢ ، ومسلم ، كتاب التوبة ، باب « يقول توبه اللئال » ، وإن كثرت قوله .

( أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ، وما كان لهم من دون الله من أولياء ) ، أى : بل كانوا تحت قهره وحكيمته ، وفي قبضته وسلطانه ، وهو قادر على الانتقام منهم في الدار الدنيا قبل الآخرة ، ( ولكن يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ) ، وفي الصحيحين : « إن الله ليُسلِلُ للنظام ، حتى إذا أخذَه لم يُفْلِتِه » (١) . ولهذا قال تعالى : ( يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ) ، أى يضاعف عليهم العذاب ، وذلك لأن الله تعالى جعل لهم ( سمعاً وأبصاراً وأفئدة ) ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم ، بل كانوا ضِعْفاً عن سماع الحق ، ضُمياً عن اتباعه ، كما أخبر تعالى عنهم حين دخولهم النار : ( وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) (٢) ، وقال تعالى : ( الذين كفروا وصلوا من سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسلون ) (٣) ، ولهذا يعذبون على كل أمر تركوه ، وعلى كل نهي ارتكبهوه . ولهذا كان أصبح الأقوال أنهم مكلفون بفروع الشرائع أمرها ونهيها بالنسبة إلى الدار الآخرة .

وقوله : ( أولئك الذين خسروا أنفسهم وذل عنهم ما كانوا يفترون ) ، أى : خسروا أنفسهم لأنهم دخلوا ناراً حامية ، فهم يعذبون فيها لا يُفْتَر عنهم من عذابها طرفة عين ، كما قال تعالى : ( كلما خَبِتَ زدناهم سعيراً ) (٤) : ( وذل عنهم ) ، أى : ذهب عنهم ( ما كانوا يفترون ) من دون الله من الأنداد والأصنام ، فلم تُجَدِ عنهم شيئاً ، بل ضُربَهم كل الضرب ، كما قال تعالى : ( وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ) (٥) ، وقال تعالى : ( واخْلَوْا من دون الله كلمة ليكنوا لهم حِزْباً . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضللاً ) (٦) ، وقال الخليل لقومه : ( إنما اتخَذْتُم من دون الله آلهة مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ في الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضاً وماؤاكم النار ، وما لكم من ناصرين ) (٧) ، وقال تعالى : ( إذ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ورَأَوْا العذاب وتقطع بهم الأسباب ) (٨) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على خسارهم ودمارهم ، ولهذا قال : ( لا جرم أنهم في الآخرة هم الأَخْسَرُونَ ) يخبر تعالى عن حالهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة ، لأنهم استبدلوا بالدرجات عن الدرجات ، واحتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن ، وعن شرب الرحيق الخنثوم ، بسوموم وحميم ، وظل من محموم ، وعن الحور العين بطعام من خسلين ، وعن القصور العالية بالهاوية ، وعن قرب الرحمن ، ورويته بغضب الديان وعقوبته ، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأَخْسَرُونَ .

- 
- (١) البخارى ، تفسير سورة هود : ٩٣ ، ٩٤ . ومسلم كتاب البر ، باب « تحريم الظلم » : ٨ / ١٩ .  
 (٢) سورة الملك : آية : ١٠ .  
 (٣) سورة النحل : آية : ٨٨ .  
 (٤) سورة الإسراء : آية : ٩٧ .  
 (٥) سورة الأحقاف : آية : ٦ .  
 (٦) سورة مريم : آية : ٨١ ، ٨٢ .  
 (٧) سورة التكهوت : آية : ٢٥ .  
 (٨) سورة البقرة : آية : ١٦٦ .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاتَّبَعُوا لَكَ رَسُولًا فَأُولَئِكَ أَجْتَبْنَا أَهْلَ الْجَنَّةِ مُقَرَّبِينَ ۖ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٤﴾ \* مَثَلُ  
الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْحَى وَالْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ وَالْسَمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء نُسِّيَ بذكر السعداء ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قامت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة قولاً وفعلًا ، من الإتيان بالطاعات وترك المنكرات ، وبهذا وثروا الجنات ، للمشتملة على العرف والماليات ، والسرر المصفوفات ، والقطوف اللذائيات ، والفرش المرفعات ، والحسان الخيترات ، والقواكه المتنوعات ، والمأكول المشتهيات ، والمشارب المستلذات ، والنظر إلى خالق الأرض والسماوات ، وهم في ذلك خالدين ، لا يموتون ولا يهرمون ولا يعرضون ، ويتممون ولا ينقصون ، ولا يصغون ولا يتمخضون ، إن هو إلا رَشْحٌ ميسك يعرقون ،

ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين ، فقال : ( مثل الفريقين ) ، أى : الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء ، فأولئك كالأصم والأعمى ، وهؤلاء كالصير والسميع . فالكافر أعمى من وجه الحق في الدنيا ، وفي الآخرة لا يهتدى إلى خير ولا يعرفه ، أعم من ميعاد الحجج ، فلا يسمع ما ينتفع به ، ( ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ) (١) ، وأما المؤمن ففطن ذكى لبيب ، بصير بالحق ، يميز بينه وبين الباطل ، فينبغ الخير ويترك الشر ، سميع للحجة ، يفرق بينها وبين الشبهة ، فلا يروج عليه باطل ، فهل يستوى هذا وهذا ؟ ،

( أفلا تذكرون ) أفلا تعبرون وتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء ، كما قال في الآية الأخرى : ( لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون ) (٢) وقال : ( وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الخور . وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور . إن أنت إلا نذير . إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ) (٣) ،

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكَ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۚ إِنَّ خَافُ عَلَيْكَ عَذَابَ رَبِّكَ  
يَعْرِى ۖ فَقَالَ الْغَالِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرْتِكَ إِلَّا أَصْنَانًا كُفَرًا ۚ أَلَا الَّذِينَ هُمْ أَرَأَيْتُمْ أَن  
يَأْتُواكَ بِبَنَاتِكُنَّ الْأُفْرَاجِ ۚ فَسَمِعُ النَّاسَ يَلْعَنُوكَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

خبر تعالى عن نوح عليه السلام ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض من المشركين عبدة الأصنام أنه قال لقومه : ( إنى لكم نذير مبين ) ، أى : ظاهر التذكارة لكم من عذاب الله إن أنتم عبادتم غير الله . ولهذا قال : ( أن لا تعبدوا إلا الله ) ، وقوله : ( إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ) ، أى : إن استمررتم على ما أنتم عليه حكىكم الله عذاباً أليماً موجباً خافاً في الدار الآخرة .

(١) سورة الأنفال ، آية : ٢٣ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٢٠ .

(٣) سورة فاطر ، الآيات : ١٩ - ٢٤ .

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ، ولما هم : السادة والكبراء من الكافرين منهم : ( ما نراك إلا بشرا مثنا ) ، أى : لست بملك ، ولكنت بشر ، فكيف أوحى إليك من دوننا ؟ ثم ما نراك أتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاككة (١) ، وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الروماء ، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن تروّ منهم ولا فكرة ولا نظر ، بل بمجرد ما دعوتهم أجاوبك فاتبعوك ، ولما قال : ( وما نراك أتبعك إلا الذين هم أرادنا بآدى الرأى ) ، أى : فى أول بادىء الرأى ، ( وما لرى لكم علينا من فضل ) ، يقولون : ما رأينا لكم علينا فضيلة فى خلقك ولا خلقك ، ولا رزق ولا حال ، لئلا دخلتم فى دينكم هذا ، ( بل نظنكم كاذبين ) ، أى : فى تدّعوته لكم من البر والصلاح والعبادة ، والسعادة فى الدار الآخرة إذا صرتم إليها .

هذا اعتراض الكافرين على نوح عليه السلام وأتباعه ، وذلك دليل على جهلهم وقلة علمهم وعقلهم ، فانه ليس بهار هل الحق ردّالة من اتبعه ، فإن الحق فى نفسه صحيح ، وسواء اتبعه الأشراف أو الأراذل ، بل الحق الذى لا شك فيه أن أتباع الحق هم الأشراف ، ولو كانوا فقراء ، والذين يأبونه هم الأراذل ، ولو كانوا أغنياء . ثم الواقع غالبا أن ما يتبع الحق ضعفاء الناس ، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفتهم ، كما قال تعالى : ( وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون (٢) ) ، ولما سأل هرقل ملك الروم أباسفيا ن صخر بن حرب عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له فيما قال : أشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم . فقال هرقل : هم أتباع الرسل .

وقوله : ( بادى الرأى ) ليست بجملة ولا عيب ، لأن الحق إذا وضع لا يبقى للتروى ولا للفكر مجال ، بل لا بد من اتباع الحق والحالة هذه لكل ذى كرامة وذكاء ولا يشكر ويروى هاهنا إلا عيبى أو غي . والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إنما جاءوا بأمر جلى واضح . وقد جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبرة ، غير أبى بكر ، فإنه لم يتعلم » ، أى : ما تردد ولا تروى ، لأنه رأى أمرا جليا عظيما واضحا ، فبادر إليه وسارع .

وقوله : ( وما نرى لكم علينا من فضل ) ، هم لا يرون ذلك ، لأنهم عمنى عن الحق ، لا يسمعون ولا يبصرون ، بل هم فى ريبهم يرددون ، فى ظلمات الجهل يسمعون ، وهم الأفاكون الكاذبون ، الأكلون الأراذلون ، ونى الآخرة هم الأفسرون .

قَالَ يَنْفَعُكُمْ أَرْبَابُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَءَايَ رَحْمَةً مِّن عِنْدِي فَصَبِرْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ كَوْمُهَا وَأَنْتُمْ هَـٰ

كَثِيرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى خبراً عن نوح ما ردّ على قومه فى ذلك : ( أرايتم إن كنت على بينة من ربى ) ، أى : على يقين وأمر جلى ، ونيرة صادقة ، وهى الرحمة العظيمة من الله به وبهم ، ( فصبرتم عليكم ) ، أى : خفيت عليكم ، فلم تهتدوا إليها ، ولا عرفتم قدرها ، بل باد رتم إلى تكذيبها وردّها ، ( أنذرهم كموها ) ، أى : تنصّبكم بقبولها وأنتم لها كارهون .

(١) حاك الثوب : عاظمه ، وهو حاله ، والجميع : حاككة ، وحوكة ، ينتج الحاف والواراد .

(٢) سورة الزمر : آية ٢٣ .

وَيَقَوْمٌ لَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِن آجَرُوا إِلَّا عَلَىٰ إِلَٰهٍ ؕ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَّا نَزَعُوا مِنْهُمْ أَمْتَهُمْ بِرَبِّهِمْ وَلَكِنْ يَنْصَرِكُونَ قَوْمًا جَاهِلُونَ ﴿١٠﴾ وَيَقَوْمٌ مِّنْ يَّسْهَرُونَ مِّنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ ؕ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١١﴾

يقول لقومه : لا أسألكم على نصحي مالا : أجرة أخذها منكم ، إنما أبتغي الأجر من الله عز وجل ، ( وما أنا بطارِدُ الذين آمنوا ) ، كأنهم طلبوا منه أن يطرد المؤمنين عنه ، احتشاما ونفاسة منهم أن يجلسوا معهم ، كما سأل أمثالهم خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم أن يطرد عنهم جماعة من الضعفاء ويجلس معهم مجلسا خاصا ، فانزل الله تعالى : ( ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ) (١) [ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي (٢) ] يريدون وجهه ، ولا تعد هناك عنهم ) . وقال تعالى : ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين ) الآيات .

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَدْرِئْنَ أَنَّكَ يَصُدُّهُنَّ مِنِّي أَنَّهُنَّ كَافِرَاتٌ فاحْشَيْنَ مَا يَكُنَّ فِي جُحَدِّكُمْ وَلَا تَسْمَعْنَ لَكَ إِذَا تَدْعِيَهُنَّ لَمْ يَكُنَّ بِكَ عِندَ رَبِّهِمْ فَهُنَّ أَفْوَاجٌ ﴿١٢﴾ وَلَا أَعْلَمُ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾

يخبرهم أنه رسول من الله ، يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، بإذن الله له في ذلك ، ولا يسألهم ذلك أجرًا ، بل هو يدعو من لقيه من شريف وضيع ، فمن استجاب له فقد بما . ويخبرهم أنه لا يتقدّر على التصرف في خزانة الله ، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه ، وليس هو بملك من الملائكة ، بل بشر مرسل ، مؤيد بالمعجزات : ولا أقول ، عن هؤلاء اللذين تحضرونهم وتردوهم : إنه ليس لهم عند الله ثواب على إيمانهم الله أعلم بما في أنفسهم ، فإن كانوا مؤمنين باطنًا كما هو الظاهر من حالهم ، فلم جزاء الحسنى ، ولو قطع لهم أحد بشر بعد ما آمنوا ، لكان ظلالا قاتلا مالا علم له به .

قَالُوا يَنْتَهِزُكُمْ جَدَلُنَا فَأَنْتُمْ جَافُونَ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ أَتَانِي مَا أَتَاكُمْ فَأَتَانِي مَا أَتَاكُمْ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَنْتَهِزُكُمْ جَدَلُنَا فَأَنْتُمْ جَافُونَ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ أَتَانِي مَا أَتَاكُمْ فَأَتَانِي مَا أَتَاكُمْ ﴿١٥﴾ قَالُوا يَنْتَهِزُكُمْ جَدَلُنَا فَأَنْتُمْ جَافُونَ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ أَتَانِي مَا أَتَاكُمْ فَأَتَانِي مَا أَتَاكُمْ ﴿١٦﴾

يقول تعالى خبرًا عن استعجال قوم نوح نعمة الله وعذابه وسخطه ، والبلاء موكل بالملئق : ( قالوا : يا لوح ، قد جادلنا فأكثر جدالنا ) ، أى : حاجبتنا فأكثرت من ذلك ، ونحن لا نطيعك ، ( فأتانا بما تدعونا ) ، أى : من النعمة والعذاب ، ادع علينا ما شئت ، فليأتنا ما تدعو به . ( إن كنت من الصادقين . قال : إنما يأتيكم من الله إن شاء وما أنتم

(١) سورة الأنعام ، آية : ٥٢ .

(٢) ما بين القوسين لا بد من إثباته ، فإياه ، وهو قوله تعالى : ( يريدون وجهه ، ولا تعد هناك عنهم ) ، ليس من تمام آية الأنعام المنظمة ، ولكنه من تمام آية الكهف : ٢٨ ، ونحسب أنه سقط نظر .

مبجيزين) ، أى : إنما الذى يعاقبكم ويسجلها لكم الله الذى لا يميزه شئ ، ( ولا ينفعكم نصصى إن أردت أن أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغفرك ) ، أى : أى شئ يَجِدِي عليكم لإلاخى لكم وإنلارى إياكم ونصصى ، إن كان الله يريد إضراءكم ودماركم ، ( هو يركم وإليه ترجعون ) ، أى : هو مالك أزمة الأمور ، والمتصرف الحاكم العادل الذى لا يجرى ، له الخلق وله الأمر ، وهو المبدئى للمبد ، مالك الدنيا والآخرة .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ لِجَارِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَفْتُرُونَ ﴿٢٥﴾

هذا كلام معترض فى وسط هذه القصة ، موكدا ومقرر بشأنها . يقول تعالى لحمد صلى الله عليه وسلم : أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ لِجَارِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يَفْتُرُونَ ، أى : ليس ذلك مفتعلا ، ولا مفترى ، لأنى أعلم ما عند الله من العقوبة لمن كذب عليه .

وَأَوْسَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَصْبَحَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا  
وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِئِينَ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ  
يَتْرَوْا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٢٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُغْزِيهِ  
وَيَرْجُلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّهِيمٌ ﴿٢٩﴾

يخبر تعالى أنه أوصى إلى نوح لما استعجل قومه ففهم وعلا به لهم ، فلما عليهم نوح دعوته التى قال الله تعالى : ضرباً عنه أنه قال : ( رب لا تترك على الأرض من الكافرين دياراً ) (١) ، ( فلما ربه أنى مغلوب فانتصر ) (٢) ، فعند ذلك أوحى الله تعالى إليه : ( أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ) ، فلا تحزن عليهم ولا يهملك أمرهم .  
( واصنع الفلك ) ، بنى السفينة ( بأعيننا ) ، أى : بمراىى منا ، ( ووحينا ) ، أى : وتعليمنا لك ماذا تصنعه ، ( ولا تخطئين فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ) .

فقال بعض السلف : أمره الله تعالى أن يفرغ الخشب ويقطعه ويبيسه ، فكان ذلك فى مائة سنة ، وتجهزها فى مائة سنة أخرى ، وقيل : فى أربعين سنة ، فافهم .

وذكر محمد بن إسحاق ، عن الثوراة : أن الله أمره أن يصنعها من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعاً وعرضا خمسين ذراعاً .

وأن يطل باطنها وظاهرها بالقار ، وأن يجعل لها جرجراً (٣) أزور يشق للماء (٤) وقالوا قنادة : كان طولها ثلاثمائة ذراع ، فى عرض خمسين (٥) .

(١) سورة نوح ، آية : ٢٦ .

(٢) سورة القمر : آية : ١٠ .

(٣) الجرجر : الصدر ، وأزور : من الأزور - بتضحين - وهو : الليل . كهية صدر السفينة .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ١٥ / ٢١٤ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٨١٤ : ١٥ ل ٢١١ .



وعن الحسن : طولها سبائة ذراع وعرضها ثلاثمائة ذراع :

وعنه مع ابن عباس : طولها ألف ومائتا ذراع ، في عرض سبائة (١) ،

وقيل : طولها ألفا ذراع ، وعرضها مائة ذراع ، فافقه أعلم .

قالوا كلهم : وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعا ، ثلاث طبقات ، كل طبقة حشرة أذرع ، فالسفل للدواب والوحش : والوسطى للإنس ، والعليا للطيور . وكان بابها في عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها

وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير أثرا غريبا ، من حديث علي بن زيد بن جلعان ، عن يوصف بن مهران ، عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال الحواريون لميسى بن مريم : لو بشت لنا رجلا شهد السفينة فحدثنا عنها : قال : فأتاني بهم حتى أتى إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب بكفه ، قال : أتلتون ما هنا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا كسب حام بن نوح . قال : وضرب الكتيب بعصاه ، قال : ثم باذن الله . فإذا هو قائم ينقص التراب عن رأسه ، قد شاب . قال له عيسى عليه السلام : هكذا هلك ؟ قال : لا . ولكني مبت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة ، فمن ثم شئت . قال : حدثنا عن سفينة نوح ؟ قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها سبائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، فطبقة فيها اللواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدواب ، أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنوب القيل ، فغمزه ، فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبل لعل الروث ، فلما وقع القار يبحر (٢) السفينة يقرضه وحيلها ، أوحى الله إلى نوح ، أن احرب بين حيتي الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فاقبل على القار . فقال له عيسى عليه السلام : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : يمت الغراب يأتيه بالغرب ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالغوف ، فظلك لا يأت البيوت قال : ثم يمت الحمامة ، فجاءت بورق زيتون بمقارها ، وطير بجليها ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها الخصرة التي في عنقها ، ودعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثم تألف البيوت . قال : فقالنا : يا رسول الله ، ألا تنطق به إلى أهلها فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عذباذن الله ، فماد (٣) ترابا .

وقوله : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) ، أي يتسبون (٤) به ويكلمون بما يتوعدهم به من الفرق ، قال : إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون ، وعيد شديد ، وتهديد أكيد ، (من يأتيه عذاب يخزيه) ، أي : يهته في الدنيا ، (ويحل عليه عذاب مقيم) ، أي : دائم مستمر أبدا ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ، ١٨١٣٥ : ١٥ / ٣١١ .

(٢) في المخطوطة : « بحر » بالحاء . وفي تفسير الطبري رجح السيد الحق : « بحر » ، وقال : « الجزء » صدر الإنسان أو وسطه ، يعني صدر السفينة . ولا يتناسب هذا مع قوله به : « وحيلها » ، وإن كانت هذه الكلمة ، وهي « وحيلها » ساقطة من تفسير الطبري . ولعل السواب ما أثبتناه ، وقد تبع هذا من قول ابن سيد من المصم ١٠ / ١٢٥ : « تلفت السفينة » غرقت أو أجهبا ليلف ، وجملت في خيلها القار ، « فرجع حدثنا أن تكون هذه الكلمة » وخرز » بالحاء ، والراء المتضامين والزاء . وفي اللسان : « وخرز القار » فقاوه ، وكل فقرة بين القار والمق : « خرزة » ومعنى ذلك أن القار أعيد يفرض فقاو السفينة ، أي ألواحها ، وألحها ، والله أعلم .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٨١٣٦ : ١٥ / ٣١١ ، ٣١٢ .

(٤) ملن يطنن خنزا - من باب ضرب - ، وكله باستهزاء ، فهو ملنن ، قال الجوهري : ألقه مولدا أو مربيا ، والطنن : السخرية . « لسان العرب » .

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَعْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْ أَمْرِ أَمَّنْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿١٠﴾

هذه مِرَاعِدَةٌ من الله تعالى لنوح عليه السلام إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة ، والهَيَّاتَانِ (١) الذي لا يَمْتَلِع ولا يَشْبُر ، بل هو كما قال تعالى : ( ففتحتنا أبواب السماء بماء منهمر . وفجرنا الأرض عُيُونًا فالتقى الماء على أمر قد قدر . وحملناه على ذات ألواح ودسر . تجري بأحيتنا جزاء لمن كان كفر ) (٢) .

وأما قوله : ( وفار التنور ) ، فمن ابن عباس : « التنور : وجه الأرض » (٣) .

أى : صارت الأرض هيوناً تَفُور ، حتى فار الماء من التأثير إلى حى مكان النار ، صارت تَفُور ماء وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف .

وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « التنور : فُتَكَ الصبح ، وتوير النجر » (٤) ، وهو ضياؤه وإشراقه .  
والأول أظهر .

وقال مجاهد والشعبي : كان هذا التنور بالكوفة . وعن ابن عباس : عين بالهند . وعن قتادة : عين بالجزيرة ، يقال لها « عين الفردة » .

وهذه أقوال غريبة .

فحيثما أمر الله نوحاً عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين - من صنف المخلوقات ذوات الأرواح ، قيل : وغيرها من النباتات - اثنين . ذكرنا وأثنى ، قليل : كان أول من أدخل من الطيور الدر ، وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار ، فدخل إيليس متعلقاً بذنيه ، فدخل بيده ، وجعل يريد أن ينهض فيقتله إيليس وهو متملق بذنيه ، فجعل يقول له نوح : مالك ؟ يحلك . فينهض ولا يقدر ، فقال : ادخل وإن كان إيليس مملك فدخل في السفينة . وذكر أبو حنيفة بن عبد الله بن مسعود أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد ، حتى ألقيت فيه الحمى .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث ، حدثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم . [ عن أبيه ] (٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين ، قال أصحابه : وكيف يطمئن أو : تطمئن - المواشي ومعها الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى ، فكانت أول حمى

(١) فتحت السماء تفتح - من باب ضرب - هتتا وهتولا : صبت ، ويقال : سحابة هتوت ، وصحاب هاتن وهتون . ولم نجد في المعاجم التي بين أيدينا « هتان » على زنة فعال .

(٢) سورة القمر الآيات : ١١ - ١٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٤٣ : ١٨ / ١٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الآثار ١٨١٤ - ١٨١٥ : ١٥ / ٣١٩ .

(٥) ما بين القوسين سقط من خطورة الأثر ، أثبتناه عن الطبقات السابقة ، والأثر في الدر المنثور السيوطي من ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم عن أبيه : ٣ / ٣٣١ .

نزلت الأرض ، ثم شكروا الثأرة فقالوا : القوسفة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا : فأوحى الله إلى الأسد ، فعض ، فخرجت المرأة منه ، فتخبأت الثأرة منها .

وقوله : ( وأهلك إلا من سبق عليه القول ) ، أى : واحمل فيها أهلك ، وهم أهل بيته وقرابته ، إلا من سبق عليه القول منهم ، عن لم يؤمن بالله ، فكان منهم ابنه « يام » الذى أنزل وحده ، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله .

وقوله : ( ومن آمن ) ، أى : من قومك ، ( وما آمن معه إلا قليل ) ، أى : نَزَرَ يسير مع طول المدة والمقام يوم أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، فمن ابن حياص : كانوا ثمانين نفسا منهم نساؤهم . ومن كعب الأبحار : كانوا اثنين وسبعين نفسا . وقيل : كانوا عشرة . وقيل : إنما كانوا نوح وبنوه الثلاثة سام وحام وياث ، وكنائسهم (١) الأربع نساء هؤلاء الثلاثة وامرأة يام . وقيل : بل امرأة نوح كانت معهم فى السفينة ، وهذا فيه نظر ، بل الظاهر أنها هلكت ، لأنها كانت على دين قومها ، فأصابها ما أصابهم ، كما أصاب امرأة لوط ما أصاب قومها ، والله أعلم وأحكم :

﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّدَتِهَا وَفَرَسَتِهَا إِنَّ رَدِّيَ لَفَعْفُورٌ رَحِيمٌ ١١ وَيَوْمَ تَجْرَى يَمُّوٌّ فِي مَوْجٍ كَافٍ ١٢ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ابْنُيْ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ١٣ قَالَ مَقُولٌ إِنِّي جَبِلٌ بِعَصْمِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عِصْمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ١٤ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَضِينَ ١٥ ﴾

يقول تعالى بعبارة عن نوح عليه السلام أنه قال للذين أمر بحملهم معه فى السفينة : ( اركبوا فيها بسم الله جرها ومرسها ) ، أى : باسم الله يكون جريئها على وجه الماء ، وباسم الله يكون متبهي سيرها ، وهو رؤسوها ، وقرأ أبو رجاء العطاردي : ( بسم الله مجريها ومرسها (٢) ) .

وقال الله تعالى : ( فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك ، قل : الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين : وقيل : وب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المزلين (٣) ) ، ولهذا تستحب التسمية فى ابتداء الأمور : عند الركوب على السفينة وعلى الدابة ، كما قال تعالى : ( والذى خلق الأزواج كلها ، وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون : لتستروا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويت علىه ، وتقولوا : سبحان الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لحقوبون (٤) ) ، وجاءت السورة بالبحث على ذلك ، والتنبؤ إليه ، كما سيأتى فى سورة « الزخرف » ، إن شاء الله وبه الثقة .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي ، حدثنا محمد بن أبى بكر المقدى — وحدثنا زكريا ابن يحيى الساجي ، حدثنا محمد بن موسى الحرشي — قالوا : حدثنا عبد الحميد بن الحسن الملالى ، عن نيشل بن سعيد :

(١) لكنائس : جميع كنة ، يفتح الكاف وتشديد النون ، وهى : امرأة الابن لى الأخ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٥ / ٣٢٨ .

(٣) سورة المؤمنون ، آية : ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) سورة الزخرف الآيات : ١٢ - ١٤ .

عن الضحاك عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أمان أمي من الفرق إذا ركبوا في السفن أن يقولوا : بسم الله الملك ، وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » ( بسم الله جبراه ورساها وإن رب لغفور رحيم ) .

وقوله : ( إن رب لغفور رحيم ) ، مناسب عند ذكر الانتقام من الكافرين باغراقهم أجمعين ذكر أنه غفور رحيم ، كما قال : ( إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم (١) ) ، وقال : ( وإن ربك لنو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٢) ) ، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين انتقامه ورحمته .

وقوله : ( وهي تجري بهم في موج كالجبال ) ، أي : السفينة ماثرة بهم على وجه الماء ، التي قد طيقت جميع الأرض ، حتى طفت على رموس الجبال ، وارتفع عليها بخمسة عشرة ذراعا ، وقيل : بشمانين ميلا ، وهذه السفينة على وجه الماء سائرة باذن الله وتحت كتفه وعنايته ، وحراسه وامتنانه كما قال تعالى : ( إنا لما طغيا الماء حملناكم في الجارية ) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية (٣) ، وقال تعالى : ( وحملناه على ذات ألواح وصدر ) تجري باصتنا جزاء لمن كان كفر . ولقد تركناها آية فهل من مدكر (٤) .

وقوله : ( وتادى لوح ابنة وكان في معزل : يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ) ، هذا هو الابن الرابع ، واسمه « يام » ، وكان كافرا ، دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يفرق مثل ما يفرق الكافرون ، قال : ( سأرى إلى جبل بعضى من الماء ) ، وقيل : إنه اتخذ له مركبا من زجاج ، وهذا من الاسرائيليات ، والله أعلم بصحته . واللى نص عليه القرآن أنه قال : ( سأرى إلى جبل بعضى من الماء ) ، اصقذ بهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رموس الجبال ، وأنه لو تعلق في رأس جبل لنجاة ذلك من الفرق ، فقال له أبوه نوح عليه السلام : ( لا حاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ) ، أي : ليس شيء يعصم اليوم من أمر الله . وقيل : إن حاصبا بمعنى مصروم ، كما يقال : « طاعم وكاس » ، بمعنى مطعوم ومكسوف ، ( وحال بينهما الموج فكان من المفرقين ) .

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَيْ مَاءَكَ وَيَسْمَاةَ أَقْلِي وَيَغِيضُ الْمَاءَ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾

يُخبر تعالى أنه لما غرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة ، أمر الأرض أن تبلغ مامها الذي نبع منها واجتمع عليها ، وأمر السماء أن تفلح عن المطر ، ( ويغيض الماء ) ، أي : شرع في النقص ، ( وقضى الأمر ) ، أي : فرغ من أهل الأرض قاطبة ، من كفر بالله ، ثم يبين منهم ديار ، ( واستوت ) السفينة بمن فيها ( على الجودي ) — قال مجاهد : وهو جبل بالجزيرة ، تشاخصت الجبال يومئذ من الفرق وتطاوت ، وتواضع هو لله عز وجل ، فلم يفرق ، وأرست عليه سفينة نوح عليه السلام (٥) .

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٦٧ .

(٢) سورة الفرق ، آية : ٦ .

(٣) سورة الحاقة ، آية : ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة القمر ، الآيات : ١٣ — ١٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٨١٩٨ : ١٥ / ٣٣٧ .

وقال قتادة : استوت عليه شهرا حتى نزلوا منها ، قال قتادة : قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عير وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة ، وكمن من سفينة قد كانت بعدها فهلكت ، وصارت رمادا (١) .

وقال الضحاك : « الجودي : جبل بالوصل (٢) » . وقال بعضهم : هو الطور .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو بن رافع ، حدثنا عماد بن عبيد ، عن توبة بن سالم قال : رأيت زير ابن حبيش يصل في الزاوية حين يدخل من أبواب كنفة على عينك ، فسأله إنك لكثير الصلاة هاهنا يوم الجمعة ! قال : يلغى أن سفينة نوح أرسست من هاهنا .

وقال علياء بن أحمد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا ، معهم أهلهم ، ولهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما ، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ، ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه ، فبعث نوح الغراب ليأتيه خبر الأرض ، فذهب فوقع على الجيف ، فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتته بورق الزيتون ، ولطخت رجلها بالطين ، ففرح نوح عليه السلام أن الماء قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي ، فابنى قرية وسماها ثمانين (٣) ، فأصبحوا ذات يوم وقد تبللت ألسنتهم على ثمانين لغة ، لإحداها اللسان العربي . فكان بعضهم كلام بعض ، وكان نوح عليه السلام يخبر عنهم .

وقال كعب الأحبار : إن السفينة طافت ما بين المشرق والمغرب قبل أن تستقر على الجودي .

وقال قتادة وغيره : ركبوا في عاشر شهر رجب ، فساروا مائة وخمسين يوما ، واستقرت بهم على الجودي شهرا ، وكان خروجهم من السفينة في يوم عاشوراء من الحرم . وقد ورد نحو هذا في حديث مرفوع رواه ابن جرير (٤) ، وأتهم صاموا يومهم ذلك ، فآله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو جعفر ، حدثنا عبد الصمد بن حبيب الأزدي ، عن أبيه حبيب بن عبد الله ، عن شبيب ، عن أبي هريرة قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم بآناس من اليهود ، وقد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذي نجى الله موسى وبنى إسرائيل من الفرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عز وجل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم . فصام ، وقال لأصحابه : من كان أصبح منكم صائما فليتم صومه ، ومن كان أصاب من شهاده أهله ، فليتم بقية يومه (٥) .

(١) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٨٢٠٢ : ١٥ / ٣٣٨ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٢٠٣ : ١٥ / ٣٣٨ .

(٣) ينظر مرآة الاطلاع : ٣٠٠ / ١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٨١٨٧ : ١٥ / ٣٣٥ .

(٥) مستد الإمام أحمد : ٢ / ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

وهذا حديث قريب من هذا الوجه ، ولعمقه شاهد في الصحيح (١).

وقوله : ( وقيل : بدأ لقوم الظالمين ) : أى : هلاكاً وخساراً لهم ، وبعداً من رحمة الله ، فإنهم قد هلكوا عن آخرهم ، فلم يبق لهم بقية :

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير والخبير أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيرهما ، من حديث موسى بن يعقوب الزمعي ، عن فائد مولى حبيد الله بن أبي رافع أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره : أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لو رحم الله من قوم نوح أحداً لرحم أم الصبي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة [ إلا خمسين عاماً ] (٢) ، يعنى (٣) وغرس مائة سنة الشجر ، بلغت وذبحت كل مذهب ، ثم قطعها ، ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون [ منه ] ويقولون : تعمل سفينة في البر ، فكيف تجرى ؟ قال : سوف تعلمون . فلما فرغ ونبه الماء ، وصار في السكك خشيت أم الصبي عليه ، وكانت تحبه حياً شديداً ، فخرجت إلى الجبل ، حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء [ ارضعت حتى بلغت ثلثيه ، فلما بلغها الماء ] خرجت به حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ رقبته رفعت يدها ففرقا فلورحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي (٤) .

وهذا حديث قريب من هذا الوجه ، وقد روى عن كتب الأحبار ، ومجاهد بن جبر قصة هذا الصبي وأمه بنحو من هذا .

وَوَدَّعَىٰ رُوحٌ بِهِمُ الْمَقَادِرَ إِنَّ آتِيهِ مِنَ أَهْلِ وَإِنْ وَعَدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَِّّي أَعْطُكَ مِنْ الْجَاهِلِينَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢﴾

هنا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام (٥) ، عن حال ولده الذي غرق ، ( قال : رب إن ابني من أهلي ) ، أى ، وقد وعدني بنجاة أهلي ، ووعدك الحق الذي لا يخلف ، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟ ( قال :

(١) ينظر صحيح البخاري ، تفسير سورة يونس : ٦ / ٩١ ، وصلى : كتاب الصيام ، باب « صوم يوم عاشوراء » : ٤ / ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٢) ما بين الأقواس عن الترمذي المشهور .

(٣) كذا ، ولفظ الترمذي المشهور : « ... إلا خمسين عاماً ، يفهمهم إلى الله ، حتى كان آخر زمانه غرس مائة سنة الشجر » . ونحوه في المستدرک للذهبي .

(٤) أخرجه السيوطي في الترمذي المشهور من ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، وضممه الذهبي ، وابن مردويه : ٣ / ٣٢٧ . وينظر المستدرک ، كتاب التفسير : ٢ / ٣٤٢ .

(٥) من هنا وقع سقط في مخطوطة الأزهر ، ينتهي أول الورقة ٣١٩ من الجزء الثالث ، ومثله وقع في مخطوطة دار الكتب ، تفسير ، وصوف نبيه على نهاية السقط . واحتجنا في التحقيق على ما طبع من هذا التفسير . ونسأل الله التوفيق .

يا نوح ، إنه ليس من أهلك ) ، اى : الذين وعدت بإنجائهم ، لأنى إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك ، ولهذا قال : ( وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ) ، فكان هذا الولد بمن سبق عليه القول بالفرق لكفره وخالفته أباه نبي الله نوحا عليه السلام .

وقد نص غير واحد من الأئمة على غططة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن زليخة ، ويحكى القول بأنه ليس بابنه ، وإنما كان ابن امرأته عن مجاهد ، والحسن ، وعبيد بن عمير ، وأبي جعفر الباقر ، وابن جرير ، واحتج بعضهم بقوله : ( إنه عمل غير صالح ) ، ويقولون : ( فخاننا ) ، فمن قاله الحسن البصري ، احتج بهاتين الآيتين (١) . وبعضهم يقول : كان ابن امرأته . وهذا يحمل أن يكون أراد ما أراد الحسن ، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً ، لكونه كان قريباً عنه ، قاله أهل .

وقال ابن عباس ، وغير واحد من السلف : ما زنت امرأة نبي قط -- قال: وقوله؟ ( إنه ليس من أهلك ) ، اى : الذين وعدتك بإنجائهم .

وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذى لا عيب عنه ، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة ، ولهذا غضب الله على الذين رسوا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه ، ولهذا قال تعالى : ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو شر لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تورى كبره منهم له عذاب عظيم ) إلى قوله : ( إذ تكفونهم بالسكتم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم (٢) ) .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة وغيره ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : هو ابنه غير أنه خالفه في العمل والثبة -- قال عكرمة : في بعض الحروف : ( إنه صليل عملاً غير صالح ) ، والخيانة تكون على غير باب (٣) .

وقد ورد في الحديث أن رسول الله قرأ بذلك ، فقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا حجاج بن مسلمة ، عن ثابت ، عن شهر بن حوشب ، عن أمية بنت يزيد قالت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ( إنه عمل غير صالح ) ، وسمعته يقول : ( يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ) ، ولا يياك ، ( إنه هو الغفور الرحيم (٤) ) .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا وكيع ، حدثنا هارون التميمي ، عن ثابت البناني ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة أن رسول الله قرأها : ( إنه عمل غير صالح (٥) ) .

(١) ينظر تفسير الطبري ، الآثار ١٨٢١٢ - ١٨٢١٤ : ١٥ / ٣٤١ .

(٢) سورة النور ، الآيات : ١١ - ١٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الآثار ١٨٢٢٥ : ١٥ / ٣٤٣ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٦ / ٤٥٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٦ / ٢٩٤ .

أعاده أحمد أيضاً في مسئلة (١) .

أم سلمة هي أم المؤمنين ، والظاهر - والله أعلم - أنها أسماء بنت يزيد ، فإنها تكني بذلك أيضاً (٢) .  
وقال عبد الرزاق أيضاً : أخبرنا الثوري وابن عينة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن سليمان بن قتة قال : سمعت ابن عباس سئيل وهو إلى جنب الكعبة ، عن قول الله : ( فاختارهما ) ، قال : أما وإنه لم يكن بالثنا ، ولكن [ كانت ] هذه نجر الناس أنه يجنون ، وكانت هذه تدل على الأضياف . ثم قرأ : ( إنه عمل غير صالح ) - قال ابن عينة : وأخبرني عمار الدُهْنِي أنه سأل سعيد بن جبير عن ذلك فقال : كان ابن نوح ، إن الله لا يكذب ! قال تعالى : ( ونادى نوح ابنه ) ، قال : وقال بعض العلماء : ما فجرت امرأة نبي قط (٣) .  
وكذا روى عن مجاهد أيضاً ، وعكرمة ، والضحاك ، وميمون بن مهران وثابت بن الحجاج ، وهو اختار أبي جعفر ابن جرير (٤) ، وهو الصواب لا شك فيه .

قِيلَ يٰنُوحُ اٰمِنْ فَاٰمَنَ وَنُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَكِبَ عَلَيْهِ وَلِيُّ امْرِئِهِ مَعَهُ ۚ وَاَمَّا سِنِّيَّتُهُمْ ثُمَّ يَمْسِكُهُمُ مِنَ الْعَذَابِ اَلَيْسَ ۚ

يُخبر تعالى عما قيل لنوح عليه السلام حين أرسى السفينة على الجودي ، من السلام عليه ، وعلى من معه من المؤمنين ، وعلى كل مؤمن من ذريته إلى يوم القيامة ، كما قال محمد بن كعب : دخل في هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة ، وكذلك في العذاب والمتاع كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة (٥) .

وقال محمد بن إسحاق : ولما أراد الله أن يكتف الطوفان أرسل رجلاً على وجه الأرض ، فسكن الماء ، وانسدت (٦) بناهض الأرض الغمر (٧) الأكبر وأبواب السماء ، يقول الله تعالى : ( وقيل يا أرض ابلغي ما لك ) ... الآية ، فجعل الماء ينحس وينغض ويذهب ، وكان استواء الفلك على الجودي ، فيما يزعم أهل التوراة ، في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه ، وفي أول يوم من الشهر العاشر ، رثى رموس الجبال . فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً ، فتح نوح كؤوف الفسلك التي ركب فيها ، ثم أرسل الغراب لينظر له ما صنع الماء ، فلم يرجع إليه . فأرسل الحمامة فرجعت إليه ، لم تجد لرجلها موضعاً ، فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها . ثم مضى سبعة أيام ، ثم أرسلها لتنظر له ، فرجعت حين أمسيت ، وفي فيها ورق زيتون ، فعلم نوح أن الماء قد قفل عن وجه الأرض . ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها ، فلم ترجع ، فعلم

(١) المسند : ٦ / ٣٢٢ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٥ / ٣٤٨ - ٣٥٠ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٢٢٧ / ١٥ : ٣٤٤ / ٣٤٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥ / ٣٤٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٢٥٠ / ١٥ : ٣٥٤ / ٣٥٣ .

(٦) في تفسير الطبري : « واستند » ، وما هنا موافق لما في النهاية لابن الأثير مادة : غوط .

(٧) كذا ومثله في الطبري ، ويلحق السيد محقق تفسير الطبري بقوله : « وانا أرجح أنه خطأ بعض » ، وأن الصواب : « الغوط الأكبر » ، وفسر الغوط بأنه : المتسع من الأرض مع طينانية ، وهو هنا : حلق الأرض : الأبعد .  
ومما ألفظ وهو : الغوط « لابت في النهاية » مادة : غوط .



نوحَ أَنْ الْأَرْضَ قَدْ بَرَزَتْ . فَلَاكَلَّتِ السَّيَّةَ فِيهَا بَيْنَ أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ الطُّوفَانَ إِلَى أَنْ أَرْسَلَ نوحَ الْهَامَةَ ، ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنين ، برز وجه الأرض وظهر اليبس ، وكشف نوح خطاء القاك [ ورأى وجه الأرض ] ، وفي الشهر الثاني من سنة اثنين ، في سبع وعشرين ليلة منه ( قيل : يا نوح ، اهبط بسلامنا (١) ) :::: الآية .

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ قَاعِلَهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُصِيبِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : هذه القصة وأشباهها (من أنباء الغيب) ، يخفى من أخبار الغيوب السالفة نوحيا إليك على وجهها ، كأنك شاهدها ، (نوحيا إليك) ، أى : نعلمك بها وحيا منا إليك ، (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) ، أى : لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها ، حتى يقول من يكذبك : إنك تعلمتها منه ، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح ، كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك ، فاصبر على تكذيب من يكذبك من قومك ، وأذاهم لك ، فإنا سنستعرك ونحوطك بمعانتنا ، ونجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، كما فعلنا بالمرسلين حيث نصرناهم على أعدائهم ، (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا (٢) ) ... الآية ، وقال تعالى : ( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم للنصورون (٣) ) ... الآية ، وقال تعالى : ( فاصبر إن العاقبة للمتقين (٤) ) .

وَإِنْ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقْرِمُ عَبْدُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرَقُونَ ﴿١١﴾ يَقْرِمُ لَا أَسْفَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَيَقْرِمُ اسْتَغْفِرُوا وَبُكَرْتُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يَرْسِلُ السَّمَاءَ سَلِيمًا مُدْرَارًا وَيَرْدُّ قُرْقُومًا إِلَى قَوْمِكُمْ وَلَا تَنْتَوِلُوهَا بِجُرْمِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى : (و) لقد أرسلنا (إلى عاد أخاهم هودا) ، أمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، ناهياهم عن الأوثان التي افتروها واختلقوا لها أسماء الآفة ، وأخبرهم أنه لا يريد منهم أجره على هذا النصح والبلاغ من الله ، إنما يخفى ثوابه من الله الذي فطره (٥) (أفلا تعقلون) من يدعوكم إلى ما يصلحكم في الدنيا والآخرة من غير أجره .

ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة ، وبالترية عما يستقبلون ، ومن انصف جهده الصفة بصر الله عليه وزقه ، وسهل عليه أمره ، وحفظ شأنه ، ولهذا قال (يرسل السحاب عليكم مدرارا (٦) ) ، وفي الحديث : « من لزم الاستغفار ، جعل الله له من كل هم قرجا » ومن كل ضيق مخرجا ، وزقه من حيث لا يحتسب » (٧) .

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٨٢٠٥ : ١٥ / ٣٣٨ : ٣٣٩ .

(٢) سورة غافر ، آية : ٥١ .

(٣) سورة الصافات ، آية : ١٧١ : ١٧٢ .

(٤) سورة هود ، آية : ٤٩ .

(٥) أى : خلقه .

(٦) سورة هود ، آية : ٥٢ ، وفوح ، آية : ١١ .

(٧) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر ، باب « في الاستغفار » الحديث ، ١٥١٨ : ٨٥ / ٢ ، وابن ماجه في كتاب الأدب

باب « الاستغفار » الحديث ٣٨١٩ : ٢ / ٣٨٤ : ١٢٥٥ .

قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا لِسَوِّءِ مَا تَفْعَلُ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١١﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنْ تَوَلَّيْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَأَمِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَدَّىٰ عَنْ حِرَاطٍ مُسْتَفِيرٍ ﴿١٣﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ قَالُوا لَنُبَيِّنَ : ( ما جئتنا ببينة ) ، أى : بحجة وبرهان على ما تدعيه ، ( وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك ) أى : بمجرد قولك « اتركوهم » نتركهم ، ( وما نحن لك بمؤمنين ) ، بمصدقين ، ( إن نقول : إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ) ، يقولون : ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وغفل في عقلك بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها ، ( قال : إني أشهد الله واشهدوا أني براء مما تشركون من دونه ) ، يقول : إني براء من جميع الأنداد والأصنام ، ( فكيدوني جميعا ) ، أى : أنتم وآلهتكم إن كانت حقا ، ( ثم لا تنظرون ) ، أى : طرفة عين .

وقوله : ( إني تَوَلَّيْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ما من دابة إلا هو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ) ، أى : تحت قهره وسلطانه ، وهو الحاكم العادل الذى لا يحد فى حكمه ، فإنه على صراط مستقيم .

قال الوليد بن مسلم ، عن صفوان بن عمرو ، عن أبيه بن عبد الكلاعى أنه قال فى قوله تعالى : ( ما من دابة إلا هو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا (١) ) إني ربى على صراط مستقيم ) ، قال : فيأخذ بنواصى عبادى فيلقى (٢) المؤمن حتى يكون له أشقى من الوالد لولده ، ويقال للكافر : ( ما غرك بربك الكريم ) .

وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به ، ويظللان ما هم عليه من عبادة الأصنام التى لا تنفع ولا تضر ، بل هى جمادات لا تسمع ولا تبصر ، ولا توالى ولا تمنع ، وإنما يستحق إخلاص العبادة الذى وحده لا شريك له ، الذى بيده الملك ، وله التصرف ، وما من شيء إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه .

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَدَّىٰ عَنْ كُلِّ مَنٍّ وَهَفِظْتُ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ هُودًا وَآلِهِنَا آمَنُوا مَعَهُ وَرَحْمَةً مِنَّا وَتُجَنَّبُهُمْ مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ نَادَىٰ يَتِيمَا إِسْرَافِيلَ رَبَّهُمْ وَعَصَا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَرَبُّمُ الْآخِرَةِ ﴿١٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ فَلَا بُدَّ لَكُمْ قَوْمَ هُودٍ ﴿١٨﴾

يقول لهم هود : فإن تولوا عما جئكم به من عبادة الله ربكم وحده لا شريك له ، فقد قامت عليكم الحجة بإبلاخى إياكم رسالة الله التى بعثنى بها ، ( ويستخلف ربى قوما غيركم ) يعيدونه وحده لا يشركون به ولا يبالى بكم ، فإنكم لا تنصرونه

(١) انصافية : مقدم الرأس ، يقال : أعاد بناصيته ، أى : ملكه وتصرف فيه وفق مشيئته .

(٢) ذى الطلبي : فيلقن المؤمن . وذى ط النار : فيكر المؤمن ، ولا مى لواحد منهما ، ولعل الصواب ما أثبتناه ووجدنا كان صواب ما فى طبة النار : « فيكرم » .

بكنفركم بل يعود وبإل ذلك عليكم ، ( إن ربى على كل شىء حفيظ ) ، أى : شاهد وحافظ لأقوال عباده وأفعالهم ، ويجزيهم عليها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

( ولا جاء أمرنا ) ، وهو الريح العقيم ، فأهلكهم الله من آخرهم ، ونجى هودا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته تعالى ولطفه .

( وتلك عاد جعلوا بآيات ربهم ) ، كفروا بها ، وحصّوا رسل الله ، وذلك أن من كفر بنبى فقد كفر بجميع الأنبياء ، لأنه لا فرق بين أحد منهم في وجوب الإيمان به ، فعاد كفروا بهود ، فزل كفروهم منزلة من كفر بجميع الرسل ، ( واتبعوا أمر كل جبار عنيد ) ، تركوا اتباع رسولهم الرشيد ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد . فلهذا اتبعوا في هذه الدنيا لعنة من الله ومن عباده المؤمنين كلما ذكروا ، وينادى عليهم يوم القيامة على رموس الأشهاد ، ( ألا إن عادا كفروا ربهم ) :::: الآية ، قال السدثى : ما بعث نبي بعد عاد إلا لعنوا على لسانه (١) .

﴿ وَإِلَّا تُمَوِّدْهُمْ عَلَيْهِمْ صَالِحًا قَالِ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَهُم مِّنْ آلِهَةٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُمْ قَوْلُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝۱۱ ﴾

يقول تعالى : ( ر ) لقد أرسلنا ( إلى نمود ) وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين بئوك والمدينة ، وكانوا بعد عاد ، فبعث الله منهم ( أخاهم صالحا ) ، فأمرهم بعبادة الله وحده ، ولهذا قال : ( هو أنشأكم من الأرض ) ، أى : ابتداء خلقكم منها ، خلق منها أبائكم آدم ، ( واستعمركم فيها ) أى : جعلكم حضارا تعمارونها وتستغلونها ، ( فاستغفروهم ) لسالف ذنوبكم ، ( ثم توبوا إليه ) فاستقبلوهم ، ( إن ربى قريب مجيب ) ، كما قال تعالى : ( وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجييب دعوة الداع إذا دعان (٢) ) ... الآية .

قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا فِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝۱۲ قَالِ يَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ لَنَا بِنْتُهُمْ قَوْلٌ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرْ مِنْ اللَّهِ إِنَّ عَصِيْبَهُ لَآتِيْدُونَنِي ۝۱۳ شَبِّهَ تَحْسِيرِ ۝۱۴

يلكر تعالى ما كان من الكلام بين صالح عليه السلام وبين قومه ، وما كان عليه قومه من الجهل والعماد في قولهم : ( قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ) ، أى : كنا نرجوك في عقلك قبل أن تقول ما قلت ! ( أنها أن ننعمدا ما يعبد آباؤنا ) ، وما كان عليه أسلافنا ، وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه مرِيب ) ، أى : شك كثير .  
( قال : يا قوم ، أرايتم إن كنت على بينة من ربى ) ، فإأرسلنى به إليكم على يقين وبرهان ، ( وآتاني منه رحمة ، فمن ينصرنى من الله إن عصيته ) ، وتركت دعوتكم إلى الحق وعبادة الله وحده ، فلو تركته لما نفعتمونى ولما زدتمونى ( خير تحسيرا ) ، أى : خسارة .

(١) أخرجه السيوطى في القدر المشهور من ابن أبى حاتم : ٣٣٧/٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية : ١٨٦ .

وَيَقْرَمُ هَلِيلُهُ نَاقَةُ اللَّهِ لَكَرَاءَةٍ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ ﴿١٧﴾  
فَقَرُّوهَا فَقَالَ جَمْعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَعَدَّ هَبْرًا مَكْدُوبٍ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ رَدَّكَ هُوَ الْقَرِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ  
فَأَصْبَحُوا فِي دِجْنِهِمْ جُثثِينَ ﴿٢٠﴾ كَانَ لَوْ يَفْنَوْنَ فِيهَا إِلَّا إِن مُّوَدَّ كُفْرًا بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ انْتَعَادٍ ﴿٢١﴾

وتقدم الكلام على هذه القصة مستوفى في سورة «الأعراف» (١) بما أغنى عن إعادته هاهنا ، وبالله التوفيق .

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ لَبِثْنَا أَنْ جَاءَ بِمَعْجِلٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ  
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ لُوطٍ ﴿٢﴾ وَأَمْرًا قَوْمًا قَائِمَةً فَصَبَّحْتَ  
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٣﴾ قَالَتْ يَوْنُسَ لَيْتَنِي كُنْتُ مِنَ الْإِلَهِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ إِنَّ هَذَا  
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٤﴾ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ إِبْرَاهِيمَ وَلِوَلَدِهِ عَلِيكَ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٥﴾

يقول تعالى : ( ولا جاءت رسلنا ) إبراهيم بالإنس ، وهم الملائكة ، إبراهيم بالبشرى ، قيل : ينشروا بإسحاق ، وقيل : بهلاك قوم  
لوط . ويشهد للأول قوله تعالى : ( ولا ذهب عن إبراهيم عن إبراهيم الروح ) وجاءته البشرى بمجادلتها قَوْمَ لُوطٍ (٢) ، ( قالوا :  
سلاما ، قال : سلام ) ، أى : عليكم .

قال علماء البيان : هذا أحسن مما حثوه به ، لأن الرفع يدل على الثبوت والندوام .  
فما ( لبت أن جاء بمعجل خبير ) ، أى : ذهب سرىما ، فأتاهم بالضيافة ، وهو عجل : قسى البقر ، حنيد :  
مستوى على الرضف ، وهى الحجارة المصحمة .

هذا معنى ما روى عن ابن عباس ، وقادة ، وغير واحد ، كما قال فى الآية الأخرى : ( فراح إلى أهله فجاه  
بمعجل سمين . فحزبه إليهم قال : ألا تأكلون (٢) ) ؟ .  
وقد تضمنت هذه الآية آداب الضيافة من وجوه كثيرة .

وقوله : ( فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ) نكرهم ، ( وأوجس منهم خيفة ) . وذلك لأن الملائكة لا همة  
لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه ، فلذلك رأى حلقم ممرضين عما جاءهم به ، فارغين عنه بالكلية ، فعند ذلك  
نكروهم ، ( وأوجس منهم خيفة ) »

(١) ينظر فيما تقدم : ٢ / ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٢) سورة هود : آية : ٧٤ .

(٣) سورة الذاريات : آية : ٢٧ .

قال السبي : لا بعث الله الملائكة لقوم لوط ، أقبلت نمشى في صُور وجال شبان ، حتى تزلوا على إبراهيم فتضيئوه ، فلما رآهم أجبتهم ، ( فرأى إلى أهله فجاء بمجبل سمين ) ، فلبثهم ثم شواه في الرضف ، وأقامهم به فقلع معهم ، وقامت سارة تخنمهم ، فلذلك حين يقول : ( وإمرأته فائمة وهو جالس ) في قرامة ابن مسعود — ( فلما قتر به إليهم قال : ألا تأكلون ؟ ) ، قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاما إلا بيمن . قال : فإن لعلنا ثمتا : قالوا : وما ثمته ؟ قال : تتركون اسم الله على أوله ، وتحمّلونه على آخره . فنظر جبريل إلى ميكايل فقال : حنن لهذا أن يتخله ربه خيلا : ( فلما رأى أبيهم لا تصل إليه نكرهم ) . يقول فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم ، وأوجس منهم خيفة ، فلما نظرت [إليه] سارة (١) أنه قد أكرمهم وقامت هي تخنمهم ، ضحكت وقالت : عجباً لأضيافنا هؤلاء ، تخنمهم بأنفسنا كرامة لهم ، وهم لا يأكلون طعاما (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا نصر بن علي ، نوح بن قيس ، عن عثمان بن محصن في ضيف إبراهيم قال : كانوا أربعة : جبريل ، وميكايل ، وإسرائيل ، ورفائيل — قال لروح بن قيس : فزع نوح بن أبي شاماد أنهم لما دخلوا حل إبراهيم ، فقبز إليهم العجل ، مسحه جبريل بيمينه ، فقام يدرج حتى لحق بأمه ، وأم العجل في الدار (٣) وقوله تعالى إخبارا عن الملائكة : ( قالوا : لا تخف ) ، أي قالوا : لا تخف منا ، إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لتهلكهم . فضحكت سارة استبشارا بهلاكهم ، لكثرة فسادهم ، وغلبت كفرهم وعنادهم ، فلها جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس .

وقال قتادة : ضحكت وصحبت أن قوما يأتهم الغلاب وهم في غفلة (٤) .

وقوله : ( ومن وراء إسحاق يعقوب ) ، قال القرطبي ، عن ابن عباس . ( فضحكت ) أي : حاضت .

وقول محمد بن قيس : إنها إنما ضحكت من أنها ظنت أنهم يريدون أن يعملوا كما يعمل قوم لوط . وقول الكلبي (٥) إنها إنما ضحكت لما رأت من الروع بإبراهيم — ضيعفان جدا ، وإن كان ابن جرير قد رواهما بسنده إليهما ، فلا يلتفت إلى ذلك ، والله أعلم .

وقال وهب بن منبه : إنما ضحكت لما بشرت بإسحاق (٦) . وهذا يخالف لهذا السياق ، فإن البشارة صريحة مرئية هل ضحكها .

( فيشربناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ) ، أي : يولد لها بكر له ولد وعقب وتسل ، فإن يعقوب ولد لإسحاق ، كما قال في آية البقرة : ( أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إن قال لبيته ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا :

(١) عن تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٦٨٣١٤ : ١٥ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٣) ليس في الآية ما يشير إلى قيام العجل بعد ذبحه ، ورجوعه إلى أمه ، ويبدو أن هذا من نسج خيال أهل الكتاب .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٣١٥ : ١٥ / ٣٩٠ .

(٥) أثر محمد بن قيس في الطبري برقم ١٨٣١٧ : ١٥ / ٣٩٠ ، وأثر الكلبي بعده .

(٦) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٨٣١٩ : ١٥ / ٣٩١ .

تعبد إلهك وإله آبائك : إبراهيم ، وإسحاق ، وإلها واحدا ، ونحن له مسلمون (١) ،

ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية ، على أن النبيح إنما هو إسماعيل ، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق ، لأنه وقعت الإشارة به ، وأنه سيولد له يعقوب ، فكيف يؤمر إبراهيم بلبسه وهو طفل صغير ، ولم يولد له بعد يعقوب الموحود بوجوده . ووعد الله حتى لا تخلف فيه ، فيمتنع أن يؤمر بلبس هذا والحالة هذه ، فتبين أن يكون هو إسماعيل . وهذا من أحسن الاستدلال وأصحها وأبينه ، والله الحمد .

( قالت : يا ويلى ! أألد وأنا عجزوز وهذا بعل شيخنا ؟ ) الآية ، حكى قولها في هذه الآية ، كما حكى فعلها في الآية الأخرى ، فإنها : ( قالت : يا ويلى . أألد وأنا عجزوز ) ، وفي اللوات : ( فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت : عجزوز عقيم ) (٢) ، كما جرت به عادة النساء في أقوالهن وأفعالهن عند التعجب . ( قالوا أنصتينا من أمر الله ) ؟ أى : قالت للملائكة لها ، لا تعجبى من أمر الله ، فإنه إذا أراد شيئا أن يقول له « كن » فيكون ، فلا تعجبى من هذا ، وإن كنت عجزوزا عقيما ، وبذلك شيخنا كبيرا ، فإن الله حل ما يشاء قدير .

( رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، إنه حميد مجيد ) ، أى : هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله عمود ، معبود في صفاته وذاته ، ولما ثبت في الصحيحين أنهم قالوا : « قد علمنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وصل على محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » (٣) .

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعَ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرُ لَنُجْلِدَنَّ فِي قَوْمِ لُوطَ ۖ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٥٥﴾

يَكْلِمُ إِبْرَاهِيمَ أُعْرَضَ عَنْ هَذَا ۖ إِذْ رَفَعَتْ يَدَهُمْ كَيْدَ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّهُمْ مُنِيبُونَ ﴿٥٦﴾

يُخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام : أنه لما ذهب عنه الروع ، وهو ما أوجس من الملائكة خيفة ، حين لم يأكلوا ، وبشروه بعد ذلك بالولد ، وأخبروه بهلاك قوم لوط ، أخذ يقول كما قال سعيد بن جبير في الآية ، قال : لما جاءه جبريل ومن معه ، قالوا له : ( إنا مهلكو أهل هذه القرية ) ، قال لهم : أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن ؟ قالوا لا - قال : أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا . قال : أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا ؟ قالوا : لا . قال : ثلاثون ؟ قالوا : لا . حتى بلغ خمسة قالوا : لا . قال : أرى بكم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها ؟ قالوا : لا . فقال إبراهيم عليه السلام عند ذلك : ( إن فيها لوطا ، قالوا : نحن أعلم بمن فيها ، لتنجيه وأهله إلا امرأته ) ... الآية ، فسكت عنهم وأطمأن نفسه (٤) . وقال قتادة وغيره قريبا من هذا - زاد ابن إسحاق - أفرأيت إن كان فيها مؤمن واحد ؟ قالوا : لا . قال : فإن كان فيها لوط يلعب به صهم المذاب ، قالوا : ( نحن أعلم بمن فيها ) ... الآية .

(١) سورة البقرة ، آية : ١٣٣ .

(٢) سورة اللوات ، آية : ٢٩ .

(٣) البخارى ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خالفا » : ٤ / ١٧٨ ، ومسلم ، كتاب الصلاة ،

باب « الصلاة على النبي صل الله عليه وسلم بعد التشهد » : ٢ / ١٦ ، ١٧ .

(٤) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ١٨٣٤١ : ١٥ / ٤٠٣ .

وقوله : (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) ، منح إبراهيم هذه الصفات الجميلة ، وقد تلمذ تفسيرها (١) .

وقوله تعالى : (يا إبراهيم ، أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك) ... الآية ، أى : إنه قد نزل فيهم القضاء ، وحقت عليهم الكلمة بالهلاك ، وحلول البأس الذى لا يرد عن القوم المخبرين :

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيًّا يَجِيءُ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يَمْرُغُونَ فِيهِ  
وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفِقُونَ هُنَا مِثْلَ مَا نَأْتِيهِمْ مِنْ أَمْرٍ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَعْفٍ  
أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٥٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ الْمَقْرِبَ ﴿٥٩﴾

غير تعالى عن قُودم رسله من الملائكة بعد ما أعلموا إبراهيم بهلاكهم ، وفارقوه وأخبروه بإهلاك الله قوم لوط هذه الليلة . فانطلقوا من عنده ، فأتوا لوطا عليه السلام وهو - على ما قيل - فى أرض له ، وقيل : فى منزله ، ووردوا عليه وهم فى أجدل صورة تكون ، على هيئة شيان حسان الوجوه ، ابتلاء من الله ، وله الحكمة والحجة البالغة ، فسامعه شأنهم وضاعت نفسه بسببهم ، وخشى إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه ، فيتلهم بسوءه ، ( وقال : هذا يوم عصيب ) .

قال ابن عباس ، وغير واحد : « شديد » (٢) بلاؤه . وذلك أنه علم أنه سيدخل عندهم ، ويشق عليه ذلك .

وذكر قتادة أنهم أتوه وهو فى أرض له ، فضيفوه فاصتحيا منهم ، فانطلق أمامهم ، وقال لهم فى أثناء الطريق ، كالمرضى لهم بأن ينصرفوا عنه : إنه والله يا هؤلاء ما أعلم حل وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء . ثم مضى قليلا ، ثم أعاد ذلك عليهم ، حتى كرهه أربع مرات - قال قتادة : وقد كانوا أمروا أن لا يملكونهم حتى يشهد عليهم نبيهم بلذلك (٣) .

وقال السدى : خرجت للملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ، وقلوب بنت لوط تستغى ، فقالوا : يا جارية ، هل من منزل ؟ فقالت : مكانكم حتى أتاكم وفرت (٤) عليهم من قوما ، فأتت أباهما فقالت : يا أبتاه ، أدرك فيثانا على باب المدينة (٥) ، ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم ، لا يأكلهم قومك [يفضحهم] (٦) ، وكان قومه يهرون أن يضيف رجلا ، فقالوا : نخل عنا فلنضيف الرجال . فجاء بهم ، فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته ، فخرجت امرأته فأخبرت قوما ، فجاءوا يرمعون إليه (٧) .

(١) ينظر تفسير الآية ١١٤ من سورة التوبة .

(٢) تفسير الطبرى : ١٥ / ٤١١ .

(٣) ينظر تفسير الطبرى ، الآثار ١٨٣٥١ - ١٨٣٥٣ : ١٥ / ٤٠٨ .

(٤) أى : خلعت عليهم .

(٥) لفظ الطبرى : « وأدرك فيثان حل باب المدينة » .

(٦) من تفسير الطبرى .

(٧) تفسير الطبرى ، الآثار ١٨٣٥٤ : ١٥ / ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

وقوله : ( يهرعون إليه ) ، أى يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك .

وقوله : ( ومن قبل كانوا يعملون السيئات ) ، أى : لم يزل هذا من مسيبتهم حتى أخذوا وهم على ذلك الحال :  
وقوله : ( قال : يا قوم ، هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ) ، يرشد هم إلى نسائهم ، فإن النبي للامة بمنزلة الوالد ، فأرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة ، كما قال لهم في الآية الأخرى : ( أتأتون الذكران من المألين . وتكفرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ، بل أنتم قوم عاديون ) (١) ، وقوله في الآية الأخرى : ( قالوا : أولم ننهك عن المألين ) أى : ألم ننهك من ضيافة الرجال - ( قال : هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين . لمعرك لهن لى سكرتهم يعمهون ) (٢) ، وقال في هذه الآية الكريمة : ( هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ) - قال مجاهد : لم يكن بناته ، ولكن كن من أمته ، وكل نبي أبو أمته (٣) . وكذا روى عن قتادة ، وغير واحد .

وقال ابن جرير : أمرهم أن يتزوجوا النساء ، لم يعرض عليهم سفاحا (٤)  
وقال سعيد بن جبير : يعنى نساءهم ، هن بناته ، وهو أب لهم ، ويقال في بعض القراءات : ( النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهواب لهم ) (٥) .

وكذا روى عن الربيع بن أنس ، وقتادة ، والصدى ، وعبد بن إسحاق ، وغيرهم .  
وقوله : ( فأتوا الله ولا تخرجون في ضيغى ) ، أى : اقبلوا ما أمركم به من الاقتصاد على نساءكم ، أليس منكم رجل (وهيد) ، أى : فيه خير ، يقل ما أمره به ، ويترك ما أنهاه عنه ؟  
قالوا : ( لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ) ، أى : إنك تعلم أن نساءنا لا أحب لنا فيهن ولا نشتهين ، ( وإنك لتعلم ما نريد ) ، أى : ليس لنا غرض إلا في الذكور ، وأنت تعلم ذلك ، فأى حاجة في تكرار القول علينا في ذلك ؟  
قال السدى : ( وإنك لتعلم ما نريد ) : إنما نريد الرجال (٦) .

قَالَ لَوْ أَنِّي بَكَرْتُ قُوَّةً أَوْ بَكَرْتُ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٦٠﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُؤُسُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ ﴿٦١﴾ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ لَمَّا مَرَّ بِهِمُ الصُّبْحُ الْأَوَّلُ الصُّبْحُ ﴿٦٢﴾ وَيَرْيَبُ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى غبراً عن نبيه لوط عليه السلام : إن لوطاً توعدتم بقوله : ( لو أن لي بكم قوة ) ... الآية ، أى : لكنك نكلت بكم وفعلت بكم الأفاعيل بنفسى وعشيرى ، ولهذا ورد في الحديث ، من طريق محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبي

(١) سورة الشعراء ، آية : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(٢) سورة الحجر ، آية : ٧١ ، ٧٢ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ١٨٣٧ : ١٥ / ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٤) هذا الأثر في تفسير الطبرى عن مجاهد أيضاً ، وفي الأثر المتفق .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٨٣٨ : ١٥ / ٤١٤ .

(٦) تفسير الطبرى ، الأثر ١٨٣٨ : ١٥ / ٤١٧ ، ٤١٨ .



سلمة ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رحمة الله على لوط ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد يني الله عز وجل - لما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة (١) من قومه (٢)» .

فبعد ذلك أخبرته الملائكة أنهم رسل الله إليه ، وأنهم لا وصول لهم إليه ، (قالوا : يا لوط ، إنا رسل ربك ، لن يصلوا إليك ) ، وأمره أن يسرى بأهله من آخر الليل ، وأن يتبع أدبارهم ، أي : يكون ساقة لأهله ، (ولا يلتفت منكم أحد) ، أي : إذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولتكم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن استمروا ذاهبين :

(إلا امرأتك) - قال الأكثرون : هو استثناء من الميث ، وهو قوله : (فأسر بأهلك) ، تقيده : (إلا امرأتك) ، وكذلك قرأها ابن مسعود ونسبه هؤلاء لمرأته ، لأنه من ميث ، فوجب نصبه عنهم .

وقال آخرون من القراء والنحاة : هو استثناء من قوله : (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك) ، فيجوزوا الرفع والنسب (٣) ، وذكر هؤلاء أنها خرجت معهم ، وأنها لما سمعت الرجبة (٤) التفت وقالت : والقوام . فجاهدها حتى من السماء فقتلها .

ثم قرئوا هلاك قومه تشبيرا له ، لأنه قال لهم : «أهلكوهم الساعة» ، فقالوا : (إن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب ) ، هذا وقوم لوط وكوف على الباب وعكفوا قد جاءوا يهرعون إليه من كل جانب ، ولوط واقف على الباب يدافعهم ويتردهم ويتهامهم فيه ، وهم لا يقبلون منه ، بل يتوعدونه وينهذونه ، فعند ذلك خرج عليهم جبريل عليه السلام ، ففرب وجوههم بجناحه ، فطمس أعينهم ، فرجسوا ولم لا يهتدون الطريق ، كما قال تعالى : (ولقد أوادوه من ضيقة فلطمسنا أعينهم فلو قروا حللين وتلر) ... الآية .

وقال معمر ، عن قتادة ، عن حذيفة بن اليمان قال : كان إبراهيم عليه السلام يأتي قوم لوط ، فيقول : أنتم هاكم الله أن تحترقوا لعقوبته ؟ فلم يطيعوه ، حتى إذا بلغ الكتاب أجلهم ، انتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له ، فدعاهم إلى الضيافة فقالوا : إنا ضيوفك الليلة (٥) ، وكان الله قد عهد إلى جبريل ألا يمد بهم حتى يشهد عليهم لوط ثلاث شهادات فلما توجه بهم لوط إلى الضيافة ، ذكر ما يعمل قومه من الشر ، فمشى معهم ساعة ، ثم التفت إليهم فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم حل وجه الأرض شرا منهم . أين أخذت بكم ؟ إلى قومي وهم أشد خلق الله . فالتفت

(١) في ثروة ، أي : في عدد كبير من قومه .

(٢) تحفة الأحوش : تفسير سورة يوسف ، الحديث ٥١٢٠ : ٨ / ٥٤١ : ٥٤٢ ، من رواية حبة وعبد الرسيم عن عبد ابن عمرو ، وفيه رواة الترمذي عن طريق الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو ، قبل هذا الحديث ، وفي رواية الفضل : « في ديرة من قومه » ، أي : أهل نسب في قومه . ويقول الترمذي : « قال محمد بن عمرو : الثروة : الكثرة والمثمة . وهذا أسح من رواية الفضل بن موسى . وهذا حديث حسن » .

وفي رواية الإمام أحمد في مسنده : ٣٣٢ / ٢ . والبيهقي : الأثر ١٨٤٠٢ : ١٥ / ٤٢١ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ١٥ / ٤٢٢ .

(٤) أي : الرجفة .

(٥) يمد في الطبري : « حل طاهم وسطرات الرماجم » قال : ألفت ..... » .

(٦) لفظ الطبري : « إنا مضيقوك الليلة » .

جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوها ، هذه واحدة . ثم مضى معهم ساعة ، فلما توسط القرية وأشفق عليهم واستجابا منهم ، قال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أشرف منهم ، إن قوى أشرف خلق الله . فالتفت جبريل إلى الملائكة فقال : احفظوا ، هاتان اثنتان ، فلما انتهى إلى باب الدار بكى حياءً منهم وشفقة عليهم فقال : إن قوى أشرف من خصلتك الله ؟ أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ ما أعلم على وجه الأرض أهل قرية شرّاً منهم . فقال جبريل للملائكة : احفظوا ، هذه ثلاث ، لقد حقّ اللذاب . فلما دخلوا ذهبت عجوز سوء فصعلت فلوحت بثوبها ، فأثابها الفساق **يُهْرَعُونَ** سراها ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيّف لوطاً قومٌ ، ما رأيت قط أحسن وجوهاً منهم ، ولا أطيب ربحاً منهم ، فهُرِّهوا يسارعون إلى الباب ، فعالجهم لوط على الباب ، فدافوه طويلاً ، هو داخل وهم خارج ، يناشدهم الله ويقولون : ( هؤلاء بناتى هن أظهر لكم ) فقام الملك فكَرَّ بِالْبَابِ - يقول فسده - واستأذن جبريل في عقوبتهم ، فأذن الله له ، فقام في الصورة التي يكون فيها في السبائك ، فنشر جناحه - ولجبريل جناحان ، وعليه وشاح من درّ منظوم ، وهو يراقب الدنيا ، أجل الجين ، ورأسه حَبْلٌ حَبْلٌ كَحَبْلِكَ حَبْلُكَ مثل المرجان (١) وهو اللؤلؤ ، كأنه التلج ، ورجلاه إلى الخصرة - فقال يا لوط : ( إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ) ، امض يا لوط عن الباب ودعني وإياهم ، فتنحى لوط عن الباب ، فخرج إليهم ، فنشر جناحه ، فضرب به وجوههم ضربة شديداً أعينهم ، فصاروا عُمُيًّا لا يعرفون الطريق ، [ ولا يهتدون إلى بيوتهم ] (٢) ثم أمر لوط فاحمل بأهلك في ليلته ، قال : ( فأسر أهلك بقطع من الليل ) (٣) .

وروى عن محمد بن كعب ، وقناة ، والسدي نحو هذا .

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَاقِيًا وَامْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُنْضُودٍ ﴿٥﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴿٦﴾ وَمَا مِنْ آلٍ مِّنَ الظَّالِمِينَ يَسْمِعُهُمْ ﴿٧﴾

يقول تعالى : ( فلما جاء أمرنا ) ودان ذلك عند طلوع الشمس ، ( جعلنا عاليها ) ، وهي سدُوم ( ساقياً ) ، كقولهم : ( فغسلناها ماغشى ) (٤) ، أى : أمطرنّا عليها حجارة من سجيل ، وهي بالفارسية : حجارة من طين ، قاله ابن عباس وغيره :

وقال بعضهم : أى من « سنك » وهو الحجر ، وكل (٥) ، وهو الطين ، وقد قال في الآية الأخرى : ( حجارة من طين ) (٦) ، أى : مستحجرة قوية شديدة . وقال بعضهم : مشوية ، وقال البخاري : « سجيل » : الشديد الكبير ، سجيل وسجين اللام والنون اشتنان ، وقال حميد بن مسكين :

(١) أى : شمره جمد متكسر .

(٢) من تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٤٦٦ : ١٥ / ٤٢٩ - ٤٣١ .

(٤) سورة النجم : آية : ٥٤ .

(٥) ينظر الآثار الواردة في ذلك في تفسير الطبري : ٤٣٢ / ١٥ ، ٤٣٤ .

(٦) سورة الذاريات : آية : ٣٣ .

وَرَجَلَيْكَ يَتَضَرَّبُونَ الْبَيْضَ (١) ضاحية . صرباً تواصت به الأبطال صيغتها (٢)  
وقوله : (مَنْضُود) ، قال بعضهم : منضودة في السماء (٣) ، أى : معدة للذك .

وقال آخرون : (منضود) ، أى : يتبع بعضها بعضاً في نزولها عليهم .

وقوله : (مسومة) ، أى : منسجمة مختومة ، عليها أسماء أصحابها ، كل حجر مكتوب عليه اسم الذى يتزل عليه ؛  
وقال قتادة وعكرمة : (مسومة) : مَطْلُوكَةٌ ، بها تَنْصَحُ من حُمْرَةٍ (٤) .

وذكروا أنها نزلت على أهل البلد ، وعلى المنفرقين في القرى مما حولها ، فبينما أحدهم يكون عند الناس يحدث ،  
إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس ، فدمرته ، فقتلهم الحجارة من سائر البلاد ، حتى أهلكتهم عن آخرهم  
فلم يبق منهم أحد .

وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سترتهم ودورهم ، حملهم بنواشيتهم وأمتعتهم ، ورفقهم حتى سمع  
أهل السماء نباح كلابهم ثم أكأهم — وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن — قال : ولما قلبها كان أول ماسقط منها  
شدأها (٥) ،

وقال قتادة : بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى ، ثم ألوى (٦) بها إلى جو السماء ، حتى سمع أهل السماء  
ضواحي (٧) كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدأ القوم سحراً — قال : وذكر لنا أنهم كانوا أربع فرى ،  
في كل قرية مائة ألف — وفي رواية : ثلاث فرى ، الكبرى منها سلوم — قال : وبلغنا أن إبراهيم عليه السلام  
كان يشرف على سدوم ، ويقول : سلوم ، يوم ، مالك (٨) ؟

وفي رواية عن قتادة وغيره : بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه ، فانتصف به أرضهم بما فيها من  
قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها ، وجميع ما فيها ، ففضها في جناحه ، فحارها وطواها في جوف جناحه ، ثم  
صعد بها إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف ألف ، ثم فليها ،  
فأرسلها إلى الأرض منكوسة ، ودماهم بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل (٩) .

(١) البيض : واحد بيضة ، وهي الخوخة ، وخض بها الرأس ، وفي اللسان ، مادة سجن : يضربون البيض عن عرض .  
ومعنى «ضاحية» : بارزة .

(٢) البخاري ، تفسير سورة هود : ٩٣/٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٤٣٩ : ١٥/٤٣٧ من أبي بكر المثل .

(٤) تصح من حجة ، أى : أثر وبقيته .

(٥) في الطبعات السابقة : « كان أول ماسقط منها شرفاتها » . ولم نجده في المراجع . وفي تفسير الطبري ، الأثر

٤٤١/١٥ : ١٨٤٦١ : « شرافة » ، ولم نجده أيضاً . وقد أتبنا ما في الأثر ١٨٤٦٣ وهو المروي عن قتادة . والشدان : جمع  
شد ، وهو الذي يخرج من الجملة ، فشد عنهم .

(٦) أى : أعلها وطارها .

(٧) الضواحي : جمع ضافية ، وهو صوتها .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٤٦٣ : ١٥/٤٤٢ . وفي الطبعات السابقة : « يوم مالك » .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٤٦٥ : ١٥/٤٤٢ .

وقال محمد بن كعب القُرطبي : كانت قرى قوم لوط خمس فريات : « سدوم » ، وهي العظلى ، و« صبعة » و« حثرة » ، و« دوما » ، أحملها جبريل بجناحه ، ثم صعد بها ، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون ناعية كلابها ، وأصوات دجاجها ، ثم كُفّاها على وجهها ، ثم أنبها الله بالحجارة ، يقول الله تعالى : ( جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل ) ، فأهلكها الله وما حولها من الموثفات .

وقال السدي : لما أصبح قوم لوط ، نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء ، حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم ، وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك قوله : ( واللزفة أهوى ) ، ومن لم يمت حين سقط للأرض ، أمطر الله عليه وهو تحت الأرض بالحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض يتيهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله عز وجل : ( وأمطرنا عليهم ) ، أي : في القرى حجارة من سجيل ه هكذا قال السدي (١) .

وقوله : ( وماهى من الظالمين ببيد ) ، أي : وما هذه التهمة بمن تشبّه بهم في ظلمهم ، ببيد ه

وقد ورد في الحديث المروي في السنن ، عن ابن عباس مرفوعاً : « من وجدنوه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول (٢) به » .

وزعم الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أن اللواط يقتل ، سواء كان محصناً أو غير محصن ، حملاً بهذا الحديث :

وزعم الإمام أبو حنيفة أنه يلحق من شاعق ، ويتّبع بالحجارة ، كما فعل الله بقوم لوط ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وَلَمَّا مَدَّنَ لَهُمْ شُعَيْبٌ<sup>١</sup> قَالَ يَنْقُرُوا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ<sup>٢</sup> وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ<sup>٣</sup>  
إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ<sup>٤</sup>

يقول تعالى : ولقد أرسلنا إلى مدّين - وهم قبيلة من العرب ، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام ، قريباً من بلاد معان ، في بلد يعرف بهم ، يقال لها « مدّين » ، فأرسل الله إليهم شعيباً ، وكان من أشرفهم نسباً : ولهذا قال : ( أخاهم شعيباً ) بأمرهم بعبادة الله تعالى وحده ، وبنهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان (إلى أراكم غيري وإني أخافت عليكم عذاب يوم عظيم ) أي : في معيشتكم ورزقكم فأنذرت أن تُسلّبوا ما أنتم فيه بانتهاكم محارم الله ، ( وإني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ) ، أي : في الدار الآخرة ه

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٦٤ : ١٥/٤٤٢ .

(٢) تحفة الأوسى ، أبواب الحدود ، باب « ما جاء في حد القوط » ، الحديث ١٤٨١ : ٢١/٥ ، وستن ابن ماجه كتاب الحدود ، باب « من عمل عمل قوم لوط » ، الحديث ٢٥٦١ : ٢٠/٨٦٤ .

وَيَقْرَمُ أَوْتُوا الْجَمَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَحَدَّوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٤٦﴾  
بَقِيَتْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٤٧﴾

بنهاهم أولا عن نقص للميزان والميزان إذا أعطوا الناس ، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط أعطين ومعطين ، ونهاهم من العبث في الأرض بالنساذ ، وقد كانوا يقطعون الطريق .

وقوله : ( بقية الله خير لكم ) ، قال ابن عباس : رزق الله خير لكم .

وقال الحسن : رزق الله خير من يحسبكم الناس .

وقال الربيع بن أنس : وصية الله خير لكم .

وقال جاهد : طاعة الله .

وقال قتادة : حظكم من الله خير لكم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : « الملاك » في الملبأ ، « والبقية » في الرحمة .

وقال أبو جعفر بن جرير : ( بقية الله خير لكم ) ، أي : ما يفضل لكم من الربيع بعد وفاء الكيل والميزان ( خير لكم

أي : من أخذ أموال الناس قال : وقد روى هنا عن ابن عباس (١) .

قلت : ويشبه قوله تعالى : ( قل : لا يستوي الخبيث والطيب ، ولو أجيحك كثرة الخبيث ) (٢) .

وقوله : ( وما أنا عليكم بحفيظ ) ، أي : بريب ولا حفظ ، أي : افعلوا ذلك لله عز وجل ، لا تضلوه ليراكم الناس ،

بل لله عز وجل .

قَالُوا يٰحَسِبُ أَصْلَاطُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَكْهُرُ إِنَّكَ لَكَلِيمٌ  
الرَّشِيدُ ﴿٤٨﴾

يقولون له على سبيل التهمك ، قبحهم الله : ( أصلاتك ) ، قال الأعشى : أي قرأتك ، ( تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا ) ، أي : الأوثان والأصنام ، ( أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ) ، فنترك التطفيف على قولك ، هي أموالنا نفعل فيها ما نريد .

[ قال الحسن ] في قوله : ( أصلاتك تأمر أن نترك ما يعبد آباؤنا ) : إني والله ، إن صلاته لتأمرهم أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم .

وقال الثوري في قوله : ( أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ) ، يعنون الزكاة

(١) تفسير الطبري : ٤٤٧/١٥ ، وأغلب الآثار المتقدمة بعد ذلك .

(٢) سورة المائدة ، آية ١٠٠ . هنا : وينهى عنه قوله تعالى : ( ولو أجيحك كثرة الخبيث ) السقط الذي نبهنا عليه في ص : ٢٥٨

وقوله ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾، قال ابن عباس، وميمون بن مهران، وابن جريج، وابن أسلم، وابن جرير: يقولون ذلك - أهداء الله - على سبيل الاستعزلة، فيحبهم الله ولعنهم من رحمته، وقد فصل.

قَالَ يَنْقُومُ أَرِيَّتَهُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلِفَكَ إِلَّا مَا أَنْبَأَكَ عَنْهُ  
إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٣٥﴾

يقول لهم أرايتهم يا قوم (إن كنت على بيته من ربي)، أي: على بصيرة فيما أهدى إليه، (ورزقني منه رزقاً حسناً)، قيل: أراد الثبوة، وقيل: أراد الرزق الحلال، ويعمل الأمرين.

وقال الثوري: (وما أريد أن أخلفكم إلى ما أنبأكم عنه)، أي: لأنبأكم عن شيء وانخالف أنا في السر فافعله بحفية حكمكم، كما قال قتادة في قوله: (وما أريد أن أخلفكم إلى ما أنبأكم عنه)، يقول: لم أكن لأنبأكم عن أمر وأركبته، (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)، أي: فيما أكره وأنبأكم، إنما أريد إصلاحكم جهدي وطاقتي، (وما توفيقي)، أي: في إصابة الحق فيما أريدته (إلا بالله، عليه توكلت) في جميع أمور، (وإليه أُنِيب)، أي: أرجع، قاله مجاهد وغيره.

قال الإمام أحمد: حدثنا صفان، حدثنا حبان بن سلمة، حدثنا أبو قزعة سُوَيْلَمُ بْنُ حُجَيْرٍ الْبَاهِلِيُّ، عن حكيم ابن معاوية، عن أبيه: أن أنساً مالكا قال: يا معاوية، إن محمداً أخذ جبراني، فأنطلق إليه، فانه قد كلمك وعرفك. فأنطلقت معه فقال: دع لي جبراني، فقد كانوا أسلموا فأعرض عنه. [فقام مستحسلاً<sup>(١)</sup>]، فقال: أما والله لئن فعلت إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. وجعلت أجره وهو يتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول؟ فقال: إنك والله لئن فعلت [ذلك]، إن الناس يزعمون أنك تأمر بالأمر وتخالف إلى غيره. قال فقال: أؤكد قالوها - أوقالهم<sup>(٢)</sup>، ولئن فعلت ذلك ما ذاك إلا على<sup>(٣)</sup>، وما عليهم من ذلك من شيء، أرسلوا له جبرانه<sup>(٤)</sup>، (٥).

وقال أحمد أيضاً: حدثنا حيد الرزاق، حدثنا معمر، عن جابر بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم لئساً من قومي في نهضة فحبسهم، فجاء رجل من قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، فقال: يا محمد، هلام تحبس جبري؟ فصبحت رسول الله صلى الله عليه وسلم [عنه] فقال: إن أنساً يقولون: إنك تنهى عن الشيء وتستحل<sup>(٤)</sup> به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما يقول؟ قال: فجبجت أعرض بينهما الكلام غافّةً أن يسمعا فيأخذه على قومي دعوة لا ينفسون بعدها أبداً، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم [به] حتى فهمها، فقال: لو قد قالوها - أو: قالها منهم، والله لوفلت لكان على وما كان عليهم، خلوا له عن جبرانه<sup>(٥)</sup>، (٥).

(١) ما بين القوسين عن سنة الإمام أحمد، ومستملاً: مستحسلاً متنبهاً.

(٢) أي: أو قالوا قالهم.

(٣) سنة الإمام أحمد: ٤٤٧/٤.

(٤) أي: تنفرد به.

(٥) سنة الإمام أحمد: ٢٤٥.

ومن هذا القبيل الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا سليمان بن بلال ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الملك [ بن سعيد ] بن سويد الأنصاري قال : سمعت أبا حنيفة وأبا أسيد يقولان : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سمعتم الحديث حتى تعرفه قلوبكم ، وتبين له أشعاركم وأبشاركم ، وترون أنه منكم قريب ، فأنأولاكم به ، وإذا سمعتم الحديث حتى تشكروه قلوبكم ، وتشعر منه أشعاركم [ وأبشاركم ] ، وترون أنه منكم بعيد ، فأنأبعدكم (١) عنه ؛

هذا إسناد صحيح ، وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم ، افتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل اللهم ، إني أسألك من فضلك (٢) » .

وبعناه - والله أعلم - مهما بلغكم حتى من غير فأنأولاكم به : ومهما يكن من مكروه فأنأبعدكم منه (وما أوله أن أشألكم إلى ما أتاكم) .

وقال قتادة ، عن عروة ، عن الحسن المرتضى ، عن يحيى بن الجزار ، عن مسروق أن امرأة جاءت ابن مسعود قالت : انتهى عن الوصلة (٣) ؟ قال : نعم . فقلت فله في بعض نسائك ؟ قال : ما حفظت إذا وصية البعد الصالح (وما أريد أن أشألكم إلى ما أتاكم) .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا جرير ، عن أبي سليمان الجني قال : كانت نجيبنا كنية حريز عبد العزيز فيها الأمر والنهي ، فيكتب في آخرها ، وما كانت من ذلك إلا كما قال البعد الصالح ، (وما توفيق إلا بالله ، عليه توكله وإليه أنيب) .

وَيَقُولُ لَا يُجِيرُكُمْ شَيْءٌ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٥٥﴾ وَاسْتَغْفِرُوا بِعَصَاكُمْ تَنْبُؤًا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٥٦﴾

يقول لهم : (ويا قوم ، لا يجيركم شئ) ، أي : لا يخلصكم حدائق وبغض على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد ، فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط من النعمة والمذابح ؛

قال قتادة (ويا قوم لا يجيركم شئ) ، يقول : لا يخلصكم فراق ؛

وقال السدي : حدائق ، حل أن تبادوا في الفضل والكفر ، فيصيبكم من المذابح ما أصابهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن حوف ، حدثنا أبو المنيرة عبد القدوس بن الحجاج ، حدثنا ابن أبي شيبة ، حدثني عبد الملك بن أبي سليمان ، عن أبي ليلى الكنتي قال : كنت مع مولاى أسك دابة ، وقد أحاط الناس بشمان

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٩٧/٣ و ٤٢٥/٥ .

(٢) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب : ما يقول إذا دخل المسجد : ١٥٥/٢ .

(٣) الوصلة : التي تصل شرفها بشرف آخر زود . والمعصود التي من فعلها .

ابن حنّان ، إذ أشرف علينا من داره فقال : ( يا قوم ، لا يَجْزِمَنَّكُمْ شَقَاؤُنَا أَنْ يَصْبِيحَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ) ، يا قوم ، لا تَقْتُلُونِي ، إنَّكُمْ إِنْ تَقْتُلُونِي كَتَمْتُ هَكَذَا ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .  
وقوله : ( وما قوم لوط منكم بمبيد ) ، [ قيل : المراد في الزمان ، قال قتادة ] : ( إنما أهلكوا ابن أديبكم بالأمس ، وقيل : في المكان ، ويحتمل الأمران ) ، ( واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه ) ، أي استغفروه من سالف الذنوب ، وتوبوا فيها لتقبلوه من الأعمال السيئة ، ( إن ربّي رحيمٌ ودود ) ، أي : لمن تاب وأتاب .

قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١١﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ وَأَخَذَ نَفْسَهُ وَرَأَى كَرَّ ظَهْرِي إِنْ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ غِيظٌ ﴿١٢﴾

يقولون ( يا شعيب ما نفقه كثيرًا مما تقول ) ، أي : ما نفهم ولا نفعل كثيرًا من قولك ، وفي آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . ( وإنا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ) .

قال سعيد بن جبر ، والقرى : كان ضريح البصر - قال الثوري : وكان يقال له : خطيب الأنبياء .

[ قال السدي ( وإنا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيفًا ) قال أنت ولحد ] .

[ وقال أبو روق : يعنون ذليلاً ، لأن حشرك ليسوا على دينك ] (١) .

( ولولا رحمتك ) أي : قوّمك وعشيرتك ، لولا معزة قومك علينا لرجمناك ، قيل : بالحجارة ، وكيل : لسببناك ، ( وما أنت علينا بعزير ) ، أي : ليس لك عندنا معزة .

( قال : يا قوم ، أرحملي أحرّ حليكم من الله ) ، يقول : أتركوني لأجل قوّي ، ولا تتركوني إعظاماً لجناح الله أن تنالوا لي به مسامة . وقد أخذتم جانب الله ( وراهكم ظهرياً ) ، أي : نبذتوه خلفكم ، لا تطيعونه ولا تعظمونه ، ( إن ربّي بما تعملون غيظ ) ، أي : هو يعلم جميع أعمالكم وميوزيكم بها .

وَيَنْقَرُمُ أَصْحَابُوا عَلَى مَكَانَتِكَ إِلَى عِلِيلٍ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِلَى مَعْرَكٍ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتُ شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿١٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ ۚ كَمَا بَعْدَتْ مَدِينُ ﴿١٥﴾

لما يس لبي الله شعيب من استجابة قومه له ، قال : يا قوم ، ( اصحابوا على مكانتكم ) ، أي : على طريقكم ، وهذا تهديد ووعيد شديد ، ( إلى عامل ) ، على طريقتي ومنهجي فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، أي : في النار الآخرة ، ( ومن هو كاذب ) ، أي : مني ومنكم ، ( وارتقبوا ) ، أي : انتظروا ( إلى معرك رقيب ) .  
قال الله تعالى : ( ولما جاء أمرنا نجيت شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا ، وأخذت الذين ظلموا ) ، وهم قومه ، ( الصبيحة فاصبحوا في ديارهم جثيمين ) ، وقوله : ( وجثيمين ) أي : هاملين لا حراك بهم . وذكر هاهنا أنهم انتهت صبيحة ،

(١) أثر السدي وأبو روق ليسا في المخطوطة . وقد أثبتناهما من الطبعات السابقة .



وفي الأعراف رجفة ، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة ، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه التسميات كلها ، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه ، في الأعراف لا قالوا : ( لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ) (١) ، ناسبه أن يذكر هناك الرجفة ، فرجفت بهم الأرض إلى ظلموا بها ، وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهاتان الأسماء الأدبية في مقاتلتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخذتهم ، وفي الشعراء لا قالوا : ( فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين ) (٢) ، قال : فأخذهم عذاب يوم الظلة ، إنه كان عذاب يوم عظيم (٣) ، وهذا من الأسماء الغريبة الدقيقة ، والله الحمد والمثني كثيراً دائماً .

وقوله : ( كأن لم ينموا فيها ) ، أى : يعيشوا في دارهم قبل ذلك ، ( ألا يعلم الذين كما بدلت ثمود ) ، وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار ، وشيخاً بهم في الكفر وقطع الطريق ، وكانوا عرباً شبههم .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلَٰكَيْنَ مُبِينَيْنِ ﴿١﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ  
بِرَشِيدٍ ﴿٢﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَسُ الرُّودُ ﴿٣﴾ وَأَتِمَّ فِي هَٰذِهِ لَعْنَهُ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يُسُ الرُّودُ الْمَرْفُودُ ﴿٤﴾

يقول تعالى خبراً عن إرساله موسى عليه السلام بآياته وبيناته وحججه ودلائله الباهرة القاطعة إلى فرعون لعنه الله ، وهو ملك ديار مصر على أمة البطش ، ( فاتبعوا أمر فرعون ) ، أى : سلكوه ومنهجه وطريقته في النفي والضلال ، ( وما أمر فرعون برشيد ) ، أى : ليس فيه رشد ولا هدى ، وإنما هو جهل وضلال ، وكفر وعناد ، وكما أنهم أتبعوه في الدنيا ، وكان معقدهم وديسهم ، كذلك هو يقعدهم يوم القيامة إلى نار جهنم ، فأوردتهم إياها ، وشرىوا من حياض ردأها ، وله في ذلك الحظ الأوفر ، من العذاب الأكبر ، كما قال تعالى : ( ففصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً بيلاً ) (٤) ، وقال تعالى : ( فكذب وعصى ) ثم أدير يسمى . فحشر فتادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذله الله نكال الآخرة والأولى . إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (٥) ، وقال تعالى : ( يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار ، ويس الرود ) ، وكذلك شأن المتبوعين يكونون مؤخرين في العذاب يوم للمعاد ، كما قال تعالى : ( لكل ضعف ولكن لا تعلمون ) (٦) ، وقال تعالى إنجاراً عن الكثرة أنهم يقولون في النار : ( ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأفعلونا السيلا . ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ) (٧) .

(١) سورة الأعراف ، آية : ٨٨ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : ١٨٧ .

(٣) سورة الشعراء ، آية : ١٨٩ .

(٤) سورة الزمل ، آية : ١٦ .

(٥) سورة التافات ، الآيات : ٢١ - ٢٦ .

(٦) سورة الأعراف ، آية : ٣٨ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية : ٦٧ .

وقام الإمام أحمد : حدثنا حشيش ، حدثنا أبو الجهم<sup>(١)</sup> ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمروا القيس حامل لواء شعراء الجاهلية إلى النار »<sup>(٢)</sup> .

وقوله : وأبهر في هذه لعنة ويوم القيامة ، بنس الرغد المرفود ، أي : أبتعناهم زيادة على ما جازيتهم من عذاب النار لعنة في هذه الحياة الدنيا ، ( ويوم القيامة ، بنس الرغد المرفود ) ، قال مجاهد : زيدوا لعنة يوم القيامة ، فذلك لعتان .

وقال حنبل بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( بنس الرغد المرفود ) ، قال : لعنة الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup> ، وكذا قال الضحاك ، وقادة ، وهكذا قوله تعالى ( وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون » وأبتعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المتبوجين<sup>(٤)</sup> ) ، وقال تعالى : ( النار يرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب )<sup>(٥)</sup> .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرِّئِ نَقَصُهُ طَيْكَ مِنْهَا قَامَ وَحَصِيدٌ ۖ وَلَا يَكُنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ قَاتُ أَغْنَتْ عَنْهُمْ أَلْفُ يَدُوعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَلْبِيبٌ ۖ

لما ذكر تعالى خبر هؤلاء الأنبياء ، وما جرى لهم مع أمهم ، وكيف أهلك الكافرين ونجى المؤمنين قال : ( ذلك من أنباء الفري ) ، أي : من أخبارها ( نقصه عليك منها قائم ) ، أي : عامر ، ( وحصيد ) ، أي : هالك دائر ، ( وما جعلناهم ) ، أي : إذ أهلكناهم ، ( ولكن ظلموا أنفسهم ) ، أي : بتكليبهم رسلنا وكفرهم بهم ، ( فما أغنت عنهم آلتهم ) ، أي : أصنامهم وأولادهم التي كانوا يعبدونها ويدعونها ، ( من دون الله من شيء ) ، أي : ما تقوم ولا تغفلهم لما جاء أمر الله بإهلاكهم ، ( وما زادهم غير تلييب ) .

قال مجاهد ، وقادة ، وغيرهما : أي غير تفسير<sup>(٦)</sup> وذلك أن سبب هلاكهم ودمارهم إنما كان باتباعهم تلك الآلهة وصيانتهم إياها ، فبهذا أصابهم ما أصابهم ، وخسروا بهم ، في الدنيا والآخرة .

وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرِّئَ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۖ

يقول تعالى : وكذا أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك فعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم ، ( إن أخذه أليم شديد ) ، وفي الصريحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله

(١) في المتن : « أبو الجهم » ، والمثبت من الخطوط ، وفي المرح والتدليل لابن أبي حاتم : ٣٥٤/٢ ، « أبو الجهم الإيادي » ، روى عن الزهري ، روى عنه حليم .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢/٢٢٨ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ١٥/٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٤) سورة القصص ، آية ٢٤ .

(٥) سورة غافر ، آية ٤٦ .

(٦) ينظر تفسير الطبري : ١٥/٤٧٣ .

يُسَلَّى الظَّالِمُ ، حتى إذا أخذ لم يقلته ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذهم لم شديد (١) ) .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ الْعَذَابَ الْآخِرَ<sup>٥</sup> ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ<sup>٦</sup> وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ<sup>٧</sup> يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ<sup>٨</sup>

يقول تعالى: إن في إهلاكنا الكافرين ، ونصرة الأنبياء ، وإيماننا المؤمنين ، ( آية ) ، أى : حيلة واعتبارا على صدق موعودنا في الدار الآخرة ، ( إنا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد (٢) ) ، وقال تعالى : ( فأوحى إليهم بهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وعذاب عيد (٣) ) .

وقال تعالى : ( ذلك يوم مجموع له الناس ) ، أى : أوفى وآخرهم ، فلا يبق منهم أحد ، كما قال : ( وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا (٤) ) .

( وذلك يوم مشهود ) ، أى : يوم عظيم تحضره الملائكة كلهم ، ويجتمع فيه الرسل جميعهم ، وتحشر فيه الخلائق بأمرهم ، من الإنس والجن والطير والحوش والدواب ، ويعكم فيهم المادل الذى لا يظلم مقال ذرة ، وإن لك حسنة يضاعفها .

وقوله : ( وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ) ، أى : ما نُؤَخِّرُ إقامة يوم القيامة إلا لأنه قد سبقت كلمة الله وقضاؤه وقدره ، في وجود أناس معدودين من ذرية آدم ، وضرب ملة معينة إذا انقضت وتكامل وجود أولئك المقدر خروجهم من ذرية آدم ، أقام الله الساعة ، ولهذا قال : ( وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ) ، أى : لدة مؤقتة لا يزداد عليها ولا ينقص منها . ( يوم يأتى لا تكلّم نفس إلا بإذنه ) ، يقول : يوم يأتى هذا اليوم وهو يوم القيامة ، لا يتكلم أحد إلا بإذن الله تعالى ، كما قال تعالى : ( يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً (٥) ) ، وقال تعالى : ( ونخسعت (٦) الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ) ، وقى الصحيحين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل : « ولا يتكلم (٧) يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سكت سكتهم » .

(١) البخارى ، تفسير سورة هود : ٩٣/٦ ، ٩٤ ، ومسلم ، كتاب البر ، باب « تحريم الظلم » : ١٩/٨ .

(٢) سورة طه ، آية : ٥٦ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ١٣ ، ١٤ .

(٤) سورة الكهف ، آية : ٤٧ .

(٥) سورة التبا ، آية : ٢٨ .

(٦) سورة طه ، آية : ١٠٨ .

(٧) البخارى ، كتاب الصلاة ، باب « فضل السجود » : ٢٠٤/١ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « معرفة طرق الرواية » :

وقوله : ( فَنُفِثَ شَقِي وَسَعِيدٌ ) ، أى : فن أهل الجمع شقى وسهم سعيد ، كما قال : ( فريق فى الجنة وفريق فى السعير ) (١) .

وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده : حدثنا موسى (٢) بن حبان ، حدثنا عبد الملك بن عمرو ، حدثنا سليمان بن سفيان ، حدثنا عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن عمر رضى الله عنه قال : لما نزلت ( فَنُفِثَ شَقِي وَسَعِيدٌ ) ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله ، علام نعمل ؟ على شئ قد فرغ منه ، أم على شئ لم يفرغ منه ؟ فقال : « على شئ قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأعلام ، ولكن كل ميسر لما خلق له » .

ثم بين تعالى حاله الأشقياء وحال السعداء ، فقال :

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ ثُمَّ فِيهَا زُفِيرٌ وَنُفِثٌ ﴿٣٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ  
إِنَّ رَبَّكَ قَبْلُ لَمَّا يُرِيدُ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى : ( ثم فيها زفير وشهيق ) ، قال ابن عباس : الزفير فى الخلق ، والشهيق فى الصبر (٣) . أى : تنفسم زفير ، وأخسهم النفس شهيق ، لما هم فيه من الملل ، حيافاً بالله من ذلك .

( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ) ، قال الإمام أبو جعفر بن جرير : من عادة العرب إذا أرادت أن تصف الشئ بالدوام أبداً قالت : « هذا دائم دوام السموات والأرض » ، وكذلك يقولون : هو باق ما اختلف الليل والنهار ، وما سمر ابن سمير ، وما لألات المقر بأذناها . يعنون بذلك كلمة : « أبداً » ، فخطابهم جل تناوذه بما يتعارفونه بينهم ، فقال : ( خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ) (٤) .

قلت : ويحتمل أن المراد بما دامت السموات والأرض الجنس ، لأنه لا بد فى عالم الآخرة من سموات وأرض ، كما قال تعالى : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات (٥) ) ، ولهذا قال الحسن البصرى فى قوله : ( ما دامت السموات والأرض ) ، قال : تبدل سماء غير هذه السماء ، وأرض غير هذه الأرض ، فما دامت تلك السماء وتلك الأرض :

(١) سورة الشورى ، آية : ٧ .

(٢) هو موسى بن عبيد بن سنان . ينظر المشتبه القهوى : ١٣١ .

(٣) هذا الأثر رواه الطبرى عن أبي المالية ، وهو برقم ١٨٥٦٨ : ١٥٪ ٤٨٠ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٥٪ ٤٨١ .

هذا ومعنى : « وما سمر ابن سمير » ، وهما سمر ابن سمير ، وهما أبناء الليل والنهار ، يقول : لا أقوله ما يقى الدهر .

وأما « وما لألات المقر بأذنها » ، هكذا فى تفسير الطبرى ، وخطوطة الأثر ، والمقر - بضم فسكون - : الغطاء ، جمع أمقر ، ولألات المقر بأذناها ، أى : تصبعت وسركت .

وقد ورد هذا المثل فى إصلاح المنطق لابن السكيت ٤٣٦ ، واللسان مادة لألا ، وفرد : « وما لألات القود » . والقود - بضم القاء - القليل .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٤٨ .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قوله : ( ما دامت السموات والأرض ) ، قال : لكل جنة مياه وأرض .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما دمت الأرض أرضاً ، والسماء مياه .

وقوله : ( إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ) ، كقوله تعالى : ( النار مثواكم خالدون فيها إلا ما شاء الله ، إن ربك حكيم عليم (١) ) .

وقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الاستثناء ، على أقوال كثيرة ، حكاه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه زاد المسير (٢) ، وغيره من علماء التفسير ، ونقل كثيراً منها الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله في كتابه (٣) ، واختار هو ما نقله عن خاله بن مهران ، والقصص ، وقواده ، وأبي سنان ، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن أيضاً : أن الاستثناء حاله على العصاة من أهل التوحيد ، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعته الشافعين ، من الملائكة والنبين والمؤمنين ، حين يشفون في أصحاب الكيثار ، ثم تأتي رحمة أرحم الراحمين ، فتخرج من النار من لم يعمل خيراً قط ، وقال يوماً من الدهر : لا إله إلا الله : كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون ذلك من حديث أنس ، وجابر ، وأبي سعيد ، وأبي هريرة ، وغيرهم من الصحابة ، ولا يبيى بعد ذلك في النار إلا من وجبه عليه الخلود فيها ولا عيلة له عنها : وهذا الذي عليه كثير من العلماء قديماً وحديثاً في تفسير هذه الآية الكريمة .

وقد روى في تفسيرها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وأبي سعيد ، من الصحابة . وعن أبي جاز ، والشعبي ، وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة - أقوال غريبة . وورد حديث غريب في معجم الطبراني الكبير ، عن أبي أمامة صدقته بن جعلان الباهلي ، ولكن سنده ضعيف ، والله أعلم .

وقال قتادة : الله أعلم بشئنا (٤) .

وقال السدي : هي متوسخة بقوله : ( خالدون فيها أبداً ) ،

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَيِّئُوا فَنُجِّلُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

سجود (١٥)

يقول تعالى : ( وأما الذين ساءلوا ، وهم أتباع الرسل ، ( في الجنة ) ، أي : فلواهم الجنة ، ( خالدون فيها ) ، أي : ما كئبن مقيمين فيها أبداً ، ( ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ) ، معنى الاستثناء هاهنا أن دوامهما فيما

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٢٨ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير : ١٦٠/٤ - ١٦١ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ٨١/١٥ - ٨٥ .

(٤) الفتاوى - بقسم فكوت - : الاستثناء . والأثر في تفسير الطبري برقم : ١٨٥٧٣ : ٨٢٢/١٥ .

هم فيه من النعم ، ليس أمرا واجبا بذاته ، بل هو موكول إلى مشيئة الله تعالى ، فله المنة عليهم ، ولهذا يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون التفتس .

وقال للضحاك ، والحسن البصري : هي في حق عصاة الموحدين الذين كانوا في النار ، ثم أخرجوا منها . وعقب ذلك بقوله : ( عطاء غير مجلوز ) ، أي : غير مقطوع - قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو المالية وغير واحد ، لئلا يتوهم متوهم بعد ذكره للمشيئة أن ثم إنقطاعاً ، أو ليساً ، أو شيئاً ، بل ختم له بالدوام وعدم الانقطاع . كما بين هنا أن عذاب أهل النار في النار دائماً مردود إلى مشيئته ، وأنه بعد ذلك وحكمته عليهم ، ولهذا قال : ( إن ربك فعال لما يريد ) ، كما قال : ( لا يسألك عما يفعل وهم يسألون (١) ) ، وهنا طيب القلوب وثبت المقصود بقوله : ( عطاء غير مجلوز ) .

وقد جاء في الصحيحين : « يوتي بالموت في صورة كيش أملح ، فيلبيح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت (٢) » .

وفي الصحيحين أيضاً : فيقال : يا أهل الجنة ، إن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تتعوا فلا تبأسوا أبداً (٣) » .

فَلَا تَكُ فِي حَرْبٍ مَّعَ عَدُوٍّ مَّا يَصُدُّونَ إِلَّا كَمَا بَعْدَ أَرْبَابِهِمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنِيْ شَرِكٌ مِنْهُ مُرْسِدٌ ﴿٥١﴾ وَإِنْ كَلَّا لَمَا يُؤْفِقُهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى : ( فلا تَكُ فِي حَرْبٍ مَّعَ عَدُوٍّ مَّا يَصُدُّونَ إِلَّا كَمَا بَعْدَ أَرْبَابِهِمْ مِنْ قَبْلُ ) ، فإنهم إنما يعملون ما بعد آباؤهم من قبل ، أي : ليس لهم مُسْتَنَدٌ فيما هم فيه إلا اتباع الآباء في الجهالات ، وسببهم الله على ذلك أتم الجزاء فيلعب كافرهم عذاباً لا يعلبه أحدا من العالمين ، وإن كان لهم حسنات فقد وقاهم الله إياها في الدنيا قبل الآخرة .

قال مكيان الثوري ، عن جابر الجعفي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ( وإنا لموقفهم نصيبهم غير منقوص ) ، قال : ما وعدوا فيه من خير (٥) أو شر .

وقال عبيد الرحمن بن زيد بن أسلم : لموقفهم من العذاب [ نصيبهم ] غير منقوص .

(١) سورة الأنبياء ، آية ٢٣ .

(٢) البغاري ، تفسير سورة مريم : ١١٧/٦ ، ١١٨ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب : النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضملاء : ١٥٣/٨ ، ١٥٣ .

(٣) مسلم ، كتاب الجنة ، باب : في حوام نصيب أهل الجنة : ١٤٨/٨ .

(٤) المزية : الشك والريبة .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٠٩٥ : ٤٩٢/١٥ ..

ثم ذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب ، فاختلف الناس فيه ، فمن مومن به ، ومن كافر به ، فلك عن سلف من الأنبياء قبلك يا محمد أسوة ، فلا يفتنك تكليمهم لك ، ولا يهيدك ذلك (١) .

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) ، قال ابن جرير : لولا ما تقدم من تأجيله العذاب إلى أجل معلوم ، لقضى الله بينهم (٢) .

ويحتمل أن يكون المراد بالكلمة أنه لا يطلب أحدا إلا بعدم قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه ، كما قال : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (٣) ) ، فإنه قد قال في الآية الأخرى : (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى . فاصبر على ما يقولون (٤) ) .

ثم أنجر أن الكافرين في شك ما جاعهم به الرسول قوى ، فقال : (وإنهم لفي شك منه مريب) ، ثم أنشروا تعالى أنه سيجمع الأولين والآخرين من الأمم ، وعجزهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، قال : (وإن كلا لما لينفهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير) ، أى : علم بأعمال جميعها ، جليلها وحقيقها ، صغيرها وكبيرها ، وفى هذه الآية قراءات كثيرة (٥) ، ويرجع معناها إلى هذا الذى ذكرناه ، كما في قوله تعالى : (وإن كل لما جميع لدينا صفرون (٦) ) .

فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَعِمْتُمْ نَارًا وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١﴾

يا أمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والولام على الاستقامة ، وذلك من أكبر العون على التصبر على الأعداء وعاقبة الأضداد . ونهى عن الطغيان ، وهو البغي ، فإنه مصرعة حتى ولو كان على مشرك . وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد ، لا يفل عن شئ ، ولا يخفى عليه شئ .

وقوله : (ولا تركبوا إلى الذين ظلموا) ، قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : لا تدعينا (٧) ، وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو الركوب إلى الشرك .

(١) معنى تفسير هذه الكلمة في : ٣١١/٣ .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ٤٩٣/١٥ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ١٥ .

(٤) سورة طه ، آية : ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٥) ينظر تفسير الطبري : ٤٩٤/١٥ - ٤٩٨ .

(٦) سورة يس ، آية : ٣٢ .

(٧) هذا الأثر في تفسير الطبري مروى عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، برقم ١٨٦٠٨/١٥/٥٠١ . قال : «الركوب : الإذعان ، وقرا : (ودوا لو تمنع فيمنعون) ، قال : تركن إليهم ، ولا تنكر لهم الذى قالوا ، وقد قالوا العظيم من كفرهم بالله وكتابه ورسوله ... » . وأما أثر على بن أبى طلحة عن ابن عباس فهو في تفسير الطبري برقم ١٨٦٠٢/١٥/٥٠٠ . وهو «الركوب إلى الشرك» .

وقال أبو العالية : لا ترضوا أعلمكم .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : ولا تميلوا إلى الذين ظلموا .

وهذا القول حسن ، أي : لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيت بآي صنيعهم ، ( فتمسك الثار ، ومالك من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ) ، أي : ليس لكم من دونه من ولي يفلتكم ، ولا ناصر يخلصكم من عذابه .

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ أَحْسَنْتَ بِهِنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ أُذْهِبَ قَلْبُ اللَّهِ لَا يُفْهِمُ أَعْمَالَهُمْ حَسَنَاتٍ ۖ ﴿١٠﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( وأقم الصلاة طرفي النهار ) ، قال : يعني الصبح والمغرب (١) . وكلما قال الحسن ، وحيد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال الحسن - في رواية - وقتادة ، والضحاك ، وغيرهم : هي الصبح والمصر .

وقال مجاهد : هي الصبح في أول النهار ، والظهر والمصر من آخره . وكلما قال مجاهد بن كعب القرظي ، والضحاك في رواية عنه .

وقوله ( وزلفاً من الليل ) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وغيرهم : يعني صلاة العشاء .

وقال الحسن - في رواية ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عنه : ( وزلفاً من الليل ) ، يعني المغرب والعشاء ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا زُلْفَتَا اللَّيْلِ : الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ » (٢) . وكلما قال مجاهد ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ، والضحاك : إنها صلاة المغرب والعشاء .

وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء ، فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلوات : صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها . وفي أثناء الليل قيام عليه وعلى الأمة ، ثم نسخ في حق الأمة ، وثبت أوجوبه عليه ، ثم نسخ عنه أيضا ، في قوله ، والله أعلم .

وقوله ( إن الحسنات يذهبن السيئات ) ، يقول : إن فعل الخيرات يكثر الذنوب السالفة ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأهل السنن ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفخني الله بما شاء أن يقضى منه ، وإذا حدثني عنه أحد استخففته ، فإذا حلف لي صدقته ، وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يذنب ذنباً ، فيتوضأ ويصلي ركعتين ، إلا غفر له » (٣) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٦١٥ : ٥٠٣/١٥ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٦٤٠ : ٥٠٨/١٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ٤/١٠٨ .



وفي الصحيحين ، عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان : أنه توضع لم كُتُوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هكذا رايت رسول الله يتوضأ ، وقال : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يجلبث فيهما نفسه ، غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه (١) » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو جعفر بن جرير ، من حديث أبي عَكيْل زُهْرَةَ بن مَعِد : أنه سمع الحارث مولى عثمان يقول : جلس عثمان يوماً وجلسنا معه ، فجاءه المؤمن ، فدعا عثمان معه في إتياء أظنه سيكون فيه قدر مَدَّة (٢) فتوضأ ، ثم قال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وضوئي هذا ، ثم قال : « من توضأ وضوئي هذا ، ثم قام فصلى صلاة الظهر ، غُفِرَ له ما كان بينه وبين صلاة الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ما بينه وبين صلاة العصر ، ثم صلى المشاء غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب ، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته ، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة المشاء ، ومن الحسنات يلهن السيئات (٣) » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرأيتم لو أن بواب أحدكم سُحرا سُحْرًا (٤) يفتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يُبْقِي من دونه شيئاً ؟ قالوا : لا ، يا رسول الله : قال : وكذلك الصلوات الخمس ، يحوالة بين اللذنوب والخطايا (٥) » .

وقال مسلم في صحيحه : حدثنا أبو الطاهر وهارون بن سعيد قالوا : حدثنا ابن وهب ، عن أبي صخر : أن عمر ابن إسماعيل مولى زائدة حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفورات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر (٦) » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الحكم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد : أن أبا رُهم السلمي كان يحدث : أن أبا أيوب الأنصاري حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن كل صلاة تحط ما بين يديها من خطيئة (٧) » .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا محمد بن هوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا أبي ، عن ضمضم بن زرعة : عن شريح بن عبيد ، عن أبي ما لك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جعلت الصلوات كفارات لما بينهن ، فإن الله قال : ( إن الحسنات يُلْهِن السيئات (٨) ) » .

(١) البخاري ، كتاب الوضوء ، باب « الوضوء ثلاثاً ثلاثاً » : ٥١/١ . ومسلم ، كتاب الطهارة : باب « صفة الوضوء وكأله » : ١٤١/١ .

(٢) الله : نوع من المكائيل ، قيل : إنه مقدَّر بأن يد الرجل يديه ، فيحسب كفيه خطاً .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٧١/١ ، وتفسير الطبري : الأثر ١٨٦٦٢ : ٥١١/١٥ : ٥١٢ .

(٤) الفهر : الكبير .

(٥) البخاري ، كتاب المواقيت ، باب « الصلوات الخمس كفارة » : ١٤٠/١ ، ١٤١ . ومسلم ، كتاب المساجد :

باب « انتهى إلى الصلاة تحسب الخطايا وترفع به الدرجات » : ١٣٥/٢ .

(٦) مسلم ، كتاب الطهارة : باب « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ... » : ١٤٤/١ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤١٣/٥ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٦٦٥ : ٥١٢/١٥ .

وقال البخاري : حدثنا حنيفة بن سعيد ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن ابن مسعود ، أن رجلا أصاب من امرأة قيلة ، فأقى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فأنزل الله : ( وأتم الصلاة طرق النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يلدن السيئات ) ، فقال الرجل : ألى هذا يا رسول الله ؟ قال : لجميع أمي كلهم .

هكذا رواه في كتاب الصلاة ، وأخرجه في التفسير عن مسدد ، عن يزيد بن زريع ، بنحوه . ورواه مسلم ، وأحمد ، وأهل السنن إلا أبا داود ، عن طرق عن أبي عثمان النهدي ، واسمه عبد الرحمن بن مل ، به (١) .

وروى الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن جرير - وهذا لفظه - عن طريق ، عن ميثم بن حرب : أنه سمع إبراهيم بن يزيد يحدث عن علقمة والأسود ، عن ابن مسعود قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنى وجدت امرأة في بستان ، ففعلت بها كل شيء ، غير أني لم أجامعها ، فبئس ما فعلت ، ولم أفعل غير ذلك ، فاضربني ما شئت . فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فذهب الرجل ، فقال عمر : لقد ستر الله عليه ، لو ستر على نفسه . فأتيه رسول الله بصره ثم قال : رددوه على فردوه عليه ، فقرأ عليه : ( أتم الصلاة طرق النهار ، وزلفا من الليل ، إن الحسنات يلدن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ) ، فقال معاذ - وفي رواية عمر - : يا رسول الله ، أله وحده ، أم للناس كافة ؟ فقال : بل للناس كافة (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا أبان بن إسحاق ، عن العيص بن عمار ، عن مرة السدوسي ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين (٣) ) إلا من أحب . فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي قسمي ييله لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قال : قلنا : وما بوائقه يأتي الله ؟ قال : غشه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراما فيفتق منه فيأرك له فيه ، ولا يتصدق فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يعفو السيء بالعفو ، ولكنه يعفو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يعفو الخبيث (٤) .

(١) البغوي : تفسير سورة هود : ٩٤٪٦ . ومسلم : كتاب التوبة ، باب : قوله تعالى : ( إن الحسنات يلدن السيئات ) : ١٠١٪٨ . ومسنه الإمام أحمد : ١٠٢ . وتحفة الأحوي : تفسير سورة هود ، الحديث ٥١٦ . ٥٣٥٪٨ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أي : عاقبتها فأطاعه لملك .

(٣) تفسير الطبري : الآثار ١٨٦٦٨ - ١٨٦٧١ : ١٥٪١٥ - ٥١٧ . ومسلم : كتاب التوبة ، باب : قوله تعالى : ( إن الحسنات يلدن السيئات ) : ١٠٢٪٨ . ومسن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب : وفي الرجل يصيب من المرأة دون الجأح ، الحديث ٤٤٦٨ : ١٦٠٪٤ . وتحفة الأحوي : تفسير سورة هود ، الحديث ٥١١٣ : ١٥٪٣٣ - ٣٥٠ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . ومسنه الإمام أحمد : ٤٤٥٪١ : ٤٤٩ .

(٤) لفظ المفطرة : ولا يعطي الآخرة إلا من أحب ، والمخبيث من المسته .

(٥) مسنه الإمام أحمد : ٣٨٧٪١ .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : كان فلان بن معتب وجلا من الأنصار ، فقال : يا رسول الله ، دخلت على امرأة فبُليت منها ما ينال الرجل من أهله ، إلا أني لم أجامعها (١) فلم يلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجيبه ، حتى تزلت هذه الآية : ( وأنتم الصلاة طرف النهار وزقا من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ) . فدهاه رسول الله ، فقرأها (٢) عليه .

وعن ابن عباس : أنه عمرو بن حفصة الأنصاري الباري (٣) . وقال مقاتل : هو أبو نفيل عامر بن قيس الأنصاري (٤) ، وذكر الخطيب البغدادي أنه أبو اليسر كعب بن عمرو .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس وعفان قالا : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - عن علي بن زيد - قال عفان : أنبأنا علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رجلا أتى عمر قال : امرأة جاءت بياحه ، فأدخلتها الدويع (٥) ، فأصابت منها مادون الجماع ، فقال : وعجك . لعلها مغيبة ؟ قال : أجل : قال : قالت أبا بكر فأسأله . قال : فأتاه فسأله فقال : لعلها مغيبة في سبيل الله ؟ فقال مثل قول عمر ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ذلك ، قال : فلعليها مغيبة في سبيل الله . وتزل القرآن : ( وأنتم الصلاة طرف النهار وزلق من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ) ... إلى آخر الآية ، فقال : يا رسول الله ، إلى خاصة أم للناس عامة ؟ ففرببه - يعني عمر - صبره بيده وقال : لا ، ولا نعمة - حين ، بل للناس عامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلح عمر (٦) .

وروى الإمام أبو جعفر بن جرير من حديث قيس بن الربيع ، عن عثمان بن موهب ، عن موسى بن طلحة : عن أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري قال : أتني امرأة يتبع مني بدوم نمر ، فقلت : إن في البيت نمرًا أطيبه وأجود من هذا ، فدخلت ، فأهويت إليها فقبلتها ، فأثبت عمر فسأته ، فقال : اتق الله ، واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدًا . فلم أصبر حتى أثبت أبا بكر فسأته ، فقال : اتق الله ، واستر على نفسك ، ولا تخبرن أحدًا . قال : فلم أصبر حتى أثبت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : أخشيت رجلا غازیا في سبيل الله في أهله بمنزل هذا ؟ حتى ظننت أني من أهل النار ، حتى تخبت أني أسلمت ساعتئذ (٧) . فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ،

(١) لفظ الطبري : « لم أجامعها » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٦٧٥ : ١٩٦/١٥ .

(٣) ينظر ترجمة عمرو بن حفصة في أمه القلبية : ٤٠٦/٤٠٦ .

(٤) كذا ، ولم نجد في الصحابة .

(٥) الدويع : الخنع ، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير .

(٦) المنية : التي غاب عنها زوجها .

(٧) سنة الإمام أحمد : ٢٤٥/١ . وينظر أيضا : ٢٦٩/١ ، ٢٧٠ .

(٨) وإنما تخفى ذلك ، لأن الإسلام يزول ما قبله من الخطايا والآثام .

فترجل جبريل ، فقال : [ أين ] أبو اليسر ؟ فجيئت ، فقرأ علي : ( وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ) إلى ( ذكرى للذاكرين ) ، فقال إنسان : يا رسول الله ، أله خاصة أم للناس عامة ؟ قال : للناس عامة (١) .

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : حدثنا الحسين بن إسماعيل الخاملي ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا جبرير ، عن عبد الملك بن جبير ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن معاذ بن جبل : أنه كان قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجماعه رجل فقال : يا رسول الله ، ما تقول في رجل أصاب من امرأة لا تحل له ، فلم يلح شيئا يصيبه الرجل من أمراته إلا قد أصاب منها ، غير أنه لم يجامعها ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : نوحاً وضوءاً حسناً ، ثم قم فصل ، قال : فأنزل الله عز وجل هذه الآية ، يعني قوله : ( وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ) ، فقال معاذ : أهي له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال : بل للمسلمين عامة (٢) .

ورواه ابن جبرير من طرق ، عن عبد الملك بن جبير ، (٣) به :

وقال عبد الرزاق : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيى بن جعدة : أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكر امرأة وهو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه الحاجة ، فأذن له ، فذهب يطلبها فلم يجدها ، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر ، فوجد المرأة جالسة على خدير ، فذهب في صدرها وجلس بين رجلها ، فصار ذكره مثل المدببة ، فقام نادما حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنع ، فقال له : استغفر ربك ، وصل أربع ركعات : قال : وتلا عليه ( وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ) الآية :

وقال ابن جبرير : حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثني عمرو بن الحارث حدثني عبد الله بن سالم ، عن الزبيدي ، عن سليم بن عامر : أنه سمع أبا أمامة يقول : إن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أقم في حد الله - مرة أو اثنتين - فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقيمت الصلاة ، فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة قال : أين هذا الرجل القاتل : أقم في حد الله ؟ قال : أنا ذا ، قل : أتممت الوضوء وصليت معنا أكفا ؟ قال : نعم . قال : فلذلك من خطيئتك كما ولدتك أمك ، ولا تعد . وأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (٥) ) .

وقال لإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، أنبأنا علي بن زيد ، عن أبي عثمان قال : كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة ، فأخذ منها غصنا يا يساه فزهزه حتى نحات (٦) ورقة ، ثم قال : يا أبا عثمان ، ألا تسأني

(١) تفسير الطبري : الأثر ١٨٦٨٤ ، ١٨٦٨٥ : ١٥/٢٣٢ - ٢٤ .

(٢) سنن الدارقطني ، كتاب الطهارة ، باب : صفة ما ينفض الوضوء ، وما روى في الملاسة والقبلة ، الحديث ١٣٤/١ .

(٣) ينظر تفسير الطبري : ١٥/٢٢٠ - ٢٢٢ .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ١٨٦٨٣ : ١٥/٢٣٢ .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ١٨٦٨١ : ١٥/٢٢١ - ٢٢٢ .

(٦) أي : تسأني .

لم أقبل هذا ؟ قلت : لم تفعله ؟ قال : هكذا فعل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه تحت شجرة ، فأخذ منها خضعا يابساً فبهزه حتى نحات ورقة ، فقال : يا سلمان ، ألا تسألني : لم أقبل هذا ؟ قلت : ولم تفعله ؟ قال : إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى الصلوات الخمس ، نحات خطاياها كما ينحات هذا الورق - وقال : ( وأتم الصلاة طرقي النهار وزلفا من الليل ، إن الحسنات يلقهن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين (١) ) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : يا معاذ ، أتبع السيئة الحسنة تمحها ، وعخالق الناس حسن (٢) .

وقال الإمام أحمد رضي الله عنه : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن حبيب ، عن ميمون بن أبي شبيب ، عن أبي ذر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وعخالق الناس بحسن (٣) .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن همر بن عطية ، عن أشياخه ، عن أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله ، أوصني . قال : إذا علمت سيئة فأتبها حسنة تمحها . قال قلت : يا رسول الله ، أمن الحسنات : لا إله إلا الله ؟ قال : هي أفضل الحسنات (٤) .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا هليل بن إبراهيم الجماني ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهرى ، عن ولد سعد بن أبي وقاص ، عن الزهرى ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قال عبد : لا إله إلا الله » في ساعة من ليل أو نهار ، « إلا طلست » (٥) ما في الصحيفة من السيئات ، حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات .

عثمان بن عبد الرحمن ، يقال له « الوقاصي » : فيه ضعف .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا بشر بن آدم وزيد بن أنعم قالوا : حدثنا الضحاك بن مخلد ، حدثنا مستور ابن عباد ، عن ثابت ، عن أنس : أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما تركت من حاجة ولا داجة (٦) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : « فان هذا يأتي على ذلك » .

تفرد به من هذا الوجه مستور :

(١) مسند الإمام أحمد : ٤٣٧/٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٢٨/٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ١٥٣/٥ ، ١٥٨/٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٦٩/٥ .

(٥) أى : محت .

(٦) الحاجة : أعنف شأنها من الحاجة .

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةِ يَهُودَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُنتِجَ الذَّرِّيَّ وَيُظْلِمَ وَأَهْلَهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من اهل الخير ، يهتدون عما كان يصع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض .

وقوله : ( إلا قليلا ) ، أى : قد وجد منهم من هذا الضرب قليل ، لم يكونوا كثيرا ، وهم الذين أنجاهم الله عند حلول غيرته (١) ، وفجأة نقمته . ولهذا أمر تعالى هذه الأمة الشريفة أن يكون فيها من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كما قال تعالى : ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون (٢) ) . وفى الحديث : « إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ، أوشك أن ينجسهم الله بعقاب (٣) » . ولهذا قال تعالى : ( فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ) .

وقوله : ( واتباع الذين ظلموا ما أنفروا فيه ) ، أى : استمروا على ما هم فيه من المعاصي والمنكرات ، ولم يلتفتوا إلى إنكار أولئك ، حتى فسدت أمة المذابح ، ( وكانوا مجرمين ) .

ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية إلا وهى ظالمة ، ولم يأت قرية مصلحة بأسه وعذابه قط حتى يكونوا هم الظالمين ، كما قال تعالى : ( وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم (٤) ) ، وقال : ( وما ربك بظلام للعبيد (٥) ) .

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٣﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾

يجزى تعالى أنه قادر على جعل الناس كلهم أمة واحدة ، من إيمان أو كفران ، كما قال تعالى : ( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا (٦) ) .

وقوله : ( ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ) ، أى : ولا يزال الخلق بين الناس فى أديانهم واعتقادات ملهم وتخلطهم وملهمهم وآراءهم .

(١) النجى - بكسر ففتح - : تميز الحال من الصلاح إلى الفساد . واللفظ المخطوطة : « عند حلول غير وفجأة نعمة » . ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) سورة آل عمران : آية : ١٠٤ .

(٣) مفسى هذا الحديث عند تفسير الآية ١٠٥ من سورة المائدة ، وخرجناه هناك . ينظر : ٢١٧/٣ .

(٤) سورة هود : آية : ١٠١ .

(٥) سورة فصلت : آية : ٤٦ .

(٦) سورة يونس : آية : ٩٩ .

قال عكرمة : ( غطفين ) في الهدى . وقال الحسن البصري : ( غطفين ) في الرزق يُسَخَّرُ بعضهم بعضا . والمشهور الصحيح الأول .

وقوله : ( إلا من رحم ربك ) ، أى : إلا المرحومين من أتباع الرسل ، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين : أخبرتهم به رسل الله إليهم ، ولم يزل ذلك دأبهم ، حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم الآية خاتم الرسل والأنبياء ، فاتبعوه وصدقوه ، ونصروه ووازره ، فجازوا بسعادة الدنيا والآخرة ، لأنهم الفرقة الناجية ، كما جاء في الحديث المروى في المسانيد والسنن ، من طرق يشد بعضها بعضا : « إن اليهود اختلفت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة واحدة . قالوا : ومن هم ، يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي » .

رواه الحاكم في مستدرکه هذه الزيادة (١) .

وقال عطاء : ( ولا يزالون غطفين ) ، يعنى اليهود والنصارى والمجوس ( إلا من رحم ربك ) ، يعنى الحنيفية . وقال قتادة : أهل رحمة الله أهل الجماعة ، وإن تفرقت ديارهم وأبداهم ، وأهل مصيبتهم أهل فرقة ، وإن اجتمعت ديارهم وأبداهم .

وقوله : ( ولذلك خلقهم ) ، قال الحسن البصري - في رواية عنه - : وللاختلاف خلقهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : خلقهم فرقين ، كقوله : ( فممن شقى وسعيد ) .

وقيل : للرحمة خلقهم - قال ابن وهب : أخبرني مسلم بن خالد ، عن ابن أبي نجيح ، عن طاووس : أن رجلين اختصا إليه فأكثر ، فقال طاووس : اختلفا فأكثرتما فقال أحد الرجلين : لذلك خلقنا فقال طاووس : كلبت : فقال : أليس الله يقول : ( ولا يزالون غطفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ) ، قال : لم يخلقهم ليختلفوا ، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة - كما قال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : للرحمة خلقهم ، ولم يخلقهم للعقاب (٢) . وكذا قال مجاهد والفساك وقاتدة ، ويرجع معنى هذا القول إلى قوله تعالى : ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (٣) ) .

وقيل : بل المراد : وللرحمة والاختلاف خلقهم ، كما قال الحسن البصري - في رواية عنه في قوله : ( ولا يزالون غطفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ) ، قال : الناس يختلفون على أديان شتى ، ( إلا من رحم ربك ) ، فمن رحم ربك غير مختلف . قيل له : فلذلك خلقهم ؟ خلق هؤلاء لجنته ، وخلق هؤلاء لناره ، وخلق هؤلاء لرحمته ، وخلق هؤلاء لعقابه (٤) .

(١) سبق تخريج الحديث عنه الآية ٩٣ من سورة يونس : ٢٣٠/٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٧٨٣٨ : ١٥ / ٣٧٧ .

(٣) سورة الباريات ، آية : ٥٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٧٠٦ : ١٥ / ٥٢٢ .

وكذا قال عطاء بن أبي رباح ، والأعمش :

وقال ابن وهب : سألت مالكا عن قوله تعالى : ( ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم ) ، قال : فريق في الجنة وفريق في السعير :

وقد اختار هذا القول ابن جرير ، وأبو عبيدة ، والقراء :

وعن مالك فيها روايته عنه في التفسير : ( وللثقل خلقهم ) ، قال : لرحمة ، وقال قوم : للاختلاف ،

وقوله : ( وتحت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ) ، غير تعالى أنه قد سبق في قضائه وقدره ، لحلمه اللام وحكمته النافذة ، أن من خلقه من يستحق الجنة ، ومنهم من يستحق النار ، وأنه لا بد أن يملأ جهنم من هذين الخليقين الجن والإنس ، وله الحجة البالغة والحكمة التامة . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استحصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضِعْمَةُ الثامن وستَقَطُّهُمْ (١) ؟ وقالت النار : أوفرت بالمتكبرين والمتجبرين . فقال الله عز وجل للجنة : أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء . وقال للنار : أنت عذابي ، أنقص بك من أشاء ، ولكل واحدة منكأ ملؤها . فأما الجنة فلا يزال فيها فضل ، حتى ينشئ الله لها خلقا يسكن فضل الجنة ، وأما النار فلا تزال تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع عليها رب مرة قد مه ، فتقول : قَطْ قَطْ (٢) ، وحزلك (٣) » .

وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ قَبْلِكَ فِي هَٰؤُلَاءِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ ۚ وَذَرَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١)

يقول تعالى : وكل أخبار نقصها عليك ، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أنهم ، وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات ، وما أحمله الأنبياء من التكليب والأذى ، وكيف نصر الله حربه المؤمنين ونخل أعداء الكافرين - كل هذا بما تليت به فؤادك - يا محمد - أي : قلبك ، ليكون لك من معنى من إخبارك من المرسلين أسوة .

وقوله : ( وبما جعل في هذه الحق ) ، أي : هذه السورة ، قاله ابن عباس ، وبجاهد ، وبجاعة من السلف . وعن الحسن - في رواية عنه - وثقة : في هذه الدنيا (٤) :

(١) السقط - يفتح السين والثاء - : جمع ساقط ، وهو نازل المكائنة الذي لا يؤمن به .

(٢) أي : حسبي .

(٣) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب : ما جاء في قوله تعالى : إن رحمة الله قريب من المحسنين : ١٦٤/٩ . وكتاب التفسير ، تفسير سورة ق : ١٧٣/٦ . وسلم : كتاب الجنة ، باب : النار يملأها الجبارون ، والجنة يملأها الصالحون . ١٥٢ - ١٥٢/٨ .

(٤) ينظر تفسير الطبري : ١٥٢/١٥ - ١٥٤/٣ .



والصحيح : في هذه السورة المشتعلة على قصص الأنبياء وكيف نجّاهم الله والمؤمنين بهم ، وأهلك الكافرين ، جاهد فيها قصص حق ، ونبا صدق ، وموعظة يرتدع بها الكافرون ، وذكرى يتوقّر بها المؤمنون (١) :

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١١١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١١٢﴾

يقول تعالى أمرا رسواه أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به من ربه على وجه التهديد : ( اعملوا على مكانتكم ) ، أى : على طريقتهكم ومنهجكم ، ( إنا عاملون ) ، أى : على طريقتنا ومنهجنا ، ( وانظروا إنا منظرون ) ، أى : فستعلمون من تكون له حاقبة الدار ، إنه لا يفلح الظالمون .

وقد أنجز الله لرسوله وعده ، ونصره وأيده ، وجعل كلمته هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله عزير .

حكيم .

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبِدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾

يخبر تعالى أنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه إليه المرجع والمآب ، وسيوفيه كل عامل عمله يوم الحساب ، فله الخلق والأمر ، فامر تعالى بعبادته والتوكل عليه ، فإنه كاف من توكل عليه وأناب إليه :

وقوله : ( وما ربك بغافل عما تعملون ) ، أى : ليس يفتى عليه ما عليه مكليوك محمد، بل هو عالم بأحوالهم وأعمالهم ، وسيجزهم على ذلك أتم الجزاء في الدنيا والآخرة ، وسيصرك وحزبك عليهم في الدارين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا زيد بن الحباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبي عمران الجوني ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب قال : خاتمة التوراة « شامة » هود « (٢) » :

[ تم تفسير سورة هود ]

(١) أى : يتبينون حقا .

(٢) الأثر في تفسير الطبري رقم ١٨٧٦٧ : ٥٤٥/١٥ . وكعب ، هو : كعب الأحبار المشهور بأخباره عن بني إسرائيل . هذا وقد وقع في المطبوعة في نهاية المجلد الثالث بعد هذا الأثر : « آخر تفسير سورة هود ، وقد أخلصه ، ويطوفه في الرابع تفسير سورة يوسف ، والحمد لله وحده ، وصلواته على خير خلقه ، غيد وآله وصحبه ، وسلم كثيرا » .

## تفسير سورة يوسف

### [ وهى مكية ]

وروى الثعلبي وغيره ، من طريق سلكم بن مسلم - ويقال : سليم - المدائني ، وهو متروك ، عن هارون بن كثير - وقد نص على جهالة أبو حاتم - عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن أبي أمامة ، عن أبي كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « علموا أرقامكم سورة يوسف ، فإنه إنما مسلم تلاها ، أو علمها أهله ، أو ما ملكت يمينه ، هون الله عليه مكرات الموت ، وأعطاه من القوة أن لا يحسد مسلما »

وهذا من هذا الوجه لا يصح ، لضعف إسناده بالكيفية : وقد ساقه الحافظ ابن حساكر مثابها ، من طريق القاسم بن الحَكَم ، عن هارون بن كثير ، به - ومن طريق شبابة ، عن حميد بن عبد الواحد الثقفي ، عن علي بن زيد بن جدحان - وعن حطاء بن أبي ميمونة ، عن زر بن حبیش ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - فذكر نحوه ، وهو منكرو من سائر طرقه .

وروى البيهقي في « الدلائل » أن طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه السورة ، أسلموا لمواظقتها ما عندهم وهو من رواية الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ،

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُكَ عَلَّمْتُ الْكِتَابَ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ مَحْنُ نَقْصِ عَطِيَّكَ  
أَحْسَنَ الْفَصْمِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

أما الكلام على الحروف المتطعة فقد تقدم في أول سورة « البقرة »

وقوله ( تلك آيات الكتاب ) ، أى : هذه آيات الكتاب ، وهو القرآن ( المبين ) ، أى : الواضح الجلي ، الذى يفصح عن الأشياء المهمة ويفسرها ويبينها .

( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ) ، وذلك لأن لغة العرب أنصح اللغات وأبينها وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التى تقوم بالضموس ، ولهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات ، على أشرف الرسل ، بسفارة أشرف الملائكة ، وكان

ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتلى إزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، لكل من كل الوجوه، ولما قال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) ، بسبب إيماننا إليك هذا القرآن.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات ما رواه ابن جرير:

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي، حدثنا حكام الرازي، عن أيوب، عن عمرو - هو ابن قيس اللاتى - عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فترلت: (نحن نقص عليك أحسن القصص (١)).

ورواه من وجه آخر، عن عمرو بن قيس مرسلًا.

وقال أيضا: حدثنا محمد بن سعيد الطائري (٢)، حدثنا عمرو بن محمد، أنبأنا عكرمة الصغار، عن عمرو بن قيس، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، قال: فلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا: فأنزل الله عز وجل: (الر تلك آيات الكتاب المبين)، إلى قوله: (لعلكم تتقون) ثم تلا عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثنا: فأنزل الله عز وجل: (الله نزل أحسن الحديث) ٥٥ الآية، وذكر الحديث (٣).

ورواه الحاكم من حديث إمام بن وهاب، عن عمرو بن محمد القرظي المتقاضي، به (٤).

وردى ابن جرير بسنده، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال: مكل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة، فقالوا: يا رسول الله، حدثنا. [فأنزل الله: (الله نزل أحسن الحديث)، ثم مكّوا مكّة أخرى فقالوا: يا رسول الله، حدثنا] فوق الحديث ودون القرآن - يمتن القصص - فأنزل الله: (الر تلك آيات الكتاب المبين) ٥. إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تتقون. نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين. فأرادوا الحديث، فدلّهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فلم على أحسن القصص (٥).

وما يناسب ذكره عند هذه الآية الكريمة، المشتعلة على مدح القرآن، وأنه كاف عن كل ما سواه من الكتب ما قاله الإمام أحمد:

حدثنا سريج بن النعمان، أخبرنا هشام، أنبأنا عجلد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال:

(١) تفسير الطبري، الأثر ١٨٧٧٣ : ٥٥٢/١٥. والأثر المرسل بسنده.

(٢) في المخطوطة: «القطان» وظله في الخلاصة. وللتثبت من تفسير الطبري، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢٢٣/٢.

٢٦٦، والتأنيب: ١٨٩/٩.

(٣) تفسير الطبري، الأثر ١٨٧٧٦ : ٥٥٣/١٥.

(٤) للسترك: تفسير سورة يوسف: ٣٤٥/٢.

(٥) تفسير الطبري، الأثر ١٨٧٧٥ : ٥٥٢/١٥.

«أَمْتَهُرُ كُونُ فِيهَا يَا ابْنَ (١) الْخَطَابِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبَرُوكُمْ بِحَقِّ فَكُلِّ بَوْنِهِ (٢)، أَوْ يَبْطُلُ لِنَصْدَقُوهُ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، لَأَسَمِعَهُ إِلَّا أَنْ يَنْجِي (٣)».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أحرصها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: رضىنا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبمحمد رسولا. قال: فسرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: والذي نفس محمد بيده، لو أصبح فيكم موسى ثم اتبتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين (٤)».

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي: حدثنا عبد الغفار بن عبد الله بن الزبير، حدثنا علي بن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، عن خالد بن هرقل قال: كنت جالسا عند عمر، إذ أتني رجل من عبد القيس مسكته بالسوس (٥)، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان الميدي؟ قال: نعم. قال: وأنت أنازل بالسوس، قال: نعم. فضربه بفتاة معه، قال: فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: (بسم الله الرحمن الرحيم) وأر تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون. نحن نقص عليك إلى قوله: (لن الغافلون)، فقرأ ما تلا، وضربه ثلاثا، فقال له الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال: انت الذي لمسخ كتاب دانيال؟ قال: نعم. فبارك الله به. قال: والطلق فاعه بالجميع (٦) والصفوف الأبيض، ثم لا تفره ولا تفره أحدنا من الناس، فأنى يلغي هنك ألك قرأته أو أقرأه أحدنا من الناس لأتيتك (٧) عقوبة، ثم قال له: احلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فالتصفت كتابا من أهل الكتاب، ثم جئت به في آدم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا في يديك يا عمر؟ قال قلت: يا رسول الله، كتابي لمسخه لئلا يداد به حلما إلى حلما: فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه، ثم لوى بالصلابة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم؟ السلاح السلاح. فجاءوا حتى أخذوا بمجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، وانخصر لي انحصارا، ولقد أتيتكم بها ببيضاء نقيّة فلا تقهروا ولا يفرنكم المهزكون. قال عمر: فقلت: رضىنا بالله ربا، وبالإسلام ديننا، وبك رسولا، ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨)».

(١) التوراة، الوقوف في الأمر بغير روية، وقيل: هو التحير.

(٢) لفظ المسند، وفككها به، أو يباطل خصمها به.

(٣) سنة الإمام أحمد: ٣/٣٧٨.

(٤) سنة الإمام أحمد: ٣/٣٦٥.

(٥) السوس: بلدة بجنورستان، وجد فيها جدد دانيال، فدفن في جبرها تحت الماء، وفسر قبره، وموشه ظاهر يزاد.

(٦) الجميع: المساء المأثر.

(٧) نكته: بالغ في عقوبته.

(٨) لم يكن نبي النبي صلى الله عليه وسلم وحده من نسخ فيه من التوراة عبارة في العلم، وإنما كان لاسد أسرين، أحدهما: الحافظة من القرآن الكريم حتى لا يبدل عليه ما ليس منه، والثاني: التخرج من الغرض في قصور التوراة، بتكليف ما له يكون حقا، أو تصديق ما قد يكون كذبا. وفي القرآن الكريم البني كل النبي.

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره مختصراً ، من حديث عبد الرحمن بن إسحاق ، به : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعبد الرحمن بن إسحاق هو أبو شيبة الواسطي ، وقد ضعفه وشيخه . قال البخاري : [ لا يصح ] حديثه .

قلت : وقد روى له شاهد من وجه آخر ، فقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي (١) : أخبرني الحسن بن سفيان ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن الملاء الزبيدي ، حدثني عمرو بن الحارث ، حدثنا عبد الله ابن سالم الأشعري ، عن الزبيدي (٢) ، حدثنا سليم بن عامر : أن جبير بن نفير حدثهم : أن رجلاً كان يحمص في خلقة عمر رضي الله عنه ، فأرسل إليها فيمن أرسل من أهل حمص ، وكان قد اكتسب من اليهود صلاصة (٣) فأخلها معها يستفنيان فيها أمير المؤمنين ويقولون : إن رضيها لنا أمير المؤمنين ازددتا فيها رغبة . وإن نهانا عنها رفضناها ، فلما قدم عليه قالا : إنا بأرض أهل الكتابين ، وإنا نسمع منهم كلاماً تشعر منه جلودنا ، ألتأخذ منه أو نترك ؟ فقال : لعلكم اكتسبوا منه شيئاً . قالا : لا . قال : سأحدثكما ، انطلقت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت بخير ، فوجدت يهودياً يقول قولاً أمجيبني ، فقلت : هل أنت مكبي ما تقول ؟ قال : نعم . فأتيت بأديم ، فأخذ بلى على ، حتى كتبت في الأكرع (٤) . فلما رجعت قلت : يا بني الله ، وأخبرته ، قال : اتنى به . فانطلقت لأرغب عن المنى رجاء أن أكون أتيت رسول الله يعرض ما يحب ، فلما أتيت به قال : اجلس اقرأ على . فقرأت ساعة ، ثم نظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون ، فتعجرت من الترقى ، فما استطعت أجبز منه حرفاً ، فلما رأى إلى ذلك ، ثم جعل يديه ربما رميا فيمحوه بريقه ، وهو يقول : « لا تبهوا هؤلاء ، فإنهم قد هزكوا وتهزكوا » ، حتى عا آخره حرفاً حرفاً . قال عمر رضي الله عنه : فلو علمت أنكم اكتسبوا منه شيئاً جهنمكم نكالاً لهذه الأمة ! قالا : والله ما نكتب منه شيئاً أبداً . فخرجوا بصلاً صفحتها (٥) ، فحفرها لها فلم يأثروا (٦) . يهيمها ، ودفناها فكان آخر العهد منها .

وكذا روى الثوري ، عن جابر بن يزيد الجعفي ، عن الشعبي ، عن عبد الله بن ثابت الأنصاري ، عن عمر بن الخطاب ، بنحوه . وروى أبو داود في المراسيل ، من حديث أبي قلابة ، عن عمر بنحوه ، والله أعلم .

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ شَجَرَتَيْنِ كَرِيمَتَيْنِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجْدِينَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى : اذكر لقومك يا محمد في قصصك عليهم من قصة يوسف إذ قال لأبيه ، وأبوه هو : يعقوب عليه السلام ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الصمد ، حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن أبيه ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (٧) ،

(١) ترجم له للمصنف في البير : ٣٥٨/٢ ، ٣٥٩ .

(٢) الزبيدي هو : حمزة بن الوليد . ينظر البحر لأبن أبي حاتم : ٧٦/٢ ، ١١١/٤ .

(٣) كذا في الطبعات السابقة ، وفي المخطوطة : « ملاصق » ، دون لفظ « والمقصود أنهم اكتسبوا من اليهود صفها » .

(٤) الأكرع : جيع كراع ، يشم الكاف ، وهو مستق لساق للمرى من الصم .

(٥) كذا ، وفي المخطوطة : « وبصفتها » . وقد بينها على المقصود من قبل .

(٦) لم يأثروا : لم يقتضوا .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٩٦٢/٢ .

اتفرد بانخرجه البخاري ، فرواه عن عبد الله بن محمد ، عن عبد الصمد (١) . به . وقال البخاري أيضا :

حدثنا محمد ، أخبرنا عبد ، عن عبيد الله ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم ؟ قال : أكرمهم عند الله أتقاهم . قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : فأكرم الناس يوسف بنى الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله . ابن خليل الله . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم . قال : فضياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا . ثم قال : تابعه أبو أسامة ، عن عبيد الله .

وقال ابن عباس : رويا الأنبياء وحى .

وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا للناس : أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلا ، والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه . روى هذا عن ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، وسفيان الثوري ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة ، وقيل : ثابتن سنة ، وذلك حين رفع أبويه على العرش ، وهو سريره ، وإخوته بين يديه (وخرجوا له همدا ، وقال : يا أبت ، هذا تأويل روياي من قبل ، قد جعلها ربي حقا) .

وقد جاء في حديث تسمية هذه الأحد عشر كوكبا - فقال الامام أبو جعفر بن جرير .

حدثني حلى بن سعيد الكندي ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السلي ، عن عبد الرحمن بن سابط ، [ عن جابر ] قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من يهود يقال له : « بن سنانة اليهودي » ، فقال له : يا محمد ، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له ، ما أسماؤها ؟ قال : فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ساعة فلم يجبه بشيء ، ونزل [ عليه ] جبريل عليه السلام ، فأخبره بأسمائها . قال : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فقال : « هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها ؟ فقال : نعم . قال : خرتان (٢) ، والطارق ، والليل ، وذو الكففات ، وقابس ، ووثاب ، وعمودان ، والقياق ، والمصبج ، والضروح ، وذو القرن ، والمضياء ، والنور » ، فقال اليهودي : إني لأسمائها (٣) .

ورواه البيهقي في « الدلائل » ، من حديث سعيد بن منصور ، عن الحكم بن ظهير . وقد روى هذا الحديث الحافظان أبو يعلى الموصلي وأبو بكر البزار في مستدبرها ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، أما أبو يعلى فرواه عن أربعة من شيوخه عن الحكم بن ظهير . به وزاد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما رآها يوسف قصتها على أبيه يقرب ، فقال له أبيه : هذا أمر متشئت بجميعه الله من يمد » قال : والشمس أبوه ، والقمر أمه .

تفرد به الحكم بن ظهير القزاري ، وقد ضَعَفَهُ الأئمة ، وتركه الأكرتون ، وقال الجوزجاني : ساقط ، وهو صاحب حديث حُسَيْن يوسف .

(١) البخاري ، تفسير سورة يوسف : ٩٥/٦ .

(٢) في خطوطة الأزهري : « خرتان » ، وفي تفسير الطبري : « جريان » ، وقد صرح السيد الخفقي بأنه لم يجد إل غير هذا الاسم . وقد ذكر اللغوي الحديث في ميزان الاعتدال في ترجمة الحكم بن ظهير : ٧٢/١ ، وفيه : « خرتان » . وفي تاج المروس : « الخرتان - بالفتح - نجمان من كواكب الأسد بينهما قدر صوط ، وعما كتبا الأسد » .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٨٧٨ : ١٥/٥٥٥ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٧٩١ : ١٠٦٠٤١٠ .

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِسْرَافِيَّةَ آيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٠﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ يَاقُوبَ إِنِّي رَأَيْتُ  
وَحَنَ صَلَافًا أَنِ ابْنَا لِي فِي مِثْلِي مِثْلِي ﴿١٠١﴾ فَقَالَ يُوسُفُ إِنِّي أَهْلُكَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِنِّي أَتَيْتُ  
مِنْ مِثْلِهِ قَدْ مَضَىٰ صِلَافًا ﴿١٠٢﴾ قَالَ قَالَ لَهُمُ ابْنُ يَاقُوبَ إِنِّي أَهْلُكَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِنِّي أَتَيْتُ  
مِنْ مِثْلِهِ قَدْ مَضَىٰ صِلَافًا ﴿١٠٣﴾ قَالَ قَالَ لَهُمُ ابْنُ يَاقُوبَ إِنِّي أَهْلُكَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ إِنِّي أَتَيْتُ  
مِنْ مِثْلِهِ قَدْ مَضَىٰ صِلَافًا ﴿١٠٤﴾

يقول تعالى : لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات ، أي : عبرة ومواعظ للساكنين عن ذلك ، المستغربين عنه ، فإنه خبر عجيب ، يستحق أن يستخبر عنه ، ( إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ) ، أي : حطوا فينا نظنون : والله ليوسف وأخوه - يعنون بنيامين ، وكان شقيقه لأمه - ( أحب إلى أبينا منا ، ونحن عصبة ) ، أي : سبابة ، فكيف أحب ذينك الاثنين أكثر من الجاهة ، ( إن أبانا لفي ضلال مبين ) ، يعنون في تقديعها علينا ، وعصبه إياها أكثر منا .

واعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف ، وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ، ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك ، وفي هذا نظر . ونحتاج مَدْحِي ذلك إلى دليل ، ولم يذكروا سوى قوله تعالى : ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ، ويعقوب ، والأصفياء ) ، وهذا فيه احتمال ، لأن بطون بني إسرائيل يقال لهم : الأصفياء ، كما يقال للعرب : قبائل ، وللجم : شعوب ، يذكروا تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل ، فذكروهم إجمالا لأنهم كثيرون ، ولكن كل سبط من نسل رجل من إخوة يوسف ، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم ، والله أعلم .

( اتقوا يوسف أو أطرحوه أرضاً نخل لكم وجه أبيكم ) ، يقولون : هذا الذي يرأسكم في حجة أبيكم لكم ، أعدوه من وجه أبيكم ، ليخلف لكم وحكمكم ، إما بأن تقتلوه ، أو تلحقوه في أرض من الأرض — تسميها منه ، وتغفلوا أنهم بابيكم ، وتكونوا من بعد إعداده قوماً صالحين : فأضمرُوا التوبة قبل الذنب ( قال قائل منهم ) — قال قتادة ، وعبد بن إسحاق : كان أكرمهم واسمه روييل .

وقال السدي : الذي قال ذلك يهوذا ،

وقال جاهد : هو شمعون (١) .

( لا تقتلوا يوسف ) ، أى : لا تصيّلوا فى عدائلوته وبقضه إلى قتله ، ولم يكن لهم سبيلٌ إلى قتله ، لأن الله تعالى كان يريد منه أمرا لا بدّ من إضاّته وإتمامه ، من الإيحاء إليه بالنيّوة ، ومن التمكن له ليلاّد مصر والحكم بها ، لفصّر فهم الله هته عقالة رويّل فيه وإشارته عليهم بأن يلقّوه فى خيابة الجيب ، وهو أسفله .

**قال قتادة : وهي بئر بيت المقدس .**

( يلتقطه بعض السهارة ) ، أى : المارة من المسافرين ، فتمسكوا منه بهذا ، ولا حاجة إلى قتله ،

(١) هذه الآثار المتبقية في تفسير الطبري : ١٥/١٠٦٤ ، ١٠٦٥ .



(إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ، أى : إِنْ كُنْتُمْ عَازِمِينَ عَلَى مَا تَقُولُونَ .

قال محمد بن إسماعيل بن يسار : لقد اجتمعوا على أمر عظيم ، من قطعية الرحم ، وعقوق الوالد ، وقلة الرأفة بالصغير الفترج (١) الذى لا ذنب له ، وبالكبير الفانى ذى الحق والحكمة والفضل ، وخطره عند الله ، مع حق الوالد على ولده ، ليفرقا بينه وبين ابنه وحبيه ، على كبر سنه ، ورفقة عظمه ، مع مكانته من الله فيمن أحبه طفلاً صغيراً ، وبين أبيه على ضعف قوته وصغر سنه ، وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه ، بغير الله لم وهو أرحم الراحمين ، فقد احتملوا أمراً عظيماً .

رواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن الفضل ، عنه .

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِيحُونَ ﴿٢٠﴾ أَرْسَلَهُ مَعَا قَدَّ يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْفُكُونَ ﴿٢١﴾

لما تواطأوا على أخذه وطرحه في البئر ، كما أشار عليهم أخوه الكبير رؤيل ، جاءوا أباهم يعقوب عليه السلام ، فقالوا : يَا أَبَانَا ، مالك (لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون) ، وهذه توفطة وسلف ودعوى ، وهم يريدون خلاف ذلك ، لما له في قلوبهم من الحسد لطلب أبيه له ، (أرسله معنا) ، أى : ابنته معنا ، (غدا نرتع ونلعب) — وقرأ بعضهم بالياء : (يرتع ويلعب) .

قال ابن عباس : يسمى وينشط (٢) . وكذا قال قتادة ، والضحك والسلى ، وغيرهم .  
(وإنا له لنافلون) ، يقولون : ونحن نحفظه ونحوطه من أهلك .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ

يقول تعالى خبراً عن نبيه يعقوب أنه قال لبنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء : (إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ) ، أى : يشق على مفارقتي مدة ذهابكم به إلى أن يرجع ، وذلك لقرط مجته له ، لما يتوسم فيه من الخير العظيم ، وشبائل النبوة والكمال في الخلق والخلق ، صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله : (وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) ، يقول : وأخشى أن تشتغلوا عنه برميكم وزحيتكم فيأتيه ذئب فيأكله وأنتم لا تشعرون ، فأنفلوا من فقه هذه الكلمة ، وجعلوها عليهم فيما فعلوه ، وقالوا مجيبين عنها في الساعة الراحنة : (لَنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ) ، يقولون : لئن علنا عليه الذئب فأكله من بيتنا ، ونحن جماعة ، إنا إذاً ظالمون عاجزون .

(١) هرج — يفتع فتم — شفت ، فهو هرج — يفتحين — أى : شفيف .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٨١٤ : ٥٧٠/١٥ .

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهَا لَيْسُوا فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى : فلما ذهبت به إسرته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك ، ( واجمعوا أن يعملوا في غيبة الجب ) ، هذا فيه تعظيم لما فعلوه أنهم اتفقوا كلهم على إلقائه في أسفل ذلك [ الجب ] ، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهر أنه [ كراماته ] ، وبسطا وشرحا لصدوره ، وإدخالا للسرو عليه ، فيقال : إن يعقوب عليه السلام لما بعث معهم ضمه إليه ، وقبَّله ودحا له ، قال [ السدي ] وغيره : إنه لم يكن بين إكرامهم له وبين إظهار الأذى له ، إلا أن خابرا عن عين أبيه وتواروا عنه ، ثم شرعوا يؤذونه بالقول ، من شتم ونحوه ، والقفل من ضرب ونحوه ، ثم جاءوا به إلى ذلك الجب الذي اتفقوا على رميه فيه فربطوه بحبل ودلوه فيه ، فجعل إذا لجأ إلى واحد منهم لطمه وشتمه ، وإذا تشبَّت بحافات البئر ضربوا على يديه ، ثم قطعوا به الحبل من نصف المسافة ، فسقط في الماء فغمره ، فصعد إلى صخرة تكون في وسطه ، يقال لها الرافضة ، فقام فوقها .

قال تعالى : ( وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ) ، يقول تعالى ذكرنا لطفه ورحمته وعاملته وإزاله اليسر في حال العسر : إنه أوحى إلى يوسف في ذلك الحال الضيق ، تطييبا لقلبه ، وتثبيتا له : إنك لا تحزن بما أنت فيه ، فإن لك من ذلك فرجا وخرجا حسنا ، وميسرك الله عليهم ، ويعطيك ويرفع درجتك ، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصنيع .

وقوله : ( وهم لا يشعرون ) - قال قتادة : ( وهم لا يشعرون ) بأمر الله إليه .

وقال ابن عباس : متنبئهم بصنيعهم هذا في حلق ، وهم لا يعرفونك ، ولا يستشعرون بك ، كما قال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، سمعت ابن عباس يقول : لما دخل إخوة يوسف على يوسف فعرفهم وهم له منكرون ، قال : جيء بالصواع (١) ، فوضعه على يده ، ثم قرءه فطن ، فقال : إنه ليخبرني هذا الجام (٢) : أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف ، يدينه دونكم ، وأنكم انطلقتم به فالتفتوه في غيابه الجب - قال : ثم قرءه فطن - فأتيت أباكم فقلتم : إن اللبب أكله ، وجئتم على قميصه بدم كذب - قال : فقال بعضهم لبعض : إن هذا الجام ليخبره خبركم : قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا ترى هذه الآية نزلت إلا فيهم ، لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون (٣) .

(١) الصواع : كذا يقال به .

(٢) الجام : إله من ألسنة .

(٣) تفسير الطبري ، الآخر : ١٨٨٤ : ١٥٧٦/١٥ ، ٥٧٧ .

وَجَاءَ أَبَاهُمْ عِشَاهُ يَسْكُونُ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا بَنَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنِعِنَا فَاكُلْ هَذَا ذَنْبٌ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِمِزْكَلٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرْ بِهِمْ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى غير أن الذي اعتمده إخوة يوسف بعد ما ألقوه في غيابة الجب : أنهم رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل يكون ، ويظهرون الأسف والجزع على يوسف ويتغصمون لأبيهم ، وقالوا متغصنين عما وقع فيا زعموا : (إنا ذهبنا نستقي) ، أي : نرأى ، (وتركنا يوسف عند متاعنا) ، أي : ثيابنا وامتعتنا ، (فاكله الذئب) ، وهو الذي كان جثثه منه ، وحلر عليه .

وتوهم : (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) ، تلطف عظيم في تقرير ما يحاولونه ، يقولون : ونحن نعلم أنك لاتصدقنا - والحالة هذه - لو كنا عندك صادقين ، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك ، لأنك خشيت أن يأكله الذئب ، فأكله الذئب ، فأنت معلوم في تكلييك لنا ، لغرابية ما وقع ، وعجيب ما اتفق لنا في أمرنا هذا .

(وجاموا على قميصه بدم كلب) ، أي : مكنوب مفرى . وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالأوا عليه من المكيدة ، وهو أنهم حملوا إلى سَخْلَةِ (١) - فيا ذكره مجاهد ، والسدى ، وغير واحد - فلبسوها ولطخوا ثوب يوسف بهما ، موهين أن هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب ، وقد أصابه من دمه ، ولكنهم نسوا أن يخرقوه ، فلعلنا لم يبرح هذا الصنيع على نبى الله يقرب ، بل قال لهم معرضاً عن كلامهم إلى ما وقع في نفسه من تمالئهم عليه : (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) ، أي : فما صبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي قد اتفقتم عليه ، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه ، (والله المستعان على ما تصفون) ، أي : على ما تذكرون من الكلب والخال .

وقال الثوري ، عن سالك ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (وجاموا على قميصه بدم كلب) ، قال : لو أكله السبع لخرق القميص (٢) . وكذا قال الشعبي ، والحسن ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال مجاهد : الصبر الجميل : الذي لا جرح فيه (٣) .

وروى هشيم ، عن عبد الرحمن بن يحيى ، عن حبان بن أبي جبيكة قال : مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : (فصبر جميل) ، فقال : صبر لاشكوى فيه : وهذا مرسل (٤) .

وقال عبد الرزاق : قال الثوري عن بعض أصحابه أنه قال : ثلاث من الصبر : أن لا تحبث بوجهك ، ولا يصبحتك ، ولا تتركى نفسك (٥) :

(١) المسئلة : وله ثلاثة من المذوقين ، ذكرها كان أو أنى .

(٢) تفسير الطبري : الآثار ١٨٨٥١ - ١٨٨٥٣ - ١٨٨٥٤ : ١٥ / ٨٠ .

(٣) تفسير الطبري : الآثار ١٨٨٦٧ - ١٨٨٦٨ : ١٥ / ٨٤ .

(٤) حبان بن أبي جيلة يروى عن عمرو بن الحارث ، وابنه عبد الله بن عمرو . ينظر الخلاصة .

(٥) تفسير الطبري : الآثار ١٨٨٧٨ - ١٨٨٧٩ : ١٥ / ٨٥ .

وذكر البخاري ما هنا حديث عائشة رضي الله عنها في الإلف حتى ذكر قولها : والله لا أجد في ولكم مثلاً إلا أبا يوسف ، (تصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (١)).

وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرىَ هَذَا عَظِيمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً ۖ وَاللَّهُ عَظِيمٌ بِمَا يُعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾  
وَسَرُّهُ وَمِنْهُنَّ بِحَسْبٍ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْآزْهَرِينَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ضرباً عما جرى ليوسف عليه السلام ، حين ألقاه إخوته ، وتركوه في ذلك الجب فريداً وحيداً ، فكث في البئر ثلاثة أيام - فيما قاله أبو بكر بن حبان :

وقال محمد بن إسحاق : لما ألقاه إخوته جلسوا حول البئر يومهم ذلك ، ينتظرون ما يصنع وما يُصنع به ، فساق الله له سياراً ، فترلوا قريباً من تلك البئر ، وأرسلوا واردهم - وهو الذي يتطلب لهم الماء - فلما جاء تلك البئر ، وأدلى دلوه فيها ، تشبث يوسف عليه السلام فيها ، فأخرجه واستبشر به ، وقال : (يا بشرى هذا غلام) .

وقرأ بعض القراء : (يا بشرى) ، فزعم السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه ، معلماً له أنه أصاب غلاماً ؛ وهذا القول من السدي غريب ، لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس ، والله أعلم ؛ وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى ، ويكون قد أضاف البشري إلى نفسه ، وحلف يام الإضافة وهو يريد بها ، كما تقول العرب : «بأنفس أصبري» ، و«يا غلام أبله» ، بحلف حرف الإضافة ، ويجوز الكسر حيثل والرفع ، وهذا منه ، وتفسرها القراءة الأخرى (يا بشرى (٢)) ، والله أعلم .

وقوله : (وأسروه بضاعة) ، أي : وأسره الواردون من بقية السيارة وقالوا : اشتريناه وتبضعناه من أصحاب الماء حفاظاً أن يشاركهم فيه إذا علموا خبره . قاله جاهد ، والسدي ، وابن جرير ، هذا قول .

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (وأسروه بضاعة) ، يعني إخوة يوسف ، أسروا شأنه ، وكنتم أن يكون أعانهم وكنم يوسف شأنه حفاظاً أن يقتله إخوته ، واختار البيهقي . فذكره إخوته لوارد القوم ، فنادى أصحابه : (يا بشرى : هذا غلام) ، يعان : فإخاه إخوته (٢) .

وقوله : (والله عليم بما يعملون) ، أي : يعلم ما يفعله إخوة يوسف ومشترهه ، وهو قادر على تغيير ذلك ودفعه ، ولكن له حكمة وقدّر سابقاً ، فترك ذلك ليمضي ما قدره وقضاه ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين

وفي هذا تعريض لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلام له بأنّي عالم بأذى قولكم ، وأنا قادر على الإنكار عليهم ، ولكنني سأملئ لهم ، ثم أجعل لك العاقبة والحكم عليهم ، كما جعلت ليوسف الحكيم والعاقبة على إخوته .

(١) البخاري ، تفسير سورة يوسف : ٩٦٪٦ .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ١٨٪١٦ ، ١٩ ، والمحجب لابن جني : ٣٣٦٪١ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٥٩٠٪٥ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٥٥٩٨ ، ١٩٪١٦ .

وقوله : ( وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ) ، يقول تعالى : وباعه إخوته بثمان قليل ، قاله جاهد وصكرمة .  
والبخس : هو النقص ، كما قال تعالى : ( فلا يخاف جنساً ولا رحمة ) (١) ، أى : اعتاض عنه إخوته بثمن دُون قليل ، وكانوا مع ذلك فيه من الزاهدين ، أى : ليس لهم رغبة فيه ، بل لو سألوه بلائىء لأجابوا .  
قال ابن عباس ، وجاهد ، والضحالك : إن الضمير فى قوله : ( وشروه ) عائد على إخوة يوسف .

وقال قتادة : بل هو عائد على السيارة .  
والأول أقوى ، لأن قوله : ( وكانوا فيه من الزاهدين ) ، إنما أراد إخوته ، لأولئك السيارة ، لأن السيارة استبشروا به وأمسروه بفساحة ، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه ، فرجح من هذا أن الضمير فى ( وشروه ) إنما هو لإخوته .

وقيل : المراد بقوله : ( بخس ) الحرام . وقيل : النظم . وهذا وإن كان كذلك ، لكن ليس هو المراد هنا ، لأن هذا معلوم يعرفه كل أحد أن ثمنه حرام على كل حال ، وعلى كل أحد ، لأنه نبي ابن نبي ، ابن نبي ، ابن خليل الرحمن ، فهو الكريم ، ابن الكريم ، ابن الكريم . وإنما المراد هنا بالبخس الناقص أو الزيف أو كلاًهما ، أى : إنهم إخوانه ، وقد باعوه ومع هذا بأنقص الأثمان ، ولهذا قال : ( دراهم معدودة ) ، فعن ابن مسعود باعوه بشرين درهماً (٢) وكذا قال ابن عباس ، ونوف البكالى ، والسدى ، وقاتدة ، وعطية العوفى وزاد : اقتسموها درهمين درهمين .

وقال جاهد : اثنان وعشرون درهماً .  
وقال محمد بن إسحاق وصكرمة : أربعون درهماً .  
وقال الضحالك فى قوله : ( وكانوا فيه من الزاهدين ) ، وذلك أنهم لم يعلموا بوليه ومثله عند الله عز وجل .  
وقال جاهد : لما باعوه جعلوا يتبعونهم ويقولون لهم : استوثقوا منه لا يأبى حتى وفقره بمصر ، قال : من يتابعه وليشتر (٣) ؟ فاشتراه الملك ، وكان مسلماً .

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَةٍ أُكْرِمَىٰ مَثْوًىٰهُ صَبِيحَ أَنْ يَبْعَهُ أََوْ يَقْتُلَهُ وَأَكْبَا وَكَذَلِكَ سَكَّرَ لِيُؤْسَفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾

يُخبر تعالى بألطافه بيوسف عليه السلام أنه قبض له الذى اشتراه من مصر ، حتى اعتنى به وأكرمه ، وأوصى أمه به ، وتوسم فيه الخير والفلاح ، فقال لامرأته : ( أكرى مَثْوَاهُ صَبِيحَ أَنْ يَبْعَهُ أََوْ يَقْتُلَهُ وَلَمَّا ) ، وكان الذى اشتراه من مصر عزيزها ، وهو الوزير بها . [ قال (K) العوفى : عن ابن عباس : وكان اسمه قطيفر .

(١) سورة الجن ، آية : ١٣ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٨٩٢٠ : ١٨٩٢١ : ٢١ / ١٦ .

(٣) بشر بكذا يشير : مثل فرح يفرح وفرح وسنى ، وهو الاستبشار أيضاً .

(٤) ما بين القوسين يياض فى المخطوطة .

وقال محمد بن إسحاق : اسمه إسحق بن روحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، وكان الملك يومئذ ،  
الريان بن الوليد ، رجل من الصالحين - قال : واسم امرأته راحيل بنت رحايل (١).  
وقال غيره : اسمها زليخا .

وقال محمد بن إسحاق أيضاً ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : كان الذي باعه بمصر مالك  
ابن دهر بن بؤيب بن عتق بن مديان بن إبراهيم ، فآله أعلم .

وقال أبو إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ابن مسعود أنه قال : أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال  
لامرأته ( أكرمي مثواه ) ، والمرأة التي قالت لأبيها : ( يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين ) ، وأبو بكر  
الصديق حين استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (٢) .

يقول تعالى : وكما أقمنا يوسف من إخوته ، ( كذلك مكنا يوسف في الأرض ) ، يعني بلاد مصر ، ( ولنعلمه  
من تأويل الأحاديث - قال مجاهد والسدي : هو تعير الرؤيا ) ، ( والله غالب على أمره ) ، أي : إذا أراد شيئاً فلا يرد  
ولا مانع ولا مخالف ، بل هو الغالب لما سواه .

قال سعيد بن جبير في قوله : ( والله غالب على أمره ) ، أي : ضال لما يشاء .

وقوله : ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ، يقول : لا يدرون حكمته في خلقه ، وتلقفه لما يريد .

وقوله : ( ولا يبلغ ، أي : يوسف عليه السلام ) ( أشده ) ، أي : استكمل عقله ، وتم خلقه ، ( أتيناها حكماً وعلماً )  
يعني النبوة ، إنه جاهد بها بين أولئك الأقوام ، ( وكذلك نجزي المحسنين ) ، أي : إنه كان حسناً في عمله ، عاملاً بطاعة ربه تعالى ،  
وقد اضطر في مقدار المدة التي بلغ فيها أحده ، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة : ثلاث وثلاثون . وعن ابن  
عباس : بضع وثلاثون ؛ وقال الضحاك : عشرون . وقال الحسن : أربعون سنة ؛ وقال صكرمة : خمس وعشرون  
سنة ؛ وقال السدي : ثلاثون سنة ؛ وقال سعيد بن جبير : ثمان عشرة سنة ؛ وقال الإمام مالك ، وربيعة ، وزيد بن أسلم ،  
والشعبي : الأشد الحلم ، وقيل : خير خلق ، والله أعلم .

وَرَوَدَهُ الْوُفَىٰ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَظَلَّتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ  
مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾

يعبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها عصر ، وقد أوصاها زوجها به وإكرامه [ ورواه (٣) ] التي  
هو في بيتها (عن نفسه) ، أي : حاولته على نفسه ، ودعته إليها ، وذلك أنها أحبه حباً شديداً لجمالها وحسنه وبهاؤه ،  
فحملها ذلك على أن تجملت له ، وظلمت عليه الأبواب ، ودعته إلى نفسها ، ( وقالت : هيت لك ) ، فامتنع من ذلك  
أشد الامتناع ، ( وقال : معاذ الله ) ، إنه (رفي) وكانوا يطلقون « الرب » على السيد والكبير ، أي : إن بملك ربي أسن  
مثنواي ، أي : منزلي وأحسن لي ، فلا أقابله بالفاخرة في أملي ، ( إنه لا يفلح الظالمون ) ، قال ذلك مجاهد ، والسدي ،  
ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم .

(١) ينظر تفسير الطبري : الآثار ١٨٩٤٢ ، ١٨٩٤٤ ، ١٧/١٦ ، ١٨ .

(٢) تفسير الطبري : الآثار ١٨٩٠١ ، ٢١/١٦ .

(٣) ما بين القوسين سقط من المخطوطة ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وقد اختلف القراء في قراءة : (هَيْتَ لَكَ) ، قرأه كثيرون بفتح الميم ، وإسكان الباء ، وفتح التاء ، وقال ابن عباس . ومجاهد ، وغير واحد : معناه أنها تدعوه إلى نفسها . وقال علي بن أبي طلحة ، والسير ، عن ابن عباس : (هَيْتَ) لَكَ ، تقول : هلمْ لَكَ . وكذا قال زَيْد بن حنبل ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، قال عمرو بن حُيَيد ، عن الحسن : وهي كلمة بالسريانية ، أي : عليك ؛ وقال السدي : (هَيْتَ لَكَ) ، أي : هلمْ لَكَ ، وهي بالقطيعة ، وقال مجاهد : هي لغة حَرَبِيَّة تدعو بها .

وقال البخاري : وقال عكرمة : (هَيْتَ لَكَ) هَكَمْ لَكَ بِالْحَوَازِيَّةِ(١) ؛ هكذا ذكره معلقاً ، وقد أسنده الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثني أحمد بن سُهَيْل الواسطي ، حدثنا قرة بن عيسى ، حدثنا النضر بن حربي الجَزَرِي ، عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله : (هَيْتَ لَكَ) ، قال : هلمْ لَكَ — قال : هي بالحَوَازِيَّةِ(٢) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكان الكسائي يحكي هذه القراءة — يهَيِّتُ لَكَ — ويقول : هي لغة لأهل حوران ، ونقلت إلى أهل الحجاز ، متاعاً متال . وقال أبو عبيد : سألت شيخاً حاكماً من أهل حوران ، فذكر أنها لغتهم يعرفونها .

واستشهد الإمام ابن جرير على هذه القراءة بقول الشاعر لعل بن أبي طالب رضي الله عنه :

أُبَلِّغُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخَا الْعِرَاقِ إِذَا أَتَيْتَنَا  
إِنَّ الْيَرِاقَ وَأَهْلَهُ حَقٌّ إِلَيْكَ فَهَيْتَ هَيْتَا

يقول : فقال واقترب(٣)

وقرأ ذلك آخرون : (هَيْتُ لَكَ) ، بكسر الميم والميمزة ، وضم التاء ، بمعنى تهيأت لك ، من قول القائل : هت للأمر أمي هَيْتَ . ومن روى عنه هذه القراءة ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو ولال ، وعكرمة ، وقتادة ، وكلهم يفسرها بمعنى تهيأت لك .

قال ابن جرير : وكان أبو عمرو والكسائي يكرران هذه القراءة . وقرأ عبد الله بن إسحاق : (هَيْتَ) ، بفتح الميم وكسر التاء . وهي غريبة .

وقرأ آخرون ، منهم عامة أهل المدينة (هَيْتُ) ، بفتح الميم ، وضم التاء ، وأنشد قول الشاعر :

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْلَعِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَثِيرَةِ : هَيْتُ(٤)

(١) البشاري ، تفسير سورة يوسف : ٩٦/٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٩٧٢ : ٢٦/١٦ .

(٣) تفسير الطبري : ٢٥/١٦ ، والمختص لآين جني : ٣٣٧/١ ، وصح إلك : ماثلون إلك .

(٤) تفسير الطبري : ٣٠/١٦ ، ونسب البيت فيه لطرفة بن العبد .

قال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري ، عن أنس ، عن عائشة ، عن أبي وائل قال : قال ابن مسعود : قد سمعت النَّبِيَّ ﷺ قَسَمَ لَهُمْ مَقَارِبِينَ ، فَأَقْرَعُوا كَمَا عَسَمْتُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْتِنَطَعُ وَالْإِخْتِلَافُ ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ : « هَلُمُّوا وَتَعَالَوْا » . ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ ( هَيْتُ لَكَ ) ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّ نَاسًا يَقْرَعُونَهَا : ( هَيْتُ ) ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنِّي أَقْرَأُهَا كَمَا عَسَمْتُ ، أَحِبُّ إِلَى (١) .

وقال ابن جرير : حدثني ابن وكيع ، حدثنا ابن عيينة ، عن منصور ، عن أبي وائل قال : قال عبد الله : ( هَيْتُ لَكَ ) ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَقٌ : إِنَّ نَاسًا يَقْرَعُونَهَا ( هَيْتُ لَكَ ) ؟ فَقَالَ : دَعُونِي ، فَإِنِّي أَقْرَأُهَا كَمَا أَقْرَأْتُ ، أَحِبُّ (٢) إِلَى .

وقال أيضاً : حدثني المنفي ، حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شعبة ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : ( هَيْتُ لَكَ ) يَنْتَسِبُ الْمَاءُ وَالنَّاءُ وَلَا تُهْمَزُ .

وقال آخرون : ( هَيْتُ لَكَ ) ، بِكسر الميم ، وإسكان الهمزة ، وضم التاء

قال أبو عبيدة معمر بن المنفي : « هَيْتُ » لَا تُنْثَى وَلَا تُجْمَعُ وَلَا تُؤَنَّثُ ، بِلِ غَاظِلِ الْجَمْعِ بِفَتْحٍ وَاحِدٍ ، يُقَالُ : هَيْتُ لَكَ ، وَهَيْتُ لَكَ ، وَهَيْتُ لَكُمْ ، وَهَيْتُ لَكُمْ ، وَهَيْتُ لَكُمْ .

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بِرَهْمَنٍ رِيَّةً كَذَلِكَ لَنَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ لَوْلَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْسِنِينَ (٣)

اختلفت أقوال الناس وعباراتهم في هذا المقام ، وقد روى عن ابن عباس ، وعبد بن جابر ، وعائشة من السلف في ذلك ما ذكره ابن جرير (٣) وغيره ، والله أعلم .

وقال بعضهم : المراد بهمه بها هَمَّ خَطَرَات ، حديث النفس . حكاه البيهقي عن بعض أهل التحقيق ، ثم أورد البيهقي ما هنا حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَاتَّكِبْهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكِبْهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاتَّكِبْهَا حَسَنَةً ، فَإِنَّمَا تَرْكُهَا مِنْ جَرَّائِي ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكِبْهَا بِمِثْلِهَا » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين (٤) ، وله ألفاظ كثيرة هذا منها .

وقيل : هم بضربها : وقيل : تمنّاها زوجة . وقيل : ( هم بها لَوْلَا أَنَّ رَأَى بِرَهْمَنٍ رِيَّةً ) ، أَي : فَلَمْ يَهْمُ بِهَا .

وفي هذا القول نظر من حيث العربية ، ذكره ابن جرير (٥) وغيره :

وأما البرهان الذي رأه ففيه أقوال أيضاً فمن ابن عباس ، وعبد بن جابر ، وعبد بن سيرين ، والحسن ، وقادة ، وأبي صالح ، والضحك ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهم : رأى صورة أبيه يعقوب عليه السلام حاضاً على أصبهه

بقمه .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٨٩٩٨ : ٣٠/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٠٠٠ : ٣١/١٦ .

(٣) ينظر تفسير الطبري ، ٣٠/١٦ - ٣٩ .

(٤) البهاري ، كتاب التوسيد : ١٧٧/٩ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : « إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كَتَبَتْ لَهُ ... » : ٨٢/١ .

(٥) تفسير الطبري ، ٣٨/١٦ : ٣٩ .



وقيل عنه (١) في رواية : فقرب في صدر يوسف .

وقال الصوقي ، عن ابن عباس : رأي خيال للملك ، يعني سيده ، وكلما قال محمد بن إسحاق ، فيا حكاكاه من بعضهم ؛ إنما هو خيال إيطير سيده حين دنا من الباب .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع ، عن أبي مودود ، سمعت من محمد بن كعب القرظي قال : رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت ، فإذا كتاب في حائط البيت : ( لا تقربوا الزنا ، إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ) (٢) وكلما رواه أبو يعشر الملقب ، عن محمد بن كعب .

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرني نافع بن يزيد ، عن أبي صخر قال : سمعت القرظي يقول في « البرهان » الذي رأى يوسف : ثلاث آيات من كتاب الله ، ( إن عليكم لحافظين ) : الآية ، وقوله ( وما تكون في شأن ) : الآية وقوله : ( أفن هوام كل نفس بما كسبت ) — قال نافع : سمعت أبا جلال يقول مثل قول القرظي ، وزاد آية رابعة ( ولا تقربوا الزنا ) (٣) .

وقال الأوزاعي : رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك .

قال ابن جرير : والصواب أن يقال : إنه رأى من آيات الله ما زجره عما كان همّ به ، وجاز أن يكون صورة يعقوب ، وجاز أن يكون [ صورة ] الملك ، جاز أن يكون ما رآه مكتوباً من الزجر عن ذلك ، ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك ، فالصواب أن يطلق كما قال الله تعالى

قال : وقوله : ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ) ، أي : كما أريناه برهانا صرفه عما كان فيه ، كذلك نفيه السوء والفحشاء في جميع أموره (٤) .

( إنه من عبادنا الصالحين ) ، أي : المجتنبين للطهريين المختارين المصطفين الأخيار ، صلوات الله وسلامه عليه

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَرُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۖ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَيْصَرُ قَدْ مِنْ قَبْلِي فَصَدَّقَتْ وَهُومِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَيْصَرُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُومِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَيْصَرُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٥٩﴾

غير تعالى عن حالها حين خرجا يستيقنان إلى الباب ، يوسف هارب ، والمرأة تطلبه ليرجع إلى البيت ، فلحقته في أثناء ذلك ، فأمسكت بقميصه [ من وراءه ] فشدته قدماً فظنبا ، يقال : إنه سقط عنه ، واستمر يوسف هاربا ذاهبا ، وهي

(١) لمه يعني سيد بن جبير ، ينظر الطبري : ٤٦/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٠٨٤ : ٤٧/١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٠٨٧ : ٤٨/١٦ .

(٤) تفسير الطبري : ٤٩/١٦ .

في إثره ، فألقيا سيدها - وهو زوجها - عند الباب ، فعند ذلك خرجت عما هي فيه بحرها وكيلها ، وقالت لزوجها متصلة وقاذفة يوسف بلذها : (ماجزاء من أراد بأهلك سوما ) ، أي : فاشقة ، ( إلا أن يسجن ) ، أي : يحبس ، ( أو عذاب أليم ) ، أي : يضرب ضربا شديدا موحجا . فعند ذلك انتصر يوسف عليه السلام بالحق ، ونبرا عما رمت به من الخيانة ، وقال يارا صادقا : ( هي راودتني عن نفسي ) ، وذكر أنها اتبعته بجلبه إليها حتى قذت قميصه ، ( وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل ) ، أي : من قدماه ، ( فصددت ) ، أي : في قولها إنه أرادها على نفسها ، لأنه يكون لما دعاها وأبت عليه دفعته في صدره ، قذت قميصه ، فيصح ماقلت ، ( وإن كان قميصه قد من دبر ، فكذبت وهو من الصادقين ) ، وذلك يكون كما وقع لما هرب منها ، وتطلبت أسكت بقميصه من ورائه لردة إليها ، فهدت قميصه من ورائه .

وقد اختلفوا في هذا الشاهد : هل هو صقر أو كوبر ، على قولين لعلماء السلف ، فقال عبد الرزاق :

أخبرنا إسرائيل ، عن سهاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ( وشهد شاهد من أهلها ) ، قال : ذو الحية (١)

وقال الثوري ، عن جابر ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس : كان من خاصة الملك . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقادة ، والسدي ، وعبد بن إسحاق : إنه كان رجلا .

وقال زيد بن أسلم ، والسدي : كان ابن مها .

وقال ابن عباس : كان من خاصة الملك .

وقد ذكر ابن إسحاق أن زليخا كانت بنت أخت الملك الريان بن الوليد

وقال الثوري ، عن ابن عباس في قوله : ( وشهد شاهد من أهلها ) ، قال : كان صبيا في المهد . وكذا روى عن أبي هريرة ، وهلال بن يساف ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، والضحاك بن مزاحم : أنه كان صبيا في الدار . وإنصاره ابن جرير (٢)

وقد ورد فيه حديث مرفوع فقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - أخبرني عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف (٣)

ورواه غيره عن حماد بن سلمة ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه قال : « تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة بنت فروع ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج وهيسى بن مريم (٤) »

وقال ليث بن أبي سلم ، عن مجاهد : كان من أمر الله ، ولم يكن إنسيا . (٥) وهذا قول غريب (٦)

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩١١١ : ٥٦/١٦ .

(٢) تفسير الطبري : ٥٩/١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر : ١٩١٠٨ : ٥٥/١٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر : ١٩٠٩٩ : ٥٤/١٦ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ١٩١٣٣ : ٥٩/١٦ .

(٦) ومن وجوه الترافية فيه أنه غالف تصريح الآية في قوله تعالى : ( وشهد شاهد من أهلها ) ، إذ كيف يكون جنيا ويكون

وقوله : ( فلما رأى قميصه قد من دبر ) ، أى : فلما تحقق زوجها صديق يوسف وكلبها لما قلته ورمته به ، ( قال : إنه من كيدכן ) أى : إن هذا البهت والأطع الذى لطخت عرض هذا الشاب به من جملة كيدكن ، ( إن كيدكن عظيم ) ، ثم قال أمرا ليوسف عليه السلام بكيان ملوقع : يا ( يوسف ، أعرض عن هذا ) ، أى : اضرب عن هذا صفحا ، فلا تذكره لأحد ، ( واستغفري للذنبك ) ، يقول لامرأته وقد كان لين المريكة سهلا ، أو أنه علمها ، لأنها رأت مالا صبر لها عنه ، فقال لها : ( استغفري للذنبك ) ، أى : الذى وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ، ثم قلده به هو هو يرى منه استغفري من هذا الذى وقع منك ، ( إنك كنت من الخاطئين )

﴿ وَقَالَ يَسُوۡةُ فِي الْمَدِيۡنَةِ اٰمْرَاۡتُ الْعَزِيۡزِ تَرْجُوۡنَ فِتْنَتَهَا عَنْ نَفْسِهٖۭ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا اِنَّا لَنَرٰنِهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِيۡنٍ ۝۱۱ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهٖۡ اَرْسَلَتْ اِلَيْهِنَّ وَاَعْلٰتُ لَهُنَّ مُّكْتٰفٍ وَاَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرِجُنَّ طَيِّبٰتٍ مِّنْ اٰيٰتِهِنَّ اَكْبَرَهُۥ وَقَطَعْنَ اٰيٰتِهِنَّ وَقُلْنَ حٰشَ لِّهٖۡ مَا هٰنَا بَشَرًا اِنْ هٰذَا اِلَّا مَكْرٌ كَرِيۡمٌ ۝۱۲ قَالَتْ فَاٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِيۡ فِيْهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُۥ عَنْ نَفْسِهٖۡ فَاسْتَعْصَمَ وَلَٰكِن لَّا يَفْعَلُ مَا يُهْمُرُ لِبُسْجَنٍ وَيَكُوۡنٰنَ مِنَ الصَّٰغِرِيۡنَ ۝۱۳ قَالَ رَبِّ اٰتِنِيۡ حُسْبًا اِلٰى مَا يَدْعُوۡنِيۡ اِلَيْهٖ وَاِلَّا تَعْرِفْ عَنِّي كَيْدُنَّ اَصْحٰبُ الْاَيْمٰنِ وَاُنَّ مِنَ الْاٰتِلَافِيۡنَ ۝۱۴ فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيۡمُ ۝۱۵﴾

يبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة ، وهى مصر ، حتى تحدث الناس به ، ( وقال سورة في المدينة ) مثل نساء الأمراء الكبراء يكرهن على امرأة العزيز ، وهو الوزير ، ويعين ذلك عليها : ( امرأة العزيز تروود فتاها عن نفسه ) ، أى : تحاول غلامها عن نفسه ، ولادعهه إلى نفسها ، ( قد شغفها حبا ) ، أى : قد وصل حبه إلى شغاف قلبها ، وهو خلافة .

قال الفصحاء عن ابن عباس : الشَّتَفَ : الحب القاتل ، والشَّتَفَ دون ذلك ، والشغاف حجاب القلب

( إننا نراها في ضلال مبين ) ، أى : في صنيها هذا من حيا فتاها ، ومروودها إياه عن نفسه

( فلما سمعت بمكرهن ) ، قال بعضهم : بفوحن . وقال محمد بن إسحاق : بل بكتهن حش يوسف ، فأحببن أن يريته ، قلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته ، فعند ذلك ( أرسلت إليهن ) ، أى : دعتهن إلى منزلها تصفين ( وأعلنت فغن مكنا )

قال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعلماء ، والحسن ، والسدى ، وغيرهم : هو المجلس المد ، فيه مقارن ومخاد وطعام ، فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه . ولهذا قال تعالى : ( وأتت كل واحدة منهن سكيما ) ، وكان هذا مكيدة منها ، ومقابلة لمن في السجن على رؤيته ، ( وقالت : أخرج علينا ) ، وذلك أنها كانت قد شبته في مكان آخر ، ( فلما ) خرج و ( رأته أكبرته ) ، أى : أعظمن شأنه ، وأجلن قدره ، وجعلن يقطعن أيديهن دهنًا برويته ، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين ، والمراد : أنهن حزنن أيديهن بها ، قاله غير واحد .

ومن مجاهد ، وقفاة : قتلن أبيدين حتى ألقينها ، فآله أعلم .

وقد ذكر عن زيد بن أسلم أنها قالت لمن بعدما أكلن وطابت أنفسهن ، ثم وضعت بين أيديهن أنرجا ، وآتت كل واحد منهن سكيناً : هل لكن في النظر إلى يوسف ؟ قلن : نعم . فبعثت إليه نأمره أن يخرج إليهن ، فلما رأيته جعلن يقطعن أبيدين ، ثم أمرته أن يرجع فرجع ليربته مقبلاً ومدبراً ، وهن يحزنن في أبيدين ، فلما أحسن بالأم جعلن يولولن ، فقالت : أئن من نظرة واحدة فعلتن هكذا ، فكيف ألام أنا ؟ ( قتلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ) ، ثم قلن لها : وما نرى عليك من لوم بعد الذي رأينا ، لأنن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريباً منه ، فإنه — صلوات الله عليه وسلم كان قد أعطى شطر الحسن ، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإسراء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة ، قال : « فإذا هو قد أعطى شطر الحسن (١) »

وقال حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطى يوسف وأمه شطر الحسن (٢) وقال سفيان الثوري ، [ عن أبي إسحاق ] ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود قال : أعطى يوسف وأمه لث الحسن (٣) .

وقال أبو إسحاق أيضاً ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله قال : كان وجه يوسف مثل البرق ، وكانت المرأة إذا أتته حاجة خضعت وجهه عذافة أن تفتن به .

ورواه الحسن البصري مرسل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أعطى يوسف وأمه لث حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين — أو قال : أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث (٤) »

وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد عن ربيعة الجعفي قال : قسم الحسن نصفين ، فأعطى يوسف وأمه سارة نصف الحسن . والنصف الآخر بين سائر الخلق .

وقال الإمام أبو القاسم السهلي : معناه أن يوسف كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، فإن الله خلق آدم بيده على أكل صورة وأحسنها ، ولم يكن في ذريته من يوازيه في جماله ، وكان يوسف قد أعطى شطر حسنه .  
فلها قال هؤلاء النسوة عند رؤيته : ( حاش لله ) — قال مجاهد وغير واحد : معاذ الله ، ( ما هذا بشراً ) — وقرأ بعضهم : ( ما هذا بشري ) أي : عشتري (٥)

( إن هذا إلا ملك كريم ) قالت فذلك الذي لحنني فيه ، تقول هذا معتبرة إليهن بأن هذا حقيق بأن يحب لجماله وكأله .

(١) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب : الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وقرع السموات ١٠٠/١٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٢٨ : ٨٠/١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٢٧ : ٨٠/١٦ . وما بين القوسين منه .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٢٩ : ٨٠/١٦ .

(٥) تفسير الطبري عن أبي الحويرث الحنفي : ٨٤/١٦ . و ( شري ) : بكسر الشين وفتح الراء مثولة .

(ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) ، أى : فامتنع : قال بعضهم : لا وأين جلاله الظاهر ، أخبرنا بصفاته الحسنة التى تحفى عنهن ، وهى العفة مع هذا الجلال ، ثم قالت تتوعد : (ولئن لم يفعل ماأمره ليجزن وليكونا من الصاغرين) ، فعند ذلك استأذ يوسف عليه السلام من شرهن وكيدهن ، و : قال : رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ، أى : من الفاحشة ، (ولا تصرف حتى كيدهن أصب إليهن) أى : إن وكلتنى إلى نفسى ، فليس من نفسى قنوة ، ولا أملىك لما ضرا ولا نفعا إلا بحورك وقهرتك أنت المستعان وحليك التكلان فلا تكنى إلى نفسي .

(أصب إليهن وأكن من الجاهلين) : فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إله المبعث العليم) ، وذلك أن يوسف عليه السلام عصمه الله عصمة عظيمة ، وحام فامتنع منها أشد الامتناع ، واختار السجن على ذلك ، وهذا فى غاية مقامات الكمال : أنه مع شبابه وجماله وكاله تدعوه سيده ، وهى امرأة عزيز مصر ، وهى مع هذا فى غاية الجاهل والمال والرياسة ، ويمتنع من ذلك ، ويختار السجن على ذلك ، عرفنا من الله ورجاء نوابه .

ولهذا ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه : ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه واتفقا عليه ، ورجل تصلى بصلته فأخضاها حتى لا تلم شاله ماأنقفت عينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعه امرأة ذات جلال ومتعصب ، فقال : إني لأعجب الله » (١)

لَمْ يَلْمِ يَلْمُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنُهُمْ هَتَّىٰ حِينَ

يقول تعالى : ثم ظهر لهم من المصلحة فيما راوه أنهم يسجنونه إلى حين ، أى : إلى مدة ، وذلك بعدما عرفوا برأيه ، وظهرت الآيات - وهى الأدلة - على صدقه فى عفته وتزاهته . فكانهم - والله أعلم - إنما يسجنوه لما شاع الحديث إجماعاً أن هذا راودها عن نفسها ، وأنهم يسجنوه على ذلك (٢) . ولهذا لما طلبه الملك الكبير فى آخر المدة ، امتنع من الخروج حتى تبين برأيه مما نسب إليه من الغيابة ، فلما تقرر ذلك خرج وهو نفسى العرض ، صلوات الله عليه وسلامه ، وذكر السدى : أنهم إنما يسجنوه لتلاشي ما كان منها فى جبهه ، وبرأ عرضه فيفرضها .

وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِيتُ أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِيتُ أُحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي

خُبْرًا تَأْكُلُ الْعِلْمَ مِنْهُ نَمِثْنَا بِحَاوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾

قال قتادة : كان أحدهما ساقى الملك ، والآخر خبازه .

قال محمد بن إسحاق : كان أحدهما ساقى على الشراب « نيماء » ، والآخر « جملث » (٣) .

(١) البخارى ، كتاب الأذان ، باب « من جلس فى المسجد ينتظر الصلاة ، وفصل المساجد » : ١٦٨/١ . وسلم : كتاب الزكاة ، باب « فضل إخلاء الصدقة » : ٩٣/٣ .

(٢) سبق أن ذكر المفسر - رحمه الله - أن امرأة العزيز حدثت سيرتها من النساء بصفته ، وأنها أكبرته لذلك ، فكيف يقال : إنهم يسجنوه لمراودته امرأة العزيز عن نفسها . ويبدو لنا أن سجنه إنما كان من أجل إيمانه من امرأة العزيز التى أقسمت أن تحبسه ، أو يترك منها ما تريد .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٦٦ : ٩٥/١٦ .

قال السدي : وكان مبيح حيس للملك إياها أنه توهم أنها عملاً على سمه في طعامه وشرابه

وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجد والأمانة وصدق الخليل ، وحسن السمات وكثرة العبادة ، صلوات الله عليه وسلامه ، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم . ولما دخل هذان القتيلان إلى السجن ، تألفا به - وأحياه حيا شديداً ، وقالوا له : والله لقد أحييناك حيا زائدا . قال : بارك الله فيكما ، إنه ما أحيى أحد إلا دخل على من عيته ضرر ، أحييتني عني فدخل على الضرر بسببها ، وأحييتني بسببه ، وأحييتني امرأة العزيز فكلكت ، قالوا : والله ما نستطيع إلا ذلك ، ثم إنها رأيا مناما ، فرأى الساق أنه يعصر خمرا - يعني عينا - وكلكت هي في قرامة عبد الله بن مسعود ( إلى أرائي أعصر عينا (١) ) . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن يزيد بن هارون ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود : أنه قرأها : (أعصر عينا) .

وقال الضحاك في قوله : ( إلى أرائي أعصر خمرا ) ، يعني عينا - قال : وأهل عمان يسمون العنب خمرا

وقال حكرمة : رأيت فيها يرى التمام أني فرست حبلة من عنب ، فنبئت ، فخرج فيه عنقيد ، فعصر من ثم سقيتهن الملك . قال : تحكث في السجن ثلاثة أيام ، ثم تخرج فتسقيه خمرا ؟ (٢)  
وقال الآخر ، وهو الخباز : ( إلى أرائي أحمل قوي رأسي شيزا تاكل الطير منه ، نبئت بتأويله إنا نراك من المحسنين )  
والمشهور عند الأكثرين ما ذكرناه ، وأنها رأيا مناما وطلبا تعبيرا .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا : حدثنا جرير ، عن عمارة بن القعقاع ، عن إبراهيم ، عن عبد الله قال : مارأى صاحبنا يوسف شيئا ، إنما كانا نحملنا ليجرياً عليه (٣)

قَالَ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تَرْزُقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَتَّبِعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

يخبرها يوسف عليه السلام أنها رآيا في نومها من حلم ، فإنه عارف بتفسيره ويعبرها بتأويله قبل وقوعه ، ولهذا قال : ( لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما )

قال مجاهد : يقول : ( لا يأتيكما طعام ترزقانه ) [ في نومكما ] ، ( إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ) ، وكذا قال السدي  
وقال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا محمد بن يزيد - شيخ له ، عن الحسن بن ثوبان ، عن حكرمة ، عن ابن عباس قال : ما أدري لعل يوسف عليه السلام كان يمتاف (٤) وهو كلكت ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٧٣ : ٩٦ / ١٦ ، ٩٧ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٧٧ : ٩٧ / ١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٢٧٠ : ٩٦ / ١٦ .

(٤) أي : يتنابأ بواسطة علامات يعرف بها ذلك .

لأنى أجد فى كتاب الله حين قال الرجلين : ( لا يأتيناك طعام ترزقناه إلا يأتيناك بتأويله ) - قال : إذا جاء الطعام حلوا لو مرا اختلف عند ذلك . - ثم قال ابن عباس : إنما علم فلعلم : وهذا أثر غريب .

ثم قال : وهذا إنما هو من تعليم الله لى ، لأنى اجتنبت ملة الكافرين بالله واليوم الآخر ، فلا يرجون ثوابا ولا عقابا . فى المعاد ، واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، يقول : هجرت طريق الكفر والشرك ، وسلكت طريق هؤلاء المرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهكذا يكون حال من سلك طريق الهدى ، واتبع المرسلين ، وأعرض عن طريق الظالمين فإنه يهدى قلبه ويعلمه ما لم يكن يعلمه ، ويجعله إماما يقتدى به فى الخير ، وداعيا إلى سبيل الرشاد .

( ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعمل الناس ) ، هذا التوحيد - وهو الإقرار بأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، ( من فضل الله علينا ) ، أى : أوحاه إلينا ، وأمرنا به ( وعمل الناس ) ، إذ جعلنا دعاء لهم إلى ذلك ( ولكن أكثر الناس لا يشكرون ) ، أى : لا يعرفون نعمة الله عليهم بإرسال الرسل إليهم ، بل ( بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار )

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا جبير ، عن عطاء ، عن ابن عباس : أنه كان يعمل الجدايا ، ويقول : والله فى شاة لا عشاء عند الحنجر ، ماذكر الله جددا ولا جدة ، قال الله تعالى - يبنى إخبارا عن يوسف : ( واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب (١) )

يُصْطَفَى السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿١٠﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ مِمَّنْ مَخْلُوعَاتٍ  
أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَزَلَّ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ أَحْسَنَ إِلَهِمْ أَمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ لَكُمْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على التفتين بالمخاطبة ، والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له وتخليع ما سواه من الأوثان التى يعبدونها قوما ، فقال : ( أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ) ، الذى ونى كل شئ بجز جلاله ، وعظمته سلطانه .

ثم بين لهما أن الذى يعبدونها ويسمونها آلهة ، إنما هو جهل منهم ، وتسمية من تلقاها أنفسهم ، لتلقاها حلتهم من سكتهم ، وليس لذلك مستند من عند الله ، ولهذا قال : ( ما أنزل الله بها من سلطان ) ، أى : حجة ولا برهان .

ثم أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله ، وقد أمر عباده قاطبة أن لا يعبدوا إلا إياه ، ثم قال : ( ذلك الدين القيم ) ، أى : هذا الذى أدمركم إليه من توحيد الله ، وإخلاص العمل له ، هو الدين المستقيم ، الذى أمر الله به ،

(١) أخرجه السيوطى فى الدار المشرقة من ابن المنذر وابن أبى حاتم : ١٩٤ .





هذا هو الصواب أن الضمير في قوله : ( فأنساه الشيطان ذكر ربه ) عائدها التاجي ، كما قاله مجاهد ، ومحمد بن إسحاق وغير واحد . ويقال إن الضمير عائده على يوسف عليه السلام ، رواه ابن جرير ، عن ابن عباس ، ومجاهد أيضا ، ونكرمة ، وغيرهم . وأسند ابن جرير ها هنا حديثا فقال :

حدثنا ابن وكيع ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لو لم يقل -- يعني يوسف -- الكلمة التي قال : ما لبث في السجن طول ما لبث ، حيث ينتهي الفرع من عند غير الله (١) .

وهذا الحديث ضعيف جدا ، لأن سفیان بن وكيع ضعيف ، وإبراهيم بن يزيد هو الخواري أضعف منه أيضا . وقد روى عن الحسن وقادة مرسلان عن كل منهما ، وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموضع ، والله أعلم .

وأما البضع ، فقال مجاهد وقادة : هو ما بين الثلاث إلى التسع : وقال وهب بن منبه : مكث أيوب في البلاد سبعين ويوسف في السجن سبعين ، وحذاب يقتصر سبعين (٢) .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : ( فلبث في السجن بضع سنين ) ، قال : ثلثا عشرة سنة ، وقال الضحاك : أربع عشرة سنة :

وَقَالَ أَلَيْكَ إِنَّ أَرَىٰ سَعٍ بَقَرَتْ سِمَانَ يَأْكُلُونَ سَعٍ عِجَافٌ وَسَعٍ سُبُلَيْتٌ خَضِرٌ وَأَنزِلَ يَابِسَتْ نَبَاتُهَا أَلَمْ لَا أَقْتُنِي فِي رُبِّي إِنْ كُنْتُ لِلرُّبُوبِ مُعْبُودًا ﴿١٧﴾ قَالُوا أَأُضِلُّكَ أَهْلَكَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٩﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَعٍ بَقَرَتْ سِمَانَ يَأْكُلُونَ سَعٍ عِجَافٌ وَسَعٍ سُبُلَيْتٌ خَضِرٌ وَأَنزِلَ يَابِسَتْ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَعٍ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعٍ شَدِيدٌ يَأْكُلُ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْمِلُونَهُ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَادِي النَّاسُ وَيَعِي يَعْصِرُونَ ﴿٢٣﴾

هذه الرؤيا من ملك مصر مما قدر الله تعالى أنها كانت سببا لخروج يوسف عليه السلام من السجن معززا مكرمًا ، وذلك أن الملك رأى هذه الرؤيا ، فهاهنا وتجب من أمرها ، وما يكون تفسيرها ، فجمع الكهنة والحذرة (٢٤) وكبراه دولته وأمره وقصر عليهم ما رأى ، وسألهم أن يؤمروا ظلم يعرفوا ذلك ، واعتلوا إليه بأن هذه ( أضغاث أحلام ) ، أي : اختلاط اقتضت رؤياها هذه ، ( وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ) ، أي : ولو كانت رؤيا صحيحة من اختلاط ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٣١٥ : ١١٢/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٣٢٥ : ١١٤/١٦ .

(٣) الحذرة : جمع حذر ، وهو الخشوع ، يزداد الأشياء ويقدرها بقلته .

لما كان لنا معرفة بتأويلها، وهو تعبيرها . فعند ذلك نذكر ذلك الذي نجا من ذنوب القتين اللذين كانا في السجن مع يوسف، وكان الشيطان قد أنساه ما وصاه به يوسف ، من ذكر أمره للملك ، فعند ذلك تذكر ( بعد أمّة ) ، أى : مدة - وقرأ بعضهم : ( بعد أمّة ) (١) ، أى : بعد نسيان ، فقال للملك والذين جمعهم للملك : ( أنا أنبئكم بتأويله ) ، أى : بتأويل هذا المنام ، ( فأرسلوه ) ، أى : فأبعثوه إلى يوسف الصديق إلى السجن . ومعنى الكلام : فاجتوا . فجاءه فقال : ( يوسف أيا الصديق أفتنا ) ، وذكر المنام الذى رآه الملك . فعند ذلك ذكر له يوسف عليه السلام تعبيرها من غير تمعّن للملك الفنى في نسيانه ما وصاه به ، ومن غير اشتراط للخروج قبل ذلك ، بل قال : ( تزدعون سبع سنين دأبا ) ، أى : يأتكم الحصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين ، لأنها تثير الأرض إلى تُستغل منها الثمرات والزرع ، وهن السبلات الخضر : ثم أرشدكم إلى ما يمتدونه في تلك السنين فقال : ( فما حصدم فلهوه في سنبله إلا قليلا ما تأكلون ) ، أى : مهما استغلتم في هذه السبع السنين الحصب فاحزنوه في سنبله ، ليكون أبقي له وأبعد عن إسراع الفساد إليه ، إلا التقدير الذى تأكلونه ، ولكن قليلا قليلا لا تسرفوا فيه ، لتتصفا في السبع الشداد ، وهن السبع السنين المعحل التى تعقب هذه السبع متواليات وهن البقرات المجاف اللاتي يأكلن السيان ، لأن سنى الجذب يؤكل فيها ما جمعه في سنى الحصب ، وهن السبلات اليابسات .

وأخبرهم أنهن لا يبينن شيئا ، وما يلهوه فلا يرجعون منه إلى شيء ، ولهذا قال : ( يأكلن ما قدمن هن إلا قليلا ما تحصنن ) .

ثم بشرهم بعد الجذب العام الخوالى بأنه يعقبهم . بعد ذلك ( حكاهم فيه ينفات الناس ) ، أى : يأتهم الفيت ، وهو المطر ، وتغل البلاد ، ويصير الناس ما كانوا يصيرون على عادتهم من زيت ونحوه ، وسكر ونحوه حتى قال بعضهم : يدخل فيه حلب اللبن أيضا .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ( وفيه يصيرون ) : مبلون (٢) ،

وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيهِ بِهِ قَالَ جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَعْلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قُطِعَ أَلْفٌ مِنْهُنَّ  
إِنْ رُبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ  
قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنَا فَحَصَّصَ الْخُبْرَ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ  
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَالِبِينَ ﴿١٠٢﴾ \* وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنْ أَنْفَسَ لَا مَارَةَ بِالْسُوءِ إِلَّا  
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجسوا إليه بتعريب رؤياه ، التى كان رآها ، بما أصعبه وأبغته ، فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه ، [ وحسن اطلاعه على رؤياه ] ، وحسن أخلاقه على من يبغده من رعاياه ، فقال ( اتتوني به ) ، أى :

(١) تفسير الطبري : ١٦ / ١٢١ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦ / ١٣٠ .

أخرجوه من السجن وأحضره . فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يحقق الملك ووعيته برأه ساحة ، ونزاهة عرضه ، مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز ، وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه ، بل كان ظلماً وعدواناً ، قال : (ارجع إلى ربك فاسأله : ما بال النسوة اللاتي قطعن أيمنهن ؟ إن ربي بيكنهن علم )

وقد وردت السنة بمدحه على ذلك ، والتنبيه على فضله وشرفه ، وعُلمَ قدره وصبره ، صلوات الله وسلامه عليه ، ففى المسند والصحاحين من حديث الثوري ، عن سعيد ، وأبي سلمة ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ( رب أوفى كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليمطن قلبى ) ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي (١) »

وقال الإمام أحمد أيضاً . حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيمنهن إن ربي بيكنهن علم ) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت أنا لأسهرت الإجابة ، وما اجتبت العلو (٢) »

وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عينة ، عن عمرو بن دينار ، عن حكيم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد صحبت من يوسف وصبره وكرمه ، والله ينفر له ، حين سئل عن البقرات المجاف والسان ، ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى أشرط أن يخرجوني . ولقد صحبت من يوسف وصبره وكرمه ، والله ينفر له ، حين أتاه الرسول ، ولو كنت مكانه لباهرتهم الباب ، ولكنه أراد أن يكون له العلو » . هذا حديث مرسل (٣) .

وقوله تعالى : ( قال : ما خطبك إذ راودتن يوسف عن نفسه ) ، إخبار عن الملك حين جمع النسوة اللاتي قطعن أيمنهن عند امرأة العزيز ، فقال مخاطباً لمن كلهن ، وهو يريد امرأة وزيره ، وهو العزيز : ( ما خطبك ) ، أى : شأنك وخبرك ( إذ راودتن يوسف عن نفسه ) ، يعنى الضيافة ؟ قلن : حاش الله ما علمنا عليه من سوء ) ، أى : قالت النسوة جواباً للملك : حاش لله أن يكون يوسف مثهما ، والله ما علمنا عليه من سوء . فعند ذلك قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق (٤)

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : تقول الآن : تبين الحق وظهر ويرز :

( أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ) ، أى في قوله : ( هي راودتني عن نفسي ) ، ( ذلك ليعلم أنى لم أكن بالغيب ) ، تقول : إنما اعترفت بهذا على نفسي ، ذلك ليعلم زوجي أنى لم أكن في نفس الأمر ، ولا وقع الخلد الأكبر ، وإنما

(١) البهاري ، تفسير سورة يوسف : ٩٧/٦ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة :

٩٢/١ .

وما قاله الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من باب التواضع وحض النفس ، وإلا فإنه عليه السلام أقوى الرسل حزمًا ، وأرفعهم مقامًا ، وأحقهم بكل ثناء ومجدة .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٤٧/٢ ، ٣٨٩ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٤٠٣ ، ١٣٦/١٦ .

راودت هذا الشاب مراودة ، فامتص ، فلها اعترفت ليعلم أنى برية ، ( وأن الله لا يهدي كيد اللائئين . وما أبرئ نفسي ) ، تقول المرأة : ولست أبرئ نفسي ، فإن النفس تتحلى وتتمنى ، ولها راودته لأنها أمارة بالسوء ، ( إلا ما رحم ربي ) ، أى : إلا من عصمه الله تعالى ، ( إن ربي غفور رحيم )

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعانى الكلام . وقد حكاه الماوردى فى تفسيره ، وانتدب لنصره الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ، فأفرد بتصنيف على حدة .

وقد قيل : إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام ، من قوله ( ذلك ليعلم أنى لم أخنه ) فى زوجته ( بالغيب ) . . . الإيتين ، أى : إنما رددت الرسول ليعلم الملك يراعى وليعلم العزيز ( أنى لم أخنه ) فى زوجته ( بالغيب ) ، وأن الله لا يهدي كيد اللائئين . وما أبرئ نفسي إن النفس لأماره بالسوء ، وهذا القول هو الذى لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم مواده .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو كيع ، عن إسرائيل ، عن سبائك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما جمع الملك السوء فسلمن : هل راودتن يوسف عن نفسه ؟ قلن : حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين قال يوسف . ( ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ) ، قال فقال له جبريل عليه السلام : ولا يوم همت بما همت به . فقال : ( وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأماره بالسوء ) (١) وهكذا قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وابن أبي الهيثم ، والضحاك ، والحسن ، وقادة ، والسدى ، والقول الأول أقوى وأظهر ، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك ، ولم يكن يوسف عليه السلام حينئذ ، بل بعد ذلك أحضره الملك .

يَقُولُ الْمَلِكُ أَتَوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلِمَةً قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

يقول تعالى إخباراً عن الملك حين تحقق زيارة يوسف عليه السلام ، ونزاهة عرضه عما نسب إليه ، قال : ( اتوني به أستخلصه لنفسي ) ، أى : أجعله من خاصتي وأهل مشورتى . ( فلما كلمه ) ، أى : خاطبه الملك وعرفه ، ورأى فضله وبراعته ، وعلم ما هو عليه من خيئته وخلقه وكمال قال له الملك . ( إنك اليوم لدينا مكين أمين ) ، أى : إنك حينئذ قد بقيت ذا مكانة وأمانة ، فقال يوسف عليه السلام : ( اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ) ، مدح نفسه ، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره ، للحاجة . وذكر أنه ( حفيظ ) ، أى : خازن أمين ، ( عليم ) ، هو علمه وبصره بما يتولاه .

قال شية بن نامة : حفيظ لا استودعنى علم يبنى الجلب . رواه ابن أبي حاتم .

وسأل العمل لعلهم بقدرته عليه ، ولا في ذلك من المصالح للناس ، وإنما سأل أن يُجْعَلَ على خزائن الأرض ، وهم الأهرام التي يجمع فيها الثروات ، لا يستقبلونه من المئين التي أنعمهم بشأها ، لينصرف لهم على الوجه الأحوط والأصلح والأرشد . فاجيب إلى ذلك رغبة فيه ، وتكرمة له ، ولهذا قال تعالى :

وَكَذَلِكَ مَكَانَ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَبْنَوْنَ مِنْهَا حَيْثُ بَنَاءُ نَصِيبُ بَرَحْمَتِنَا مِنْ نِشَاءٍ وَلَا تَقْضِيعُ أَجْرِ الْمُحْسِنِينَ ۚ وَلَا يُرَى الْآخِرَةَ خَيْرَ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى : ( وكذلك مكانا ليوسف في الأرض ) ، أي : أرض مصر ، ( يبْنَوْنَ مِنْهَا حَيْثُ بَنَاءُ ) : يقولون فيها كيف يشاء .

وقال ابن جرير : يتخذ منها منزلا حيث يشاء ، بعد الضيق والحسب والإسار (١) : ( نصيب بَرَحْمَتِنَا مِنْ نِشَاءٍ ) : نصيب بَرَحْمَتِنَا مِنْ نِشَاءٍ ، ولا نضع أجرا للمحسنين . ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ) ، أعقبه الله عز وجل السلامة والنصر والتأييد ، ( ولا نضع أجرا للمحسنين ) . ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ) ، خير تعالى أن ما ادعوه الله لنبيه يوسف عليه السلام في النار الآخرة أعظم وأكبر وأجل ، مما خوله من التصرف والثروة في الدنيا كما قال تعالى : ( حق سليمان عليه السلام : ( هذا عطائنا فامن أو أمسك بغير حساب . وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ) (٢)

والغرض أن يوسف عليه السلام ولأه ملك مصر الريان بن الوليد الوزارة في بلاد مصر ، مكان الذي اشتراه من مصر زوج إلى ولده ، وأسلم الملك على يد يوسف عليه السلام . قاله جاهد (٣).

وقال محمد بن إسحاق لما قال يوسف للملك : ( اجعلني على خزائن الأرض إلى حفيظ علم ) ، قال الملك : قد فعلت . فوله فيها ذكروا على إطفير ، وحول إطفير عما كان عليه ، يقول الله عز وجل : ( وكذلك مكانا ليوسف في الأرض يبْنَوْنَ مِنْهَا حَيْثُ بَنَاءُ نَصِيبُ بَرَحْمَتِنَا مِنْ نِشَاءٍ وَلَا تَقْضِيعُ أَجْرِ الْمُحْسِنِينَ ) ، قال : فذكر لي والله أعلم . أن إطفير هلك في تلك الليالي ، وأن الملك الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير : راعيل ، وأنها حين دخلت عليه قال : ليس هذا خيرا مما كنت تريد ؟ قال : فيزعمون أنها قالت : أيها الصديق ، لا تلمني ، فإني كنت امرأة كما ترى حسناء جميلة (٤) ، ناعمة في ملك ودنيا ، وكان صاحبي لا يأتني النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك وحيثك على ما رأيت . فيزعمون أنه وجدها عاهرة ، فأصابها فولدت له رجلين أفرائيم بن يوسف ، وميشا بن يوسف (٥) . وولد لأفرائيم نون ، والد يوشع بن نون ، وورثة امرأة أيوب عليه السلام .

وقال الفضيل بن عياض : وقتت امرأة العزيز على ظهر الطريق ، حتى مرَّ يوسف ، فقالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكا يطاعه ، والملوك عبيدا بمعصيته .

(١) تفسير الطبري : ١٥١/١٦ .

(٢) سورة : ص الآية ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٤٦٢ : ١٥٢/١٦ .

(٤) في تفسير الطبري : « كما ترى حسناً وجيلاً » .

(٥) إل هنا ينبغي أثر محمد بن إسحاق في تفسير الطبري : ١٥١/١٦ .

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ الْأَخْسَرِ الْآثَرِ أَتَى الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرَدْنَا عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَضْعَئْتُمْ فِي رِجَالِهِمْ لَعَلَّهِمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْنَا أَعْلَيْهِمْ لَعَلَّهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

ذكر السدي ، ومحمد بن إسحاق ، وغيرهما من المفسرين : أن السبب الذي أقدم إخوة يوسف بلاد مصر ، أن يوسف عليه السلام لما باشر الوزارة بمصر ، ومضت السبع سنين القسبة ، ثم انتهت سنين الجذب ، ومم القحط بلاد مصر بأكملها ، ووصل إلى بلاد كنعان ، وهي [ التي ] فيها يعقوب عليه السلام وأولاده . وحينئذ احتاط يوسف عليه السلام للناس في غلاتهم ، وجمعها أحسن جمع ، فحصل من ذلك مبلغ عظيم ، وأشهراء متعددة هائلة ، وورد عليه الناس من سائر الأقاليم والمعاملات ، يثأرون لأنفسهم وعيالهم ، فكان لا يعطى الرجل أكثر من حمل بعير في السنة : وكان عليه السلام لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك وجنودها إلا أكلة واحدة في وسط النهار ، حتى يتشكى الناس بما في أيديهم مدة السبع سنين . وكان رحمة من الله على أهل مصر .

وما ذكره بعض المفسرين من أنه باعهم في السنة الأولى بالأموال ، وفي الثانية بالمتاع ، وفي الثالثة بكلها ، وفي الرابعة بكلها ، حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعد ما تمسكك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعظمهم ورد عليهم أموالهم كلها ، الله أعلم بصحة ذلك ، وهو من الإسراريات التي لا تصلق ولا تكذب

والغرض أنه كان في جملة من ورد للميرة إخوة يوسف ، من أمر أبيهم لم في ذلك ، فإنه بلغهم أن عزيز مصر يعطى الناس الطعام بثمنه ، فأخذوا معهم بضاعة يتناضون بها طعاما ، وركبوا عشرة نفر ، واحتبس يعقوب عليه السلام عنده بنيامين شقيق يوسف عليهما السلام ، وكان أحب ولده إليه بعد يوسف . فلما دخلوا على يوسف ، وهو جالس في أبيته ورياسته وسبافته ، عرفهم حين نظر إليهم ، ( وهم له منكرون ) ، أي : لا يعرفونه ، لأنهم فارقوه وهو صبر حدث فباعوه للسيارة ، ولم يدروا أين يذهبون به ، ولا كانوا يستشعرون في أنفسهم أن يصير إلى ما صار إليه . فلهم لم يعرفوه ، وأما هو فعرفهم .

فذكر السدي وغيره : أنه شرع يخاطبهم ، فقال لم كالذكر عليهم : ما أقدمكم بلادي ؟ قالوا : أبنا العزيز ، إلنا قدما للميرة . قال : فلما كنتم عيون ؟ قالوا : معاذ الله . قال : فمن أين أنتم ؟ قالوا : من بلاد كنعان ، وأبونا يعقوب أبي الله . قال : وله أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم ، كنا اثني عشر ، فذهب أحضرنا ، هلك في البرية ، وكان أحينا إلى أبيه ، وبنى شقيقه فاحتبسه أبوه ليثلى به حته . فأمر يائزاهم ولأكرامهم .

( ولا جهزم بهمازم ) ، أي : وقام كيلهم ، وحمل لم أحمالهم قال : اتخوني بأنبيكم هذا الذي ذكرت ، لأعلم صدقكم فيما ذكرت ، ( ألا ترون أني أوفى الكيل وأنا خير المتزين ؟ ) ، يعرضهم في الرجوع إليه ، ثم رخصهم فقال ،

(فإن لم تأتوني به فلاكيل لكم عندى ولا تقربون) ، أى : إن لم تقدموا به معكم فى المرة التالية ، فليس لكم عندى ميرة ، ولا تقربون . قالوا سراود عنه أباه وإنا لفاعلون ) ، أى : سنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن ولا نبني مجهودا لتعلم صلبتنا فيها فلناه .

وذكر السدى : أنه أخذ منهم رهائن حتى يقدموا به معهم . وفى هذا نظر ، لأنه أحسن إليهم ورغبهم كثيرا ، وهذا لحرصه على رجوعهم .

(وقال لفتيته (١) ) : أى : غلامه ، (اجعلوا بضاعتهم) ، وهى التى قدموا بها ليتمتروا عوضاً عنها (فروحلم) أى : فى أمتعتهم من حيث لا يشعرون ، (لعلهم يرجعون) جا .

قيل : خشى يوسف عليه السلام أن لا يكون صناعته أخرى يرجعون للميرة بها ، وقيل : لتعلم أن يأخذ مع أبيه ويخبره عوضاً عن الطعام . وقيل : أراد أن يردهم إذا وجدوها فى متاعهم غريباً وتورعاً لأنه يعلم ذلك منهم (٢) ، والله أعلم .

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَيْمَنِ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكَ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكَ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَنَّهُ خَبَرَ حَفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٢١﴾

يخبر تعالى عنهم اسم لما رجعا إلى أيمهم (قالوا : يا أبانا ، منع منا الكيل) ، يعنون بعد هذه المرة ، إن لم يرسل معنا آخنا بنامين ، فأرسله معنا نكتل .

وفراً بعضهم : [ يكتل (٣) ] ، بالياء ، أى يكل هو ، (وإننا له لحافظون) ، أى : لا نخف عليه فإنه سرجع إليك . وهذا كما قالوا له فى يوسف : (أرسله معنا خذا يرتع ويلعب وإننا له لحافظون) ، ولهذا قال لم : (هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل) ، أى : هل أنتم صانعون به إلا كما صنتم بأخيه من قبل ، تضيونه حتى ، ويحولون بيني وبينه ؟ (فأنه خبر حفظاً) (وفراً بعضهم : حافظاً) ، (وهو أرحم الراحمين) ، أى : هو أرحم الراحمين ، (و سرحم كسرى وضعتى ووجدنى بولدى ، وأرجو من الله أن يردّه علىّ ، ويجمع شملى به ، إنه أرحم الراحمين .

وَلَمَّا فَتَحُوا مِنْهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رَدَّتْ إِلَىٰ يَمِينِهِ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْئِي هَٰذَا بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَنَانَا وَزَدَادُ كَيْلَ يَحِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرُ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَّ اللَّهِ لَئِذَا تُنْتَبِهَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَحْمَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى : ولما فتح إحدىة يوسف متاعهم ، وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، وهى التى كان أمر يوسف قبائه يوسفها فى رحالم ، فلما وجدوها فيه متاعهم (قالوا : يا أبانا ، ما نبئى) ؟ أى : ماذا نريد ؟ (هذه بضاعتنا ردت

(١) كلما فى عظومة الأزهر ، ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ٢٢٢/٥ : « وقرأ الأخوان وحسن » (لغتيه) .  
وفى السبعة : (لفتجه) . »

(٢) أى : هو يعلم أن إحدىة يتصرفون ويتصرفون أن يسكنوا بن طعام قد قبضوه حتى يردوه إلى صاحبه ، فذلك أمر يعمل بضاعتهم فى رحالم ، حتى يدعهم ذلك إلى الرجوع إليه . وينظر تفسير الطبرى فى ذلك : ١٥٧/١٦ ، ١٥٨ .

(٣) ما بين القوسين المقتولين عن تفسير الطبرى : ١٥٩/١٦ .

(إينا) - كما قال قتادة: ما بقي وراء هذا؟ إن بضاعتنا ردت إلينا وقد أوفى لنا الكيل (١) ،  
(ونغير أهلنا) ، أى : إذا أرسلت أخانا معنا نأى بالميرة إلى أهلنا ، (ونحفظ أخانا ونؤدّد كيل بعير) . وذلك  
أن يوسف عليه السلام كان يعطى كل رجل حمل بعير : وقال بجاهد : حمل حمار : وقد يسمى فى بعض اللغات  
بعيرا ، كما قال (٢) .

(ذلك كيل يسير) ، هذا من تمام الكلام وتحسينه ، أى : إن هذا يسير فى مقابلة أخذ أخيهما ما يعدل هذا .  
(قال ١ ان أرسله معكم حتى توتون موتنا من الله) ، أى : تحفظون بالمهود والمراثيق ، (لأنشئى به إلا أن  
يحاط بكم) ، إلا أن تغلبوا عليكم ولا تغربون على تخليصه .  
(فلما آتوه موتهم) ، أكدّه عليهم فقال : (الله على ما نقول وكيل) .  
قال ابن إسحاق : وإنما فعل ذلك ، لأنه لم يجد بلداً من بعثهم لأجل الميرة ، التى لاخى لهم عنها ، فبعث معهم .

وَقَالَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِنَّ الْحَكْمَ  
إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ  
مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۖ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا ۚ لَتُنْفِكَ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦٨﴾

يقول تعالى ، إخبارا عن يعقوب عليه السلام : إنه أمر بنيه لَمَّا جهزهم مع أخيهما بنيامين إلى مصر ، أن لا يدخلوا  
كلهم من باب واحد ، وليدخلوا من أبواب متفرقة ، فإنه كما قال ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وبجاهد ، والضحاك ،  
وقتادة ، والسدي : إنه خشي عليهم العين ، وذلك أنهم كانوا خوى جمال وهيئة حسنة ، ومنظر وبهاء ، فخشى عليهم  
أن يصيهم الناس ببيوتهم ، فإن العين حق (٣) ، تستزل الفارس عن فرسه .  
وروى ابن أبي حاتم ، عن إبراهيم النخعي فى قوله : (وادخلوا من أبواب متفرقة) ، قال : علم أنه سيلقى  
إخوته فى بعض الأبواب .

وقوله : (وما أغنى عنكم من الله من شيء) ، أى : هذا الاحتراز لا يرد قلب الله وقضاه ، فإن الله إذا أراد  
شيئاً لا يخالف ولا يمانع ، (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتكلم المتكلمون) . ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم  
ما كان يغنى عنهم من الله من شيء إلا حاجة فى نفس يعقوب قضاه ، قالوا : هى دفع إصابة العين لهم ، (وإنه  
للو علم لما علمناه) .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٤٧٦ : ١٦١/١٦٢ : ١٦٢ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٤٧٧ : ١٦٢/١٦٣ .

(٣) روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة : «العين حق» ، ينظر البخارى ، كتاب الطب ، باب «العين حق» : ١٧١/٧ .  
ومسلم ، كتاب السلام ، باب «الطب والمرق والرق» : ١٣/٧ . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس مرفوعاً ٢٧٤/١ : ٢٩٤ :  
«العين حق تستزل الحائق» ، يعنى التى فى مكان مرتفع .



قال قاتدة والثوري : لعمري علمه . وقال ابن جرير : لنوع علم لتعليمنا إياه (١) ، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) :

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۚ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

عبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه شقيقه بنيامين ، فأدخلهم دار كرامته ومثل ضيافته ، وأفاض عليهم الصلة والإطاف والإحسان ، واختلج بأخيه فأطعمه على شأنه ، وما جرى له ، وعرفه أنه أخوه ، وقال له : « لا تبئس » ، أي : لا تأسف على ما صنعوا في ، وأمره بكيان ذلك عنهم ، وأن لا يظلمهم على ما أطعمه عليه من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقية عنده ، معزراً مكرماً معظماً .

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أُخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مُؤِذِّنٌ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْكُرُوا لِرَبِّكُمْ ﴿٣٦﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا صَلاَتِهِمْ مَّاذَا تَقْعُدُونَ ﴿٣٧﴾ قَالُوا نَقْعُدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٣٨﴾

لما جهزهم وحمل لهم أبعيرهم طعاماً ، أمر بعض فتياته أن يضع « السقاية » ، وهي : إناء من فضة في قول الأكثرين . وقيل : من ذهب - قاله ابن (٢) زيد - كان يشرب فيه ، ويكيل للناس به من هرقة الطعام إذ ذاك ، قاله ابن عباس ، وعاجد ، وقاتدة ، والضحاك ، وحيد الرحمن بن زيد .

وقال شعبة : من أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : صواع الملك قال : كان من فضة يشربون فيه ، وكان مثل الموك (٣) ، وكان لباساً منطه في الجاهلية ، فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد ، ثم نادى مناد بينهم : (أيها الله .. إنكم لسارقون) ، فالتفتوا إلى المنادى وقالوا : (ماذا تفقدون ؟ قالوا : نفقد صواع الملك) ، أي : صاعه الذي يكيل به ، (ولن جاء به حمل بعير) ، وهذا من باب الجمالة (٤) ، (وأنا به زعيم) ، وهذا من باب الضمان والكفالة .

قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتُمْ لِنُفْسٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا لَئِنَّا جَزَاءُ وَإِنْ كُنْتُمْ كَذَّابِينَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا جَزَاءُكُمْ مِنْ وَجْدٍ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُكُمْ ۖ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ قَبِلْنَا بِأَرْعَابِهِمْ قَبْلَ وَعَاةِ أُخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرْنَا مِنْ وَعَاةِ أُخِيهِ ۖ كَذَلِكَ كُنَّا لِيُوسُفَ مَا كَانُوا لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ ۚ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

لما اتهمهم أولئك الفتيان قال لهم إخوة يوسف : (تالله لقد علمتم ما جئنا لنفس في الأرض وما كنا سارقين) ، أي : لقد تحققت وعلمتم منذ عرفتمونا ، لأنهم شاهدوا منهم سيرة حسنة ، أننا ما جئنا للفساد في الأرض ، وما كنا سارقين ،

(١) تفسير الطبري : ١٦٨/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٥١٩ / ١٦٣/١٦ .

(٣) الموك : الصاع .

(٤) الجمالة : الأجرة على الشيء .

أى : ليست سجاياتنا تقضى هذه الصفة : فقال لهم الثنيان : ( قا جزاؤه ) ، أى : السارق ، إن كان فيكم ( إن كنتم كاذبين ) ، أى : أى شيء يكون عقوبته إن وجدنا فيكم من أخذه ؟ قالوا : جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ، كذلك تجزي الظالمين ) .

وهكذا كانت شريعة إبراهيم : أن السارق يدفع إلى المسروق منه : وهذا هو الذى أراد يوسف عليه السلام ، ولهذا بدأ بأوصيتهم قبل وعاء أخيه ، أى : فضها قبله تورية ، ( ثم استخرجها من وعاء أخيه ) ، فأخذه منهم بحكم أعرافهم والتزامهم وإلزاما لهم بما يقتضونه ، ولهذا قال تعالى : ( كذلك كدنا ليوسف ) ، وهذا من الكيد المحبوب المراد الذى يحبه الله ويرضاه ، لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة .

وقوله : ( ما كان لأبعد أخاه في دين الملك ) ، أى : لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر ، قاله الضحاك وغيره . وإنما قبض الله له أن التزم له إخوته بما التزموه ، وهو كان يعلم ذلك من شريعتهم ، ولهذا مدحه تعالى فقال : ( نرفع درجات من نشاء ) ، كما قال تعالى : ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (١) ) .

( وفوق كل ذى علم علم ) -- قال الحسن البصري : ليس عالم إلا فوقه عالم ، حتى ينتهى إلى الله عز وجل . وكذا روى عبد الرزاق ، عن سفیان الثوري ، عن عبد الأعلى الثعلبي ، عن سعيد بن جببر قال : كنا عند ابن عباس فتحديث يحدث عجب ، فتعجب رجل فقال : الحمد لله ( فوق كل ذى علم علم ) [ فقال ابن عباس : بش ما قلت ، الله العظيم ، وهو فوق كل عالم (٢) ] ، وكذا روى سالك (٣) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ( وفوق كل ذى علم علم ) ، قال : يكون هذا أعلم من هذا ، وهذا أعلم من هذا ، والله فوق كل عالم (٤) : وهكذا قال عكرمة .

وقال قتادة : ( وفوق كل ذى علم علم ) ، حتى ينتهى العلم إلى الله ، منه بدئى وتعلمت العلماء ، وإليه يعود ، وفي قراءة عبد الله : ( وفوق كل عالم علم (٥) ) .

﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَأُ يَوْسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْسُطْهُمُ قَالُوا أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾

وقال أنيسة يوسف لما رأوا الصواع قد أخرج من متاع بنيامين : ( إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ) ، ينتصلون إلى العزيز من التشبه به ، ويدكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له من قبل ، يعنون به يوسف عليه السلام .

قال سعيد بن جببر ، عن قتادة : كان يوسف قد سرق منها لجهده ، أبى أمه ، فكسره .

(١) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٥٨٤ : ١٩٢/١٦ .

(٣) في تفسير الطبري : إسرائيل عن سالم ، عن عكرمة . والصواب ، ما في غنوة الأزهر ، فسالك بن حرب يروي عن عكرمة ، ويروي عنه إسرائيل . ينظر التهذيب : ٢٣٣/٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٥٨٥ : ١٩٢/١٦ .

(٥) المرجع السابق ، الأثر ١٩٥٩٥ : ١٩٢/١٦ .

وقال محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن جاهد قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء ، فيما بلغني ، أن حسنة ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها منطقة (١) إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكر ، فكان من اختيارها (٢) من ولها ، كان له سكرًا لا يتأزج فيه ، يصنع فيه ما يشاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد حسنته عنه ، فكان منها وإليها فلم يحب أحدٌ شيئًا من الأشياء جها إياه ، حتى إذا تعرض وبلغ سنوات وقست (٣) نفس يعقوب عليه فأتاها ، فقال : يا أختي ، سلمني إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن ينيبني حتى ساعة : قالت : فوالله ما أنا بتاركة . ثم قالت : فدعه عندى أيما أنظر إليه وأمكن عنه ، لعل ذلك يسليني عنه . أو كما قالت : فلما خرج من عندها يعقوب ، عادت إلى منطقة إسحاق ، فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : فقلت منطقة إسحاق عليه السلام ، فانظروا من أعطها ومن أصابها ؟ فالتفت . ثم قالت : اكشفوا أهل البيت : فكشفوه ، فوجدوها مع يوسف . فقالت : والله إنه لي لسكرٌ ، أصنع فيه ما شئت : فأتاها يعقوب فأخبره الخبر : فقال لها : أنت وذلك ، إن كان فعل ذلك فهو سكرٌ لك ما أستطيع غير ذلك . فأسكته فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت : قال : فهو الذى يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) (٤) :

وقوله : (فأسرها يوسف في نفسه) ، يعنى الكلمة التى بعدها ، وهى قوله : (أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون) ، أى : تذكرون — قال هذا في نفسه ، ولم يبد له ، وهذا من باب الإخبار قبل الذكر ، وهو كثير ، كقول الشاعر (٥) :

جَزَى بِسَوْءِهِ أَبَا الْغِيلَانِ عَنْ كَيْبَرٍ = وَحَسَنَ فَعَلٍ كَمَا يُجْزَى سَمَكِرٍ

وله شواهد كثيرة من القرآن والحديث والفقهاء ، في متوورها وأخبارها وأشعارها .

قال العروى ، عن ابن عباس : (فأسرها يوسف في نفسه) ، قال : أسر في نفسه : (أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون) .

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ مَهْذُو اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا تُفْلِحُونَ ﴿٢٨﴾

لما نعين أحد بنيامين ونقرر تركه عند يوسف بمقتضى احترامهم ، شرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم ، فـ (قَالُوا) : يا أيها العزيز ، إن له أبًا شيخًا كبيرًا ، فخذ أحدنا مكانه . إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٢٧) ، قال مَهْذُو اللَّهِ : (فخذ أحدنا

(١) المنطقة : كل ما شئ به الوسط .

(٢) في تفسير الطبري : « من اعتلتها » .

(٣) أى : اشتاق إليه اشتياقًا شديدًا . ينظر تفسير الطبري ، تعليق السيد الحق .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٠٥ : ١٩٦/١٩٦ : ١٩٧ .

(٥) هو سليط بن سمه ، كما في شرح الفوائد الكبرى للبيهي ، حل حاشى عزارة الأدب : ٤٩٥/٢ .

وسائر : رجل من الروم بنى الخورق الذى يظهر الكوفة لضماني بن أميئ القيس الأكبر ، ملك الحيرة ، ليكون فيه ولده وسائره ، وهو قصر عظيم ، لم ير العرب مثله ، فلما فرغ منه أنفاه من أصلاه ، فخرميتًا ثلاثا يبنى لغيره مثله ، ففصرت به العرب المثل في سوء المكاناة ، فقيل : جزاني جزاء سيار .

والشاعر في هذا البيت أنه قد اتصل بالمال المتقدم فسيروا يعود إلى المفعول المتأخر الضرورة ، والأسل أن يقال : « جزى أبى الغيلان بنسوء ... » .

مكانه ، أي : بدله يكون عندك عوضاً عنه ، ( إنا نراك من المحسنين ) ، أي : من العادلين المتصفين القابلين للخير .  
( قال : معاذ الله : أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ) ، أي : كما قلتم واعتزتم ، ( إنا إذا نأخذون ) ، إن أخذنا  
أورثنا بسقم .

فَلَمَّا أَسْبَحُوا مِنْ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَكُم مَوْفِقًا مِنْ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا كُنْتُمْ  
فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِيَ الْإِنِّي أَوْ يَحْكُرَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٥﴾ أَرْجِعُوا إِلَى  
أَيْسَرِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ ابْنَكُمْ مَرْقُومًا وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَيْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿١٦﴾ وَسَمِعَ الْقَرْيَةُ الَّتِي  
كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن إخوة يوسف : أنهم لما يسوا من تخليص أخيه بنيامين ، الذي قد التزموا لأبيه برده إليه ، وعاهدوه  
على ذلك ، فامتنع عليهم ذلك ، ( خلصوا ) ، أي : انفردوا عن الناس ( نجياً ) يتناجون فيما بينهم .

( قال كبيرهم ) ، وهودويل ، وقيل : جودا ، وهو الذي أشار عليهم بإلقائه في البئر عندما هموا بقتله ، قال لهم :  
( ألم تعلموا أن أبائكم قد أخذ عليكم موقفاً من الله ) لتردنه إليه ، فقد رأيتم تملؤن عليكم ذلك مع ما تقدم لكم من  
إضاعة يوسف عنه ، ( فلن أبرح الأرض ) ، أي : لن أفارق هذه البلدة ، ( حتى يأذن لي ) في الرجوع إليه راضياً  
حتى ، ( أويحكم الله لي ) ، قيل : بالسيف (١) ، وقيل : بأن يكتسب من أخذ أخى ، ( وهو خير الحاكمين ) .  
ثم أمرهم أن يخبروا أباهم بصورة ما وقع ، حتى يكون علماً لهم عنده ويتصلوا إليه ، ويردوا بما وقع بقومهم .  
وقوله : ( وما كنا لغييب حافظين ) قال حكيمه وقفاة : ما تعلم أن ابنك مرقوم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما علمنا في الغيب أنه يسرق له شيئا ، إنما سألنا ما جزأ السارق (٢) ؟  
( وسأل القرية التي كنا فيها ) ، قيل : المراد مصر . قال قتادة ، وقيل : غيرها ، ( والعير التي أقبلنا فيها ) ، أي :  
التي راقتناها ، عن صدقنا وأمانتنا وحفظنا وحراستنا ، ( وإنا لصادقون ) فيما أخبرناك به ، من أنه سرق وأخذوه  
بسرقة .

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾  
وَوَلَّوْا عَنْهُمْ وَقَالَ يَإَيُّهَا عَلِيُّ يَوْسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفَرَّقْنَا ذَكَرَ يُوسُفَ  
حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنٍ لِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا  
تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب : ( بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل )

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٣١ : ٢٠٩/١٦ .

(٢) أثر عبد الرحمن بن زيد ، كما في الدر المنثور ٢٩/٤ : قال يعقوب عليه السلام ليه : ما يدري هذا الرجل أن السارق  
يؤخذ بسرقة إلا بما يؤلكنم : قالوا : ما شهدنا إلا بما علمنا ، لم تشهد أن السارق يؤخذ بسرقة إلا بذلك الذي علمنا .

قال عمد بن إسحاق : لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرى لهم ، وظن أنها كفعلهم يوسف ( قال : بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ) (١) .

وقال بعض الناس : لما كان صبيهم هذا مربباً على فعلهم الأول ، سحبه حكم الأول عليه ، وصح قوله : ( بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل ) .

ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة : يوسف وأخاه بنيامين ، ورويل الذى أقام بديار مصر ينتظر أمر الله فيه ، إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه ، وإما أن يأخذ أخاه خفية ، ولهذا قال : ( عسى الله أن يأتيهم جميعاً إنه هو العليم ) ، أى : العليم بخلق ، ( الحكيم ) فى أمثاله وقضائه وقدره :

( وتولى عنهم وقال : يا أسفا على يوسف ) ، أى : أعرض عن بنيه وقال متذكراً حزن يوسف القديم الأول : ( يا أسفا على يوسف ) ، جده له حزن الأثنين الحزن اللذين ،

قال عبد الرزاق ، أخبرنا الثوري ، عن سفيان الصعفي ، عن سعيد بن جبير أنه قال : لم يعط أحد خبر هذه الأمة الاسترجاع (٢) ، ألا تسمعون إلى قول يعقوب عليه السلام : ( يا أسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ) ، (٣) أى : ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق . قاله قتادة وغيره :

وقال الضحاك : ( فهو كظيم ) كسيد حزين .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا حماد (٤) بن سلمة ، عن حل بن زيد ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن داود عليه السلام قال : يا رب ، إن بيني وإسرائيل يسألك إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ، فأجعلني لهم رابعاً . فأوحى الله تعالى إليه أن يا داود ، إن إبراهيم أتى فى النار بسببي فصبر ، وتلك بلية لم تلك ، وإن إسحاق بذل مهجة دمه فى سببي فصبر ، وتلك بلية لم تلك . وإن يعقوب أخذت منه حبيبه حتى ابيضت عيناه من الحزن ، فصبر ، وتلك بلية لم تلك .

وهذا مرسل (٥) ، وفيه نكارة ، فإن الصحيح أن إسماعيل هو الذي ، ولكن على بن زيد بن جندمان له منابر وغرائب كثيرة (٦) ، والله أعلم .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٤ : ٢١٤/١٦ .

(٢) الاسترجاع هو قولنا إذا نزلت مصيبة : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٦٨ : ٢١٧/١٦ .

(٤) كذا ، ولم يذكر ابن أبي حاتم أن أباه لقى حماد بن يحيى بن حماد بن أبي زياد الليثي ، وهو يروي عن حماد . ينظر الجرس والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٠٤/٢/٣ . والتهذيب : ١٩٩/١١ .

(٥) الأحنف بن قيس راوى الحديث ، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يره . يروي عن عمر وعكان وعمل وابن مسعود ، وعنه الحسن وغيره . ينظر ترجمته فى أمه الثابتة ٦٨/١ بتحقيقنا ، والملاحصة .

(٦) ذكر اللحي فى ميزان الاعتدال ١٢٨/٣ عن حل بن زيد : ( وقال البخاري وأبو حاتم : لا يتج به ) وقال الثوري : ( غلط من كبره . وقال ابن عزيمة : لا أحج به لسوء خلقه ) .

وأقرب ما في هذا أن يكون قد حكاه الأحنف بن قيس، رحمه الله، عن أبي إسرائيل كعب بن وهب ونحوهما، والله أعلم، فإن الإسرائيليين يقولون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتطلف له في رده، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء، فإبراهيم أبلى بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفراق يوسف، في حديث طويل لا يصح، والله أعلم، فعمد ذلك رق له بنوه، وقالوا له حل سبيل الرفق به والشفقة عليه: (تالله تفتن ذكر يوسف)، أي: لا تفارق تذكر يوسف، (حتى تكون حرضاً أي ضعيف الجسم، ضعيف القوة، (أو تكون من المالكين)، يقولون: وإن استمر بك هذا الحال خشيتنا عليك الملاك والطف.

(قال: إنما أشكو بني وحزني إلى الله)، أي: أجابه عما قالوا بقوله: (إنما أشكو بني وحزني)، أي: ممي وما أنا فيه (إلى الله) وحده، (وأعلم من الله ما لا تعلمون)، أي: أرجو منه كل خير.

وعن ابن عباس: (وأعلم من الله ما لا تعلمون)، أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سوف أسجد له (١) .

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنينة، عن حفص بن عمر بن أبي الزبير (٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان ليعقوب النبي عليه السلام أخ مؤاخ له، فقال له ذات يوم: ما الذي أذهب بصرك وقوس ظهرك؟ قال: الذي أذهب بصري البكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فلأخون علي بنيامين، فأثاه جبريل عليه السلام فقال: يا يعقوب، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أما تمنى أن تشكو إلى خيري؟ فقال يعقوب: إنما أشكو بني وحزني إلى الله. فقال جبريل عليه السلام: الله أعلم بما تشكو». وهذا حديث غريب، فيه نكارة.

يُنَبِّئُ أَذْهَبًا فَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا يَأْمُرُونَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْمُرُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلُنَا النَّارُ وَجِئْنَا بِضَلْعٍ مُرْجَةٍ فَأَوَفْ لَنَا الْكَفِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٢٣﴾

يقول تعالى عبراً عن يعقوب عليه السلام أنه ندب بنيه على اللهاب في الأرض، يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين.

والتحسس يكون في الخبر، والتحسس يستعمل في الشر.

ونهبهم وبشرهم وأمرهم أن لا يأسوا من روح الله، أي: لا يقطعوا رجاءهم وأملهم من الله فيما يرومونه ويقصدونه، فإنه لا يقطع الرجاء، ويقطع الإياس (٢) من الله إلا القوم الكافرون.

(١) تفسير الطبري، الأثر ١٩٧١٥ : ٢٢٧/١٦ .

(٢) كذا، ولم نجد «حفص بن عمر بن أبي الزبير»، ولعله: «حفص بن عمر»، عن أبي الزبير.

(٣) كذا وقس غير مستقيم.

وقوله (فلما دخلوا عليه) ، تقدير الكلام : فلما دخلوا بلد مصر ، ودخلوا على يوسف ، (قالوا : يا أيها العزيز ، معنا وأهلنا الضر) ، يبنون من الجذب والتشط وقلة الطعام ، (وجئنا ببضاعة مزججة) ، أى : ومعتا نحن الطعام الذى نختاره ، وهو ثمن قليل . قاله مجاهد ، والحسن ، وغير واحد .

وقال ابن عباس : الردى لا ينشق ، مثل خلقك (١) الغرارة ، والحبل ، والثنى : وفى رواية عنه : الدرهم الرديء الذى لا يجوز إلا بقصبان : وكلنا قال قتادة ، والسدى .

وقال سعيد بن جبير : هى الدرهم القسول (٢) .

وقال أبو صالح : هو الصنوبر وحب الخضر .

وقال الضحاك : كاسدة لا تنشق .

وقال أبو صالح : جاءوا بحب البطم الأخضر والصنوبر (٣) .

وأصل الإرجاء : الدفع لضعف الشيء ، كما قال حاتم الطائي :

لَيْسَ بِكَ هَكَذَا مُلْحَنٌ ضَعِيفٌ مَدْفُوعٌ • وَلَوْ كُنْتَ قُرْجَى مَعَ اللَّيْلِ أَرْسَلًا (٤)

وقال أحشى بن ثعلبة :

الرَّاهِبُ لِلْمَالَةِ الْمَجْكَانِ وَصِيدُهَا • حُوتًا قُرْجَى عِلَاقَتِهَا أَلْفَاكِلَا (٥)

وقوله إخبار عنهم : (فاؤف لنا الكيل) ، أى : أعطنا هذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك ،

وقرأ ابن مسعود :

(فاؤفركاونا وتصدق علينا) .

وقال ابن جرير :

(وتصدق علينا) بـ «أُخِينَا إِلَيْهَا» .

وقال سعيد بن جبير والسدى : (وتصدق علينا) ، يقولون : تصدق علينا بشئ هذه البضاعة المزججة ، وتجاوز فيها (٦) .

وسئل سفيان بن عيينة : هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ألم تسمع

قوله : (فاؤف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزئ المتصدقين) . رواه ابن جرير عن الحارث ، عن القاسم ، عنه (٧) .

(١) الخلق - بفتحين - : البال ، ولا ينشق : لا يروج .

(٢) القسول : جميع فسل - بفتح فسكون - وهو الردى من كل شيء .

(٣) البطم - بضم فسكون - : شجر الحبة الخضراء .

(٤) البيت فى تفسير الطبرى : ٢٣٥/١٦ ، واللسان مادة : رمل .

والدفع والمنازع : المحذور الذى لا ينفى . والأرولة : التى لا زوج لها . يقول الطبرى : وفى أنها تروى بين يديها حل ضعف منه من المئى وصبر .

(٥) البيت فى تفسير الطبرى : ٢٣٥/١٦ ، وكتاب سيده : ٩٤/١ . والمقتضب الجرد : ١٦٣/٤ .

(٦) المجانن : الإبل الكيف . وروى : جميع حالة ، وهى ثلاثة الحديثة للنتاج .

(٧) تفسير الطبرى : الآثار : ١٩٧٥٤ - ١٩٧٥٦ : ١٦/٢٤٧ ، ٢٣٨ .

(٧) تفسير الطبرى : الآثار : ١٩٧٨٦ : ١٦/٢٤٢ .

وقال ابن جرير : حدثني الحارث ، حدثنا القاسم ، حدثنا مروان بن معاوية ، عن عثمان بن الأسود : سمعت هاجمدا وسبيل : هل يكره أن يقول الرجل في دعائه : اللهم تصدق عليّ ؟ قال : نعم ، إنما الصدقة لمن يفتي الثواب (١) .

قَالَ هَلْ فَلَيْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يُونُسَ قَالَ أَنَا يُونُسَ وَهَذَا أَخِي قَدْ جَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّا مِنْ يَتَى وَيَصِيرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَمُخْلِطِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوسف عليه السلام : أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجهد والضيق وقلة الطعام وعموم الجندب ، وتذكر أباه وما هو فيه من الحزن لفقد ولديه ، مع ما هو فيه من الملك والتصرف والسعة ، فعند ذلك أخذته رقة ورائقة ورحمة وشفقة على أبيه وإخوته ، ويدّرّه (٢) البكاء ، فتعرف إليهم ، يقال : إنه رفع التاج عن جبهته ، وكان فيها شامة ، وقال : ( هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ) ؟ يعني : كيف فرقوا بينه وبينه ( إذ أنتم جاهلون ) ، أي : إنما حملكم على هذا الجهل بمقدار هذا الذي ارتكبتموه ، كما قال بعض السلف : كل من عصي الله فهو جاهل ، وقرأ : ( ثم إن ربك للبين علواً السوء بجهالة ) ... إلى قوله : ( إن ربك من بعدها لغفور رحيم ) .

والظاهر - والله أعلم - أن يوسف عليه السلام إنما تعرف إليهم بنفسه ، بإذن الله له في ذلك ، كما أنه إنما أعنى منهم نفسه في المرتين الأولىين بأمر الله تعالى له في ذلك ، والله أعلم ، ولكن لما ضايق الحال واشتد الأمر ، قرّج الله تعالى من ذلك الضيق ، كما قال تعالى : ( فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً ) (٣) ، فعند ذلك قالوا : ( أنك لأنت يوسف ) ؟

وقرأ أبي بن كعب : ( أو أنت يوسف ) (٤) ، وقرأ ابن عيصن : ( إنك لأنت يوسف ) . والقراءة المشهورة هي الأولى ، لأن الاستفهام يدل على الاستعظام ، أي : إنهم تعجبوا من ذلك أنهم يترددون إليه من ستين وأكثر ، وهم لا يعرفونه ، وهو مع هذا يعرفهم ويكنم نفسه ، فلهذا قالوا على سبيل الاستفهام : ( أنك لأنت يوسف ) ؟ قال : أنا يوسف وهذا أخي ( قد من الله علينا ) ، أي : بجمعه بيننا بعد الضيقة وبعد المدة ، ( إنه من يتى ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ) . قالوا تالله لقد آتاك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، يقولون معترفين له بالفضل والأثرة عليهم في الخلق والخلق ، والسعة والملك ، والتصرف والثبوة أيضا - على قول من لم يجعلهم أنبياء - وأقرأوا له بأنهم أسأموا إليه وأخطأوا في حقه .

( قال : لا تتريب عليكم اليوم ) ، يقول : لا تأنيب عليكم ولا عتاب عليكم اليوم ، ولا أريد ذنبكم في حق بعد اليوم .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٧٨٨ : ٢٤٣/١٦ .

(٢) أي : صجل إليه البكاء . يقال : بدره ، وبدر إليه .

(٣) سورة الشرح ، آية : ٦٠ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٤٥/١٦ ، والهير المحيط لأبي حيان : ٢٤٢/٦ .



ثم زادهم الدعاء لم بالمغفرة فقال : ( يظفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) •  
قال السدي : احتلروا إلى يوسف ، قال : ( لا تتريب عليكم اليوم ) ، يقول : لا أذكر لكم ذنبكم •  
وقال ابن إسحاق والثوري : ( لا تتريب عليكم ) ، أي : لا تأنيب عليكم اليوم عندى فيما صنعتم ( يظفر الله لكم ) •  
أي : يسر الله عليكم فيما فعلتم ، ( وهو أرحم الراحمين ) •  
أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوبُ بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَمَّا فَصَلَ الْغَيْرُ قَالَ  
أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا تَأَنَّى إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾  
يقول : اذهبوا بهذا القميص ، ( فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ) ، وكان قد ضيى من كثرة البكاء ، ( وأتوب  
بأهلكم أجمعين ) • أي : جميع بني يعقوب •  
( ولما فصلت العبر ) • أي : خرجت من مصر ، ( قال أبوهم ) — يعقوب يعقوب عليه السلام إن بني عمه من بنيه •  
( إلى لأجد ريح يوسف لولا أن تفنننننن ) ، تصيرون إلى الفتن والكبر •  
قال عبد الرزاق : أنبأنا إسرائيل ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الحليل قال : سمعت ابن عباس يقول :  
( ولما فصلت العبر ) ، قال : لما خرجت العبر ، هاجت ريح فجات يعقوب بريح قميص يوسف فقال : ( إلى لأجد ريح  
يوسف لولا أن تفننننن ) ، قال : فوجد ريحه من مسيرة ثمانية (١) أيام •  
وكذا رواه سفیان الثوري ، وشعبة ، وغيرهما عن أبي سنان ، به •  
وقال الحسن وابن جرير : كان بينهما ثمانون فرسخا ، وكان بينه وبينه مثل الفرس ثمانون سنة (٢) •  
وقوله : ( لولا أن تفننننن ) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وقتادة ، وسعيد بن جبیر : تسنننن •  
وقال مجاهد أيضا ، والحسن : تسننن •  
وقولهم : ( إنك لفي ضلالك القديم ) ، قال ابن عباس : لفي ضلالك القديم •  
وقال قتادة : أي من حب يوسف لانتساء ولا تسلاه ، قالوا لوالدهم كلمة غليظة ، لم يكن ينبغي لهم أن يقولوا  
لوالدهم ، ولا لبي الله صلى الله عليه وسلم (٣) • وكذا قال السدي ، وغيره •  
قال ابن عباس والضحاك : ( البشير ) البريد •  
وقال مجاهد ، والسدي : كان جودا بن يعقوب ،

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٨١٢ : ١٦ ٪ ٢٥١ •

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٨١٣ : ١٦ ٪ ٢٥١ •

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٨٥٠ : ١٦ ٪ ٢٥٧ •

قال السدي : إنما جاء به لأنه هو الذي جاء بالقميص وهو ملطخ بدم كلب ، فأراد أن يفضل ذلك بهذا ، فجاء بالقميص فألقاه على وجه أبيه ، فرجع بصيرا .

وقال ابنه عند ذلك : ( ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالا تعلمون ) ، أى : أعلم أن الله سبرده إلى ، وقلت لكم : ( إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تقتلون ) ؟ . فعند ذلك قالوا لأبيهم مرفقين له : ( يا أبانا ، استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . قال : سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم ) ، أى : من تاب إليه تاب عليه .

قال ابن مسعود ، وإبراهيم التيمي ، وعمرو بن قيس ، وابن جرير وغيرهم : أرجعهم إلى وقت السحر ،

وقال ابن جرير : حدثني أبو السائب ، حدثنا ابن إدريس ، سمعت عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال : كان عمر رضى الله عنه يأتى المسجد فيسمع إنسانا يقول : « اللهم دعوتى فأجبته ، وأمرتنى فأطعت ، وهذا السحر فاغفر لى » . قال : فاستمع الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود . فسأل عبد الله عن ذلك فقال : إن يعقوب أختر بنيه إلى السحر بقوله : ( سوف أستغفر لكم ربى ) (١) :

وقد ورد في الحديث أن ذلك كان ليلة الجمعة ، كما قال ابن جرير أيضا : حدثني المنى ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أبو أيوب المشقى ، حدثنا الوليد ، أبانا ابن جرير ، عن عطاء وسكرمة ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سوف أستغفر لكم ربى » ، يقول : حتى تأتى ليلة الجمعة ، وهو قول أنس يعقوب لبنيه (٢) .

وهذا غريب من هذا الوجه ، وفي رفته نظر ، والله أعلم .

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُسُوفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٦﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَبْنَوتُ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدُونِ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَرَجَّ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَسَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾

يعبر تعالى عن ورود يعقوب عليه السلام على يوسف عليه السلام وقدومه بلاد مصر ، لما كان يوسف قد تقدم إلى إخوته أن ياتوه بأهلهم أجمعين ، فتحملوا عن آخرهم وترحلوا من بلاد كنعان قاصدين بلاد مصر ، فلما أخبر يوسف عليه السلام بأقربهم خرج لتلقئهم ، وأمر [ الملك ] أمراءه وأكابر الناس بالخروج [ مع يوسف ] لتلقى بني الله يعقوب عليه السلام ، ويقال : إن الملك خرج أيضا لتلقئهم ، وهو الأشبه .

وقد أشكل قوله : ( أوى إليه أبيه ) ، وقال : ادخلوا مصر ( على كثير من المفسرين ، فقال بعضهم : هذا من المقدم والمؤخر ، ومعنى الكلام : ( وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ) ، وأوى إليه أبيه ، ورفعهما على العرش .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٨٧٠ : ٢٦١/١٦ .

(٢) تلمذ الطبري ، الأثر ١٩٨٧٥ : ٢٦٢/١٦ .

وقد رد ابن جرير هذا ، وأجاد في ذلك . ثم اختار ما حكاه عن السدي : أن يوسف آوى إليه أبوه لما تلقاهما ، ثم لا وصولا باب البلد قال : ( ادخلوا مصر إن شاء الله آمين ) (١) .

وفي هذا نظر أيضا ، لأن الإيواء إنما يكون في المنزل ، كقوله : ( آوى إليه أخاه ) ، وفي الحديث : « من آوى عدوا (٢) » ، وما المانع أن يكون قال لم بعد ما دخلوا عليه وآوهم إليه : ( ادخلوا مصر ) ، وضمت : استكنوا مصر ( إن شاء الله آمين ) ، أي : مما كنتم فيه من الجهد والكد ، وبذلك -- والله أعلم -- إن الله تعالى رفع عن أهل مصر بقية السنين المجذبة ببركة قدوم يعقوب عليهم ، كما رفع بقية السنين التي دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة حين قال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف » ، ثم لما تضرعوا إليه واستشفعوا لديه ، وأرسلوا أباهم سفيان في ذلك ، فدعا لهم ، فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه عليه السلام (٣) .

وقوله : ( آوى إليه أبوه ) ، قال السدي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إنما كان أباه وخاله ، وكانت أمه قد ماتت قديما .

وقال محمد بن إسحاق وابن جرير : كان أبوه وأمه يعيشان .

قال ابن جرير : ولم يتم دليل على موت أمه ، وظاهر القرآن يدل على حياتها (٤) ، وهذا الذي نصره هو المصنوع الذي يدل عليه السياق .

وقوله : ( ورفع أبوه على العرش ) ، قال ابن عباس ، وعجاء ، وغير واحد ، يعني السرير ، أي : أجلسهما معه على سريره .

( وخرؤا له سجدا ) ، أي : سجد له أبواه وإخوته الباقون ، وكانوا أحد عشر رجلا ، ( وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ) ، أي : التي كان قصها على أبيه ( إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) .

وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ، فحرم هذا في هذه الأمة ، وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى .

هذا مضمون قول قتادة وغيره .

وفي الحديث أن معاذا قدم الشام ، فرجدهم يسجدون لأساقفتهم ، فلما رجع سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هذا يا معاذ ؟ فقال : إنى رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وانت أحق أن يسجد لك يا رسول الله ! فقال : « لو كنت

(١) ينظر تفسير الطبري : ٢٦٦/١٦ .

(٢) البخاري ، كتاب الفرائض ، باب « إن من تبرأ من مواليه » ١٩٢/٧ . ومسلم ، كتابه المتق ، باب « تحريم تولد المتق غير مواليه » ٢١٧/٤ .

(٣) البخاري ، كتاب الفرائض ، باب « الدعاء على المشركين » ١٠٤/٧ .

(٤) تفسير الطبري : ٢٦٧/١٦ .

أمرأ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (١) ٥

وفي حديث آخر : أن سلمان تلقى النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة ، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام ، فسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحى الذى لا يموت » .

والغرض أن هذا كان جائزاً في شريعتهم ، ولهذا خروا له سجدة فاعتدها قال يوسف : ( يا أبت ، هذا تأويل ورواى من قبل قد جعلها ربى حقاً ) ، أى هذا ما آل إليه الأمر ، فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر ، كما قال تعالى : ( هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله ) (٢) ، أى : يوم القيامة بأنهم ما وعدوا من خير وشر .

وقوله : ( قد جعلها ربى حقاً ) ، أى : صحيحة صيدكاً ، يذكر ثم الله عليه ، ( وقد أحسن في إذأخرجني من السجن وجاء بكم من البدو ) ، أى : البادية :

قال ابن جريج وغيره : كانوا أهل بادية وماشية - وقال : كانوا يسكنون بالمربات من أرض فلسطين (٣) ، من طور الشام - قال : وبعض يقول : كانوا بالأولاج من ناحية شعب أسفل من حبسى (٤) ، وكانوا أصحاب بادية وشاء ويل (٥) ٥

(من بعد أن ترخ الشيطان بيني وبين إخرق إن ربى لطيف لما يشاء) ، أى : إذا أراد أمرأ قبض له أسبابا ويسره وقدره ، ( إنه هو العليم ) بمصالح عباده (الحكيم) في أعماله وأقواله ، وقضائه وقدره ، وما يختاره ويريده :

قال أبو عثمان النهدي ، عن سلمان : كان بين روبا يوسف وتأويلها أربعون سنة (٦) ٥

قال عبد الله بن شداد : وإليها ينتهى أقصى الرواى : رواه ابن جرير (٧) ٥

وقال أيضا : حدثنا عمرو بن حل ، حدثنا عبد الوهاب الثقفى ، حدثنا هشام ، عن الحسن قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ، ثمانون سنة ، ثم يفارق في الحزن قلبه ، ودموعه تجري على خديه ، وما على وجه الأرض عبد أحب إلى الله من يعقوب (٨) .

وقال هشيم ، عن يونس ، عن الحسن : ثلاث وثمانون سنة ٥

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣٨١/٤ ، وابن ماجه في كتاب التكاثر ٥ باب حق الزوج على المرأة ٥ ، الحديث ١٨٥٣ : ٥٩٥/١ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٥٣ .

(٣) في تفسير البكري عن ابن إسحاق : « بالمربات من أرض فلسطين ، طور الشام » .

(٤) حبسى - بكسر أوله ، وسكون ثالثة ، مقصورا - « أرض بادية الشام ، بينها وبين وادى القرى ليلتان » . (مراسد الاطلاع) .

(٥) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٩٣١ : ١٩٩٣٤ : ٢٧٥/١٦ : ٢٧٦ .

(٦) ينظر الآثار في ذلك عن سلمان التمارى في تفسير الطبرى : ٢٧١/١٦ .

(٧) آثار عبد الله بن شداد في ذلك في تفسير الطبرى : ٢٧٢/١٦ .

(٨) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٩٢٢ : ٢٧٣/١٦ .

وقال مبارك بن فضالة ، عن الحسن : أننى يوسف فى الحب وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة ، فمات وله عشرون ومائة سنة .

وقال قتادة : كان بينهما خمس وثلاثون سنة ،

وقال محمد بن إسحاق : ذكره الله أعلم . أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانى عشرة سنة . قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب عليه السلام بقى مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه .

وقال أبو إسحاق السبى ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود قال : دخل بنو إسرائيل مصر ، وهم ثلاثة وستون إنسانا ، وخرجوا منها وهم سبائة ألف وسبعون ألفا (١) .

وقال أبو إسحاق ، عن مسروق : دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون من بين رجل وامرأة : والله أعلم .

وقال موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن عبد الله بن شداد : اجتمع آل يعقوب إلى يوسف بمصر . وهم ستة وثمانون إنسانا ، صغبرهم وكبرهم ، وذكّرهم وأنثاهم ، وخرجوا منها وهم سبائة ألف ونيف (٢) .

﴿ رَبِّ قَدْ أَتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٣)

هذا دعاء من يوسف الصديق ، دعا به ربه عز وجل ، لما تمت النعمة عليه ، بانجاءه بأبويه وإخوته ، وما من الله به عليه من الثبوت والملك ، سأل ربه عز وجل ، كما أتم نعمته عليه فى الدنيا أن يستمرها عليه فى الآخرة ، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه . قاله الفيض ، وأن يلحقه بالصالحين ، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وهذا الدعاء بمحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره ، كما ثبت فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ، ويقول : « اللهم فى الرفيق الأعلى ، اللهم فى الرفيق الأعلى ، اللهم فى الرفيق الأعلى » (٤) .

ومحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام والحق بالصالحين إذا حان أجله ، وانقضى عمره ، لأنه سأل ذلك متجزأ ، كما يقول الداعى لنيره : « أماتك الله على الإسلام » . ويقول الداعى : « اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين » .

(١) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٩٣٧ : ٢٧١/١٦ .

(٢) تفسير الطبرى ، الأثر ١٩٩٣٥ : ٢٧٦/١٦ .

(٣) البخارى ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذا خليلا ، ٩٠٪ . وسلم كتاب السلام ، باب « استصحاب رقية المريضة » : ١٥٪٧ .

. ويحتمل أنه سأل ذلك متبرجاً ، وكان ذلك سابقاً في ملهم ، كما قال قتادة قوله : ( توفي مسلماً وأخفى بالصالحين ) ، لما جمع الله شمله وأثر عبته ، وهو يرمئ مغموراً في الدنيا (١) ، وملكها وعضاوتها ، فاشتاق إلى الصالحين قبله ، وكان ابن عباس يقول : ما تمّني نبي قط الموت قبل يوسف عليه السلام (٢) .

وكذا ذكر ابن جرير ، والسدي عن ابن عباس : أنه أول نبي دعا بذلك : وهذا يحتمل أنه أول من سأل الوفاة على الإسلام ، كما أن نوحاً أول من قال : ( رب اغفر لي ولوالدي ولن أدخل بيتي موتاً ) (٣) ، ويحتمل أنه أول من سأل إنجاز ذلك ، وهو ظاهر سياق قتادة ، ولكن هذا لا يجوز في شريعتنا .

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنياً الموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفي إذا كانت الوفاة خيراً لي » (٤) .

[ وأخرجه في الصحيحين ، وعندهما : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به إما حسناً فيزداد ، وإما مسيئاً فلعله يستمتع به ، ولكن ليقُل : اللهم ، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفي إذا كانت الوفاة خيراً لي » (٥) ] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو المنيرة ، حدثنا مسكان بن رفاعه ، حدثني علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : جلسنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ورغبنا ، فيكي سعد بن أبي وقاص فأكثر البكاء ، فقال : يا لئيلي ما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا سعد أتعندي تنمي الموت ؟ فردّد ذلك [ ثلاث ] مرات ، ثم قال : يا سعد ، إن كنت خلقت الجنة ، فما طالع هرك ، أو حسن من عملك ، فهو خير لك (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، حدثنا ابن أبي عمير ، حدثنا أبو يونس - هو سكين بن جبير ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدعوك به من قبل أن يأتيه ، إلا أن يكون قد وكّين بعمله ، فإنه إذا مات أحدكم انقطع عنه عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره (٧) إلا خيراً (٨) » .

وهذا فيما إذا كان الضر خاصاً به ، أما إذا كان فتنة في الدين فيجوز سؤال الموت ، كما قال الله تعالى إنشراحاً عن السحرة لما أرادهم فرعون عن دينهم وتهددهم بالقتل : ( قالوا : ربنا ، أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ) (٩) ، وقالت

(١) لفظ الطبري : « مغموس في نبت الدنيا » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٩٤٢ : ٢٧٩/١٦ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٨ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٠١/٣ .

(٥) ما بين القوسين المعرفين غير ثابت في خطوط الأثر ، ولعله سقط نظر ، وقد أبيتاه عن التعليقات السابقة . والحدیث في صحيح البخاري ، وبه من رواية أنس بن مالك ، وبه من رواية أبي هريرة ، ينظر كتاب المرضى ، باب « تمّني المريض الموت » : ١٥٦/٧ ، ١٥٧ . ومسلم ، كتاب الذكر ، باب « كراهة تمّني الموت » : ٦٤/٨ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٢٦٦/٥ ، ٢٦٧ .

(٧) في الخطوط : « لا يزيد المؤمن عمله » . والمثبت من المسند .

(٨) مسند الإمام أحمد : ٣٥٠/٢ ، من حديث طويل .

(٩) سورة الأعراف ، آية : ١٢٦ .

مرحباً لأجاءها الخافض ، وهو الطلق ، إلى جلد النخلة ( يا ليتنى مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً ) ، لِمَا تعلم من أن الناس يلقونها بالفاحشة ، لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت وولدت ، فيقول القائل آتى لها هذا ؟ ولهذا ، واجهوها أولاً بأن قالوا ( يا مريم ، لقد جئتينا فرجاً . يا أخت هرون ما كان أبوك أمراً سوء وما كانت أمك بغياً ) (١) فجعل الله لها من ذلك الحلال فرجاً وغرباً ، وأطلق الصبي في المهد بأنه عبد الله ورسوله ، « كان آية عظيمة ومعجزة باهرة صلوات الله وسلامه عليه . وفي حديث معاذ ، الذي رواه الإمام أحمد والترمذي ، في قصة الماتم والدعاء الذي فيه » وإذا أردت بقوم فتنة ، فتوفى إليك خبر مفتون (٢) »

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سلمة ، أنا عبد العزيز بن محمد ، عن عمرو بن حاصم عن عمر بن قنادة (٣) ، عن عمرو بن لبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اثنان يكرههما ابن آدم الموت ، والموت خير للمؤمن [ من الفتنة ] (٤) ويكره قلة المال ، وقلة المال أقل للحساب » (٥) .

فبعد حلول الفتن في الدين يجوز سؤال الموت ، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في آخر إمارته لما رأى أن الأمور لا تجتمع له ، ولا يزداد الأمر إلا شدة قال : اللهم ، خطئى إليك ، فقد سئمتهم وسئمتوني ، وقال البخاري رحمه الله لما وقت له تلك الغن وجري له ما جرى مع أمير خراسان : اللهم ، توفى إليك .

وفي الحديث : « إن الرجل ليمر بالقبور — أى في زمان الجبال — فيقول : يا ليتنى مكانك (٦) » ، « ما يرى من الفتن والازلال والبلابل والأمور المحالة التي هي فتنة لكل مفتون .

قال أبو جعفر بن جرير : وذكر أن نبي يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا ، استنفر [ لهم ] أبوهم ، فتاب الله عليهم وحقق عنهم ، وغفر لهم ذنوبهم .

### [ ذكر من قال ذلك ]

حدثنا القاسم ، حدثنا الحسن ، حدثني حجاج ، عن صالح المري ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك قال :

(١) سورة مريم : آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) مسند الإمام أحمد من ابن عباس : ٣٦٨/١ ، وعن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٦٦/٤ ، ٣٧٨/٥ ، وعن معاذ بن جبل : ٢٤٣/٥ ، وثقة الأحوزي ، تفسير سورة ص ، الحديث ٣٢٨٦ : ١٠١/٩ - ١٠٥ .

(٣) في المخطوطة : « عن عمرو بن حاصم ، عن كثير بن قنادة » . وهو خطأ ، والمثبت عن مسند الإمام أحمد ، وينظر التلخيص ، ترجمة حاصم بن عمرو بن قنادة : ٤٣/٥ ، وترجمة عمرو بن أبي عمرو : ٨٢/٨ ، ٨٣ .

(٤) ما بين القوسين عن المسند .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٢٧/٥ .

(٦) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن ، باب « فتنة الزمان » عن أبي هريرة ، الحديث ٤٠٣٧ : ١٣٤٠/٢ ، ولفظه : « والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر ، فيستريح عليه ، ويقول : يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر . وليس به الذين ، إلا البلاد » .

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ لِيُغَيِّبَ شَيْئًا ، [ وَأَمَّا حَيْثُ (١) ] خَلَا وَلَدَهُ نَحْيَا (٢) ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَسْنَا قَدْ عَلِمْنَا مَا صَنَعْنَا ، وَمَا لَقِيَ مِنْكَ الشَّيْخُ ، وَمَا لَقِيَ مِنْكَ يُوسُفُ ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالَ : فَيُغَيِّبُكُمْ عَنْفُوهَا عَنْكُمْ ، فَكَيْفَ لَكُمْ بِرَبِّكُمْ ؟ فَاسْتَقَامَ أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ أَتُوا الشَّيْخَ فَجَلَسُوا بِحَيْثُ بِهِ ، وَيُوسُفُ إِلَى جَنْبِ أَبِيهِ قَاعِلًا ، قَالُوا : يَا أَبَانَا ، إِنَّا أَتَيْنَاكَ فِي أَمْرٍ ، لَمْ نَأْتِكَ فِي مِثْلِهِ قَطُّ ، وَتَزَلُّ بِنَا أَمْرٌ لَمْ يَتَزَلْ بِنَا مِثْلُهُ . حَتَّى حَرَّكَوهُ ، وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَرْحَمُ الْبَرِيَّةِ ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ يَا بَنِيَّ ؟ قَالُوا : أَلَسْتَ قَدْ عَلِمْتَ مَا كَانَ مَنَا إِلَيْكَ ، وَمَا كَانَ مَنَا إِلَى أَخِيئَا يُونُسَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالُوا : أَوَلَسْنَا قَدْ حَكَمْنَا ؟ قَالُوا : بَلَى . قَالُوا : فَإِنْ حَكَمْنَا لَا يَخْفَى حَتَّى شَيْئًا ، إِنْ كَانَ اللَّهُ لَمْ يَخْفَ عَنْهُ . قَالَ : فَمَا تَرِيدُونَ يَا بَنِيَّ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَدْعِيَ اللَّهَ لَنَا ، فَإِذَا جَاءَكَ الرُّوحُ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ قَدْ عَفَا عَنْمَا صَنَعْنَا قَرَرْتَ أَعْيُنَنَا ، وَاطْمَأْنَنْتَ قُلُوبَنَا ، وَإِلَّا فَلا تُرَى عَيْنٌ فِي الدُّنْيَا أَبَدًا لَنَا . قَالَ : فَقَامَ الشَّيْخُ فَاسْتَقْبَلَ الْقَبِيلَةَ ، وَقَامَ يُوسُفُ خَلْفَ أَبِيهِ ، وَقَامُوا خَلْفَهُمَا أَذَلَّةً خَاشِعِينَ . قَالَ : فَدَعَا وَأَمَّنْ يُونُسَ ، فَلَمْ يُجِبْ فِيهِمْ عَشْرِينَ سَنَةً - قَالَ صَالِحُ الْمُرِّي : خَفِيفُهُمْ - قَالَ : حَتَّى إِذَا كَانَ رَأْسُ الْعَشْرِينَ تَزَلُّ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى يَعْقُوبَ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ بِمَعْنَى إِلَيْكَ أَبَشْرَكَ بِأَنَّهُ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَكَ فِي وَلَدِكَ ، وَأَنَّهُ قَدْ عَفَا عَنْمَا صَنَعُوا ، وَأَنَّهُ قَدْ احْتَقَدَ مَوَالِيَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ عَلَى التَّيْبَةِ (٣) .

هَذَا الْأَمْرُ مَوْقُوفٌ عَنْ أَنَسٍ ، وَزَيْدِ الرَّقَاشِيِّ وَصَالِحِ الْمُرِّي ضَعِيفَانِ جَلًّا .

وَذَكَرَ السُّدِّي : أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا حَضْرَةَ الْمَوْتِ ، أَوْصَى إِلَى يُوسُفَ بِأَنْ يَدْفِنَ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ، فَلَمَّا مَاتَ صَبْرَهُ (٤) وَأُرْسِلَ إِلَى الشَّامِ ، فَدَفِنَ عِنْدَهُمَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَبِيلِ نُوْحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿٥﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هُوَ أَذْكُرُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِعِبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - لَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ نَبَأَ إِنْصَارَةِ يُوسُفَ ، وَكَيْفَ رَفَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَجَبَلَ لَهُ الْعَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ وَالْمُلْكَ وَالْحُكْمَ ، مَعَ مَا أَرَادُوا بِهِ مِنَ السُّوءِ وَالْهَلَاكِ وَالْإِعْدَامِ : هَذَا وَأَمثالُهُ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَخْبَارِ الشُّيُوبِ السَّابِقَةِ ، ( نُوْحِيهِ إِلَيْكَ ) وَنَعْلَمُكَ بِهِ لَمَّا فِيهِ مِنَ الْعِبَرَةِ لَكَ وَالْإِعْظَامِ لِنَا خَلْقِكَ ، ( وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ) حَاضِرًا عِنْدَهُمْ وَلَا مُشَاهِدًا لَهُمْ ( إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ) ، أَيْ : عَلَى إِتْقَانِهِ فِي الْجِبِ ، ( وَهُمْ يَمْكُرُونَ ) بِهِ ، وَلَكِنَّا أَعْلَمْنَاكَ بِهِ وَحِيَا إِلَيْكَ ، وَإِذَا لَا حِيلَكَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ( وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَكْثَلُهُمْ آيَةً يَكْفُلُ مَرْيَمَ ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ) (٥) وَقَالَ تَعَالَى : ( وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ) . إِلَى أَنْ

(١) مكانه في المخطوطة : « بهيوله » . والكتاب من تفسير الطبري .

(٢) أَيْ : خَلَا بِمَضْمُونِهِمْ يَتَنَجَّوْنَ وَيَتَسَارَوْنَ الْخَبْرَ .

(٣) تفسير الطبري : الأثر ١٩٩٤٨ / ١٦ / ٢٨١ .

(٤) لَفْظُ السُّدِّي كَمَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ، الْأَثَرُ ١٩٩٥٠ : فَلَمَّا مَاتَ تَفَيَّحَ فِيهِ الْمَرْءُ وَكَانَ مَضَى صَبْرَهُ : دَعَا بِالصَّبْرِ -

بِفَتْحٍ فَكسر - وَهُوَ : حَصَارَةُ شَجَرٍ مَرٍّ ، خَلَفَ جَسَدَهُ مِنَ الْجَمْعِ .

(٥) سُورَةُ آلِ هِرَانَ ، آيَةُ : ٤٤ .



قال : ( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ) (١) ، قال : ( وما كنت ثابراً في أهل مدائن تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ) (٢) وقال : ( ما كان لي من علم بالمأثري إذ يختمون - إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين ) (٣) .

يقدر تعالى أنه رسوله ، وأنه قد أطلعهم على آباء ما قد سبق ، ما فيه عبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس ، ولهذا قال : ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) ، وقال : ( وإن قطع أكثر من في الأرض يفسدوك هم سيئ الله ) (٤) إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : ( وما تسألهم عليه من أجر ) ، أي : وما تسألهم يا محمد على هذا النصيح والدعاء إلى الخير والرشد من أجر ، أي من جملة ولا أجره على ذلك ، بل لتعلمه ابتغاء وجه الله ، وتمسكاً بخلقه .  
( إن هو إلا ذكر للعالمين ) ، أي : يتذكرون به ويهتدون ، وينجون به في الدنيا والآخرة .

وَكَايْنٍ مِّنْ عَاقِبَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يُرَوْنَ عَلَيْهِمَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَا زَيْنٌ أُنْكِرْتُمْ إِلَّا وَهُمْ مُنْكَرُونَ ﴿١٧١﴾ إِنَّا نَأْتِيهِمْ فَنَقُصِّهِمْ فِي ظُلُمٍ إِنَّ اللَّهَ آتِيهِمْ السَّاعَةَ بُعْتًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٧٢﴾

يُخبر تعالى عن [ غفلة ] أكثر الناس عن التفكر في آيات الله ودلائل توحده ، بما غطاه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت ، وسيارات وأفلاك دائرات ، والجميع مسخرات ، وكَم في الأرض من قطع متجاورات ، وحدائق ونجعات ، وجبال ورسيات . وبحار زاهرات ، وأمواج متلاطمت ، وقفار شاسعات ، وكَم من أحياء وأموات ، وحيوانات وتبات ، وثمرات مشجاة ومختلفة ، في العلوم والروائع والأثران والصفات ، فسبحان الواحد الأحد ، خالق أنواع المخلوقات ، المنزه بالدوام والبقاء والعمدة على الأسماء والصفات .

وقوله : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) ، قال ابن عباس : من إيمانهم ، إذا قيل لهم : من خلق السموات ؟ ومن خلق الأرض ؟ ومن خلق الجبال ؟ قالوا : الله ، وهم مشركون به (٥) ، وكلوا قال مجاهد ، وعطاء وسكرية ، والشبي ، وقادة ، والفسحاء ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وهكذا في الصحيحين : أن المشركين كانوا يقولون في تلييتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وفي الصحيح : أنهم كانوا إذا قالوا : ( لبيك لا شريك لك ) يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدْ قَدْ » ، أى حَسْبُ حَسْبُ ، لا تَبْدُوا عَلَى هَذَا (٦) .

(١) سورة التيسمي ، آية : ٤٦ .

(٢) سورة القصص : آية : ٤٥ .

(٣) سورة : ص : آية : ٦٩ : ٧٠ .

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٦ .

(هـ) تفسير الطبري، الأثر ١٩٩٥: ١٦ / ٢٨٦.

(٦) مسلم ، كتاب الحج ، باب في التلبية ومبعتها ووقتها : ٨/٤ .

وقال الله تعالى : ( إِنَّ الشِّرْكَ لَكُفْرٌ عَظِيمٌ ) ، وهذا هو الشرك الأعظم الذى يعبد مع الله غيره ، كما فى الصحيحين ، عن ابن مسعود قلت : يا رسول الله ، أى النّيب أعظم ؟ قال : « أَنْ تَجِئَلَ لَكَ نِدَاً وَهُوَ خَلْقُكَ » (١) .

وقال الحسن البصرى فى قوله : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) ، قال : ذلك المنافق يعمل إذا عمل رياء للناس ، وهو مشرك بعمله ذلك ، يعنى قوله تعالى : ( إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ، يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ) .

ولم يشرك آخر خفى لا يشعر به غالباً فاعله ، كما روى حماد بن سلمة ، عن حاصم بن أبى النجود ، عن عروة قال : دخل حذيفة على مريض ، فرأى فى عضده سيراً مقطعة - أو : انتزعه (٢) - لم قال : ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) .

وفى الحديث : ( من حلف بغير الله فقد أشرك ) : رواه الترمذى وحسنه من رواية ابن عمر (٣) .

وفى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود وغيره ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّمْيَ وَالنَّمَامَ وَالشُّوْكَ شِرْكٌ » (٤) .

وفى لفظهما : « [ الطَّيْرَةُ شِرْكٌ ] وما مثلاً إلا ولكن الله يلمه به بالتوكل » (٥) .

ورواه الإمام أحمد بأبسط من هذا فقال : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن يحيى الجزاءى ، عن ابن أنس ، زيب [ عن زيب ] امرأة عبد الله بن مسعود قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأتته إلى الباب فتحنق ويزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتحنق وعندى عجوز تركبني من الحُمْرَةِ (٦) فأدخلتها تحت السرير ، قالت : فدخل فجلس إلى جانبي ، فرأى فى عصى خيطاً ، قال : ما هذا الخيط ؟ قالت : قلت : خيط رفعى لى فيه ، قالت : فأخذه قطعه ، ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرقى والتألم والشُّوْكَ شِرْكٌ . قالت : قلت له : لم تقول هذا وقد كانت حبي تهلل ، فكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقىها ، فكان إذا رقاها سكنت ، قال : إنما ذاك من الشيطان (٧) . كان ينخسها بيده ، فإذا رقيتها كف

(١) البخارى ، تفسير سورة البقرة : ٦ / ٢٢ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب « كون الشرك أتبع اللّوْب وبيان أصلها بعده » : ١ / ٦٣ .

(٢) وإنما فعل ذلك لئله أن الرقى يتوهم أن هذا السر له أثر فى إزالة الرقى عنه .

(٣) تحفة الأوحى ، أبواب اللغو ، الحديث : ١٥٧٤ / ٥ / ١٣٥ / ١٣٦ .

(٤) سنن أبى داود ، كتاب الطب ، باب « فى تطبيق الآثام » ، الحديث : ٣٨٨٣ / ٤ / ٩ ، ومسنن الإمام أحمد : ١ / ٣٨١ . والتولة - بكسر التاء ونسخ الواو - « ما يجب للمرأة إلى زوجها من السر وغيره ، يجله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قلعه الله تعالى .

(٥) سنن أبى داود ، كتاب الطب ، باب « فى الطيرة » ، الحديث : ٣٩١٠ / ٤ / ١٧ ، ومسنن الإمام أحمد : ١ / ٣٨٩ .

(٦) الحُمْرَةُ - بضم فسكون - : داء يترى الناس ، فيحمر موضعها ، وتناوب بالرقية . ( لسان العرب ، مادة : حمر ) .

(٧) لفظ المسند : « إنما ذلك عمل الشيطان » .

عننا . إنما كان بكفيلك أن تقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذهب الياس ، وب الناس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يفاخر مقما » (١) .

وفي حديث آخر رواه الإمام أحمد ، عن وكيع ، عن ابن أبي ليلى ، عن عيسى بن عبد الرحمن قال : دخلنا على عبد الله بن حكيم ، وهو مريض نعوذ ، فقيل له : تَعَلَّيْتَ شَيْئًا ؟ فقال : أتعلق شيئا ! وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعلّق شيئا وكل إليه » (٢) . ورواه النسائي عن أبي هريرة .

وفي مسند الإمام أحمد ، [ من حديث ] حبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علّق نعمة فقد أشرك » (٣) . — وفي رواية : « من تعلّق نعمة فلا أتم الله له ، ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له » (٤) .

ومن العلل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول : قال الله : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملا أشرك فيه معي شيءي تركته وشركه » . رواه مسلم (٥) .

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه ، يتأدى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك » . رواه أحمد (٦) .

وقال الإمام أحمد حدثنا يونس ، حدثنا ليث ، عن يزيد — بنى ابن الحاد — عن عمرو ، عن محمود بن لبيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراعون في الدنيا ، فانظروا هل يجدون عنهم جزاء » (٧) ؟

وقد رواه إسماعيل بن جعفر (٨) ، عن عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، به .

(١) مسند الإمام أحمد : ١ / ٣٨١ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٣١٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤ / ١٥٦ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٤ / ١٥٤ .

والودع — يفتحين ، ويفتح فسكون — : جمع ودعة ، وهو شيء أبيغى يحلب من البئر ، يعلق في حاوة الصبيان وغيرهم . وإنما نهي ضيا لأنهم كانوا يعلقونها خلفه العين . ومنى « لا ودع الله له » : أى : لا جعله في دعة وسكون .

(٥) مسلم ، كتاب الزهد ، باب « من أشرك في عمله غير الله » : ٨ / ٢٤٣ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٢١٥ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٥ / ٤٢٨ .

(٨) كذا قال « رواه إسماعيل بن جعفر . وهو في المسند من غير طريق إسماعيل ، فقد رواه الإمام أحمد من طريق عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن عمرو ، المسند : ٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩ . وقد وقع في المخطوطة : « من حاسم بن عمرو عن قتادة » وهو خطأ ظاهر ، والصواب من المسند .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن ، أنبأنا ابن هبيرة ، عن أبي عبد الرحمن الحلي ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رَدَّته الطَّيْرَةُ من حاجته ، فقد أشرك . قالوا : يا رسول الله ، ما كثرة ذلك ؟ قال : أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك » (١) . وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن نمير ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان العرزمي ، عن أبي علي - رجل من بني كاهل - قال : خطبنا أبو موسى الأشعري فقال : يا أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من ديب النمل . فقام عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجن مما قلت أو لتأتين عمر مآذونا لنا أو غير مآذون . قال : بل أخرج مما قلت ، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم [ ذات يوم ] فقال : « أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : فكيف تنقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك [ من ] أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفر لك ما لا نعلمه » (٢) .

وقد روي من وجه آخر ، وفيه أن السائل في ذلك هو الصديق ، كما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي ، من حديث عبد العزيز بن مسلم ، عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي محمد ، عن معقل بن يسار قال : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم : أو قال حدثني أبو بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الشرك أخفى فيكم من ديب النمل . فقال أبو بكر : وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلها آخر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشرك فيكم أخفى من ديب النمل . ثم قال ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره ؟ قل : اللهم ، أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفر لك ما لا أعلم » .

وقد رواه الحافظ أبو القاسم البهي ، عن شيخان بن فروخ ، عن يحيى بن كثير ، عن الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشرك أخفى في أمي من ديب النمل على الصفا . قال : فقال أبو بكر : يا رسول الله ، فكيف النجاة واخرج من ذلك ؟ فقال : ألا أخبرك بشيء إذا قلته برئت من قليله وكثيره وصغيره وكبيره ؟ قال : بلى ، يا رسول الله . قال : قل : اللهم ، إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفر لك ما لا أعلم » .

قال الدارقطني : يحيى بن كثير هذا يقال له « أبو النضر » ، متروك الحديث .

وقد روى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وصححه والنسائي ، من حديث يعلى بن عطاء ، سمعت عمرو بن عاصم (٣) ، سمعت أبا هريرة قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، علمي شيئا أقوله إذا أصبحت ، وإذا أصبحت ، وإذا أخذت مضجعي . قال : قل : اللهم ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، شر الشيطان وشركه » (٤) .

(١) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٢٢٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٤٠٣ .

(٣) في المخطوطة : « عمرو بن عاص » . والمثبت من مسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود . وهو عمرو بن عاصم بن سليمان ابن عبد الله . ينظر ترجمته في الجرح : ٣ / ١ / ٢٥٠ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١ / ٩ . وسنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب « ما يقول إذا أصبح » الحديث ٥٠٦٧ :

وزاد أحمد في رواية له من حديث ليث بن أبي سليم ، [ عن مجاهد ] ، عن أبي بكر قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول ... فذكر هذا الدعاء وزاد في آخره وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم (١) :

وقوله : ( أفأمنوا أن يأتيهم غاشية من عذاب الله ، أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ) ، أي : أفأمن هؤلاء المشركون أن يأتيهم أمر يشاهم من حيث لا يشعرون ، كما قال تعالى : ( أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ، أو بأخطم في رقبتهم فاهم بمعجزين ، أو بأخطم على أعقابهم فلن يؤمنوا ) (٢) ، وقال تعالى : ( أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ، أفأمنوا بغير الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٣) ) .

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي سَبِيلُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَشْرِكِينَ (٤)

يقول تعالى لعبدته ورسوله إلى القلائد : الإنس والجن ، آمراً له أن يحذر الناس : أن هذه سبيله أي طريقه ومسلكه وسسته ، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ، ويقين وبرهان ، هو وكل من اتبعه ، يدعو إلى مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وحقيقي .

وقوله : ( وسبحان الله ) ، أي : وأتزه الله وأجلته وأعظمه وأقدسّه ، عن أن يكون له شريك أو نظير ، أو حليل أو تشديد ، أو ولد أو والد أو صاحبة ، أو وزير أو مشير ، تبارك وتعالى وتقدس وتزه عن ذلك كله علواً كبيراً ، ( تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليماً غفوراً (٥) ) .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ هَاجِرَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَغْلًا يُعْطُونَ (٦)

بحر تعالى أنه إنما أرسل رسله من الرجال لا من النساء . وهذا قول جمهور العلماء ، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى لم يوحى إلى امرأة من بنات نبي آدم وحى تشريع .

وزعم بعضهم : أن سارة امرأة الخليل ، وأم موسى ، ومريم أم عيسى نبيات ، واحتجوا بأن الملكة بشرت سارة بإصافى ، ومن وراء إصافى يعقوب ، ويقول : ( وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه (٧) ) ... الآية ، وبأن الملك جاء

(١) مسنده الإمام أحمد ١ / ١٤ .

(٢) سورة النحل ، الآيات : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) سورة الأعراف ، الآيات : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٧ .

إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام ، وبقوله تعالى : ( إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ) يا مريم اقنئ لربك واسجدى وركعى مع الراكعين (١) .

وهذا القدر حاصل لمن ، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نيات بللك ، فإن أرواد القائل بنوهم هذا القدر من التشريف ، فهذا لا شك فيه ، ويبقى [ الكلام ] معه في أن هذا: هل يكنى في الانتظام في سلك النبوة بمجرد أم لا ؟ الذى عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نقله الشيخ أبو الحسن عل بن إسماعيل الأشعرى عنهم : أنه ليس في النساء نبية ، وإنما فيهن صديقات ، كما قال تعالى عبراً عن أشرفهن مريم بنت عمران حيث قال : ( ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ) (٢) ، فوصفها في أشرف مقاماتها بالصديقية ، فلو كانت نبيةً لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام ، فهي صديقة بنص القرآن .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ( وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى ) ، أى : ليسوا من أهل السماء كما قلتم . وهذا القول من ابن عباس يخضع بقوله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) (٣) ... الآية ، وقوله تعالى : ( وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ) ثم صدفاهم الوعد فأخرجناهم ومن نشاء وأهلكنا المرسلين (٤) ، وقوله تعالى : ( قل ما كنت بدعا من الرسل ) (٥) ... الآية .

وقوله ( من أهل القرى ) المراد بالقرى المدن ، لأنهم من أهل البرادى ، الذين هم أجنى الناس طباعاً وأخلاقاً ؛ وهذا هو المهود المعروف أن أهل المدن أرق طباعاً ، وألطف من أهل سوادهم (٦) ، وأهل الريف والسواد أقرب حالا من الذين يسكنون في البرادى ، ولهذا قال تعالى : ( الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ) .

وقال قتادة في قوله : ( من أهل القرى ) ، لأنهم أهل وأهل من أهل العمود (٧) :

وفي الحديث الآخر : أن رجلاً من الأعراب أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ ناقة ] فلم يزل يعطيه ويزيده حتى رضى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد هَمَمْتُ أَنْ لَا أَتَّهَبُ هَبَةً إِلَّا مِنْ قُرَيْشٍ » أو أنصاري ، أو ثقفى ، أو ذؤيبى (٨) .

(١) سورة آل عمران ، آية : ٤٣ ، ٤٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٥ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٢٠ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية : ٨ ، ٩ .

(٥) سورة الأحقاف ، آية : ٩ .

(٦) السواد : هو ما حول المدينة من القرى ، ومنه سواد الكوفة والبصرة : أى قراها .

(٧) تفسير الطبرى ، الأثر : ١٩٩٨ / ١٦ / ٢٩٣ .

(٨) مسند الإمام أحمد : ١ / ٢٩٥ ، ٢ / ٢٤٧ . وقد سبق خبره أيضاً في سورة « برائة » ، ص ٩٧ ، الآية ٩٧ / ١٤١ .

ومعنى « أتَّهَبُ » : أقبل هدية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج ، حدثنا شعبة ، عن الأعشى ، عن يحيى بن وثاب ، عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال الأعشى : هو [ ابن (١) ] عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذىهم ، خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذىهم » (٢) .

وقوله ( أفلم يسروا في الأرض ) ، [ يعنى : هؤلاء المكابرين لك يا محمد في الأرض ، ] ( فيظنوا كيف كان حاقبة الذين من قبلهم ) ، أى : من الأمم المكذبة للرسل ، كيف دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها ، كقوله : ( أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فأنها لا تسمع الأبصار ، ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور ) ، فإذا استمعوا خبر ذلك ، رأوا أن الله قد أهلك الكافرين ونجى المؤمنين ، وهذه كانت سنته تعالى فى خلقه ، ولهذا قال تعالى : ( ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ) ، أى : وكما أنجيت المؤمنين فى الدنيا ، كذلك كتبنا لهم النجاة فى الدار الآخرة أيضا ، وهى خير لهم من الدنيا بكثير ، كما قال تعالى : ( إنا لننصر رسلنا وللمؤمنين آمنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد • يوم لا ينفع الظالمين معلنهم ولم اللعنة ولم سوء الدار (٣) ) .

وأضاف الدار إلى الآخرة فقال : ( ولدار الآخرة ) ، كما يقال : « صلاة الأولى » ، « ومسجد الجامع » ، « وحام الأولى » ، « وبارحة الأولى » ، « ويوم الخميس » . قال الشاعر :

أَتَمَدَّحٌ قَتَعَا وَتَمَّ حَيًّا      أَلَا قَدْ أَمَكَّ مِنْ هَجِينِ (٤)  
وَكُوْا أَقْوَتُ (٥) عَلَيْكَ دَارُ هَبَسٍ      حَرَّتْ الدَّلَّ حَرْقَانُ الْيَسِينِ (٦)

حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِىَ مِنْ نِسَاءٍ وَلَا يَرُدُّ صَدْرُهُنَّ الْعُقُومَ الْمُعْجَمِينَ ﴿١١﴾

يعبر تعالى أن نصره يزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى فى أحوال الأوقات إلى ذلك ، كما فى قوله تعالى : ( وزلزلوا حتى يقول الرسل والذين آمنوا معه : مئى نصر الله ؟ إلا إن نصر الله قريب ) . وفى قوله « كذبوا » قرأتان ، أحدهما بالتشديد : ( قد كذبوا ) ، وكذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقرؤها ، قال البخارى :

(١) ما بين القوسين المقوفين من مسند الإمام أحمد .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢ / ٤٣ ، ورواه الإمام أحمد أيضا من وجه آخر عن يزيد ، عن سفيان بن سعيد ، عن الأعشى :

٣٦٥ / ٥ .

(٣) سورة غافر ، آية : ٤٠ ، ٤١ .

(٤) الهجين : وله العرب كثير العربية .

(٥) أقوت الدار : حلت من سكانها .

(٦) البيتان والأشلة المتطمة فى تفسير الطبري : ١٦ / ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، وذكر ذلك الفراء من قبل فى كتابه معاني القرآن ، وقد كان الفراء يرى جواز إضافة الاسم إلى مراده إذا اختلف لفظ المتضامين ، مثل ( دار الآخرة ) فالدار هى الآخرة ، ولكن جازت الإضافة لما اختلف لفظ المضام والمضاف إليه ، وقد ورد مثل هذا الأسلوب كثير . أنى اللغة العربية .

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة قالت له وهو يسأله عن قول الله : ( حتى إذا استأسأ الرسل ) ، قال قلت : أكلد بوا أم كد بوا ؟ فقالت عائشة : كد بوا فقلت : فقد استيقنا أن يومهم قد كد بوا فما هو بالنظر ؟ قالت : أجل ، لعمرى لقد استيقنا بذلك فقلت لما : وظنوا أنهم قد كلبوا ؟ قالت : معاذ الله ، لم تكن الرسل تنظر ذلك برها . قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا ببرهم وصدقهم ، فقال عليهم البلاء ، واستأخروهم عنهم النصر ، ( حتى إذا استأسأ الرسل ) ممن كلبهم من قومهم ، وظننت الرسل أن أتباعهم قد كد بوا يومهم ، جاءهم نصر الله عند ذلك . حدثنا أبو اليان ، أبا ناس شبيب ، عن الزهري قال : أخبرنا عروة فقلت : لعلها قد كد بوا غففة ؟ قالت : معاذ الله . انتهى ما ذكره (١) .

وقال ابن جرير : أخبرني ابن أبي مليكة : أن ابن عباس قرأها : ( وظنوا أنهم قد كد بوا ) خفيفة - قال عبد الله هو ابن أبي مليكة : ثم قال لي ابن عباس : كانوا بشراً ، وتلا ابن عباس : ( حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله ألا إن نصر الله قريب ) - قال ابن جرير : وقال لي ابن أبي مليكة : وأخبرني عروة عن عائشة : أنها خالفت ذلك وأبته ، وقالت : ما وعد الله محمداً صلى الله عليه وسلم من شيء إلا قد علم أنه سيكون حتى مات ، ولكنه لم يزل البلاء بالرسول حتى ظنوا أن من معهم من المؤمنين قد كد بوا يومهم - قال ابن أبي مليكة في حديث عروة : كانت عائشة تقرؤها ( وظنوا أنهم قد كد بوا ) مقالة ، والتكليب (٢) .

وقال ابن أبي حاتم : أنا يونس بن عبد الأعلى قراءة : أنا ابن وهب ، أخبرني سليمان بن بلال ، عن يحيى بن سعيد قال : جاء إنسان إلى القاسم بن محمد فقال : إن محمد بن كعب القرظي يقول هذه الآية : ( حتى إذا استأسأ الرسل وظنوا أنهم قد كلبوا ) ، فقال القاسم : أخبره حتى أتى سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول : ( حتى إذا استأسأ الرسل وظنوا أنهم قد كلبوا ) ، تقول : كلبهم أتباعهم . إسناده صحيح أيضاً .

والقراءة الثانية بالتحفيف ، واختلفوا في تفسيرها ، فقال ابن عباس ما تقدم . وعن ابن مسعود ، فيما رواه سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي الضمى ، عن مسروق ، عن عبد الله أنه قرأ : ( حتى إذا استأسأ الرسل وظنوا أنهم قد كلبوا ) ، وخففة ، قال عبد الله : هو الذي ذكره (٣) .

وهذا عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما خالفت لما رواه آخرون عنهما . أما ابن عباس فروى الأعمش ، عن مسلم ، عن ابن عباس في قوله : ( حتى إذا استأسأ الرسل وظنوا أنهم قد كلبوا ) ، قال : لا أبيت الرسل أن يستجيب لهم قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كد بوا يومهم ، جاءهم النصر على ذلك ، ( فتجنى من نشاء ) (٤) .

وكذا روى عن سعيد بن جبير ، وعمران بن الحارث السلمي ، وعبد الرحمن بن معاوية وحلى بن أبي طلحة ، والوعور ، عن ابن عباس بمثله .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا حارم أبو النعمان ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا شبيب ، حدثنا إبراهيم بن أبي حرة الجزي قال : سألت فقي من قريش سعيد بن جبير فقال له : يا أبا عبد الله ، كيف هذا الحرف ، فإني إذا

(١) البخاري ، تفسير سورة يوسف : ٦ ، ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٣٠٣٠ : ١٦ ، ٣٠٧ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٣٠٣٠ : ١٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ١٩٨٨ : ١٦ ، ٢٩٦ .



أثبت عليه نعمت ألى لا أقرأ هذه السورة: (حتى إذا استأسأ الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا) ٤ قال: نعم، حتى إذا استأسأ الرسل من قومهم أن يصد قوهم، وظن الرسل أنهم أن الرسل كذبوا. فقال الضحكاء بن مزاحم: ما رأيت كالهم قط رجلا يدعى إلى علم فيهلكا ١١١ لو رحت في هذه إلى اليمن كان قليلا (١).

ثم روى ابن جرير أيضا من وجه آخر: أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جببر عن ذلك، فأجابته بهذا الجواب، فقام إلى سعيد فاعتقه، وقال: فرج الله حنك كما فرجت عني (٢).

وهكذا روى من غير وجه عن سعيد بن جببر أنه فسرها كذلك. وكلها فسرها مجاهد بن جببر، وغير واحد من السلف، حتى إن مجاهدا قرأها: (وظنوا أنهم قد كذبوا)، يفتح الدال. رواه ابن جرير (٣)، إلا أن بعض من فسرها كذلك بعيد الضمير في قوله: (وظنوا أنهم قد كذبوا) إلى أتباع الرسل من المؤمنين، ومنهم من يعيده إلى الكافرين منهم، أي: وظن الكفار أن الرسل قد كذبوا — غفلة — فها وعدوا به من النصر.

وأما ابن مسعود فقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا محمد بن فضيل، عن جحش بن زياد النخعي، عن نعيم بن حذآل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول في هذه الآية: (حتى إذا استأسأ الرسل) من إيمان قومهم أن يؤمنوا بهم، وظن قومهم حين أبطأ الأمر أنهم قد كذبوا، بالضم (٤).

فهذان الروايتان من كل من ابن مسعود وابن عباس، وقد أنكرت ذلك عائشة حل من فسرها بذلك، وانتصر لها ابن جرير، ووجه المشهور عن الجمهور، وزيف القول الآخر بالكسبة، وردة وأباه، ولم يقبله ولا ارتضاه، والله أعلم.

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

يقول تعالى: لقد كان في خبر المرسلين مع قومهم، وكيف أنجينا المؤمنين وأهلكنا الكافرين، (عبرة لأولي الأبواب) وهي المقول، (ما كان حديثا يفترى)، أي: وما كان لهذا القرآن أن يفترى من دون الله، أي: يكذب ويخفق، (ولكن تصديق الذي بين يديه)، أي: من الكتب المنزلة من السماء، وهو يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، وبحكم عليها بالنسخ أو التغير، (وتفصيل كل شيء)، من تحليل وتحريم، ومحجوب ومكروه، وغير ذلك من الأمر بالطاعات والواجبات والمستحبات، والنهي عن المحرمات وما شاكلها من المكروهات، والإخبار عن الأمور على الجلية، وعن النيوب المستقبلية المحتملة والتفصيلية، والإخبار عن الرب تبارك وتعالى بالأسماء والصفات، وتترجعه عن مائة الخلقات، فلها كان: (هَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) تهدي به قلوبهم من النلى إلى الرشاد، ومن الضلالة إلى السداد، ويتفون به الرحمة من رب العباد، في هذه الحياة الدنيا والمعاد. فسأل الله العظيم أن يحلنا منهم في الدنيا والآخرة، يوم يفوز بالربح المبنيضة وجوههم الناضرة، ويرجع المسودة وجوههم بالصفقة الخاسرة.

(آخر تفسير سورة يوسف، والله الحمد والمنة وبه المستعان وعليه التكلان، وهو حسبي ونعم الوكيل)

(١) تفسير الطبري، الأثر ٢٠٠٨ : ١٦ / ٣٠٠.

(٢) تفسير الطبري، الأثر ٢٠٠٩ : ١٦ / ٣٠١.

(٣) تفسير الطبري، الأثر ٢٠٠٣ : ١٦ / ٣١٠.

(٤) تفسير الطبري، الأثر ٢٠١٨ : ١٦ / ٣٠٣.

## تفسير سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لِلْعَرَّةِ نَزَلَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

أما الكلام من الحروف المقطعة في أوائل السور ، فقد تقدم في أول سورة البقرة ، وقد قلنا أن كل سورة تبدأ بحرف من الحروف فيها الانتصار للقرآن ، وتبين أن نزوله من عند الله حتى لا شك فيه ولا حرية ولا ريب ، ولذا قال : ( تلك آيات الكتاب ) ، أي : هذه آيات الكتاب ، وهو القرآن ، وقيل : النبوة والإنجيل . قاله مجاهد وقتادة (١) : وفيه نظر ، بل هو بعيد .

ثم عطف على ذلك عطف صفات قوله ( والذي أنزل إليك ) ، أي : يا محمد ، ( من ربك الحق ) ، خبر تقدم مبتدؤه ، وهو قوله : ( والذي أنزل إليك من ربك ) ، هذا هو الصحيح للطابق لتفسير مجاهد وقتادة ، واختار ابن جرير أن يكون الواو زائدة أو عاطفة صفة على صفة كما قلنا ، واستشهد بقول الشاعر :  
إلى الملك القرمز وابن المصنم وثبت الكتيفة في المزدحم (٢)

وقوله : ( ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ) ، كقوله : ( وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ) ، أي : مع هذا البيان والجلال والوضوح ، لا يؤمن أكثرهم لما فهم من الشقاق والعدا والنفاق .

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَّى عَلَى الْعَرْشِ وَنَحْنُ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلَاءٌ وَيُذَكِّرَ تَوَكُّنًا ﴿٣﴾

يُخبر تعالى عن كمال قوته وعظيم سلطانه : أنه الذي ياذنه وأمره رفع السموات بغير عمد ، بل ياذنه وأمره وتسخيرها رفعها عن الأرض بحد لا تتال ولا يدرك مداها ، فالسماء الدنيا محيطه بجميع الأرض وما حولها من الماء والغواء من جميع نواحيها وجناتها وأرجائها ، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء ، وبعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها [ في نفسها ] مسيرة خمسمائة عام . ثم السماء الثانية محيطه بالسماء الدنيا وما حوت ، وبينها وبينها من البعد مسيرة خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، ثم السماء الثالثة محيطه بالثانية ، بما فيها ، وبينها وبينها خمسمائة عام ، وسمكها خمسمائة عام ، وكذا الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ، كما قال تعالى : ( الله الذي خلق

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٠٤٧ ، ٢٠٠٤٨ ، ١٦ : ٢٢٠ ، ولا يعرف تالفه .  
(٢) من البيت في ١ : ١٧ ، ٤٣٣ . وهو في تفسير الطبري : ٢٠٣ / ٢ ، ١٦ : ٢٢١ ، ولا يعرف تالفه .

سبع سموات ومن الأرض مظهر ينزل الأمر بينهما ، تعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً (١) ، وفي الحديث : « ما السموات السبع وما بينهما في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » والكرسي في التفسير تلك الحلقة في تلك الفلاة ، وفي رواية : « والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل » وجاء عن بعض السلف أن بُعد ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة ، وبعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة ، وهو من بقوته حمراء .

وقوله : ( يغفر حمد ترونها ) ، روى عن ابن عباس ، وعجاء ، والحسن ، وقادة : أنهم قالوا : لما حمدت ولكن لا ترى (٢) .

وقال لياس بن معاوية : الساء على الأرض مثل القبة (٣) ، يعني بلا عد ، وكلما روى عن قتادة ، وهذا هو اللاتي بالسباق . والظاهر من قوله تعالى : ( وبمسك السباء أن تقع على الأرض إلا بإذنه (٤) ) ، فعل هذا يكون قوله : ( ترونها ) تأكيداً لنفي ذلك ، أي : هي مرفوعة بغفر حمد كما ترونها : وهذا هو الأكمل في القدرة ، وفي شعر أمية ابن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه (٥) ، كما ورد في الحديث : ويروي يزيد بن عمرو بن قنبل رحمه الله ورضي عنه :

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِكَ مَنْ وَرَحِمْتَ  
فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَغْنِبْ وَهَارُونَ لَادْعُوا  
وَقَوْلَا لَهُ : هَلْ أَنْتَ صَوَّيْتَ حَكَمَهُ  
[وَقَوْلَا لَهُ : أَنْتَ رَكَمْتَ حَكَمَهُ (٦)]  
وَقَوْلَا لَهُ : هَلْ أَنْتَ صَوَّيْتَ وَسَطَهَا  
وَقَوْلَا لَهُ : مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ حُلُوقًا  
وَقَوْلَا لَهُ : مَنْ يُكَيِّتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى  
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّةً فِي رُؤُوسِهِ  
بَسَمْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُكَادِمًا  
إِلَى اللَّهِ فَرَحُونَ الَّذِي كَانَ طَغِيًّا  
بَلَاؤُهُ (٧) حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَ  
بَلَا حَمْدَ أَرْفَقَ إِذْ (٨) بِكَ يَا نَبِيَّ  
مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّكَ اللَّيْلُ حَادِمًا  
فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضُكْحِيًّا  
فَيُصْبِحُ مِنَ الْعُشْبِ (٩) يَهْتَزُّ رَاكِبِيًّا  
فَقِي ذَلِكَ آيَاتُ لِمَنْ كَانَ وَاعِيًّا (١٠)

(١) سورة الطلاق ، آية : ١٢ .

(٢) ينظر تفسير الطبري : ١٦ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٠٥٩ : ١٦ / ٢٢٥ .

(٤) سورة الحج ، آية : ٦٥ .

(٥) ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ١ / ٤٥٩ .

(٦) ما بين القوسين الموقوفين سقط من ضلولة الأثر ، أضيفته من مسيرة ابن هشام .

(٧) قال السهيلي في الروض الأنف ١ / ١٤٩ : « أرق : ضل تسبب ، وبك في موضع دفع ، لأن الميم : وقتت »

وبالبا : تميز ، لأنه يسلم أن يمر بين ، كما تقول : أسن بزيد من رجل » .

(٨) في سيرة ابن هشام : « فيصبح منه ليل » .

(٩) الآيات في سيرة ابن هشام منسوبة إلى زيد بن عمرو بن ثعلب : ١ / ٢٢٨ .

وقوله : ( ثم استوى على العرش ) ، تقدم تفسير ذلك في سورة الأعراف (١) ، وأنه يُمرَّر كما جاء من غير تكيف ولا تشبيه ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، تعالى الله علوا كبيرا .

وقوله : ( وسبح الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ) ، قيل : المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة ، كما في قوله تعالى : ( والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٢) ) .

وقيل : المراد إلى مستقرهما ، وهو تحت العرش مما يلي [ بطن ] الأرض من الجانب الآخر ، فإنهما وسائر الكواكب إذا وصلوا هنالك يكونون أبداً ما يكون من العرش ، لأنه على الصحيح (٣) الذي تقوم عليه الأدلة قبة مما يلي العالم من هذا الوجه ، وليس بمحيط كسائر الأفلاك ، لأنه له قوائم وحِمَلَة يعملونه . ولا يتصور هذا في الفلك المستدير ، وهذا واضح لمن قد تأمَّر ما وردت به الآيات والأحاديث الصحيحة ، والله الحمد والمنة .

وذكر الشمس والقمر لأظهر الكواكب السيارة السبعة ، التي هي أشرف وأعظم من الثوابت ، فإذا كان قد مَرَّ هذه فكان يدخل في السخيف سائر الكواكب بطريق الأولى والأخرى ، كما نبه بقوله تعالى : ( لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (٤) ) ، مع أنه قد صرح بذلك بقوله : ( والشمس والقمر والنجم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥) ) .

وقوله : ( يفصل الآيات لعلكم توفنون ) ، أي : يوضح الآيات والدلالات البالة على أنه لا إله إلا هو ، وأنه يبدئ الخلق إذا شاء كما ابتدأ خلقه .

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ أَنْهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ قَطَعُ مَتَجَلِّرَاتٍ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْصَانِ النَّخْلِ وَمِثْلَ سِنَانٍ وَغَيْرِ سِنَانٍ يُسْقَى بِمَا وَجَدُ وَنُقْعَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالى العالم العلوي ، شرع في ذكر قدرته وحكمته وإحكامه للعالم السفلي ، فقال : ( هو الذي مد الأرض ) ، أي : جعلها متممة بمنتهى الطول والعرض ، وأرسلها بجبال راسيات شاخعات ، وأجرى فيها الأنهار والنداول والعيون لئلي ما جعل فيها من الممرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، من كل زوجين اثنين ، أي : من كل شكل صنفان .

(١) ينظر تفسير سورة الأعراف الآية ٥٤ : ٣ % ٤٢٢ .

(٢) سورة يس : آية : ٣٨ .

(٣) الصحيح أن يقوم معناه إلى الله ، كما فوض معنى الاستواء ، فقه تعارضت فيه الأقوال وتشابكت .

(٤) سورة فصلت : آية : ٣٧ .

(٥) سورة الأعراف : آية : ٥٤ .

(يشئ الليل النهار) ، أى : جعل كلا منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا ، فإذا ذهب هذا غشي به هذا ، وإذا انقضى هذا جاء الآخر ، فيصرف أيضا في الزمان كما تصرف أيضا في المكان والسكان :

(إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون) ، أى : في آلاء الله وحكمته ودلائله .

وقوله : (وفى الأرض قطع متجاورات) ، أى : أراض مجاور بعضها بعضا ، مع أن هذه طيبة ثبت ما ينفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تثبت شيئا . هكذا روى (١) عن ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك وغيرهم .

وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف ألوان بقاع الأرض ، فهذه تراب حمراء ، وهذه بيضاء ، وهذه صفراء ، وهذه سوداء ، وهذه بحيرة ، وهذه سهلة ، وهذه مرملة ، وهذه سميكة ، وهذه رقيقة ، والكل متجاورات : فهذه بصفتها ، وهذه بصفتها الأخرى ، فهلكا كما يمدل على القائل المختار ، لا إله إلا هو ، ولرب سواه .

وقوله : (وجنات من أعناب وزرع ونخل) ، يحصل أن تكون عاققة على (جنات) ، فيكون (وزرع ونخل) مرفوعين . ويحصل أن يكون مطروفا على أعناب ، فيكون مجرورا . ولما قرأ بكل منهما طائفة من الآيات (٢) .

وقوله : (صنوان وغير صنوان) ، للصنوان : هى الأصول للمجتمعة فى منبت واحد ، كالزمان والتين وبعض النخيل ، ونحو ذلك . وغير الصنوان : ما كان على أصل واحد ، كسائر الأشجار ، ومنه سمي كل الرجل صنوا أبيه ، كما جاء فى الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : أما شجرت أن سم الرجل حينئذ أبيه (٣) ؟ .

وقال سفيان الثوري ، وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء رضى الله عنه : الصنوان (٤) هى التخللات فى أصل واحد ، وغير الصنوان المتفرقات . وقاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقوله : (تسمى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل) — قال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : (وتفضل بعضها على بعض فى الأكل) ، قال : «الدُّقْلُ (٥) والقارص» ، والحثوث الحامض ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب (٦) .

أى : هذا الاختلاف فى أجناس الثمرات والزرع ، فى أشكالها وألوانها ، وطعمها وروائحها ، وأوراقها وأزهارها . فهنا فى غاية الحلاوة ، وذات فى غاية الحموضة ، وذات فى غاية المرارة ، وذات عَصَص (٧) ، وهذا علب ، وهذا جَسَج هذا

(١) ينظر تفسير الطبري : ١٦ / ٣٣١ - ٣٣٣ .

(٢) ذكر ذلك الطبري فى تفسيره : ١٦ / ٣٣٤ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : فى تقديم الزكاة ومنعها : ٣ / ٦٨ .

(٤) ينظر تفسير الطبري ، الأكل : ٨٩ - ٢٠٠٩١ : ١٦ / ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٥) النخل — ينتحين — رعيه الثمر ويأبسه . والقارص : نوع من الثمر .

(٦) تحفة الأوسى ، تفسير سورة الرعد ، الحديث ٥١٢٢ : ٨ / ٥٤٤ . وقد رواه الطبري فى تفسيره : ١٢٦ : ٧ .

٣٤٤ / ١٦ .

(٧) العفصة : المرارة .

وهذا ، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى ، وهذا أصفر ، وهذا أحمر ، وهذا أبيض ، وهذا أسود ، وهذا أزرق ، وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة واحدة ، وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكثير الذي لا ينحصر ولا ينضب ، ففي ذلك آيات لمن كان واعياً ، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار ، الذي بقدرته قاوت بين الأشياء ، وخلقها على ما يريد ، ولهذا قال تعالى : ( إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ) .

❖ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْمُهُمْ أَوْذًا كَأَرْبَابِنَا أَوْ لَئِنْ خَلَقْ جَدِيدٌ ۖ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبِّهِمْ وَأَوَلَيْكَ الْأَعْلَىٰ فِي أَعْيُنِهِمْ ۖ وَأَوَلَيْكَ أَصْحَابُ الْأَنْبَارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى لرسوله محمد - صلوات الله وسلامه عليه - : ( وإن تعجب ) من تكليب هؤلاء المشركين بأمر المبادع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء ، ومع ما يترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء ، فكأنها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً ، ثم هم بعد هذا يكذبون خبره في أنه سميع العالين خلقاً جديداً ، وقد اعتزفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به ، فالعجب من قومهم : ( أننا كنا تراباً أننا لنأخذهن من خلق جديد ) ، وقد علم كل علم وعقل أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، وأن من بدأ الخلق فالإعادة سهلة عليه ، كما قال تعالى ( أولم يروا أن الله خلق السموات والأرض ولم يخشَ خلقهن يقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير (١) ) .

ثم لعنت المكذبين بهذا فقال : ( أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال في أعناقهم ) ، أي : يستحبون جاف النار ، ( وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ) أي : ما تكون فيها أبداً ، لا يحولون عنها ولا يزولون .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ عُلُوبِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى : ( ويستعجلونك ) ، أي : هؤلاء المكذبون ( بالسئنة قبل الحسنه ) ، أي : بالعقوبة ، كما أخبر عنهم في قوله ( وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون . لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين . ما نزل الملأكة إلا باحق وما كانوا إذا منظرين (٢) ) . وقال تعالى : ( ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، وليأتينهم بشنة وهم لا يشعرون ) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم حيطه بالكافرين (٣) ، ( وقال : سألت سائل بعذاب واقع (٤) ) ، ( وأولئك يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق (٥) ) ، ( وقالوا :

(١) سورة الأحقاف ، آية : ٣٣ .

(٢) سورة الحجر ، الآيات : ٦ - ٨ .

(٣) سورة النكث ، آية : ٥٣ ، ٥٤ ،

(٤) سورة المارج ، آية : ١ .

(٥) سورة الشورى ، آية : ١٨ .

وبنا حمل لنا قفنا قبل يوم الحساب (١) أي حسابنا وحقابنا ، كما قال غيرنا عنهم : (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (٢) ) فكانوا يطلبون من الرسول أن يأتيهم بعذاب الله ، وذلك من شدة تكذيبهم وكفرهم وعنادهم  
قال الله تعالى : ( وقد خلت من قبهم المثلثات ) ، أي : قد أوقفنا نعمتنا بالأمم الخالية وصلناهم مظلة وعصرة وعطفة لمن اتصف بهم .

ثم أخبر تعالى أنه لولا حلمه وعفوه لمعاجلهم بالعقوبة ، كما قال تعالى : ( ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (٣) ) .

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : ( وإن ربك للو مغفرة للناس على ظلمهم ) ، أي : إنه ذو عفو وصفح وسر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار . ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ، ليمتنع الرجاء والخوف ، كما قال تعالى : ( فإن كذبوك تقل ربهم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (٤) ) ، وقال : ( إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم (٥) ) ، وقال : ( نبأ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم (٦) ) ، إلى أمثال ذلك من الآيات التي تجمع الرجاء والخوف .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن حنبل بن زيد ، عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية ( وإن ربك للو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا عفو الله وتجاوزوه ما هنا أحدنا البئس (٧) ، ولولا وعيده وعقابه لاتكلم كل أحد » .  
وروى الحافظ ابن حبان في ترجمة الحسن بن عثمان بن حسان الزياتي (٨) . أنه رأى ربه المرة في النوم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين يديه يشفع في رجل من أمته ، فقال له : ألم يكفك أني أنزلت عليك في سورة الرعد : ( وإن ربك للو مغفرة للناس على ظلمهم ) ؟ قال : ثم انتهت .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿١٠﴾

يقول تعالى لغير المؤمنين أنهم يقولون كفرا وعنادا : لولا يأتينا آية [ من ربه ] كما أرسل الأولون ، كما تعتوا عليه أن يجعل لهم الصفا ذهباً ، وأن يزيل عنهم الجبال ، ويجعل مكانها مروجاً وأنهاراً قال الله تعالى : ( وما منمتا

(١) سورة هـ ص : آية : ١٦ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ٣٢ .

(٣) سورة طه ، آية : ٤٥ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٤٧ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٦٧ .

(٦) سورة الحجر ، آية : ٤٩ ، ٥٠ .

(٧) يقال : « حنان العمام حنن » : ساخ ، ولد ، وأكلته حنينا مريفاً بلا مشقة .

(٨) في المخطوطة : « الزياتي » ، والمثبت من المقتبة للهي : ٣٤٠ ، وينظر ترجمة الحسن بن عثمان الزياتي في المعبر للهي .

أن ترسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما ترسل بالآيات إلا تخويفاً (١) قال الله تعالى : (إنما أنت منذر) ، أي : إنما عليك أن تبلغ رسالة الله التي أمرك بها ، (وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (٢) :

وقوله : (ولكل قوم هاد) ، قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، أي : ولكل قوم داع (٣) ،

وقال الموفى ، عن ابن عباس في تفسيرها يقول الله تعالى : أنت يا محمد منذر ، وأنا هادي كل قوم (٤) . وكلما قال : جهاد ، وسعيد بن جبير ، والضحالك :

ومن جهاد : (ولكل قوم هاد) ، أي : نبى : كما قال : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٥) : وبه قال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد .

وقال أبو صالح ، ويحيى بن واظ : (ولكل قوم هاد) ، أي : قائده :

وقال أبو العالية : الهادي القائد ، والقائد الإمام ، والإمام العمل (٦) :

ومن حكمة ، وأبي الفصحى : (ولكل قوم هاد) قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال مالك : (ولكل قوم هاد) ، من يدهم إلى الله عز وجل .

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثني أحمد بن يحيى الصوفي ، حدثنا الحسن بن الحسين الأنصاري ، حدثنا معاذ بن مسلم يراعى المروى عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) ، قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : أنا المنذر ، ولكل قوم هاد : وأوفاً بيده إلى منكب حلي ، فقال : أنت الهادي يا علي ، بك يهتدى المهتدون من بعدى (٧) : وهذا الحديث فيه تكرار شديدة (٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا المطلب بن زياد ، عن السدي ، عن عبد شير ، عن علي : (ولكل قوم هاد) ، قال : الهادي رجل من بني هاشم : قال الجعفي : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال ابن أبي حاتم : وروى عن ابن عباس - في إحدى الروايات - وعن أبي جعفر محمد بن علي ، نحو ذلك :

(١) سورة الإسراء : آية : ٥٩ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٧٢ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٦٢ : ١٦ / ٣٥٧ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٤٦ : ١٦ / ٣٥٥ .

(٥) سورة فاطر ، الآية : ٢٤ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٥٩ : ١٦ / ٣٥٩ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٦١ : ١٦ / ٣٥٧ .

(٨) ما في الحديث التخصيص في ميزان الاعتدال ١/٤٨٤ : في ترجمة الحسن بن الحسين وقال : « ورواه بن جرير في تفسيره » من أحمد بن يحيى ، عن الحسن ، عن معاذ ، ومعاذ ذكره ، فاعلم الآلة منه .



أَلَمْ يَعْلَم بِمَا خُمِلَ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزَادُ وَشَأْنَهُ هُنَالِكَ بَعْدَ الْفَرَارِ إِنَّ لِلنَّاسِ عِلْمًا ظَاهِرًا ۚ أَلَمْ يَكُنِ الْمُشْعَالِ (١)

غير تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء ، وأنه عييط بما تحمله الحوامل من كل إنثا الحيوانات ، كما قال تعالى : ( ويعلم ما في الأرحام ) ، أى : ما حملت من ذكر أو أنثى ، أو حسن أو قبيح ، أو شقى أو سعيد ، أو طويل العمر أو قصيره ، كما قال تعالى : ( هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (١) ) .

وقال تعالى : ( خلقتكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث (٢) ) ، أى : خلقتكم طورا من بعد طور ، كما قال تعالى : ( ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة خلقا ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فبارك الله أحسن الخالقين (٣) ) ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن خلقك أحدكم يُجَسِّعُ في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون خلقا مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يُبْعَثُ إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وعمره ، وحمله ، وشقى أو سعيد (٤) » .

وفى الحديث الآخر : « فيقول الملك : أى رب ، أذكر أم أنثى ؟ أى رب ، أشقى أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيقول الله ، ويكتب الملك (٥) »

وقوله : ( وما تغيض الأرحام وما تزداد ) -- قال البخارى حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا معن ، حدثنا مالك ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما تغيض الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدٌ إلا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله (٦) »

وقال المعنى ، عن ابن عباس : « ( وما تغيض الأرحام ) ، يعنى السقط -- ( وما تزداد ) ، يقول : ما زادت الرحم في الحمل على ما غاضت حتى ولدت تماما . وذلك أن من النساء من تحمل عشرة أشهر ، و [ منهن ] من تحمل تسعة أشهر ، ومنهن من تزيد في الحمل ، ومنهن من تنقص ، فذلك الغيظ والزيادة إلى ذكر الله تعالى ، وكل ذلك بعلمه تعالى (٧) »

(١) سورة التجم ، آية : ٣٢ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآيات : ١٢ - ١٤ .

(٤) البخارى ، كتاب القدر : ١٥٧/٨ . ومسلم ، كتاب القدر أيضا ، باب « كيفية الخلق آدمي ... » : ٤٤/٨ .

(٥) أخرجه في كتاب القدر ، البخارى : ١٥٢/٨ ، ومسلم : ٤٦/٨ .

(٦) البخارى ، تفسير سورة الرعد : ٩٩/٦ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر : ٢٠١٦٤ : ٣٥٩/١٦ .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ( وما تفيض الأرحام وما تزداد ) ، قال : ما نقصت من تسعة وما زاد عليها :

وقال الضحاك : وضعتني أبى وقد حملتني في بطنها ستين ، وولدتني وقد نبئت تسعين .

وقال ابن جريج ، عن جميلة بنت سعد ، عن عائشة قالت لا يكون الحمل أكثر من ستين ، قلوا ما يتحرك ظل<sup>٤</sup> مبقر<sup>٥</sup> (١) .

وقال مجاهد ( وما تفيض الأرحام وما تزداد ) ، قال : ما ترى من الدم في حملها ، وما تزداد على تسعة أشهر . وبه قال حطية الوقي وقنادة ، والحسن البصري ، والضحاك .

وقال مجاهد أيضا إذا رأت المرأة للدم دون التسعة زاد على التسعة ، مثل أيام الحيض وقاله حكيم ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد .

وقال مجاهد أيضا : ( وما تفيض الأرحام ) : إزاحة المرأة حتى يحس الولد - ( وما تزداد ) : إن لم يهرق المرأة ثم الولد وعظم (٢) .

وقال مكحول : الجنين في بطن أمه لا يطلب ، ولا يحزن ولا يبتغى ، وإنما يأتيه رزقه في بطن أمه من دم حيضتها ، فمن لم لا يحس الحمل : فإذا وقع إلى الأرض استهل ، واستهالته استنكار لمكانه ، فإذا قطعت سرته حوّل الله رزقه إلى ثلب<sup>٦</sup> أمه حتى لا يطلب ولا يحزن ولا يبتغى ، ثم يصير طفلا يتناول الشيء بكفه فيأكله ؛ فإذا هو بلغ قال : هو الموت أو القتل ، أنشئ بالرزق ؟ فيقول مكحول : يا ويحك - فكذلك وأنت في بطن أمك ، وأنت طفل صغير ، حتى إذا اشتدت وحقت قلت : هو الموت أو القتل ، أنى بالرزق ؟ : ثم قرأ مكحول : ( الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تفيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده عتد<sup>٧</sup> )

وقال قنادة : ( وكل شيء عنده عتد ) ، أى : بأجل ، حفظ أرزاق خلقه وآجالهم ، وجعل للملك أجلا معلوما ، وفي الحديث الصحيح أن إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم بعثت إليه : أن ابناً لها في الموت ، وأنها تحب أن يحضره - فبحث إليها يقول : وإن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب (٣) الحديث بتمامه .

وقوله : ( عالم الغيب والشهادة ) ، أى : يعلم كل شيء مما يشاهده العباد وما يغيب عنهم ، ولا يخفى عليه منه شيء ، ( الكبير ) ، الذى هو أكبر من كل شيء ، ( المتعال ) ، أى : على كل شيء ، قد أحاط بكل شيء علما ، وفهر كل شيء ، فنخفضت له الرقاب وذان له العباد ، طوعا وكرها .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٩١ : ١٦ / ٣٦٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠١٧٢ : ١٦ / ٣٦٠ .

(٣) البخارى ، كتاب القدر ، باب : وكان أمر الله تدرأ مقدورا : ١٥٣/٨ . ومسلم ، كتاب الجنائز ، باب : البكاء

على الميت : ٣٩/٧ .

سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَنَجَّهَ بِهِ ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، يُحَافِظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقِيمُ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا أَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾

يُخبر تعالى عن إحاطة علمه بجميع خلقه ، سواء منهم من أمر قوله أو جهر به ، فإنه يسمعه ، لا يخفى عليه شيء . كما قال : ( وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (١) ) ، وقال : ( ويعلم ما تخفون وما تعلنون ) ، وقالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات ، والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا في جنب البيت ، وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها ، فأنزل الله : ( قد سمع الله قولك التي مجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير (٢) ) .

وقوله : ( ومن هو مستخف بالليل ) ، أي : خفي في قعر بيته في ظلام الليل ، ( وسارب بالنهار ) ، أي : ظاهر ماض في بياض النهار وضياؤه ، فإن كليهما في علم الله على السواء ، كما قال تعالى : ( ألا حين يستفتشون لياهم يعلم ما يسمرون وما يعلنون (٣) ) ، وقال تعالى : ( وما تكون في شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين (٤) ) .

وقوله : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ) ، أي : للعبد ملائكة يتعاقبون عليه ، حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأصواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فائتان عن اليمن والشمال يكتبان الأعمال ، صاحب اليمين يكتب الحسنات ، وصاحب الشمال يكتب السيئات ، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من مقدمه ، فهو بين أربعة أملاك بالنهار ، وأربعة آخرين بالليل بدلا حافظان وكاتبان ، كما جاء في الصحيح : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون (٥) » . وفي الحديث الآخر : « إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الحلال وعند الجماع » ، فاستحيوهم وأكرمهم (٦) .

(١) سورة طه ، آية : ٧ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الملقمة ، باب « فيما أنكرت الجهمية » ، الحديث ١٨٨ : ٦٧/١ ، والإمام أحمد في مسنده ٤٦/٦٤ .

(٣) سورة هود ، آية : ٥ .

(٤) سورة يونس ، آية : ٦١ .

(٥) البخاري ، كتاب التوضيح : ١٥٤/٩ ، ١٧٤ .

(٦) أخرجه الترمذي في أبواب الاستئذان والآداب عن ابن عمر ، ينظر تحفة الأخواني ، باب « ما جاء في الاستئذان عند الجماع » الحديث ٢٩٥ : ٨٤/٨ . وقال الترمذي : « هذا حديث قريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

ومعنى « استحيوهم » ، أي : استحيوا منهم ، « وأكرمهم » ، أي : بالغتفي وغيره ما يوجب تعظيمهم وتكريمهم .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من [أمر] الله والمقبات من أمر الله ، وهي الملائكة (١) .

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ( يحفظونه من أمر الله ) ، قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله حُكِّمُوا عنه (٢) .

وقال مجاهد : مامن عبد إلا له ملكٌ موكلٌ ، يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والمواجم ، لما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال الملك : ورامك : إلا شيء يأذن الله فيه فيصيه (٣) .

وقال الثوري عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه ) ، قال : ذلك ملكك من ملوك الدنيا ، له حرس من هوته حرس (٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه ) ، يعني ولي الشيطان ، يكون عليه الحرس (٥) ، وقال عكرمة في تفسيرها : هؤلاء الأمراء : المراكب من بين يديه ومن خلفه (٦) .

وقال الفساحي : ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ) ، قال : هو السلطان المحترس من أمر الله ، وهم أهل الشرك (٧) .

والظاهر - والله أعلم - أن مراد ابن عباس وعكرمة والفساحي بهذا أن حرس الملائكة للمبيد يشبه حرس هؤلاء الملوكهم وأمرائهم .

وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير ما هنا حديثاً غريباً جداً فقال :

حدثني المثنى ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح التَّيْمِيُّ ، حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العلوي قال : دخل عثمان بن صفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن العبد كم معه من ملك ؟ فقال : « ملك على يمينك على حسناتك ، وهو أمر (٨) » على الذي على الشئال ، إذا عملت حسنة كتبت عشرا ، فإذا عملت سيئة قال الذي على الشئال للذي على اليمين : أكتب ؟ قال : لا ، لعله يستغفر الله ويتوب : فإذا قال ثلاثا قال : نعم ، أكتب ، أراحتنا الله منه ، فبئس القرين . ما أقل مراقبته لله .

(١) تفسير الطبري : الأثر ٢٠٢١٥ : ٣٧١/١٦ ، وما بين القومين الموقوفين منه .

(٢) المرجع السابق : الأثر ٢٠٢١٦ : ٣٧١/١٦ .

(٣) المرجع نفسه : الأثر ٢٠٢٢٤ : ٣٧٢/١٦ ، ٣٧٣ .

(٤) المرجع نفسه : الأثر ٢٠٢٢٦ : ٣٧٢/١٦ .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ٢٠٢٢٧ : ٣٧٣/١٦ .

(٦) حدان أثران رواهما الطبري عن عكرمة ، أولهما « هؤلاء الأمراء » ، والثاني : « المراكب من بين يديه ومن خلفه » .

ينظر تفسير الطبري : الأثر ٢٠٢٢٨ : ٣٧٣/١٦ ، ٣٧٤ .

(٧) تفسير الطبري : الأثر ٢٠٢٣٠ : ٣٧٤/١٦ .

(٨) في تفسير الطبري : « وهو أمين » بالنون ، وفي الطبعات السابقة : « وهو أمير » . والمنكبت من خطوطه إلجام الأهر

وأقل استحبابه منا . يقول الله : ( ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ) ، وملكان من بين يديك ومن خلفك ، يقول : الله ( له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ) ،وملك قابض على ناصيتك ، فإذا تواضعت لله رفعت ، وإذا تجبرت على الله قصبتك . وملكان على شفيعك ، ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وملك قائم على فيك لا يتدفع الحية أن تنخل في فيك ، وملكان على عينك . فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي (١) ، يتولون ملائكة الليل على ملائكة النهار ، لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار ، فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي (١) . وإليس بالنهار وولده بالليل (٢) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا سفيان ، حدثني منصور ، عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ، قال : « وإياي ولكن أعانني الله عليه ، فلا يأمرني إلا بخير » (٣) .

الفرد بإخراجه مسلم (٤) .

وقوله : ( يحفظونه من أمر الله ) ، قيل : المراد حفظهم له من أمر الله . رواه علي بن أبي طلحة ، وغيره ، عن ابن عباس (٥) . وإليه ذهب مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم التيمي ، وغيرهم .

وقال قتادة : ( يحفظونه من أمر الله ) - قال : وفي بعض القراءات ( يحفظونه بأمر الله ) (٦) .

وقال كعب الأحبار : لو تجلّى لابن آدم كل سهل وحزن ، لرأى كل شيء من ذلك شياطين (٧) لولا أن الله وكّل بهم ملائكة يذّبون عنهم في مطعمكم ومشربكم وحركاتكم ، إذا استخطعتم (٨) .

وقال أبو أمامة : ما من آدمي إلا ومعه ملك يتكّده عنه ، حتى يسلمه للذي قدّر له (٩) .

وقال أبو مجلز : جاء رجل من مرّاد إلى علي رضي الله عنه وهو يصلي ، فقال : احترس ، فإن ناساً من مراد يريدون قتلك . فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر ، فإذا جاء القدرُ حكّيا بينه وبينه ، وإن الأجل جنةٌ حصينة (١٠) .

(١) في المخطوطة : « حل كل بين آدم » . وألحقنا ما في تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢١١ : ١٦/٣٧٠ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣٩٧/١ . وينظر أيضاً : ٣٨٥/٣ ، ٤٠١ ، ٤٦٥ .

(٤) مسلم ، كتاب صفة القيامة ، باب « عرشى الشيطان ويخبره سراياه لفتة الناس وأن مع كل إنسان قريناً » : ١٣٩/٨ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٣١ : ١٦/٣٧٥ .

(٦) المرجع السابق ، الأثر ٢٠٢٤٠ : ١٦/٣٧٦ .

(٧) في المخطوطة : « من ذلك شيئاً لنفسه » . وألحقنا من تفسير الطبري .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٤٦ : ١٦/٣٧٨ .

(٩) تفسير الطبري ، ٢٠٢٤٨ : ١٦/٣٧٨ .

(١٠) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٤٧ : ١٦/٣٧٨ .

وقال بعضهم : ( يحفظونه من أمر الله ) : بأمر الله ، كما جاء في الحديث أنهم قالوا : يا رسول الله ، أرايت ركني لصنعتي بها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال : هي من قدر الله (١) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن جهم ، عن إبراهيم قال : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : أن قل لقومك : إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون منها إلى معصية الله إلا تحول الله لهم مما يحبون إلى ما يكرهون ، ثم قال : إن مصداق ذلك في كتاب الله : ( إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع ، فقال الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه « صفة العرش » : حدثنا الحسن بن علي ، حدثنا لميثم بن الأشعث السلمي ، حدثنا أبو حنيفة اليماني الأنصاري ، عن عمر بن عبد الملك قال : خطبتنا على بن أبي طالب على منبر الكوفة قال : كنت إذا سكنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدأتني ، وإذا سأله عن أنسب أبنائي ، وإنه حدثني عن ربه عز وجل قال : قال الرب : وهزني وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ، مامن أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على ما كرهت من معصية ، ثم تحولوا عنها إلى ما أحببت من طاعة ، إلا تحولت لهم مما يكرهون من طاعة إلى ما يحبون من رحمة (٢) .

وهذا قريب ، وفي إسناده من لا أمره .

هو الذي يركب البرق جوعا وطعما ويشي السحاب اتقال (٣) ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته  
ويؤمن بالصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يخجلون في الله وهو شديد المحال (٤)

يشير تعالى أنه هو الذي يسفر البرق ، وهو : ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب .

ودوي ابن جرير أن ابن عباس كتب إلى أبي الجعد يسأله عن « البرق » فقال : « البرق » (٢) . الماء .

وقوله : ( غروا وطعما ) ، قال قتادة : خوفا للمسافر ، يخاف إذاه ومشقته ... وطعما المقم يرجو بركه ومنفعته ، ويطعم في رزق الله (٢) .

( ويشي السحاب اتقال ) ، أي : ويخلقها منشاء جديدة ، وهي لكثرة ماثها قليلة قرية إلى الأرض .

قال مجاهد : والسحاب اتقال : التي فيه الماء

( ويسبح الرعد بحمده ) ، كما قال تعالى ( وإن من شيء إلا يسبح بحمده (١٤) )

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الطب ، باب « ما جاء في الرق والأدوية » ، الحديث ٢١٤٤ : ٢٣٢٢/٦ : ٢٣٣٢ وقال الترمذي : هذا حديث حسن . وأخرجه أيضاً في أبواب القدر ، باب « ما جاء لا ترد الرق والنوء من قدر الله شيئا » ، الحديث ٢٢٣٨ : ٣٦٠٦/٦ . وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب ، باب « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء » ، الحديث ٢٤٣٧ : ١١٣٧ والإمام أحمد في مسنده : ٤٢١/٤ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٠١ : ٣٨٧/١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٠٢ : ٣٨٧/١٦ .

(٤) سورة الإسراء : آية ٤٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرني أبي قال : كنت جالسا إلى جنب حميد بن عبد الرحمن في المسجد ، فمر شيخ <sup>(١)</sup> من بني غفار ، فأرسل إليه حميد ، فلما أقبل قال : يا ابن أخي ، وسع له فيما بيني وبينك ، فإنه قد صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجاؤ حتى جلس فيما بيني وبينه ، فقال له حميد : ما الحديث الذي حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال الشيخ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله ينشق السحاب ، فينطق أحسن النطق ، ويضحك أحسن الضحك » <sup>(٢)</sup> .  
وللإمام أحمد : « والله أعلم — أن نطقها الرعد » ، وضحكها البرق .

وقال موسى بن عبيدة ، عن سعد بن إبراهيم قال : يبعث الله الفيت ، فلا أحسن منه — مضحكا ، ولا أنس منه مطلقا ، فضحكه البرق ، وملكه الرعد .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله الرازي ، عن حماد بن مسلم قال : بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه نور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مسح بلبنه <sup>(٣)</sup> فذاك البرق <sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام أحمد : حدثنا صفان ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا الحجاج ، حدثني أبو مطر ، عن سالم ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مسح الرعد والصواعق قال : « اللهم ، لا تقطنا بنضيك ، ولا تهاكنا بملأك ، وعلنا قبل ذلك » <sup>(٥)</sup> .

ورواه الترمذي <sup>(٦)</sup> ، والبخاري في كتاب الأدب ، والسنائي في اليوم والليلة ، والحاكم في مستدركه ، من حديث الحجاج بن أرطاة ، عن أبي مطر — ولم يسم به —

وقال أبو جعفر بن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا إسرائيل ، عن أبيه ، عن رجل ، عن أبي هريرة ، رفع الحديث قال : إنه كان إذا سمع الرعد قال : « سبحان من يسبح الرعد بحمده » <sup>(٧)</sup> .

وروى عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال : سبحان من سيحرت له ، وكذا روى عن ابن عباس ، والأسود بن يزيد ، وطائوس : أنهم كانوا يقولون كذلك .

وقال الأوزاعي : كان ابن أبي زكريا يقول : من قال حين يسمع الرعد : « سبحان الله وبحمده » لم تصبه صاعقة <sup>(٨)</sup>

(١) لفظ المسح : « فر شيخ جميل من بني غفار ، وفي أخيه سم — أو قال — وفر — أرسل إليه حميد ... »

(٢) مسند الإمام أحمد : ٤٣٥/٥ .

(٣) معنى تفسير هذه الكلمة في : ١٩/٣ .

(٤) هذا من خيالات أهل الكتاب .

(٥) مسند الإمام أحمد : ١٠٠/٢ ، ١٠١ .

(٦) تحفة الأحوص ، أبواب الدعوات ، باب « ما يقول إذا سمع الرعد » ، الحديث ٣٠١٤ : ٤١٢/١ ، ٤١٣ .  
وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٣٠٢٦٠ : ٣٨٩/١٦ . وأثر حل بعده .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٤٠٢٦٥ : ٢٩٠/١٦ .

وعن عبد الله بن الزبير : أنه كان إذا سمع الرد ترك الحديث وقال : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ، ويقول : إن هذا لوحيد شديد لأهل الأرض . رواه مالك في الموطأ (١) ، والبخاري في كتاب الأدب .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن داود الطيالسي ، حدثنا صدقة بن موسى ، حدثنا محمد بن واسع ، عن شبيب ابن نهار (٢) ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : لو أن عبيدي (٣) أطاعوني ، لأسقيتهم المطر بالليل ، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولما أسمعتهم صوت الرعد (٤) » .

وقال الطبراني : حدثنا زكريا بن يحيى الساجي ، حدثنا أبو كامل الجحدرى حدثنا يحيى بن كثير أبو النضر ، حدثنا حيد الكرم ، حدثنا عطاء ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله ، فإنه لا يصيبه ذاكرة » .

وقوله : ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ) ، أي : يرسلها نعمة ينتقم بها من يشاء ، ولهذا تكثر في آخر الزمان ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا محمد بن مصعب ، حدثنا حمارة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة ، حتى يأتي الرجل القوم فيقول : من صَبَقَ تِلْكَ (٥) النداء ؟ فيقولون : صَبَقَ فلان وفلان وفلان (٦) » .

وقد روى في سبب نزولها ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي :

حدثنا إسحاق ، حدثنا علي بن أبي سارة الشَّيْبَانِي ، حدثنا ثابت ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراتة العرب فقال : اذهب ، فاده لي . قال : فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمّن ذهب هو ؟ أم من فضة هو ؟ أم من نحاس هو ؟ قال : فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : يا رسول الله ، قد أخبرتك أنه أعنى من ذلك ، قال لي كذا وكذا . فقال ارجع إليه الثانية - أراه - . فذهب فقال له مثلها فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد أخبرتك أنه أعنى من ذلك . قال ارجع إليه فاده . فرجع إليه الثالثة . قال فأعاد عليه ذلك الكلام . فبينما هو يكلمه ، إذ بعث الله عز وجل صحابة حياض رأسه ، فرعدت ، فوقعت منها صاعقة ، فذهب يقبض رأسه (٧) فأنزله الله (٨) ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال .

ورواه ابن جرير (٨) ، من حديث علي بن أبي سارة ، به . ورواه الحافظ أبو بكر البزار ، عن عبدة بن عبد الله ، عن يزيد بن هارون ، عن ديلم بن غزوان ، عن ثابت ، عن أنس ، فذكر نحوه ،

(١) الموطأ ، كتاب الكلام ، باب القول إذا سمعت الرعد : ٩٩٢/٢ .

(٢) في المخطوطة : « ممر بن نهار » ، وألغيت عن المسند والخلاصة .

(٣) لفظ المسند : « لو أن عبادي » .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٥٩/٢ .

(٥) في المخطوطة : « تيلكم النداء » . وألغيت عن المسند .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٦٤/٣ ، ٦٥ .

(٧) القصة - بكسر فسكون - : أمل النماذج ، والجميع : أضاف .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٧٠ ، ٣٩٢/١٦ .



وقال (١): حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا عفان ، حدثنا أبان بن يزيد ، حدثنا أبو هريرة الجوني ، عن عبد الرحمن بن صبحر العبدي : أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه إلى جيبته يدعوهم ، فقال : أرايتم (٢) ربكم ، أذهب هو ؟ أو قضه هو ؟ أو لؤلؤ هو ؟ قال : فبينما هو يجادلهم ، إذ بعث الله سبحانه فرعوناً ، فأرسل عليه صاعقة فطهبت بفسخه رأسه ، ونزلت هذه الآية (٣) .

وقال أبو بكر بن عياش ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد قال : جاء يهودي فقال : يا محمد أخبرني عن ربك ، [ من أي شيء هو (٤) ] ، من نحاس هو ؟ من لؤلؤ ؟ أو ياقوت ؟ قال : ضجعت صاعقة فأخذه ، وأُنزل الله : ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ) (٥)

وقال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن ، وكذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله صاعقة فأهلكه ، وأُنزل الله : ( ويرسل الصواعق ) ... الآية (٦) .

وذكروا في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة (٧) لما قلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فسأله أن يجعل لها نصف الأمر فأبى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عامر بن الطفيل : لعمرك الله : أما والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً (٨) ورجلاً سُرْداً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وبأي الله عليك ذلك وأبناء قبيلة (٩) ، يعني الأنصار ، ثم إنهما هما بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل أحدهما مخاطبه ، والآخر يستل سيفه ليقطعه من ورائه ، فحماه الله منهما وحصنه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في أحياء العرب ، يجعلان الناس لحربه - عليه السلام - فأرسل الله على أريد صاعقة فيها صاعقة فأحرقت . وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون ، فخرجت فيه خدعة عظيمة ، فجعل يقول : يا آل عامر ، خدعة كندة البكر (١٠) وموت في بيت سكولة ؟ حتى ماتا ، لعنهما الله ، وأُنزل الله في مثل ذلك : ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ) ، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة ، نحو أريد يرثيه :

- (١) يعني الطبري ، وسأيت للتبليغ على موضعه .
  - (٢) في المخطوطة : أرايتمكم ربكم . والمنسوبة من الطبري .
  - (٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٦٦ : ٢٩١/١٦ .
  - (٤) ما بين القوسين للمقوفين من المخطوطة ، أئتمناه من تفسير الطبري .
  - (٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٦٧ : ٢٩١/١٦ .
  - (٦) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٧١ : ٢٩٣/١٦ .
  - (٧) وكذا والمعروف أنه أريد بن ربيعة ، وأنه أخو لبيد لأمه ، وسأيت ذلك في رواية الطبري . ينظر بحيرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٦٨ ، وأمه النابتة : ١٢٧/٣ .
  - (٨) البجرد - بضم فسكون - جمع أجرد ، وهو الذي يسبق الخيل ويتجرد عنه لصره . والمرد - بضم فسكون أيضاً - جمع أريد ، وهو الشاب الذي طر شاربته ولم تلبث لحته ، ويعني جم الثعالب الأقوياء .
  - (٩) قبيلة - بفتح الحاء وسكون الهمزة - امرأة ينتسب إليها الأوس والخزرج .
  - (١٠) البكر - بفتح فسكون - وله ثلاثة : أو الفتي منها .
- والنبتة : طاعون الإبل ، وقيلما تسل منه . وأما سلوك لهما يقول المحدثي : وأقل الحرب وأذلهم ، وكان عامر قد نزل ببيت امرأة من ملوك ، فيضرب هذا الملوك منهم ، وهو : أكلة كندة البحر ، وموت في بيت سكرية ، في خصائص إحداهما من الأعرس .

وهذا المثل في صحيح البخاري ، كتاب المنازاة ، باب غزوة الرجيع : ٣٥٠/٥ ، وأمه النابتة ، الترجمة : ١٢٧/٣/٢٧٢٠ ، وتحقيقها والمثال المحدثي : ٥٧/٢ ، ٥٨ ، وأمال السجيل : ١٢٠ .

أَخْبَنِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي رَزِينٍ الْحَنُوفِيُّ أَنَّ أَرْهَبَ نَوَى السَّيِّئَةِ وَالْأَمَدِ (١)  
فَتَجَنَّبِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْأَسْوَاقِ يَوْمَ الْكُرْبَةِ الشَّجَرِ (٢)

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا مسعدة بن سعد (٣) الطمار، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني عبد العزيز بن عمران، حدثني عبد الرحمن وعبد الله ابن زید بن أسلم، عن أبيهما، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس: أن أربد بن قيس بن جَزْء بن جليل بن جعفر بن كلاب، وعامر بن الطفيل بن مالك، فلما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيتها إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال عامر بن الطفيل: يا عم، ما نجعل في إن أسلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم. قال عامر بن الطفيل: أنجعل في الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أئمة الخيل، قال: أنا الآن في أئمة خيل نجد، اجعل في الرزق ولك المذرة (٤). قال رسول الله لا. فلما قفلا من عنده قال عامر: أما والله لأملأها عليك خيلا ورجالا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يمتك الله. فلما خرج أربد وعامر قال عامر: يا أربد، أنا أشغل حنك عمدا بالحدث، فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلتم عمدا لم يزدوا على أن يرضوا بالدية، ويكروها الحرب [فقطعهم الدية]: قال أربد: افض. فأقبل راجعين إليه، فقال عامر: يا عم، قم معي أكلمك. فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجلسا إلى الجدار، ووقف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه، وسئل أربد السيف، فلما وضع يده على السيف يمسك يده على قائم السيف، فلم يستطع سكة السيف، فأبطل أربد على عامر بالفرب، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما يصنع، فأنصرف عنهما. فلما خرج عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانا بالبحرة - حرة واقم (٥) - نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا: اشغبا يا عنوي، لننكما الله، فقال عامر: من هذا يا سعد؟ قال: هذا أسيد بن حضير الكتائب (٦)، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم (٧)، أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالحرم (٨)، أرسل الله قرحته فأخذته، فأدر كه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمس قرحته في حلقه ويقول: غدة كغدة الجمل في بيت

(١) الحنوفية: الأجل. و «نوى السيئ والأمد» يعني السيئ والأجل، ونووه أربع ليال في تشرين الأول (شهر أكتوبر)، وهو نوى فزير. ولما «الأمد» فإنه يعني ذبابة الأسد، ونووهها أربع ليال في أواخر آب (شهر أغسطس)، ويكون في نوى الذبابة مطر شديد. ينظر كتاب الأنواء لابن تينية: ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٦٥.  
يقول ليبة: كنت أحنس عليه كل حنف أمره، إلا هذه الحنف الملبس من صواعق السيف.

(٢) يوم الكربة: يوم الشدة في الحرب، والنجد: يفتح فسم: - الشجاع الشديد اليأس، السريع الإجابة إلى ما دعى إليه من غير أثر أو مع مضاعف فيما يسمي حته غيره.  
وحمل الأثر رواه الطبري برقم ٢٠٢٥٠: ٣٧٩/١٦ - ٣٨٢، ٢٠٢٧٢: ٣٩٣/١٦، ٣٩٤.  
(٣) كذا في المخطوطة، وفي المجمع المصنف الطبراني ١١٦/٢: «مسعدة بن سعد».  
(٤) يطلب عامر أن تكون له زعامة البادية، والرسول عليه السلام اللذان والخواضر.  
(٥) حرة واقم: أطم بجانب المدينة. وقد كان لأسيد بن حضير حصن بها. ينظر أمم القافية: ١١٢/١ بتحقيقنا.  
(٦) ينظر كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣١٩.  
(٧) الرقم - يفتح أوله وثلاثه - موضع بالمدينة، وجبال بديار شظفان.  
(٨) كذا في المخطوطة دون نقط، وفي تفسير الطبري ٣٨١/١٦: «البرير»

مَكُولِيَةً تَرْغِبُ أَنْ يَمُوتَ فِي يَدَيْهَا ؛ ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ فَأَحْضَرَهُ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ رَاجِعًا ، فَأَتَوَّلَ اللَّهُ فِيهِمَا : ( اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَعْمَلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَخْفَى الْأَرْحَامَ ) إِلَى قَوْلِهِ : ( وَمَا شَمُّ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْوَالِ ) - قَالَ : الْمُنْقَبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يُحْفَظُونَ عَمَلًا صَالِحًا عَلَيْهِ اللَّهُ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وَمَا قَتَلَهُ بِهِ ، فَقَالَ : ( وَيُرْسِلُ الصَّوَاقِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ) الْآيَةُ :

وقوله : ( وهم يجادلون في الله ) ، أى : يتشككون في عظمته ، وأنه لا إله إلا هو ، ( وهو شديد الخيال ) ، قال ابن جرير : شديد محاسنته في حقوبة من طغى عليه وعتأ وتعادى في كفره (١) . وهذه الآية شبيهة بقوله : ( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان حاقبة مكركم أنا مدرناهم وقومهم أجمعين (٢) ) .

وعن علي رضي الله عنه . ( وهو شديد الخيال ) ، أى : شديد الأخذ (٣) : وقال مجاهد : شديد القوة .  
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَيْتٍ خَفِيَ إِلَى اللَّامِ لِيُبْلَغَ فَاهُ ، وَمَا هُوَ بِبَلِيغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ( له دعوة الحق ) ، قال : التوحيد - رواه ابن جرير (٤) ، وقال ابن عباس ، وقناة ، ومالك عن محمد بن المنكدر : ( له دعوة الحق ) : لا إله إلا الله : ( والذين يدعون من دونه ) ، أى : ومثل الذين يميلون آفة غير الله ، ( كبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ) ، قال علي بن أبي طالب : كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده ، وهو لا يتأله أبدا بيده ، فكيف يبلغ فاه ؟ ، وقال مجاهد ( كبسط كفيه ) : يده الماء بلسانه ، ويشير إليه [ بيده (٥) ] فلا يأتيه أبدا . وقيل : المراد كفايض يده على الماء ، فإنه لا يحكم منه على شيء ، كما قال الشاعر (٦) :  
فَكَأَنِّي وَلَيْسَ كُنْ وَكَهَوَّلًا إِلَيْكُمْ • كَفَافِيضٍ مَا لَمْ تَحْسَقْهُ (٧) أَنْتُمْ لَهُ •

وقال الآخر (٨) :

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا • مِنْ الْوَدِّ مِثْلَ الْقَفَافِضِ الْمَاءِ يَالَيْتُ

(١) تفسير الطبري : ٣٩٤/١٦ .

(٢) سورة النمل : آية ٥٠ : ٥١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٧٣ : ٣٩٦/١٦ . وأثر مجاهد بهمه .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٨٢ : ٣٩٨/١٦ .

(٥) ما بين القوسين عن تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٨٧ : ٤٠٠/١٦ .

(٦) هو ضابي ، بن الحارث البرجسي ، والبيت من أبيات سبعة قالها في المجلس ومات فيه ، وقد أوردتها البغداد في عزالة الأدب : ٨٠/٤ ، ورواية الشطر الثاني فيها : • كَفَافِيضٍ مَا لَمْ تَلْعَسْهُ لَأَنَّهُ •

(٧) في السان : • وسقت التي أسق سقا : إذا حكت • وذكر شاعداً على ذلك هذا البيت . م قال : • أى لم تحمله • يقول : ليس في يدي شيء من ذلك ، كما أنه ليس في يده القفايض على الماء شيء • .

هذا والبيت أيضاً في تفسير الطبري : ٣٩٩/١٦ .

(٨) هو الأحمسي بن عمه الأنصاري ، والبيت في تفسير الطبري : ٤٠٠/١٦ : ولم نجده في ديوانه •

ومعنى الكلام : أن هذا الذي يسقط يده إلى الله إما قابضاً وإما متاولاً له من بُعد ، كما أنه لا يتسقط بالله الذي لم يصل إلى فيه ، الذي جعله عللاً للشرب ، فكل ذلك هؤلاء المشركون الذين يبدون مع الله إلهاً غيره ، لا يتسعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة . ولهذا قال : ( وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ) .

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا أَتَدْرِي ۚ أَتَقُولُ لِلَّهِ أَصْحَابٌ ۚ

غير تعالى من عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ، ودان له كل شيء . ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين ، وكرهاً من المشركين ، ( وظلالهم بالغدو ) ، أي : البكر والأصيل (١) ، وهو جمع أصيل وهو آخر النهار ، كما قال تعالى ( أوم يروا إلى ما خلق الله من شيء يضيؤ ظلاله عن اليمن والشمال سجداً لله وهم داعرون ) (٢)

قُلْ مَنْ ذَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يُنْفِثُوا قَلَمًا وَلَا ضَرًا عَلَيْهِمْ سِتْرِي ۚ أَتَلْبِسُ الْغُلُوبَ وَالْبَصِيرَ ۚ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۚ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَخْلِيفَهُ فَمِثْلَهُمْ أَهْلًا ۚ تَعْلَمُونَ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝

يقرّر تعالى أنه لا إله إلا هو ، لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اختلفوا من دونه أولياء يعبدونهم ، وأوتيت الآفة لا تملك لنفسها ولا لعابديها بطريق الأولى ، ( نعموا وضرا ) ، أي : لا تحصل منفعة ، ولا تلحق مضرة : فهل يستوى من عبد هذه الآفة مع الله ، ومن عبد الله وحده لا شريك له وهو حي نور من ربه ؟ ولهذا قال : ( قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ، أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ) ، أي : أجل هؤلاء المشركون مع الله آفة تناظر الرب وتماثل في الخلق ، فخلقوا كخلقه ، فتشابه الخلق عليهم ، فلا يدرون أنها مخلوقة من مخلوق غيره ؟ أي : ليس الأمر كذلك ، فإنه لا يشابه شيء ولا تماثل ، ولا ليد له ولا عبد له ، ولا وزير له ، ولا ولد ولا صاحبة . ( تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ) ، وإنما عبد هؤلاء المشركون معه آفة هم معترفون أنها مخلوقة له عبيد له ، كما كانوا يقولون في تليثهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك (٣) . وكما أخبر تعالى عنهم في قوله : ( ما تدعيهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) (٤) ، فأنكر تعالى ذلك عليهم ، حيث اعتقدوا ذلك ، وهو تعالى لا يتشعب عنه أحد إلا بإذنه ، ( ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ) (٥) (وكم من ملك في السموات والأرض لا نفى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٦)

(١) البكر - بصتين - جمع بكرة - بهم تسكون - أول النهار .

(٢) سورة النمل ، آية : ٤٨ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب : التلبية وصفاتها ووقتها : ٨٧٤ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٣ .

(٥) سورة مائدة ، آية : ٢٣ .

(٦) سورة التجم ، آية : ٢٦ .

وقال : ( إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً . لقد أحصاهم وعلمهم علماً ؛ وكلهم آتية يوم القيامة فرداً (١) ) ، فإذا كان الجميع عبداً ، فلم يعد بعضهم بعضاً بلا دليل ولا برهان ، بل بمجرد الرأي والاختراع والابتداع ؟ ثم قد أرسل رسله من أولم إلى آخرهم ترجمهم عن ذلك ، وتنهاهم عن عبادة من سوى الله ، فكذبوه وخالفوه ، فحققت عليهم كلمة العذاب لا محالة ، ( ولا يظلم ربك أحداً (٢) ) .

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (٣)

اشتملت هذه الآية الكريمة على ثلاثين مضروبين للحق في ثباته ويقائه ، والباطل في اضمحلاله وفناؤه ، فقال تعالى : ( أنزل من السماء ماء ) ، أى : مطرا ، ( فسالت أودية بقدرها ) ، أى : لتدخل كل واحد حسبها ، فهناك كبير وسبع كثيرا من الماء ، وهذا صغير توسع بقدره . وهو إشارة إلى القلوب وتفاوتها ، فمنها ما يسع علما كثيرا ، ومنها ما لا يسع لكثير من العلوم بل يضيئ عنها ، ( فاحتمل السيل زبداً رابياً ) ، أى : فجاء على وجه الماء الذى سال في هذه الأودية زبداً حال عليه ، هذا مثل ، وقوله : ( ومما يوقدون عليه في النار ) ، هذا هو المثل الثانى ، وهو ما يسبك في النار من ذهب أو فضة ( ابتغاء حلية ) ، أى : ليحصل حلية نحاس أو حديد ، فيجعل متاعاً فإنه يعلوه زبدٌ منه ، كما يعلو ذلك زبدٌ منه . ( كذلك يضرب الله الحق والباطل ) ، أى : إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له ، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء ، ولا مع الذهب ونحوه مما يسبك في النار ، بل يلهب ويضمحل ، ولهذا قال : ( فأما الزبد فيلهب جفاءً ) ، أى : لا يتنفع به ، بل يفرق ويمزق ويلهب في جانبي الوادى ، ويعلو بالشجر وتنسفه الرياح : وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يلهب ، لا يرجع منه شيء ، ولا يبقى إلا الماء ، وذلك الذهب ونحوه يتنفع به . ولهذا قال : ( وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ) ، كما قال تعالى : ( وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا الماعلون (٤) ) .

قال بعض السلف : كنت إذا قرأتُ مثلاً من القرآن فلم أفهمه فكُتبت على نفسى ، لأن الله تعالى يقول : ( وما يعقلها إلا الماعلون ) .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : قوله تعالى : ( أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ) : هذا مثل ضربه الله ، أحملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها ، فأما الشك فلا ينفع منه العجل ، وأما اليقين فينفع الله به أمله ،

(١) سورة مريم ، الآيات : ٩٣ - ٩٥ .

(٢) سورة النكت ، آية : ٤٩ .

(٣) سورة النكت ، آية : ٤٣ .

وهو قوله : ( فأما الزبد فيلعب جفاء ) ، [ وهو الشك <sup>(١)</sup> ] ، ( وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ) ، وهو اليقين ، وكما يجعل الحكيم في النار فيؤخذ خالصه ويرك خبثه في النار . فكللك يقبل الله اليقين ويرك الشك <sup>(٢)</sup> .

وقال البرقي عن ابن عباس قوله : ( أنزل من السماء ماء فصالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ) ، يقول : احتمل السيل ما في الوادي من عود ومثكة <sup>(٣)</sup> ( وما توقنون <sup>(٤)</sup> عليه في النار ) ، فهو الذهب والفضة والحلقة والخنجر والنحاس والحديد ، فلتنحاس والحديد خبثت ، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء ، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة ، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأثبتت . فجعل ذلك مثل العمل الصالح يبقى لأهله ، والعمل السيء يضمحل عن أهله ، كما يذهب هلم الزبد ، فكللك الهدى والحق جاما من عند الله ، فمن عمل بالحق كان له ويبقى كما يبقى ما ينفع الناس في الأرض . وكللك الحديد لا يستطيع أن يعمل منه سكينة ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ، ويخرج جيله فينفع به . كللك يضمحل الباطل إذا كان يوم القيامة ، وأقيم الناس ، وعرضت الأعمال ، فيخرج الباطل وبهلك ، وينفع أهل الحق بالحق <sup>(٥)</sup> .

وكللك روي في تفسيرها عن مجاهد ، والحسن البصري ، وعطاء ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف .

وقد ضرب الله سبحانه ولعل في أول سورة البقرة للمنافقين مثلين نارياً ومالياً ، وهما قوله : ( مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله <sup>(٦)</sup> . . . الآية ) ، ثم قال : ( أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق <sup>(٧)</sup> ) . . . الآية . وهكذا ضرب للكافرين في سورة النور مثلين : أحدهما قوله : ( واللذين كفروا أحملهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ) . . . الآية ، والكسراب إنما يكون في شدة الحر ، ولهذا جاء في الصحيحين : « يقال لليهود يوم القيامة : فما تريدون ؟ فيقولون : أي ربنا ، عطشنا فاسقنا . فيقال : ألا تردون ؟ فيردون النار فإذا هي كالسراب يطمطم بعضها بعضا <sup>(٨)</sup> » .

ثم قال في المثل الآخر : ( أو كظلمات في بحر لجي يشاه موج من فوقه موج ، من فوقه صحاب ) . . . الآية ، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل ما يعنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طائفة قبلت الماء فأثبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشرى وروى وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها [ أخرى ] ، إنما هي قيعان

(١) ما بين القوسين المفسرون عن تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣١١ : ٤١٠/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣١١ : ٤١٠/١٦ .

(٣) القصة - بكسر فسكون - : آثار القهار .

(٤) كلما في خطوطة الأزهري : توقنون ، بالناء . وهي قرأة ثابتة في الصيغة . ينظر البحر المحيط : ٣٨١/٥ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣١٢ : ٤١٠/١٦ ، ٤١١ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٧ .

(٧) سورة البقرة : آية ١٩ .

(٨) البخاري ، تفسير سورة النساء : ٦/٦ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب : سرقة طريق الرؤية : ١١٥/١ ، وذلك من حديث طويل عن أبي سيدة الخدرى .

لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني وشيئ به ، فحكمي وعلمي : ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت (١) به .

فهذا مثل مائي ، وقال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل ومثلكم ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل القرقاش وهذه اللواب التي يغمق في النار يغمق فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيضمن فيها . قال : فذلكم مثل ومثلكم ، أنا أعلم بحجركم عن النار ، حكمكم عن النار [ حكمكم من النار ، حكمكم (٢) ] فتغلبوني ، فتضعمون فيها (٣) » : وأخرجاه في الصحيحين أيضاً (٤) ، فهذا مثل ناري .

لَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ هُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ وَلَيْسَ الْإِهَادُ

خبر تعالى عن مآل السعداء والأشقياء فقال : (الذين استجابوا لربهم) ، أي : أطاعوا الله ورسوله ، واقتدوا لأوامره ، وصدقوا أخباره الماضية والآتية ، فلهم (الحسنى) ، وهو الجزاء الحسن ، كما قال تعالى خبراً عن ذي القربى أنه قال : (أما من ظلم فسوف نعذب به ثم يرد إلى ربه فيعذبنا عذاباً نكراً) . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسوقوله لمن أمرنا بسراً (٥) ، وقال تعالى : (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة (٦) ) .

وقوله : (والذين لم يستجيبوا له) ، أي لم : يطيعوا الله ، (لو أن هم ما في الأرض جميعاً) ، أي : في النار الآخرة ، لو أن يمكنهم أن يغلبوا من عذاب الله جلء الأرض ذنباً ومثله معه لافتدوا به ، ولكن لا يقبل منهم ، لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ، (أولئك هم سوء الحساب) ، أي : في النار الآخرة ، أي : يافتقرون عمل القبر والقطمير (٧) ، والجليل والحقير ، ومن نوقش الحساب عذب ، ولهذا قال : (وما وهم بهم وبس المهاد) .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ الْحَقَّ قُلْ هُوَ الْحَقُّ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يقول تعالى : لا يستوى من يعلم من الناس أن الذي (أنزل إليك) يا محمد (من ربك) هو (الحق) ، أي : الذي لا شك فيه ولا مرية ولا لبس فيه ولا اختلاف فيه ، بل هو كله حق يصدق بعضه بعضاً ، لا يضاد شيئاً منه شيئاً آخر ،

(١) البشارى ، كتاب العلم ، باب « فصل من علم وعلم » : ٢٠/١ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « بيان مثل ما يمسك النبي صلى الله عليه وسلم من الماء والطين » : ٦٣/٧ .

(٢) ما بين القوسين للمؤلفين من مستد الإمام أحمد .

(٣) مستد الإمام أحمد : ٣١٢/٢ من حديث طويل .

(٤) البشارى ، كتاب الفرقاء ، باب « الانتهاء عن المعاصي » : ١٢٧/٨ ، ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « خلقه صلى الله عليه وسلم حل لثمة ومبالغة في تحذيرهم ما يضرهم » : ٦٣/٧ ، ٦٤ .

(٥) سورة الكهف ، آية : ٨٨ ، ٨٧ .

(٦) سورة يونس ، آية : ٢٦ .

(٧) التفسير : النكتة التي في التواتر ، والقطمير : شق التواتر ، وفي الصباح : القطمير القوية التي في التواتر ، وهي التشارة الدقيقة التي حل التواتر والفرق . يريد أنهم متناقضون على كل الأمور ، صغيرها وكبيرها ، وضرب مثلاً للتفسير بالقطمير والتفسير .

فأخبره كلها حق ، وأمره وتواحيه عدل ، كما قال تعالى : ( ونعت كلمة ربك صدقا وعدلا (١) ) ، أى : صدقا في الإخبار ، وعدلا في الطلب ، فلا يستوى من يتحقق صدق ما جئت به يا محمد ومن هو أحمى لا يهتدى إلى خير ولا يفهمه ، ولو فهمه ما اتقاه ولا صدقه ولا اتبعه ، كما قال تعالى : ( لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم القاريون (٢) ) ، وقال في هذه الآية الكريمة : ( أفن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أحمى ) ، أى : أفهل هذا كهذا ؟ لا استواء .

وقوله : ( إنما يتذكر أولو الألباب ) ، أى : إنما يتعظ ويعتبر ويعقل أولو العقول السليمة الصحيحة ، جعلنا الله منهم . الَّذِينَ يُرُونَ بِمَعَدِّ اللَّهِ وَلَا يُنْقِضُونَ أَيْمَانَهُ ۚ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْلُقُونَ سُوءَ الْحَسْبِ ۚ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ هُمُ عَقِبُ الدَّارِ ۚ جَنَّاتٌ عَنْ دُونِهَا يُدْخَلُونَ مِنْ صَلَاحٍ مِنْ آبَائِهِمْ وَزُوجِهِمْ يُدْرَأُ بِهِمْ وَمُلَكَاتُهُمْ يُدْخَلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عَقِبُ الدَّارِ ۚ

يقول تعالى خبراً عن انصف جهه الصفات الحسنة ، بأن لهم ( عقي الدار ) ، وهى العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

( الذين يرون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ) ، وليسوا كالمناقضين الذين إذا عاهد أحدكم خدر ، وإذا خاضع فخر ، وإذا حدث كذب ، وإذا اتعن خان .

( والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ) ، من صلة الأرحام ، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمهاجرين ، وبذلك المعروف ، ( ويخشون ربهم ) ، أى : فيما يأتون وما يلرون من الأعمال ، يراقبون الله في ذلك ، ويخافون سوء الحساب في الدار الآخرة . فلذلك أمرهم على السداد والاستقامة في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم القاصرة والمتعدية .

( والذين صبروا ابتغاء وجه الله ربهم ) ، أى : عن المحارم والمأثم ، فطمعوا نفوسهم عن ذلك لله عز وجل ، ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ، ( وأقاموا الصلاة ) مخلوفا ومواقبتها وركوعها وسجودها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي ، ( وأنفقوا مما رزقناهم ) ، أى : على الذين يجب عليهم الإنفاق لهم من زوجات وقرابات وأجانب ، من فقراء ومهاجرين ومساكين ، ( سرا وعلانية ) ، أى : في السر والجهر ، لم يمنعهم من ذلك حال من الأحوال ، في آتاء الليل وأطراف النهار ، ( ويدرون بالحسنة السيئة ) ، أى : يلغون القبيح بالحسن ، فإذا آذاهم أحد قابله بالجميل صبوا واحتملوا وصغفوا وعفوا ، كما قال تعالى : ( ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (٣) ) ، ولهذا قال خبراً عن هؤلاء السعداء المتصقين جهه الصفات الحسنة بأن لهم عقي الدار . ثم فسر ذلك بقوله : ( جنات عدن ) ، والعدن : الإقامة ، أى : جنات إقامة مخلدون فيها .

(١) سورة الأنعام ، آية ١١٥ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٢٠ .

(٣) سورة فصلت ، آية ٣٤ ، ٣٥ .



ومن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن في الجنة قصر يقال له « عدن » ، حوله البروج والبروج ، فيه خمسة آلاف باب ، على كل باب خمسة آلاف حجرة ، (١) لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد (٢) .

وقال الضحاك في قوله : ( جنات عدن ) ، مدينة الجنة ، فيها الرسل والأنبياء والشهداء وأمة المهدي ، والناس حولهم بعد والجنات (٣) حولها . رواها ابن جرير .

وقوله : ( ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ) ، أي : يجمع بينهم وبين أحبهم فيها من الآباء والأهليين والأبناء ، ممن هو صالح لدخول الجنة من المؤمنين ، لتقر أعينهم بهم ، حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى ، من غير تنقيص لتلك الأعلى عن درجته ، بل امتثاناً من الله وإحساناً ، كما قال تعالى : ( وللمن آمنوا وأتبعناهم (٤) ذرياتهم بإيمان أحفانهم ذرياتهم وما آتاهم من علمهم من شيء ) ، كل أمرئ بما كسب يدين ) (٥) .

وقوله : ( والملككة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فتم صفي الدار ) ، أي : وتدخل عليهم الملككة من هاهنا وهاهنا لتتهنئ بدخول الجنة ، فتندخلهم إياها فتد عليهم الملككة مسلمين مهتئين لهم بما حصل لهم من الله من التقرب والأمان ، والإقامة في دار السلام ، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام .

وقال الإمام أحمد ، رحمه الله : حدثنا أبو صابر الرحمن ، حدثني سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا معروف بن سويده الجذلي عن أبي عثمان المماري ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم » قال : أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين تستدبهم الفئور ، وتنتقى بهم المكارة ، ويموت أحدهم وحاجة في صدره لا يستطيع لها قضاء ، فيقول الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : اتهم فحيوهم . فتقول الملككة : نحن سكان ميائك ، وغيرك من خلقك ، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم ؟ قال : إنهم كانوا عباداً يعبدوني لا يشركون في شيئاً ، وتسلمهم الفئور ، وتنتقى بهم المكارة ، ويموت أحدهم وحاجة في صدره فلا يستطيع لها قضاء . قال : فتأتيهم الملككة عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كل باب ، (سلام عليكم بما صبرتم فتم صفي الدار) (٦) .

ورواه أبو القاسم الطبراني ، عن أحمد بن رشلين ، عن أحمد بن صالح ، عن عبد الله بن وهب ، عن عمرو ابن أختارث ، عن أبي عثمان سمع عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول ثلة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين ، الذين تنتقى بهم المكارة ، وإذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى سلطان لم تمنع »

(١) الخيرة - يكرر لفتح - : صريح من بروذ اليمن .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٤٢ : ٤٧٤٪١٦ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٤٣ : ٢٠٣٤٣٪١٦ ، ٤٧٥ ، وقد وقع في تفسير الطبري : « والناس حولهم بعد الجنات » .

وما في القدر المتأخر للسيوطي : ٥٧٪٤ : يوافق ما هنا .

(٤) كذلك في مخطوطة الأزهر ، وهي قراءة أبي عمرو ، وإياها السبعة : ( وأتبعهم ) ، ينظر البحر المحيط لأبي حيان : ١٤٩٪٨ .

(٥) مسودة الطبري ، آية : ٢١ .

(٦) مسند الإمام أحمد : ١٦٨٪٢ .

حتى يموت وهي في صلوه ، وإن الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي يزخرها وزيتها ، فيقول : أين عبادي الذين قالوا في سبيل ، وأوفوا في سبيل ، وجاهدوا في سبيل ؟ ادخلوا الجنة بغير عذاب ولا حساب ، وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن لسبحك الليل والنهار ، ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرهم علينا ؟ فيقول الرب عز وجل : هؤلاء عبادي الذين جاهدوا في سبيل ، وأوفوا في سبيل ، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : ( سلام عليكم بما صبرتم فنعم حقى الدار ) .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن ياقية بن الوليد ، حدثنا أرطاة بن المنذر ، سمعت رجلا من مشيخة الجند ، يقال له أبو الحجاج ، يقول : جلست إلى أبي أمامة قال : إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة ، وعنده سباطون (١) من خدم ، وعند طرف السماطين باب مبوب ، فيقول الملك فيستأذن ، فيقول [ أقصى الخدم ] (٢) للذي يليه : « ملك يستأذن » ، ويقول الذي يليه للذي يليه : « ملك يستأذن » ، حتى يبلغ المؤمن فيقول : الذنوا . فيقول أقربهم إلى المؤمن : الذنوا ، ويقول الذي يليه للذي يليه : الذنوا . حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب ، فيفتح له ، فيدخل فيسلم لم ينصرف ، وواه ابن جرير (٣) .

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث إسماعيل بن عياش ، عن أرطاة بن المنذر ، عن أبي الحجاج (٤) يوسف الألفاني قال : سمعت أبا أمامة رضي الله عنه فذكر نحوه .

وقد جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور قبور الشهداء في رأس كل حول ، فيقول لهم : ( سلام عليكم بما صبرتم فنعم حقى الدار ) : وكلنا أبو بكر ، وعمر ، وعثمان .

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ هَدَا اللَّهُ مَن بَعْدَ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥)

هذا حال الأتقياء وصفاتهم ، وذكر ما لهم في الدار الآخرة وصبرهم إلى خلاف ما صار إليه المؤمنون ، كما أنهم اتصفوا بخلاف صفاتهم في الدنيا ، فأولئك كانوا يوفون بم عهد الله ويصلون ما أمر الله به أن يوصل ، وهؤلاء ( يقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ) ، كما ثبت في الحديث : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوتى خان - وفي رواية : « وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٥) . ولهذا قال : ( أولئك لهم اللعنة ) ، وهي الإبعاد عن الرحمة ، ( ولهم سوء الدار ) ، وهي سوء العاقبة والمآل ، وما أواهم جهنم وبئس القوار .

(١) السباط : الصف .

(٢) ما بين التوسمين عن تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٤٤ : ٤٢٥/١٦ : ٤٢٦ .

(٤) كذا ، وحمله في تفسير الطبري . وقد رجح السيد عتق تفسير الطبري أنه « أبو القصاص » لا أبو الحجاج ، ورجح في ذلك إلى الجرح والتعديل لابن أبي حاتم : ٢٣٥/٢٢٤ والتاريخ الكبير البخاري .

(٥) أخرجه في كتاب الإيمان ، ينظر صحيح البخاري ، باب : علامة المنافق ، ١٥/١ ، ومسلم ، باب : بيان خصال المنافق ، ٥٦/١ .

وقال أبو العباس في قوله : ( والذين يقضون عهد الله ) ... الآية ، قال : هي ست خصال في المنافقين إذا كان فيهم الظهيرة (١) على الناس أظهرها هذه الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا اتهموا خانوا ، وتقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وأفسدوا في الأرض ، وإذا كانت الظهيرة عليهم أظهرها الثلاث الخصال : إذا حدثوا كذبوا ، وإذا وعدوا أخلفوا ، وإذا اتهموا خانوا .

أَلَمْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢١﴾

يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ، ويقره على من يشاء ، لا له في ذلك من الحكمة والعدل . وفرح هؤلاء الكفار بما أوتوا في الحياة الدنيا استدرجا لهم وإيهالا ، كما قال تعالى : ( يحسبون أننا نمدحهم به من مال وبني ناسر لهم في الخبرات بل لا يشعرون (٢) ) .

ثم حذر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادخره تعالى لعباده المؤمنين في النار الآخرة فقال : ( وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ) ، كما قال : ( قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى ، ولا تظلمون شيئا ) ، (٣) وقال : ( بل تزولون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ) (٤) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويحيى بن سعيد قالا : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن المستورد أني بنى فهر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجمل أحسنكم أصبحه في المم ، فليظنهم ترج . وأشار بالسبابة (٥) . ورواه مسلم في صحيحه (٦) .  
وفي الحديث الآخر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجندى أسك ميت . والأسك : الصغر الأدنى . فقال :  
« والله لأدنيا أهون على الله من هذا على أهله حين القوه » (٧) .

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۚ وَلِلَّهِ مِنَ الْغَيْبِ سِتْرٌ ۚ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾

غير تعالى عن قيل المشركين : ( لولا ) ، أي : حلا ( أنزل عليه آية من ربه ) كما قالوا : ( لئاننا بأية كما أرسل الأولون (٨) ) . وقد تقدم الكلام على هذا غير مرة ، وإن الله قادر على إجابة ما سألوا : وفي الحديث : أن الله أوحى إلى

(١) لم نجد « الظهيرة » فيما أتبع لنا من المباحم ، وفي اللسان : « ظهر فلان على فلان » ترى عليه .

(٢) سورة المؤمنون ، آية : ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) مسودة النساء ، آية : ٧٧ .

(٤) سورة الأهل ، آية : ١٦ ، ١٧ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٢٢٨ : ٢٢٩ .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب « فتاى الدنيا ويان افسر يوم القيلة » : ١٠٦/٨ .

(٧) مسلم ، كتاب الزهد والرفائق : ٢١٠/٨ ، ٢١١ . ومسند الإمام أحمد : ٢٦٥/٣ .

(٨) سورة الأنبياء ، آية : ٥ .

وسوله لما ملأوه أن . وك لهم الصفا ذهباً ، وأن يجري لهم ينبوعاً ، وأن يزيح الجبال من حول مكة فيصير مكانها مروج ويمائين ، إن شئت يا محمد أعطيتهم ذلك ، فإن كفروا فإني أعطيتهم عذاباً لا أعليه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة ، فقال : « بل تفتح لهم باب التوبة والرحمة » (١) . ولهذا قال لرسوله : قل : إن الله يفضل من يشاء ، ويهدي إليه من أناب ، أي : هو المفضل والمهاضي ، سواء بعث الرسول بآية على وفق ما اقترحوا ، أو لم يجيبهم إلى سؤلهم ، فإن الهداية والإصلاح ليس منوطاً بذلك ولا عدمه ، كما قال : ( وما نفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ) (٢) ، وقال : ( إن الدين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ) (٣) ، وقال : ( ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكن أكثرهم يجهلون ) (٤) ، ولهذا قال : قل إن الله يفضل من يشاء ويهدي إليه من أناب ، أي : ويهدي من أناب إلى الله ، ووجه إليه ، واستعان به ، وتضرع لديه .

( الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ) ، أي : تطيب وتركن إلى جانب الله ، وتسكن عند ذكره ، وترضى به مولى ونصيراً ، ولهذا قال : ( ألا بذكر الله تطمئن القلوب ) ، أي : هو حقيق بذلك .

( الذين آمنوا وحبوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ) ، قال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : فرح وقرة عين (٥) .

وقال عكرمة : تبعهم ما لهم .

وقال الضحاك : شيلة لهم .

وقال إبراهيم النخعي : خير لهم .

وقال قتادة : هي كلمة عربية ، يقول الرجل : « طوبى لك » ، أي : أصبحت خيراً ، وقال في رواية : ( طوبى لهم ) ، حتى لهم .

( وحسن مآب ) ، أي : مرجع .

وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها .

وقال سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ( طوبى لهم ) ، قال : هي أرض الجنة بالحديثة (٦) .

وقال سعيد بن مسروق (٧) طوبى اسم الجنة ، بالحديثة (٨) ؛ وكلنا روى السدي ، عن عكرمة : ( طوبى لهم ) ،

أي : الجنة ، وبه قال مجاهد .

(١) أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس : ٢٤٣/١ .

(٢) سورة يونس ، آية : ١٠٩ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ١١١ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٦٩ : ٤٣٥/١٦ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٧٤ : ٤٣٦/١٦ .

(٧) كلما ورد في غرطلة الأزهر ، وفي بعض ما ورد في غرطلة الطبري مثله ، وفي بعضها الآخر : « مشجرج » ، وهو ما اعتاده السيد المحقق فائمه . والله أعلم .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٧٦ : ٤٣٦/١٦ .

وقال العرقى ، عن ابن عباس : لما خلق الله الجنة وفرغ منها قال : ( الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ) ، وذلك حين أعجبته (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن شهر بن حوشب قال : ( طوبى ) : شجرة في الجنة ، كل شجر الجنة منها ، أغصانها من وواء سور الجنة (٢) .

وهكذا روى عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وميث بن سمي ، وأبي إسحاق السبيعي وغير واحد من السلف : أن طوبى شجرة في الجنة ، في كل دار (٣) منها حصن منها .

وذكر بعضهم أن الرحمن تبارك وتعالى عَظَمَها بيده من حبة لؤلؤة ، وأمرها أن تمتد ، فامتدت إلى حيث يشاء الله تبارك وتعالى ، وخرجت من أصلها بناييع أنهار الجنة ، من حسل وخر وماء ولبن .

وقد قال عبد الله بن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن دَرَجًا أبا السمَّح حدثه ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ( مرفوعا ) : ( طوبى ) : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن بن موسى ، سمعت عبد الله بن طهية ، حدثنا دَرَجٌ أبو السمَّح ، أن أبا الهيثم حدثه ، عن أبي سعيد الخدري (٥) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن رجلا قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآه وآمن به . قال : « طوبى لمن رآني وآمن بي » ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرى . قال له رجل : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها (٦) .

وروى البخاري ومسلم جميعا ، عن إسحاق بن راهويه ، عن مغيرة المخزومي ، عن وهيب ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ؛ قال : فسُحِّدَتْ به النعمان بن أبي عياش الزُّزِّي ، فقال : حدثني أبو سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجوادَ المُفسَّرَ (٧) السريع مائة عام لا يقطعها » (٨) .

وفي صحيح البخاري ، من حديث يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ( وظلل محمود ) قال : « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » (٩) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٨١ : ٢٣٧/١٦ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٨٥ : ٢٣٨/١٦ .

(٣) يسنو : في كل دار في الجنة ؛ ينظر أثر مغيث بن سفي في الطبري : ٤٣٨/١٦ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٣٩٥ : ٤٤٣/١٦ .

(٥) ما بين القوسين المعقوفين سقط عن غلظة الأثر ، أتيتاه عن الطبقات السابقة ، وهو سقط لظن .

(٦) مسند الإمام أحمد : ٧١/٣ .

(٧) تفسير الخليل هر : أن تشد ماها سروجها وتجل بالأجلة حتى ترق تحتها ، فيلبس عليها ، ويشفه عليها ، ويصل عليها فامان غفاتها يجرورها ، ولا ينفقون بها . لأنها فعل ذلك بها أمن ملجأ انتظام النفس عند حورها .

(٨) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب « صفة الجنة والآثار » : ١٤٢/٨ ، ١٤٣ . ومسلم ، كتاب الجنة ، باب « وإن في الجنة شجرة ... » : ١٤٤/٨ .

(٩) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب « ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة » : ١١٤/٤ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا مريج ، حدثنا فليح ، عن هلال بن علي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة ، اقرأوا إن شئتم وظل جلود » أخرجه في الصحيحين .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة ، سمعت أبا الضحاک يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو : مائة سنة - هي شجرة الخلد (١) » .

وقال محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن هبادة بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن أمية بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى ، قال : « يسير في ظل القنن (٢) منها الراكب مائة سنة - أو : قال - يستظل في القنن منها مائة راکب ، فيها قرأش (٣) اللهب ، كان ثمرها القلال (٤) » رواه الزملي (٥) .

وقال إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى ، ففتح له أكمامها ، فيأخذ من أى ذلك شاء ، إن شاء أبيض ، وإن شاء أحمر ، وإن شاء أصفر ، وإن شاء أسود ، مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن » :

وقال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أشعث بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : طوبى شجرة في الجنة ، يقول الله لها : « تفتنى لبعدي حسباً شاء ، فتفتنى له من الخليل بسروجها ولجمها ، ومن الإبل بأزمها ، وعما شاء من الكسوة (٦) » .

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاتنا أثرأ غريباً عجيباً ، قال وهب رحمه الله : إن في الجنة شجرة يقال لها « طوبى » ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رباط (٧) ، وورقها يرو (٨) ، وقصبانها عنب ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور ، وحسكها مسك ، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهي مجلس لأهل الجنة ، فينأون في مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقدمون نجياً مزومة سلاسل من ذهب ، وجوهها كالصابيح حسنا ، ووبرها كنز المير (٩) من لبنه ، عليها رجال ألواحها من ياقوت ، ودلوها من ذهب ، وثيابها من سندس وإستبرق ،

(١) مستد الإمام أحمد : ٤٥٥/٢ .

(٢) القنن - يفتح القاء والقنن - : القنن .

(٣) القرأش - يفتح القاء - واسمه فراشة ، وهي التي تغلي وتثاقل في السراج .

(٤) القلال - يكثر القنن - : جمع قلة ، وهي لئذ للشرب ، كالبحيرة الكبيرة .

(٥) تحفة الأحرف : أبواب صفة الجنة ، باب « ما جاء في صفة ثمار الجنة » ، الحديث ٢٦٦٤ : ٢٤٨/٧ . وقال

الزملي : « هذا حديث حسن صحيح غريب » .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٢٨٤ : ٤٣٨/١٦ .

(٧) الرباط : جمع ربيعة ، وهي كل ثوب لين رقيق .

(٨) البرود : جمع برد ، وهو المرفى من الكياب .

(٩) المير - بكسر الميم ، وسكون الراء ، وكسر الميم ، وفتح الزاي مشددة - : الثوب الذي تحت شعر الميت ،

وهو أين الصوف .

فَيَنْجُوهُمْ وَيَقُولُونَ : « إِنْ رَبَّنَا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ لَتُورُوهُ وَتَسْلَمُوا عَلَيْهِ » . قَالَ : فَرَكِبُونَهَا ، فَبِهِ أَسْرَعَ مِنَ الطَّائِرِ ، وَأَوْعَا مِنَ الْفَرَّاشِ ، نَجَّى مِنْ غَيْرِ مَهَّةٍ (١) ، سَيرَ الرَّجُلُ إِلَى جَنْبِ أَخِيهِ وَهُوَ يَكْلِمُهُ وَيُنَاجِيهِ ، لَا تَصِيبُ أَذُنَ رَاحِلَةٍ مِنْهَا أَذُنُ الْآخَرَى ، وَلَا بَرَكَ رَاحِلَةُ بَرَكِ الْآخَرَى (٢) ، حَتَّى إِنْ الشَّجَرَةَ لَتَسْتَعْنِي عَنْ طَرِيقِهِمْ ، لَتَلَا تَفْرُقُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِلَى الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَيَسْفِرُ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، فَإِذَا رَأَوْهُ قَالُوا : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَعَكَ السَّلَامُ ، وَحَقُّ لَكَ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ » . قَالَ : فَيَقُولُ تَعَالَى [عَنْ ذَلِكَ] : « وَأَنَا السَّلَامُ وَمَعِيَ السَّلَامُ ، وَعَلَيْكُمْ حَقَّتْ رَحْمَتِي وَعُمِّي » ، مُرَحِبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ خَشَوْهُ بِغَيْبٍ وَأَطَاعُوا أَمْرِي » . قَالَ : فَيَقُولُونَ : « رَبَّنَا لَمْ نَعْبُدْكَ حَتَّى عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ نَقْدِرْكَ حَتَّى قَدْرِكَ ، فَأَذَنْ لَنَا فِي السَّجْدِ قُدُّمُكَ » . قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ : « إِنِّي لَيْسْتُ بِدَارٍ نَصَبٍ وَلَا عِبَادَةٍ ، وَلَكِنِّي دَارُ مَلِكَةٍ وَتَعِيمٍ ، وَإِنِّي قَدْ رَفَعْتُ عَنْكُمْ تَصَبُّبَ الْعِبَادَةِ ، فَسَلُّوْا مَا شِئْتُمْ ، فَإِنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَمْنِيَّةً » . فَيَسْأَلُونَهُ ، حَتَّى إِنْ أَقْصَرَهُمْ أَمْنِيَّةُ لَيَقُولَ : « رَبِّ ، تَنَافَسَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَضَاقُوا فِيهَا ، رَبِّ قَاتِلْنِي مِثْلَ كُلِّ شَيْءٍ » كَانُوا فِيهِ مِنْ يَوْمِ خَلَقْتَهَا إِلَى أَنْ انْتَهَتْ لِدُنْيَا « فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : « لَقَدْ قَصَّرْتُ بِكَ أَمْنِيَّتَكَ ، وَلَقَدْ سَأَلْتُ دُونَ مِثْلِكَ ، هَذَا لَكَ مِنْي ، [وَمَا تُعْطِيكَ عَمَلِي] (٣) ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي عَطَائِي نَكِدٌ وَلَا تَصْرِيدٌ (٤) » . قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : « اعْرَضُوا عَلَى عِبَادِي مَا لَمْ يَبْلُغْ أَمَانِيَّتَهُمْ ، وَلَمْ يُخْطَرْ لَهُمْ حُلِي بَالٌ » . قَالَ : فَيَعْرِضُونَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَقْصُرَ (٥) بِهِمْ أَمَانِيَّتُهُمْ الَّتِي فِي أَنْفُسِهِمْ ، فَيَكُونُ فِيهَا يَرْضَوْنَ عَلَيْهِمْ بِرَاضِينَ مُكْرَمَةً ، عَلَى كُلِّ أَرْبَعَةٍ مِنْهَا سَرِيرٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ وَاحِدَةٍ ، عَلَى كُلِّ سَرِيرٍ مِنْهَا قِيَّةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكْرَمَةٍ ، فِي كُلِّ قِيَّةٍ مِنْهَا فَرَشٌ مِنْ فُرُشِ الْجَنَّةِ مُنْظَرَةٌ ، فِي كُلِّ قِيَّةٍ مِنْهَا جَارِيَتَانِ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ ، عَلَى كُلِّ جَارِيَةٍ مِنْهُنَّ ثَوْبَانِ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ لَوْنٌ إِلَّا وَهُوَ فِيهِمَا ، وَلَا رِيحٌ طَيِّبَةٌ إِلَّا قَدْ حَقَّقَتْهَا ، يَنْفُذُ ضَوْؤُهُ وَجُوهَهُمَا فَخَلَطَ الْقَبَّةَ ، حَتَّى يَظُنَّ مَنْ يَرَاهُمَا أَنَّهُمَا دُونَ الْقَبَّةِ ، يَرَى مِنْهُمَا مَنْ تَوَقَّعَ سَوْفَهُمَا ، كَالسَّلَكِ الْأَبْيَضِ فِي يَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ ، يَرِيَانُ لَهُ مِنَ التَّفْضِيلِ عَلَى صَاحِبَتِهِ كَتَفْضِيلِ الشَّمْسِ عَلَى الْحَيَاةِ أَوْ الْفُضْلِ ، وَيَرَى هُوَ شَمَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِمَا فَيُحْيِيَانِهِ وَيُجِلِّلَانِهِ وَيُعْتَقَانِهِ (٦) ، بِهِ ، وَيَقُولَانِ لَهُ : « وَاللَّهِ مَا ظَنَّنَا أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مِثْلَكَ » ، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ فَيُسْرِفُونَ بِهِمْ صِفَا فِي الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مِثْلَتِهِ الَّتِي أَحَدَتْ لَهُ : (٧) .

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده ، عن وهب بن منبه ، وزاد : فانظروا إلى ما هو به ربكم الذي وهب لكم ، فإذا هو بقباب في الرفيق الأعلى ، وعُرف مبيته من البر والمرجان ، وأبوابها من ذهب ، وسرورها من ياقوت ،

(١) المِهَّة - بضم الميم - جمع مَهَن ، مثل كاتب وكاتبة ، وهو : الخادم .

(٢) كَلَّا في مَحْلُوظَةِ الْأَزْهَرِ وَالطَّبَرِيِّ ، وَالْبَزْكَ - يَفْتَحُ فَسْكَوْنٌ - : الصَّادُ . وَهَذَا رَجْعُ السَّيِّدِ حَقِّقَ تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ أَنَّ يَكُونُ الصَّوَابُ : « وَرُكَّ » لَا يَرْكُ . وَلَكِنَّهُ أَثَبَّتَ مَا أَثَبَّتَاهُ .

(٣) مَا بَيْنَ التَّوَسُّعِ الْمُتَوَسُّعِ مِنْ تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ .

(٤) التَّصْرِيدُ : تَقَابُلُ الْعَمَلِ . وَفِي الْمَحْلُوظَةِ : « وَتَصْرِيدٌ » . وَلِلْمُتَّحِثِ مِنْ تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ .

(٥) فِي تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ : « حَتَّى يَقْضُوهُمْ أَمَانِيَّتُهُمْ » . وَمَا هَذَا أَوْجَهٌ .

(٦) فِي الْمَحْلُوظَةِ : « وَيُحْلِقَانِهِ » . وَلِلْمُتَّحِثِ مِنْ تَفْسِيرِ الطَّبَرِيِّ .

(٧) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ، الْأَثَرُ ٢٠٣٩٠ ، ١٦ / ٤٣٩ - ٤٤١ .

وفرشها من سلتس وإستبرق ، ومتايرها من نور ، يغشور من أبوابها . وعراصها نور مثل شعاع الشمس ، عنده مثل الكوكب اللدى فى النهار الملقى . » وإذا بقصور شائعة على أعلى علين من الياقوت يزهر بورها ، فلولا أنه مسخر إذا لانت (١) الأيصار ، لما كان من تلك القصور من الياقوت [ الأبيض ، فهو مفروش بالحرير الأبيض ، وما كان فيها من الياقوت الأحمر فهو مفروش بالمعبرى الأحمر ، وما كان فيها من الياقوت الأخضر ] ، فهو مفروش بالسلتس الأخضر ، وما كان فيها من الياقوت الأصفر ، فهو مفروش بالأرجوان الأصفر مزه (٢) بالزمرد الأخضر ، والذهب الأحمر ، والفضة البيضاء ، قواعها وأركانها من الجوهر ، وشرفها قباب من لؤلؤ ، وبروجها عُرف من المرجان ، فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قُرِيت لهم براذين من ياقوت أبيض ، مغوش فيها الروح ، تَجَسَّيْهَا الولدان المخلدون ، بيد كل وليد منهم حَكَمَةٌ (٣) برَدُون من تلك البراذين ، ولجها وأعتها من فضة بيضاء ، منظومة بالدر والياقوت ، صُرُوجها سُرُر موضونة (٤) ، مفروشة بالسلتس والإستبرق . فانطلقت بهم تلك البراذين تَرَف (٥) بهم بطن رياض الجنة : فلما انتهوا إلى منازلهم ، وجعلوا للملائكة قُعودا على منابر من نور ، ينتظرونهم ليزورهم ويصافحهم ويهتفهم كرامة ربهم : فلما دخلوا قصورهم وجعلوا فيها جميع ما تَطَلَّوْا (٦) به عليهم وما سألوا وتمنوا ، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة بجان ، [ جنتان ] ذواتا أفتان ، وجنتان مَدَامَتان ، وفيهما عيتان نضاختان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، وحور مقصورات فى الخيام ، فلما تَجَسَّيْوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم : هل وجدتم ما وعدكم حقاً ؟ قالوا : نعم ، وريتنا : قال : هل رَضِيتُمْ ثواب ربكم ؟ قالوا : ربنا ، رَضِيتُما فارض عنا . قال : يرشأى عنكم حلتم دارى ، ونظرتم إلى وجهى ، وصافحتكم ملائكتى ، فهنيئاً هنيئاً لكم ، ( عطاء غير مجلود ) ، ليس فيه تنقيص ولا تَصْغِيرُ : فمد ذلك قالوا : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، وأدخلنا دار المقامة من فضله ، لا عسا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ، وإن ربنا لغفور شكور .

وهذا سياق غريب ، وأثر عجيب ولبعضه شواهد ، فى الصحيحين : أن الله تعالى يقول لذلك الرجل الذى يكون آخر أهل الجنة دخولاً الجنة : « تمن » ، فيتمنى ، حتى إذا انتهت به الأمانى يقول الله تعالى : « تمن من كلام ، وتمن من كلام ، يذكره ثم يقول : « ذلك لك ، وعشرة أمثاله (٧) » .

وفى صحيح مسلم ، من أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الله من وجل : « يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا فى صعيد واحد ، فسأوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أدخل فى البحر (٨) » الحديث بطوله ،

(١) أى : ألذهب قسوما .

(٢) كلما فى غلظة الأثر ، وفى الطبقات السابقة : « حورية » ، ولا لدرى معنى واحدة منها .

(٣) الحكمة - بفتح الحاء والكاف - : ما أحاط بجنك القوس من لجانه .

(٤) أى : منسوبة بالدر والجوهر ، بعضها ملاخل فى بعض .

(٥) أى : تصرح بهم .

(٦) أى : تفعل به .

(٧) البخارى : كتاب الرقاق ، باب : الصراط جسر جهنم ، ١٤٨/١ ، ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : معرفة طريق الرزية ، ١١٤/١ .

(٨) مسلم : كتاب الحج ، باب : تحريم الظلم ، ١٧٨/١ .



وقال خالد بن معدان : إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، لها ضرع ، كلها تُرْضَع صبيان أهل الجنة ، وإن سَقَطَ المرأة يكون في شهر من أشهر الجنة ، يقلب فيه حتى تقوم القيامة ، فيبعث ابن أربعين سنة . رواه ابن أبي حاتم .

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى : وكما أرسلناك يا محمد في هذه الأمة ( لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك ) ، أى : تبلغهم رسالة الله إليهم ، كذلك أرسلنا في الأمم الماضية الكافرة بالله ، وقد كَذَّبَ الرسل من قبلك ، فلك فيهم أسوة ، وكما أَوْحَيْنَا بِأَسْمَاءَ وَنَحْمَتًا بِأُولَئِكَ ، فليحذر هؤلاء من حُكُولِ التَّعَمُّدِ بهم ، فإن تكذيبهم لك أشد من تكذيب غيرك من المرسلين ، قال الله تعالى : ( تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيم الشيطان أعمالهم فهو ولهم يوم ، ولهم عذاب أليم (١) ) وقال تعالى : ( ولقد كَذَّبَتْ رسل من قبلك ، فصبروا على ما كُتِبُوا وأؤذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبي المرسلين (٢) ) ، أى : كيف نصرناهم ، وجعلنا العاقبة لهم ولأتباعهم في الدنيا والآخرة .

وقوله : ( وهم يكفرون بالرحمن ) ، أى : هذه الأمة التي يشكك فيهم يكفرون بالرحمن ، لا يقرون به ، لأنهم كانوا بأنفوس من وصف الله بالرحمن الرحيم ، وعلما أنفوا يوم الحسبي أن يكتبوا باسم الله الرحمن الرحيم ، وقالوا : ماندرى ما الرحمن الرحيم ؟ قاله قتادة (٣) ، والحديث في صحيح البخارى ، وقد قال الله تعالى : ( قل : ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ) ، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن (٤) ) .

( قل هو ربى لا إله إلا هو ) ، أى : هذا الذى تكفرون به أنا مؤمن به معترف مقر له بالربوبية والإلهية هو ربى لا إله إلا هو ، ( عليه توكلت ) ، أى : فى جميع أمورى ، ( وإليه متاب ) ، أى : إليه أرجع وأتنب ، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه .

وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ خَلِمَ بِهِ السَّمَوَاتُ بَل لَّيْلَهُ الْأُمَمُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْمُرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى مادحا للقرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومفضلا له على سائر الكتب للمرة قبله : ( ولو أن قرآنًا سِيرَتْ به الجبال ، أى : لو كان فى الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها ، أو تقطع به الأرض

(١) سورة النحل ، آية ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٣٤ .

(٣) تفسير الطبرى ، الأثر ٢٠٣٩٧ : ١٦ / ٤٤٦ : ٤٤٦ .

(٤) مسلم ، كتاب الآداب ، باب : ( الذى من التكنى بأبى القاسم ويأبى ما يستحب من الأسماء ) : ١٦٩ / ٦ .

وتشقى ، أو تكلم به الموتى قبورها ، لكان هذا القرآن هو المتصف بملك دون غيره ، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك ، لما فيه من الإحجاز الذى لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ، ولا بسورة مع مثله ، ومع هذا فهو لاهل المشركون كافرين به جاحدون له ، ( بل لله الأمر جيمعاً ) ، أى : مرجع الأمور كلها إلى الله عز وجل ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن يفضل فلا هادى له ، ومن يهد الله فلا مضل له .  
وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتظمة ، لأنه مشتق من الجيمع . قال الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن منبّه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خُفِّتْ عَلَى دَاوُدَ الْقِرَامَةُ ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا بَنَاتَهُ أَنْ تُسْرَجَ ، فَكَانَ يقرأ القرآن من قبل أن تُسْرَجَ دَابَّتُهُ ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ » (١) . انفرد بإخراجه البخارى (٢) .

والمراد بالقرآن هنا الزبور .

وقوله : ( أَطْمَ يَأْمُرُ الَّذِينَ آمَنُوا ) ، أى : من إيمان جميع الخلق ويعلموا أو يتبينوا ( أَنَّ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً ) ، فإنه ليس ثم حجة ولا معجزة أبلغ ولا أتمج في النفوس والعقول من هذا القرآن ، الذى لو نزل الله على جبل لؤيته عاشعاً متصلياً من خشية الله ، وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي إلا وقد أوتى ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى ، فأجرب أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » (٣) ، معناه أن معجزة كل نبي انقضت بموته ، وهذا القرآن حجة باقية على الآباد ، لا تنقضى حجاجته ، ولا يَحْتَقِرُ مِنْ كُرَّةِ الرَّدِّ ، ولا يشيع منه العلماء ، هو الفصل ليس بالمزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابغى الهدى في غيره أضلّاه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا متجاب بن الحارث ، ألبانا بشر بن عمار ، حدثنا عمر بن حسان ، عن عطية المولى قال : قلت له : ( ولو أن قرأتنا سبرت به الجبال ) ... الآية قالوا الحمد صلى الله عليه وسلم : لو سبرت لنا جبال مكة حتى تنصع فنحترق فيها ، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح ، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيى الموتى لقومه ؟ فأنزل الله هذه الآية . قال قلت : هل تروون هذا الحديث عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذا روى ابن عباس ، والشعبي ، وقادة ، والثوري ، وغير واحد في سبب نزول هذه الآية ، فالحمد ، وقال قادة : لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم ، فعل ، بقرآنكم (٤) .

وقوله : ( بل لله الأمر جيمعاً ) ، قال ابن عباس : لا يصنع من ذلك إلا ما يشاء . ولم يكن ليفعل . رواه ابن إسحاق بسنده عنه ، وقاله ابن جرير أيضاً .

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/١٤٢ .

(٢) البخارى : كتاب الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : وآتينا داود زبوراً : ٤/١٩٢ : ١٩٥ .

(٣) البخارى : كتاب الاحتصاص ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يشتت بجماع الكلم » : ٩/١١٣ . ومسلم : كتاب الإيمان ، باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ، ونسخ المثل يملته : ١/٩٢ ، ٩٣ .

(٤) تفسير الطبرى : الأثر ٤/٤٤٤ : ٤٤٩/١٦ .

وقال غير واحد من السلف في قوله : ( أفلم يناس الذين آمنوا ) ، أفلم يعلم الذين آمنوا ، وقرأ آتخرون ، أفلم يتبين الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً (١) .

وقال أبو العالية : قد يش الذين آمنوا أن يهدوا ، ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً .

وقوله : ( ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم ) ، أى : بسبب تكذيبهم لا تزال القوارع تصيبهم في الدنيا ، أو تصيب من حولهم لينظفوا ويحتجروا ، كما قال تعالى : ( ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون (١٢) ) ، وقال : ( أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون (١٣) ) ، قال قتادة ، عن الحسن : ( أو تحل قريبا من دارهم ) ، أى : القارعة (٤) . وهذا هو الظاهر من السياق .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا المسعودي ، عن قتادة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس في قوله : ( ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة ) ، قال : سرية ، ( أو تحل قريبا من دارهم ) ، قال : محمد صلى الله عليه وسلم ، ( حتى يأتى وعد الله ) ، قال : فتح مكة (٥) .

وهكذا قال عكرمة ، وسعيد بن جبيرة ، ومجاهد ، في رواية .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : ( تصيبهم بما صنعوا قارعة ) ، قال : حطاب من السماء يتزل عليهم - ( أو تحل قريبا من دارهم ) ، يعنى نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وقتاله إياهم (٦) .

وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وقال عكرمة في رواية عنه ، عن ابن عباس : ( قارعة ) ، أى : نكبة .

وكلمهم قال : ( حتى يأتى وعد الله ) ، يعنى فتح مكة . وقال الحسن البصري : يوم القيامة .

وقوله : ( إن الله لا يخلف الميعاد ) أى : لا ينقض وعده لرسله بالضرورة لم ولا يتابعهم في الدنيا والآخرة ، ( فلا تخسب الله غلب وعده ) ، أى : لا تخشوا أن الله يحوز ذو انتقام (٧) .

وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرَسُولِكَ فَآمَلَتْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٨)

يقول تعالى مسلما لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذب من قومه : ( ولقد استهزى برسول من قبلك ) ، أى : فلما فهم أسوة ، ( فأملت للذين كفروا ) ، أى : أنظرتهم وأجنتهم ، ( ثم أخذتهم ) أخذة رابية ، فكيف بلغك ما صنعت بهم وحاقبتهم ؟ ، كما قال تعالى : ( وكأين من قرية أهلكنا لما وهى ظلاله ثم أخذناها وإلى المصير (٨) ) ، وفي الصحيحين : ( إن الله ليس الظالم حتى إذا أخذته لم يقلته ) ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( وكلكت أهلك ربك إذا أخذ القرى وهى ظلاله إن أخذهم أليم شديد (٩) ) .

(١) نسبا ابن جرير إلى حل وابن عباس ، ينظر : ٤٥٢/١٦ .

(٢) سورة الأحقاف ، آية : ٢٧ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٤٤ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٢٧ : ٤٥٩/١٦ : ٤٦٠ .

(٥) رواه ابن جرير عن محمد بن الحسن عن أبي داود الطيالسي بإسناده ، ينظر الأثر ٢٠٤١٨ : ٤٥٦/١٦ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٢٣ : ٤٥٧/١٦ .

(٧) سورة إبراهيم ، آية : ٤٧ .

(٨) سورة الحج ، آية : ٤٨ .

(٩) البخاري ، تفسير سورة هود : ٩٣/٦ ، ٩٤ . وسلم ، كتاب البر ، باب : تحريم الظلم : ١٩٢٨ .

أَفَنُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ  
مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى : ( أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت ) ، أى : حفيظ علم رقيب على كل نفس منقوسة ، يعلم ما يعمل المالمون من خير وشر ، ولا يخفى عليه خافية ، ( وما تكون فى شأن ) ، وما تتلومنه من قرآن ، ولا تعملون من حل إلا لانتكا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه (١) ، وقال تعالى : ( وما تسقط من ورقة إلا يعلمها (٢) ) ، وقال : ( وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين (٣) ) ، وقال : ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (٤) ) ، وقال : ( يعلم السر وأخفى (٥) ) ، وقال : ( وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير (٦) ) ... أفن هو هكذا كالأصنام التى يعبدونها ، لا تسمع ولا تبصر ولا تمقل ، ولا تمك نفماً لأنفسها ولا لمابدنها ، ولا تكشف ضرر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هنا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه ، وهو قوله : ( وجعلوا لله شركاء ) ، أى : عبدوها معه ، من أصنام وأنداد وأوثان .

( قل سموهم ) ، أى : أعلمونا بهم ، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا ، فإنهم لاحقيقة لهم ، ولعلنا قال : ( أم تبشرونه بما لا يعلم فى الأرض ) ، أى : لا وجود له ، لأنه لو كان له وجود فى الأرض لعلمها ، لأنه لا تخفى عليه خافية .

( أم يظاها من القول ) - قال مجاهد : يظن من القول ،

وقال الضحاك وقتادة : يباطل من القول ؛

أى : إنما حدثهم هذه الأصنام يظن منكم أنها تنفع وتضر ، وسميتوها آلهة ، ( إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٧) ) .

( بل زين للذين كفروا مكرهم ) ، قال مجاهد : قولهم (٨) . أى : ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه أثناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى : ( وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من البين والانس ، إنهم كانوا خاطرين (٩) ) .

(١) سورة يونس : آية : ٦١ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ٥٩ .

(٣) سورة هود : آية : ٦ .

(٤) سورة الرعد : آية : ١٠ .

(٥) سورة طه : آية : ٧ .

(٦) سورة الحديد : آية : ٤ .

(٧) سورة التينج : آية : ٧٣ .

(٨) تفسير الطبرى ، الأثر ٢٠٤٥٢ : ٤٦٧/١٦ .

(٩) سورة فصلت : آية : ٢٥ .

( وَصَدَّوْا عَنْ السَّبِيلِ ) ، من قرأها يفتح (١) الصاد ، معناه أنهم لا زين لهم ما فيه وأنه حق دعواؤه إليه وصَدَّوْا الناس عن اتباع طريق الرسل ، ومن قرأها : ( وَصَدَّوْا ) ، أى : بما زين لهم من صحة ما هم عليه صَدَّوْا به من سبيل الله ، وفلما قال : ( ومن يضل الله فانه من هاد ) ، كما قال : ( ومن يرد الله فانه لله من الله شيئا (٢) ) وقال : ( إن تعرض على هدام فلان الله لا يهدي من يضل ، وما لهم من ناصرين (٣) ) .

لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٦٦﴾ \* مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٦٧﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار : فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك : ( لهم عذاب في الحياة الدنيا ) ، أى : يأبى المؤمنين قولا وأمرًا ، ( ولعذاب الآخرة ) ، أى : المذبح مع هذا الخزي في الدنيا ( أشق ) ، أى : من هذا بكثير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاصين : « إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة (١) » . وهو كما قال - صلوات الله وسلامه عليه - فلن عذاب الدنيا له انقضاء ، وذلك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سجون ضحا وتناق لا يتصور كثافته وشدة ، كما قال تعالى : ( فيومئذ لا يطلب عذابه أحد ، ولا يوقى وثقه أحد (٢) ) ، وقال تعالى : ( واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ) إذا رأهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا . وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا . لا تنصروا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا . قل أولئك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا (٣) ) .

وفلما قرن هذا بهذا ، فقال : ( مثل الجنة التي وعد المتقون ) ، أى : صفتها ونجها ، ( تجري من تحتها الأنهار ) ، أى : سارحة في أرجائها وجوانبها ، وحيث شاء أهلها ، ينجرونها فيها ، أى : يصرفونها كيف شاموا ولين شاموا كما قال تعالى : ( مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من حسل مصفى ، ولم فيها من كل الثمرات ، ومنغرة من زهر ، كمن هو خالد في الثمر وسقوا ماء حみや ، قطع أمصاص (٤) ) .

وقوله : ( أكلها دائم وظلها ) ، أى : فيها للظام والقواكه والمشارب ، لا انقطاع ولا فناء .

(١) لسانا الطبري إلى حاشية قراءة الحجاز والصورة ، وأما قراءة القلم فليسا إلى حاشية الكونين : ١٦ / ٤٦٧ .

(٢) سورة المساقمة ، آية : ٤١ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٣٧ .

(٤) سلم ، كتاب الصلاة : ٢٠٧ / ٤ .

(٥) سورة النجر ، آية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٦) سورة الفرقان ، الآية : ١١ - ١٥ .

(٧) سورة محمد ، آية : ١٥ .

وفي الصحيحين ، من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف ، وفيه قالوا : يا رسول الله ، رأيناك تتأولت شيئا في مقامك هذا ، ثم رأيناك تكلمت (١) فقال : « إني رأيت الجنة - أو : أريت الجنة - فتأولت منها عقودا ، ولو أهدته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا (٢) »

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا أبو عبيدة ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثنا عبيد الله ، حدثنا أبو عقيل ، عن جابر قال : بينما نحن في صلاة الظهر ، إذ تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا ، ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر . فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب : يا رسول الله ، صنعت اليوم في الصلاة شيئا مارأيناك كنت تصنعه . فقال : إني عرضته على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة ، فتأولت منها قطعاً من حطب لأتيكم به ، فقبل بي يمينه ، ولو أنيتم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا يتقصونه :

وروى مسلم من حديث أبي الزبير ، عن جابر ، شاهدنا فيمنه (٣) ،

وعن حبة بن عبد السلامي : أن أمرايا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة ، فقال : فيها حطب ؟ قال : لم . قال : فما عظم التقود ؟ قال : مسيرة شهر للغرب الأبقع ولا يفتر (٤) : ورواه أحمد .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنى ، حدثنا علي بن المديني ، حدثنا ربحان بن سعيد ، عن حيان بن منصور ، عن أبيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي أمية ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل إذا فرح لمرءة من الجنة عادت مكانها أخرى » .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل أهل الجنة ويشربون ، ولا يمتخطون ولا يتفوتون ولا يبرلون ، طعامهم جشء (٥) كريح المسك ، ويلبسون التيسيع والتقليد كما يلبسون النفس » . ورواه مسلم (٦) .

وروى الإمام أحمد والنسائي ، من حديث الأعمش ، عن تمام بن عتبة ، سمعت زيد بن أرقم قال : جاء رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم ، ترحم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال : « نعم ، والذي نفس محمد بيده ، [ إن الرجل منهم ] ليمطى قوة مائة زجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة . قال : فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أدنى ؟ قال : حاجة أحدهم رشح يفيض من جلودهم ، كريح المسك ، فيضمر عطنه (٧) » .

(١) أني : توقفت وأصبحت .

(٢) البخاري ، كتاب الأذان ، باب « رفع البصر إلى الإمام في الصلاة » : ١٩٠/١ ، ومسلم : كتاب الكسوف ، باب « ما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار » : ٣٤/٤ .

(٣) مسلم ، كتابه والباب المختصان : ٣٠/٤ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ١٨٤/٤ .

والقريب الأبقع : الذي يجمع لونه بين السواد والبياض ، وقيل : ما كان في صدره بياض . وفي المسند مكان « ولا يفتر » : ولا يشرب ، وهو خطأ .

(٥) الجشء - بضم الجيم - : نفس الممتدة من الاعتلاء .

(٦) مسلم ، كتاب الجنة ، باب « في صفات الجنة وأهلها وتيسيرهم فيها بكرة وعقبة » : ١٨٧/٨ .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٣٦٧/٤ ، ويظهر أيضا : ٣٧٧/٤ .

وقال الحسن بن مرة : حدثنا خلف بن خليفة ، عن حميد الأخرج ، عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنك لتنتظر إلى الطير في الجنة ، فيخرب بين يديك مشوا » . وجاء في بعض الأحاديث : أنه إذا فرغ منه عاد طائرا [ كما كان ] يأخذ الله تعالى . وقد قال تعالى : ( وثاقها كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة <sup>(١)</sup> ) ، وقال : ( ودانية عليهم ظلالا وكتفا فطولها طليا <sup>(٢)</sup> ) .

وكذلك ظلالا لا يزول ولا يقلص ، كما قال تعالى : ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات ستطعمهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، لم فيها أزواج مطهرة ، ويتدخلهم ظلا ظلالا <sup>(٣)</sup> ) . وقد تقدم في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب المجد العود للمسيح السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها <sup>(٤)</sup> » ، ثم قرأ : ( وظل عتود ) . وكثيرا ما يقرن الله تعالى بين صفة الجنة وصفة النار ، لرغب في الجنة وبغذ من النار ، ولهذا لا ذكر صفة الجنة بما ذكر ، قال بعده : ( تلك حبي الذين اتقوا وحبي الكافرين النار ) ، كما قال تعالى : ( لا يستوى أصحاب الجنة وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الثائرون <sup>(٥)</sup> ) .

وقال بلال بن سعد تخيل دمشق في بعض تخيله : هاد الله ، هل جاءكم غير غيركم أن شيئا من هادكم تغيبكم منكم ، أو أن شيئا من خطايكم فحرت لكم ؟ ( أفصحنم أنما خلفناكم حبا وأنكم اليانا لا رجوع ) ، والله لو جعل لكم القراب في الدنيا لاسقلم كلكم ما أفرس عليكم ، أو ترخيون في طاعة الله لتصيل <sup>(٦)</sup> ( هياكم ) ، ولا تنافسوا في جنة ( أكلها حاتم وظلها ، تلك حبي الذين اتقوا ، وحبي الكافرين النار ) ، رواه ابن أبي حاتم

والذين أنزلناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرِكُ بِهِ إِلَهًا أَدْعُوا إِلَىٰ آلِهِ أَتَعْبَدُونَهُمْ وَلَٰئِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَٰئِنْ أَتَيْتُمْ أَهْوََاءَكُمْ يُعَذِّبْكُمْ اللَّهُ مَاجِدًا مِّنَ الْعِلْمِ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاكِ <sup>(٧)</sup>

يقول تعالى : ( والذين آتيناكم الكتاب ، وهم قاتلون بقتضاه ، يفرحون بما أنزل إليك ) ، أي : من القرآن ، لا في كتبهم من الشواهد على صفة والبشارة به ، كما قال تعالى : ( الذين آتيناكم الكتاب بطونه حتى تلاوه أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون <sup>(٧)</sup> ) . وقال تعالى : ( قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله

(١) سورة الواقعة : آية ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) سورة الإنسان : آية ١٤ .

(٣) سورة القدر : آية ٥٧ .

(٤) مضي هذا الحديث عند الآية ٢٩ من هذه السورة ، وهرجاء هناك .

(٥) سورة الحجر : آية ٢٠ .

(٦) في المخطوطة : « أو ترخيون في طاعة الله لتصيل » ، دون ذكر « هياكم » ، وقد ألبنا ما في المطابع السابقة .

(٧) سورة البقرة : آية ١٢١ .

إذا نبأ عليهم يخرون للأذقان سجداً : ويقولون : سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً (١) ، أى : إن كان ما وعدنا الله به فى كتابنا من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لحقاً وصدقاً مفعولاً لا محالة ، وكائناتاً ، فسبحانه ما أصدق وعده ، فله الحمد وحده ، (ويخرون للأذقان ليكون وزيرهم خشوعاً) (٢) .

وقوله : (ومن الأحزاب من ينكى بعضه) ، أى : ومن الطوائف من يكذب ببعض ما أنزل إليك .

وقال عجامد : (ومن الأحزاب : اليهود والنصارى ، من ينكى بعض ما جاءك من الحق) (٣) . وكلما قال فتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

وهذا كما قال تعالى : (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ، لا يشفرون بأيات الله ثمتا قليلاً ، لوئلك لم أجزم عندهم ، إن الله سريع الحساب) (٤) .

(قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) ، أى : إنما بعثت بعبادة الله وحده لا شريك له ، كما أرسل الأنبياء من قبل ، (إليه أضر) ، أى : إلى سيده أذهب الناس ، (وإليه مآب) ، أى : مرجى ومصبى .

وقوله : (وكلك أنزلناه حكماً عربياً) ، أى : وكما أرسلنا قبلك المرسلين ، وأنزلنا عليهم الكتب من السماء ، كذلك أنزلنا عليك القرآن حكماً عربياً ، شرفك به وفضلناك على من سواك بهذا الكتاب المبين الواضح الجلى الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٥) .

وقوله : (وإن أبيت أوعامم) ، أى : أراهم ، (بعد ما جاءك من العلم) ، أى : من الله تعالى ، (مالك من الله من ولى ولا ولى) . وهذا وعيد لأهل العلم أن يتبعوا سبيل أهل الضلالة بعد ما صاروا إليه من سلوك السنة النبوية والحجة المحمدية ، على من جاء بها أفضل الصلاة والسلام :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِيُصْطَبَىٰ أَجَلٌ يُكَتَبُ ﴿١﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٢﴾

يقول تعالى : وكما أرسلناك يا محمد رسولا يشرياً لكل من بعثنا المرسلين قبلك بشراً يأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق ويأتون الزوجات ، ويولد لهم ، وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ، وقد قال تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم : (قل إنما أنا بشر مظهرم يوحى إلىّ) (٦) .

(١) سورة الإسراء : آية ١٠٧ = ١٠٨ .

(٢) سورة الإسراء : آية ١٠٩ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٥٧ = ٤٧٤/١٦ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٩٩ .

(٥) سورة فصلت : آية ١١ .

(٦) سورة الكهف : آية ١١٥ .



وفي الصحيحين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أما أنا فأصوم وأطعم ، وأؤتم وأنام ، وأكل الدسم وأتزوج النساء ، فمن رغبه عن شئ فليس مني » (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أنبأنا الحجاج بن أرطاة ، عن مكحول قال : قال أبو أيوب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين : التطهر ، والكفاح ، والسواك ، والحناء » (٢) .

وقد رواه أبو عيسى الترمذي ، عن سفيان بن وكيع عن حفص بن غياث ، عن الحجاج ، عن مكحول ، عن أبي الشمال ، عن أبي أيوب ... فذكره ، ثم قال : وهذا أصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال (٣) .

وقوله : « وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله » ، أي : لم يكن يأتي قومَه بخارق إلا إذا أذن له فيه ، ليس ذلك إليه ، بل إلى الله عز وجل ، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد .

( لكل أجل كتاب ) ، أي : لكل مسنة مفروية كتاب مكتوب بها ، وكل شيء عنده بمقدار ، ( ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ، إن ذلك في كتاب ، إن ذلك حل الله يسير ) (٤) .

وكان الضحالة بن مزاحم يقول في قوله : ( لكل أجل كتاب ) ، أي : لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مفروية عند الله ومقدار معين ، فلذلك يحو ما يشاء منها ويثبت ، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله ، صدرات الله وسلامه عليه (٥) .

وقوله : ( يحو الله ما يشاء ويثبت ) ، اختلف المفسرون في ذلك ، فقال الثوري ، ووكيع ، وهفيم ، (٦) من ابن أبي ليلى ، عن المنهك بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : يلج أمر السنة ، فيحو ما يشاء ، إلا الشقاء والسعادة ، والحياة والموت . وفي رواية : ( يحو الله ما يشاء ويثبت ) ، قال : [ كل شيء ] ، إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما .

وقال مجاهد : ( يحو الله ما يشاء ويثبت ) ، إلا الحياة والموت ، والشقاء والسعادة ، فإنهما لا يتغيران : (٧) . وقال منصور : سألت مجاهداً فقلت : أرأيت دعاء أحداً يقول : اللهم إن كان اسمي في السعادة فأثبت فيه ، وإن كان في الأشقياء فأحبه عنهم واجعله في السعادة : فقال : حسن ، ثم لقيه بعد ذلك يقول أو أكثر ، فسأله عن ذلك ، فقال : ( إذا أنزلناه في ليلة مباركة إننا كنا منزلين : فيها يفرق كل أمر حكيم ) ، قال : يتفرق في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة ، ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ، فأما كتاب الشقاء والسعادة فهو ثابت لا يتغير (٨) .

(١) أخرجه في كتابه التكاثر ، بنظر البخاري ، باب « الزغب في التكاثر » ٢/٧ ، ومسلم ١٢٩/٤ . ولم نجده فيها ، وأكل الدسم .

(٢) مسند الإمام أحمد ٤٢١/٥٠ .

(٣) تحفة الأشراف ، أرباب التكاثر ، باب « ما جاء في فضل التزويج وأهله عليه » ، الحديث ١٠٨٦/٤١-١٩٦/١٩٩ .

(٤) سورة الحج ، آية ٢٠ .

(٥) بنظر تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٦٠/١٦ ، ٤٧٦/١٦ .

(٦) آثاره في تفسير الطبري ، ١٦/٤٧٨ ، ٤٧٩ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٦٧/١٦ ، ٤٧٩ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٢٤٠٧٢/١٦ ، ٤٨٥ .

وقال الأعمش : عن أبي والي شقيق بن سلمة : إنه كان يكثر أن يذبح بهذا الدعاء : « اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فاعده (١) واكتبنا معسدا ، وإن كنت كتبنا معسدا فأنبتنا ، فإنيك تحمي ما نشاء وتثبت وعنتك أم الكتاب » . رواه ابن جرير (٢) .

وقال ابن جرير أيضا : حدثنا عمرو بن حل ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن أبي حكيمة حصمة ، عن أبي عثمان النهدي : « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي : اللهم ، إن كنت كتبت علي شقوة أو ذلما فاهمه ، فإنيك تحمي ما نشاء وتثبت ، وعنتك أم الكتاب ، فاجعله مسادة ومضرة (٣) .

وقال حماد ، عن خالد الخليل ، عن أبي قلابة ، عن ابن مسعود : أنه كان يذبح بهذا الدعاء أيضا (٤) .

ورواه شريك ، عن هلال بن حميد ، عن عبد الله بن حكيم ، عن ابن مسعود ، بحظه (٥) .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا حجاج ، حدثنا خصاف (٦) ، عن أبي حمزة ، عن إبراهيم : أن كعبا قال لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، لو لا أية في كتاب الله لأتأملت بما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : وما هي ؟ قال : قال : الله تعالى : ( يحصر الله ما يشاء ويثبت ، وعنته أم الكتاب (٧) ) .

وسمى هذه الأموال : أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها ، ويثبت منها ما يشاء ، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، وهو الثوري ، عن عبد الله بن عيسى ، عن عبد الله بن أبي الجعد ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، لا يزيد في العمر إلا البر (٨) » .

ورواه النسائي وابن ماجه ، عن حديث سفيان الثوري ، به (٩) .

ونبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر ، وفي الحديث الآخر : « إن الدعاء والقضاء ليمتدجان (١٠) بين السماء والأرض » .

(١) في تفسير الطبري : « فاعنا » .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٧٧ : ١٦ / ٤٨١ .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٧٨ : ١٦ / ٤٨١ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٨٢ : ١٦ / ٤٨٣ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٨٤ : ١٦ / ٤٨٣ .

(٦) في تفسير الطبري : « حماد ، عن أبي حمزة » . وقد رجح فيه المحقق ذلك .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٨٥ : ١٦ / ٤٨٤ .

(٨) سنن الإمام أحمد : ٢٧٧ / ٢ .

(٩) سنن ابن ماجة ، القصة ، باب في القدر . في المتن : « المحدث ١٠٠ / ٣٥ » .

(١٠) أي ، يصيران .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : إن الله لو حاش عفوفا عسيرة خمسمائة عام ، من مرة يشاء ما دفننا من ياتوه - والدفنات : لرحلته - من أجل أن كان يومئذ لا يملكه (١) وسورة لقطة ، يحس ما يشاء ويبتك وعنده أم الكتاب (٢) .

وقال الليث بن سعد ، عن زيادة بن محمد ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إن الله] (٣) يفتح الذكر في ثلاث ما حاشه يتفكر من الليل ، في الساعة الأولى منها ينظر في الذكر الذي لا ينظر فيه أحد غيره ، فيحس ما يشاء ويبتك (٤) ، وذكر قام الحديث : واه ابن جرير .

وقال الكلبي : ( يحس الله ما يشاء ويبتك ) ، قال : يحس من الرزق ويؤيد فيه ، ويحس مع الأجل ويؤيد فيه ، قيل له : من حدثك بهذا ؟ فقال : أبو صالح ، عن جابر بن عبد الله بن رباح ، عن لبيب بن عبد الله عليه وسلم ، لم سأل بعد ذلك عن هذه الآية فقال : يكتبه القوم كله ، حتى إذا كان يوم الخميس ، طرحه كل من فيه ليس فيه ثواب ولا عقاب ، مثل قوله : أكله وشربك ، دخلك ومخرجك ، وقهره من الكلام ، وهو صادق ، ويبتك ما كاف فيه الثواب ، وعليه العاقبة (٥) .

وقال حمزة ، عن ابن عباس : الكتاب كتابان ، كتاب يحس الله ما يشاء ويبتك وعنده أم الكتاب (٦) . وقال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ( يحس الله ما يشاء ويبتك وعنده أم الكتاب ) ، يقول : هو الزجل يعني الزمان بطاعة الله ، ثم يعود لمصيبة الله فيموت حل فبلائة ، فهو الذي يحس - والذي يبتك : الرجل يعمل بمصيبة الله ، وقد كان سبق له خير حتى يموت وهو في طاعة الله ، فهو الله يبتك (٧) .

وروى عن سعيد بن جبيرة : أنها بمعنى : ( ينظر في يشاء ويبتك من يشاء والله حل كل شيء ) (٨) . وقال ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( يحس الله ما يشاء ويبتك ) ، يقول : يملك ما يشاء فيملكه ، ويبتك ما يشاء فلا يملكه - ( وعنده أم الكتاب ) ، يقول : يجملة ذلك عنده في أم الكتاب ، للناسخ والمنسوخ ، وما يملكه ، وما يبتك كل ذلك في كتاب (٩) .

وقال قتادة في قوله : ( يحس الله ما يشاء ويبتك ) ، وكقوله : ( وما يصح من آية أولئك أم ) (١٠) بأنه يشير منها أو مثله (١١) .

(١) ما بين القوسين المرفوعين عن تفسير الطبري ، ومكانه في المخطوطة : ثلاث .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٠٠٩ ، ١٦٦ ، ٤٨٩ .

(٣) ما بين القوسين عن تفسير الطبري .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٠٠٢ ، ١٦٦ ، ٤٨٨ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٨٧ ، ١٦٦ ، ٤٨٥ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٧٧ ، ١٦٦ ، ٤٨٦ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٨٧ ، ١٦٦ ، ٤٨٢ .

(٨) سورة البقرة : آية ٧٨٤ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٨٩ ، ١٦٦ ، ٤٨٥ .

(١٠) كلنا في مخطوطة الأخر ، وهي قراءة ثابتة . ينظر تفسير الآية ١٥٦ من سورة البقرة : ١٦٥ ، ١٦٦ .

(١١) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٩٢ ، ١٦٦ ، ٤٨٦ .

وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ( يحو الله ما يشاء ويثبت ) ، قال : قالت كفار قريش [ حين ] أنزلت : ( وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ) ، ما نراك يا محمد تمك من شيء ، ولقد فرغ من الأمر . فانزلت هذه الآية تحويها ووحيداً لهم : إلا إن شئنا أحدثنا له من أمرنا ما شئنا ، وعحدث في كل رمضان . فتمحو وثبت ما نشاء من أنزاق الناس ومصائبهم ، وما نعطيم ، وما نقسم لهم (١) .

وقال الحسن البصري : ( يحو الله ما يشاء ) ، قال : من جاء أجله ، فذهب ، وثبت الذي هو حي يجرى إلى أجله (٢) . وقد اختار هذا القول أبو جعفر بن جرير رحمه الله (٣) .

وقوله : ( وعنده أم الكتاب ) ، قال : الحلال والحرام (٤) . وقال قتادة : أي جملة الكتاب وأصله :

وقال الضحاك : ( وعنده أم الكتاب ) ، قال : كتاب هتد رب العالمين (٥) .

وقال قتادة بن داود ، حدثني معتمر ، عن أبيه ، عن سيار ، عن ابن عباس : أنه سأل كعباً عن : أم الكتاب ، فقال : حليم الله ، ما هو خالق ، وما خلقه حاملون ، ثم قال لعله : « كن كتاباً » . فكان كتاباً (٦) .

وقال ابن جرير ، عن ابن عباس : ( وعنده أم الكتاب ) ، قال : الذكر (٧) .

وَإِنْ مَّا تُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَّقِنُكَ فَأَمَّا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿١٠﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُمْ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١﴾

يقول تعالى لرسوله : ( وإما تريك بعض الذي نعدهم ) ، أي : نعد أعداءك من الخزي والذكال في الدنيا ، ( أو تتقنك ) قبل ذلك ، ( فإما عليك البلاغ ) ، أي : إنما أرسلناك لتبلغهم رسالة الله وقد بلغت ما أمرت به ، ( وعلينا الحساب ) ، أي : حسابهم وجزاؤهم ، كما قال تعالى : ( فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر . إلا من تولى وكفر . فيعلمه الله المذاب الأكبر . إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم ) (٨) .

وقوله : ( أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ) ، قال ابن عباس : أو لم يروا أنا نفتح لحمد الأرض بعد الأرض (٩) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٩٨ / ١٦ : ٤٨٧ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٤٩٤ / ١٦ : ٤٨٦ .

(٣) تفسير الطبري ، ١٦ / ٤٨٨ .

(٤) هذا القول منسوب إلى الحسن البصري ، ينظر تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥٠٦ / ١٦ : ٤٩٠ . وأثر قتادة بعده .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٣٠٥٠٩ / ١٦ : ٤٩٠ .

(٦) تفسير الطبري ، الأثر ١٧ / ١٦ : ٤٩١ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥١٣ / ١٦ : ٤٩١ .

(٨) سورة النازعات ، الآيات : ٣١ - ٣٦ .

(٩) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥١٤ / ١٦ : ٣٦٣ .

وقال في رواية : أو لم يروا إلى القرية تحرب ، حتى يكون العمران في ناحية (١) .

وقال مجاهد وعكرمة : ( نقصها من أطرافها ) ، قال : خرابها .

وقال الحسن والفسحاك : هو ظهور المسلمين على المشركين .

وقال الموهبي عن ابن عباس : نقصان أهلها وبركتها .

وقال مجاهد : نقصان النفوس والثمرات وخراب الأرض ،

وقال الشعبي : لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حبسك (٢) ، ولكن تنقص الأنفس والثمرات (٣) : وكلنا قال عكرمة : لو كانت الأرض تنقص لم نجد مكانا تقعد فيه ، ولكن هو الموت .

وقال ابن عباس في رواية : خرابها بؤت قبتها ، وعلماؤها وأهل الخير منها : وكلنا قال مجاهد أيضاً : هو موت العلماء .

وفي هذا المعنى روى الحفاظ بن عساكر في ترجمة أحمد بن عبد العزيز أن القاسم المصري الواظ ، سكن أصبهان حدثنا أبو محمد طلحة بن أسد المرئي (٤) بدمشق ، أنشدنا أبو بكر الأجرى بمكة قال : أنشدنا أحمد بن غزالي لنفسه :

الأرض نحيا إذا ما عايش عاكسها • متى يموت علم منها يموت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الفيت حل بها • وإن أبي هناك أكتافها التفت

والقول الأول أولى ، وهو ظهور الإسلام على الشرك قرية بعد قرية .

وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ لِلَّهِ الْمَكْرَ جَمِيعًا يَعْلَمَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلَمُ الْكَافِرِينَ عَقِبَ الدَّارِ ﴿١٠﴾

يقول : ( وقد مكر الذين من قبلهم ) يرسلهم ، وأرادوا إخراجهم من بلادهم ، فمكر الله بهم ، وجعل العاقبة للستين ، كما قال تعالى : ( وإذ مكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين ) (٥) . وقال تعالى : ( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر . كيف كان عاقبة مكروهم أنا همناهم وقومهم أجمعين . فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ) (٦) الآية .

وقوله : ( يعلم ما تكسب كل نفس ) ، أي : إنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر ، وسيجزي كل حامل بعمله .

( وسيعلم الكافر ) فترى : الكفار لمن عاقب الدار (٧) ، أي : لمن تكون الدائرة والعاقبة ، هم أول أتباع الرسل ؟ كلا ، بل هي لأتباع الرسل في الدنيا والآخرة ، والله الحمد والمنة .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥١٩ / ١٦ : ٤٩٥ ، ٤٩٤ .

(٢) الحسن : البستان . حيث يقضى المرء حاجته .

(٣) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥٢٥ / ١٦ : ٤٩٦ .

(٤) كذلك في المخطوطة ، ولم نجد لضبط هذا الاسم .

(٥) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

(٦) سورة التيسير ، الآيات ٥٠ - ٥٢ .

(٧) ينظر تفسير الطبري ١٦ / ٤٩٩ : ٤٥٠ . والبحر المحيط لأبي حنيفة ١ : ٤١٦ .

وَقَوْلُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَصْنَعُونَ ۖ قُلْ مَنْ يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ۚ قُلْ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ بِالْعِبادِ ۚ

وترثه : ( ومن حنيفة علم الكتاب ) قيل : ( وثقت في حديث أبيه سلام ) قاله جماعة ( رحمه )  
وهذا الفرق غريب ، لأن هذه الآية ملكية ، وحديث أبيه سلام إنما أسلم في أول مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فلهذا : والأظهر في هذا ما قاله البوني ، رحمه الله ، قال : هم من اليهود والنصارى ( ٢ ) -  
وقوله قاعدة : منهم أبيه سلام ، ومسلمان ، ونجم الناري ( ٣ ) -

وَقَالَ عِمَامَةُ - فِي رِوَايَةٍ - عَنْهُ : حَرِّقْنَا نَسَالَهُ .  
وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ جَدِّهِ يَقُولُ أَنَّهُ يَحْكُمُ لِرَأْسِ جَدِّهِ سَالِيٍّ ، وَنَسَالَهُ ، وَكَانَ يَقُولُ مَا : وَنَسَالَهُ ، وَنَسَالَهُ ، وَنَسَالَهُ .  
هَكَذَا لَكِنَّا نَسَالُهُ ، وَنَسَالَهُ ، وَنَسَالَهُ : حَرِّقْنَا نَسَالَهُ .  
وَقَدْ قَرَأْتُ مَا عِمَامَةُ وَنَسَالَهُ وَنَسَالَهُ .

وقد روى ابن جرير عن حديث، هارون الأعمى، عن الأثرمى، عن سالم، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها، (ومن عنده حكم الكتاب) ثم قال لا أصل له من حديث الأثرمى عند الفقيه (\*) قلت: وقد رواه الحافظ أبو يعلى في مسنده، عن طريق هارون بن موسى هذا، عن سليمان بن أرقم - وهو ضعيف - عن الأثرمى، عن سالم، عن أبيه مرفوعاً كذلك، ولا يثبت، والله أعلم.

والصحيح في هذا ؟ أنه (وسنّ حنبله) ، اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يحدون صفة حمدا صلى الله عليه وسلم ومنه في كتبهم المتقدمة ، من يشاره الأبياء به ، كما قال تعالى : (ورحمته وسعت كل شيء) ، فأشبهها لللهي يتقون ويوقروا الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون : الذين يتصور الرسول البهي الألى الذي يحولونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل (٦) : : الآية ، وقال تعالى : (ألم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (٧) : : الآية : وأما ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل ، أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة ، وقد ورد في حديث الأحبار ، عن عبد الله بن سلام بأنه أسلم بمكة قبل الهجرة ، قال الحافظ أبو تميم الأصبهاني في كتاب : دلائل النبوة ، وهو كتاب جليل :

- (١) تفسير الطبري: الأثر ٧٠٠٢٨ / ١٦ : ٥٠٠٢
- (٢) تفسير الطبري: الأثر ٧٠٠٢٩ / ١٦ : ٥٠٠٢
- (٣) تفسير الطبري: الأثر ٧٠٠٣١ / ١٦ : ٥٠٠٣
- (٤) تفسير الطبري: الأثر ٧٠٠٥٥ / ١٦ : ٥٠٠٥
- (٥) تفسير الطبري: ١٦ / ٥٠٠٦
- (٦) سورة الأعراف: آية ١٥٦ : ١٥٧
- (٧) محبة للشعر: آية ١٤٤

حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني ، حدثنا عبدان بن أحمد ، حدثنا محمد بن فضال ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن محمد بن حمزة بن يوسف ، عن عبد الله بن سلام ، عن أبيه أنه عبد الله بن سلام قال لأخبار اليهود : إن أردت أن أجسد<sup>(١)</sup> مسجد أينما إبراهيم وإسماعيل ههنا<sup>(٢)</sup> : فانتقلني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فوالله لقد انصرفوا من الحج ، فوجد رسول الله ، بنى ، والثامن حوله ، فقام مع الثمن ، فلما نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنت عبد الله بن سلام ؟ قال قلت : نعم . قال : إذن : فموت معه ، قال : أنشدك بالله يا عبد الله بن سلام ، لما نبهني في التوراة رسول الله ؟ فقلت له : أنمت وبنا : قال : فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ( قل هو الله أحد . الله الصمد ) : إلى آخرها ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . ثم انصرف ابن سلام إلى المدينة فكم إسلامه ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأنا فوق نخلة لي أجدها<sup>(٣)</sup> ، فألقيت قميصي ، فقالت أمي [الله] أنت ، لو كان موسى بن عمران ما كان<sup>(٤)</sup> لك أن تلقى نفسك من رأس النخلة . فقلت : والله لأنى أسرى بعلوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى بن عمران إلا بهت<sup>(٥)</sup> .

وهذا حديث غريب جداً .

[آخر تفسير سورة الرعد ، والله الحمد]

(١) في المخطوطة : وإن أجدت . . . ولكتبت من دلائل النبوة .

(٢) في المخطوطة : مكان ههنا . . . وههنا . . . ولكتبت من المرجع السابق .

(٣) أمي : أفضح غيرها .

(٤) في المخطوطة : وما كان يوك أن تلقى . . . وفي اللآل : وما كان تم لك . . . ولكتبت من المخطوطة السابقة .

(٥) دلائل النبوة لأبي نعيم ، طبعه آباءه ، ١ : ١٢٥ .

# تفسير سورة ابراهيم عليه السلام وهي مكية

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَنزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ اِنَّ صِرَاطَ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ①  
اِلَهُ اَدْنٰى لَّهُمْ فَاِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ ② اَلَّذِيْنَ يَسْتَجِیْبُوْهُ  
اَلْحَيٰةُ الدُّنْيَا عَلٰى الْاٰخِرَةِ وَهُمْ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عَوَجًا ۚ اُولٰٓئِكَ فِى ضَلٰلٍ بَعِيْدٍ ③

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور .

(كتاب أنزلناه إليك) ، أى : هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن العظيم ، الذى هو أشرف كتاب أنزله الله من السماء ، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض ، إلى جميع أهلها عربهم وعجمهم .

(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) ، أى : إنما بعثتك يا محمد بهذا الكتاب ، لتخرج الناس عما هم فيه من الضلال والغي إلى الهدى والرشد ، كما قال : ( الله ولى الذين آمنوا ) يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات (١) ... الآية ، وقال تعالى : ( هو الذى يزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ) (٢) .

وقوله : ( بإذن ربهم ) ، أى : هو المأذون من قبل الله المبدأ على يدى رسوله المبعوث عن أمره يهديهم ( إلى الصراط العزيز ) ، أى : العزيز الذى لا يمانع ولا يتعالب ، بل هو القاهر لكل ما سواه ( الحميد ) ، أى : المحمود في جميع أفعاله وأفعاله ، وشرعه وأمره ونسيه ، الصادق في خبره .

وقوله : ( الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ) ، قرأه بعضهم مستأنفاً مرفوعاً ، وقرأه آخرون على الإتياع صفة للجلالة ، كما قال تعالى : ( قل : يا أيها الناس ، إني رسول الله إليكم جميعاً ، الذى له ملك السموات والأرض ) (٣) ... الآية .

وقوله : ( وويل للكافرين من عذاب شديد ) ، أى : وويل لهم يوم القيامة إذ خالفوك يا محمد وكذبوك .

ثم وصفهم بأنهم يستجيبون الحياة الدنيا على الآخرة ، أى : يقيمونها ويؤثرونها عليها ، ويميلون للدنيا وتسلوا الآخرة ، وتركوها وراء ظهورهم ، ( ويصدون عن سبيل الله ) ، وهى اتباع الرسل ، ( ويبغونها عوجاً ) ، أى : ويحبون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة عائرة (٤) ، وهى مستقيمة في نفسها ، لا يضرها من خالفها ولا من خطلها ، فهم في ابتغائهم ذلك في جهل وضلال بعيد من الحق ، لا يرجى لهم — والحالة هذه — صلاح .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٧ .

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٨ .

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(٤) مائلة : جائرة . وفي كتاب الإتياع والفرجة لآسفة بن فارس ٩٤ : ماله حاله وماله ٩٥ : أله : جاره .



وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

هذا من لفظة تعالى خلقه : أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغناهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم ، كما قال الإمام أحمد :

حدثنا وكيع ، عن عمر بن ذر قال : قال مجاهد : عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يبعث الله من وجلي نبيا إلا بأهله قومه » (١) .

وقوله : ( فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ) ، أي : بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يقبل تعالى من يشاء من وجه الهدى ، ويهدي من يشاء إلى الحق ، ( وهو العزيز ) ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ( الحكيم ) في أماله ، فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل للهدى .

وقد كانت هذه سنة الله في خلقه : أنه ما بعث نبيا في أمة إلا أن يكون بلغناهم ، فاختص كل نبي بإبلاغ رسالته إلى أمة دون غيرها ، واختص محمد بن عبد الله رسول الله بعموم الرسالة إلى سائر الناس ، كما ثبت في الصحيحين من جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبل : نُصِرْتُ بالرَّصْبِ سيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأُحِلَّتْ لي اللَّحْمُ ولم يحل لأحد قبلي ، وأُحِلَّتْ لي الشَّاةُ ، وكان النبي يبعث إلى قومه ، ويبعث إلى الناس حلة » (٢) .

وله شواهد من وجوه كثيرة ، وقال تعالى : قل : يا أيها الناس ، إنني رسول الله إليكم جميعا (٣) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَسْمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٤﴾

يقول تعالى : وكذا أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب ، لتخرج الناس كلهم ، تخرجهم إلى الخروج من الظلمات إلى النور ، كذلك أرسلنا موسى في بني إسرائيل بآياتنا ،

قال مجاهد : وهي النسخ الآيات (٤)

( أن أخرج قومك من الظلمات ) ، أي : أمرناه قائلين له : ( أخرج قومك من الظلمات إلى النور ) ، أي : ادهمهم إلى الخير ، ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان .

( وذكرهم بأسماء الله ) ، أي : بأبائهم ونعمته عليهم ، في إخراجهم إليهم من أسر قرون وقهر وظلم وخشمه ، وإخراجهم إليهم من صدم ، ولفقه لهم البحر ، وتظليله إليهم بالعمام ، وإنزاله عليهم للبر والسرور ، إلى غير ذلك من النعم . قال ذلك مجاهد (٥) ، وقاعدة (٦) ، وغير واحد .

(١) مسته الإمام أحمد ٥ / ١٥٨ .

(٢) سبق تخریج هذا الحديث مع الآية ٤٣ من سورة النساء ٢ / ٢٨١ ، وانظره أيضا في تفسير الآية الأولى مع سورة الأنفال ٣ / ٥٤٩ .

(٣) سورة الأعراف ، آية ١٥٨ .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥٦٢ ١٦ ١٨ ، ويده : والطوفان وما منه .

(٥) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥٧٤ ١٦ ٢١ .

وقد ورد فيه الحديث للفرع الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل في مسند [أبيه حيث] (١) قال :  
حدثني يحيى بن عبد الله مولى بني هاشم ، حدثنا محمد بن أبان الجعفي ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبيل عن ابن  
عباس ، عن أبي بن كعب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى : ( وذكّرهم بأيام الله ) ، قال  
بسم الله تبارك وتعالى (٢) .

ورواه ابن جرير (٣) ، وابن أبي حاتم ، عن حديث محمد بن أبان ، به (٤) : ورواه عبد الله ابنه أيضا موقوفا ، وهو أشبه .  
وقوله : ( إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) ، أي : إن فيها صنما بأوليائنا بني إسرائيل حين أفلحهم من يد  
فرعون ، وأبغيناهم مما كانوا فيه من العذاب للملين ، لنبذة لكل صبار ، أي : في الفراء ، شكور ، أي : في السراء ،  
كما في تلك القصة : ثم لمجد ، عبد إذا ابتلى صبر ، وإذا أصلي شكور (٥) .

وكذا جده في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أمر المؤمنين كله حجب ، لا يقضي الله له  
فضاه إلا كان خيرا له ، إن أصابه ضرر صبر فكان خيرا له ، وإن أصابه سرور شكر فكان خيرا له » (٦) :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ كُنْتُمْ أَتَيْتُمُوهُ ذِكُّرُكُمْ بِبَعْثِ آلِهَةٍ بِكُمْ مِنْ قَبْلُ فَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ذِكُّرُكُمْ بِبَعْثِ آلِهَةٍ بِكُمْ مِنْ قَبْلُ  
أَتَيْتُمُوهُ ذِكُّرُكُمْ بِبَعْثِ آلِهَةٍ بِكُمْ مِنْ قَبْلُ ① وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ  
وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ② وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُورًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ ③

يقول تعالى ضرباً عن موسى ، حين ذكر قومه بأيام الله حلتهم ونعمته عليهم ، إذ أنجاهم من آل فرعون ، وما كانوا  
يسومونهم به من العذاب والإذلال ، حين كانوا يلبسون من وجد من آبائهم ، ويتركون إناهم فأنقذهم الله من إسرائيل من ذلك ،  
وهذه نعمة عظيمة ، ولهذا قال : ( وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ) ، أي : نعمة عظيمة منه عليكم في ذلك ، أنتم عاجزون  
عن القيام بشكرها .

وقيل : وفيما كان يصنع بهم قوم فرعون من تلك الأفاعيل ( بلاء ) ، أي : اختبار عظيم . ويحتمل أن يكون المراد  
هنا وهذا . والله أعلم كما قال تعالى : ( وبلوهم بالسنن والسبائك لمهم يرجون ) (٧) .

وقوله : ( وإذ تأذن ربكم ) ، أي : أذنكم وأعلمكم بوجه لكم : ويحتمل أن يكون للهي : وإذ أقسم ربكم والله  
بذنه وجلاله وكبريائه كما قال : ( وإذ تأذن ربك ليعينهم إلى يوم القيامة ) (٨) ،

(١) في المخطوطة : « في مسند حديث قال » . وقد أئتمنا ما في الطبعات السابقة .

(٢) صفة الإمام أحمد : ١٢٢ / ٥ .

(٣) ما بين القوسين للمؤلفين سقط من مخطوطة الأزهر ، والمثبت من الطبعات السابقة ، ونص مسند الإمام أحمد .

(٤) تفسير الطبري : الأثر ٢٠٥٧٩ : ١٦ / ٥٢٢ .

(٥) تفسير الطبري : الأثر ٢٠٥٨١ : ١٦ / ٥٢٣ .

(٦) مسلم ، كتابه الإمارة ، باب « المؤمنين أمره كله خير » : ٢٢٧ / ٨ . مسند الإمام أحمد من صحيح : ٥٢٢٢ / ٤ : ٢٢٢ .

(٧) سورة الأعراف : آية : ١٦٨ .

(٨) سورة الأعراف : آية : ١٦٧ .

وقوله ١٠: (لئن شكرتم لازيدنكم) : أي : لئن شكرتم تسمى (١) عليكم لأزيدنكم منها : (ولئن كفرتم) : أي : كفرتم التيم وسرغتموها وجمعتوها : (إن علينا للعديد) : وذلك بسلبيها عنهم ، وحقابه إياهم على كفرها .  
وقد جاء في الحديث : «إن البذر ليحرم الرزق بالذهب يصبه» (٢) .  
وفي المسند : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سائل فأعطاه ثمرة ، ففتسحطها ولم يأكلها ، ثم مر به آخر فأعطاه إياها ، فقبلها وقال : ثمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأمر له بأربعين درهما ، أو كما قاله :  
قال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا عمارة الصبيلاني ، عن ثابت ، عن أنس قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم سائل فأمر له بثمره فلم يأكلها - أو : وحشش (٣) بها - قال : وأتاه آخر فأمر له بثمره ، فقال : سبحان الله ! ثمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال للجارية : اذهبي إلى أم سلمة ، فأعطيه الأربعين درهما التي عندها (٤) .  
نقد به الإمام أحمد .

وعامة بن زاذان (٥) وقته ابن حبان ، وأحمد ، ويعقوب بن سفيان (٦) : وقال ابن مبيح : صالح : وقاله أبو زرعة ، لا بأس به : وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يخرج به ، ليس بالمتين . وقال البخاري : ربما يشطرب في حديثه .  
وهن أحمد أيضا أنه قال : روى عنه أحاديث منكورة . وقال أبو داود : ليس بذلك . وضبطه البراقطي ، وقال ابن عدي : لا بأس به من يكتب حديثه (٧) .

وقوله تعالى : (وقال موسى إن تكفروا ألثم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد) : أي : هو غني عن شكر عباده ، وهو الحميد المعبود ، وإن كفره من كفره ، كما قال : (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ، وإن لشكروا يرضه لكم) (٨) . وقال تعالى : (فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد) (٩) .

وفي صحيح مسلم ، عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه من وجب أنه قال : «يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، مازاد ذلك في ملكي شيئا : يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك في ملكي شيئا : يا عبادي ، لو أن

- 
- (١) في المخطوطة : «لئن شكرتم التيم الله لأزيدنكم» . وأثبتنا ما في الطبقات السابقة .
  - (٢) سنن ابن ماجه ، من ثواب ، المقدمة ، باب : في القدر ، الحديث ٩٠ / ١ . وكتاب الفتن ، باب : الطغيات . الحديث ٤٠٢٢ / ٢ / ١٣٢٤ .
  - (٣) وسفي بها - بتضمين العين - رماها .
  - (٤) مسند الإمام أحمد : ٣ / ١٥٤ / ١٥٥ .
  - (٥) يعني حمارة الصبيلاني الذي تقدم في مسند الإمام أحمد . وهو حمارة بن زاذان البصري الصبيلاني ، أبو سلمة .
  - (٦) هو يعقوب بن سليمان النسوي الحافظ ، أسد أركان الحديث ، وصاحب المشيخة والتاريخ ، سمع أبا حاتم وعبيد الله ابن موسى وطبقتهما فأكثر . وتوفي في منتصف سنة ٢٧٧ . ينظر ترجمته في التبر القلبي : ٢ / ٥٨ . وكان في المخطوطة : «يعقوب ابن ميان» وهو خطأ .
  - (٧) ينظر ميزان الاعتدال للنهي : ٣ / ١٧٦ / ١٧٧ .
  - (٨) سورة الزمر ، آية : ٢٠ .
  - (٩) سورة لقمان ، آية : ١٦ .

لرؤسكم وأمركم وإسكم وبنكم قماراً في صعيد واحد ، فسألوه ، فأعطيت كل إنسان مسأله ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ، ولا كما ينقص المسخيط إذا أدخل في البحر (١) : : فبسطته وتمالى الغنى الحسيد

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَكُودُ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا عِمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ

مُيَبِّدٌ ⑤

قال ابن جرير : « هذا من تمام قبل موسى لقومه (٢) » .

يعنى : ولذكراه لإيادهم بأوامر الله ، بانتقامه من الأمم للمكذبة للرسل .

وفى قال ابن جرير نظر ، والظاهر أنه خبر مستأنف من الله تعالى هذه الأمة ، فإنه قد قيل : إن قصة عاد وثمود ليست في القصة ، فلو كان هذا من كلام موسى لقومه وقصته عليهم ذلك فلا (٢) شك أن تكون هاتان القصةان في القصة ، والله أعلم . وبالجمله فانه تعالى قد قص علينا خبر قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم المكذبة للرسل ، ما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل أنهم رسلهم بالبينات ، أى : بالبرهان والدلائل الواضحات الباهرات القاطعات .

وقال ابن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله أنه قال في قوله ( لا يعلمهم إلا الله ) : كليب السايون (٤) . وقال هرويه بن الزبير : ما وجدنا أحداً يعرف ما بعد معد بن حضتان .

وقوله : ( فردوا أيديهم في أفواههم ) : اختلف المفسرون في معناه قليل : معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرهم بالسكوت عنهم ، لا دحروهم إلى الله عز وجل .

وقيل : بل وضرو أيديهم على أفواههم تكليفاً لهم .

وقيل : بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل .

وقال جامد ، ومحمد بن كعب ، وقفاة : معناه أنهم كلبهم وردوا عليهم قولهم بأفواههم (٥) .

قال ابن جرير : وتوجيهه أن ( في ) هاتان معني « الباء » ، قال : وقد سمع من العرب : وأخذك الله بالجنة ، يجرى في الجنة ، وقال الشاعر :

وَأَرْضَيْتُ فِيهَا حَتَّى لَقِيتُ رَوْحَهُ • وَلَكِنِّي عَنْ سَيْتَيْهِ لَسْتُ أَرْضِي

يريد : أَرْضَيْتُ بِهَا (٦) :

(١) مسلم ، كتاب الطير ، باب : تحريم القمار ، ١٧ / ٨ .

(٢) تفسير الطبري ، ١٦ / ٥٢٩ .

(٣) في المفسرة ، ٥٥٤ ، وقد وجدنا بالرواية لا يستقيم السياق .

(٤) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٥٩١ : ١٦ / ٥٣٠ .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٠٦ - ٢٠٦١٠ : ١٦ / ٥٣٢ : ٥٣٤ .

(٦) تفسير الطبري ، ١٦ / ٥٣٤ : ٥٣٥ . والبيت في اللسان ، مادة : و فيها .

الله : ويريد قول جماعه تفسر ذلك بنام الكلام : ( وقالوا يا اكفرنا بالاسلام ) : واما في قوله يا اكفرنا بالله

وقال سيدينا النوري ، وإسرائيل ، من أين إسحاق من أين الأحوص ، من عبد الله في قوله : ( فردوا إليهم )  
 أفراهم ) ، قاله : عضو عليها خيظا (١)

وقال شعبه ، عن أبي إسحاق ، عن شهرة بن مريم ، عن عبد الله أنه قال ذلك أيضا (٢) .

وقد اختاره (٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، ووجهه ابن جرير مختار له ، بقوله تعالى عن المنافق : ( وإنا  
 لعلماء فتنوا عليكم الأمل من الفيتن ) (٤) .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : لما سمعوا كتاب الله سبحانه ، ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم (٥) .

وقالوا : ( إنا كفروا بما أرسلتم به وإنا لنقن الله ما تحولوا إليه مريب ) ، يقولون : لا نصديقكم لبا چشم به : ( إنا  
حنونا فيه شكاً قوماً )

قَالَتْ وَسَلِّمْ عَلَى اللَّهِ شَكَ فَاِذَا السَّعِيرُ وَالْأَرْضُ بِهَوْرٍ فَيَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤْتِيكَ الْاُجْرَ  
مُسَى قَالُوا اِنْ اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَاَنْتُمْ تَقُولُوْنَ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَالَتْ اَنْتُمْ سُلْطٰنٌ مُبِينٌ ۝ قَالَتْ  
لَهُمْ سَلِّمْ عَلٰى اَنْتُمْ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ مَنْ يَّشَاءُ مِنْ بَشَرٍ مِّنْ جِبَادِهِ ۚ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَتْنًا فَيُتْلٰقَ بِسُلْطٰنٍ  
اِلَّا بِاِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ كُلُّ الْمُرُونَةِ ۝ وَمَا كَانَ لَآ تَرْكَلْ عَلَى اللَّهِ فِدَاكَ ۚ فَهَٰذَا سُلْطٰنٌ وَلَنَصِيْرَةٌ  
لَّكَ مَا وَاللَّهِ بِمُؤْمِنَةٍ وَعَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمْ كُلُّ الْمُرُونَةِ ۝

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا دَارَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَبَيْنَ رُسُلِهِمْ مِنَ الْمَجَادَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْمَهُمْ لَا وَاجِهُوهُمْ بِالْشَيْءِ فَبِأَجَائِهِمْ بِهِ مِنْ حِدَاةِ اللَّهِ وَحِدَهُ لَا يَسِرُّ لَهُ ، قَالَهُ الرُّسُلُ : ( أَيْ اللَّهُ هَلْكَ ) ٤

وهذا يحتمل شيئين ، أحدهما : أنى وجوده شك ، فإن القطر شاهدة بوجوده ، ومجبرة على الإقرار به ، فإن الاعتراض به ضرورى فى القَطْرِ السليمة ، ولكن قد يمرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر فى الدليل الموصول إلى وجوده ، ولما قاله ثم الرسل ترشدكم إلى طريق معرفته بأنه ( قاطر السموات والأرض ) ، الذى خلقها وابتدعها على غير مثال سبق ، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها ، فلا بد لما من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو ، خالق كل شيء - وإلاحه وليكنه

• أثر صفيان في تفسير الطبري برقم ٢٠٠٩٤ • مؤسس الأهل برقم ٢٠٠٩٧ •

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ٢٠٠٩٩ - ٢٠٩٠٢ : ٥٣٢/١٦ .

(٣) تفسير الميرى : الأثر ٢٠٦٠ : ٢٠٢٢

(٥) تفسير الطبري : ٥٢٥ : ٥٢٦ .

(١٠) تسوية التوزيعات الأثرية : ١٩٤٦/١٩٤٧

والنفس التي في قلوبكم (أي الله شك) ، أي : أتى لإحيتها ونفذه بوجوب العبادة له شك ، وهو الشاغل لجميع الموجودات ، ولا يصحح العبادة إلا هو ، وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مفرقة بالصانع ، ولكن بعدد منه غيره من الوسايل التي يلتفتون بها لتضعهم أو تقيهم من الله تعالى .

وقالت لهم وسلمهم : [ الله ] (١) يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ، أي : في الدار الآخرة ، ( ويؤخركم إلى أجل مسمى ) ، أي : في الدنيا ، كما قال تعالى : ( وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ، ويؤت كل ذي فضل فضله ) . الآية ، (٢) فقالت لهم الأمم عاجلين في مقام الرسالة ، بعد تقدير تسليمهم للمقام الأول ، وحاصل ما قالوه : ( إن أنتم إلا بشر مثنا ) ، أي : كيف نتبعكم بمجرد قولكم ، ولما نر منكم معجزة ؟ . ( فانونا بسلطان مبین ) ، أي : أي خارق ففكره (٣) عليكم .

فالتفت لهم وسلمهم : ( إن نحن إلا بشر مثلكم ) ، أي : صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية ، ( ولكن الله عني حلي بشاء مع عباده ) ، أي : بالرسالة والنبوة ، ( وما كان لنا أن تأتيكم بسلطان ) ، حلي وفق ما سألتكم ، ( إلا بأذن الله ) ، أي : بعد سؤالات إياه ، وإذنه لنا في ذلك ، ( وعلى الله ليقول كل المؤمنون ) ، أي : في جميع أمورهم .

ثم قاله الرسل : ( وما لنا أن لا نتوكل على الله ) ، أي : وما جئنا من التوكل عليه ، وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها ، ( ولتصبرن على ما آتيتنونا ) ، أي : من الكلام السيئ ، والأفعال السفيفة ، ( وعلى الله ليقول كل المؤمنون ) .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ارْسَلِهِمْ لِنُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لِنَعْتِدَنَّ فِي يَمِينِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٨﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٩﴾ مِنْ وَرَأَيْهِ جَهَنَّمُ وَتُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ يَجْرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيقُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمُحِيطٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿٢١﴾

غير تعالى عما نوعدت به الأمم الكافرة رسلهم ، من الإخراج من أرضهم ، والنفي من بين أظهرهم ، كما قال قوم شعيب له ولئن آمن به : ( لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ) (٤) . وقال قوم لوط : ( نخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يظهرون ) (٥) . وقال تعالى إخباراً عن مشركي قريش : ( وإن كادوا يستنفزونك

(١) في المخطوطة : وقالت لهم رسلهم : الرسل « فاستبدلنا بكلمة « الرسل » لفظ الجلالة » يستقيم السياق .

(٢) سورة هود ، آية : ٣ .

(٣) يعني المسجدة ، لأنها أمر خارق للعادة .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٨٨ .

(٥) سورة النمل ، آية : ٥٦ .

من الأرض ليخرجوك منها، وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) (١)، وقال تعالى: (ولم يحرك بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين) (٢).

وكان من صنعه تعالى: أنه أظهر رسوله ونصره، وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأحباباً وجنوداً، يقاتلون في سبيل الله، ولم يزل يرفيه تعالى من شيء إلى شيء، حتى فتح له مكة التي أخرجته، ومكّن له فيها، وأرضى آتاء أعدائه منهم، وسائر الأرض، حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها في أبصر زمان، ولهذا قال تعالى: (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين: ولنسكننكم الأرض من بعدهم)، كما قال تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين: لئيم لهم المنصورون: وإن جنتنا لهم الثالوثين) (٣)، وقال تعالى: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي: إن الله قوي عزيز) (٤)، وقال: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (٥)، وقال موسى لقومه: استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) (٦)، وقال تعالى: (وأورثنا القوم الذين كانوا يستصفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل بما صبروا، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) (٧).

وقوله: (ذلك لمن خاف مقاي وخاف عيذ)، أي: وعيذ هذا لمن خاف مقاي يوم القيامة، وخشع من وعيذ، وهو تخوفه وعلاني، كما قال تعالى: (فأما من طغى: وآثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هي المأوى. وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى) (٨)، وقال: (ومن خاف مقام ربه جنتان) (٩).

وقوله: (واستفتحوا)، أي: استنصرت الرسل ربها على قومها، قاله ابن عباس، وبجاهد، وقادة (١٠).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: استفتحت الأمم على أنفسها، كما قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق مع هؤلاء فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (١١).

ويحتمل أن يكون هذا مراداً وهذا مراداً، كما أنهم استفتحوا على أنفسهم يوم بدر، واستفتح رسول الله واستنصر، وقال الله تعالى للمشركين: (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح، وإن تنتهوا فهو خير لكم) (١٢): هذه الآية، والله أعلم.

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٢١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٥.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٧) سورة الأعراف، آية: ١٣٧.

(٨) سورة التنازع، الآيات: ٣٧ - ٤١.

(٩) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

(١٠) ينظر آدابهم في تفسير الطبري: ١٦ / ٤٤٣ - ٤٤٥.

(١١) تفسير الطبري، الأثر ٢٠٦٢٥ / ١٦ / ٤٤٥ - ٤٤٦.

(١٢) سورة الأنفال، آية: ١٩.

(وعذاب كل جبار عنيد) ، أى : متعبر في نفسه معاند للحق ، كما قال تعالى : ( ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ، منع للخير معتد مريبه ، الذى جعل مع الله إلها آخر فآلتيه في المذاب الشديد ) (١) .

وفي الحديث : إنه يؤتى بهم يوم القيامة ، فتنادى الخلائق فتقول : إني وُكِّلْتُ بكل جبار عنيد ... الحديث (٢) ، هابت وخسرت جميع الأنبياء في الابتهاال إلى ربها العزيز المقتر .

وقوله : ( من وراءه جهنم ) ، و « وراء » هاءتا بمعنى « أمام » ، كما قال تعالى : ( وكان وراءهم ملك بأخذ كل صفيحة غضبا ) ، وكان ابن عباس يقرأها : ( وكان أمامهم ملك ) (٣) .

أى : من وراء الجبار العنيد جهنم ، أى : هى له بالمصاد ، يسكنها غلدا يوم المعاد ، ويعرض عليها غدواً وغشياً إلى يوم التناد .

( ويسقى من ماء صديد ) ، أى : في النار ليس له شراب إلا من حميم أو غساق ، فهذا في غاية الحرارة ، وهذا في غاية البرد والثلث ، كما قاله : ( هذا قليل وقوه حميم وغساق : وأكثر من شكله أزواج ) (٤) ،

قال عجماد ، وعكرمة : « الصديد » عن الصحيح والتم .

وقال قتادة : هو ما يسيل من لحمه وجلده : وفي رواية عنه : الصديد ما يخرج من جوف الكافر ، قد خالط القبح والدم .

وفي حديث شهر بن حوشب ، عن أميئة بنه يزيد بن السكن قالت قلت : يا رسول الله ، ما طينة الخبال ؟ قال : صديد أهل النار (٥) ، وفي رواية : « حَصَاة أهل النار » (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنا صفوان بن عمرو ، عن عبيد الله بن بشر ، عن أبيه أمية رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( ويسقى من ماء صديد يتجرعه ) ، قال : يتسرب إليه فيتركه ، فإذا أدنى منه (٧) شرب وجهه ، ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه قطع أمعاده حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : ( وسقوا ماء حميما فقطع أمعادهم ) ، ويقول : ( وإن يستشيروا ينقلوا ) ماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب (٨) .

(١) سورة ق ، الآية : ٢٤ - ٢٦ .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار ، وينظر تحفة الأحرف في الحديث ٢٧٠٠ ، ٢٩٥ / ٧ . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب . وأخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ٤ / ٤٠ .

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ٦ / ١٥٤ .

(٤) سورة ص ، الآية : ٥٧ ، ٥٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٦ / ٦٥ .

(٦) مسند الإمام أحمد مع أبي ذر ٥ / ٥٩٩ .

(٧) لفظ الله ، قاله جماعة .

(٨) مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٥٥ .



وهكذا رواه ابن جرير (١) ، من حديث عبد الله بن المبارك ، به : ورواه هو وابن أبي حاتم ، من حديث بنية ابن الوليد ، عن صفوان بن عمرو ، به (٢) .

وقوله : ( يتجرعه ) ، أى : يتضممه ويتكرهه ، أى : يشربه قهرا وقسرا ، لا يرضه فى فيه حتى يفسره الملك بمطرائق من حديد ، كما قال تعالى : ( ولهم مقامع من حديد ) (٣) .

( ولا يكاد يسيغه ) ، أى : يزجره لسوء لونه وطعمه وريحه ، وسراجه أو برده الذى لا يستطاع .

( ويأتية الموت من كل مكان ) ، أى : يألم له جميع بدنه وجوارحه وأعضائه .

قال البيهقي : من كل عظم ، وهرق ، وعصبه .

وقال حكمة : حتى من أطراف شعره .

وقال إبراهيم التيمي : من موضع كل شعرة ، أى : من جسده ، حتى من أطراف شعره .

وقال ابن جرير : ( ويأتية الموت من كل مكان ) ، أى : من أمامه ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، ومن فوقه ومن تحته أرجله ، ومن سائر أعضائه جسده .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ( ويأتية الموت من كل مكان ) ، قال : أنواع العذاب الذى يعطيه الله بها يرم القسيمة فى نار جهنم ، وليس منها نوع إلا الموت يأتيه منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت ، لأن الله تعالى قال : ( لا يلقى عليهم فيموتوا ) ، ولا يخفف عنهم من عذابها ) (٤) .

ومعنى كلام ابن عباس ، رضى الله عنه ، أنه ما من نوع من هذه الأنواع من العذاب إلا إذا ورد عليه اقتضى أن يموت منه لو كان يموت ، ولكنه لا يموت ليجل في دوام العذاب والنعكال ، ولهذا قال : ( ويأتية الموت من كل مكان ) وما هو ميت .

وقوله : ( ومن وراه حلاب غليظ ) ، أى : وله من بعد هذا الحال حلاب آخر غليظ ، أى : مؤلم صعب شديد ألظف من الذى قبله وأدهى وأمر : ولهذا كما قال تعالى عن شجرة الزقوم : ( إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين . فأنهم لا يكون منها فائتون منها البطون : ثم إن لهم عليها لشوى من حميم . لم إن مرجهم لىل الجحيم ) (٥) ، فأشبه أنهم تارة يكونون فى أكل زقوم ، وتارة فى شرب حميم ، وتارة يردون إلى الجحيم ، حياداً بالله من ذلك ، وهكذا قال تعالى : ( هله جهنم التى يكلب بها المجرمون . يطوفون بينها وبين حميم آن ) (٦) ، وقال تعالى :

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٢١ : ١٦ ٪ ٥٤٩ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٢٣ : ١٦ ٪ ٥٥١ .

(٣) سورة الحج ، آية ٢١ .

(٤) سورة النازع ، آية ٣٦ .

(٥) سورة الصافات ، الآيات ٦٤ - ٦٨ .

(٦) سورة الفرقان ، آية ٤٢ - ٤٤ .

( إن شجرة التروم ه طعام الأعمى كالهل يفل في البطون . كفل الحميد : عجلوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبرا فوق رأسه من غلاب الحميد : ذق إنك أنت العزيز الكريم : إن هذا ما كنتم به تمترون (١) ، وقال : ( وأصحاب الشال ما أصحاب الشال ه في سموم وحميم : وظل من يموم ه لا بارد ولا كريم (٢) ، وقال تعالى : ( هذا وإن للطاغين لشر مآب : جهنم يصلونها فبئس للمهاد : هذا قليلو قوله حميم وخساق . وآخر من شكله أزواج (٣) ، إلى غير ذلك من الآيات النالة على تنوع الغلاب عليهم ، وتكراره وأنواعه وأشكاله ، مما لا يحصى إلا الله عز وجل ، جزاء وفاقا : ( وما يك بظلام للعبيد ) (٤) .

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ بِمَا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الرَّسِيدُ ﴿٥٥﴾

هذا مثل شره الله تعالى لأعمال الكفار الذين هيدوا مع الله غيره ، وكذبوا رسله ، وبنا أعمالهم على غير أساس صحيح ، فانهارت وعديموها أخرج ما كانوا إليها ، فقال تعالى : ( مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم ) ، أي : مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طبروا ثوابها من الله تعالى ؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم على شيء ، فلم يجدوا شيئا . ولا ألفوا حاصل إلا كما يتحصل من الرماد إذا اشتعلت به الريح العاصفة ، ( في يوم عاصف ) ، أي : ذى ريع عاصفة قوية ، فلا [ يقدرون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما ] يقدرون على جمع هذا الرماد في هذا اليوم ، كما قال تعالى : ( وقدمتنا إلى ما حملوا من حمل فحملناه هباء منقورا ) (٥) ، وقال : تعالى ( مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا ، كمثل ريع فيها صبر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته (٦) ، وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تطلبوا صفاتكم بالبن والأذى ، كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل ، فكره صلدا ، لا يقدر على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين (٧) . وقال في هذه الآية : ( ذلك هو الضلال البعيد ) ، أي : سبيهم وعملهم على غير أساس ولا استقامة ، حتى فقدوا ثوابهم أخرج ما هم إليه ، ( ذلك هو الضلال البعيد ) .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاسًا بَيْهَكُمْ وَبَاتٍ يَخْلَقِ جَدِيدَهُ ﴿٥٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى خبراً عن قدرته على مَسَاد الأبدان يوم القيامة ، بأنه خلق السموات والأرض التي هي أكبر من خلق الناس ، أليس الذي قدر على خلق هذه السموات ، في ارتفاعها واتساعها وعظمتها ، وما فيها من الكواكب النواب

(١) سورة النحل : الآيات ٤٣ - ٥٠ .

(٢) سورة الواقعة : الآيات ٤١ - ٤٤ .

(٣) سورة ص : الآيات ٥٥ - ٥٨ .

(٤) سورة فصلت : آية ٤٦ .

(٥) سورة الفرقان : آية ٢٣ .

(٦) سورة آل عمران : آية ١١٧ .

(٧) سورة البقرة : آية ١٧٥ .

والسيارات ، والحركات المختلفة ، والآيات الباهرات ، وهذه الأرض بما فيها مع مهاد ووهاد وأوتاد ، ويرارى وصحارى وقفار ، وشار ولشجار ، وتبات وحيران ، على اختلاف أصنافها ومنافعها ، وأشكالها وألوانها ، ( أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعش خلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ، بل إنه على كل شيء قدير ) (١) ، وقال تعالى : ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين : وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحيىها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ) الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون : أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بل ، وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له : كن ، فيكون . سبحانه الذى بيده ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون (٢) .

وقوله : ( إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد : وما ذلك على الله بعزيز ) ، أى : بظلم ولا محج ، بل هو سهل عليه إذا خالفتم أمره ، أن يذهبكم ويأت بآخرين على غير صفتكم ، كما قال تعالى : ( يا أيها الناس ، أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحسيذ : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد : وما ذلك على الله بعزيز ) (٣) ، وقال : ( وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم ) (٤) ، وقال : ( يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه ، سوف يأخذ الله بقوم يجهل بميعه وميعه ) (٥) ، وقال : ( إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ، وكان الله على ذلك قديرا ) (٦) .

سُورَةُ اِبْرٰهٖمَ جَمِيعًا اِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنَّا كُنَّا لَكَ تَبَعًا لَّهٗلَ اَنْتُمْ مُّغْنُوْنَ عَنْ اٰمِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
قُلْ قَالُوا لَوْ هَدٰىنَا اللّٰهُ لَهٰدٰىنَا لَكُنْ سَوَآءًا عَلَيْنَا اَجْرُنَا لَمْ يَصِرْ لَنَا لَنَا مِنْ مَّجْرَمٍ ۝۱۱

يقول : ( ويرزوا ) ، أى : يرزق الخلاق كلها ، برزها وقابرها لله وحده الواحد القهار ، أى : اجتمعوا له في يتركز من الأرض ، وهو المكان الذى ليس فيه شيء يسترحم

( فقال الضعفاء ) ، وهم الارباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له ، وعن موافقة الرسل ، قالوا لهم : ( إنا كنا لكم تبعاً ) ، أى : مهما أمرتونا اتبعنا وعلنا ، فهل أنتم مغنون عنا من عبادة الله من شيء ؟ ، أى : فهل تكفرون عنا شيئاً من عبادة الله ، كما كنتم تعدوننا ونعتونا ؟ قالت القادة لهم : ( لو هدانا الله لحديناكم ) ، ولكن حتى علينا قول ربنا ، وسبق فينا وفيكم قدّر الله ، وحقت كلمة العليق على الكافرين .

( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيى ) ، أى : ليس لنا خلاص مما نحن فيه إن صبرنا عليه أو جزعنا

منه .

(١) سورة الاحقاف : آية ٣٣ .

(٢) سورة قصص : الآيات ٧٧ - ٨٣ .

(٣) سورة طه : الآيات ١٥ - ١٧ .

(٤) سورة عبه : آية ٣٨ .

(٥) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٦) سورة الصافات : آية ١٧٧ .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : إن أهل النار قال بعضهم لبعض : تمالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بيمانهم وتضرعهم إلى الله عز وجل ، تمالوا نيك وتضرع إلى الله : فيكونوا وتضرعوا ، فلما رأوا ذلك لا يفهمهم قالوا : تمالوا ، فإنما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر ، تمالوا حتى نصبر ، فصبروا صبراً لم ير مثله ، فلم يفهم ذلك ، فخذ ذلك قالوا : (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من حيص (١) ) .

قلت : والظاهر أن هذه الترجمة في النار بعد دخولهم إليها ، كما قال تعالى : ( وإذا صلبوا في النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ؟ قال الذين استكبروا : إنا كل فيها ، إن الله قد حكم بين العباد (٢) ) ، وقال تعالى : ( قال : ادخلوا في ألم قد خلعت من قبلكم من الجن والإنس في النار ، كلما دخلت أمة لعنت أمتها ، حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أئمهاتهم وأولادهم : ربنا ، هؤلاء أضلونا ، فآثم حللنا بضما من النار ؟ قال : لكل ضعف ولكن لا تعلمون ) وقالت أولادهم لأئمهاتهم : فإنا كنا لكم حللنا من فضل ، فلو فارقوا العذاب عما كنتم تكسبون (٣) ) ، وقال تعالى : ( يوم تقلب وجوههم في النار يقولون : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول : وقالوا : ربنا ، إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلاً . ربنا ، آثمهم ضفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً (٤) ) .

وأما تخاصمهم في المحشر ، فقال تعالى : ( ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنكم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنعم صلبناكم من لفظي بعد إذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له أفعالاً ، وأسروا النجاة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا ، هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (٥) ) .

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا آتَاكُمْ بِصُغُرِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي لِي كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَمَعَ عَذَابُ الْيَمِّ ۖ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ دَاسُوا وَعَلُوا الصَّالِحِينَ جَنَّةً نَجَّى مِنْ جَحِيمِ الْإِثْمِ خَلِيلِينَ فِيهَا يَأْتِيهِمْ دَرَجَاتٌ يُصْعِقُهُمْ فِيهَا صَلَوَاتٌ ۝

غير تعالى عما يختص به إبليس أتباعه ، بعد ما قضى الله بين عباده ، فأدخل للمؤمنين الجنة ، وأسكن الكافرين للدركات ، فقام فيهم إبليس - لعنه الله - حيث له خيلياً ليزيهم حزناً إلى حزنهم ، وضيقاً إلى ضيقهم ، وحسرة إلى

(١) التفسير الطبري ٥ الجزء ٢٠٦٤٠ : ١٦ / ٥٥٩ : ٥٦٥ .

(٢) سورة غافر : آية : ٤٧ : ٤٨ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٣٨ : ٣٩ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٦ - ٦٨ .

(٥) سورة مآ : الآيات : ٣١ - ٣٤ .

حسرتهم ، فقال : ( إن الله وعدكم وعد الحق ) ، أى : على السنة رسله ، ووعدكم فى اتباعهم النجاة والسلامة ، وكان وعداً حقاً ، وبعبارة صالحة ، وأما أنا فوعدتكم وأخلفتكم ، كما قال الله تعالى : ( يهدم ويمتيتهم ، وما يهدم الشيطان إلا خرواً (١) ) -

ثم قال : ( وما كان لى عليكم من سلطان ) ، أى : ما كان لى عليكم فيما وعدتكم إليه من دليل ولا حجة على صدق ما وعدتكم به ، ( إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ) ، بمجرد ذلك ، هذا وقد أنفقت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءكم به ، فخالفتهم فصرتم إلى ما أنتم فيه ، ( فلا تلمونى اليوم ) ، ( ولوموا أنفسكم ) ، فإن اللبس لكم ، لكونكم خالفتم الحجج واتبعتمون بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل ، ( ما أنا بمصرعكم ) ، أى : بنافسكم ومقلدكم ومخلصكم مما أنتم فيه ، ( وما أنتم بمصرعى ) ، أى : بنافسى بإنقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال ، ( إن كفره بما أشركتهم من قبل ) -

قال قتادة : أى بسببه ما أشركتهم من قبل .

وقال ابن جرير : يقول : إنى جئلت أن أكون شريكاً له وجبل (٢) .

وهذا الذى قاله هو الراجح ، كما قال تعالى : ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلا يوم القيامة ، وهم من دعاهم خالفون ) وإذا حشر الناس كانوا لم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٣) ، وقال : ( كلا ، سيكتفون بعبادتهم ويكونون عليهم نهداً (٤) ) -

وقوله : ( إن الظالمين ) ، أى : فى إصرارهم من الحق واتباعهم الباطل ، لم عذاب أليم .

والظاهر من سياق الآية : أن هذه الخليفة تكون من إبليس بعد دخوله النار ، كما قلنا . ولكن قد ورد فى حديث وواه ابن أبي حاتم - وهذا لفظه - وابن جرير (٥) من رواية عبد الرحمن بن زياد : حدثني دحيث الحنجرى ، عن حنيفة بن عامر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( إذا جمع الله الأولين والآخرين ، قضى بينهم ، فخرج من القضاء ، قال المؤمنون : قد قضى بيننا ربنا ، فن يشفع لنا ؟ فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدم - وذكر نوحاً ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى - فيقول عيسى : أدلكم على النبي الأسمى : فيأتون ، فيأذن الله لى أن أقوم إليه فيثور [ من ] مجلسي من أطيب ريح شتمها أحد قط ، حتى أتى ربي فيشفعنى ، ويجعل لى نورا من شمر رامى إلى ظنفر قدس . ثم يقول الكافرون هذا : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، فن يشفع لنا ؟ ما هو إلا إبليس هو الذى أضلنا ، فيأتون لإبليس فيقولون : قد وجد المؤمنون من يشفع لهم ، فتم أنت فاشفع لنا ، فإنك أنت أضللتنا ، فيقوم فيثور من مجلسه من

(١) سورة لقمان ، آية : ١٢٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦ / ٥٦١ .

(٣) سورة الأحقاف ، آية : ٥ ، ٦ .

(٤) سورة مريم ، آية : ٨٢ .

(٥) تفسير الطبري : ١٦ / ٥٦٢ ، ٥٦٣ .

أنن ربح فيها أحد قط ، ثم يستلم نحييمه ) ، وقال الشيطان لما نفى الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتنكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ) .

وهذا سياق ابن أبي حاتم ورواه ابن المبارك عن رسلين بن سعد ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنس ، عن دحية عن حبة ، به مرفوعا .

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله : لما قال أهل النار : ( سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ) ، قال لهم : إيليس ( إن الله وعدكم وعد الحق ) ... الآية ، فلما سمعوا مقاتله مكنوا أنفسهم ، فزودوا : ( لقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون (١) ) .

وقال حاتم الشعبي : يقوم خطيبان يوم القيامة على رموس الناس ، يقول الله لعيسى ابن مريم : ( أنت قلت تناس [ التلوني وأبى بلدين من دون الله ؟ ] .. إلى قوله : ( قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) ، قال : ويقوم إيليس - لعنه الله - فيقول : ( وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (٢) ) ... الآية .

ثم لما ذكر تعالى مآل الأشقياء وما صلوا إليه من النوى والنتكال ، وأن خطيئهم لإيليس ، عطف بحال السعداء وأتهم يدخلون يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار سارحة فيها حيث ساروا وأمين ساروا ( خالدين فيها ) ، ما كذب أبدا إلا بمرحون ولا يزولون ، ( يذنبونهم ، نحييمهم فيها سلام ) ، كما قال تعالى : ( حتى إذا جاءوها وضحت أبوابها وقال لهم فيها سلام عليكم (٣) ) ، وقال تعالى : ( وللملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم (٤) ) ، وقال تعالى : ( ويكفون فيها تحية وسلاما (٥) ) ، وقال : ( دعواهم فيها : سبحانك اللهم ، ونحييمهم فيها سلام ، وأتفر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (٦) ) .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ حَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَلَاثٌ وَفُرْعَاهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٦﴾ تُوِّقِي أَكْثَرًا كُلِّ حَبْنٍ وَبِأَنزِلَ رَبِّهَا وَيُغَيِّرُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خبيثة كَشَجَرَةٍ خبيثةٍ أَجْحَنَتْ مِنْ قَوْنٍ الْأَرْضُ مَا تَسَى مِنْ قَرْوَرٍ ﴿١٨﴾

قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ( ومثل كلمة طيبة : شهادة أن لا إله إلا الله ، ( كشجرة طيبة ) ، وهو المؤمن ، ( أصلها ثابت ) ، يقول : لا إله إلا الله في قلب المؤمن ، ( وفرعها في السماء ) ، يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء (١) .

(١) ينظر تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٤٧ : ١٦ / ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، والأثر ٢٠٦٥٦ : ١٦ / ٥٦٥ .

(٢) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٤٣ : ١٦ / ٥٦٢ .

(٣) سورة الزمر ، آية ٧٣ .

(٤) سورة قمره ، آية ٢٤ : ٢٤ .

(٥) سورة الفرقان ، آية ٧٥ .

(٦) سورة يونس ، آية ١٠ .

(٧) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٥٨ : ١٦ / ٥٦٧ .

وهكذا قال الضحاك ، وسعيد بن جبّير ، وعكرمة وقتادة وغير واحد : إن ذلك عبارة عن المؤمن ، وقوله الطيب ، وعمله الصالح ، وإن المؤمن كالشجرة من النخل ، لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت ، وصباح ومساء .

وهكذا رواه السدي ، عن مرة ، عن ابن مسعود قال : هي النخلة (١) .

وشعبة ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس : هي النخلة (٢) .

وحداد بن سلمة ، عن شعيب بن الحباب ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بفتح (٣) بسئر فقال (٤) : « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » ، قال : هي النخلة (٥) .

وروى من هذا الوجه ومن غيره ، عن أنس موقوفاً ، وكذا نص عليه مسروق ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد ابن جبّير ، والضحاك ، وقتادة وغيرهم .

وقال البخاري : حدثنا عبيد بن إسماعيل ، عن أبي أسامة ، عن عبيد الله بن نافع ، عن ابن عمر قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أخبروني عن (٦) شجرة نثية - أو : كالرجل - للمسلم ، لا ينحات بورقها [ ولا ، ولا ، ولا ] (٧) تؤتي أكلها كل حين » قال ابن عمر : فوقع في نفسي أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة . فلما قمت قلت لمسيّر يا أبانا ، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة قال : ما منعك أن تكلم ؟ قال : لم أركم تتكلمون ، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً ، قال عمر : لأن تكون قلتها أحبة إليّ من كلنا وكذا (٨) .

وقال أحمد : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : صحبت ابن عمر إلى المدينة ، فلم أسمعهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً - قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى بمسائر (٩) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٧٠٤٨٦ ، ١٦ ، ٥٢٢ .

(٢) تفسير الطبري ، الآثار ٢٠٦٧٤ - ٢٠٦٧٦ ، ١٦ ، ٥٢٩ .

(٣) الاقتراح - بكسر القاف - : الملق الذي يركل عليه الطعام أو الفاكهة ، « واليسر » بضم فسكون : انزاع ، انزعاب .

وهو ما لم يلوّن ولم ينتج .

(٤) في المخطوطة : « فقرأ » ، فأجبنا وقال : « لأن الذي يأتي ليس لفظ الآية » وهو لفظ الطبري أيضا .

(٥) تفسير الطبري ، الآثار ٢٠٦٧٧ - ٢٠٦٨١ ، ١٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ . وقد أخرجه الترمذي في تفسير سورة إبراهيم من حديث ابن حميد ، عن أبي الوليد ، عن حماد بن سلمة بإسناده . ورواه من وجه آخر عن أنس بن مالك موقوفاً ، وقال : « وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة . وروى غير واحد مثل هذا موقوفاً ، ولا قبل أحداً رفته غير حماد بن سلمة » ، ورواه معمر وسامد بن زيد ، وغير واحد ، ولم يرقوه . ينظر تحفة الأحرف ٥١٢٧ ، ٥١٢٨ ، ٥١٢٩ ، ٥١٣٠ ، ٥١٣١ .

(٦) افتح البخاري : « أخبروني بشجرة » .

(٧) ما بين القوسين المقتوفين عن البخاري .

(٨) صحيح البخاري ، تفسير سورة إبراهيم ، ١٠٠ ، ١٠١ .

(٩) الجاهلي ، تلب النخلة وهسيها .

فقال : « من الشجر شجرةً متكفها مثل الرجل المسلم : فأردت أن أقول : « هي النخلة » ، فخطرت فلذا أنا أصغر الترم ، [ فسكت ] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هي النخلة (١) » : أخرجه (٢) .

وقال مالك وعبد العزيز ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « إن من الشجر شجرة لا يطرح ورقها ، مثل المؤمن . قال : فوقع الناس في شجر البرادي ، ووقع في قلبي أنها النخلة [ فاستحييت ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هي النخلة ] . أخرجه (٣) أيضا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا أبان - يعني ابن يزيد العطار - حدثنا قتادة : أن رجلا قال : يا رسول الله ، نزع أهل الدثور (٤) بالأجور ! فقال : « رأيت لو عمد إلى متاع الدنيا ، فركبه بعضها على بعض أكان يبالغ الساء ؟ أنلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء ؟ قال : ما هو يا رسول الله ؟ قال : تقول : « لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله » عشر مرات في دهر كل صلاة ، فذلك أصله في الأرض وفرعه في السماء » .

وعن ابن عباس ( كشجرة طيبة ) ، قال : هي شجرة في الجنة (٥) .

وقوله : « توفى أكلها كل حين » ، قيل : غلوة وعشيا . وقيل : كل شهر ، وقيل : كل شهرين . وقيل : كل سنة أشهر . وقيل : كل صبة أشهر . وقيل : كل سنة »

والظاهر من السياق أن المؤمن مثله كمثل شجرة ، لا يزال يوجد منها ثمر في كل وقت من صيف أو شتاء ، أو ليل أو نهار ، كذلك المؤمن لا يزال يرفع له عمل صالح آتاه الليل وأطراف النهار في كل وقت وحين .

( يأخذ منها ) ، أي : كاملا حسنا كثيرا طيبا ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون (٦) »

وقوله : ( ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ) ، هذا مثل كثر الكافر ، لا أصل له ولا ثبات ، وشبه شجرة الحنظل ، ويقال لها : « الشريان » . [ رواه شعبه ، عن معاوية بن قرة ، عن أنس بن مالك : أنها شجرة الحنظل ] .

(١) مسند الإمام أحمد : ١٢ / ٢ . وما بين القوسين منه .

(٢) البخاري ، كتاب العلم ، باب « العلم في العلم » : ١ / ٢٨ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب « ما من مثل المؤمن مثل النخلة » : ٨ / ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٣) البخاري ، كتاب العلم ، باب « قوله الحديث : حدثنا أو أخبرنا أو أبلغنا » : ١ / ٢٣ ، ٢٤ . وباب « طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم » : ١ / ٢٤ . وباب « الحياء في العلم » : ١ / ٤٤ ، ٤٥ . ومسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب « مثل المؤمن مثل النخلة » : ٨ / ١٣٧ ، ١٣٨ . ومسند الإمام أحمد : ١٢٣ / ٢ .

ومعنى « لا يطرح ورقها » : لا يسقط . ومعنى « فوقع الناس في شجر البرادي » ، أي خفيت أكلهم إلى أشجار البرادي ، وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البرادي ، ودخلوا عن النخلة .

(٤) القثود : جمع دثر - يفتح فسكون - وهو : اللال الكبير .

(٥) تفسير الطبري ، الأثر ٢٠٦٩٥ : ١٦ / ٧٣٤ .

(٦) سورة الفرقان ، آية : ٢٥ .



وقال أبو بكر البرار الحافظ: حدثنا يحيى بن محمد [ابن] السكن، حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع، حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أنس - أحسبه رفته - قال: «مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة»، قال: هي النخلة، (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة)، قال: هي الشرايين.

ثم رواه عن محمد بن المثنى، عن غندر، عن شعبة، عن معاوية، عن أنس موقوفاً (١).  
وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد - هو ابن سلمة - عن شعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة»، هي الخنظلة. فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: هكذا كنا نسمع.

ورواه ابن جرير، عن حديث حماد بن سلمة، به. ورواه أبو يعلى في مسنده بأيسر من هذا فقال: حدثنا غسان، عن حماد، عن شعيب، عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقتاع عليه بسر، فقال: «ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها»، قال: هي النخلة - (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار)، قال: هي الخنظل. قال شعيب: فأخبرت بذلك أبا العالية فقال: كذلك كنا نسمع.  
- سر قوله: (اجتثت)، أي: استوصلت (من فوق الأرض ما لها من قرار)، أي: لا أصل لها ولا ثبات، كذلك الكفر لا أصل له ولا فرع، ولا يصمد للكافر حمل، ولا يُتَقَبَّلَ منه شيء.

يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٣﴾

قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، أخبرني علقمة بن مرثد قال: سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء ابن عازب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم إذا سئل في القبر، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ)»، ورواه مسلم أيضاً وبقية الجماعة كلهم، عن حديث شعبة، به (٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار، فأتيناه إلى القبر ولا يلحد - فاجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله، كأن حلي رموسنا الطير، وفي يده صود يُمَكَّتْ (٣) به في الأرض،

(١) وكذا أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره من هذه الطريق، ينظر الأثر ٢٠٧٣٧ : ١٦ / ٨٣.

(٢) البخاري، تفسير سورة إبراهيم : ١٠٠/٦.

(٣) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب «عن مقدمة الميت عليه وإتياء طواب القبر» والناسف كتاب الجنائز، باب «طواب القبر» ١٠١/٤، وسنن أبي داود كتاب السنة، باب «في المسألة في القبر وحذاب القبر»، الحديث ٤٧٥٠ : ٤/٢٣٨، سنن ابن ماجه، كتاب الزهدة، باب «ذكر القبر واليل»، الحديث ٢٦٩ : ١٤٢٧/٢.

(٤) أي: يضرى الأرض به.

فرغم رأسه فقال: "استعملوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثا، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكمام الجنة وحشوظ<sup>(١)</sup> من حشوظ الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السماء<sup>(٢)</sup> فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلها في ذلك الكفن وفي ذلك الحشوظ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجلدت على وجه الأرض. فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها - على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح [الطيب] <sup>(٣)</sup>؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أميائه التي [كانوا] <sup>(٤)</sup>؟ يسومونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي إليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله: اكتبوا كتاب عبيدي في حليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتتأد روحه [في جسده] <sup>(٥)</sup>، فيأتيه ملكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: رب الله. فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: وما حملك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فقلت به وصدقت. فينادي مناد من السماء: أن صدق عبيدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وانضحوا له بأباً إلى الجنة - قال: فيأتيه من رَوْحها<sup>(٦)</sup> وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه بجمي بالخير. فيقول: أنا حملك الصالح. فيقول: رب، أقم الساعة. وب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي<sup>(٧)</sup>.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسحوق<sup>(٨)</sup>، فجلسوا منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى مسخط من الله وعقوب - قال: تشتقر في جسده، فيترعها كما يترع السفوف من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسحوق. ويخرج منها كائن ريح جيفة وجلدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أميائه التي كان يسومونه بها في الدنيا [حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا] <sup>(٩)</sup>، فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول

(١) الحشوظ: ما يطيب به الميت.

(٢) السماء: القرية.

(٣) ما بين القومين عن منه الإيمان أحسن.

(٤) الروح: يرد نسم الريح.

(٥) أي: حتى أرجع لمشاهدة أهل وما قدر له من الأجر على ما كسبه من عمل صالح.

(٦) المسحوق: جمع مسح - بكسر فسكون - وهو: كساء من الشعر.

(٧) ما بين القومين المتوفين سقط من غطوة الأزهر والمليت من الحسة وهو مقل نظر.

الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ) (١) ، فيقول الله اكبر : نشأ في سجين ، في الأرض السفلى ، شطر روحه طرعا - ثم قرأ : ( ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، صخطقه الطير ، ألوتوى به الريح في مكان سحيق ) (٢) .

فتماد روحه في جسده ، و يأتيه ملكان فيجلسانه ويقولان له : من ربك ؟ ، فيقول : هاه هاه : لا أدري : فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه . لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي يمك ؟ فيقول : هاه هاه . لا أدري ، فينادى متاد من السماء : أن كلب فأفرشوه من النار ، وانضخوا له باباً إلى النار . فيأتيه من حرها وسمومها ، ويشيق عليه قبره ، حتى تختطف فيه أضلعه ، و يأتيه رجل قبيح الوجه ، فيبكي الثياب ، متن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوءك ، هذا يملك الذي كنت توعد . فيقول : ومن أنت فوجهك [ الوجه ] يجيء بالشر . فيقول : أنا عمك الخبيث ، فيقول : رب ، لا تقم الساعة ، (٣) .

ورواه أبو داود من حديث الأعمش ، والسنائي وابن ماجه من حديث لثمال بن عمرو ، به (٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حيد الزقاق ، حدثنا معمر ، عن يونس بن خباب (٥) ، عن المنهال بن عمرو ، عن زاذان ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة : . . . فذكر غيره . »

وفيه « حتى إذا خرج روحه صلى الله عليه وسلم إلى ملك بين السماء والأرض ، [ وكل ملك في السماء ] (٦) ، وضعت أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدهون الله عز وجل أن يخرج بروحه من قبلهم . »

وفي آخره : « ثم يقض له أحمى أحمى أحمى ، وفي يده مرزبة لو ضرب بها جمل لكان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً ، ثم يعيده الله عز وجل كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصير صبيحة صبيحة بسمها كل شيء إلا الثقلين - قال البراء : لم يفتح له باب إلى النار ، وعهد من فرش النار (٧) »

وقال صفيان الثوري ، عن أبيه ، عن خيثمة ، عن البراء في قوله تعالى : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ) ، قال : حطاب القبر (٨) .

(١) سورة الأعراف : آية : ٤٠ .

(٢) سورة الحج : آية : ٤٠٩ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٢٨٧ . وقد ساقه الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية ٤٠ من سورة الأعراف : ٣ / ٤٠٨ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الجنوس عند القبر ، الحديث ٣٢١٢ : ٣ / ٤١٣ . وكتاب السنة ، باب : في المسألة في القبر وخطاب القبر ، الحديث ٤٧٥٣ : ٤ / ٢٣٩ .

(٥) في المخطوطة : « يونس بن سبيب » . وللتب من المسند . وينظر التلخيص .

(٦) ما بين القوسين عن المسند .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤ / ٢٩٥ ، ٢٩٦ . وقد ساقه الحافظ أيضا عند تفسير الآية ٤٠ من سورة الأعراف : ٤ / ٤٠٩ .

(٨) تفسير الطبري ، الأثر ٤٠٧٧٢ : ١٦ / ٥٩٩ .

وقال المسعودي، عن عبد الله بن عمار، عن أبيه، عن عبد الله قال: إن المؤمن إذا مات أُجلس في قبره، فيقال له: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فيجيبه الله، فيقول: وبى الله، ودينى الإسلام، ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم، وقرأ عبد الله: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (١).

وقال الإمام عبد بن حميد رحمه الله في مسنده: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيخان بن عبد الرحمن، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم - قال: فيأتيه ملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله - قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة؛ قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: فإماماً جميعاً - قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سهوياً خراها، ويغفر عليه خضيراً إلى يوم القيامة.

رواه مسلم (٢) عن عبد بن حميد، به - وأخرجه النسائي من حديث يونس بن محمد المؤدّب، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتى في القبر فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن هذه الأمة تُبَيَّنُّ في قبورها، فإذا أدخل المؤمن قبره، وتولى عنه أصحابه، جاءه ملك شديد الانتهار، فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار، قد أبدلك الله به، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة، فإماماً كليهما. فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي. فيقال له: اسكن. وأما المنافق فيمقد إذا تولى عنه أهله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقوله كما يقول الناس. فيقال له: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة، قد أبدلت مكانه مقعدك من النار.

قال جابر: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يبحث كل عبد في القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه».

إسناده صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه (٣).

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو حاتم، حدثنا عباد بن راشد، عن داود بن أبي هند، عن أبي بصير، عن أبي سعيد الخدري قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس، إن هذه الأمة تُبَيَّنُّ في قبورها، فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فأقده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، فيقول له: صدقت. ثم

(١) تفسير الطبري: الأثر ٢٠٧٧١ / ١٦ / ٩٨٠.

(٢) مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، وإثبات مذاب القبر والعمود معه، ١٦١ / ١٦٢، والنسائي: كتاب الجنائز، باب: للمساكنة في القبر: ٩٧ / ٨.

(٣) الذي أماننا في المسند الآن ورواية الإمام أحمد عن موسى بن داود، عن ابن لمية، عن أبي الزبير، ٣١٦ / ٧، وصح هذا الحديث.

يفتح له بابا إلى النار ، فيقول : هذا كان متراك لو كثرت بريك ، فأما إذ كنت فهذا متراك : فيفتح له بابا إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إليه ، فيقول له : « اسكن » ، ويفصح له في قبره : وإن كان كافرا أو منافقا يقول له : « ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أخرى ، سمعت الناس يقولون شيئا ، فيقول : لا دَرَيْتَ ولا كَتَيْتَ (١) ولا اعتديت » ثم يفتح له بابا إلى الجنة ، فيقول له : هذا متراك لو آمنت بريك ، فأما إذ كثرت به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا ، فيفتح له بابا إلى النار ، ثم يقيمهم قعما بالمطراق يسمعون خلكك الله عز وجل كلهم غير الضالين ، فقال بعض القوم : يا رسول الله ، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هبيل (٢) ، عند ذلك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يثبت الله الدين آمنوا بالقول الثابت (٣) ) ..

وهذا أيضا إسناد لا بأس به ، فإن عباد بن راشد يجتمعي روى له البخاري مقرونا ، ولكن سقطه بعضهم ٢٢

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين (٤) بن محمد ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن معية ابن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لبيت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا : « انخرجي أبنتها النفس المطمئنة (٥) كانت في الجسد الطيبة ، انخرجي حميلة ، وأبشري بروح وريحان ورويت غير غضبان » قال : فلا يزال يقال ما ذلك حتى يخرج ، ثم يُخرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقولون : « مرحبا بالروح الطيبة كانت في الجسد الطيبة ، ادخلي حميلة ، وأبشري بروح وريحان ، ورويت غير غضبان » قال : - فلا يزال يقال ما ذلك ، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل ، وإذا كان الرجل السوء قالوا : « انخرجي أبنتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، انخرجي ضمية ، وأبشري بصميم وقصاق » وآخر من شكله : أزواج » فلا يزال يقال ما ذلك حتى يخرج ، ثم يُخرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها فيقال : من هذا ؟ فيقال : فلان ، فيقال : لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ضمية ، فانه لا تفتح لك أبواب السماء ، فيرسل مع السماء ، ثم يعصر إلى القبر ، فيجلس الرجل الصالح فيقال له مثل ما قيل في الحديث الأول ، ويجلس الرجل السوء فيقال له مثل ما قيل له في الحديث الأول (٦) :

ورواه الثعلبي وابن ماجه ، من طريق ابن أبي ذئب بنحوه (٦) :

(١) قال ابن الأثير في النهاية : مادة « تلاك » : « مكثا يرويه الخليلي . والصواب : ولا اعتليت » وقال في مادة « ألا » : « لا دريت ولا تليت » أي : « ولا استطعت أن تفهم » .

هذا وقد قال أحمد بن فارس في كتابه الاتياع والزواجة ٦٦ : « ويقولون : لا دريت ولا تليت ، اتباح أيضا ، ويقال أيضا : اعتليت ، أي استطعت » ويقال : ما يألوه « أي : ما يطيعه » .

(٢) أي : عاف ، وروى .

(٣) سمع الإمام أحمد ٤ / ٣ : « » .

(٤) في السنة : « حسن بن محمد » . وروى عنه : « والصواب ما في المطبعة . وينظر ترجمته في الأعلام » .

(٥) كلما في ضارطة الأضمر ، وقد مر منه من قبل في سورة الأعراف ، وفي المسند : « النفس الطيبة » ، ويروى أن نسبت للمسلم عند ابن كثير حل ما ألبت .

(٦) معنى الحديث في سورة الأعراف ٤ / ١٥ : « وخرجناه هناك » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إذا خرجت روح النبي المومن ، تلقاها ملكان بصملمان (١) بها - قال حماد : فذكر من طيب ريحها وذكر الملك - قال : ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك وحل جسدك كنت تتسمر به ، فينطقن به إلى ربه عز وجل ، فيقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه - قال حماد : وذكر من نتقنها وذكر مقنا (٢) - ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض - قال : فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل - قال أبو هريرة : فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم زميلة (٣) كانت عليه على أنه ، هكذا (٤) .

وقال ابن حبان في صحيحه : حدثنا عمر بن محمد الميموني ، حدثنا زيد بن أنس ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي ، عن ثكافة ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن إذا قبض ، أتته ملائكة الرحمة بحريّة يضاء ، فيقولون : انخرجي إلى روح الله . فتخرج كأطيب ريح مسك ، حتى إنه ليتأوله بعضهم بعضا يشمونّه حتى يأثروا به باب السماء ، فيقولون : ما هنا الريح الطيبة التي جاءت من قبل الأرض ؟ ولا يأثرون سماء إلا قالوا مثل ذلك ، حتى يأثروا به أرواح المؤمنين ، فكلهم أشد فرحاً به من أهل القباب بنائهم ، فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه حتى يسريح ، فإنه كان في غم ! فيقول : قد مات ، أما أناكم ؟ فيقولون : ذهب به إلى أمه للموت . وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمصح (٥) فيقولون : انخرجي إلى غضب الله ، فتخرج كأنك ريح جيفة ، فيذهب به إلى باب الأرض » .

وقد روى أيضاً من طريق حماد بن يحيى ، عن ثكافة عن أبي الجوزاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه - قال : « فيسأل : ما فعل فلان ، ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ قال : وأما الكافر فإذا قبضت نفسه ، وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض : ما وجدنا ريحاً أتت من هذه . فيبئح بها الأرض السفلى .

قال ثكافة : وحدثني رجل ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الله بن عمرو قال : أرواح المؤمنين جميع بالجارية (٦) ، ولأرواح الكفار جميع ببرهوت ، صبيحة يضر موت

وقال الحافظ أبو عيسى الترمذي رحمه الله : حدثنا يحيى بن خلف ، حدثنا بشر بن المنضل ، عن عبد الرحمن ابن إسحاق ، عن سعيد بن أبي سعيد القبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تبرأ الميت

(١) لفظ مسلم : « بصملمان » .

(٢) لفظ مسلم : « وذكر مقنا » .

(٣) الزينة : ثوب وثيق . وقيل : هي اللامة . وكان سبب دعائها حل الألف ما ذكر من بين ريح الكافر .

(٤) مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب « عرض مقع الميت من الجنة أو النار » وإثبات عذاب القبر ، والتمرد منه . ١٦٢/٨ ، ١٦٣ .

(٥) المسح : كساء من شعر .

(٦) في الأصول : « جميع بالجارية » . وللميت من مسج البلدان لياقوت ، وإن كان قد نسب الأثر إلى عبد الله بن عباس ، ولفظ جميع البلدان : « روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : أرواح المؤمنين بالجارية من أرض الشام ، وأرواح الكفار في برهوت من أرض سحر موت » .

— أو قال : أحكمهم — أنه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول (١) : « هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يَسْتَحْ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينزّل له فيه ، ثم يقال له : تَمَّ . فيقول : أرجع إلى أهل فأخبرهم ؟ فيقولان : تَمَّ . نومة العروس التي لا يوقظه إلا أحبّ أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ؛ وإن كان منافقاً قال : « سمعت الناس يقولون قتلتم مثلهم ، لا أدري » . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : انشي عليه ، فتلتم عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها محلباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ؛

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب (٢) .

وقال حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يثبت الله الدين أكثرنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ) — قال : « ذلك إذا قيل له في القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ فيقول : « رب الله ، ودين الإسلام ، وربي محمد ، جاءنا بالبينات من عند الله ، فآمنت به وصدقت » . فيقال له : صدقت ، حلّ هذا حشيت ، وعليه ميت ، وعليه تيمت (٣) . »

وقال ابن جرير : حدثنا جاهد بن موسى والحسن بن محمد قالوا : حدثنا يزيد ، أنبأنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، إن الميت يسمع خلق يعلم (٤) حين يؤان عنه مديريه ، فإذا كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والزكاة عن يمينه ، والصيام عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمروءة والإحسان إلى الناس عند رجليه ، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة : « ما قبلي مدخل » ، فيؤتى من عن يمينه فتقول الزكاة : « ما قبلي مدخل » ، فيؤتى عن يساره فيقول الصيام : « ما قبلي مدخل » ، فيؤتى من عند رجليه فيقول فعل الخيرات : « ما قبلي مدخل » . فيقال له : اجلس . فيجلس ، قد تَمَّتْ (٥) له الشمس ، قد دلت للغروب ، فيقال له : أخبرنا عما نسألك . فيقول : دعوني (٦) حتى أسألك ؛ فيقال : إنك مستعلم ، فأخبرنا عما نسألك . فيقول : وحسّ تسألوني ؟ فيقال : أرأيت هل الرجل الذي كان فيكم ، ماذا تقول فيه ، وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : أحمد ؟ فيقال له : تَمَّ . فيقول : أشهد أنه رسول الله ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله ، فصدّقناه ؛ فيقال له : حلّ ذلك حبيبت ، وحلّ ذلك ميت ، وحلّ ذلك تيمت إن شاء الله ؛ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً وينزّل له فيه ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له : انظر إلى ما أعد الله لك فيها ؛ فيزداد خبطة [ومروراً] ، ثم يجعل نفسه في التَّسْمِي الطيب ، وهي طير خضر تملأ بشجر

(١) أي : يقول الميت ما كان يقول قبل الموت ، وهو : هو عبد الله ورسوله .

(٢) ثقة الأحمدي ، أرباب الجنائز ، باب : ما جاء في علاج القبر ، الحديث ١٨٧٧ ، ١٨٧٨ ، ١٨٩١ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ ، ١٨٩٤ ، ١٨٩٥ ، ١٨٩٦ ، ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ ، ١٩٠١ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣ ، ١٩١٤ ، ١٩١٥ ، ١٩١٦ ، ١٩١٧ ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ ، ١٩٩٢ ، ١٩٩٣ ، ١٩٩٤ ، ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ ، ١٩٩٧ ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١ ، ٢٠٠٢ ، ٢٠٠٣ ، ٢٠٠٤ ، ٢٠٠٥ ، ٢٠٠٦ ، ٢٠٠٧ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠ ، ٢٠١١ ، ٢٠١٢ ، ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ ، ٢٠١٥ ، ٢٠١٦ ، ٢٠١٧ ، ٢٠١٨ ، ٢٠١٩ ، ٢٠٢٠ ، ٢٠٢١ ، ٢٠٢٢ ، ٢٠٢٣ ، ٢٠٢٤ ، ٢٠٢٥ ، ٢٠٢٦ ، ٢٠٢٧ ، ٢٠٢٨ ، ٢٠٢٩ ، ٢٠٣٠ ، ٢٠٣١ ، ٢٠٣٢ ، ٢٠٣٣ ، ٢٠٣٤ ، ٢٠٣٥ ، ٢٠٣٦ ، ٢٠٣٧ ، ٢٠٣٨ ، ٢٠٣٩ ، ٢٠٤٠ ، ٢٠٤١ ، ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣ ، ٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥ ، ٢٠٤٦ ، ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٨ ، ٢٠٤٩ ، ٢٠٥٠ ، ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٣ ، ٢٠٥٤ ، ٢٠٥٥ ، ٢٠٥٦ ، ٢٠٥٧ ، ٢٠٥٨ ، ٢٠٥٩ ، ٢٠٦٠ ، ٢٠٦١ ، ٢٠٦٢ ، ٢٠٦٣ ، ٢٠٦٤ ، ٢٠٦٥ ، ٢٠٦٦ ، ٢٠٦٧ ، ٢٠٦٨ ، ٢٠٦٩ ، ٢٠٧٠ ، ٢٠٧١ ، ٢٠٧٢ ، ٢٠٧٣ ، ٢٠٧٤ ، ٢٠٧٥ ، ٢٠٧٦ ، ٢٠٧٧ ، ٢٠٧٨ ، ٢٠٧٩ ، ٢٠٨٠ ، ٢٠٨١ ، ٢٠٨٢ ، ٢٠٨٣ ، ٢٠٨٤ ، ٢٠٨٥ ، ٢٠٨٦ ، ٢٠٨٧ ، ٢٠٨٨ ، ٢٠٨٩ ، ٢٠٩٠ ، ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢ ، ٢٠٩٣ ، ٢٠٩٤ ، ٢٠٩٥ ، ٢٠٩٦ ، ٢٠٩٧ ، ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩ ، ٢١٠٠ ، ٢١٠١ ، ٢١٠٢ ، ٢١٠٣ ، ٢١٠٤ ، ٢١٠٥ ، ٢١٠٦ ، ٢١٠٧ ، ٢١٠٨ ، ٢١٠٩ ، ٢١١٠ ، ٢١١١ ، ٢١١٢ ، ٢١١٣ ، ٢١١٤ ، ٢١١٥ ، ٢١١٦ ، ٢١١٧ ، ٢١١٨ ، ٢١١٩ ، ٢١٢٠ ، ٢١٢١ ، ٢١٢٢ ، ٢١٢٣ ، ٢١٢٤ ، ٢١٢٥ ، ٢١٢٦ ، ٢١٢٧ ، ٢١٢٨ ، ٢١٢٩ ، ٢١٣٠ ، ٢١٣١ ، ٢١٣٢ ، ٢١٣٣ ، ٢١٣٤ ، ٢١٣٥ ، ٢١٣٦ ، ٢١٣٧ ، ٢١٣٨ ، ٢١٣٩ ، ٢١٤٠ ، ٢١٤١ ، ٢١٤٢ ، ٢١٤٣ ، ٢١٤٤ ، ٢١٤٥ ، ٢١٤٦ ، ٢١٤٧ ، ٢١٤٨ ، ٢١٤٩ ، ٢١٥٠ ، ٢١٥١ ، ٢١٥٢ ، ٢١٥٣ ، ٢١٥٤ ، ٢١٥٥ ، ٢١٥٦ ، ٢١٥٧ ، ٢١٥٨ ، ٢١٥٩ ، ٢١٦٠ ، ٢١٦١ ، ٢١٦٢ ، ٢١٦٣ ، ٢١٦٤ ، ٢١٦٥ ، ٢١٦٦ ، ٢١٦٧ ، ٢١٦٨ ، ٢١٦٩ ، ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ ، ٢١٧٤ ، ٢١٧٥ ، ٢١٧٦ ، ٢١٧٧ ، ٢١٧٨ ، ٢١٧٩ ، ٢١٨٠ ، ٢١٨١ ، ٢١٨٢ ، ٢١٨٣ ، ٢١٨٤ ، ٢١٨٥ ، ٢١٨٦ ، ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ٢١٩٠ ، ٢١٩١ ، ٢١٩٢ ، ٢١٩٣ ، ٢١٩٤ ، ٢١٩٥ ، ٢١٩٦ ، ٢١٩٧ ، ٢١٩٨ ، ٢١٩٩ ، ٢٢٠٠ ، ٢٢٠١ ، ٢٢٠٢ ، ٢٢٠٣ ، ٢٢٠٤ ، ٢٢٠٥ ، ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٧ ، ٢٢٠٨ ، ٢٢٠٩ ، ٢٢١٠ ، ٢٢١١ ، ٢٢١٢ ، ٢٢١٣ ، ٢٢١٤ ، ٢٢١٥ ، ٢٢١٦ ، ٢٢١٧ ، ٢٢١٨ ، ٢٢١٩ ، ٢٢٢٠ ، ٢٢٢١ ، ٢٢٢٢ ، ٢٢٢٣ ، ٢٢٢٤ ، ٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦ ، ٢٢٢٧ ، ٢٢٢٨ ، ٢٢٢٩ ، ٢٢٣٠ ، ٢٢٣١ ، ٢٢٣٢ ، ٢٢٣٣ ، ٢٢٣٤ ، ٢٢٣٥ ، ٢٢٣٦ ، ٢٢٣٧ ، ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩ ، ٢٢٤٠ ، ٢٢٤١ ، ٢٢٤٢ ، ٢٢٤٣ ، ٢٢٤٤ ، ٢٢٤٥ ، ٢٢٤٦ ، ٢٢٤٧ ، ٢٢٤٨ ، ٢٢٤٩ ، ٢٢٥٠ ، ٢٢٥١ ، ٢٢٥٢ ، ٢٢٥٣ ، ٢٢٥٤ ، ٢٢٥٥ ، ٢٢٥٦ ، ٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨ ، ٢٢٥٩ ، ٢٢٦٠ ، ٢٢٦١ ، ٢٢٦٢ ، ٢٢٦٣ ، ٢٢٦٤ ، ٢٢٦٥ ، ٢٢٦٦ ، ٢٢٦٧ ، ٢٢٦٨ ، ٢٢٦٩ ، ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ ، ٢٢٧٢ ، ٢٢٧٣ ، ٢٢٧٤ ، ٢٢٧٥ ، ٢٢٧٦ ، ٢٢٧٧ ، ٢٢٧٨ ، ٢٢٧٩ ، ٢٢٨٠ ، ٢٢٨١ ، ٢٢٨٢ ، ٢٢٨٣ ، ٢٢٨٤ ، ٢٢٨٥ ، ٢٢٨٦ ، ٢٢٨٧ ، ٢٢٨٨ ، ٢٢٨٩ ، ٢٢٩٠ ، ٢٢٩١ ، ٢٢٩٢ ، ٢٢٩٣ ، ٢٢٩٤ ، ٢٢٩٥ ، ٢٢٩٦ ، ٢٢٩٧ ، ٢٢٩٨ ، ٢٢٩٩ ، ٢٣٠٠ ، ٢٣٠١ ، ٢٣٠٢ ، ٢٣٠٣ ، ٢٣٠٤ ، ٢٣٠٥ ، ٢٣٠٦ ، ٢٣٠٧ ، ٢٣٠٨ ، ٢٣٠٩ ، ٢٣١٠ ، ٢٣١١ ، ٢٣١٢ ، ٢٣١٣ ، ٢٣١٤ ، ٢٣١٥ ، ٢٣١٦ ، ٢٣١٧ ، ٢٣١٨ ، ٢٣١٩ ، ٢٣٢٠ ، ٢٣٢١ ، ٢٣٢٢ ، ٢٣٢٣ ، ٢٣٢٤ ، ٢٣٢٥ ، ٢٣٢٦ ، ٢٣٢٧ ، ٢٣٢٨ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣٠ ، ٢٣٣١ ، ٢٣٣٢ ، ٢٣٣٣ ، ٢٣٣٤ ، ٢٣٣٥ ، ٢٣٣٦ ، ٢٣٣٧ ، ٢٣٣٨ ، ٢٣٣٩ ، ٢٣٤٠ ، ٢٣٤١ ، ٢٣٤٢ ، ٢٣٤٣ ، ٢٣٤٤ ، ٢٣٤٥ ، ٢٣٤٦ ، ٢٣٤٧ ، ٢٣٤٨ ، ٢٣٤٩ ، ٢٣٥٠ ، ٢٣٥١ ، ٢٣٥٢ ، ٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٦ ، ٢٣٥٧ ، ٢٣٥٨ ، ٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ ، ٢٣٦١ ، ٢٣٦٢ ، ٢٣٦٣ ، ٢٣٦٤ ، ٢٣٦٥ ، ٢٣٦٦ ، ٢٣٦٧ ، ٢٣٦٨ ، ٢٣٦٩ ، ٢٣٧٠ ، ٢٣٧١ ، ٢٣٧٢ ، ٢٣٧٣ ، ٢٣٧٤ ، ٢٣٧٥ ، ٢٣٧٦ ، ٢٣٧٧ ، ٢٣٧٨ ، ٢٣٧٩ ، ٢٣٨٠ ، ٢٣٨١ ، ٢٣٨٢ ، ٢٣٨٣ ، ٢٣٨٤ ، ٢٣٨٥ ، ٢٣٨٦ ، ٢٣٨٧ ، ٢٣٨٨ ، ٢٣٨٩ ، ٢٣٩٠ ، ٢٣٩١ ، ٢٣٩٢ ، ٢٣٩٣ ، ٢٣٩٤ ، ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ ، ٢٣٩٧ ، ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩ ، ٢٤٠٠ ، ٢٤٠١ ، ٢٤٠٢ ، ٢٤٠٣ ، ٢٤٠٤ ، ٢٤٠٥ ، ٢٤٠٦ ، ٢٤٠٧ ، ٢٤٠٨ ، ٢٤٠٩ ، ٢٤١٠ ، ٢٤١١ ، ٢٤١٢ ، ٢٤١٣ ، ٢٤١٤ ، ٢٤١٥ ، ٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٤١٨ ، ٢٤١٩ ، ٢٤٢٠ ، ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢ ، ٢٤٢٣ ، ٢٤٢٤ ، ٢٤٢٥ ، ٢٤٢٦ ، ٢٤٢٧ ، ٢٤٢٨ ، ٢٤٢٩ ، ٢٤٣٠ ، ٢٤٣١ ، ٢٤٣٢ ، ٢٤٣٣ ، ٢٤٣٤ ، ٢٤٣٥ ، ٢٤٣٦ ، ٢٤٣٧ ، ٢٤٣٨ ، ٢٤٣٩ ، ٢٤٤٠ ، ٢٤٤١ ، ٢٤٤٢ ، ٢٤٤٣ ، ٢٤٤٤ ، ٢٤٤٥ ، ٢٤٤٦ ، ٢٤٤٧ ، ٢٤٤٨ ، ٢٤٤٩ ، ٢٤٥٠ ، ٢٤٥١ ، ٢٤٥٢ ، ٢٤٥٣ ، ٢٤٥٤ ، ٢٤٥٥ ، ٢٤٥٦ ، ٢٤٥٧ ، ٢٤٥٨ ، ٢٤٥٩ ، ٢٤٦٠ ، ٢٤٦١ ، ٢٤٦٢ ، ٢٤٦٣ ، ٢٤٦٤ ، ٢٤٦٥ ، ٢٤٦٦ ، ٢٤٦٧ ، ٢٤٦٨ ، ٢٤٦٩ ، ٢٤٧٠ ، ٢٤٧١ ، ٢٤٧٢ ، ٢٤٧٣ ، ٢٤٧٤ ، ٢٤٧٥ ، ٢٤٧٦ ، ٢٤٧٧ ، ٢٤٧٨ ، ٢٤٧٩ ، ٢٤٨٠ ، ٢٤٨١ ، ٢٤٨٢ ، ٢٤٨٣ ، ٢٤٨٤ ، ٢٤٨٥ ، ٢٤٨٦ ، ٢٤٨٧ ، ٢٤٨٨ ، ٢٤٨٩ ، ٢٤٩٠ ، ٢٤٩١ ، ٢٤٩٢ ، ٢٤٩٣ ، ٢٤٩٤ ، ٢٤٩٥ ، ٢٤٩٦ ، ٢٤٩٧ ، ٢٤٩٨ ، ٢٤٩٩ ، ٢٥٠٠ ، ٢٥٠١ ، ٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣ ، ٢٥٠٤ ، ٢٥٠٥ ، ٢٥٠٦ ، ٢٥٠٧ ، ٢٥٠٨ ، ٢٥٠٩ ، ٢٥١٠ ، ٢٥١١ ، ٢٥١٢ ، ٢٥١٣ ، ٢٥١٤ ، ٢٥١٥ ، ٢٥١٦ ، ٢٥١٧ ، ٢٥١٨ ، ٢٥١٩ ، ٢٥٢٠ ، ٢٥٢١ ، ٢٥٢٢ ، ٢٥٢٣ ، ٢٥٢٤ ، ٢٥٢٥ ، ٢٥٢٦ ، ٢٥٢٧ ، ٢٥٢٨ ، ٢٥٢٩ ، ٢٥٣٠ ، ٢٥٣١ ، ٢٥٣٢ ، ٢٥٣٣ ، ٢٥٣٤ ، ٢٥٣٥ ، ٢٥٣٦ ، ٢٥٣٧ ، ٢٥٣٨ ، ٢٥٣٩ ، ٢٥٤٠ ، ٢٥٤١ ، ٢٥٤٢ ، ٢٥٤٣ ، ٢٥٤٤ ، ٢٥٤٥ ، ٢٥٤٦ ، ٢٥٤٧ ، ٢٥٤٨ ، ٢٥٤٩ ، ٢٥٥٠ ، ٢٥٥١ ، ٢٥٥٢ ، ٢٥٥٣ ، ٢٥٥٤ ، ٢٥٥٥ ، ٢٥٥٦ ، ٢٥٥٧ ، ٢٥٥٨ ، ٢٥٥٩ ، ٢٥٦٠ ، ٢٥٦١ ، ٢٥٦٢ ، ٢٥٦٣ ، ٢٥٦٤ ، ٢٥٦٥ ، ٢٥٦٦ ، ٢٥٦٧ ، ٢٥٦٨ ، ٢٥٦٩ ، ٢٥٧٠ ، ٢٥٧١ ، ٢٥٧٢ ، ٢٥٧٣ ، ٢٥٧٤ ، ٢٥٧٥ ، ٢٥٧٦ ، ٢٥٧٧ ، ٢٥٧٨ ، ٢٥٧٩ ، ٢٥٨٠ ، ٢٥٨١ ، ٢٥٨٢ ، ٢٥٨٣ ، ٢٥٨٤ ، ٢٥٨٥ ، ٢٥٨٦ ، ٢٥٨٧ ، ٢٥٨٨ ، ٢٥٨٩ ، ٢٥٩٠ ، ٢٥٩١ ، ٢٥٩٢ ، ٢٥٩٣ ، ٢٥٩٤ ، ٢٥٩٥ ، ٢٥٩٦ ، ٢٥٩٧ ، ٢٥٩٨ ، ٢٥٩٩ ، ٢٦٠٠ ، ٢٦٠١ ، ٢٦٠٢ ، ٢٦٠٣ ، ٢٦٠٤ ، ٢٦٠٥ ، ٢٦٠٦ ، ٢٦٠٧ ، ٢٦٠٨ ، ٢٦٠٩ ، ٢٦١٠ ، ٢٦١١ ، ٢٦١٢ ، ٢٦١٣ ، ٢٦١٤ ، ٢٦١٥ ، ٢٦١٦ ، ٢٦١٧ ، ٢٦١٨ ، ٢٦١٩ ، ٢٦٢٠ ، ٢٦٢١ ، ٢٦٢٢ ، ٢٦٢٣ ، ٢٦٢٤ ، ٢٦٢٥ ، ٢٦٢٦ ، ٢٦٢٧ ، ٢٦٢٨ ، ٢٦٢٩ ، ٢٦٣٠ ، ٢٦٣١ ، ٢٦٣٢ ، ٢٦٣٣ ، ٢٦٣٤ ، ٢٦٣٥ ، ٢٦٣٦ ، ٢٦٣٧ ، ٢٦٣٨ ، ٢٦٣٩ ، ٢٦٤٠ ، ٢٦٤١ ، ٢٦٤٢ ، ٢٦٤٣ ، ٢٦٤٤ ، ٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦ ، ٢٦٤٧ ، ٢٦٤٨ ، ٢٦٤٩ ، ٢٦٥٠ ، ٢٦٥١ ، ٢٦٥٢ ، ٢٦٥٣ ، ٢٦٥٤ ، ٢٦٥٥ ، ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٧ ، ٢٦٥٨ ، ٢٦٥٩ ، ٢٦٦٠ ، ٢٦٦١ ، ٢٦٦٢ ، ٢٦٦٣ ، ٢٦٦٤ ، ٢٦٦٥ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧ ، ٢٦٦٨ ، ٢٦٦٩ ، ٢٦٧٠ ، ٢٦٧١ ، ٢٦٧٢ ، ٢٦٧٣ ، ٢٦٧٤ ، ٢٦٧٥ ، ٢٦٧٦ ، ٢٦٧٧ ، ٢٦٧٨ ، ٢٦٧٩ ، ٢٦٨٠ ، ٢٦٨١ ، ٢٦٨٢ ، ٢٦٨٣ ، ٢٦٨٤ ، ٢٦٨٥ ، ٢٦٨٦ ، ٢٦٨٧ ، ٢٦٨٨ ، ٢٦٨٩ ، ٢٦٩٠ ، ٢٦٩١ ، ٢٦٩٢ ، ٢٦٩٣ ، ٢٦٩٤ ، ٢٦٩٥ ، ٢٦٩٦ ، ٢٦٩٧ ، ٢٦٩٨ ، ٢٦٩٩ ، ٢٧٠٠ ، ٢٧٠١ ، ٢٧٠٢ ، ٢٧٠٣ ، ٢٧٠٤ ، ٢٧٠٥ ، ٢٧٠٦ ، ٢٧٠٧ ، ٢٧٠٨ ، ٢٧٠٩ ، ٢٧١٠ ، ٢٧١١ ، ٢٧١٢ ، ٢٧١٣ ، ٢٧١٤ ، ٢٧١٥ ، ٢٧١٦ ، ٢٧١٧ ، ٢٧١٨ ، ٢٧١٩ ، ٢٧٢٠ ، ٢٧٢١ ، ٢٧٢٢ ، ٢٧٢٣ ، ٢٧٢٤ ، ٢٧٢٥ ، ٢٧٢٦ ، ٢٧٢٧ ، ٢٧٢٨ ، ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٠ ، ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢ ، ٢٧٣٣ ، ٢٧٣٤ ، ٢٧٣٥ ، ٢٧٣٦ ، ٢٧٣٧ ، ٢٧٣٨ ، ٢٧٣٩ ، ٢٧٤٠ ، ٢٧٤١ ، ٢٧٤٢ ، ٢٧٤٣ ، ٢٧٤٤ ، ٢٧٤٥ ، ٢٧٤٦ ، ٢٧٤٧ ، ٢٧٤٨ ، ٢٧٤٩ ، ٢٧٥٠ ، ٢٧٥١ ، ٢٧٥٢ ، ٢٧٥٣ ، ٢٧٥٤ ، ٢٧٥٥ ، ٢٧٥٦ ، ٢٧٥٧ ، ٢٧٥٨ ، ٢٧٥٩ ، ٢٧٦٠ ، ٢٧٦١ ، ٢٧٦٢ ، ٢٧٦٣ ، ٢٧٦٤ ، ٢٧٦٥ ، ٢٧٦٦ ، ٢٧٦٧ ، ٢٧٦٨ ، ٢٧٦٩ ، ٢٧٧٠ ، ٢٧٧١ ، ٢٧٧٢ ، ٢٧٧٣ ، ٢٧٧٤ ، ٢٧٧٥ ، ٢٧٧٦ ، ٢٧٧٧ ، ٢٧٧٨ ، ٢٧٧٩ ، ٢٧٨٠ ، ٢٧٨١ ، ٢٧٨٢ ، ٢٧٨٣ ، ٢٧٨٤ ، ٢٧٨٥ ، ٢٧٨٦ ، ٢٧٨٧ ، ٢٧٨٨ ، ٢٧٨٩ ، ٢٧٩٠ ، ٢٧٩١ ، ٢٧٩٢ ، ٢٧٩٣ ، ٢٧٩٤ ، ٢٧٩٥ ، ٢٧٩٦ ، ٢٧٩٧ ، ٢٧٩٨ ، ٢٧٩٩ ، ٢٨٠٠ ، ٢٨٠١ ، ٢٨٠٢ ، ٢٨٠٣ ، ٢٨٠٤ ، ٢٨٠٥ ، ٢٨٠٦ ، ٢٨٠٧ ، ٢٨٠٨ ، ٢٨٠٩ ، ٢٨١٠ ، ٢٨١١ ، ٢٨١٢ ، ٢٨١٣ ، ٢٨١٤ ، ٢٨١٥ ، ٢٨١٦ ، ٢٨١٧ ، ٢٨١٨ ، ٢٨١٩ ، ٢٨٢٠ ، ٢٨٢١ ، ٢٨٢٢ ، ٢٨٢٣ ، ٢٨٢٤ ، ٢٨٢٥ ، ٢٨٢٦ ، ٢٨٢٧ ، ٢٨٢٨ ، ٢٨٢٩ ، ٢٨٣٠ ، ٢٨٣١ ، ٢٨٣٢ ، ٢٨٣٣ ، ٢٨٣٤ ، ٢٨٣٥ ، ٢٨٣٦ ، ٢٨٣٧ ، ٢٨٣٨ ، ٢٨٣٩ ، ٢٨٤٠ ، ٢٨٤١ ، ٢٨٤٢ ، ٢٨٤٣ ، ٢٨٤٤ ، ٢٨٤٥ ، ٢٨٤٦ ، ٢٨٤٧ ، ٢٨٤٨ ، ٢٨٤٩ ، ٢٨٥٠ ، ٢٨٥١ ، ٢٨٥٢ ، ٢٨٥٣ ، ٢٨٥٤ ، ٢٨٥٥ ، ٢٨٥٦ ، ٢٨٥٧ ، ٢٨٥٨ ، ٢٨٥٩ ، ٢٨٦٠ ، ٢٨٦١ ، ٢٨٦٢ ، ٢٨٦٣ ، ٢٨٦٤ ، ٢٨٦٥ ، ٢٨٦٦ ، ٢٨٦٧ ، ٢٨٦٨ ، ٢٨٦٩ ، ٢٨٧٠ ، ٢٨٧١ ، ٢٨٧٢ ، ٢٨٧٣ ، ٢٨٧٤ ، ٢٨٧٥ ، ٢٨٧٦ ، ٢٨٧٧ ، ٢٨٧٨ ، ٢٨٧٩ ، ٢٨٨٠ ، ٢٨٨١ ، ٢٨٨٢ ، ٢٨٨٣ ، ٢٨٨٤ ، ٢٨٨٥ ، ٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧ ، ٢٨٨٨ ، ٢٨٨٩ ، ٢٨٩٠ ، ٢٨٩١ ، ٢٨٩٢ ، ٢٨٩٣ ، ٢٨٩٤ ، ٢٨٩٥ ، ٢٨٩٦ ، ٢٨٩٧ ، ٢٨٩٨ ، ٢٨٩٩ ، ٢٩٠٠ ، ٢٩٠١ ، ٢٩٠٢ ، ٢٩٠٣ ، ٢٩٠٤ ، ٢٩٠٥ ، ٢٩٠٦ ، ٢٩٠٧ ، ٢٩٠٨ ، ٢٩٠٩ ، ٢٩١٠ ، ٢٩١١ ، ٢٩١٢ ، ٢٩١٣ ، ٢٩١٤ ، ٢٩١٥ ، ٢٩١٦ ، ٢٩١٧ ، ٢٩١٨ ، ٢٩١٩ ، ٢٩٢٠ ، ٢٩٢١ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٢٣ ، ٢٩٢٤ ، ٢٩٢٥ ، ٢٩٢٦ ، ٢٩٢٧ ، ٢٩٢٨ ، ٢٩٢٩ ، ٢٩٣٠ ، ٢٩٣١ ، ٢٩٣٢ ، ٢٩٣٣ ، ٢٩٣٤ ، ٢٩٣٥ ، ٢٩٣٦ ، ٢٩٣٧ ، ٢٩٣٨ ، ٢٩٣٩ ، ٢٩٤٠ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٤٢ ، ٢٩٤٣ ، ٢٩٤٤ ، ٢٩٤٥ ، ٢٩٤٦ ، ٢٩٤٧ ، ٢٩٤٨ ، ٢٩٤٩ ، ٢٩٥٠ ، ٢٩٥١ ، ٢٩٥٢ ، ٢٩٥٣ ، ٢٩٥٤ ، ٢٩٥٥ ، ٢٩٥٦ ، ٢٩٥٧ ، ٢٩٥٨ ، ٢٩٥٩ ، ٢٩٦٠ ، ٢٩٦١ ، ٢٩٦٢ ، ٢٩٦٣ ، ٢٩٦٤ ، ٢٩٦٥ ، ٢٩٦٦ ، ٢٩٦٧ ، ٢٩٦٨ ، ٢٩٦٩ ، ٢٩٧٠ ، ٢٩٧١ ، ٢٩٧٢ ، ٢٩٧٣ ، ٢٩٧٤ ، ٢٩٧٥ ، ٢٩٧٦ ، ٢٩٧٧ ، ٢٩٧٨ ، ٢٩٧٩ ، ٢٩٨٠ ، ٢٩٨١ ، ٢٩٨٢ ، ٢٩٨٣ ، ٢٩٨٤ ، ٢٩٨٥ ، ٢٩٨٦ ، ٢٩٨٧ ، ٢٩٨٨ ، ٢٩٨٩ ، ٢٩٩٠ ، ٢٩٩١ ، ٢٩٩٢ ، ٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤ ، ٢٩٩٥ ، ٢٩٩٦ ، ٢٩٩٧ ، ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩ ، ٣٠٠٠ ، ٣٠٠١ ، ٣٠٠٢ ، ٣٠٠٣ ، ٣٠٠٤ ، ٣٠٠٥ ، ٣٠٠٦ ، ٣٠٠٧ ، ٣٠٠٨ ، ٣٠٠٩ ، ٣٠١٠ ،

لكنه ، ويبدأ الجسد إلى ما بعده من الرب ، وفك قول الله : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة (١) ) .

ورواه ابن حبان ، من طريق المختار بين سليمان ، عن محمد بن عمرو ، وذكر جواب الكافر وعلاجه .

وقال البزار : حدثنا سعيد بن بحر القرامطى (٢) ، حدثنا الوليد بن القاسم ، حدثنا يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - أحسبه - قال : « إن المؤمن يتزل به الموت ، ويعاين ما يعاين ، فيود لو خرجت - بغير نفسه - والله يحب لقاءه ، وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء ، فتأتيه أرواح المؤمنين ، فتستخبره من معارفهم من أهل الأرض ، فإذا قال : « تركت فلانا في الأرض » ، أصعبهم ذلك . وإذا قال : « إن فلانا قد مات » ، قالوا : ما جئ به إلينا . وإن المؤمن يجلس في قبره ، فيسأل : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، ويسأل : من نيك ؟ فيقول : محمد نبي . فيقال : ماذا بينك ؟ قال : ديني الإسلام . فيفتح له باب في قبره ، فيقول - أو : يقال - انتظر إلى مجلسك . ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة ، وإذا كان حدو الله نزل به الموت وعابن ما عابن ، فإنه لا يحب أن يخرج روحه أبداً ، والله ينفخ فيه ، فإذا جلس في قبره - أو : أجلس - يقال له : من ربك ؟ فيقول : لا أدري . فيقال : لا أدريت . فيفتح له باب من جهنم ، ثم يفسر غربة يسمعه كل دابة إلا القلبين ، ثم يقال له : ثم كما ينال المشغوش . قلت لأبي هريرة : ما المشغوش ؟ قال : الذى تهشع النوايا والحياث ، ثم يضيئ عليه قبره .

ثم قال : لا تعلم رواده إلا الوليد بن القاسم (٣) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا حجين بن المثنى ، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، عن محمد بن النكسر قال : كانت أسماء - بعت بنت الصديق - رضى الله عنها ، تحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال : « إذا دخل الإنسان قبره ، فإن كان مؤمناً أُنحِتَ به هلهة الصلاة والصيام ، قال : فيأتيه الملك من نحو الصلاة فرده ، ومن نحو الصيام فرده ، قال : فيناديه : اجلس . فيجلس . فيقول له : ماذا تقول في هذا الرجل ؟ يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ؟ قال : محمد . قال : أشهد أنه رسول الله ، قال : يقول : وما يدريك ؟ أدركته ؟ قال : أشهد أنه رسول الله . قال : يقول : حل ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبع . وإن كان فاجراً أو كافراً ، جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يردّه ، فأجلسه يقول : : اجلس ، ماذا تقول في هذا الرجل ؟ قال : أئى رجل ؟ قال : محمد ؟ قال يقول : والله ما أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته . قال له الملك : حل ذلك عشت ، وعليه مت ، وعليه تبع . قال : ونسلط عليه دابة في قبره ، معها سوط نحسره جمره مثل غريب (٤) البعير ، تضربه ما شاء الله ، صباه لا تصح صوته فترحمه (٥) .

(١) تفسير الطبري ، الأثر ٣٠٧٧٠ : ١٦/٥٩٦ : ٥٩٧ .

(٢) في الباب لابن الأثير ٢٤٩/٢ : سعيد بن محمد القرامطى .

(٣) في المخطوطة : « الوليد بن سلم » . وهو خطأ ، وقد سبق في التتبع حل الصواب ، والوليد بن القاسم ترجمة في التلخيص ١٤٥/١٢ ، والبحر لابن أبي حاتم : ١٣/٢/٤ .

(٤) في المخطوطة : « حرق » . والمثبت عن محمد الإمام أحمد . والقريب : القدر العظيمة .

(٥) مسند الإمام أحمد ٣٥٢/٦ : ٣٥٣ .



وقال العوفي ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : إن المؤمن إذا حُفِرَ الثوبُ شهدته الملائكة ، فسلعوا عليه وبشروه بالجنة ، فإذا مات مشوا مع جنازته ، ثم صلّوا عليه مع الناس ، فإذا دفن أجلس فى قبره .  
 يقال له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله . فيقال له : من رسولاك ؟ فيقول : محمد صلى الله عليه وسلم . فيقال له : ما شهادتك ؟ فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فيوسّع له فى قبره مدّ بصره ، وأما الكافر فتتزل عليه الملائكة ، فيمسطون أيديهم — « والبسط » : هو الضرب — يضربون وجوههم وأديبارهم عند الموت . فإذا أدخل قبره أقعد فقيل له : من ربك ؟ فلم يرجع إليهم شيئاً ، وأنساه الله ذكر ذلك : وإذا قيل : من الرسول الذى بعثت إليكم ؟ لم يجتد (١) له ، ولم يرجع إليه شيئاً ، كذلك يضل الله الظالمين (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودى ، حدثنا شريح بن مسلمة ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد الجبلى ، عن أبى قتادة الأنصارى فى قوله تعالى : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ) الآية ، قال : إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره ، يقال له : من ربك ؟ فيقول : الله . يقال له : من نبيك ؟ فيقول : محمد بن عبد الله . يقال له ذلك مرات : ثم يفتح له باب إلى النار ، يقال له انظر إلى منزلك فى النار لو زُعت . ثم يفتح له باب إلى الجنة ، يقال له : انظر إلى منزلك [ من الجنة إذا ثبت . وإذا مات الكافر أجلس فى قبره ، يقال له : من ربك ؟ من نبيك ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أسمع الناس يقولون . يقال له : لا دريت . ثم يفتح له باب إلى الجنة ، يقال له : انظر إلى منزلك ] (٣) لو ثبت ، ثم يفتح له باب إلى النار ، يقال له : انظر إلى منزلك إذ زُعت ، فذلك قوله تعالى : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ) .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ) ، قال لا إله إلا الله — ( وفى الآخرة ) : المسألة فى القبر (٤) .

وقال قتادة : أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح ، ( وفى الآخرة ) ، فى القبر ، وكلما روى عن خير واحد من السلف .

وقال أبو عبد الله الحكيم الترمذى فى كتابه « نوادر الأصول » : حدثنا أبو ، حدثنا عبد الله بن نافع ، عن ابن أبي قديك ، عن عبد الرحمن (٥) بن عبد الله ، عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن سمرّة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ونحن فى مسجد المدينة ، فقال : « إني رأيت البارحة حجاباً ، رأيته رجلاً من أمّتي [ جاءه ملك الموت ليقتض روحه ، فجاءه برّه بوالديه فردعه : ورأيت رجلاً من أمّتي ] قد بسط عليه حجاب القبر ، فجاءه وضوءه فاستنزه من ذلك . ورأيت رجلاً من أمّتي [ قد ] احتوشته الشياطين (٦) ، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ،

(١) فى المخطوطة : « لم يجتد » . والمثبت من تفسير العنبرى .

(٢) تفسير العنبرى ، الآثار ٢ : ٢٠٧٧٤ ، ٥٩٩/١٦ ، ٩٠٠ ، ٢٠٧٨٦ ، ٩٠٣/١٦ .

(٣) ما بين القوسين للمقوفين سقط من المخطوطة ، أخذناه من الطبعات السابقة .

(٤) تفسير العنبرى ، الآثار ٢ : ٢٠٧٨٤ ، ١٠٢/١٦ . وأثر قتادة بعده .

(٥) فى التذكرة : « عبد الرحمن بن أبى عبد الله » .

(٦) احشوشه الضم فلا تأ ، جعلوه وسلمهم . ( لسان العرب ) .

ورأيت رجلا من أمي. قد أحوشته ملائكة اللذاب، فجاءته صلاته فاستقبلته من أيديهم. ورأيت رجلا من أمي يلهث عطشا، كلما ورد حوضا منحه منه، فجاءه صياحه فسقاه وأرواه. ورأيت رجلا من أمي واليتيمون قعود حلقا حلقا، وكلما دنا حلقه طردوه، فجاءه اغصانه من الجنة، فأخذ بيده فأقده إلى جنبي. ورأيت رجلا من أمي [ من ] بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فهو متحير فيها فجاءته حجته وعصمته، فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور. ورأيت رجلا من أمي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلاة الرحم، فقالت: يا معشر المؤمنين، كلموه، فكلموه. ورأيت رجلا من أمي يقبض النيران أو يفردها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت سيرا على وجهه وظلا على رأسه. ورأيت رجلا من أمي قد أخذته الزانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستقبله من أيديهم، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة. ورأيت رجلا من أمي جاثيا على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن شلعه، فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلا من أمي قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته، فجعلها في يمينه [ ورأيت رجلا من أمي قد خفت ميزانه، فجاءه أفراسه (١) فقلوا ميزانه ] ورأيت رجلا من أمي قائما على شفير جهنم، فجاءه وجسه من الله، فاستقبله من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار. [ ورأيت رجلا من أمي قائما على الصراط يصرعه كما ترد السمكة، فجاءه حسن ظنه بالله، فسكن رعدته، ومضى ]. ورأيت رجلا من أمي على الصراط يزحف أحيانا ويغير أحيانا، فجاءته صلاته حل، فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط. ورأيت رجلا من أمي انتهى إلى أبواب (٢) الجنة، ففلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة: أن لا إله إلا الله، فضحت له الأبواب وأدخلته الجنة. »

قال القرطبي: بعد إيراد هذا الحديث من هذا الوجه: وهذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة: «أورده هكذا في كتابه والتذكير» (٣).

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في هذا حديثا غريبا مطولا فقال: حدثنا أبو عبد الله (٤) أحمد بن إبراهيم النخعي حدثنا محمد بن بكر البرماني أبو عثمان، حدثنا أبو حاتم (٥) الحبيبي - وكان من خيار أهل البصرة، وكان من أصحاب جزم - وسلام بن أبي مطيع، حدثنا بكر بن خنيس، عن ضرار (٥) بن عمرو، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن نعيم الداري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل ملك الموت: انطلق إلى وليي فأتني، به، فإنني قد صرته بالسراء والضراء، فوجدته حيث أحب. انتهى به فأقر عينه.

(١) إبراهيم: أي أولاده الذين ماتوا ولم يتركوا.

(٢) في المخطوطة: «إلى باب الجنة». والمثبت عن التذكرة.

(٣) التذكرة في أسواق الموت وأمور الآخرة للقرطبي، باب «ما ينجي من أحوال يوم القيامة ومن كرمها» ٢٤٠ - ٢٤٢.

وما بين الأقواس المقتوفة سقط من المخطوطة أثناءه من هذا المصدر.

(٤) في المخطوطة: «أبو عبد الرحمن». والمثبت عن المرحوم لابن أبي حاتم: ٣٩/١. والتأليف: ١٠/١، والمثبت للبيهقي: ٨٨.

(٥) لم نجد من رجال هذا السند دجليين «أبا حاتم الحبيبي» و«ضرار بن عمرو». وعسى أن نستدرك ذلك نجا يده.

فنبثق إليه ملك الموت ومعه خمسائة من الملائكة، معهم أكفان وحشوظ من الجنة، ومعهم نبيأثر (١) الرّيحان، أصل الرّيحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا ، لكل لون منها ربيع سوى ربيع صاحبه ، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر (٢) . فيجلس ملك الموت عند رأسه [ وتنفذ (٣) به الملائكة ، ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويتبسّط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه، ويمنّح له باب إلى الجنة ، فإن نفسه لتتمكّل (٤) عند ذلك بطرفه الجنة تارة وبأزواجها [ تارة ] ومرة بكسوتها ومرة بشمارها ، كما يتمكّل الصبي أهله إذا بكى - قال : وإن أزواجه ليبتهنّ عند ذلك ابتهاشاً (٥) .

قال : وتنزّل الروح - قال البرّسّاني : يريد أن يخرج من التّجكّل إلى ما تحبّه - قال ويقول ملكك لله : اخرجني يا أيّها الروح الطّيبة ، إلى صدر مخضود ، وطلع منضود ، وظلّ ممدود ، وماء مسكوب - قال : وملكك الموت أشدّ به لطفاً من الوالدة بولدها ، يعرف أن ذلك الروح حبيب لربه ، فهو يئتمس بلطفه تحبّياً لديه رضاء الرّيب عنه ، فتمكّل روحه كما نسل الشّجرة من العجين - قال : وقال الله عز وجل : ( فلتبين تولّاهم الملائكة طيعة ) - وقال : ( فأما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم ) - قال : روح من جهة لوه ، وريحان يئتي به ، وجنة نعيم تقابله .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، قال الروح للجسد : جزاك الله خيراً ، فقد كنت سرياً بي إلى طاعة الله ، بطيئاً بي عن معصية الله ، فقد نجيت وأنجيت . قال : ويقول الجسد للروح مثل ذلك .

قال : وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطبع الله فيها ، وكل باب من السماء يصعد منه عمله ويترك منه رزقه أربعين ليلة .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه ، أقامت المصنّعة من الملائكة عند جسده ، فلا يلقه بنو آدم لشقّ إلاّ عليه الملائكة قبلهم ، وغسلته وكفّته بأكفان قبل أكفان بنى آدم ، وحشوظ قبل حشوظ بنى آدم ، ويقوم من بين باب بيته إلى باب قبره صنّان من الملائكة ، يستقبلونه بالاستنفار ، فيصيح عند ذلك إيليس صيحة تصدع منها عظام جسده - قال : ويقول لجنوده : الويل لكم ، كيف خلّص هذا العبد منكم ، فيقولون : إن هذا كان هذا معصوماً .

قال : فإذا صعد ملك الموت بروحه ، يستقبله جبريل في سبعين ألفاً من الملائكة ، كلّ يأتيه بشارة من ربه سوى بشارة صاحبه - قال : فإذا انتهى ملك الموت بروحه إلى العرش ، خرّ الروح ساجداً - قال يقول الله عز وجل الملك الموت : انطلق بروح عبدي فضعه في صدر مخضود ، وطلع منضود ، وظلّ ممدود ، وماء مسكوب .

(١) النّبيأثر : جمع عبارة ، يكسر الصاد وهي : اللّيلة والمزمنة .

(٢) المسك الأذفر : الجيد إلى القاية .

(٣) مكان هذه الكلمة في المصنّعة : ( ويضوّه ) ، دون فقط ولم يند إليها ، والكتب من الطبقات السابعة .

(٤) أي : تتشاكل .

(٥) أي : يصرن إليه ، يقال للإنسان إذا نظر إلى الشيء فاصبحه واشتبهه وأسرّ نحوه : قد عجز إليه .

قال : فإذا وضع في قبره ، جماعته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجماعته الصيام فكان عن يساره ، وجماعته القرآن فكان عند رأسه ، وجماعته مشي إلى الصلاة فكان عند رجله ، وجماعته الصبر فكان ناحية القبر . قال : فيبعث الله عز وجل هُنُؤًا (١) من العذاب . قال : فيأتيه عن يمينه قال فتقول الصلاة ورائك والله ما زال داخبا عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره . قال : فيأتيه عن يساره ، فيقول الصيام مثل ذلك . قال : ثم يأتيه من عند رأسه ، فيقول القرآن والذكر مثل ذلك . قال : ثم يأتيه من عند رجله ، فيقول مشي إلى الصلاة مثل ذلك . فلا يأتيه العذاب من ناحية ، يلتصق هل يجد إليه مساعًا إلا وجدك وله الله قد أخذ جنته . قال : فينقم العذاب عند ذلك فيخرج . قال : ويقول الصبر لسائر الأعمال : أما إنه لم يمتنع أن أباشر أنا بنفسى إلا أنى نظرت ماعدكم ، فإن عجزتم كنت أنا صاحبه ، فأما إذ أجزأتم عنه فأنا له خضر عند الصراط والميزان .

قال : وبعث الله ملكين أبصارهما كالبرق لمخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، وأنيابهما كالصايغى ، وأنفاسهما كالطليق ، يملآن في أشعارهما (٢) ، بين منكب كل واحد مسبرة كلها وكلها ، وقد لزعت منهما الرأفة والرحمة ، يثاق لهما ، منكر ونكير ، في يد كل واحد منهما مطرقة ، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يكسرها (٣) . قال : فيقولان له : اجلس : قال : فيجلس فيستوى جالسا : قال : وتبع أكفانه في حقبة (٤) ، قال : فيقولان له : من ربك وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

قال : قالوا : يا رسول الله ، ومن يطيق الكلام عند ذلك ، وأنت تصف من للملكين ما تصف ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يبيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وبفضل الله الظالمين ، وبفضل الله ما يباهى ) .

قال : فيقول : ربك الله وحده لا شريك له ، ودينى الإسلام الذى دانت به الملائكة ، ونبيى محمد خاتم النبيين . قال : فيقولان : صدقت : قال : فيدفعان القبر ، فيوسعان من بين يديه أربعين ذراعا ، وعن يمينه أربعين ذراعا ، وعن شماله أربعين ذراعا ، ومن خلفه أربعين ذراعا ، ومن عند رأسه أربعين ذراعا ، ومن عند رجله أربعين ذراعا . قال : فيوسعان له مائتى ذراع .

قال البرهان : فله فيه « وأربعين ذراعا لمخاط به »

قال : ثم يقولان له : انظر فوقك ، فإذا باب مفتوح إلى الجنة ، قال : فيقولان له : ولى الله ، هذا متراك إذ أطعت الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفس محمد بيده ، إنه يصل إلى قبله عند ذلك فرجة ، ولا ترد أبداً » ، ثم يقال له : انظر تحتك : قال : فينظر تحته فإذا باب مفتوح إلى النار . قال : فيقولان : ولى الله .

(١) أى : قطعة منه . وينظر ذبا تقدم : ٢٧٩/٣ .

(٢) فى المخاطفة : « يملآن » . وسأله عن الصواب بعد . وصنى . يملآن فى أشعارهما » . الأسماء : جمع شر . يصف الملكيه بطول الشعر حتى لهما لمسير أن عليه ؟

(٣) أى : لم يكسرها .

(٤) أى : الخضر .

يحيى آخر ما عليك - قال : هـاك رسول الله صلى الله عليه وسلم - إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك فرصة لا ترد أبدا .  
قال : هـالت حادثة ! ففتح له سبعة وسبعون بابا إلى الجنة ، فأبى ربحها وبرحها ، حتى يبعث الله من وجل .

وبالإسناد المضمّن إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : ويقول الله تعالى ملك الموت : انطلق إلى عدوى ثأني به .  
فإنى قد بسطت له رزقى ، ويسّرت له نعمتى ، فأبى إلا مصيئى ، فأبى به لأنتقم منه .

قال : فينطلق إليه ملك الموت فى آخره صورة رآها أحد من الناس قطّ ، له اثنتا عشرة عينا ، ومعه سفوف من النار كبير الشوك ، ومعه خمسة من الملائكة ، معهم نحاس وجنّ من جمر جهنّم ، ومعهم سياط من نار ، لينها لمن السياط وهى نار تأجج - قال : فيضربه ملك الموت بذلك السفوف ضربة ينيب كل أصل شوك من ذلك السفوف فى أصل كل شجرة وعرق وفقر . قال : ثم يلويه ليا شديدا - قال : فيترع روحه من أظفار كليمه ، قال : فيلقبها فى حقيقه (١) ثم يسكر عند ذلك عدو الله سكرة ، فيرفه ملك الموت عنه . قال : وتضرب الملائكة وجهه ودبره بملك السياط ، قال : فيشده ملك الموت شدة ، فيترع روحه من حقيقه ، فيلقبها فى ركبتيه ، ثم يسكر عدو الله عند ذلك سكرة ، فيرفه ملك الموت عنه - قال : فتضرب الملائكة وجهه ودبره بملك السياط (٢) قال : ثم يتره (٣) ملك الموت تتره ، فيترع روحه من ركبتيه فيلقبها (٤) فى حقويه - قال : فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة ، فيرفه ملك الموت عنه ، قال : وتضرب للملائكة وجهه ودبره بملك السياط ، قال كذلك إلى صدره ، ثم كذلك إلى خلفه ، قال : ثم تبسط للملائكة ذلك النحاس وجمر جهنّم تحت ذنّه ، قال : ويقول ملك الموت : انخرجى أبنتا الروح العقيمة للملونة إلى سبوم وحميم ، وظل من محموم ، لا بارد ولا كرم .

قال : فإذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جراك الله حتى شرا ، فقد كنت سريعا فى إلى معصية الله ، بطيئا فى عن طاعة الله ، فقد هلكت وأهلك - قال : ويقول الجسد الروح مثل ذلك ، وتلعنه بتاع الأرض التى كان يصي الله عليها ، وتتعلق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا عبدا من ولد آدم النار ، قال : فإذا وضع فى قبره غُيِّب عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، حتى تلتحل اليمنى فى اليسرى ، واليسرى فى اليمنى - قال : ويبحث الله إليه أظاعى دُحما كأعناق الإبل يأخذن بأرنبته (٥) وإبائى فليمه فيقرضه حتى يلتقي فى وسطه .

قال : ويبحث الله ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف ، وأصبرهما كالرعد القاصف ، وأبأبهما كالصياصى ، وأنفاهما كالذهب ، يطان فى أثمانهما ، بين منكبى كل واحد منهما مسيرة كلا وكلا ، قد نزعتهما الرأفة والرحمة ، يقال لهما : منكروا وكفى ، فى يد كل واحد منهما مطرقة ، لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يثقلوها - قال : فيقولان له :

(١) فى المخطوطة : و فيلقبها فى ركبتيه . و قد أثبتنا ما فى الطبقات السابقة و رعاية لسياق .

(٢) ما بين القوسين للمؤلفين فقط من المخطوطة . وهو سقط نظر ، أثبتناه من الطبقات السابقة .

(٣) انتر : الجلب بجلد .

(٤) فى المخطوطة : و فيترع روحه من حقيقه فيلقبها فى ركبتيه ، فيلقبها فى حقويه . وللتب من الطبقات السابقة .

(٥) الأرنبة : طرف الأنف .

اجلس : قال : فيستوى جالسا - قال : ولقد أكلناه في حكمه ، قال : فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومع ليك ؟ فيقول : لا أدري . فيقولان : لا حرب ولا تلتيت ، فيضربانه ضربة يطاير شرها في قبره ، ثم يعودان - قال : فيقولان : انظر فرقك . فينظر ، فإذا باب مفتوح من الجنة ، فيقولان : هذا - عدو الله - متراك لو أعلمت الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى قضى بيده ، إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترد أبدا » . قال : ويقولان له : انظر تحتك . فينظر تحته ، فإذا باب مفتوح إلى النار ، فيقولان : عدو الله - هذا متراك إذ عصيت الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى قضى بيده إنه ليصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترد أبدا » . قال : وقالت عائشة : ويقتح له سبعة وسبعون بابا إلى النار ، يأتيه حرها وسومها حتى يبعثه الله إليها . هذا حديث غريب جداً ، وسياق عجيب ، وي زيد الرقاشي - رايه عن أنس - له خرائب ومتكرات ، وهو ضعيف الرواية عند الأئمة ، والله أعلم .

ولهذا قال أبو داود : حدثنا إبراهيم بن موسى الرزائي ، حدثنا هشام - هو ابن يوسف - عن عبد الله بن بَحِير ، عن هانيء بن عثمان ، عن عثمان بن عفان قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه فقال : « استغفروا لأخيكم ، وأسألوا له بالتبنيث ، فإنه الآن يسأل » . انفرده أبو داود (١) ، وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مردويه عند قوله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون من خيرات الموت والمالكة باسطو أيديهم » الآية ، حديثاً مطولاً جداً ، من طريق غريب ، عن الضحاك ، عن ابن عباس مرفوعاً ، وفيه خرائب أيضاً .

• أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قُلُوبَهُمْ دَارَ الْبُورِ ۚ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَمَنْ أَسْفَلَ الْقُرْآنِ ۚ  
تَسْعَوْا فِيهِ أَعْدَادًا يُبْسِلُ عَنْ سَيِّدِهِ قُلْ تَحْسَبُوا أَنِّي مَصِيرٌ كَمَا لَسْتُ ۖ

قال البخاري : قوله : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا » : أَلَمْ تَعْلَم ؟ كقولهم : ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ) ، ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا ) ، البور : الفلاك ، يارب يور بؤراً ، و( قوما بوراً ) : حالكين . حدثنا علي بن عبد الله - حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن عطاء سمع ابن عباس : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ) قال : هم كفار أهل مكة (٢) .

(١) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز ، باب : الاستغفار عند القبر الحديث ، الحديث ٣٢٢١ : ٢/٢١٥ .  
(٢) البخاري ، تفسير سورة إبراهيم ، الآية ٥٥ .

#### تفسيره

من هذه الآية يصحح أصحابنا في تخريج آثار الطبري عن الطلبة الأميرية ، وسوف قلبه من ذلك أيضاً [ إن شاء الله في آخر ] هذا المبدأ ، وأما أن : « بالفضل ينهى أن تشبهنا بالمثل المثل الذي تشبه الحق الكبير الاستعداد عمود عند شاعر ، في الأجزاء التي صدرت من تفسير الطبري ، فقد أفندنا من ذلك أيما أفاندة . ولما قال الله أن : « هذا تفسير إلهي » . حتى يمد به التفسير ، إنه هو سيد .

وقال العرقى ، عن ابن عباس أن هذه الآية هو جبلته بين الأجم ، والذين اتبعوه من العرب ، فشقوا بالروم (١) .

والمشهور الصحيح عن ابن عباس هو القول الأول ، وإن كان المعنى يحتمل جميع التكابر ، فإن الله تعالى بعث هدىً صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، ونعمة للناس ، فمن قبلها وقام بشكرها فعل الجته ، ومن رذها وكفرها فعل النار .

وقد روى عن علي بنو قول ابن عباس الأول ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا شعبة ، عن القاسم بن أبي يزة ، عن أبي الطفيل : أن ابن الكثره سأله علياً عن : ( الذين بدلوا نعمت الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ) قال : كفار قريش يوم بدر (٢) .

حدثنا المنذر بن شاذان ، حدثنا يحيى بن عبيد ، حدثنا بسام - هو البصري - عن أبي الطفيل قال : جاء رجل إلى علي فقال : يا أمير المؤمنين ، من الذين بدلوا نعمت الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال : منافق قريش (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن فضال قال : قرأت على معقل ، عن ابن أبي حاتم قال : قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ألا أحد يسألني عن القرآن ، فوافقه لو أعلم اليوم أحدًا أعلم مني به ، وإن كان من وراء البحار ، لأتيته . فقام عبد الله بن الكواء فقال : من قلّين بدلوا نعمت الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ؟ فقال : مشركو قريش ، اتهم نعمت الله : الإيمان ، فبدلوا نعمت الله كفرًا ، وأحلوا قومهم دار البوار .

وقال السدي في قوله : ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرًا ) الآية ، ذكر مسلم المسعودي (٤) عن علي أنه قال : هما الأجهران من قريش : بنو أمية ، وبنو المنيرة ، فلما بنو المنيرة فأحلوا قومهم دار البوار يوم بدر ، ولما بنو أمية فأحلوا قومهم دار البوار يوم أحد . وكان أبو جهل يوم بدر ، وأبو سفيان يوم أحد ، ولما دار البوار ففهم جهنم .

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا الحارث بن منصور ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن عمرو بن مرة قال : سمعت علياً قرأ هذه الآية : ( وأحلوا قومهم دار البوار ) ، قال : هما الأجهران من قريش ، بنو أمية وبنو المنيرة ، فلما بنو المنيرة فأهلكتهم يوم بدر ، ولما بنو أمية فقتلوا إلى حين .

ورواه أبو إسحاق ، عن عمرو بن مرة ، عن علي ، نحوه : وروى عن غير وجه عنه .

وقال سفيان الثوري ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن سعد ، عن عمرو بن الخطاب في قوله : ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرًا ) ، قال : هما الأجهران من قريش : بنو المنيرة وبنو أمية ، فلما بنو المنيرة فكفروا بيسوع يوم بدر ، ولما بنو أمية فقتلوا إلى حين .

(١) تفسير الطبري ١٣/ ١٤٨ .

(٢) وفي أخرجه الطبري في تفسيره . من غير طريق شعبة ١٣/ ١٤٦ .

(٣) وأخرجه الطبري أيضاً ١٣/ ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٤) في الخطوط : « المسعودي » ، « لم نجد » .

وكذا رواه حمزة الزيات ، عن عمرو بن مرة قال : قال ابن عباس لعمر بن الخطاب : يا أمير المؤمنين ، هذه الآية : (الذين يدعون نعمة الله كثيراً وأعطوا غلهم دار البوار) ، قال : هم الأنجران من قريش ، أنحوال وأعمالك فاما أنحوال فاستأصلهم [ الله ] يوم بدر ، وأما أعمالك فأمل الله لهم إلى حين (١) :

وقال مجاهد وسعيد بن جبهر والنسائي وقتادة بن زيد : هم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر وكلما وواه ملك في تفسيره من نافع ، من ابن عمر :

وقوله : (وجعلوا لله أنداداً ليضلوا من سيئه) (٢) ، أي : جعلوا له شركاء يضلونهم معه ، وحذروا الناس إلى ذلك .

ثم قال تعالى مهذباً لهم ومتوجهاً لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : (قل تحسبوا أن مصيركم إلى النار) ، أي : أيهما قدرتم عليه في الدنيا فافعلوا ، فبهما يكن من شيء (فإن مصيركم إلى النار) ، أي : مرجعكم وموئلكم إليها ، كما قال تعالى : (تحتهم فلا تظلمهم إلى عذاب عظيم) ، وقال تعالى : (متاع في الدنيا) ثم ألبنا مرجعهم ، ثم نلبيهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون (٣) .

قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَى ۝١٣

يقول تعالى أمر العباد بعبادته والقيام بحقه ، والإحسان إلى خلقه ، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأدائه الزكوات ، والنفقة على القربيات والإحسان إلى الأجانب .  
والمراد بالآيات هو : المحافظة على وقتها وحصولها ، وركوعها وعشوها وسجودها .

وأمر تعالى بالإتقان مما رزق في السر ، أي : في الخفية ، والعلانية وهي : الجهر ، وليبادروا إلى ذلك تخلصاً أنفسهم ، (من قبل أن يأتي يوم) ، وهو يوم القيامة ، وهو يوم (لا يبيع فيه ولا يخل) ، أي : لا يقتل من أحد فدية بأن تباع نفسه ، كما قال تعالى : (فاليوم لا يخط منكم فدية ولا من الذين كفروا) (٤) .

وقوله : (ولا يخل) ، قال ابن جرير : يقول : ليس هناك مَحَالَةٌ خَليل ، فيصَحَّح من استوجب العقوبة من العقاب لمَحَالَتِهِ ، بل هناك الملك والقسط ، فالخلل مصدر ، من قول القائل : (خالقت فلانة) ، فأنما مَحَالَتُهُ وخلال : ومع قول امرئ القيس : (٥)

صَرَحْتُ لَكُلْوِي حَتَّى نَنْزِلَ مِنْ عَشِيَةِ الرَّدَى • وَكُنْتُ بِمَقَلِّ الْخِلَالِ وَلَا فَكَلِ

وقال قتادة : إن الله قد علم أن في الدنيا يورث وخلالاً يتخالون بها في الدنيا ، فينظر رجل من خلل وعلام صاحبه ، فإن كان له فليأمر ، وإن كان لغير الله فيقطع (٦) عنه .

(١) تفسير الطبري : ١٣/١٤٦ .

(٢) سورة لقان : آية ٢٤ .

(٣) سورة يونس : آية ٩٠ .

(٤) سورة الحديد : آية ١٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٣/١٤٩ .

(٦) لفظ الطبري : « وإن كان لغير الله فليأمر » ، الأثر في التفسير : ١٣/١٤٩ .



ذلك : والمراد من هذا أنه غير تعالى أنه لا يبيع أسلماً ببيع ولا غلبة ، ولو اقتضى بملء الأرض ذهباً لو وجده ، ولا ينفقه صدقة أحد ، ولا شفاعه أحد إذا لقي الله كافراً ، قال الله تعالى : ( واتقوا يوماً لا يجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ، ولا تلقى بها شفاعة ، ولا هم ينصرون (١) ) ، وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا ، أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون (٢) ) .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَائِكَ لَتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ سَاطِئًا ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَافِعِينَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، وَفَعَلَ كُلًّا مِثْلَ مُنْقَضِهِمْ ، وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَالُومٌ كَفَّارٌ (٣)

يعدده تعالى نعمته على خلقه ، بأن خلق لهم السموات سقفا محفوظاً ، والأرض فراشاً ، وأنزلك من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى ، ما بين ثمار وزروع ، مختلفة الألوان والأشكال ، والطعوم والروائح والمنافع ، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر ، تجري عليه بأمر الله تعالى ، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر ، لجلب ما هنا إلى هناك ، وما هناك إلى هاهنا ، وسخر الأنهار تنشق الأرض من قطر إلى قطر ، ورضا للبهاد من هرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع .

( وسخر لكم الشمس والقمر دافعين ) ، أي : يسيران لا يقران ليلاً ولا نهاراً ، ( لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون (٣) ) ، ( ينشئ الليل النهار يطليه شيثاً ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين (٤) ) ، فالشمس والقمر يتماقيان ، والليل والنهار يتقارضان ، فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول ، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر ، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار (٥) . [ وقال تعالى : ( يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجري لأجل مسمى (٦) ) .

وقوله : ( وآتاكم من كل ما سألتموه ) ، يقول : هيا لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم ما تسألوه بها لكم وقالكم ؟ .  
وقال بعض السلف من كل ما سألتموه وما لم تسألوه (٧) .

(١) سورة البقرة : آية : ١٢٣ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٥٤ .

(٣) سورة يس : آية : ٨٠ .

(٤) سورة الأعراف : آية : ٥٤ .

(٥) سورة النازعات : آية : ١٣ .

(٦) ما بين التوسمين سقط من المخطوطة ولا بد من إلجائه ، ونسب أنه سقط نظر . وهو من الآية رقم ٥٠ .

سورة الزمر .

(٧) رواه الطبري عن ركانة بن حاتم ، والفساحك بن مزاحم ١٤٥ : ١٥٠ .

وقرأ بعضهم : « وآتاكم من كل شيء ما سألتموه » (١) .

وفيه : « وإن دعوا لعملة الله لا تحسوها » ، خبر عن حيز الجهاد من تعداد الثم فضلا عن القيام بشكرها ، كما قال طلق بن حبيب رحمه الله : إن حتى الله أقل من أن يقوم به العباد ، وإن تم الله أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أصبحوا ثوابين وأمسوا ثوابين (٢) .

وفي صحيح البخاري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم ، لك الحمد غير مكفئ ولا مودع ، ولا مستغنى عنه يومئذ (٣) » .

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا إسحاق بن أبي الحارث ، حدثنا داود بن المغيرة ، حدثنا صالح المري ، عن جابر بن زيد الحمدي ، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة خادوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه التمس من الله تعالى عليه ، فيقول الله لأصغر نعمته - أحسبه قال : في ديوان التمس - خلى ثمنك من عمله الصالح ، فتستويب عمله الصالح كله ، ثم تتحنن وتقول : وعزتك ما استوفيت ، وتبي الذنوب والتمم فإذا أراد الله أن يرحم قال : يا هيدى ، قد ضاقت لك حسنتك وتجاوزت عن سيئاتك - أحسبه قال : ووهبت لك نسي - غريب ، وسنده ضعيف .

وقد روي في الأثر : أن داود عليه السلام قال : يا رب ، كيف أشكرك وشكرى لك نعمة منك حل ؟ فقال الله تعالى : لأن شكرني يا داود ؛ أي : حين اعترفت بالتقصير عن أداء شكر التمس .

وقال الشافعي رحمه الله : « الحمد لله الذي لا يوحى شكر نعمة من نعمة ، إلا بنعمة (٤) توجبها حل مؤدي ما في نعمته بأهانتها ، نعمة حادثة توجب (٥) عليه شكره بها » .

وقال القائل في ذلك :

لو كل جملتك متى لما لفتة      تقضى حيكك بما أوليت من حسن  
لكن ما زدت شكرى إذ شكرت به      إليك أبلغ في الإحسان والمن

(١) نسخا أبو حيان في البحر المحيط : ٢٢٨/٥ إلى ابن عباس والفسحانك وآخرون ، وقال الطبري في توجيها ١٥٠٪ ١٣ : « بمن » ، وآتاكم من كل شيء لم تسألوه ولم تطلبوه منه ، وذلك أن العباد لم يسألوه الشمس والقمر ، والماء واليابس ، وخلق ذلك لهم من غير أن يسألوه . وقال بعد : « والصواب أن القول في ذلك عندنا القراءة التي عليها قراءة الأماص » ، وذلك إضافة « كل » إلى « ما » ، « بمن » ، وآتاكم من مولكم شيئا ، حل ما قد يتأخر ، لإيجاع الحجة من القراءة عليها ، ورفضهم القراءة الأخرى .

هذا وقد ذكر أبو حيان توجيها آخر لهذه القراءة ، وهو أن « ما » موصولة مفعول ثان لأن ، والمضى ، وآتاكم ما شأه أن يسأل ، « بمن » يطلب للاضطراح .

(٢) تفسير الطبري ١٥١٪ ١٣ .

(٣) البخاري : كتاب الأطعمة ، باب : ما يقول إذا فرغ من طعامه ، عن أبي أمامة ، ١٠٦٪ ٧ .

(٤) في المضطربة : « إلا بنعمة حادثة » - نلفظنا كلمة « حادثة » - موافقة لرسالة الإجماع الشافعي .

(٥) في الرسالة ٧ : « نعمة حادثة يجب عليه شكره بها » .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿١﴾ رَبِّ اجْعَلْ لِي زَكَاةً وَسَخِّرْ لِي الشَّيْءَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢﴾

يذكر تعالى في هذا المقام معجزة على مشركي العرب ، بأن البلد الحرام مكة إنما وضعت أول ما وضعت على عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن إبراهيم الذي كانت عامرة بعبادة آلهة تبارأ من عبدة الله (١) وأنه دعا مكة بالأمن فقال : ( رب ، اجعل هذا البلد آمناً ) ، وقد استجاب الله له ، فقال تعالى : ( أولم يروا أننا جعلنا محرماً آمناً وَيُشَخَّطُونَ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ ) (٢) ، وقال تعالى : ( إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً (٣) ، وقال في هذه القصة : ( رب ، اجعل هذا البلد آمناً ) (٤) ففرقه كأنه دعا به بعد بنائها ، ولهذا قال : ( الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ) ، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة ، فإما حين ذهب بإسماعيل وأمه وهو رضيع إلى مكان مكة ، فإنه دعا أيضاً فقال : ( رب اجعل هذا بلداً آمناً ) (٥) ، كما ذكرناه هناك في سورة البقرة مستقصى مفولاً .

وقال : ( واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ) ، ينهي لكل دواع أن يدعو لنفسه ولوالديه وللربطة . ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلافاً من الناس وأنه يرى بمن عبدها ، ورد أمرهم إلى الله ، إن شاء علمهم ، وإن شاء غفر لهم ، كما قال عيسى عليه السلام : ( إن تعلمهم فلأنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فلأنك أنت العزيز الحكيم ) (٦) وليس في هذا أكثر من الرد على مشقة الله تعالى ، لا تجوز وقوع ذلك ، قال عبد الله بن وهب : حدثنا عمرو بن الحارث ، أن بكر بن سوادة حدثه ، عن عبد الرحمن (٧) بن جبير عن عبد الله بن عمر : وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول إبراهيم ( رب إنهم أضلأل كثير ) من الناس فمن تبني فإنه مني ، ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام : ( إن تعلمهم فلأنهم عبادك وإن تغفر لهم فلأنك أنت العزيز الحكيم ) ورفع يديه ، قال : اللهم آمني ، اللهم آمني ، اللهم آمني ، وبكى فقال اذهب إلى محمد - وربك أعلم - وسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسله ، فخير به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، فقال الله ، اذهب إلى محمد ، فقل له : إنا سرضيك في أمثلك ولا نسوئك (٨) .

- 
- (١) وجهه الإحجاج بذلك : أن العرب كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم ، فبيئت لهم الآية أنهم كاذبون في هذا الادعاء . فقد تبارأ إبراهيم عليه السلام من شرك وأهله .
  - (٢) سورة التكوين آية ٦٧ .
  - (٣) سورة آل عمران آية ٩٦ ، ٩٧ .
  - (٤) سورة إبراهيم آية ٣٩ .
  - (٥) سورة البقرة آية ١٢٦ . وينظر فيما تقدم ٢٤٩/١ - ٢٥٢ .
  - (٦) سورة المائدة آية ١١٨ .
  - (٧) في المخطوطة : عبد الرحمن بن جبريل . وهو خطأ . وللتبسيط الطبري . والجرح لابن أبي حاتم .
  - (٨) ٢٢١/٢/٢ .
  - (٩) تفسير الطبري ١٥١/١٧ - ١٥٢ .

وَبَيْنَا إِلَىٰ أَسْنَتَيْنِ يَوْمَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ  
تَهْتَدِي إِلَىٰ آلِهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾

وهذا يدل على أن هذا دعاء ثان بعد الدعاء الأول الذي دعا به عند ما ولى عن هاجر وولدها ، وذلك قبل بناء  
البيت ، وهذا كان بعد نثائه ، تأكيداً وروحية إلى الله عز وجل ، ولهذا قال : ( عند بيتك المحرم ) .

وقوله : ( ربنا ليقيموا الصلاة ) قال ابن جرير : هو متعلق بقوله : ( المحرم ) ، أى : إنما جعلته محرماً ليتمكن  
أهله من إقامة الصلاة عندهم (١) .

( فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ) ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير : لو قال : أفئدة الناس ،  
لازدهم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكن قال : ( من الناس ) . فاختص به المسلمون (٢) .

وقوله : ( وارزقهم من الثمرات ) ، أى : ليكون ذلك عوناً لهم على طاعتك وكما أنه ( واد غير ذى زرع ) فاجعل  
لهم ثماراً يأكلونها ، وقد استجاب الله ذلك ، كما قال : ( لو لم تكن لهم حرماً آمناً يجيب إليهم ثمرات كل شئ ، رزقاً  
من لانا (٣) ) ، وهذا من لطفه تعالى وكرمه ورحمته وبركته : أنه ليس في البلد الحرام مكة شجرة مثمرة ، وهى  
جيب إليها ثمرات ما حولها ، استجابة لخيله إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وَبَيْنَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا نَحْنِي وَمَا نَعْنِي وَعَلَىٰ آلِهِمْ وَفِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي هَدَىٰ عَلَىٰ الْكَبِيرِ ائْتِمَاعِي وَائْتِمَاعِي إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿١٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُسْمِعَ الصَّلَاةِ وَفِي  
فَرْيَاقِي رَبِّكَ وَتَقْبِلْ دُعَاءِي ﴿٢٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٢١﴾

قال ابن جرير (٤) : يقول تعالى غيراً عن إبراهيم خيله أنه قال : ( ربنا إنك تعلم ما نحني وما نعن ) ، أى : أنت  
تعلم قصدى في دعائى وما أردت بهائى لأهل هذا البلد ، وإنما هو القصد إلى رضاك والإخلاص لك ، فإنك تعلم الأشياء  
كلها ظاهراً وباطناً ، ولا يخفى عليك منها شئ في الأرض ولا في السماء .

ثم حمد ربه عز وجل على ما رزقه من الولد بعد الكبر ، فقال : ( الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل  
وإصاحاً إن ربي لسميع الدعاء ) ، أى : إنه يستجيب لمن دعاه ، وقد استجاب لى فيها سأله من الولد .

(١) تفسير الطبري : ١٣/١٥٤ .

(٢) يضى من آمن من أتباع الأنبياء من لدن إبراهيم إل محم عليهم السلام ؛ فإنهم جميعاً مسلمون بمنس التنزيل . وينظر  
لتفسير الطبري : ١٣/١٥٤ .

(٣) سورة القصص ، آية : ٥٧ .

(٤) ينظر نفس الطبري في تفسيره : ١٣/١٥٥ .

ثم قال : ( ربه اجعلني مقيم الصلاة ) ، أى : حافظاً عليها مقبلاً لحدودها ، ( ومن ذريتي ) ، أى : وجميعهم كذلك مقيمين الصلاة ، ( وبنا ونهمل دعاء ) ، أى : فيما سألتك فيه كله .

( ربنا اغفر لى ولوالدى ) ، وقرأ بعضهم : ( ولوالدى ) ، على الأفراد (١) . وكان هذا قيل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل ، ( ونمؤمنين ) ، أى : كلهم ، ( يوم يقوم الحساب ) ، أى : يوم تحاسبه عبادك فتجزئهم بأعمالهم ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿١٠﴾ مَهْلِكِينَ مَقْتَبِينَ  
رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١١﴾ وَأَنْزِلْنَا النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْغُتَابُ

يقول : ولا تحسبن الله - يا عباد - غافلاً عما يعمل الظالمون ، أى : لا تحسبه إذ أنظركم وأجهلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم ، لا يعاقبهم على صنهم ، بل هو يحصى ذلك عليهم ويعدّه عدلاً ، أى : ( إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ) ، أى : من شدة الأحوال يوم القيامة .

ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم ومجيئهم إلى قيام النشور فقال : ( مهملين ) ، أى : مسرعين ، كما قال تعالى : ( مهملين إلى الداع ) (٢) ... الآية ، وقال تعالى : ( يومئذ يبعثون للناس لا عوج له وغمضت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ) إلى قوله : ( وبعث الوجوه للناس يومئذ وقد غاب من حمل ظلمنا (٣) ) ، وقال تعالى : ( يوم يخرجون من الأحياض سراها كأنهم إلى نصب يوفضون (٤) ) .

وفوله : ( مقتبى وعوسهم ) ، قال ابن عباس ، وعاهد وغير واحد : راضى وعوسهم .

( لا يرتد إليهم طرفهم ) ، أى : أبصارهم طائفة شاخصة ، يذبحون النظر لا يطرفون لحظة ما هم فيه من المهول والفكرة والخائفة ، لا يحل لهم - عباداً بالله العظيم من ذلك ، ولهذا قال : ( وأفئدتهم هواء ) ، أى : وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجع والخوف . ولهذا قال قتادة وجماعة : إن أكمة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الخائض قد خرجت من أماكنها من شدة الخوف . وقال بعضهم : ( هواء ) ، خراب لا تبقى شيئاً ، ولتدة ما أنشبر (٥) الله تعالى عنهم . قال لرسوله : ( وأنزل الناس يوم يأتيهم الغتاب )

(١) قال أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٥ : « وقرأ ابن جبر : ( ولوالدى ) ، بإسكان الياء على الأفراد » كقولهم : « واغفر لأبي » .

(٢) سورة القصص ، آية : ٨ .

(٣) سورة طه : ١٠٨ - ١١١ .

(٤) سورة الماعوج ، آية : ٤٣ .

(٥) في الخطوطة : « لفظة » . وقد زحنا « البراء » ليستقيم السياق .

فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آتِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَّحِبَّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعَ الرَّسُولَ لَعَلَّاهُمْ أَقْسَمُ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ﴿١٠﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْآمَثَالَ ﴿١١﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِيَتَزُولَ مِنْهُ الْجَبَلُ ﴿١٢﴾

يقول تعالى عبراً عن قيل الذين ظلموا أنفسهم ، عند معاناة العذاب : ﴿ ربنا آتينا إلى أجل قريب ، نجيب دعوتك واتباع الرسل ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحفاد الموت قال : رب ارجعونا ﴾ ، لعل أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون (١) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن بخل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول : رب ، لو لا أخرتني إلى أجل قريب ، فأصدق وأكن من الصالحين (٢) ، وقال تعالى خبراً عنهم في حال عسرهم : ﴿ ولوترى إذ أُهبطوا بكأسهم يمشون على أعقابهم حثيثاً ﴾ ، ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون (٣) ، وقال تعالى : ﴿ ولوترى إذ أقفروا على النار قالوا : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو دعوا لعادوا لما تنهاه وإنهم لكاذبون (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وهم يصطرون فيها ﴾ ربنا ، أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، أولم نمركم ما يذكر فيه من التكبر وجاهكم التلذذ ، فلو قوا فما للظالمين من نصير (٥) .

وقال تعالى وإذا عليهم في قرعهم هذا : ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ ، أى : أولم تكونوا مخلوقون من قبل هذه الحال ، أنه لا زوال لكم مما أنتم فيه ، وأنه لا معاد ولا جزاء ، فلو قوا هذا بذلك :

قال مجاهد وغيره : ﴿ ما لكم من زوال ﴾ ، أى : ما لكم من انتفاء من الدنيا إلى الآخرة ، كما أخبرهم تعالى : ﴿ وأنقسموا بالله جهد أماتهم لا يبعث الله من يبعث الله من يولى وعدنا عليه حقاً (٦) ﴾ .

﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال ﴾ ، أى : قد رأيتم وبليغكم ما أحلنا بالأمم المكذبة قبلكم ، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ، ولم يكن فيا أوقناهم مزدجر لكم ، (حكمة بالغة فما تنهى التلذذ (٧) ) .

(١) سورة المؤمنين ، آية : ٦٩ ، ١٠٠ .

(٢) سورة المنافقون ، آية : ٩٥ ، ٩٦ .

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٧ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٢٧ ، ٢٨ .

(٥) سورة قاطر ، آية : ٣٧ .

(٦) تفسير الطبري ، ١٣ : ١٣٩ .

(٧) سورة قيس ، آية : ١٠٠ .

وقد روى شعبة : عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن أن عليا رضي الله عنه قال في هذه الآية : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَمٌ لِّتُرْوَى مِنْهُ الْجِبَالُ ) ، قال : أصل ذلك للذي حاج إبراهيم في ربه تسعين صخورين ، فربما حتى استنظا واستنظا (١) وفيها - قال : فأوتى رجل كل واحد منهما يرتد إلى تابوت ، وجوهما ، وفقد هو ورجل آخر في التابوت - قال : ووقع في التابوت عصا على رأسه الدم - قال : فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ، ما ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال أرى الدنيا كلها كأنها ذباب - قال : فقال : صوب العصا ، فصبها ، فهبها - قال : فهو قول الله عز وجل : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَمٌ لِّتُرْوَى مِنْهُ الْجِبَالُ ) - قال أبو إسحاق : وكنكك هي في قرعة عبد الله : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَمٌ (٢) ) .

قلت : وكذا روى عن أبي بن كعب ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قرآ : ( وَإِنْ كَانَ ) ، كما قرأ أهل « وكذا رواه سفيان الثوري ، وإسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أذنان (٣) ، عن علي ، فذكر نحوه » وكذا روى عن حكيم أن سياق هذه القصة للتبرؤ ملك كتمان : أنه رام أسباب السباب بهذه الحيلة والمكر ، كما رام ذلك بعده فرعون ملك القبط في بناء السرح ، فجبرا وضغفا . وهما أهل وأحقر ، وأصغر وأدحر .

وذكر مجاهد هذه القصة عن مختصر ، وأنه لما انقطع بصره عن الأرض وأهلها ، نودي أبنا الطاغية : أين تريد ؟ (فَنَظَرُوا) ، ثم سمع الصوت ، فوقع نصب الرياح ، فصوبت السور ، ففزع الجبال من هبتها ، وكادت الجبال أن تزول من حمس ذلك (٤) فذلك قوله : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَمٌ لِّتُرْوَى مِنْهُ الْجِبَالُ ) (٥) .

وقيل ابن جرير عن مجاهد أنه قرأها (لَتُرْوَى مِنْ الْجِبَالِ) ، يفتح اللام الأولى ، وضم الثانية .

وروى العوفي عن ابن عباس في قوله : ( وَإِنْ كَانَ مَكْرَمٌ لِّتُرْوَى مِنْ الْجِبَالِ ) ، يقول : ما كان مكرما لتزول منه الجبال ! الجبال (٦) . وكذا قال الحسن البصري ، ووجه ابن جرير بأن هذا الذي فعلوه بأنفسهم من كفرهم بالله وشركهم به . ما ضر ذلك شيئا من الجبال ولا غيرها ، وإنما عاد وبأل ذلك حل أنفسهم .

قلت : ويشبه هذا إذا قرأ قوله تعالى : ( وَلَا تَحْسَبِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا : إِنَّكَ لَن تَخِرْقَ الْأَرْضُ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالُ طُولًا ) (٧)

(١) في المخطوطة : « واستنظا » . والمصواب عن تفسير الطبري : وفي اللسان : « واستنظج الرجل : خرجت شية وخلف وافقد وعمل يده » ، أراد أن التسعين قد ضحيا وسنا .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٠/١٣ . وسوب العصا : خلفها وأنظما .

(٣) ينظر ترجمته في المخرج وقتهيل لابن أبي حاتم : ٢١٠/٢/٢ . وفي المخطوطة : « لأرباب » . وقد تردد هذا الاسم في تفسير ابن أبي حاتم في ترجمة عبد قرحن هذا : « سمع عليا ، قوله . روى عنه أبو إسحاق الحنبلاني » . وقد ورد « للثان » مكانا في لاج المروس .

(٤) الحس : الصوت والخرقة .

(٥) تفسير الطبري : ١٦٠/١٣ . ١٦١ .

(٦) تفسير الطبري : ١٦٢/١٣ .

(٧) سورة الإسراء : آية ٨٧ .





قوله الله : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) ، قال : قالت : يا رسول الله ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « لقد مائتني عن شيء ما سألتني عنه أحد من أمي ، ذلك أن الناس على جسر جهنم (١) » .

وروى الإمام أحمد ، من حديث حبيب بن أبي حمزة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، حدثني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قوله تعالى : (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) ، فأين الناس يومئذ يا رسول الله قال : « هم على متن جهنم » .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن ، حدثنا علي بن الجعد ، أنبأني القاسم ، سمعت الحسن قال : قالت عائشة : يا رسول الله ، (يوم تبدل الأرض غير الأرض) ، فأين الناس يومئذ ؟ قال : « إن هذا شيء ما سألتني عنه أحد » قال : على الصراط يا عائشة (٢) .

ورواه أحمد ، عن عفان ، عن القاسم بن الفضل ، عن الحسن ، به (٣) .

وقال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه : حدثني الحسن بن علي الحكوفي ، حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع ، حدثنا معاوية ابن سلام ، عن زيد - يعني أخاه - أنه سمع أبا سكم ، حدثني أبو أسامة الرحبي : أن لويان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه قال : كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه خبر من أخبار اليهود ، فقال : السلام عليك يا محمد - فذهبت دمة كاد يصرخ منها ، فقال : لم تدفني ؟ قلت : ألا هرق ؟ « يا رسول الله ؟ » قال : اليهودي : إنما تدعوه باسمه الذي ساء به أهله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن اسمي محمد الذي سئاني به أهل . قال اليهودي : جئت أسألك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبضك شيء . إن حدثتك ؟ قال : أصعب بأذن . فكتف (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يود منه ، فقال : سل : فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم (٥) تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم في الظلمة دون الجسر : قال : فمن أول الناس إجابة (٦) ؟ قال فقال : [ فقراء ] المهاجرين . قال اليهودي : فما نُحْفَتُهُمْ حين يدخلون الجنة : قال : زيادة كبد النون (٧) . قال : فما غلواهم في أثرها ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها : قال : فما لربهم عليه ؟ قال : من عين [ فيها ] تسمى مسليلا . قال : صدقت : قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان ؟ قال : يضطك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذن . قال : جئت أسألك عن الرد . قال : ما الرجل الأبيض وما المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فتعلا متى الرجل متى المرأة أذكرا (٨) . فإذا الله تعالى ، وإذا

(١) في المخطوطة : « الناس مع غيرهم » . والمثبت عن تفسير الطبري : ١٦٦/١٣ .

(٢) تفسير الطبري : ١٦٦/١٣ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٩٠١/٦ .

(٤) أي : خرج به الأرض .

(٥) في المخطوطة : « حين تبدل » . والمثبت من صحيح مسلم .

(٦) الإجابة هنا بمعنى الجواز والعبور .

(٧) في المخطوطة : « زيادة كبد الخوت » . والمثبت من صحيح مسلم . « والخوت » : زيادة الكبد .

(٨) أي : « كان قرنه ذكرا » .

حلا منى المرأة منى فرجل أنثا (١) بإذن الله . قال اليهودي : لقد صدقت ، وإنك لنبى ، ثم انصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد سألتى هذا من الذى سألنى عنه ، ومالى علم بشئ منه ، حتى أتانيه الله به (٢) .

قال أبو جعفر بن جرير الطبري : حدثني ابن حوف (٣) ، حدثنا أبو المقبرة ، حدثنا ابن أبي مرجم ، حدثنا سعيد بن ثوبان الكلابي ، عن أبي أيوب الأنصاري : قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم حنجر من اليهود فقال : أرايت إذا يقول الله في كتابه : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ) ، فأين الخلق عند ذلك ؟ قال : أعياف الله ، فإن يسيرهم ما لديه (٤) :

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث أبي بكر بن عبد الله بن أبي مرجم ، به .  
وقال شعبة : أخبرنا أبو إسحاق ، سمعت عمرو بن ميمون - وروى قال : قال عبد الله ، ورجا لم يقل - قتلته له : من عبد الله ؟ قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) ، قال : أرض كالفضة البيضاء تقي ، لم يسقط (٥) فيها دم ، ولم يعمل عليها خطية ، يضلهم (٦) البصر ، ويسمهم الداهي ، حفاة حراة كما خلقوا قال : إياه قال : قياما حتى يكبيهم العرق (٧) .

وروى من وجه آخر عن شعبة وعن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن مسعود ، بنحوه . وكذا رواه حاتم ، عن زر ، عن ابن مسعود ، به .

وقال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، لم يخبر به : أورد ذلك كله ابن جرير (٨) .  
وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الله بن حبيب بن حكيم ، حدثنا سهل بن حماد أبو حنيفة ، حدثنا جرير بن أبيب ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) ، قال : أرض يضاء لم يسقط عليها دم ، ولم يعمل عليها خطية ، ثم قال : لا تعلم هذه إلا جرير بن أبيب ، وليس بالقوي :

ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن سنان ، عن جابر الجعفي ، عن أبي جبير ، عن زيد قال : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليهود فقال : هل ترون لم أرسلت إليهم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أرسلت إليهم أسلم من قول الله : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) ، إنها تكون يومئذ يضاء أهل النعمة ولما جاءوا أسلم قالوا : تكون يضاء مثل النكير (٩) .

(١) أنثا : بتثنية التثنية . ويروي « وآنا » به الحزبة وتثنية التثنية ، ومعناه : كان الولد أنثى .

(٢) مسلم ، كتاب الأضياف ، باب « بيان صفات الرجل والمرأة » وأن الولد مخلوق من ماتهما : ١٧٣/١ ، ١٧٤ .

(٣) في تفسير الطبري : « بن حوف » . وأما ما في تفسير ابن كثير - وهو عهد بن حوف بن سفيان الطائي - ينظر ترجمه في التلخيص : ٢٨٣/٩ .

(٤) تفسير أبيه : ١٧٦/١٤ .

(٥) في تفسير الطبري : « لم يسقط فيها دم » .

(٦) أنه يضلهم ويجهزهم لا يسترهم . وفي النهاية : قال أبو سالم : أسماهم الحديث يروونه بالذال المسببة ، خطأ ما هو بالهاء . ثم : يبلغ آدم وكترهم حتى يراهم كلهم ويخرجهم » .

(٧) حبر الطير : ٤٩٥/١٢ .

وهكذا روي عن علي ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، ومجاهد بن جبير : أنها تبدل يوم القيامة بأرض من فضة .  
وعن علي رضي الله عنه أنه قال : تصير الأرض فضة ، والسموات ذهباً .  
وقال الربيع ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب قال : تصير السموات جناناً .  
وقال أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، أو عن محمد (١) بن قيس في قوله : ( يوم تبدل الأرض غير  
الأرض ) ، قال : خيضة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم (٢) .  
وكذا روي وكيع ، عن عمر بن بشر الميماني (٣) ، عن سعيد بن جبيرة في قوله : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض ) ،  
قال : تبدل خيضة بيضاء ، يأكل المؤمن من تحت قدميه .  
وقال الأحمش عن خيثمة قال : قال عبد الله - هو ابن مسعود - : الأرض كلها يوم القيامة نار ، والجنة من  
ورائها ترى كواكبها وأكوابها ، ويكجيم (٤) الناس العرق ، أو يبلغ منهم العرق ، ولم يبلغوا الحساب (٥) .  
وقال الأحمش أيضاً ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن قال : قال عبد الله : الأرض كلها نار يوم القيامة ،  
الجنة من ورائها ، ترى أكوابها وكواكبها ، والذي نفس عبد الله بيده إن الرجل ليفيض عرقاً حتى ترسخ في الأرض  
قدمه ، ثم يرتفع حتى يبلغ أفقه ، وماسمه الحساب : قالوا : ثم ذلك بأبأ عبد الرحمن ؟ قال : ما يرى الناس يلقون (٦) .  
وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن كعب في قوله : ( يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ) .  
قال : تصير السموات جناناً ، ويصير مكان البحر ناراً ، وتبدل الأرض غيرها (٧) .  
وفي الحديث الذي رواه أبو داود : لا يركب البحر إلا غار أو حاج أو معتمر ، فإن نحت البحر ناراً - أو نحت  
النار بحراً (٨) .  
وفي حديث الصور المشهور المروي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تبدل الأرض غير  
الأرض والسموات ، فيسطوا عليها مد الأديم المكافئ ، لا ترى فيها هوجاً ولا أمناً ، ثم يزرع الله الخلق زجراً »  
فلذا هم في هذه المبدلة .  
وقوله : ( وبرزوا لله ) ، أي : خرجت الخلائق جميعها من قبورهم لله ( الواحد القهار ) ، أي : الذي قهر كل شيء  
وعليه ، ودانت له الرقاب ، وخضعت له الأبواب .

- 
- (١) في المخطوطة : « عن محمد بن كعب القرظي ، عن محمد بن قيس » . وقد ألبتة « أو » عن تفسير الطبري . وأبو معشر  
يروي عن محمد بن كعب ، ومحمد بن قيس اللذان . ينظر التاليف : ٤١٤/٩ : ٤٢١ .  
(٢) تفسير الطبري : ١٦٥/١٣ .  
(٣) في المخطوطة : « مسمر بن بشر » . وملتت عن الإخراج : ١٤٠/١٣ : ١٤٠/١٣ .  
(٤) أي : يصير العرق لم يتزلة الجلبام .  
(٥) تفسير الطبري : ١٦٥/١٣ .  
(٦) تفسير الطبري : ١٦٤/١٣ : ١٦٥ .  
(٧) تفسير الطبري : ١٦٥/١٣ .  
(٨) سنن أبي داود ، كتاب الجهاد ، باب « في وكرب البحر في القلور » ، الحديث ١٦٨٩ : ١٦٩٠ ، ومروية السلف :  
« فإن نحت البحر ناراً ، ونحت النار بحراً » .

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٠﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ  
كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى: (يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ) ، وتبرز الخلائق للبيّنة ، ترى يا محمد يومئذ المجرمين ،  
وهم الذين أجمعوا بكفرهم وفسادهم ، (مقرنين) ، أى : بعضهم إلى بعض ، قد جمع بين النظراء أو الأشكال منهم ،  
كل صنف إلى صنف ، كما قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) (١) ، وقال : (وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) (٢) ،  
وقال : (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) (٣) ، وقال : (والشياطين كل بناء وغواص) .  
وأشهرين مقرنين في الأصفاة (٤) .

والأصفاة : هى القيود ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والأعشى ، وعبد الرحمن بن زيد ، وهو مشهور  
في اللغة ، قال عمرو بن كلثوم :

فأبوا بالقياب وبالسباب • وأبنا بالملوك مصعقينا (٥)

وقوله : (سرابيلهم من قطران) ، أى : ثيابهم التى يلبسونها عليهم من قطران ، وهو الذى تُهْبَأُ به الإبل ،  
أى : تطل ، قال قتادة (٦) ، وهو أصح شئ بالنار .  
ويقال فيه : «قطران» ، يفتح القاف وكسر اللام ويفتح القاف وتسكين اللام ، وبكسر القاف وتسكين اللام ،  
ومنه قول ابن النعم :

«كَانَ قَطِرَانًا إِذَا تَكَامَا • تَرَى بِهِ الرِّيحَ إِلَى مَجْزَاهَا» (٧)

وكان ابن عباس يقول : القطران هو : النحاس المذاب ، وربما قرأوا : (سرابيلهم من قطران) (٨) ، أى :  
من نحاس حار قد انتهى حره ، وكذا روى عن مجاهد ، وسكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة .

وقوله : (وتغشى وجوههم النار) ، كقولهم : (تلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالنحل) (٩) .

- 
- (١) سورة الصافات ، آية : ٢٢ .
  - (٢) سورة التكرير ، آية : ٧ .
  - (٣) سورة الفرقان ، آية : ١٣ .
  - (٤) سورة جن ، آية : ٣٧ ، ٣٨ .
  - (٥) أبيت في تفسير الطبري : ١٣/١٦٧ .
  - (٦) تفسير الطبري : ١٣/١٦٨ .
  - (٧) أبيت في تفسير الطبري : ١٣/١٦٧ .
  - (٨) ينظر تفسير المحط لأبي حيان : ٥٥ : ٥٥٤ .
  - (٩) سورة الليل : ١٠ : ١٤ .

وقال: الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن إسحاق، أنبأنا أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد<sup>(١)</sup>، عن أبي سلام، عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من أمر الجاهلية لا يكثرن<sup>(٢)</sup> إلا الفخر بالأحساب، والظن في الأنساب، والاستمقاء<sup>(٣)</sup> بالنجوم، والنياحة، والثائفة إذا لم تتب قبل موتها»<sup>(٤)</sup>، فقام يوم القيامة وعليها سريال<sup>(٥)</sup> من قطران، ودرع من جرب<sup>(٦)</sup>»<sup>(٧)</sup>، انفرد بإخراجه مسلم<sup>(٨)</sup>.

وفي حديث القاسم، عن أبي أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الثائفة إذا لم تتب، وقفت في طريق بين الجنة والنار، صرايلها من قطران، وتنشئ وجهها النار».

وقوله: (ليجزى الله)، أى: يوم القيامة، [كما قال (٧)] ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى للذين أحسنوا بالحسنى<sup>(٨)</sup>.

(إن الله سريع الحساب)، يحتمل أن يكون كقوله تعالى: (اقرب للناس حسابهم وهم في خفلة معرضون<sup>(٩)</sup>)، ويحتمل أنه في حال محاسبته لبعده سريع الشّجاز، لأنه يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه خافية، وإن جميع الخلق بالنسبة إلى قدرته كالواحد منهم، كقوله تعالى: (ما خلقكم ولا بمحكم إلا كنس واحد)<sup>(١٠)</sup>، وهذا معنى قول مجاهد: (سريع الحساب) [إحصاء<sup>(١١)</sup>].

ويحتمل أن يكون المعنيان مرادين، والله أعلم.

هَذَا بَلَّغَ النَّاسَ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ وَيُرْعِلُوا إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلَيْدٌ كَرُّاوُلَا أَلَا لَيْسَ

يقول تعالى: هذا القرآن بلاغ للناس، كقوله: (لأنزركم به ومن بلغ<sup>(١٢)</sup>)، أى: هو بلاغ لجميع الخلق من إنس وجان، كما قال في أول السورة: (الر: كتاب أنزلناه إليك لتفخر الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم<sup>(١)</sup>) (وليُنْذِرُوا به)، أى: ليُنْذِرُوا به، (وليعلّموا أنّما هو إله واحد)، أى: يستدلوا بما فيه من الحجة والدلائل على أنه لا إله إلا هو، (وليدكر أولو الألباب)، أى: ذوو العقول.

[آخر تفسير «سورة إبراهيم» عليه الصلاة والسلام، والحمد لله رب العالمين]

(١) في المسند: «عن زيد بن أبي سلام»، والصواب ما في ابن كثير: «زيد هو ابن سلام يروى عن جده» بطور «وهو أبو سلام». ينظر الخلاصة «وسعد الخديك الذي يأتي به جلد في مسند الإمام أحمد».

(٢) في المخطوطة: «لا يتركن»، والمثبت عن المسند.

(٣) كانوا يعتقدون أن نزول المطر بسبب سقوط نجم في المقرب مع القمر، وتلوح آخر يقابله من الأرض، وكانوا يحسبونها «سريال بنوع كذا».

(٤) قالوا: لأنها كانت تلبس الثياب السود في الآث، ومنه: «ودرع من جرب»، أنه يسلط على أعضائها الجرب والحكة، بحيث ينطى بدنها تغطية للدرع، وهو القبيح.

(٥) مسند الإمام أحمد: ٣٤٧/٥ و ٣٤٣، وينظر أيضاً: ٣٤٤/٥.

(٦) مسلم: «كتاب الجنائز»، باب: «التشديد في النياحة»: ٤٥/٣.

(٧) في المخطوطة: «أى: ينضم يوم القيامة»، فأثبتنا ما في الطبقات السابقة من ذلك، وقد ذكرنا ما بين القوسين ليعتق السامع.

(٨) سورة النجم: آية ٧٥.

(٩) سورة الأنبياء: آية ٦.

(١٠) سورة لقمان: آية ٢٨.

(١١) ما بين القوسين مع الطبقات السابقة.

(١٢) سورة الأنعام: آية ٦٩.

# تفسير سورة الحجر

وهي مكة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَرِّ يَاقُوتَ الْكَتِّبِ وَقُرْآنِ شَيْبِ ① رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَهُمْ يَاقُوتَ  
وَيَتَحَمَّلُونَ أَوْ يَتَلَبَّسُونَ ③

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور -  
وقوله : ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) ، إخبار عنهم أنهم مستندون على ما كانوا فيه من الكفر ،  
ويحتمون لو كانوا مع المسلمين في الدار الدنيا .  
وقل السلي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس ، وابن مسعود ، وغيرهما من الصحابة : ان الكفار لما حرصوا  
على النار ، قهرأ أن لو كانوا مسلمين .  
وقيل : المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً .  
وفيل : هنا إخبار عن يوم القيامة ، كما في قوله تعالى : ( ولو ترى إذ وقفوا على النار ، فقالوا : يا ليتنا نُردُّ ،  
ولا نكلِّبَ يَاقُوتَ رَبَّنَا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ) (١) .  
وقال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزرراء ، عن عبد الله في قوله : ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا  
مُسْلِمِينَ ) ، قال : هذا في الجهنميين إذ رأوهم يخرجون من النار (٢) .  
وقال ابن جرير : حطفي للنبي ، حدثنا مسلم ، حدثنا ابن أبي قُرُوءَةَ الْعَبْدِيُّ : أن ابن عباس  
وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية : ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) ، يتأولانها يوم يحبس الله أهل  
الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار - قال : فيقول لهم للمشركون : « ما أظن حنكم ما كنتم تملكون في الدنيا -  
قال : فيغضب الله لهم بفضل رحمته ، فيخرجهم ، فذلك حين يقول : ( رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) .  
وقال عبد الرزاق : أنس بن الثوري ، عن حماد ، عن إبراهيم - وعن خصيف (٣) ، عن مجاهد قال : يقول  
أهل النار للمؤمنين : ما أظن حنكم إيمانكم ؟ فإذا قالوا ذلك - قال : أنسجوا من كان في قلبه مقال ذرة - قال :  
فند ذلك قوله : ( يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ) (٤) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ٢٧ .

(٢) تفسير الطبري : ١٥ : ٢٧ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥ : ٢٧ .

(٤) يعني : أن سفيان الثوري روى أيضاً من حميف ، عن مجاهد ، وفي تفسير الطبري : عن إبراهيم ، عن خصيف ، عن  
فون ذكر وقراءه . ورحمنا . ينظر الخلاصة .

(٥) تفسير الطبري : ١٥ : ٢٧ .

وهكذا روى عن الضحاك ، وقادة ، وأبي العالبة ، وغيرهم . وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة ، فقال الحافظ أبو التمام الطبراني :

حدثنا محمد بن النبال هو الأخرم ، حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا صالح بن إسحاق الجيهدي - رأى عليه (١) بن موسى - حدثنا مُعَرِّفُ (٢) بن واصل ، عن يعقوب بن (٣) نباتة ، عن عبد الرحمن الأقر ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ناسا من أهل « لا إله إلا الله » يدخلون النار بدنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات والعزى : ما أضى عنكم قولكم « لا إله إلا الله » وأنتم معنا في النار ؟ فيغضبهم الله لهم ، فيخرجهم في هر الحياة ، فيبرأون من حرهم كما يبرأ القمر من خسوفه ، فيدخلون الجنة ، ويسمّون فيها الجهنمين : فقال رجل يا أنس ، أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، نعم ، أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا »

ثم قال الطبراني : تفرد به الجيهدي »

الحديث الثاني : وقال الطبراني أيضا : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبو الشثاء على بن الحسن الواسطي ، حدثنا خالد بن ماض الأشعري ، عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتمع أهل النار في النار ، ومعهم من شاء الله من أهل القبلة ، قال الكفار للمسلمين : لم تكونوا مسلمين ؟ قالوا : بلى . قالوا : فما أضى عنكم الإسلام ؟ فقد صرنا معكم في النار : قالوا : كانت لنا ذنوبه فآخذلنا بها . فضح الله ما قالوا ، فأمر بن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا ، فلما رأى ذلك من يكذب من الكفار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فخرجنا كما خرجوا . قال : ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرج الله من الشيطان الرجيم » ، ( قرئ تلك آيات الكتاب وقرآن مبين . وما يؤد للذين كفروا لو كانوا مسلمين ) »

ورواه ابن أبي حاتم ، من حديث خالد بن ماض ، به - وزاد فيه : ( بسم الله الرحمن الرحيم ) ، هو نص الأستاذة .

الحديث الثالث : وقاله الطبراني أيضا : حدثنا موسى بن هارون ، حدثنا إسحاق بن لموهو قال : « تلك الآية أسامة : أحدثكم أبو روق - واسمه عطية بن الحارث - : حدثني صالح بن أبي طريف قال : سألت أبا سعيد الخدري فقلته له : هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية : ( وما يؤد للذين كفروا لو كانوا مسلمين ) ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقتته منهم ، وقال : « لا أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون : « زعمون أنكم أولياء الله في الدنيا ، فما بالكُم معنا في النار ؟ فإذا سمع الله ذلك منهم

(١) كذا في المخطوطة . ولم تجد إل ترجمة لصالح بن إسحاق هذا . وفي بعض الطبقات : « الجيهدي وابن عليه يسمى بن موسى » . ولا تدرى ما المقصود بهذا .

(٢) في المخطوطة : « معروف بن واصل » . والمصواب ما أختاره . وينظر التذييل : ٢٢٩/١٠ .

(٣) في التذييل : « ترجمة معروف بن واصل » . يعقوب بن أبي لهاه » .

أذن في الشفاعة لم نعلمهم للملائكة والنبين ، ويشفع المؤمنون ، حتى يخرجوا إلى الله ، فلما رأى الملاكون ذلك قالوا : يا ليتنا كنا نعلمهم ، فنذكركم الشفاعة ، فنخرج معهم — قال : فذلك قوله الله : (وعا يرد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ، فيسترون في الجنة الجهل بمسلمين ، من أجل سرادق وجوههم ، فيقولون : يا رب ، أذهب عنا هذا الاسم : فبأمرهم فينتصرون في نهر الجنة ، فيذهب ذلك الاسم عنهم ، فأمر به أبو أسامة ، وقال : نعم .

الحديث الرابع : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا الهادي بن الوليد القرني ، حدثنا مسكين أبو خاتمة ، حدثني الباق بن يزيد ، عن محمد بن جبر ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « منهم من تأخذ النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذها النار إلى حنجرته (١) ، ومنهم من تأخذها النار إلى عنقه ، من قذر ذنوبهم وأعمالهم ، ومنهم من يحسب فيها شهرا ثم يخرج منها ، ومنهم من يحسب فيها سنة ثم يخرج منها ، وأطولهم فيها مكننا بقدر الدنيا منذ يوم خلقناك إلى أن تأتي ، فلما أورد الله أن يخرجوا منها قاله اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان ، لم يق في النار من أهل التوحيد ، أتقوا بالله وكتبه ورسله ، فنجى وأنتم اليوم في النار سواء ، فيذهب الله لم غضبا لم يغضبه لشيء فيها مفسد ، فيخرجهم إلى حيث في الجنة ، وهو قوله : (وعا يرد الذين كفروا لو كانوا مسلمين) (٢) .

وقوله : ( فخرجهم من النار ) ، تهديد لم غضبه ، ووعيد أكيد ، كقوله تعالى : ( قل : اتقوا ، فإن مصيركم إلى النار) (٣) . وقوله : (كلوا واشربوا قليلا إنكم مجرمون) (٤) ، ولما قال : (ويلهم الأمل) ، أي : عن التوبة والإقامة ، (فوسف يملكون) ، أي : حاقبة أمرهم .

### وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا وَهَبْنَا كِتَابَ مَعْلُومٍ ① فَاسْتَمِيعُوا مِنْ آيَاتِنَا أَجْلَهَا بِمَا تُسْمِعُونَ ②

يقول تعالى : إنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حال هلاكها حتى يهلكها ولا يتقدمون عن مذهبهم : وهذا تنبيه لأهل مكة ، وإرشاد لهم إلى الاقتلاع عما هم فيه من الشرك والمناد والإلهاء ، الذي يستحقون به الهلاك .

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَجَاهِلٌ مِمَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ ③ فَاسْمِعْنَا لَكَ أَيْهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مَا تَزِيلُ ④ لَئِيْكَ الْيَوْمَ الْحُجَّةُ ⑤ لِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ⑥

غير تعالى عن كفرهم وعتوهم وعتادهم في قولهم : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) ، أي : الذي يدعي ذلك : (إنك لجاهل) ، أي : في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا (لوما) ، أي : هكأ (تأيتنا بالملائكة) ، أي : يشهدون لك بصحة ما نجتبه به ، (إن كنت من الصادقين) ، كما قال فرعون : (ولا أرى على أسفورة) (٧) .

(١) الجوزة - بهم فسكون - مع الإزاحة .

(٢) قدر المشور .

(٣) سورة النجم ، آية ٣٥ .

(٤) سورة المراتل ، آية ٤٦ .

(٥) كلما في ضلوة الأخر ، وفي قراءة ثالثة : يعجز .



مع لمع أو جاء منه الملائكة مقرابين (١) ، ( وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لو لا أول حلتنا للملائكة ، أو لرى ربنا ، لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا (٢) ) . وكلما قال في هذه الآية : ( ما تنزل الملائكة إلا بالحق ، وما كانوا إذا منظرين ) . وقال مجاهد في قوله : ( ما تنزل الملائكة إلا بالحق ) : بالرسالة والعلاب (٣) .

ثم قرر تعالى أنه هو الذى أنزل الذكر ، وهو القرآن ، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل . ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى : ( له الحافظون ) ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، كقوله : ( والله يصمكه من الناس (٤) ) . والمعنى الأول أولى ، وهو ظاهر السياق .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْخِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْخَرُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى مسلما لرسوله في تكذيبه من كذبه من كفار غريش : إنه أرسل من قبلك (١٠) في الأمم الماضية ، والله ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤا به .

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب للمجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى . قال انس ، والحسن البصري : ( كذلك تسلك في قلوب المجرمين ) ، يعنى الشرك (١١) . وقوله : ( وقد خلت سنة الأولين ) ، أى : قد حليم ما فعل تعالى بين كذب رسله من الملاك والنامر ، وكيف ألقى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة .

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَهْرَجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق : أنه لو فتح لهم بابا من السماء ، فاجعلوا يصعدون فيه ، لصدكوا بذلك ، بل قالوا : ( مسكرت أبصارنا ) .

- 
- (١) سورة الزخرف : آية : ٥٢ .  
 (٢) سورة الفرقان : آية : ٢١ ، ٢٢ .  
 (٣) تفسير الطبري : ١٤/٦ .  
 (٤) سورة المسالة : آية : ٦٧ .  
 (٥) في الخطوط : من الأمم ، فأنبتا : في : يستقيم السياق .  
 (٦) تفسير الطبري : ١٤/٧ .

قال جاهد وابن كثير ، والضحاك : سدت أبصارنا .

وقال قتادة ، عن ابن عباس : أغلقت أبصارنا .

وقال العوفي عن ابن عباس : شبهنا طينا ، ولما سرنا .

وقال الكلبي : حجبنا أبصارنا .

وقال ابن زيد : ( سكرت أبصارنا ) ، السكران الذي لا يعقل (١) .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحِفْظًا لِّمَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِّكُلِّ دَرَجَةٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَلٍ ﴿١٨﴾ السَّيِّمِ فَاتَّبِعْنَاهُ لِنُكَفِّرَ بِهِ عَنْ ذُنُوبِكُمْ وَنُنَزِّلَ فِيهَا مَاءً ذَوْقًا فَاسْمُرْ فِيهَا رَبًّا لِّمَنْ شَاءَ وَأَنْتُمْ فِيهَا كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ مَنَاقِبٍ مِنْ لَدُنْهُ بُرْجًا يَرْزُقُ مِنْهُ ﴿٢٠﴾

يذكر تعالى خلقه السماء في أراضها وما زينها به من الكواكب الثواب ، لمن تأملها ، وكرر النظر فيها ، يرهق فيها من السجائب والآيات الباهرات ، ما يحار نظره فيه : ولهذا قال جاهد و قتادة : البروج هاهنا هي : الكواكب (٢) . قلت : ولهذا كوفله تعالى : ( تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ) (٣) ، ومنهم من قال : البروج هي : منازل الشمس والقمر .

وقال عطية السرق : البروج هاهنا : هي قصور الجرس .

وجعل الشهباء حراساً من مرتدة الشياطين ، فلا يسمعون إلى اللأ الأعلى ، فن جرد منهم لاستراق السمع جاءه ( شهاب ميث ) فأنفقه ، فرمى يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قيل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه ، فيأخذها الآخر ، ويأخذ بها إلى وفيه ، كما جاء مصرحاً به في الصحيح ، كما قال البخاري في تفسير هذه الآية :

حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن حكيم ، عن أبي هريرة - يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لها (٤) لقوله كانه سلسلة على صقوان (٥) ، قال علي : وقال غيره : صقوان يتكلمهم ذلك ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ، وهو النبي الكبير فيسمعون مسترقوا السمع ، ومسترق السمع ، هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده فكشع برح أصابع يده اليمنى ، نصبتها بعضها فوق بعض - فرمى أدرك الشهاب المستمع قيل أن يرمى بها إلى صاحب فيحرقه ، وربما لم يدركه [حتى] يرمى بها إلى الذي يليه ، إلى الذي لهما أسفل منه ، حتى يلقوها إلى

(١) ينظر حله الآتية في تفسير التبارك ١٤٥ ١٤٦ .

(٢) تفسير التبارك ١١٤ ١١٥ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٦٦ .

(٤) الضحمان - بضم الحاء - مصدر : ضجع يضيّع ضجوعاً وحضماناً . كالتفراق والتفراق . ويروى بكرة الضمان كالوجدان . ويجوز أن يكون جمع ضامع . وفي رواية : ضجعا لقوله - بضم الحاء وتشديد الضاء - : جمع ضامع .

(٥) الضحمان - بضم الحاء - مصدر : ضجع يضيّع ضجوعاً وحضماناً .

الأرض - وبعثنا ناهضين : حتى نتبني إلى الأرض فنبتلن على ثم السار - أو : الكاهن (١) فيكتب ما  
 مائة كلمة ، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا ، فوجدناه حقا ؟ الكلمة التي سميت من السار (٢) .  
 ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ، وملكها وإياها وتوسيعها وسطها ، وما جبل فيها من الجبال الرواسي ، والأودية  
 والأراضي والرمال ، وما أنبت فيها من الزروع والثمار للنسابة .

وقال ابن عباس : ( من كل شيء موزون ) ، أي : معلوم ، وكذا قال سعيد بن جبير ، وحكمة وأبو مالك .  
 وجاهد ، والحكم بن حنيفة ، والحسن بن عمار ، وأبو صالح ، وكاهن (٣) .

ومنهم من يقول : مقدر بقدر .

وقال ابن زيد : من كل شيء يؤذن ويغير بقدر ، وقال ابن زيد : ماؤه الأسواك .

وتوله : ( وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم به يرزقون ) ، يذكر تعالى أنه مصلهم في الأرض في صرف  
 الأسباب والمعايش ، وهي جمع معيشة .

وقوله : ( ومن لستم به يرزقون ) - قال جاهد : وهي اللواتي والأعمال .

وقال ابن جرير : هم السيد والإمام والنبأ والأعمال (٤) .

والقصد أنه تعالى بمن عليهم بما ينسب لهم من أسباب المكسب ووجوه الأسباب وموتد للمعاش ، وما خر لهم  
 من اللواتي يربونها والأعمال التي يأكلونها ، والسيد والإمام التي يستغنونها ، ووزقهم من عاقبتهم لا عليهم .  
 لهم هم الخصة ، والرزق على الله تعالى .

وَلَا يَنْفَعُ شَيْءٌ إِلَّا جِدَلْنَا تَحَايُرَهُ وَمَا تَوَلَّاهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنزَلْنَا مِنْ السَّحَابِ  
 مَاءً فَالْقَيْنَا كُوهَ ۝ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۝ وَلَمَّا لَعَنُوكُمُ لَعْنًا عُثِيَّةً وَكُفَيْتُ عَنْ الزَّوْرُونَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ  
 مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۝ وَإِنْ رَيْتُمْ حُمْرَ الْحَبَشَةِ أَوْرَاجَكُمْ فَبِئْسَ مَا تَكْسِبُونَ ۝

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء ، وأن كل شيء سهل عليه ، يسر لديه ، وأن عتده خزائن الأكباد من جيع  
 الصوف ، ( وما تزلله إلا بقدر معلوم ) ، كما يشاء وكما يريد ، ولا له في ذلك من الحكمة البالغة ، والرحمة بهامة  
 لا على جهة الوجوب ، بل هو كسب على نفسه الرحمة .

قال يزيد بن أبي زياد ، حي ابن جحيفة ، من عبد الله : ما من حلم بأمر من حلم ، ولكن الله يفسد

(١) توله : أو الكاهن . - ليست في الصحيح .

(٢) البخاري : تفسير سورة الحجر : ٩٥١٤٦ .

(٣) ينظر تفسير الثوري : ١٢٤١٤ .

(٤) صحيح الترمذي : ١٢٤١٤ .

شاه ، حاماً هامتا ، وعاماً هامتا : ثم قرأ : ( وإن من شيء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم ) رواه ابن جرير (١) .

وقال أيضاً : حدثنا القاسم : حدثنا الحسن ، حدثنا هشيم ، أخبرنا إسماعيل بن سالم ، عن الحكم بن عتيبة في قوله : ( وما ننزله إلا بقدر معلوم ) ، قال : ما عام بأكثر مطراً من عام ولا أقل ، ولكنه يمتدّ بكم وقوم ويحرم أنخرون [ وربما ] (٢) كان في البحر - قال : ويلفتنا أنه يتزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد لإبليس وولد آدم ، يمسحون كل قطرة حيث تقع وما (٣) تبت .

وقال الزوار : حدثنا داود - وهو ابن بكر التمرى - حدثنا حبان بن أخبط بن عجم ، حدثني أبي ، عن هشام بن محمد بن سبرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خزائن الله الكلام ، فإذا أراد شيئاً قال له : كن ، فكان » .

ثم قال : لا يرويه إلا أخبط ، ، ولم يكن بالقوى ، وقد حدث عنه هر واحد من المتقدمين ، ولم يروه عنه إلا آبه .

وقوله : ( وأرسلنا الرياح لواقح ) ، أي : تلقح السحاب فندّر ماء ، وتلقح الشجر فتضيق عن أوراقها وأكاسها هذه الرياح ، ذكرها بصيغة الجمع ، ليكون منها الإنتاج ، بخلاف الريح الضميمة فإنه أفرادها ، ووصفها بالعقيم ، وهو علم الإنتاج ، لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعداً .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن قيس بن السكن ، عن عبد الله بن مسعود في قوله : ( وأرسلنا الرياح لواقح ) ، قال : ترسل الريح ، فتحمل الماء من السماء ، ثم تسمى السحاب (٤) ، حتى تدير كما تدير اللقحة (٥) ، وكلما قال ابن عباس ، ولإبراهيم النخعي ، وقاعدة .

وقال الضحاك : يعنيها الله على السحاب ، فتكثفه ، فيمثل ماء .

وقال حبيب بن عيسى الليثي : يبعث الله المبشرة فتكتم الأرض قسماً (٦) ثم يبعث الله المبشرة فتنبش السحاب ، ثم يبعث الله المولدة فتولّد السحاب ، ثم يبعث الله الواقح فتلقح الشجر ، ثم تلا : ( وأرسلنا الرياح لواقح ) (٧) .

(١) تفسير الطبري : ١٤٢/١٤ .

(٢) ما بين القوسين عن تفسير الطبري . ومكانه في الأصول : ١٤٢/١٤ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤٢/١٤ .

(٤) مروى ثلاثة : مسح غربها ، فأمرت هي : ذكر أبيها . وكلام عبد الله بن مسعود على سيل الخيل لأثر الريح في السحاب . واللقحة - بكسر اللام وضمة - : لقحة القرية العهد بالنتاج ، والفرج أيضاً ، هي غزيرة العين .

(٥) تفسير الطبري : ١٤٢/١٤ .

(٦) أي : تكتم الأرض كسماً .

(٧) تفسير الطبري : ١٤٢/١٤ .

وقد روى ابن جرير ، مع حديث عُبَيْسِ بْنِ مَيْمُون ، عن أَبِي الْمُهَذَّبِ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الرِّيحُ الْجَنُوبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ [ الرِّيحُ الْوَاقِعَةُ ، وَهِيَ الْيَأْيُ ] (١) ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ (٢) » ، وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ .

وقال الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي الزبير الحُمَيْدِيُّ فِي مَسْنَدِهِ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، حَدَّثَنَا حَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، أَخْبَرَنِي يَزِيدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَلْبِيُّ : أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عُرَاقٍ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ اللَّهُ خَلَقَ فِي الْجَنَّةِ رِيحًا بِعَدِّ الرِّيحِ بِسَمْعِ سَنَةٍ ، وَإِنْ مِنْ دُونِهَا بَابًا مَقْلَقًا ، وَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ الرِّيحُ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ ، وَلَوْ فَضَحَ لَأَذْرَتْ (٣) » مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ ، وَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَرْيَبُ (٤) وَهِيَ فِيكُمْ الْجَنُوبُ (٥) .

وقوله : ( فَأَسْمَيْنَا كَرَهُ ) : أَيْ : أَنْزَلْنَاهُ لَكُمْ حَذًّا يُحَسِّنُكُمْ أَنْ تَشْرَبُوا مِنْهُ ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَابًا ؛ كَمَا بَنِيهِ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ فِي آيَةِ الْآخِرَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ (٦) ، وَهُوَ قَوْلُهُ : ( أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ : أَنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْمُنْثَرِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧) ) ، وَفِي قَوْلِهِ : ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (٨) ) .

وقوله : ( وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ) ، قَالَ سَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : بِمَاتَيْنِ (٩) . وَيَحْتَمِلُ أَنْ الْمُرَادَ : وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَافِظِينَ ؛ بَلْ نَحْنُ لِنُزَلِهِ وَنَحْفَظُهُ عَلَيْكُمْ ، وَنَجْعَلُهُ سَمِينًا وَيَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ ، وَلَوْ شَاءَ تَعَالَى لَأَخَارَهُ وَذَخَبَهُ ، وَلَكِنْ مِنْ رَحْمَتِهِ أَنْزَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلِيًّا ، وَحَفَظَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَنْبَارِ وَالْأَنْبَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، لِيَقَرَّ لَمْ فِي طَوْلِ السَّعَةِ ؛ يَشْرَبُونَ وَيُسْقُونَ أَنْفُسَهُمْ وَزُرُوعَهُمْ وَيَأْكُلُونَ .

وقوله : ( وَإِنَّا لَنَحْنُ خَيْرُ وَتَمِيمٌ ) ، إِخْبَارٌ عَنْ قُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى بَدْلِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَحْيَا الْخَلْقَ مِنَ الْمَمَاتِ ، ثُمَّ يَمِيتُهُمْ ثُمَّ يَحْيِيهِمْ كُلَّهُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ .  
وَأُخْبِرَ أَنَّهُ تَعَالَى يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ .  
ثُمَّ قَالَ خُبْرًا عَنْ تَعَامُ حُلُمِهِ بِهِمْ ، أَوَّلُهُمْ وَأَخْرَجَهُمْ (١٠) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (١١) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لِلْمُسْتَقْدِمِينَ : كُلُّ مَنْ هَلَكَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْمُسْتَأْخِرُونَ : مَنْ هُوَ حَيٌّ وَمِنْ سَائِلَى الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ .

(١) مَا بَيْنَ الثَّوْرَيْنِ عَنْ تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ .

(٢) تَفْسِيرُ الْكَلْبِيِّ : ١٥٢/١٤ .

(٣) يُقَالُ : « ذَرَتْهُ الرِّيحُ وَأَذَرَتْهُ » : أَشَارَتْهُ .

(٤) الْأَرْيَبُ : « مَنْ أَمَاءَ رِيحِ الْجَنُوبِ . وَأَمَلُ مَكَّةَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْاسْمَ كَثِيرًا » . هَذَا مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي الْبَهَايَةِ . وَفِي السَّانِ ، مَادَةٌ « زَيْب » ، قَالَ شَرَفٌ : وَمَنْ يَرْكَبُ الْبَحْرَ ، نَبِيًّا بَيْنَ جِدَّةٍ وَوَدَعَةٍ ، يَسْمُونَ الْجَنُوبَ « الْأَرْيَبَ » ، لَا يَمُرُّونَ هَذَا أَمَاءَ غَيْرِهِ ، وَفَكَرْتُ أَنَّهُ تَمَصُّفُ الرِّيحِ ، وَتَغْيِيرُ الْبَحْرِ حِينَ تَمُرُّهُ ، وَتَقْلُبُ أَسْفَلَ تَجْوِيلَهُ أَعْلَاهُ » .

(٥) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ : الْآيَاتُ ٦٨ - ٧٤ .

(٦) سُورَةُ الْفُجْلِ : آيَةٌ ٣٠ .

(٧) تَفْسِيرُ الْكَلْبِيِّ : ١٩٢/١٤ .

رووى نحوه عن حكيمه ، وجاهد ، وقصاصك ، وقنانه ، وعبد بن كعب ، وقشبي ، وغيرهم ، وهو اجاب  
ابن جرير ، رحمه الله (١) .

وقال ابن جرير ، حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا للمعمر بن سليمان ، عن أبيه ، [ عن رجل ] (٢) ، عن  
سروان بن الحكم أنه قال : كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء فأقول الله : ( ولقد علمنا المستغنين منكم  
ولقد علمنا المستأخرين ) (٣) ،

وقد ورد في هذا حديث غريب جدا ، فقال ابن جرير :

حدثني محمد بن موسى الحرشي ، حدثنا (٤) نوح بن قيس ، حدثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن  
ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة - قال ابن عباس : لا والله  
ما إن رأيت مثلها قط ، وكان بعض المسلمين إذا صلوا استضعفوا بني ثلثا يراها - وبعض يستأخرون ، فلما سجدوا  
نظروا إليها من تحت أيديهم !! فأقول الله : ( ولقد علمنا المستغنين منكم ولقد علمنا المستأخرين ) (٥) .

وكذا رواه أحمد (٦) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ، والترمذي والنسائي في كتابي التفسير من مستهكما ، وابن ماجه عن  
طريق عن نوح بن قيس المحدث - وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما ، وحكى عن ابن معين تفصيله ، وأخرج له  
مسلم وأهل السنن .

وهذا الحديث فيه كثرة شبهة ، وقد رواه عبد الرزاق ، عن جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن مالك وهو التكرير  
أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله : ( ولقد علمنا المستغنين منكم ) ، في الصفوف في الصلاة ( والمستأخرين ) -  
فلا يظهر أنه من كلام أبي الجوزاء قط ، ليس فيه لاین عباس ذكر . وقد قاله الترمذي : « هذا شيء من رواية نوح  
ابن قيس » ، والله أعلم .

وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر ، عن أبيه ، أنه سمع حزن بن عبد الله يكثر محمد بن كعب  
في قوله : ( ولقد علمنا المستغنين منكم ولقد علمنا المستأخرين ) ، وأنها في صفوف الصلاة ، فقال محمد بن كعب :

(١) ينظر تفسير الطبري : ١٦/١٨ ، ١٧ .

(٢) ما بين القوسين من تفسير الطبري ، ومكانه في المخطوطة : « أخبرنا » .

(٣) تفسير الطبري : ١٨/١٨ .

وفي جده الرواية نظر : فإن هذه الآية محكمة ، وشهود النساء الصلاة في جماعة إنما كان في المدينة .

(٤) وقع في المتن : « حدثنا نوح بن قيس ، حدثنا عمرو بن قيس . » حدثنا عمرو . « زيادة » عمرو بن قيس .

وهي زيادة غير ثابتة في كتب السنة التي خرجنا منها الحديث . ونوح بن قيس يروى عن عمرو التكري ، ينظر الباب : ١٠/٨٠ .

(٥) تفسير الطبري : ١٨/١٨ .

(٦) سنة الإيمان لسنة : ٣٠٥/١٨ ، ونقطة الأخرى : تفسير سورة الحجر : الحديث ١٢٨ : ٥٥٠/٨ ، ٥٥١ .

وقال الترمذي : « روى جعفر بن سليمان هذا الحديث » من عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، نحوه . ولم يذكر فيه

« عن ابن عباس » ، وهذا شيء أن يكون أسح من حديث نوح . « وسن ابن ماجه » كتاب إئلة الصلاة والسنة فيها ، باب :

« الخشوع في الصلاة » ، الحديث ٤٦ : ١٠٤٦/٢٣٢ .

ليس حاكماً ، ( ولقد طعنا المستعجب منكم ) : الميت والميتون - ( والمساخيق ) : مع يُخلق ( كما بهد ) ، ( وذا بهد ) هو مجرم إله حكيم علي . فقال عون بن عبد الله : وقتله الله وجوزك غيراً (٢) .

**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۝ وَلَبَّاسَةً خَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ ۝ أَلَسَوْا**

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقادة : المراد بالصلصال هاهنا : التراب اليابس .

ولقد طهر الله خلقه من الطين : ( خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق طيناً من نار ) (٣) .  
ومع مجاهد أيضاً : ( الصلصال ) : المني .

وتفسير الآية بالآية أولى .

وقوله : ( مع حمائمون ) ، أي : الصلصال مع حمأ ، وهو : الطين ، والفسود الأوس ، كما قال الشاعر (٤) :

لَمْ تَخْصِرْهَا إِلَى تَقْيَةِ الْخَفْءِ      وَكَهْ تَسْبِيحِي فِي مَيْمَنِ مَسْنُونِ

أي : أليس حقيق .

وهذا روى عن ابن عباس : أنه قال هو الرطب الرطب ، ومع ابن عباس ، ومجاهد ، والضماء الأوس : أي حمائم  
الفسون هو المنقوع ، وقيل : المراد بالفسود هاهنا المصروب :  
وقوله : ( والجان خلقناه من قبل ) ، أي : من قبل الإنسان ، ( مع نار السموم ) - قال ابن عباس : هي السموم

التي تخلق .

وقال بعضهم : للسموم بالي والفساد ومنهم من يقول : للسموم باليل ، والخروج بالفساد .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق قال : دخلت على حمزة الأصم أعمده ، فقال : ألا أحد خلق  
جذبنا سمته مع عبد الله بن مسعود ، يقول : هذه السموم جزء من صبيغ جزمات السموم التي خلق منها النفاق .  
لمقرأ : ( والجان خلقناه من قبل من نار السموم ) (٥) .

ومن ابن عباس : أن الجان خلق من لينة النار ، وقوله رواية : هو ألسن النار .

ومن عمرو بن دينار : من نار الشمس ، وقد ورد في الصحيح : « خلقت الملائكة من نور » ، و« خلقت الجن من نار »  
مارج من نار ، و« خلق بنو آدم مما وصفت لكم » (٦) ، ومنقود الآية : التنبيه على شرف آدم عليه السلام ، و« طين »  
حصره ، وطهارة مسخذه .

(٢) لفظ العجزي : « مع يخلق هم به » .

(٣) تفسير الطبري : ١٤/١٢٩ .

(٤) سمعة قرطبي : آية : ١٤ : ١٥ .

(٥) من عبد قرطبي : حاشية : « ولقد قال في رواية حمزة بن عبد الله في القدر والفساد » : ١٤/١٢٩ : ١٣٠ .

« ولقد قال الساج أيضاً : مادة : « ساق » .

(٦) أخرجه الطبري مع حديث شعبة : به نحوه : ٢١/١٤٨ .

(٧) سلم : كتاب الترمذ : باب : « في أحاديث متفرقة » : ٢٢٩/٨ . وسند الإمام أحمد مع حاشية : ١٤/١٢٩ : ١٣٠ .

« وفيه » : « وخلق آدم » . « وقد استأذنه بطولته الأقر بالكر » : « بنو آدم » .

وَأَذَانًا رَبِّكَ لِمَلَكِكَ إِلَىٰ خَلْقِكَ بَشَرًا مِّن مَّلَاصِلِي مِّن حَمِيمٍ مِّنُونٍ ﴿١٥﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿١٦﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿١٧﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ يَا لَيْسَ لَكَ أَن تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ لَا أُكْفِيكَ لَيْسَ خَلْقَتُهُ مِن مَّلَاصِلِي مِّن حَمِيمٍ مِّنُونٍ ﴿٢٠﴾

بذكر تعالى تنويه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له ، وتشريفه بإياه بأمره للملائكة بالسجود له . ويذكر عذاف إبليس صوره عن السجود له من بين سائر الملائكة ، حسداً وكفراً ، وعناداً واستكباراً ، وافتخاراً بالباطل ، ولهذا قال : ( لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ) كما قال في الآية الأخرى : ( أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين ) (١) ، وقوله : ( لأبئك هذا الذي كرمت عليّ لأن أنرفني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً ) (٢) .

وقد روى ابن جرير هاهنا أثرأ غريباً صحيحاً ، من حديث شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما خلق الله الملائكة قال : إني خالق بشرأ من طين ، فإذا سويته (٣) فاسجدوا له . قالوا : لا نقبل . فأرسل عليهم نارأ فأحرقتهم . ثم خلق ملائكة فقال لهم مثل ذلك ، ( فقالوا : لا نقبل . فأرسل عليهم نارأ فأحرقتهم . ثم خلق ملائكة أخرى فقال : إني خالق بشرأ من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا . فأرسل عليهم نارأ فأحرقتهم . ثم خلق ملائكة فقال : إني خالق بشرأ من طين ، فإذا أنا خلقته فاسجدوا له (٤) . قالوا : سمعنا وأطعنا ، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين (٥) .

وفي ثبوت هذا صه جدد ، والظاهر أنه إسرائيل ، والله أعلم .

قَالَ فَاتَّخِذْ مِنْهَا فُلَانًا رَّجِيمًا ﴿٢١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٢٤﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٢٥﴾

يقول أمرأ لإبليس أمرأ كرمياً لا يخالف ولا يمتنع ، بالخروج من المثلثة التي كان فيها من الملائكة الأعلى ، وإنه (رجيم) ، أي : مرجوم . وإنه قد أتبعه لفظ لا تزال متصلة به ، لاحتقأ له ، متواتر عليه إلى يوم القيامة .

وعن سعيد بن جببر أنه قال : لما لعن الله إبليس ، تغيرت صورته عن صوره الملائكة ، وورأ رنة ، فكل رنة في الدنيا إلى يوم القيامة منها ، ووله ابن أبي حاتم ،

(١) سورة الأعراف : آية ١٢ .

(٢) سورة الإسراء : آية ٦٢ .

(٣) في تفسير الطبري : « فإذا أنا خلقته فاسجدوا له » .

(٤) ما بين القوسين سقط من خطوطة الأحرر ، ألتواء عن الطبعات السابقة .

(٥) تفسير الطبري : ٢٢/١٩ .



وإنه لما تحقق الغضب الذي لا مرد له ، سأل من تمام حسنة آدم وذريته النظره إلى يوم القيامة ، وهو يوم القيامة ، وإنه لجيب إلى ذلك استمر اجاب له وإمهالا ، فلما تحقق النظره قبحه الله :

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿١٧﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّهُمْ لَمُوعَدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا صِرَاطٌ لِكُلِّ نَبٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى خبرا عن إبليس وعمره وعنه أنه قال قرب : ( يا أغوي ) -- قال بعضهم : اسم ياعونه (١) الله له .

قلت : ويحتمل أنه بسبب ما أغويته وأصلته ( لأزين لهم ) ، أي : لنوية آدم عليه السلام ، ( في الأرض ) : أي : حسب إلهيم المعاصي وأرضيهم فيها ، ولؤزم (٢) إليها ، وأزعيهم إزعاجا ، ( ولأغوينهم ) أي : كما أغويتني وقد رت علي ذلك ، ( أجمعين ) إلا عبادك منهم المخلصين ، كما قال : ( أرايتك هذا الذي كرمت علي ، لن أغويني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلا (٣) ) .

قال الله تعالى له متهددا وموعدا : ( هذا صراط علي مستقيم ) ، أي : مرجعكم كلكم إلى ، فلأجزيكم بأعمالكم ، إن غير أصغر ، وإن شأ فشر كما قال تعالى : ( إن ربك لبالمرصاد (٤) ) .

ويل : طريق الحق مرجعها إلى الله تعالى ، وإليه تنتهي . قاله جاهد (٥) ، والحسن ، وقادة كما قاله : ( وحل الله قصد السبيل (٦) ) .

ورأى قيس بن عباد ، وعبد بن سيرين ، وقادة : ( هذا صراط حكيم مستقيم ) ، كقوله : ( وإنه في أم الكتاب لدينا لعل حكيم (٧) ) ، أي : رفيع ومشهور القرامة الأولى (٨) .

وقوله : ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ) ، أي : الذين قدرت لم الهداية ، فلا سبيل لك عليهم ، ولا وصولك لك إلهيم ، ( إلا من اتبعك من الغاوين ) ، استثناء منقطع .

(١) ذكر ذلك ابن جرير الطبري ، قال ٢٣/١٤ : « وكان قوله يا أغويته هرج خرج التسم ، كما يقال : يا آه أو : هزة آه لأغوينهم » .

(٢) أزم حركهم وأزعيهم .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٦٢ .

(٤) سورة القصص ، آية : ١٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٢٣/١٤ .

(٦) سورة النحل ، آية : ٩ .

(٧) سورة الزمر ، آية : ٦ .

(٨) ينظر البحر المحيط لأبي حنيفة : ٥٥٤/٥ .

وله أبو داود ابن جرير هاتان من حديث عبد الله بن المبارك ، عن عبد (١) الله بن موهب ، حدثنا يزيد بن أسيد قال : كان الألباء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم ، فإذا أراد النبي أن يستبىء ربه من شيء ، خرج إلى مسجده فغسل ما كتب الله له ، ثم سأل مابدا له ، فبينما نبي في مسجده إذ جاءه عدو النبي ليليس - حتى جلس بينه وبين النبي ، فقال النبي : « أعود بالله من الشيطان الرجيم » ، [ فقال عدو الله : أرايت لأني تتحرك معه ؟ فهو هو : فقال النبي : « أعود بالله من الشيطان الرجيم » (٢) ] ، قال : فرددته ذلك ثلاث مرات ، فقال عدو الله : أخبرني بأى شيء تجر مني ؟ فقال النبي : بل أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم ؟ مرتين ، فأخذ كل واحد منهما على صاحبه ، فقال النبي : إن الله تعالى يقول : ( إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ، إلا مع اتفك من الظالمين ) - قال عدو الله : قد سمعته هذا قبل أن تولد ، قال النبي : ويقول : ( وما يترغضك من الشيطان فرغ فاستعد بالله إله مبيع علم ) ، وإني والله ما أسسك بك قط إلا استلمت بالله منك ، قال عدو الله : صدقت ، بهذا تجر مني ، فقال النبي : أخبرني بأى شيء تغلب ابن آدم ؟ قال : أعلمه عند الغضب والغضب (٣) .

وقوله : ( ولله جنة لورعهم أجمعين ) ، أي : جهنم موحدة لجميع من اتقى ليليس ، كما قاله عن القرطبي : ( ومع يكفر به مع القرآن أبداً لئلا يورعهم ) (٤) .

ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب ، ( لكل باب منهم جزء مقسوم ) ، أي : قد كتب لكل باب منها جزء من أنواع ليليس يدخلونه ، لا هيدهم عنه - أجازنا الله منها - وكل من يدخل من باب بحسب عمله ، ويستقر في ذلك بقدر عمله .

قال إسماعيل ابن حكيم وحمية كلاماً ، عن أبي هارون القنبري ، عن حماد بن عبد الله أنه قال : سمعته عن أبي أبي طالب وهو خطيب قال : إن أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون : أطباقاً بعضها فوق بعض (٥) .

وقال إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن هبة بن يريم (٦) ، عن علي بن رضی الله عنه قاله : « أبواب جهنم ، سبعة بعضها فوق بعض ، فبمنزلة الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى كُملت كلها (٧) » .

وقال حكرمة : ( سبعة أبواب ) : سبعة أطباق .

وقال ابن جرير : ( سبعة أبواب ) : أولها جهنم ، ثم لظى ، ثم الخسوف ، ثم صبر ، ثم سكر ، ثم البجم ، ثم المأوى .

وروي للضحالك عن أبي حماس ، نحوه ، وكلنا [ روى ] عن الأعمش نحوه أيضاً .

(١) في تفسير الطبري : « عبد الله » ، وهو خطأ ، ينظر انخلاصه .

(٢) ما بين القوسين المذكورين سقط من نسخة الأثر ، وهو سقط نظر في نسخة تفسير الطبري .

(٣) تفسير الطبري : ٢١٤ .

(٤) سورة حود : آية ١٧ .

(٥) تفسير الطبري : ١٤٨ ، ٢٤٨ .

(٦) في الخسوف : مرق . ، بلزم ، ومفله في تفسير الطبري ، الخسوف عن الخسوف : ٢٧٧ ، وترجمته في انخلاصه .

(٧) تفسير الطبري : ٢١٤ ، ٢١٥ .

وقال قتادة : ( لما سبأ أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ) ، هي والله منازل بأعمالهم : وهاهنا ابن جرير (١) ، وقال جابر بن جابر ، عن الضحاك : ( لما سبأ أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ) ، قال : باب اليهود ، وباب النصارى ، وباب الصابئين ، وباب المجوس ، وباب الذين أشركوا - وهم كفار العرب - وباب المنافقين ، وباب أهل التوحيد ، [ فأهل التوحيد ] يرجيهم ولا يرجيهم لأوّلئك أبداً .  
وقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عثمان بن عمر ، عن مالك بن مغول ، عن جندب (٢) ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سأل السيف على أنف - أو كاهل - على أمة محمد » .

لم قال : لا يعرف إلا من حديث مالك بن مغول (٣) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا جابر بن الوليد اللخالي ، حدثنا زيد - يعني ابن يحيى - حدثنا سعيد ابن بشر ، عن قتادة ، عن أبي نضرة ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ( لكل باب منهم جزء مقسوم ) - قال : إن [ من ] أهل النار من أعطاه النار إلى كفيه ، وإن منهم من أعطاه النار إلى حنجرته (٤) ، ومنهم من أعطاه النار إلى رقبته منازل بأعمالهم ، فذلك قوله : ( لكل باب منهم جزء مقسوم ) (٥) .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥٠﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ وَأُخْرِجُوا مِنْهَا بِسَلَامٍ ﴿١٥١﴾ وَرَحْمَةً مِنَّا يَصُدُّوهُمْ مِنْ ظُلٍّ إِخْرَأَتْ عَلَى سُرُورٍ مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٥٢﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿١٥٣﴾ تَبَوَّءُوا فِيهَا مَنَازِلَ يُدْعَوْنَ إِلَيْهَا أُنَافٍ لِلْخَفَرِ الرَّحِيمِ ﴿١٥٤﴾ وَأَنْ مَنَازِلَ هِيَ الْمَنَازِلُ الْأَلِيمُ ﴿١٥٥﴾

لا ذكر تعالى حال أهل النار ، صلف ذكر أهل الجنة ، وأنهم في جنات وحيود .

وقوله : ( ادخلوها بسلام ) ، أي : سالين من الآفات ، مسلماً عليكم ، ( آمنين ) من كل خوف وروع ، ولا خشة من إخراج ، ولا انقطاع ، ولا قتال .

وقوله : ( ورحمة ماني صدورهم من ظل إخراجاً على سرور مقابلين ) - روى القاسم ، عن ابن أمانة قال : يدخل أهل الجنة الجنة على ماني صدورهم في الدنيا من للشهوات والفتن ، حتى إذا توافوا وهاهبوا نزح الله ماني صدورهم في الدنيا من ظل ، لم قرأ : ( ورحمة ماني صدورهم من ظل ) (٦) .

(١) لم نجد الآثار الثلاثة الأخيرة في تفسير الطبري عند هذه الآية .

(٢) في المطبوعة : « حيد » . وللمثبت من الترمذي وفي الجرح لاين أبي حاتم ، ١٦١ / ٢٢٧ : « حيد » روى عن ابن عمر ، مرسل ، روى عنه مالك بن مغول .

(٣) تحفة الأحرفي ، « تفسير سورة الحزير » ، الحديث ١٢٩ : ١٨ / ٥٥١ . وقال الحافظ أبو الفتح صاحب نسخة الأحرفي : « وأخرج النصارى في تاريخه » .

(٤) الحيزة - « يتم فسكون » - « منه الإزار » .

(٥) أخرجه مسلم بضمه في كتاب الجنة ، من حيث سببه من قتادة . ينظر باب « في قصة سر رار جهنم وفيه لفرها وما تأخذ من المؤمنين » : ١٥٠ / ٨ . وأخرجه الإمام أحمد أيضاً من طريق سببه : ١٠٠ / ١٨ .

(٦) تفسير الطبري : ٢٥٦٤ .

هكذا في هذه الرواية ، واتمام بن عبد الرحمن - في روايته عن أبي أمامة - ضعيف .

وقد روى سَيِّد في تفسيره : حدثنا ابن (١) فضالة ، عن لقمان ، عن أبي أمامة قال : لا يدخل مؤمن الجنة حتى يلعن الله ما في صدورهم من ظل ، حتى يلعن منه مثل السبع الضاري (٢) .

وهذا موافق لما في الصحيح ، من رواية قتادة ، حدثنا أبو المثلث التميمي : أن أبا سعيد الخدري حدثهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُكْتَبُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ ، مِثْلُ مَا كَانَتْ يَدُهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَكُفُّوا ، أُذِّنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » (٣) .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا هشام ، عن محمد - هو ابن سيرين - قال : استأذن الأشتر على علي رضي الله عنه ، وعنده ابن طلحة ، فحبسه لم أذن له ، فلما دخل قال : إني لأراك إنما احتبسني لهذا ؟ قال : أجل ؛ قال : إني لأراه لو كان منك ابن لعنمان لحبستني ؟ قال : أجل ، إني لأرجو أن أكون أنا وعشمان ممن قال الله تعالى : ( وَلَوْ هُمْ مَكَانُ صُلُوحِهِمْ مِنْ ظُلٍّ عَلَى سِرٍّ مُتَقَابِلِينَ ) (٤) .

وحدثنا الحسن - حدثنا أبو معاوية الضرير ، حدثنا أبو مالك الأشجعي ، عن أبي حنيفة - هو ابن طلحة - قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه ، بعد ما فرغ من أصحاب الجمل ، فرحب به وقال : إني لأرجو أن يجعلن الله وأباك من الذين قال الله : ( وَرَحِمْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ ظُلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سِرٍّ مُتَقَابِلِينَ ) - قال : ورجلان جالسان على ناحية البساط ، فقالا : الله أحمل من ذلك فتلتهم بالأمس ، وتكونون إخوانا ؛ فقال علي رضي الله عنه : قوما أبعد أرضي وأستحقها ؛ فلي هو إذا إن لم أكن أنا وطلحة ، وذكر أبو معاوية الحديث بطوله (٥) .

وروى وكيع ، عن أبيان بن عبد الله البجلي ، عن نعيم بن أبي هند ، عن ربيعة بن جبرائيل ، عن علي ، نحوه - وقال فيه : فقام رجل من همدان فقال : الله أحمل من ذلك يا أمير المؤمنين . قال : فصاح به على صيحة ، فظننت أنه القصر تكلمته (٦) ، ثم قال : إذالم نكن نحن فبن هو (٧) ؟ .

وقال سعيد بن مسروق ، عن أبي طلحة - وذكره - فيه : فقال الحارث الأحور ذلك ، فقام إليه علي رضي الله عنه فصر به بغير مكان في يده من رأسه ، وقال : فبن هم يا أحور إذالم نكن نحن ؟

(١) في تفسير الطبري : : حدثنا أبو فضالة . وكلاما صواب وهو الفرج بن فضالة بن النعمان ، وكتبه أبو فضالة . ينظر ترجمته في التلخيص : ٨ ٪ ٢٦٠ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤ ٪ ٢٥٠ . ولفظه : : من ظل ، ثم يترج .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرفاق ، باب : التماس يوم القيامة . ٨ ٪ ١٢٨ ، ١٢٩ . ومسنود الإمام أحمد : ٤ ٪ ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

(٤) تفسير الطبري : ١٤ ٪ ٢٦٠ .

(٥) تفسير الطبري : ١٤ ٪ ٢٥٠ .

(٦) معنى تفسير هذه الكلمة : ٣ ٪ ٣٠٤ .

(٧) تفسير الطبري : ١٤ ٪ ٢٥٠ .

وقال سفيان الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم قال : جاء ابن جرهموز قاتل قريب يستأذن على علي رضي الله عنه ، لحجه طويلا ، ثم أذن له . فقال له : أما أهل البلاء فتجفؤهم . فقال علي : بئيك الأرب ، إني لأرجو أنا تكون أمة وطلة والزيبر ، عن قال الله : ( وتزعمنا ماني صدورهم من ظل إخواننا على سرر متقابلين ) .

وكذا روى الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي ، بنحوه .

وقال سفيان بن عيينة ، عن إسرائيل ، عن أبي موسى ، سمع الحسن البصري يقول : قال علي : فبنا والله - أهمل - بذر - نزلت هذه الآية : ( وتزعمنا ماني صدورهم من ظل إخواننا على سرر متقابلين ) .

وقال كثير النواء : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فقلت : ولي وليكم ، وسلمي سلمكم ، وعلوي علوكم ، وحرزي حركم . إني أسألك بالله : أخبرني من أبي بكر وعمر ؟ فقال : ( قد ضللت إفا ، وما أنا من المهنتين ) ، نزلها بالكبر ، لما أحركك فهر في رقبتي هذه ، ثم تلا هذه الآية : ( إخواننا على سرر متقابلين ) - قال : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقال الثوري ، عن رجل ، عن أبي صالح في قوله : ( إخواننا على سرر متقابلين ) ، قال : هم عشرة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلة ، والزيبر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن مسعود ، رضي الله عنهم أجمعين .

وقوله : ( متقابلين ) - قال : مجاهد لا ينتظر بعضهم في قضا بعض (١) .

وفيه حديث مرفوع ، قال ابن أبي حاتم :

حدثنا يحيى بن عبدك القزويني ، حدثنا حسان بن حسان ، حدثنا إبراهيم بن بشر (٢) ، حدثنا يحيى بن معوية ، عن إبراهيم القرشي (٣) ، عن سعيد بن شرحبيل ، عن زيد بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا هذه الآية : ( إخواننا على سرر متقابلين ) ، في الله ، ينتظر بعضهم إلى بعض .

وقوله : ( لا يسهم فيها نصب ) ، يعني للشفقة والأذى ، كما جاء في الصحيحين ، : إني إن الله أمرني أن أبشر شديعة يبيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب (٤) .

(١) تفسير الطبري : ١٤ / ٣٦ .

(٢) في المخطوطة : بشر . . وللتبني من البرج والتبديل لابن أبي حاتم : ١٠٩ / ٩٠ .

(٣) في المخطوطة : إبراهيم القوسي . . وللتبني من المرجع السابق : ١ / ١٠٥ .

(٤) البخاري : أبواب السيرة ، باب : من قبل المنصر : ٨ / ٧٣ . ومنتخب الأنصار ، باب : تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وفضلها رضي الله عنها : ٤٨ / ٥٥ . وكتاب التوحيد : ٩٧ / ١٧٦ . وسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : فضائل عديعة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها : ٧ / ١٣٣ .

والمراد بالقصب : الخواصر الخوف . والقصب : الصوت الخطط المرتفع . والقصب : اللقطة والتمسك .

وقوله : ( وما هم منها عجزين ) ، كما جاء في الحديث : « يقال : يا أهل الجنة ، إن لكم أن تصحوا فلا تمضوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تمروا أبداً ، وإن لكم أن تقيموا فلا تظنوا أبداً » (١) .  
وقال الله تعالى : ( خالدين فيها لا يفتنون منها حولا ) (٢) .  
وقوله : ( نبي هادي أتى أنا الظنور الرحيم ) ، وأن هادي هو الطالب الأليم ) ، أي : أنبر يا محمد هادي أتى فر  
رحمة وفو حجاب أليم .

وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية للكريمة ، وهي قاله على معنى الرجاء والخوف ، وذكر في سبب نزولها ما رواه  
مرمى بن حيدة عن مصعب بن ثابت قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناس من أصحابه يضحكون ،  
فقال : « اذكروا الجنة » ، واذكروا النار » ، فتركت : ( نبي هادي أتى أنا الظنور الرحيم ) ، وأن هادي هو الطالب الأليم ) ،  
رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل .

وقال ابن جرير ، حدثني الحسن ، حدثنا إسحاق ، أنبرنا ابن للكي ، أنبرنا ابن المبارك ، أنبرنا مصعب بن ثابته ،  
حدثنا حاتم بن حيد الله ، عن ابن أبي رباح ، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طلع عليا  
وسئل الله صلى الله عليه وسلم عن الباب الذي يدخل منه يتو شية » ، فقال : « ألا أراكم تضحكون ؟ لم أهر ، حتى إذا كان  
عند المنبر رجح إلينا القهقري » ، فقال : « إن لا خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ؟ إن الله يقول : لم  
تخط هادي ؟ ( نبي هادي أتى أنا الظنور الرحيم ) ، وأن هادي هو الطالب الأليم » (٣) .

وقال سعيد ، عن قتادة بن قولة تعالى : ( نبي هادي أتى أنا الظنور الرحيم ) - قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : « لو يعلم المبد قدر حقا الله لا تخرج من حرام ، ولو يعلم قدر عقابه لبحق نفسه » (٤) :

وَيَسِّرْهُمْ مِنْ صَبِيٍّ إِبراهيمَ ﴿١٥﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا  
نَحْنُ الْمُغْتَابُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ  
قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ قَالُوا بَشِّرْهُمْ بِبَشِيرَةٍ

يقول تعالى : وأنبرهم يا محمد عن قصة (صبي إبراهيم) - والصبي : يطلق على الواحد والجمع ، كالزور والسفر -  
وكيف (دخلوا عليه فقالوا : سلاماً ، قال : إنا منكم وجلون ) ، أي : خائفون .

وقد ذكر سبب خوفه منهم ، وأرى إليهم لا تصل إلى ما قرره لهم ضيافة ، وهو العجل الصمعي الحليل .

( قالوا : لا توجل ) ، أي : لا تخف ، ( ويبروه بظلام علم ) - وهو إسحاق عليه السلام ، كما تقدم في سورة هود .

(١) مسلم ، كتاب الجنة ، باب : « في دخولهم أهل الجنة » ، ١٤٨ / ٨ .

(٢) سورة الكهف ، آية : ١٠٨ .

(٣) تفسير القهقري ، ١٥ ، ٢٧ .

(٤) أي : « لم يهر الله ولدا ، ولا لآلئ في تنبيه القهقري » ، ١٥ ، ٢٧ .

لم ( قال ) متعباً من كبره وكبر زوجته ومتحقاً للوعد : ( أشرعنوني حل أن معنى الكبر ؟ لم يشرون ؟ ) ، فأجابوه مكرمين لا يشروه به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة ، ( قالوا : بشرناك بالحق ، فلا تكن من القائلين ) - وقرأ بعضهم ( الفتيين ) (١) - فأجابهم بأنه ليس بقط ، ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسست امرأته ، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك .

قَالَ قَبْ خَطْبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ قَوْمَ عَجْرَمٍ ﴿٥٩﴾ إِلَّا هَآءَ لُوطُ إِنَّا لَمُجْرِمُونَ ﴿٦٠﴾  
لَجَمِيعٍ ﴿٦١﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْرِينَ ﴿٦٢﴾

يقول تعالى إخباراً عن إبراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الروح وجاءته البشري : إله شرع بسلامك عما جاموا له ، فقالوا : ( إنا أرسلنا إلى قوم عجرم ) ، يمتنون قوم لوط : وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فلها من المهلكين ، ولهذا قالوا : ( إلا امرأته قدرنا إنما لمن الغابرين ) ، أى : الباقيين للمهلكين .

فَأَمَّا لُوطُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَكَرُونٌ ﴿٥٩﴾ قَالُوا أَيْ جَنَّاتِكَ يَمَّا كَانُوا فِيهَا يَتَبَوَّءُونَ ﴿٦٠﴾  
وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَنَصِيرُونَ ﴿٦١﴾

يجب تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شبابه حسن الوجه ، فدخلوا عليه داره ، قال : ( إني قوم منكروه ) ، قالوا : بل جناتك بما كانوا فيه يمترون ، يمتنون بملابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم ، وحلوله يساحتهم . ( وأتيناك بالحق ) ، كما قال تعالى : ( ما تقول للملائكة إلا بالحق (٢) ) .

وقوله : ( وإنا لصادقون ) ، تأكيد لنبرهم إياه بما أخبروه به ، من نجاة وإهلاك قومه .

فَأَمَّا بِأَمْرِكَ يَقَطِعُ مِنَ الْبَيْتِ وَأَنْبَعِ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَتْلَاهُ مَقْطُوعٌ مُّصَرِّفٌ ﴿٦٣﴾

يلتزم تعالى في الملائكة أنهم أمروه أن يسرى بأهله بعد مضي جانب من الليل ، وأن يكون لوط عليه السلام بمعي وراهم ، ليكون أحفظ لهم ،

وهكذا كان رسول الله صل الله عليه وسلم معفى في الفترة بما كان يكون مائة ، يزهى الضعيف ، ويحمل المتقطع (٣) .

(١) ينظر تفسير الباري ١٤ : ٢٨١ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٥ : ٥٥٩ .

(٢) سورة الحجر ، آية ٨ .

(٣) يزهى الضعيف ، أى يسوقه ليلته بالرفاق ، والمتقطع : المنفرد . والحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب في لزوم المسافة ، برقم ٢٦٣٩ : ٣ : ٤٤ ، عن جابر بن عبد الله ، ولفظه : « كان رسول الله صل الله عليه وسلم يتخلف في الليل . يزهى الضعيف ، يهرف ، ويهجر لم » .

وقوله : ( ولا يلبث منكم أحد ) ، أى : إذا سمعتم الصبحه بالقوم فلا تلتفتوا إليهم ، وذوهم فيا حل بهم من اللباب والثكال ، ( وادفروا حيث تؤمرون ) ، كأنه كان معهم من يديهم السيل .  
( ونفضنا إليه ذلك الأمر ) ، أى : قلنا له فى هذا ( أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ) ، أى : وقت الصباح كما قال فى الآية الأخرى : ( إن مواعدهم الصبح ، أليس بقريب (١) ) :

وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٠﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا أَوْزَرَ نَفْسِكَ مِنَ الْمَالِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتُ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٤﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٦٥﴾

يخبر تعالى عن عيسى قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحه وجرهم ، وأنهم جاءوا يستبشرين بهم فرحين ، ( قال : إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تخزون ) :

وهذا إنما قاله لم قبل أن يعلم بأنهم رسل الله كما فى سياق سورة هود ، وأما ما تقدم ذكر أنهم رسل الله ، وحطت بذكر عيسى قومه وعاجبه لم . ولكن الراوى لا تقتضى الترتيب ، ولا سيما إذا دل دليل على خلافه ، فقالوا له عجيبين : ( أولئك من المالين ) ، أى : أوما نبيك أن تضيف أحدا ؟ فأرسلهم إلى نساءهم ، وما خلق لم بهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم أيضا القول فى ذلك ، بما أغنى عن إعادته (٢) :

هذا كله وهم خاطئون عما يراد بهم ، وما قد أساط بهم من البلاء ، وماذا يُصحبهم من اللباب المنظر : ولهذا قال تعالى لتبصروا صلى الله عليه وسلم : ( لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ) ، أقسم تعالى بحياة نبيه - صلوات الله وسلامه عليه - وفى هذا تكميل عظيم ، ومقام رفيع وجاءه عريس ،

قال عمرو بن مالك التكرى ، عن أبى الجوزاء ، عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذوا وما برأ نسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره : قال الله تعالى ( لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ) : رواه ابن جرير (٣) :

وقال قتادة : ( فى سكرتهم ) ، أى : فى ضلالتهم ، ( يعمهون ) ، أى : يلبسون .

وقال علي بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ( لعمرك ) : لعنك ، ( إنهم لفي سكرتهم يعمهون ) ، قال : يمتدحون (٤) .

(١) سورة هود ، آ٢ : ٨١ .

(٢) ينظر تفسير سورة الأعراف ، ٣ : ٥٨١ ، ٥٨٢ . وتفسير سورة هود ، ١ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣) تفسير الطبري ، ١٨ : ٣٠ .

(٤) كذا فى خطوط الأثر ، ولكن : أخذه العرب لك . للم . وفى نسخة أخرى : ١٤ : ٢٤ ، ٢٥ : ٢٦ .



فَأَخَذْنَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٤﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا ، وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مِحْرَافًا مِّنْ يَّجِيلٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَذَكِّرِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّا لَنَسِيلٌ لِّمُتَعَمِّقِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

يقول : ( فأخذنهم الصيحة ) ، وهى ما جاعهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس ، وهو طلوعها ، وذلك مع رفع بلادهم إلى سنان السماء ثم قلبها ، وجعل عاليها سافلها ، وإرسال حجارة السجيل عليهم : وقد تقدم الكلام على السجيل فى هود بما فيه كفاية .

وقوله : ( إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ) ، أى : إن آثار هذه التيم ظاهرة على تلك البلاد لأن تأمل ذلك وقوسمه بعين بصره وبصيرته ، كما قال مجاهد فى قوله : ( المتوسمين ) ، قال : للمتوسمين ؛

وعن ابن عباس ، والفسحاك : لثانئين . وقال قتادة : للمتبرين : وقال مالك عن بعض أهل المدينة : ( المتوسمين ) ؛ للمتأملين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن هرقة ، حدثنا محمد بن كثير القتيبي ، عن عمرو بن قيس ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله . ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ) .

رواه الترمذى ، وابن جرير ، من حديث عمرو بن قيس الملائي ، وقال الترمذى : لا نعرفه إلا من هذا الوجه (١) .

وقال ابن جرير أيضاً : حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا القرات بن السائب ، حدثنا ميمون بن مهران ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإن المؤمن ينظر بنور الله » (٢) .

وقال ابن جرير : حدثني أبو شرحبيل الحمصي ، حدثنا سليمان بن سلمة ، حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي ، حدثنا أبو المعلل أسد بن وداعة الطائي ، حدثنا وهب بن منبّه ، عن طاووس بن كيسان ، عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احذروا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله » وينطق [ بنور الله ] (٣) .

وقال أيضاً : حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، حدثنا سعيد بن محمد الجري ، حدثنا عبد الواحد بن واصل ، حدثنا أبو بشر المزني ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لله عبداً يعرفون الناس بالنوسم » .

رواه الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا سعيد بن محمد الجري ، حدثنا أبو بشر — يقال له : ابن المزني ، قال : وكان ثقة — عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله عبداً يعرفون الناس بالنوسم » .

(١) نسخة الأخرى : تفسير سورة الحجر ، الحديث ٥١٣٣ : ٨ / ٥٥٤ - ٥٥٦ . وتفسير الطبري : ١٤ / ٣٩ : ٣٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤ / ٣٢ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤ / ٣٢ . وما بين القوسين عنه .

وقوله : ( ولها لبيسيل مقيم ) ، أى : وإن قرية سدوم التى أصابها [ ما أصابها ] من انقلاب الصورى والمعوى ، والتلف بالحجارة ، حتى صارت بحيرة ممتدة خيالة ليطريق مَهَيِّج (١) مسالكة ، مستمرة إلى اليوم ، كما قال تعالى : ( ولأنكم تشرون عليهم مصيبين : وبالبال أفلا تعقلون ) (٢) :

وقال بجاهد ، والفسحاك : ( ولها لبيسيل مقيم ) ، قال : معلّم : وقال قتادة : بطريق واضح : وقال قتادة أيضاً : يصمّع من الأرض واحد :

وقال السدى : « بكتاب مبین » ، أى كقوله : ( وكل شيء أحصيناه فى إمام مبین ) : ولكن ليس المعنى على ما قال هاجتا ، والله أعلم .

وقوله : ( إن فى ذلك لآية للمؤمنين ) ، أى : إن الذى صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وإجابتنا لوطاً وأهله ، لدلالة واضحة جليلة للمؤمنين بالله ورسوله .

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ فَاتَّخَذْنَاهُمْ وَآلِهَتَهُمْ لِيُكَلِّمِينَ ﴿١٨﴾

أصحاب الأيكة : هم قوم شعيب .

قال الضحاك ، وقاتدة ، وغيرهما : الأيكة الشجر للثنت »

وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق ، ونقصهم الكيال والميزان . فاتخذ الله منهم بالصبيحة والرجلة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريباً من قوم لوط ، يتحدّهم فى الزمان ، ومساكنهم فى المكان ، ولهذا قال تعالى : ( ولهماء لوليام مبین ) ، أى : طريق مبین .

قال ابن عباس ، وجاهد ، والفسحاك : طريق ظاهر . ولهذا لما أنذر شعيب قومَه قال فى نذارته إياهم : ( وما قوم لوط منكم ببعد ) (٣) .

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ ﴿١٩﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٢٠﴾ وَكَانُوا يُخَوِّنُونَ  
مِنَ الْجِبَالِ يَبُونًا أَمِينِينَ ﴿٢١﴾ فَاسْخَرْنَاهُمْ الْعَصِيَّةَ مُصْبِحِينَ ﴿٢٢﴾ لَمَّا أَضَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٣﴾

أصحاب الحجر هم : ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم ، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ، ولهذا أطلق عليهم توكيد المرسلين .

وذكر تعالى أنه أنهم من الآيات ما يلهم على صدق ما جاءهم به صالح ، كالثاقفة التى أخرجها الله لهم بدعاء صالح

(١) طريق مهيج : واضحة .

(٢) سورة الصافات ، آية : ١٣٧ .

(٣) سورة هود ، آية : ٨٩ .

من صخرة صماء ، فكانت تسرح في بلادهم ، لما شرب ولم شربت يوم معلوم ، فلما عتروا وعصروها قال لهم : (كفتموا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكلوب) (١) ، وقال تعالى : (وأما نوح فهديناهاهم ، فاستجبوا للعني على الهدى) (٢) . وذكر تعالى : أنهم (كانوا ينحون من الجبال يويها آمنين) ، أي : من غير خوف ولا احتياج إليها ، بل أشرا وبطرا وصفا ، كما هو المشاهد من صنعهم في بيوتهم بوادئ الحجر ، الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك ففتحت (٣) رأسه وأمرع دابته ، وقال لأصحابه : ولا تملخوا بيوت القوم الملعين ، إلا أن تكونوا ياكين ، فإن لم تكونا فبها كرا خشية أن يصيبكم ما أصابهم) (٤) . وقوله : (فأغلظهم الصيحة مصيحين) ، أي : وقت الصباح من اليوم الرابع ، (لما أفضى عنهم ما كانوا يكسبون) ، أي : ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنوا بها عن الناقة ، حتى عقروها ثلثا تضييق عليهم في المياه ، فما دفعت عنهم تلك الأموال ، ولا نفعتهم ، لا جاء أمر ربك :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٥﴾  
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا

يقول تعالى : (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ، أي : بالعدل ، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحق) (٥) ، وقال تعالى : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا فيويل للذين كفروا من النار) (٦) ، وقال : (أفصبرتم أنما خلقناكم عبداً وأنكم لنا لا ترجعون . فقال الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) (٧) . ثم أخبر نبيه بقيام الساعة ، وإنها كائنة لا محالة : ثم أمره بالصفتح الجميل من المشركين ، في أذاهم له وتكذيبهم ما جاءهم به ، كما قال تعالى : (فاصفح عنهم وقل : سلام ، فسوف يعلمون) (٨) . وقال مجاهد وقتادة وغيرهما : كان هذا قبل القتال (٩) . وهو كما قال ، فإن هذه مكبة ، والقتال إنما شرع بعد الهجرة .

وقوله : (إن ربك هو الخلاق العظيم) ، تقرير للمعاد ، وأنه تعالى قادر على إقامة الساعة ، فإنه الخلاق الذي لا يعجزه خلق ما يشاء ، وهو العظيم بما تترك من الأجساد ، وتفرق في سائر أقطار الأرض ، كما قال تعالى (أوليس الذي خلق

- 
- (١) سورة هود : آية : ٦٥ .
  - (٢) سورة فصلت : آية : ١٧ .
  - (٣) أي : سبى ثوبه على رأسه .
  - (٤) ينظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٢١ ، ٥٢٢ .
  - (٥) سورة التين : آية : ٣١ .
  - (٦) سورة ص : آية : ٢٧ .
  - (٧) سورة المؤمنون : آية : ١١٥ ، ١١٦ .
  - (٨) سورة الفرقان : آية : ٨٩ .
  - (٩) تفسير الطبري : ١٤ / ٣٥ .

لسموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بل وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، وإليه ترجعون (١) .

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْأَمْثَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٣٧﴾ لَا تَحْزَنْ حِينَئِذٍ إِنَّا مَآمِنَانَهُ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ  
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضَ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى تنبيه : كما آتيناك القرآن العظيم ، فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها ، وما تمتعنا به أهلها من الزهرة الزانية لظنهم فيه ، [ فلا تنبطع بما هم فيه ] ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكليهم لك ، وعافيتهم منك ؛ وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٣٧) ، أي : أئن لم جناحك ، كما قال تعالى : ( لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ) (٣٨) .

وقد اختلف في السبع المثاني : ما هي ؟ فقال ابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك وغير واحد : هي السبع الطلوع ، . ينعون : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس ، نص عليه ابن عباس ، وسعيد بن جبير .

وقال سعيد : بين فيهن القرآن ، والخلود ، والقصص ، والأحكام ،

وقال ابن عباس : بين الأمثال والنبأ والسياسة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان : ( المثاني ) : المثنى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأفعال ویرامة سورة واحدة .

قال ابن عباس : ولم يحطهن أحد إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأعطى موسى منهن تسين : دواء هُشيم ، من الحجاج ، من الوليد بن السيزار ، من سعيد بن جبلة (٤) .

وقال الأعشى ، من مسلم الطين ، من سعيد بن جبير ، من ابن عباس قال : أوتي النبي صلى الله عليه وسلم سبعا من المثاني الطلوع ، وأوتي موسى عليه السلام سبعا ، فلما ألقى الألواح ارتفع اثنتان وبقيت أربع :

وقال مجاهد : هي السبع الطلوع - ويقال : هي القرآن العظيم (٥) .

وقال خُصيف ، من زياد بن أبي مريم في قوله تعالى : ( سبعا من المثاني ) ، قال : أعطيتك سبعة أجزاء : آمر ، وأسى ، وأبشر ، وأثذر ، وأضرب الأمثال ، وأحدث النعم ، وأنبئك نبأ القرآن . رواه ابن جرير (٦) ، وابن أبي حاتم .

(١) سورة «يس» : الآيات ٨١ - ٨٣ .

(٢) هذا لفظ آية الشريعة : ٢١٥ -

(٣) سورة التوبة : آية ١٧٨ -

(٤) تفسير الطبري : ٣٥ / ١٤ -

(٥) المصدر السابق : ٣٩ / ١٤ -

(٦) المصدر السابق : ٣٩ / ١٤ . هذا وقد كان ينبغي أن يرد ابن كثير هذا الأثر عن الآثار السابقة ، فهو يمثل قولاً آخر ، وهو أن المقصود بالسبع المثاني معاني القرآن . وقد بين ذلك ابن جرير الطبري .

والقول الثاني: أنها الفاتحة ، وهي سبع آيات . روى ذلك عن عمر وعجل ، وابن مسعود ، وابن عباس — قال ابن عباس : والسبعة هي الآية السابعة ، وقد خصكم الله بها . وبه قال إبراهيم النخعي ، وعبد الله ابن عبيد بن حمير ، وابن أبي مليكة ، وشهر بن حوشب ، والحسن البصري ، ومجاهد .

وقال قتادة : ذكر لنا أن ابن فاطمة الكتاب ، وأن ابن يثين في [كل] (١) قرأة — [وفى رواية في] كل ركعة مكتوبة أو تطوع .

واختاره ابن جرير ، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، وقد قلمتها في فضائل سورة الفاتحة في أول التفسير ، والله الحمد (٢) .

وقد أورد البخاري رحمه الله ما هنا حديثين ، أحدهما قال :

حدثنا محمد بن يشار ، حدثنا غندر ، حدثنا شعبة ، عن عبيد بن عبد الرحمن ، عن حفص بن عاصم ، عن أبي سعيد بن الملق قال : «مر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أصلي ، فدعاني فلم آه حتى صليت ، ثم أتيت فقال : ما متك أن تأتي؟ قلت : كنت أصلي . فقال : لم يقل الله : ( يا أيها الذين آمنوا آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ) ، ألا أعلمكم أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ؟ فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج ، فذكرته قال : ( الحمد لله رب العالمين ) ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » .

الثاني قال : حدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، حدثنا المقبري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أم القرآن هي : السبع المثاني والقرآن العظيم» (٣) .

فهنا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ، ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوّل بذلك ، لا فيها من [ هذه ] الصفة ، كما لا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً ، كما قال تعالى : ( الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ثانياً (٤) ، فهو مثاني من وجه ، ومتشابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضاً ، كما أنه عليه السلام لا سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فأشار إلى مسجده ، والآية نزلت في مسجد قباء ، فلا تناقض ، فإن ذكر الشيء لا ينافي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة ، والله أعلم .

وقوله : ( لا تمد عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ) ، أي : استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عما هم فيه من الناح والزهرة القانية .

(١) ما بين القوسين للمؤلفين زيادة يستقيم بها السياق . وقد روى الأثران في تفسير الطبري : ٣٩ / ١٤ .

(٢) ينظر : ٢١ / ١ - ٢٢ .

(٣) البخاري ، تفسير سورة الحجر : ١٤٦ / ١ ، ١٥٢ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٢٣ .

ومن هاهنا ذهب ابن عبيّنه إلى تفسير الحديث الصحيح : « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » (١) ، إلى أنه يُستغنى به عما عداه ، وهو تفسير صحيح ، ولكن ليس هو المقصود من الحديث ، كما تقدم في أول التفسير .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن وكيع بن الجراح ، حدثنا موسى بن عبيدة ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي رافع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم قال : أضاف النبي صلى الله عليه وسلم ضيفاً ، ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء (٢) يصلحه ، فأرسل إلى رجل من اليهود : يقول لك عمدة رسول الله : أسلفني حقيقاً إلى هلال رجب . قال : لا ، إلا برّمّن . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم [ فأخبرته ] (٣) فقال : أما والله إني لأؤمن من في السماء وأمين من في الأرض ، ولكن أسلفني أو باعني لأؤدينّ إليه . فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية : ( لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا ) ... إلى آخر الآية ، كأنه يعزبه عن الدنيا .

وقال الترمذي ، عن ابن عباس : ( لا تمدن عينك ) - قال : نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه (٤) .

وقال مجاهد : ( إلى ما متعنا به أزواجنا منهم ) ، هم : الأغنياء .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٨﴾ كَمَا أُنزِلَتْ عَلَى الْمُقْسِمِينَ ﴿٨٩﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩٠﴾ قُورَيْكٌ  
لَنَسْفَعَنَّهُمْ جَمْعِينَ ﴿٩١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾

بأمر تعالى ليه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يقول للناس : إنه ( النذير المبين ) ، الذين للذكارة ، نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكليبه كما حل بمن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسولها ، وما أنزل الله عليهم من العذاب والانقضاء .

وقوله : ( المقسمين ) ، أي : المتحالفين . أي : تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم ، كما قال تعالى إخباراً عن قوم صالح . أنهم قالوا : تقاسموا بالله لنبيته وأهله (٥) ، أي : تقتلهم ليلاً ، قال مجاهد : تقاسموا : تحالفوا . وأقسموا بالله جهد أيمانهم ، لا يمت الله من يموت (٦) ، ( أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من روال ) (٧) ،

- 
- (١) البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تبارك : ( وأسرؤا قلوبكم أو أجهروا به إنه عليم بذات الصدور ) : ١٨٨/٩ ، وسنن أبي داود ، كتاب القدر ، باب « استحباب الترتيل في القراءة » ، الحديث ١٤٦٩ : ٧٤/٢ ، وسنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، باب : « التثنية بالقرآن » ، الحديث ١٤٩٨ : ٢٨٨/١ ، وكتاب فضائل القرآن ، باب : « التثنية بالقرآن » ، الحديث ٣٤٩١ : ٣٣٨/٢ ، وصنعت الإمام أحمد عن سعد بن أبي وقاص : ١٧٢/١ ، ١٧٥ ، ١٧٩ .
- (٢) في المخطوطة : « وأمرأ يصلحه » . والمثبت من الطبعات السابقة .
- (٣) ما بين القوسين المقوفين من الطبعات السابقة .
- (٤) تفسير الطبري : ٤٢/١٤ .
- (٥) سورة النمل ، آية : ٤٩ . وميثاق أثر مجاهد عند هذه الآية .
- (٦) سورة النحل ، آية : ٣٨ .
- (٧) سورة إبراهيم ، آية : ٤٤ .

(أهلؤا الذين أقسم لا بناهم الله برحمة (١) ، فكأنهم كانوا لا يكلون بلى إلا أسمعوا عليه ، فسموا مقتسمين ٥

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : المقتسمون أصحاب صالح ، الذين تقاسموا بالله أنيتته وأهله (٢) ٥

وفى الصحيحين ، عن أبي موسى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما مثل ومثل ما يخبئ الله به ، كمثل رجل أتى قومه فقال : يا قوم ، إنى رأيت الجيش يعنى ، وإنى أنا النذير المريان ، فالتجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فادلبوا ، وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذب طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ٥ فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به ، ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق ٥

وقوله : (الذين جعلوا القرآن عضين) ، أى : جزعوا كتبهم المترلة عليهم ، فأمّنوا ببعض وكفروا ببعض (٣) ٥

قال البخارى : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أنبأنا أبو بشر ، عن صيد بن جبير ، عن ابن عباس : ( جعلوا القرآن عضين ) - قال : هم أهل الكتاب ، جزعوه أجزاء ، فأمّنوا ببعضه ، وكفروا ببعضه ٥

حدثنا حبيب الله بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : ( جعلوا القرآن عضين ) - قال : هم أهل الكتاب ، جزعوه أجزاء ، فأمّنوا ببعضه وكفروا ببعضه (٤) ٥

حدثنا حبيب الله بن موسى ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس : ( كما أولنا على المكتسين ) - قال : أمّنوا ببعض ، وكفروا ببعض : اليهود والنصارى (٥) ٥

قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، والضحاك ، مثل ذلك ٥

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ( جعلوا القرآن عضين ) ، قال : السحر ٥

وقال عكرمة : « المتعنه » . السحر بلسان قريش ، لقول الساحرة : إنها العاضنة (٦) ٥

وقال مجاهد : « ضفوه أعضاء » (٧) ، قالوا : سحر ، وقالوا : كهانة ، وقالوا : أساطير الأولين ٥

وقال صطاء : « قال بعضهم : ساحر ، وقال بعضهم : مجنون . وقال بعضهم : كاهن . فذلك العضين ، وكلوا ووى عن الضحاك وغيره .

(١) صورة الأعراف ، آية ٤٩ .

(٢) تفسير التلي : ٤٤/١٤ .

(٣) البخارى ، كتاب الاحتسام ، باب « الاعتناء بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ١١٥/٢٩ . وكتاب الرقاق ، باب « الاعتناء من المعاصى » : ١٢٧/٨ . ومسلم ، كتاب الفضائل ، باب « خلقته صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالته في تحذيرهم ما يضرهم » : ٦٣/٧ .

(٤) لم يرد هذا الأثر في كتاب التفسير من الصحيح . ونفى أن يكون له سقط منه ، وهو سقط نظر . ولم نجده له الرواية أيضاً في فتح البارى : ٢٦٧/٨ .

(٥) البخارى ، تفسير سورة الحجر : ١٠٢/٦ .

(٦) في المسئلة : « إنها الكهانة » . فأثبتنا ما في تفسير التلي : ٤٥/١٤ . والقطعات السابقة .

(٧) أى : فرقه فرقا .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس : أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا شرف فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجتمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكلماتكم بعضاً بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً . فقالوا : وأنت يا أبا عبد شمس ، نقل وأنت لنا وأيا نقول به . قال : بل أنتم قولوا لأسمع : قالوا : نقول : « كاهن » . قال : ما هو بكاهن . قالوا : فنقول : « مجنون » . قال : ما هو بمجنون ؟ قالوا : فنقول : « شاعر » . قال : ما هو بشاعر ؟ قالوا : فنقول : « ساحر » . قال : ما هو بساحر ؟ قالوا : فإذا نقول ؟ قال : والله إن لقوله حلالة ، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا حُرِفَ أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا : هو ساحر : فطرقوا عنه بذلك ، وأنزل الله فيهم : ( الذين جعلوا القرآن عضين ) ، أصنافاً ، ( فو ربك لنساءنهم أجمعين - عما كانوا يعملون ) ، و« ربك » التثنية الذين قالوا : ذلك لرسول الله .

وقال عطية الصوفي ، عن ابن عمر في قوله : ( لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) - قال : عن لا إله إلا الله : وقال عبد الرزاق : أنبأنا الثوري ، عن ليث - هو ابن أبي سليم - عن مجاهد ، في قوله : ( لنساءنهم أجمعين عما كانوا يعملون ) - قال : عن لا إله إلا الله .

وقد روى الترمذي ، وأبو يعل الموصلي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث شريك القاضي ، عن ليث ابن أبي سليم ، عن بشير بن نهيك ، عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( فو ربك لنساءنهم أجمعين ) : عن لا إله إلا الله .

ورواه ابن لإريس ، عن ليث ، عن بشير ، عن أنس موقوفاً . (١) .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد ، حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن هلال ، عن عبد الله بن عكيم قال : قال عبد الله بن مسعود - : والذي لا إله غيره ، ما منكم من أحد إلا سيخول الله به يوم القيامة ، كما يخول أحدكم (٢) بالقمر ليلة البدر ، فيقول : ابن آدم ، ماذا غرك مني ؟ ابن آدم ، ماذا عملت فيا عملت ؟ ابن آدم ، ماذا أجبته المرسلين (٣) .

وقال أبو جعفر : عن الربيع ، عن أبي العالقة : ( فو ربك لنساءنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون ) - قال : يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة ، عما كانوا يعملون ، وماذا أجابوا المرسلين ، وقال ابن عينة : عن عمارك ، وعن مالك .

(١) ينظر الأثر المتقدم في تفسير الطبري : ٤٦/١٤ ، وتحفة الأحوي ، تفسير سورة الحجر ، الحديث ٥١٣٤ ، ٥٥٧/٨ ، وقد وقع في الترمذي : « عن شرع أنس » . وقال الحافظ أبو العلي صاحب تحفة الأوسى : « قد تن التقریب بشر عن أنس ، قيل : هو ابن دينار ، مجهول من السادسة » . هذا وقد ورد في تفسير الطبري أيضاً : « بشير بن نهيك » ، فافهم .

(٢) هذه رواية القمى بنان الرازي أنه قد انفرد بروايته ، وأنه له وحده ، لا يشاركه فيه أحد .

(٣) تفسير الطبري : ٤٦/١٤ .



وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن أبى الحواري ، حدثنا يونس الخلاء (١) عن أبى حمزة الشيباني ، عن عمار بن جبل قال : قال نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاذ إن المؤمن ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه ، حتى كحل عينيه ، وعن فئات الطيبة بأصبعه ، فلا ألفيتك يوم القيامة ، وأحد أسعد بما آتاه الله منك » .

وقال علي بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ( فوريك لتألفهم أجمعين ، مما كانوا يعملون ) ، ثم قال : ( فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ) - قال : لا يسألهم : هل عملتم كذا ؟ لأنه أعلم بملك منهم ، ولكن يقول : لم عملتم كذا ، وكذا ؟

فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمَسْتَهْزِئِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٥﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَبَاتِكَ الْيَقِينُ ﴿٦﴾

يقول تعالى أمرا برسوله - صلوات الله وسلامه عليه - بإبلاغ ما يوحى به وإنفاذه والصلح به ، وهو مواجهة المشركين به ، كما قال ابن عباس : ( فاصدع بما تؤمر ) ، أى : أمضه - وفق رواية : العمل ما تؤمر (٢) . وقال مجاهد : هو الجهر بالقرآن في الصلاة .

وقال أبو حنيفة ، عن عبد الله بن مسعود (٢) : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا ، حتى قرئت : ( فاصدع بما تؤمر ) ، فخرج هو وأصحابه (٤) .

وقوله : ( وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزين ) ، أى : بلغ ما أنزل إليك من ربك ، ولا تنشأ إلى المشركين ( الذين [ يريدون أن يعصوك عن آيات الله . ] يوهوا لو تفهن فيدهنون ) (٥) ، ولا تحقنهم ، فإن الله يكافيك إليهم ، وحافظك منهم ، كما قال تعالى : ( يا أيها الرسول ، بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ) (٦) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يحيى بن محمد بن السكن ، حدثنا إسحاق بن إدريس ، حدثنا حون بن كثر ، عن عن يزيد بن درهم ، عن أنس قال : سمعت أنسا يقول في هذه الآية : ( إنا كفيناك المستهزين . الذين يجعلون مع الله

(١) لعله : يونس بن أبى الفرات القرشي مولاهم الإسكاف . يروى عن أبى حمزة جابر شعبة ، ينظر ترجمته في التلخيص : ٤٦٦/١١ ، وأما أبو حمزة جابر شعبة فهو : عبد الرحمن بن عبد الله المازني البصري ، وقد وقع في اسمه خلاف ، ينظر ترجمته في التلخيص : ٢١٩/٦ ، والبحر لابن أبى حاتم : ٢٥٧/٢/٢ . ولما « الشيباني » ، فهكذا في الطبقات السابقة ، وفي المطبوعة « الشيباني » .

(٢) تفسير الطبري : ٤٧/١٤ .

(٣) ورد الأثر في تفسير الطبري : ٤٧/١٤ : « عن موسى بن حنيفة ، عن أخيه عبد الله بن حنيفة » . وقد أورد الأثر في الدر المنثور : ١٠٦/٤ ، كما هنا من طريق أبي حنيفة ، عن عبد الله بن مسعود .

(٤) تفسير الطبري : ٤٧/١٤ .

(٥) سورة النمل : آية : ٩ .

.. (٦) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .

إلها آخر ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغزوه بعضهم ، فجاء جبريل — أحسبه قال : فغزوه فوقع في أجسادهم ، كهيئة الطعنة حتى ماتوا .

وقال محمد بن إسحاق : كان عظماء المستهزين — كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير — خمسة نفر ، كانوا ذوي أَسْنَانٍ وشرف في قومهم ، من بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن المطلب أبو زمعة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بلغني قد دعا عليه ، لا كان يبلغه من أذاه واستهزائه ، فقال : اللهم ، أضْمِ بصره ، وأنكله ولده . ومن بني زهرة : الأسود بن عبد يثوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومن بني غزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عُمَر بن غزوم . ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيْنس بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سَعْد بن سعد . ومن خزاعة : الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملسكان — فلما تهادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء ، أنزل الله تعالى : (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزين إلى قوله : (لن سوف يعلمون) :

وقال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره من العلماء : أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فر به الأسود [ بن المطلب فرى في وجهه بركة خضراء ، فمضى ، ومر به الأسود ] (١) بن عبد يثوث ، فأشار إلى بقلته ، فاستسقى بقلته ، فمات منه حينئذ (٢) ، ومر به الوليد بن المغيرة ، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله — كان أصابه قبل ذلك بستين وهو يمر بإزاره (٣) ، وذلك أنه مر برجل من خزاعة يريش (٤) نبلا له ، فعلق سهم من نبله بإزاره ، فخذش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء — فانتفض به فقتله . ومر به العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص قدمه ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فربض (٥) على شبرقة فدخلت في أخمص رجله منها شوكة (٦) فقتلته . ومر به الحارث بن الطلائع ، فأشار إلى رأسه ، فامتخط (٧) ليحيا ، فقتله (٨) .

قال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن رجل ، عن ابن عباس قال : كان رأسهم الوليد بن المغيرة ، وهو الذي جمعهم .

(١) ما بين القوسين المعقوفين سقط من تفسير ابن كثير ، ألقته من سيرة ابن هشام وتفسير الطبري .

(٢) الحزن — ففتح الحاء والياء — : ظلم البطن ، والأحزن : المسقوف .

(٣) في سيرة ابن هشام والطيبري : « وهو يمر سبله » . والنبل — ففتح السين والياء — : نفوس الإزار .

(٤) أي : يمشي ويميل ما ريشا .

(٥) أي : يرك . ولفظ السيرة كما هنا . وفي تفسير الطبري « فوقف على شبرقة » . والشبرقة — بكسر فسكون فكسر — : ثوب حجازي يركل . وله شوكة .

(٦) في المصنوعة : « منها شبرقة » . وللمثبت عن لارسين السابطين .

(٧) كذا : ومثله في تفسير الطبري . وفي سيرة ابن هشام : « فانتفض » ، بالصاد . ولا معنى له . والمخاط : ما يسيل من الأذن ، ويقال : امتخط وامتخط : أي امتخرج المخاط من ثقبه .

(٨) ينظر هذا الآخر في سيرة ابن هشام : ٤٩/١ ، ٤٩٠ ، وتفسير الطبري : ٤٨/١٤ .

وهكذا روى عن سعيد بن جبر وعكرمة ، نحو سياق محمد بن إسحاق ، عن يزيد ، عن حروة ، بطوله ؛ إلا أن سعيداً يقول : الحارث بن غبطة . وعكرمة يقول : الحارث بن قيس :

قال الزهري : وصدقا ، هو الحارث بن قيس ، وأمه غبطة .

وكذا روى عن مجاهد ، ومقدم ، وقنادة ، وغير واحد ، أنهم كانوا خمسة :

وقال الشعبي : كانوا سبعة :

وللمشهور الأول .

وقوله : ( الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ) ، تهديد شديد ، ووحيد أكيد ، لمن جعل مع الله معبوداً آخر .

وقوله : ( ولقد علم أنك يضيق صدرك بما يقولون : فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ) ، أي : وإنا لنعلم يا محمد أنك بمحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر : فلا يجدهك (١) ذلك ، ولا يبتئذك من إبلاذك رسالة الله ، وتوكل على الله فإنه كافيك ولاصرك عليهم ، فاشتغل بذكر الله وتمجيده وتسيبته وعبادته التي هي الصلاة ؛ ولما قال : ( وكن من الساجدين ) ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد :

حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا معاوية بن صالح ، عن ابن الزهري ، عن كثير بن مرة ، عن نعيم بن حنمل (٢) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( قال الله : يا ابن آدم ، لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره ) (٣) .

ورواه أبو داود ، من حديث مكحول ، عن كثير بن مرة ، بنحو (٤) .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى .

وقوله : ( واعد ربك حتى يأتاك اليقين ) قال البخاري : قال سالم : الموت (٥) .

وسالم هذا هو : سالم بن عبد الله بن عمر ، كما قال ابن جرير .

حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن حذابي طارق بن عبد الرحمن ، عن سالم بن عبد الله : ( واعد ربك حتى يأتاك اليقين ) - قال : الموت (٦) .

وهكذا قال مجاهد ، والحسن ، وقنادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره .

(١) حله للكلمة إحدى لوازم ابن كثير في التفسير ، وقد مضى تفسيرها في : ٣٢١/١ ، ١٥٤/٢ ، ٣١١/٣ .

(٢) في الخطوط : « حماد » . والمثبت من المتن ، وأمه الناقة ، وفي القاموس المحيط : « حماد » كشداد .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٨٦/٥ .

(٤) سنن أبي داود ، كتابه الصلاة ، باب صلاة النسي ، الحديث ١٢٨٩ : ٢٧٤/٢ ، ٢٨ %

(٥) البخاري ، تفسير سورة الحجر : ١٥٣/٦ .

(٦) تفسير الطبري : ١٤/١ .

والدليل على ذلك قوله تعالى **فَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ** قالوا : (لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نحوس مع الخافضين : وكنا نكذب بيوم الدين . حتى آتانا اليقين) (١) .

وفي الصحيح من حديث الزهري ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أم العلاء - امرأة من الأنصار - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على عثمان بن مظعون ، وقد مات - قلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك أن الله أكرمك ؟ فقلت : باني وأبي يا رسول الله ، فن (٢) ؟ فقال : أما هو فقد جاءه اليقين ، وإنني لأرجو له الخير (٣) .

ويستدل من هذه الآية الكريمة ، وهي قوله : (واصبريك حتى يأتيك اليقين) ، على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان مادام عقله ثابتاً فيسلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري ، عن عمران بن حصين رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فملى جنب ، (٤)» .

ويستدل بها على مخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة ، فلي وصل أحدهم إلى المعرفة فقط عنه التكليف عندهم . وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأتباع عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته . وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أبعد وأكثر الناس (٥) عبادة ورواية على فعل الخبرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين هاهنا الموت ، كما قلناه . وقد الحمد والملة ، والحمد لله على الهداية ، وعليه الاستانة والتوكل ، وهو المستول أن يتوفانا على أكمل الأحوال وأحسنها .

[ آخر تفسير سورة الحجر ، والحمد لله رب العالمين ]

(١) سورة المدثر ، الآيات : ٤٣ - ٤٧ .

(٢) لفظ الصحيح : « من يكرمه الله ؟ » . والاستفهام وجه - كما في تفسير ابن كثير - فلي هذا المعنى .

(٣) البخاري ، كتاب الجنائز ، باب «الفسوق هل الميت بعد الموت إذا أدرج في كتفه» : ٩١/٢ . وسنة الإمام أحمد :

٤٣٦/٦ .

(٤) البخاري ، كتاب الصلاة ، باب «إنما لم يلق قاعداً صلى على جنب» : ٦٠/٢ .

(٥) في المخطوطة : « أبعد الناس » وأكثر الناس عبادة . وفي النسخات السابقة ما أثبتناه .

# تفسير سورة النحل

وهي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أُمِرْتُ بِاللَّهِ فَلَا اسْتِعْجَالَ مِنِّي فَاصْبِرْ ۚ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

يُخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودونها مبرأ بصيغة الماضي التام على التحقيق والوقوف لا محالة ( اقتراب للناس حسابهم ، وهم في خفلة معرضون ) (١) ، وقال : ( اقتربت الساعة وانشق القصر ) (٢) .

وقوله : ( فلا استعجلوه ) ، أي : قرب ما يتأعد فلا تستعجلوه .

يحتمل أن يعود التفسير على الله ، ويحتمل أن يعود على العذاب ، وكلاهما متلازم ، كما قال تعالى : ( ويستعجلونك بالعذاب ، ولو لا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون . يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم ضبطة بالكافرين ) (٣) .

وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب ، فقال في قوله ( ألتق أمر الله ) : أي فراقه وحلوه (٤) . وقد رده ابن جرير فقال : لانهم أحلوا استعجل الاقراض والشرائع قبل وجودها ، بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه ، استعجلاً وتكليفاً (٥) .

قلت : كما قال تعالى : ( يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ألا إن الذين عارون في الساعة لفي ضلال بعيد ) (٦) .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن يحيى بن آدم ، عن أبي بكر بن عياش ، عن محمد بن عبد الله - مولى المغيرة بن شعبه - عن كسبه بن علقمة ، عن عبد الرحمن بن حنبل ، عن عتبة بن حامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الرمس ، فأتال ترتفع في السماء ، ثم ينادى مناد فيها : يا أيها الناس : فيقبل الناس بعضهم على بعض : هل سمعتم ؟ فأنهم من يقول : نعم . ومنهم من يشك . ثم ينادى الثانية : يا أيها

(١) سورة الأنبياء ، آية : ١ .

(٢) سورة القمر ، آية : ١ .

(٣) سورة التنبؤات ، آية : ٥٤/٥٣ .

(٤) تفسير الطبري : ٥٢/١٤ .

(٥) تفسير الطبري : ٥٣/١٤ .

(٦) سورة الشورى ، آية : ١٨ .

الناس . فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ؟ فيقولون : نعم . ثم ينادى الثالث : يا أيها الناس ، أتى أمر الله فلا تستعجلوه - قال رسول الله ﷺ : هو الذي نفسى بيده ، إن الرجلين لينشران الثوب فإبطياه أبداً ، وإن الرجل ليمتنح حوضه فإيسق فيه شيئاً أبداً ، وإن الرجل ليحطب ناقته فإيشربه أبداً - قال : ويشغل الناس .

ثم إن الله تعالى لوه نفسه عن ذكرهم به غيره ، وعيادتهم معه ما سواه من الأوثان والأنداد ، تعالى وتقدس علواً كبيراً وهؤلاء هم الكلكبيون بالساعة - قال : ( سبحانه وتعالى عما يشركون ) :

يُزَكِّهِ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْذَرُوا أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ①

يقول تعالى : ( يزكّي الملائكة بالروح ) ، أى : الرسى كما قال تعالى : ( وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً انتهى به من نشاء من عبادنا ) .

وقوله : ( على من يشاء من عباد ) ، وهم الأنبياء ، كما قال : ( الله أعلم حيث يجعل رسالته ) (٢) ، وقال : ( الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ) (٣) ، وقال : ( باقى الروح من أمره على من يشاء من عباد لينزل يوم التلاق يوم هم يبرزون لاجتمع على الله منهم شيء ، إن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار ) (٤) .

وقوله : ( أن أنذروا ) ، أى : لينذروا ( أنه لا إله إلا أنا فاصيدون ) (٥) ، وقال في حله : ( فاتقون ) ، أى : فاتقوا عقوبتى لمن خالف أمرى وحيد خبرى .

خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْخَلِيقُ قَدْلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ② خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ نَظْفَةٍ فَاذًا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ③

غير تعالى عن خلقه العالم العلوى وهو السموات ، والعالم السفلى وهو الأرض بما حوت ، وأن ذلك خلق بالحق لالئب ، بل ( ليجزى الذين أساموا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ) (٦) .

ثم لوه نفسه عن شرك من عبد معه غيره ، وهو المستقل بالخلق وحده لاشريك له ، فلهذا يستحق أن يهد وحده لاشريك له .

ثم يهمل خلق جنس الإنسان ( من نطفة ) ، أى : ضئيفة مهينة ، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكليه .

وبخاربه رسلا . وهو إما خلق ليكون عبداً لا عبداً ، كما قال تعالى : ( وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً

(١) سورة الشعورى : آية : ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٢٤ .

(٣) سورة الحج : آية : ٧٥ .

(٤) سورة طه : آية : ١٥ ، ١٦ .

(٥) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ .

(٦) سورة قنم : آية : ٣١ .

وكان ربك قديرًا . ويعلمون من دون الله مالا يفهمهم ولا يفهم ، وكان الكافر على ربه ظهيراً ( ١ ) ، وقال : ( أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هم خصم مبين • وضرب لنا مثلا ولم ينص عليه خلقه قال : من يجزي العظام وهي رميم • قل : هيئها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم ) ( ٢ ) .

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن بَشر بن جهمان قال : بصرى رسول الله في كفه ، ثم قال : يقول الله : ابن آدم ، ألتى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويك فندلك مشيت بين يديك والأرض منك وكبد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : آذ صبق : وألتى أوأان الصلاة ؟ (\*)

وَالَّذِينَ آمَنُوا خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفًّا وَمَنْعَةً وَمِنْهَا آتَاكُنَّ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ يُسْعَوُونَ ۚ

وَجَعَلْنَا أَتْقَانَكُمْ إِلَىٰ يَدَيْهِمْ إِيضًا لِئَلَّا يَكُونَ لَكُمْ دِفٌّ مُّؤْمِنِينَ ۝

يَتَنَبَّأُ عَلَى عِبَادِهِ مَا خَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ ، كَمَا فَصَّلْنَا فِيهِ سُورَةُ الْأَنْعَامِ (٤) إِلَى ثَمَانِيَةِ  
الْزَّوْجِ ، وَبِمَا جَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَنَافِعِ ، مِنْ أَسْوَاقِهَا وَأُورَاقِهَا وَأَشْمَارِهَا يَلْبِسُونَ وَيَتَرَبَّصُونَ ، وَمِنْ أَلْبَابِهَا  
يُشْرِبُونَ ، وَيَاكُلُونَ مِنَ الْوَلَدِهَا ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْجَمَالِ وَهُوَ الزَّيْنَةُ ، وَلَقَدْ قَالَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَعُونَ (٦) ،  
وَهُوَ [وَقْتُ] رُجُوعِهَا حَشِيًّا مِنَ الرَّمْيِ ، لِإِنِّهَا تَكُونُ أَمْتَهُ (٧) خَوَاصِرَ ، وَأَعْظَمَهُ شَرْبُوعًا ، وَأَعْلَاهُ أَسْتَمَةٌ (وَحِجْرٌ)  
لِلشَّرْحِ (٨) ، أَيْ : شُدَّةُ حِينَ يَتَرَبَّصُونَ إِلَى الرَّمْيِ .

وتحمل أحمالكم، وهي الأحمال المظلة التي تسيرون من قهلا وحملها، (إلى بلدكم تكونوا باليه إلى بشرق الأنفس) وذلك في الحج والعمرة والزلز والتجارة وما جرى مجرى ذلك، تستعملونها [في] أنواع الاستعمال، من ركوب وتحصيل، كما قال تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة لقريب بما في بطونها، ولكن فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلأكل تحملون) (٥)، وقال تعالى: (الله الذي جعل لكم الأنعام ذكركم منها ومنها تأكلون، ولكن فيها منافع

(۱) سورة الفرقان، آية : ۴۴ و ۴۵ .

$$\cdot \gamma_9 : \gamma_8 : \gamma_7 : \frac{1}{2} \gamma_6 : \epsilon_{\text{ميس}} : \frac{1}{2} \epsilon_{\text{مور}} \quad (\gamma)$$

(٣) مسنده الإمام أحمد : ٢١٠/٤ ، ومن ابن ماجه ، كتاب الرضايا ، باب « النهي عن الإساءة في الهياة ، والتبليغ

عدد المرات : الحديث ٢٧٠٧ : ٩٠٣/٢ .

(٤) سورة الأنعام ، آية : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ينظر فيما تقدم من هذا التفسير : ٣/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(هـ) هذا أسلوب فصيح شائع في لغة العرب ، فكان الظاهر أن يقال : « أسلمها » و « أصلها » و « أصلها » . ذلك أن التفسير يعود على الأندام ، ولكن رجال العربية يقولون : إن التثنية : « وأمد شيء غراسا » أصلها و « وأمد » . ومن ذلك ورد الحديث الذي رواه البخاري في كتاب النكاح ، باب « إيل من يتكسح » : ٧/٧ ، قال عليه السلام : خير لسان ركين الإبل مبلغ لسان فرس ، أحناء له وله في صفراء ، وأرواحه حل زوج في ذاك يده . ويوهن ذلك من قبيل مراعاة المعنى

هذا وعبارة الحافظ ابن كثير مقتبسة من حديث رواه الإمام مسلم عن النّوّاس بن سمعان ، في كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفه رحمه الله ١٩٧/٨ .

(٦) سورة المؤمنون : الآية : ٢١ و ٢٢ .

وفيلنوا عليها حاجة في صدوركم وعليها ، وعلى الفلك يحملون • ويرىكم آياته فأي آيات الله تنكرون (١) ، ولماذا قال ما هنا بعد تعداد هذه النعم : (إن ربيكم لرموف رحيم) ، أي ربيكم : الذي قيض لكم هذه الأنعام وسحرها لكم كما قال : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون • وظلماتنا لهم فيها ركوبهم ومنها ياكلون) (٢) ، وقال : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون • لتستروا على ظهوره ، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استرستم عليه • وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرين • ولا إله ربنا لخلقهم) (٣) .

قال ابن عباس : (لكم فيها دفة) ، أي : ثياب • وللمناقع : ما تنضعون به من الأطعمة والأشربة (٤) ، وقال عبد الرزاق : أخبرنا إسرائيل ، عن سمك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (دفعومناقع) ، نسل كل دابة وقال بجاده : (لكم فيها دفة) ، قال : لباس ينسج ، ومناقع تركب ، ولحم ولبن ، وقال قتادة : (دفة ومناقع) ، يقول : لكم فيها لباس ، ومغطة ، وبكفة . وكذا قال غير واحد من المفسرين ، باللفظ متقاربة .

### وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده ، عين به عليهم ، وهو : الخيل والبغال والحمير ، التي جعلها للركوب والزية بها ، وذلك لأكثر المقاصد منها ، ولا فصلتها من الأنعام وأفردها بالذكر استدل من استدل من العلماء — ممن ذهب إلى تحريم لحوم الخيل — بذلك على ما ذهب إليه فيها ، كالإمام أبي حنيفة رحمه الله ، ومن وافقه من الفقهاء ، لأنه تعالى قرنها بالبغال والحمير ، وهي حرام ، كما ثبت به السنة النبوية ، وذهب إليه أكثر العلماء . وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثني يعقوب ، حدثنا ابن عيسى ، أن أبا هشام الدستوائي ، حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن مولى نافع بن علقمة أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله : (والأنعام خلقناها لكم فيها دفة ومناقع ومنها تاكلون) ، فهذه للأكل ، (والخيل والبغال والحمير لتركبوها) ، فهذه للركوب (٥) .

وكذا روى عن طريق سعيد بن جبشير وغيره ، عن ابن عباس ، بمثله . وقال مثل ذلك الحكم بن عتيبة رضي الله عنه أيضا واستأنسوا بحديث رواه الإمام أحمد في مسنده :

حدثنا يزيد بن حديره ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثنا ثور بن يزيد ، عن صالح بن يحيى بن المقدام بن معد يكرب ،

(١) سورة طه : آية ٧٩ - ٨١ .

(٢) سورة يس : آية ٧١ ، ٧٢ .

(٣) سورة الزمر : آية ١٢ - ١٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٥ .

(٥) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٧ .



من أبيه ، من جده ، من خاله بن الوليد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الخيل ، والبقال ، والحميم<sup>(١)</sup> .

وأخرج أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث صالح بن يحيى بن القدام - وفي كلام - هـ .  
ورواه أحمد أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأدله منه فقال :

حدثنا أحمد بن عبد الملك ، حدثنا محمد بن حرب ، حدثنا سليمان بن سليم ، عن صالح بن يحيى بن القدام ، عن جده القدام بن معد بكرب قال : غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة<sup>(٢)</sup> ، فقرر<sup>(٣)</sup> أصحابنا إلى اللحم ، فسألني رَمَكَة<sup>(٤)</sup> فذهبوا إليهم فتحبّلوا<sup>(٥)</sup> . وقلت مكانكم حتى آتى خالداً فأسأله . فأتيت فأسأله ، فقال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة خيبر ، فأصرح الناس في حقائق يهود ، فأمرني أن أتأذى : « الصلاة جامعة ، ولا يدخل [الجنة] إلا مسلم » ثم قال : أيها الناس ، إنكم قد أصرعتم في حقائق يهود ، ألا لا تحمل أموال المعاهدين إلا بحقها ، وحرام عليكم لحوم الأكن<sup>(٦)</sup> الأهلية وبغليها ، وكل ذى ناب من السباع ، وكل ذى علب من الطير<sup>(٧)</sup> .

والرمكة : هي الحميرة<sup>(٨)</sup> . وقوله : حبّلوها ، أى : أوقفوها في الحبل ليلبجها ، والحقائق : البساتين القريبة من العمران .

وكان هذا الصنيع وقع بعد إعطائهم الهدى ومعاملتهم على الشطر ، والله أعلم .

فلزم هذا الحديث لكان نصاً في تحريم [لحوم] الخيل ، ولكن لا يقاوم ما ثبت في الصحيحين . من جابر بن عبد الله قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الأهلية ، وأذن في لحوم الخيل<sup>(٩)</sup> .

ورواه أحمد وأبو داود بإسنادين ، كل منهما على شرط مسلم . من جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبقال والحميم ، فلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقال والحميم ، ولم ينها عن الخيل<sup>(١٠)</sup> .

(١) مسند الإمام أحمد : ٨٩/٤ . وأخرجه أبو داود في كتاب الأملية ، باب : « في أكل لحوم الخيل » ، الحديث ٣٧٩٠ : ٣٥٢/٣ . والترمذي في كتاب الصيد ، باب : « تحريم أكل لحوم الخيل » : ٢٠٢/٧ ، وابن ماجه في كتاب الذبائح ، باب : « لحوم الخيل » ، الحديث ٣١٩٨ : ١٠٦٦/٢ .

(٢) الصائفة : الفزوة في الصيد .

(٣) اقرر - يفتحون - : « فذهبتهم إلى اللحم . وفي الأصول : « فقررهم » . وهو خطأ .

(٤) لفظة المست : « فقرر أصحابنا إلى اللحم » فقالوا : « أأذن لنا أن نذبح رمكة له » ، فذهبوا إليهم .

(٥) صرح ابن كثير غريب هذا الحديث .

(٦) لفظة المست : « لحوم الحمر .. » والأكن : جميع آذان ، وهو الجارية : الأذن خاصة .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٨٩/٤ .

(٨) الحميرة : القرس . وبعض القومين ينع ثأنيته بغناه ، بل يقول : « حمير » .

(٩) مسلم : كتاب الصيد ، باب : « في أكل لحوم الخيل » : ٦٠٦/٦ . والبخاري : كتاب الذبائح ، باب : « لحوم الخيل » : ١٢٣/٧ .

(١٠) مسند الإمام أحمد : ٢/٣٥٦ ، وسنن أبي داود : كتاب الأملية ، باب : « في أكل لحوم الخيل » ، الحديث ٣٧٨٩ .

١/ ٣٥١ : ٣٥٢ .

. وفي صحيح مسلم ، عن أمية بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نخرنا على عهد رسول صلى الله عليه وسلم فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة (١) .

فهذه أدلة وأقوى وأثبت : وإلى ذلك صاب جمهور العلماء : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأصحابهم ، وأكثر السلف والخلف ، والله أعلم .

وقال عبد الرزاق : أبانا ابن جرير ، عن ابن أبي مليكة ، عن ابن عباس قال : كانت الخيل وحشية ، فلها الله لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

وفكر وهب بن منه في إسرائيليات : أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب ، والله أعلم ؛  
فهذه دلالة النص على جواز ركوب هذه الدواب ، ومنها البغال . وقد أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة ، فكان يركبها ، مع أنه قد تنهى عن إزراء الحُمْر على الخيل لئلا يقطع التسلي ؛

قال الإمام أحمد : حدثني محمد بن عبيد ، حدثنا عمر بن آل حذيفة ، عن الشعبي ، عن دحية الكلبي قال : قلت : يا رسول الله ، ألا أحمل لك حماراً على فرس ، فتنتج لك بغلا ، فركبها ؟ قال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون (٢) .

وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَمْتُكَ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسر عليه في السبل الحسنة ، به على الطرق المعنوية الدينية : وكثيراً ما يقع في القرآن العيود من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية كما قال تعالى : (وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى (٣) ) ، وقال : (يا أيها آدم ، قد أنزلنا عليك لباساً يورثك وريثاً ، ولباس التقوى ذلك خير (٤) ) .

ولما ذكر في هذه السورة الحيوانات من الأتباع وغيرها ، التي يركبونها ويلبسون عليها حاجة في صدورهم ، وتجعل أقدامهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة — شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه ، فبيّن أن الحق منها ما هي موصلة إليه ، فقال : (وعلى الله قصد السبيل) كما قال : (وأن هذا صراطي مستقيماً فانيوه ، ولا تنهوا السبل ففرق بين صبيه (٥) ) ، وقال : (هذا صراط على مستقيم (٦) ) .

قال مجاهد : (وعلى الله قصد السبيل) ، قال : طريق الحق على الله (٧) ، وقال السدي : (وعلى الله قصد السبيل) ، قال : الإسلام :

(١) مسلم ، كتاب الصيد ، باب : في أكل لحوم الخيل : ٩٦/٦ .

(٢) سنن الإمام أحمد : ٣١١/٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٩٧ .

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٢٦ .

(٥) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .

(٦) سورة الحجر ، آية : ٤٦ .

(٧) تفسير الطبري : ٥٨/١٤ .

وقال العرق ، من ابن عباس في قوله : ( وعلى الله قصد السبيل ) ، يقول : وعلى الله البيان ، أى : تبين الحق والفضل .

وكذا روى علي بن أبي طلحة ، عنه : وكذا قال قتادة ، والفسحاك : وقولُ عبادة ما هنا أقوى من حيث السياق ، لأنه تعالى أخبر أن ثمَّ طريقاً تسلك إليه ، فليس يصل إليه منها إلا طريقُ الحق ، وهى الطريق التى شرعها ورهبها ، وما عداها مملوذة ، والأعمال فيها مردودة ، ولهذا قال تعالى : ( ومنها جائز ) ، أى : حادثة ماثل زائف عن الحق .

قال ابن عباس وغيره : هى الطرق المختلفة ، والآراء [ والأهواء ] للفرقة ، كاليهودية والنصرانية والمجوسية |  
وقرأ ابن مسعود : ( ومنكم جائز ) (١) »

ثم أخبر أن ذلك كله كان من قسره ومشيته ، فقال : ( ولو شاء لهداكم أجمعين ) ، كما قال : ( ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ) (٢) ، وقال : ( ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ) ، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ) (٣) »

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٥﴾ يُبْتِغُ لَكُمْ بِهِ الزَّادَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ  
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦﴾

لما ذكر سبحانه ما أنعم به عليهم من الأنعام والنبات ، شرح في ذكر نعمته عليهم ، في إزواك للطر من المياه - وهو العلو - لما لم فيه بركة ومتاع لهم ولأنعامهم ، قال : ( لكم منه شراب ) ، أى : جعله علواً زلالاً ، يسوغ لكم شربه ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً ،

( ومنه شجر فيه تسيمون ) أى : وأخرج لكم به شجراً ترعون فيه أنعامكم - كما قال ابن عباس ، وعكرمة والفسحاك ، وقتادة وابن زيد ، في قوله : ( فيه تسيمون ) ، أى ترعون (١) ،

ومنه الإبل السائمة ، والسوم : الرعى »

وروى ابن ماجه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن السوم قبل طلوع الشمس (٢) »

(١) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩ . وفي البحر المحيط لأبي حيان : ٤٧٧ / ٥ : وقرأ عبد الله : ( ومنكم جائز ) ، أى : ومنكم جائز من الله بعبادته ، والله يرى منه ، ولو شاء لهداكم أجمعين قرأ وإليه .

(٢) سورة يونس : آية ٩٩ .

(٣) سورة هود : آية ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) تفسير الطبري : ١٤ / ٥٩ ، ٦٠ .

(٥) سنن ابن ماجه : كتاب التجارات ، باب : السوم » الحديث ٢٧٥٦ / ٧ / ٢٤٥ .

وقوله : ( يثبت لكم به الفروع والريون والتخيل والأحباب ومن كل انفراد ) ، أى : مخرجها من الأرض هلما للمازى الواحد ، على اختلاف صنوفها وطوعها وألوانها وروائحها وأشكالها . ولهذا قال : ( إن في ذلك لآية لقوم يفكرون ) ، أى : دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله ، كما قال تعالى : ( أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء ، فألهمنا به حدائق ذات بةجة ما كان لكم أن تنتبوا شجرها ؟ ألا له مع الله بل هم قوم خصمون (١) ) .

ثم قال تعالى :

وَمَنْ لَّهُ الْإِلَهُ وَالْأَبَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْجَرَاتُ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾  
وَمَا ذَرَأْنَا فِي الْأَرْضِ غَيْظًا وَلَا بَرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢﴾

فيه تعالى عبادة على آياته العظام ، ومنته الجسم ، في تسخير الليل والنهار بتعاقبهما ، والشمس والقمر يدوران ، والنجوم الثوابت والسيارات ، في أرجاء السموات نورا وضياء المهتدين بها في الظلمات ، وكل منها يسير في فلكه الذى جعله الله تعالى فيه ، يسير بحركة مقدرة ، لا يزيد عليها ولا ينقص منها . والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسييره ، كما قال : ( إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يفضي الليل النهار يطلبه حثيثا ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين (٢) ) . ولهذا قال : ( إن في ذلك آيات لقوم يعقلون ) ، أى : لدلالات على قدرته الباهرة وسلطانه العظيم ، لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حجيجه .

وقوله : ( وما ذرأنا لكم في الأرض غظفا ألوانه ) ، لما فيه سبحانه على معالم السباوات ، فيه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة ، من الحيوانات والمعادن والنباتات [ والجمادات ] على اختلاف ألوانها وأشكالها ، وما فيها من المنافع والخواص ( إن في ذلك آية لقوم يذكرون ) أى : إله الله وبعمه فيشكرونها .

وَهُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الْبَحْرَ لَكُمْ لَمَّْا طَرِبَا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيقًا تَلْبَسُونَ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِعَهُ  
وَلَتَجِدْنَ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْكُرُونَ ﴿١﴾ وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَنْ تُجَدُّ بِكَ وَأَنْتُمْ ذُرِّيَّةٌ لِّعَلَّكُمْ  
تَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ وَعَلَّمَتْ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ أَفَنْ يَخْلُقَ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ أَهْمُوا  
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا يُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

فخر تعالى عن تسخير البحر للتلاطم الأمواج ، ويمتن على عباده بتلبيه لهم ، وتيسيرهم للركوب فيه ، وجعله السمك والحيتان فيه ، وإحلاله لعباده لحمها حينها وميتها ، في الحل والإحرام ، وما تخلفه فيه من اللؤلؤ والجواهر النفيسة ، وتسهيله للعباد استخراجها من قرارها حلية يلبسوها . وسحيره البحر حمل السفن إلى مخرجه . أى تشقه .

(١) سورة النمل ، آية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

وقيل : تمخر الرباع . وكلامه صحيح مجزئتها وهو صدرها المسنم — الذى أرشد العباد إلى صنعها ، وهداهم إلى ذلك ، لإرثا عن أبيهم نوح عليه السلام ، فإنه أول من ركب السفن ، وله كان تعليم صنعها ، ثم أعطاهم الناس عنه قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل ، يسرون من قطر إلى قطر ، وبلد إلى بلد ، وإقليم إلى إقليم فحلب ماها إلى هناك : وماها تلك إلى هنا ، ولها قال تعالى : ( ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ) ، أى : نعمه وإحسانه ،

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : وجدت فى كتابى عن عمدة بن معاوية البغدادي : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن [عمر] (١) ، عن [سهيل] (٢) بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : كلم الله هذا البحر الغري ، وكلم البحر الشرق ، فقال البحر الغري : إني حامل فيك عبداً من عباده ، فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال : أغرقهم ، قال : بأسك فى نواحيك . وأحلمهم على بدى : وحرمه الحلية والصيد : وكلم هذا البحر الشرق قال : إني حامل فيك عبداً من عباده ، فأنت صانع بهم ؟ قال : أحلمهم على بدى ، وأكون لهم كالثالدة لولدها : فأنا به الحلية (٣) والصيد . ثم قال البزار : لا نعلم [من] رواه عن سهيل (٤) غير عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر (٥) ، وهو منكر الحديث .

وقد رواه سهيل عن الثمان بن أبي عياض ، عن عبد الله بن عمر (٦) موثقاً .

ثم ذكر تعالى الأرض ، وما جعل فيها من الراسى الشاعنات والجبال الراميات ، لقر الأرض ولتحمده — أى : تضطرب بما عليها من الحيوان فلا يئساً لهم عيش بسببه ذلك ، ولها قال : ( والجبال أرساما ) (٧) ،

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، سمعت الحسن يقول : لما خلقت الأرض كانت تمجد (٨) ، فقالوا : ما هذه بمجرة على ظهرها أحداً ، فأصبحوا وقد خلقت الجبال ، لم تدرك الملائكة ميم خلقت الجبال (٩) ،

وقال سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن قيس بن عباد : أن الله تعالى : لما خلق الأرض ، جعلت نور ، وقالت للملائكة : ما هذه بمجرة على ظهرها أحداً ، فأصبحت صبيحة وفيها رواسيها .

وقال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن حبيب ، عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال : لما خلق الله الأرض قسمت (١٠) وقالت : أى رب ، نجعل على نبي آدم يعملون

(١) ما بين القوسين سقط من المخطوطة . وينظر ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله في التلخيص : ٦ / ٢١٢ فهو يروى عن سهيل بن أبي صالح .

(٢) في المخطوطة : « سهيل » . وهو خطأ ، ينظر التلخيص : ٤ / ٢٦٣ .

(٣) الأثر فى ذكر المنور من البزار : ٤ / ١٦٣ .

(٤) في المخطوطة : « سهيل » . وقد سبق التنبيه عليه .

(٥) في المخطوطة : « بن عمرو » . وقد سبق أيضاً التنبيه عليه .

(٦) في المخطوطة : « عبد الله بن أبي عمرو » . وما أنبتناه من ترجمة الثمان فى التلخيص : ١٠ / ٤٥٥ ، فهو يروى عن عبد الله بن عمر .

(٧) سورة النازعات : آية ٣٢ .

(٨) لفظ الطبرى : « كانت تمجد » .

(٩) تفسير الطبرى ١٤ : ٦٢ .

(١٠) أى : اضطربت .

على الخطايا ويجعلون على الخشب ؟ قال : فارمى الله فيها من الجبال ماترون ومالاترون ، فكان إقرارها كالحكم  
بخرجه (١) .

وقوله : ( وأنهاراً وسبلاً ) أى : وجعل فيها أنهاراً تجري من مكان إلى مكان آخر ، رزقاً للعباد ، ينبع في موضع وهو  
رزق لأهل موضع آخر ، فيقطع البقاع والبرارى والغفار ، ويترقى الجبال والآكام ، فيصل إلى البلد الذى مسخر لأهله . وهى  
سائرة فى الأرض بمنة ويسرة ، وجنوباً وشمالاً ، وشرقاً وغرباً ، ما بين صغار وكبار ، وأودية تجري حيثاً وتنقطع فى  
وقت ، وما بين نبع وجمع (٢) ، وقوى السبر وبطيه ، بحسب ما أراد وقدر ، وسخر ويسر . فلا إله إلا هو ، ولا رب  
سواه .

وكذلك [جعل] فى الأرض سبلاً ، أى : طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد ، حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون  
ما بينهما عمراً ومسلكاً كما قال تعالى : ( وجعلنا فيها فجائياً سبلاً ) (٣) :

وقوله : ( وعلامات ) ، أى : دلائل من جبال كبار وآكام صغار ونحو ذلك ، يستدل بها المسافرون براً  
وبحراً إذا ضلوا الطريق .

وقوله : ( وبالنجم هم يحنون ) ، أى : فى ظلام الليل ، قاله ابن عباس .

وعن مالك فى قوله : ( وعلامات ) : يقولون : النجم ، وهى الجبال .

ثم قال تعالى منها على عظمتها ، وأنه لا تنبى العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان ، التى لا تخلق شيئاً بل هم يخلقون ،  
ولهذا قال : ( ألن يخلق كن لا يخلق ؟ أفلا تدكرون ) .

ثم إليهم على كثرة نعمه عليهم وإحسانه إليهم ، فقال : ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الله لغفور  
رحيم ) ، أى : يتجاوز عنكم ، ولوطا لئكم يشكر جميع نعمه لمجزم عن القيام بملك ، ولو أمركم به لضغفتم وتركتم ،  
ولوطدكم لئدبكم وهو غير ظالم لكم ، ولكنه غفور رحيم ، يفر الكثير ، ويجازى على اليسر .

وقال ابن جرير : يقول : ( إن الله لغفور ) لما كان منكم من تقصير فى شكر بعض ذلك ، إذا تيم وأنتم إلى طاعته  
وابتاع مرضاة ، ( رحيم ) يكف أن يلدبكم بعد الإتياء والتوبة (٤) .

(١) تفسير الطبرى : ١٤ / ٦٢ .

(٢) كلما ، وله بين نبع وجمع . والنبع هو المنظر ، والمجمع - بفتح لسكونه - المسائل .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٣١ .

(٤) تفسير الطبرى : ١٤ / ٦٤ .

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ أَجَابٌ مِمَّا يَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾

غير تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر ، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة ، إن غير الأخير وإن شراً فسر .

ثم أخبر أن الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، كما قال الخليل : ( أنبيئهم ما نتحون ؟ والله خلقكم وما تعملون ) (١) .

وقوله : ( أموات غير أحياء ) أي : هي جادات لأرواح فيها ، فلا تسمع ولا تبصر ولا تمقل ، ( وما يمشرون أبان يمشون ) ، أي : لا يدرون متى تكون الساعة ، فكيف يرغبى عند هذه نفع أبواب أوجلاء ؟ إنما يرغبى ذلك من الذي يعلم كل شيء ، وهو خالق كل شيء .

إِنَّ لَهُمُ الْهُكْمَ إِنَّهُ وَحْدَهُ قَالَتِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يَا آخِرَةُ قُلُوبِهِمْ شُكْرُهُ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤﴾ لَا جرم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ ﴿١٥﴾ وَمَا يَعْلَنُونَ لَهُمْ لَا يَجِبُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿١٦﴾

غير تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وأخبر أن الكافرين شكروا قلوبهم ذلك ، كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك : ( أجيل الآلة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشيء عجائب ) (٢) ، وقال تعالى : ( وإذا ذكر الله وحده ، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستشرون ) (٣) .

وقوله : ( وهم مستكبرون ) ، أي : من عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده ، كما قال : ( إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) (٤) ، ولما قال هاهنا : ( لا جرم ) ، أي : حقاً ( أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ) ، أي : وسيجرهم على ذلك آثم الجزاء ، ( إنه لا يجب المستكبرين ) .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا اسْتَطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ لِيُحْمِلُوا أَوْثَانَهُمْ كَحَمَلِ يَوْمِ الْفِتْنَةِ يَوْمِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ يَغْيِرُ عَلَيْهِمْ أَلْسَانَهُمْ مَا يَكُونُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى : وإذا قيل لهمولاء المكذبين : ( ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا ) معرضين عن الجواب : ( أساطير الأولين ) ،

(١) سورة الصافات ، آية : ٩٥ ، ٩٦ .

(٢) سورة ص ، آية : ٥ .

(٣) سورة الزمر ، آية : ٤٥ .

(٤) سورة غافر ، آية : ٦٥ .

أى : لم يترك شيئا ، إنما هذا الذى ينل علينا أساطير الأولين ، أى : مأخوذ من كتب المتقدمين (١) ، كما قال تعالى : ( وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ) (٢) أى : يفترون على الرسول ، ويقولون أقوالا مضطربة متضادة ، كلها باطلة ، كما قال تعالى : ( انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) (٣) ، وذلك أن كل من خرج عن الحق فهما قال أخطأ ، وكانوا يقولون : ساحر ، وشاعر ، وكاهن ، ومجنون . ثم استقر أمرهم إلى ما اختلقه لهم شيخهم الوحيد [ المسمى ] بالوليد بن المغيرة المخزومي ، لا ( فكر وقدر . قتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر : ثم نظر . ثم هيس ويسر . ثم أدبر واستكبر ، فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ) (٤) ، أى : يضل ويهلك ، فتركوا عن قوله ورأيه ، قبحهم الله .

قال الله تعالى : ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) ، أى : إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك فيحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم ، أى : يصبر عليهم خطيئة ضلالهم في أنفسهم ، وعطية إغوائهم لغرهم وابتداء أولئك بهم ، كما جاء في الحديث : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من اتبعه ، لا ينقص ذلك من أجرهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » (٥) .

وقال تعالى : ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون ) (٦) :

وهكذا روى العوفي عن ابن عباس في قوله ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) : إنها كقوله : ( وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) (٧) .

وقال مجاهد : يحملون أثقالهم : ذنوبهم وذنوب من أطاعهم ، ولا يخفف عنهم أطاعهم من العذاب شيئا .

(١) وإنما قالوا أساطير الأولين ، لأن الجبال التى من القرآن منهم يتقص الماضين وسيرهم ، ولم يفتنوا أنزول هذه القصص لأغراض أهمها بيان آثار سنن الله في المسلمين والمؤمنين .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٥ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٩ .

(٤) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ - ٢٤ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب « لزوم السنة » ، الحديث : ٤٦٠٩ : ٤ / ٢٠١ . وابن ماجه ، المقدمة ، باب « من سن سنة حسنة أو سيئة » ، الحديث : ٢٠٦ : ١ / ٧٥ . والإمام أحمد في مسنده : ٢ / ٣٩٧ .

(٦) سورة التكاوير ، آية : ١٣ .

(٧) تفسير الطبري : ١٤ / ٦٦ .



قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْهَاهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَطَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ مِنَ قُوفِهِمْ وَأَنزَلَ الْمَدَابِقَ مِنَ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ ۖ فَسْتَعْمِلُونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ أَفْزَى الْيَوْمِ وَالسَّوءِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ( قد مكر الذين من قبلهم ) ، قال : هو نمrod الذي بنى الصرح (١) ، قال ابن أبي حاتم : وروى عن مجاهد نحوه .

وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض نمrod ، فبسط الله عليه بقوفيه ، ولعللت في منخرة ، فمكت أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بها رأسه ، وكان جباراً أربعمائة سنة ، فعليه أربعمائة سنة كملكه ، ثم أماته الله وهو الذي كان بنى صرحاً إلى السماء ، وهو الذي قال الله : ( فإن الله ينهاهم من القواعد ) .

وقال آخرون : بل هو مختصر . وذخروا من المكر الذي حكى الله هاهنا ، كما قال في سورة إبراهيم : ( وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال ) (٢) .

وقال آخرون : هذا من باب المثل ، لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره ، كما قال نوح عليه السلام : ( ومكروا مكراً كبيراً ) (٣) ، أى : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة ، كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة : ( بل مكراً كبيراً والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله فجعل له أنداداً ) (٤) .

وقوله : ( فإن الله ينهاهم من القواعد ) ، أى : اجتنه من أصله ، وأبطل عملهم ، وأصلها كما قال تعالى : ( كلما أولقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ) (٥) .

وقوله : ( فأتاهم الله من حيث لم يحسبوا ، وقلع في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوسهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاتعبروا يا أولي الأبصار ) (٦) .

وقال هاهنا : ( فإن الله ينهاهم من القواعد ، فخر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، ثم يوم القيامة يخزيهم ) ، أى : يظهر فضائحهم ، وما كانت تحجته ضيائهم ، فيجعله علانية كما قال تعالى :

(١) تفسير الطبري : ١٤ / ٦٧ .

(٢) آية : ٤٦ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٢ .

(٤) سورة سبأ ، آية : ٣٣ .

(٥) سورة المائدة ، آية : ٦٤ .

(٦) سورة الحشر ، آية : ٢٠ .

(يَوْمَ تَبْلُ السَّرَائِرَ) ، أَيْ : تَنْظُرُ وَتَشْهَرُ ، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عَرَفٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« يَنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِدَاسَةٌ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ » ، فَيَقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانٍ بَيْنَ فَلَانٍ (١)

وَهَكَذَا هُوَ الْوَلَدُ ، يَنْظُرُ لِنَتَائِمٍ مَا كَانُوا يَسْرُوهُ مِنَ الْمَكْرِ ، وَيُغْزِمُهُمُ اللَّهُ عَلَى رِعَوسِ الْإِتْلَاقِ ، وَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ  
وَتَعَالَى مَقْرَعًا لَهُمْ وَمَوْجًا : (أَيْنَ شَرَكَايَ أَتَيْنَ كَيْتَمَ تَشَاقُرُونَ فِيهِمْ) : تَحَارِبُونَ وَتُحَادُونَ فِي سَبِيلِهِمْ ، أَيْنَ هُمْ عَنْ لَصْرِكُمْ  
وِخْلَاصِكُمْ هَاهُنَا ؟ (هَلْ يَنْصَرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ) (٢) ، (لَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ) (٣) : فَإِذَا تَوَجَّهْتَ عَلَيْهِمُ الْحَبِجَةُ ،  
وَقَامَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَالَةُ ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ ، وَأَسْكَنُوا مِنَ الْإِحْتِلَاقِ حِينَ لَا فَرَارَ (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) - وَهُمْ السَّادَةُ  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَالْمُضْطَرُونَ مِنَ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَيَقُولُونَ حَيْثُكَ : (إِنْ أَخْزَى الْيَوْمَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) ،  
أَيْ : الْفَضِيضَةَ وَالْعِلَابَ [يَحِيطُ] الْيَوْمَ بِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ، وَأَشْرَكَ بِهِ مَا لَا يَبْرُهُ وَلَا يَنْفَعُهُ :

الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ خَالَيْنَ أَنْفُسِهِمْ فَاتْلُقُوا السَّلْمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْ ثُلَثًا مَنِ اتَّبَعَ الْفُتُورِينَ ﴿٦١﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى مِنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ الظَّالِمِ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ احْتِضَارِهِمْ وَبَعِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِمْ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ : (فَاتْلُقُوا السَّلْمَ) ،  
أَيْ : أَطْلُقُوا السَّلْمَ وَالطَّاعَةَ وَالْإِتْقَانَ قَائِلِينَ : (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) ، كَمَا يَقُولُونَ يَوْمَ الْمَمَادِ : (وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا  
مُشْرِكِينَ) (٤) ، (يَوْمَ يَضْحَكُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُحَقِّقُونَ لَهُ كَمَا يَحَقِّقُونَ لَكُمْ) (٥) .

قَالَ اللَّهُ مَكَلَبًا لَهُمْ فِي قَلِيلِهِ ذَلِكَ : (بَلَى ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ : فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبَشِّرْ  
ثُلَثًا مَنِ اتَّبَعَ الْفُتُورِينَ) ، أَيْ : بَشِّرِ الْقَلِيلَ وَالْمَتَامَ وَالْمَكَانَ مِنْ دَارِ هَوَانٍ ، لِمَنْ كَانَ مُتَكَبِّرًا عَنْ آيَاتِ اللَّهِ وَاتِّبَاعِ رُسُلِهِ .

وَهُمْ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَهُمْ بَارِوَاهِمُهُمْ ، وَيَأْتِي أَجْسَادُهُمْ فِي قُبُورِهَا مِنْ حَرِّهَا وَسُوءِهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
سَلَكْتَ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَخَلَطْتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، (لَا يَقْبِضُ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ عَذَابُهَا) (٦) ، كَمَا  
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُرًا وَغُدُرًا ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (٧) :

(١) البخاري ، كتاب الجهاد ، باب : إِتْمَ الْقَادِرِ لِبِرِّ وَالْقَاجِرِ : ٤ / ١٢٧ . وَكَتَابُ الْأَدْبَةِ بَابُ مَا يَعْطَى النَّاسَ  
بِأَيْدِيهِمْ : ٨ / ٥١ . وَكَتَابُ الْفِتَنِ ، بَابُ وَإِذَا قُلْتُ عَنْهُ قَوْمٌ شَيْئًا ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ بَغَاوَةٌ : ٩ / ٧٢ . وَمُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْجِهَادِ ،  
بَابُ : تَحْرِجُ الْقَدَرِ : ٥٠ / ١٤١ ، ١٤٢ .

وَالْقَاءُ : الرَّأْيَةُ . وَعِنْدَ اسْتِثْنَاءِ خَلْفِ ظُهُرِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ التَّوْرِيُّ أَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ تَنْصَبُ الْأُولَى فِي الْأَسْوَاقِ الْخَلْفَةَ ، لِقُدْرَةِ  
الْقَادِرِ ، تَنْشِيبُهُ بِذَلِكَ ، وَأَنَّ هَذَا الْحَبِيثَ وَارِدٌ فِي الْإِيمَانِ الْقَادِرِ ، مُتَضَنِّهِمْ مِنْ أَنْ يَخْتَرُوا فِي مَهْرَدِهِ لِرَبِيْعِهِ وَلِكُفْرِهِمْ ،  
وَمَنْ خَلَّاهُمْ أَوْ تَرَكَ الشَّلَاقَةَ عَلَيْهِمْ أَوْ الرِّقَاقَ جَمْعَ قَدَرٍ سَهْلَةٍ .

هَذَا وَرِوَعُ الْوَلَدِ عِنْدَ دَهْرِ الْقَادِرِ كِتَابِيَّةٌ مِنَ الْإِذْلَالِ وَالْإِحْقَاقِ .

(٢) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ : آيَةٌ : ٩٣ .

(٣) سُورَةُ الطَّارِقِ : آيَةٌ : ١٠ .

(٤) سُورَةُ الْأَنْعَامِ : آيَةٌ : ٢٣ .

(٥) سُورَةُ الْيَاذَلَةِ : آيَةٌ : ١٨ .

(٦) سُورَةُ قُلُوبٍ : آيَةٌ : ٣٦ .

(٧) سُورَةُ شَاخِرٍ : آيَةٌ : ٤٦ .

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ۚ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۖ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ ٢٧ ۝﴾

هذا خبر عن السعادة بخلاف ( ما أخبر ) به عن الأشقاء ، فإن أولئك قبل لهم : ( ماذا أنزل ربكم ) ، فقالوا مع صبيح من الجواب : لم ينزل شيئاً ، إنما هذا أساطير الأولين . وهؤلاء ( قالوا خيراً ) ، أى : أنزل خيراً ، أى : رحمة وريكة وحسناً لمن اتبعه وآمن به .

ثم أخبروا عما وعد الله عباده فيها أنزله على رسله فقالوا : ( للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ) ، كما قال تعالى : ( من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنجينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون ) (١) ، أى : من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة .

ثم أخبروا بأن دار الآخرة خير ، أى : من الحياة الدار ، والجاء فيها أتم من الجوار في الدنيا ، كما قال تعالى : ( وقال الذين أوتوا العلم : ويلكم ثواب الله خير ) (٢) . وقال تعالى : ( وما عند الله خير للأبرار ) (٣) وقال تعالى (والآخرة خير وأبقى ) (٤) ، وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم : ( وللآخرة خير لك من الأولى ) (٥) ،

ثم وصفوا الدار الآخرة فقالوا : ( ولنعم دار المتقين ) ،

وقوله : ( جنات عدن ) ، بدل من ( دار المتقين ) ، أى : لهم في الآخرة ( جنات عدن ) ، أى : إقامة (٦) بدخلونها ( تجرى من تحتها الأنهار ) ، أى : بين أشجارها وقصورها ، ( لهم فيها ما يشامون ) ، كما قال تعالى : ( وفيها ما تشتهيه الأنفس ، وتلك الأعين ، وأنتم فيها خالدون ) (٧) ، وفي الحديث : ( إن السحابة تشر بالأناس أهل الجنة وهم جلوس على شراهم ، فلا يشئى أحد منهم شيئاً إلا أمطر له عليهم ، حتى إن منهم لمن يقول : أمطرينا كواصب أثواباً ، فيكون ذلك ) (كذلك يجزى الله المتقين ) ، أى : كذلك يجزى الله كل من آمن به واثقه وأحسن عمله .

ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار ، أنهم طيبون ، أى مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء ، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة ، كما قال تعالى : ( إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة أن لا طائفا

(١) سورة النحل ، آية : ٢٧ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٨٠ .

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٩٨ .

(٤) سورة الأهل ، آية : ١٧ .

(٥) سورة النسي ، آية : ٤ .

(٦) في المخطوطة : مقالة . وقد سبق تلحيز ( عدن ) هذه الآية ٢٣ من سورة الفرق : ٣٧٢/٤ .

(٧) سورة الفرق ، آية : ٧١ .

ولا يملأوها ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون : نحن أولياكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، أولا من غفور رحيم (١) »

وقد قلنا الأحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى : ( يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء ) (٢) .

أَمْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ مِنْ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا عَلَّمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنَّ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظُنُّونَ ﴿٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَافَ رَسُولُكُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى متهدداً للمشركين على تماديهم في الباطل واعتزازهم بالدنيا : هل ينتظر هؤلاء إلا للملائكة أن تأتيهم بقبض أرواحهم ، قاله قتادة (٣) ،

( أو يأتي أمر ربك ) ، أى : يوم القيامة وما يماينونه من الأحوال :

وقوله : ( كذلك فعل الذين من قبلهم ) ، أى : هكذا تمادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباههم من المشركين ، حتى ذاقوا بأس الله ، وحلوا فيما هم فيه من العذاب والثكال : ( وما ظلمهم الله ) ، لأنه تعالى أحلر إليهم ، وأقام حجيجه عليهم بإرسال رسله وإنزال كتبه ، ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) ، أى : بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به ، فلهذا أصابهم عقوبة الله على ذلك ، ( وخاف بهم ) ، أى : أحاط بهم من العذاب الأليم ( ما كانوا به يستهزئون ) ، أى : يسخرون من الرسل إذا وعدوهم بعقاب الله ، فلهذا يقال لهم يوم القيامة : ( هذه النار التي كنتم بها تكذبون ) (٤) .

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ﴿٥﴾ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الصُّلُوفَ لِيَسْمَعَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَبَيْنَهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَالضَّلَالَةُ بُسُورٌ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ هَاجِمَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٧﴾ إِنَّ تَحْرِصَ عَلَى هُدًى مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ مُنْجِيَةٍ ﴿٨﴾

يخبر تعالى عن إغترار المشركين بما هم فيه من الشرك واعتزازهم بحجبتين بالقدر ، في قولهم : ( لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ) ، ولا نحن ولا آبائنا ، ولا حرمنا من دونه من شيء ) ، أى : من البعائر والمواسيل والوسائل وغير ذلك ، مما كانوا يبتدعونه واختاروه من تلقاء أنفسهم ، ما لم يتزل الله به سلطانا .

(١) سورة فصلت ، الآيات ٣٠ - ٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٢٧ .

(٣) تفسير الطبري : ١٤ / ٧٠ .

(٤) سورة الطور : آية ١٤ .

ومفسدون كلاهم أنه لو كان تعالى كإلهائهم ، لأنكره عليهما بالقوية وبما مكناهما - قال الله وأما عليهم شيتهم : ( فهل على الرسل إلا البلاغ للمبين ) ؟ أي : ليس الأمر كما تزعمون أنه لم يبعده عليكم ولم ينكره (١) ، بل قد أنكره عليكم أشد الإنكار ، ونهاكم عنه أكد النهي ، وبعث في كل أمة رسولا ، أي : في كل قرن من الناس وطائفة رسولا ، وكلهم يدعو إلى عبادة الله ، ويبني عن عبادة ما سواه : ( أن اعبدا الله ولا تعبدوا للطاغوت ) ، فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك ، منذ حدث الشرك في بني آدم ، في قوم نوح اللذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن خضعهم بمحمد صلى الله عليه وسلم للشيء طيقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغرب ، وكلهم كما قال الله تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) (٢) ، وقال تعالى : ( وإسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أنجئنا من دون الرحمن لآلئهم يبدلون ) (٣) ، وقال تعالى في هذه الآية الكرعية : ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولا : أن اعبدا الله واجتنبوا الطاغوت ) ، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول : ( لو شاء الله ما جدنا من دونه من شيء ) ، فشيئته تعالى الشرعية عنهم متبعية ، لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسوله ، وأما مشيئته الكونية ، وهي تمكينهم من ذلك قلنا ، فلا حجة لهم فيها ، لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة ، وهو لا يرضى لعباده الكفر ، وله في ذلك حجة بالغة وحكمة فاطمة :

ثم إنه تعالى قد أخبر أنه عبر عليهم ، وأنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل ، فلعلنا قال : ( نصهم من هذه الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسبوا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) ، أي : أسألو عما كان من أمر من خالف الرسل وكلب الحق كيف ( حذر الله عليهم وللكافرين أمثالا ) (٤) ، ( ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ) (٥) :

ثم أخبر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم ، إذا كان الله قد أراد إرسالهم ، كما قال تعالى : ( ومن يرد الله فتنه فلا تقل له من الله شيئا ) (٦) ، وقال نوح لقومه : ( ولا ينفعكم نصي إن أردت أن أنصح لكم ، إن كان الله يريد أن يغويكم ) (٧) ، وقال في هذه الآية الكرعية : ( إن نحرص على هدايتهم فإن الله لا يهدي من يشاء ) ، كما قال تعالى : ( من يسئلكم الله فلا تاتوا له ، ويلهم في طغيانهم يسمهون ) (٨) ، وقال تعالى : ( إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جئتهم بكل آية حتى يروا الملأ الأعلى ) (٩) ،

(١) في المخطوطة : « أنه لم يبعده عليكم ولا ينكره » . ولعل الصواب ما ألتجته .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .

(٣) سورة الفرقان ، آية : ٤٥ .

(٤) سورة محمد ، آية : ١٥ .

(٥) سورة الملك ، آية : ١٨ .

(٦) سورة المائدة ، آية : ٤١ .

(٧) سورة هود ، آية : ٣٤ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ١٨٦ .

(٩) سورة يونس ، آية : ٩٦ ، ٩٧ .

قوله : ( فان الله ) ، أى : شأنه وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فلهذا قال : ( لا هدى من يضل ) ، أى : من أضله فن الذى يهديه من بعد الله ؟ أى : لا أحد . ( وما لهم من ناصرين ) ، أى : ينقذهم من عذابه ووقاه ، ( ألا له الخلق والأمر ) ، تبارك الله رب العالمين (١) .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بِلْعَنَةِ عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾  
لِيَسِينَ لَهُمُ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ  
نُقُولَهُ اللَّهُ مَكِّيٌّ ﴿١٢﴾

يقول تعالى خبراً عن المشركين : أنهم حلفوا فأقسموا ( بالله جهد أيمانهم ) ، أى : اجتهدوا فى الحلف وظفروا الإيمان حل أنه ( لا يبعث الله من يموت ) ، أى : استبعدوا ذلك ، فكلبوا الرسل فى إخبارهم لم بذلك ، وحلفوا على نفيه ، فقال تعالى مكذباً لهم ورداداً عليهم : ( بلى ) ، أى : بلى سيكون ذلك ، ( وعدا عليه حقا ) ، أى : لا بد منه ، ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ، أى : لجهلهم يخالفون الرسل ويقعون فى الكفر .

ثم ذكر تعالى حكمته فى المعاد وقيام الأجساد يوم التناد ، فقال : ( ليعين لهم ) ، أى : للناس ( الذى يختلفون فيه ) ، أى : من كل شيء ، و ( ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحق ) (٢) ، ( وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ) ، أى : فى أيمانهم وأقسامهم : لا يبعث الله من يموت . ولعلنا يدهون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا (٣) وتقول لهم الزبانية : ( هذه النار التى كنتم بها تكذبون . أفضر هذا أم أنتم لا تبصرون . اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم إنجا تجزون ما كنتم تعملون ) (٤)

ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء ، وأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء . وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : ( كن ) ، فيكون ، ( والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فأنما يأمر به مرة واحدة ، فيكون [ كما يشاء ، كما قال ( وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ) (٥) ، وقال : ( ما خلقكم ولا بينكم ولا كفنى واحدة ) (٦) ، وقال فى هذه الآية الكرعة : ( إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ) ، أى : أن يأمر به دفعة واحدة فإذا هو كائن ، كما قال الشاعر : (٧)

إذا ما أراد الله أمراً فإنيما • يقول له : • كن • ، قوله فيكون

(١) سورة الأعراف ، آية : ٥٤ .

(٢) سورة التين ، آية : ٣١ .

(٣) قذح ، الطرد والنفخ .

(٤) سورة الطور ، الآيات : ١٤ - ١٦ .

(٥) سورة القصص ، آية : ٥٥ .

(٦) سورة لقمان ، آية : ٢٨ .

(٧) معنى البيت منه تفسير الآية ١١٧ من سورة البقرة : ١ / ٢٣٢ .

أى : أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به ، فإنه تعالى لا يبالغ ولا يخالف ، لأنه الواحد القهار العظيم ، الذى تهرسلطانه وجبروته وعزته كل شيء ، فلا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، أن عمر بن الخطاب : أنه سمع أبا هريرة يقول : قال الله تعالى : منى ابن آدم ولم يكن يتنبى له أن يسقى ، وكلبى ولم يكن يتنبى له أن يكلبى ، فأما وكلبىه إياى فقال : ( وأنتموا بالله جهلنا أعانهم لا يمت الله من يموت ) ، قال : قلت : ( بلى ) ، وعدا عليه حقا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) ، وأما صبه إياى فقال : ( إن الله ثالث ثلاثة ) ، قلت : ( قل هو الله أحد ) الله الصمد ، لم يلد ولم يولد : ولم يكن له كفوا أحد .

مكلا ذكره موقوفا ، وهو فى الصحيحين مرفوعا ، بلفظ آخر (١) .

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَيْنِ مُلْكَيْهِمْ لَنُنَبِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١﴾

يُخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين فى سبيله ابتغاء مرضاته ، الذين هاجروا الدار والآخرة والدار ، وجاء جواب الله وجزائه .

ويحمل أن يكون سببه ترك هذه الآية الكريمة فى مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة ، حتى هاجروا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ، ليتكفوا من عبادة دهم ، ومن أشرفهم : عثمان بن عفان ، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر بن أبى طالب ، ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسد فى جماعة قريش من ثمانين ، ما بين رجل وامرأة ، صديق وصديقة ، رضى الله عنهم وأرضاهم . وقد فعل فوجدهم تعالى بالمجازاة الحسنة فى الدنيا والآخرة فقال : ( لننوبئهم فى الدنيا حسنة ) - قال ابن عباس والشعبي ، وقادة : المدينة : وقيل : الرزق الطيب ، قاله مجاهد (٢) ،

ولا منافاة بين القولين ، فإنهم تركوا مساكنهم وأموالهم فموضعهم الله غيراً منها فى الدنيا ، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه ، وكذلك وقع فإنهم سكن الله لهم فى البلاد وحكمهم على رقاب المياد ، فصاروا أمراء حكاما ، وكل منهم للمبتقين إماما ، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين فى الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم فى الدنيا ، فقال : ( ولأجر الآخرة أكبر ) ، أى : بما أعطيناكم فى الدنيا ( لو كانوا يعلمون ) ، أى : لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه وأطيع رسول الله ، ولهذا قال هشيم ، عن العوام ، عن حدث : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول : غدا ، يارك الله فيه ، هذا ما وعلك الله فى الدنيا ، وما ادخر لك فى الآخرة أفضل ، ثم قرأ هذه الآية : ( لننوبئهم فى الدنيا حسنة ، ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ) (٣) ،

(١) البخارى ، تفسير سورة البقرة : ١ / ٢٤ .

(٢) تفسير الطبرى : ١٤ / ٧٤ .

(٣) هذا الآخر أيضا فى تفسير الطبرى : ١٤ / ٧٤ .

ثم وصفهم تعالى فقال : ( الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ) ، أى : صبروا على أقل من آذاهم من قومهم ، متوكلين على الله الذى أحسن لهم العاقبة فى الدنيا والآخرة .

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ يُعْلَمُونَ ۝ أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَالْبَيْتِ وَالْزُّبُرِ ۝ وَاتَّخَذْتُمْ لِكُلِّ قَبِيلٍ النَّاسَ مَا تَزْكُ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝

قال الضحاك ، عن ابن عباس : لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا ، أنكرت العرب ذلك ، أو من أنكر منهم ، وقالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا . فأنزل الله : ( أكان للناس حبيبا أن أوحينا إلى رجل منهم ) ، وقال : ( وما أرسلنا من قبلك إِلَّا رجلا ، نوحى إليهم ، فأسألو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ) ، يعنى أهل الكتب الماضية ؛ أبشر كانت الرسل [ التى أتتكم ] (١) أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم ، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا ؟ قال تعالى : ( وما أرسلنا من قبلك إِلَّا رجلا يُوحى ) (٢) إليهم من أهل القرى ، ليسوا من أهل السماء كما ظنتم .

وهكذا روى عن مجاهد ، عن ابن عباس ، أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب . وقاله مجاهد ، والأعمش ؛ وقول عبد الرحمن بن زيد - الذكر - القرآن واستشهد بقوله : ( إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون ) - صحيح ، لكن ليس هو المراد هاهنا ، لأن المخالف لا يرجع فى إثباته بعد إنكاره إليه .

وكما قول أبى جعفر الباقر : نحن أهل الذكر - ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر - صحيح ، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماهم أهل بيت الرسول - عليهم السلام والرحمة - من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة ، كعل ، وابن عباس ، وببى (٣) على : الحسن والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، وعلى بن الحسين زين العابدين ، وعلى بن هبة الله بن عباس ، وأبى جعفر الباقر - وهو محمد بن على بن الحسين - وجعفر ابنه ، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ، بمن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم ، وعرف لكل ذى حق حقه ، ونزل كل المنزل الذى أعطاه الله ورسوله واجتمع إليه قلوب عباده المؤمنين .

والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشرا كما هو بشر ، كما قال تعالى : ( قل : سبحان ربي . هل كنت إلا بشرا رسولا ؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا

(١) ما بين القوسين عن تفسير الطبري والدر المنثور : ٤ / ١١٨ ومكانه فى المخطوطة : « إليهم » .

(٢) كلما فى خطوطة الأهر ، ويخبر أبو حيان فى البئر آفته : ٤ / ٤٤ : « وَفَرَّقَ الْقَبِيلُ (بوسى) بالياء وضع الحاء وقرأت فرقة بالياء وكسرهما ، وحيد الله والسلى وكلمة وحسن ، بالتون وكسرهما » .

(٣) فى المخطوطة : « وبنى » .



وسولاً (١) ، قال تعالى : ( وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا لهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ) (٢) ، وقال : ( وما جعلناهم سداً ما يكون الطعام وما كانوا خالدين ) (٣) ، وقال : ( قل ما كنت بدعاً من الرسل ) (٤) ، وقال تعالى : ( قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ) (٥) .

ثم أرشد الله تعالى من شكك في كون الرسل كانوا بشرأ ، إلى سؤال المصحات الكنية المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا : هل كان أنبياءهم بشرأ أو ملائكة ؟

ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم ( بالبينات ) ، أى : بالدلائل والحجج ، ( وآذير ) ، وهى الكب : قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والقضائك ، وغيرهم (٦) .

وآذير : جمع زبور ، تقول العرب : زبرت الكتاب إذا كتبه ، وقال تعالى : ( وكل شيء عفو له في آذير ) (٧) ، وقال : ( ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) (٨)

ثم قال تعالى : ( وإن لنا إليك النكر ) ، يعنى القرآن له ( لتبين للناس ما نزل إليهم ) ، من ربه أى : لعلكم بمعنى ما أنزل عليكم ، وحصلت عليه ، وأتباع له ، لعلنا قبلك أفضل أخلاق وسيد ولد آدم ، فتفضل لهم ما أجمل ، وتبين لهم ما أشكل : ( ولعلهم يتفكرون ) ، أى : ينظرون لأنفسهم فيهنون ، فيفوزون بالنجاة في الدارين .

أَقَامِينَ الَّذِينَ مَكُرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ فَمَا يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٤﴾  
لَوْ يَخْلُطُهُمْ فِي تَعْلِيمِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٩٥﴾ أَوْ يَخْلُطُهُمْ عَلَى خَوْفٍ فَإِنْ رَجَعُوا رَجِعُوا ﴿٩٦﴾

بحر تعالى عن حلمه وإنظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويبدعون إليها ، ويكفرون بالناس في دعائهم إياهم وحملهم عليها ، مع قدرته على ( أن يخسف بهم الأرض ، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ) ، أى : من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم ، كما قال تعالى : ( أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي غور - أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ) (٩) ، وقوله : ( أو يخلطهم في تعليمهم ) ، أى : في تعليمهم في المباشرة واشتغالهم بها ، من أسفار ومحوها من الأشغال للهية .

(١) سورة الإسراء ، آية : ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : ٢٠ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٨ .

(٤) سورة الأحقاف ، آية : ٩ .

(٥) سورة الكهف ، آية : ١١٠ .

(٦) تفسير الطبري : ١٤ / ٧٦ .

(٧) سورة القمر ، آية : ٥٢ .

(٨) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٥ .

(٩) سورة الملك ، الآية : ١٦ ، ١٧ .



ثم قال : ( والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة ) ، كما قال : ( والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ) ، وقوله : ( ولللائكة وهم لا يستكبرون ) ، أى : تسجد لله أى غير مستكبرين عن عبادته ، ( يخافون ربهم من فوقهم ) ، أى : يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله ، ( ويطعون ما يؤمرون ) ، أى : مطيعين على طاعته تعالى ، وامتناع أوامره ، وترك زواجه :

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَلَّوْا لِلنَّهْيِ أَتَيْنَ إِيَّاهُ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَيْسَ فَارَهِينَ ۝ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ وَمَا يَكُ مِنْ نِعْمَةٍ فَرَأَاهُ اللَّهُ ثُمَّ إِذَا مَسَّكَ الضُّرُّ فَلَيْسَ بِمَجْرُومٍ ۝ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكَ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكَ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾

يُتَزَكَّى تَعَالَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَأَنَّهُ لَا يُشْرِكُ بِالْعِبَادَةِ إِلَّا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَلِذَا مَا كَلَّ شَيْءٌ خَالَفَهُ وَدَبَّهٗ ( وله الدين واصل ) — قال ابن عباس ، وجاهد ، وعكرمة ، وميمون بن مهران ، والسدي ، وقتادة ، وغير واحد : أى دائما (١) :

وعن ابن عباس أيضاً : واجبا ، وقال جاهد : خالصا : أى : له العبادة وحده من في السموات والأرض ، كقوله : ( أفغير دين الله يخفون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ) — هذا على قول ابن عباس وعكرمة ، فيكون من باب الخبر ، وأما على قول جاهد فإنه يكون من باب [ الطلب ] : أى : ليرهبوا أن تشركوا به شيئا ، وأخلصوا له الطلب ، كما في قوله تعالى : ( ألا الله الدين الخالص ) (٢) .

ثم أخبر أنه مالك النفع والضّر ، وأن ما بالعبد من رزق ونعمة وعافية ونصر فن فضل عليه ، وإحسانه إليه ، ( ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ) ، أى : لتعلمكم أنه لا يقدر على إزائه إلا هو ، فإنكم عند الضرورات تلجأون إليه ، وتسالونه وتلجئون في الرضبة مستغيثين به ، كما قال تعالى : ( وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أهرقتم ، وكان الإنسان (٣) كفورا ) : وقال هاهنا : ( ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون : ليكفروا بما آتيناكم )

قيل : « اللام » هاهنا لام العاقبة : وقيل : لام التعليل ، بمعنى تفضينا لهم ذلك ليكفروا ، أى : يستروا ويجحدوا لنعم الله عليهم ، وأنه السدي لإيهم النعم ، للكاشف عنهم النعم .

ثم ترحلهم قائلا : ( فتمتعوا ) ، أى : اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلا ، ( فسوف تعلمون ) ، أى : عاقبة ذلك :

(١) تفسير الطبري : ١٤ % ٨١ .

(٢) سورة الزمر ، آية : ٣ . هذا وقد ذكر الطبري ١٤ % ٨١ أن جاهداً كان يقول : « متى الدين في هذا الموضع »

الإخلاص .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٦٧ .

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَفْعَلُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَلَّهِ لَتَسْلُكُنَّ عِمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿١٠﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ  
 سُبْحَنَهُ وَهُمْ لَا يَسْتَحْيُونَ ﴿١١﴾ وَلَئِنَّا بِأَنَّهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُمْ كَظِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَوَرَّأْنَ مِنْ  
 أَغْلَاقِهِمْ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِمْ إِذْ يَأْتِيهِمْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣﴾ لِلَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

يُخبر تعالى عن فئات المشركين الذين جعلوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد ، وجعلوا لها نصيبا [عما] رزقهم  
 الله ، فقالوا ( هذا لله بزمهم ) وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى  
 شركائهم (١) ، أى : جعلوا لأنفسهم نصيبا مع الله وفضلهم أيضا حل جانبهم ، فأقسم الله تعالى بنفسه الكبرية لبائنتهم عن ذلك  
 الذى اتفروه واتصكوه ، وليقابلهنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم ، فقال : ( تالله لتسئن عما كنتم لتفرون ) .

ثم أعبر تعالى عنهم أنهم جعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، وجعلوا بنات الله ، وعبدوها معه ، فأعطوا  
 خطبا كبيرا في كل مقام من مقامه القامات الثلاث ، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدا ، ولا ولد له ! ثم أعطوه أغس القسمين  
 من الأولاد وهو البنات ، وهم لا يرضونها لأنفسهم ، كما قال : ( ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى ) (٢) ،  
 وقال ها هنا : ( ويجعلون لله البنات سبحانه ) ، أى : من قولهم وإفكهم ، ( ألا إنهم من إفكهم يقولون . ولد الله وإلههم  
 تكاذبون ) . أصطفى البنات جعل البنين ؟ ما لكم كيف تحكمون (٣) .

وقوله : ( ولهم ما يشتهون ) ، أى : يختارون لأنفسهم الذكور ويأتقون لأنفسهم من البنات التى نسبوا إلى الله ، تعالى  
 الله عن فهم علوا كبيرا ، فليخبر ( إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا ) ، أى : كشيئا من الحمى ، ( وهو كظيم ) . ساكت  
 من شدة ما هو فيه من الحزن ، ( يتوارى من القوم ) ، أى : يكره أن يراه الناس ( من سوء ما بشر به ، أعسكه على هون  
 أم ينس في التراب ) . أى : إن أبغها أمقاه مهانة لا يورثها ولا يرضى بها ، ويعضل أولاده الذكور عليها ، ( أم ينس  
 في التراب ) ، أى : يندس ، وهو : أن يدفنها فيه حية ، كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، أفن يكرهونه هذه الكراهة  
 ويألفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله ؟ ( ألا ساء ما يحكمون ) ، أى : يش ما قالوا ، ويش ما قسوا ، ويش ما نسبوا إليه ،  
 كما قال تعالى : ( وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ) ، وقال ها هنا : ( للذين  
 لا يؤمنون مثل السوء ) ، أى : النقص إنما ينسب إليهم ، ( وله المثل الأعلى ) ، أى : الكمال المطلق من كل وجه ، وهو  
 منسوب إليه ، ( وهو العزيز الحكيم ) .

(١) سورة الأنعام ، آية : ١٣٦ .

(٢) سورة النجم ، آية : ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة الصافات ، الآيات : ١٥١ - ١٥٤ .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤْتِيهِمْ لَئْلَ أُجَلٍ سَمَىٰ فِئَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٠﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا يَرَوْنَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَقُونَ ﴿١١﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ حِلْمِهِ بِخَلْقِهِمْ، وَأَنَّهُ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ، أَيْ : لَأَمْلَأَكُ جَمِيعَ دَوَابِ الْأَرْضِ نَمَلًا لِإِهْلَاكِ بَنِي آدَمَ . وَلَكِنْ أَرَبَ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِعِلْمٍ وَيَسْرَ ، وَيَسْطُورُ (إِلَى أَجَلٍ سَمَى) ، أَيْ : لَا يَمَاجِلُهُمُ بِالْعُقُوبَةِ ، إِذْ لَوْ فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ لَأَبْقَى أَجْدًا .

قَالَ سَفِيانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَسِ أَنَّهُ قَالَ : كَادَ الْجُعَلُ (١) أَنْ يَلْبِسَ بَنِي آدَمَ ، وَقَرَأَ (وَأَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ) (٢)

وَكُلَّمَا رَأَى الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي حَبِيبَةَ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : كَادَ الْجُعَلُ أَنْ يَلْبِسَ فِي جَعْرِهِ مَخْطُوبَةَ بَنِي آدَمَ .

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ لُثْفِي ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَكِيمٍ الْخُزَاعِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرٍ الْحَنْظَلِيُّ (٣) ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَجُلًا وَهَرًا يَقُولُ : إِنَّ الظَّالِمَ لَا يُمْسِرُ إِلَّا نَفْسَهُ . قَالَ : فَانْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ : بَلَى وَاقَّةٌ ، حَتَّى إِنَّ الْهَبَارِيَّ (٤) قُتِلَ فِي وَكْرَهَا (هَذَا لَا) (٥) يَظْلَمُ الظَّالِمَ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، أَنَا أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْسَرٍ (٦) ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ عَدَاءٍ ، عَنْ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٧) ، عَنْ عَبْدِ أَبِي مُشْجَعَةَ بْنِ رَبِيعٍ ، عَنْ أَبِي النُّدْرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ذَكَرْنَا عِنْدَ رَسُولِ

(١) الْجَعَلُ - بِضَمِّ فَتْحٍ - : حَيَوَانٌ كَالنَّفْسَاءِ .

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ : ٨٥ / ١٤ .

(٣) فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : « عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرٍ الْجَبَلِيِّ » . وَهُوَ مُصَلِّيًا . يَنْظُرُ الْكَلْبَ : ٨٨ / ٩ .

(٤) وَاسْتَدْرَكَ « بَلَى » فِي حَقِّ الْأَثَرِ مَوْضِعٌ « بَلَى » ، اسْتِزْكَاءٌ حُلُّ الْكَلَامِ الْمُتَعَمِّقِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَقَالُوا : لَنْ نَمُنَّا بِآثَارِهِمْ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةٌ ... بَلَى » مِنْ كَسْبِ سَبْعَةٍ ... ) . وَمَعْنَى الْأَثَرِ « بَلَى وَاقَّةٌ » إِنَّهُ لَيُفْرِقُهُ ، حَتَّى إِنَّ الْهَبَارِيَّ .. : وَالْهَبَارِيُّ - بِضَمِّ الْهَاءِ - : كَمَا فِي الْمَصْبُوحِ : « طَائِفٌ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ عَلَى شَكْلِ الْإِزْدَةِ ، بِرَأْسِهِ وَبَطْنِهِ قَبْرَةٌ ، وَلَوْنُهُ ظَهْرُهُ وَجَنَاحُهُ كَلُونُ السَّيِّئِ غَالِبًا » .

وَفِي الْهَاتِيَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : « وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( إِنَّ الْهَبَارِيَّ لَتَمُوتُ هَذَا بَلْبٌ ابْنُ آدَمَ ) » . يَتَنَبَّأُ أَنَّ اللَّهَ يَخْبِسُ ضَمًّا الْقَطْرَ بِقُرْبَةِ ذُلُومِهِ ، وَإِنَّمَا خَبَسَهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَبَدُ الطَّيْرِ نَجْمَةٌ ، قَرِيبًا تَلْبَحُ بِالْبَصَرَةِ وَيُوجَدُ فِي حَوْسَلِهَا أَلْفَةُ الْخَفَرَاءِ ، وَفِيهِ الْبَصَرَةُ وَبَيْنَ مَنَابِهَا مَسِيرَةُ أَيَّامٍ » .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ الْمُتَقَابِلَيْنِ عَنْ تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ : ٨٥ / ١٤ .

(٦) فِي الْخَطِيطَةِ : « الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ » ، حَدَّثَنَا حَبِيبَةُ اللَّهِ بْنِ شَرَحٍ » . وَالصَّوَابُ أَنَّهُ : « الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ » . وَتَرْجُمَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ

ابْنِ مَرْسَرٍ « وَتَرْجُمَةُ قُتَيْبَةَ الْجَرَجِ وَالتَّمْدِيلِ : ١٠ / ١ » .

(٧) فِي الْخَطِيطَةِ : « سَلَمَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » . وَالصَّوَابُ أَنَّ الْجَرَجَ لَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ : ٢٦٩ / ١ / ٤ ، وَتَرْجُمَةُ سُلَيْمَانَ بْنِ صَالَةَ الْفَرَفَرِيِّ : ١٢٣ % ١ / ٢ » .

الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **إِنَّ اللَّهَ لَا يُزْغِرُ شَيْئًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ ، وَإِنَّمَا زِيَادَةُ الْعَمْرِ بِاللَّذِيَّةِ الصَّالِحَةِ ، يَرْزُقُهَا اللَّهُ الْعَبْدَ فَيُدْخِلُونَهُ مِنْ بَيْتِهِ ، فَيُفَلِّصُهُ دَعَاؤُهُمْ فِي قَبْرِهِ ، فَلِذَلِكَ زِيَادَةُ الْعَمْرِ :**  
وقوله : **( وَيُجْعَلُونَ لَهُ مَا يَكْرَهُونَ )** ، أى : من البُتات ومن الشركاء الذين هم حبيبه ، وهم يأنفون أن يكون عند أحدهم شريك له في ماله .

وقوله : **( وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَلْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى )** ، إنكار عليهم في دعواهم مع ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا ، وإن كان ثمَّ معاد ففيه أيضا لهم الحسنى ، وإختيار عن قيل من قال منهم ، كقوله : **( وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحِمَ اللَّهُ نُفُوسًا مَا أَتَاهُ إِلَّا لَيْسَ نَفْسٌ إِلَّا لَيْسَ كَفُورٌ )** ولئن أدقناه فبما بعد ضراء مسه [ يقولون ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ] (١) ، وكقوله : **( وَلَوْ أَنَّ أَدْنَاهُ رَحِمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهُ لَيَقُولُنَّ هَلَا لِي )** ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده الحسنى ، فلننتبهن الذين كفروا بما عملوا ، ولنتيقنهم من حلاب غليظ (٢) ، وقوله : **( أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ : لَأُوتِينَ مَا لَا يُؤْتِي ، وَقَالَ إِنِّي بَعْضُهُمْ أَمْثَلُ )** (٣) ، وقال إختيارا عن أحد الرجلين : أنه ( دخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال : ما أظن أن ليبد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها مقلبا ) (٤) — فجميع هؤلاء يبع حمل السوء وتنجى الباطل ، بأن يجازوا على ذلك حسنا وهذا مستحيل ، كما ذكر ابن إسحاق : أنه وجد حجر في أسافس للكعبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب عليه حكم ومواظ ، فمن ذلك : تعملون السيئات وتجزون الحسنات ؟ أجل ، كما يجنى من الشوك العنب (٥) .

وقال جامد ، وقادة : **( وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَلْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى )** ، أى : الغليان (٦) .

وقال ابن جرير : **( أَنَّ لَهُمُ الْحَسَنَى )** ، أى : يوم القيامة . كما قلنا بيانه ، وهو الصواب ، والله الحمد .  
ولما قال تعالى زادا عليهم في تنبيههم : **( لَأَجْرَمَ )** ، أى : حقا لا بد منه ( أن لهم النار ) ، أى : يوم القيامة ، وأنهم مفرطون ) .

قال جامد ، وسعيد بن جبير ، وقادة وغيرهم : متسبون فيها مضيقون .

وهذا كقوله تعالى **( قَالِ يَوْمَ نَسْأَلُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا )** (٧) .

وعن قتادة أيضا : **( مفرطون )** ، أى : مجبولون إلى النار ، من القسرة وهو السابق إلى الورود ولا منافاة لأنهم يجعل يوم القيامة إلى النار ، وينصون فيها ، أى : يحللون .

(١) سورة هود ، آية : ٩ ، ١٠ .

(٢) سورة فصلت ، آية : ٥٠ .

(٣) سورة مريم ، آية : ٧٧ .

(٤) سورة التكوير ، آية : ٣٥ ، ٣٦ .

(٥) سيرة ابن هشام ، حديث بيان الكعبة : ١ / ١٩٦ . ولفظ السيرة : وكما لا يجنى . وهو خطأ ، ومعنى الموصلة .

(٦) جلد مستحيل اصطلاحه جني العنب من الشوك .

(٧) تفسير البكري : ١٤ / ٨٦ .

(٨) سورة الأعراف ، آية : ٥١ . وكان في الخطوة : قال يوم نساكم كما تسبتم لقاء يومكم هذا ، وصواب هذه الآية من سورة البقرة : ٣٤ ( اليوم نساكم ) دون لقاء . ولذلك أقيمت آية الأعراف .

فَلَمَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَىٰ شَيْطَانُ أَنَّهُمْ يُفَكِّهونَ فَهُمْ يَقْتُلُونَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا أَتَىٰكَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ إِلَّا لَتُفْسِدُنَّ فِيهِ وَلَهُمْ رِجْسٌ لِّقَوْمٍ يُفْسِدُونَ ﴿١١﴾ وَأَلَّا تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مَعَهُ فَاَتُخَذَ مِنْهُ لَكُمْ آيَةٌ يُسْمَعُونَ ﴿١٢﴾

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلاً ، فكذبَت الرسل ، فلما باعده في إخوانك من الرسل أمية ، فلا يهدئك (١) تكذب قومك لك ، وأما للمشركون الذين كذبوا الرسل ، فلما حملهم على ذلك تربيت الشيطان لهم مافطوره ، (فهم ولهم اليوم) ، أي ه هم تحت العقوبة والنعك ، والشيطان وليهم ، ولا يملك لهم خلاصاً ، ولا صريح لهم ، ولم يلد لهم .

ثم قال تعالى لرسوله : إنه إنما أتول عليه الكتاب ليعين للناس الذي يخلفون فيه ، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يمتازون فيه ، (وهدي) ، أي : للقلب ، (ورحمة) ، أي : لمن تمسك به ، (لقوم يؤمنون) :  
وكما جعل تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها ، كذلك يحيي الأرض بعد موتها بما ينزل عليها من السماء من ماء ، (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) ، أي : يفهمون الكلام ومماته .

وَأَن لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرَ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَرٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنْ تَحْتِ الْأُخْبِيلِ وَاعْتَبِرْ بِحَيَاتِ النَّعَمِ فَكَتَبَ مِنْهُ سَكْرًا وَزَرْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى : (وإن لكم) أي الناس (في الأنعام) ، وهي : الإبل والبقر والغنم ، (لعبرة) ، أي : لآية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولطفه ورحمته ، (تفكروا بما في بطونه) ، وأفرد هاهنا حرداً على معنى النعم ، أو الضمير حاله على الحيوان ، فإن الأنعام حيوانات ، أي : تفكروا بما في بطون هذا الحيوان .

وفي الآية الأخرى : (بما في بطونها) (٢) ، ويجوز هذا وهذا ، كما في قوله تعالى : (كلا إنها لتفكرة) . فمن شاء ذكره (٣) وفي قوله تعالى : (وإن مرسلة إليهم بهدية فنانظروا م يرجع المرسلون) . فلما جاء (٤) سليمان ، أي : المال .

وقوله : (من بين فرث ودم لبناً خالصاً) ، أي : يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فرث ودم في باطن الحيوان ، فيسرى كل إلى موطنه ، إذا نضج الغذاء في معدته تصرف منه دم إلى العروق ، [ولبن إلى الفرج] ، ويؤلف إلى اللبنة ، وروث ، إلى الفرج ، وكل منها لا يشوب الآخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ، ولا يتغير به .

(١) ينظر تفسير هذه اللفظة في : ١ : ٣٢١ .

(٢) سائر في هذه السورة ، وهي برقم : ٦٩ .

(٣) سورة النحل ، آية : ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) سورة النمل ، آية : ٣٥ ، ٣٦ .

وقوله : (لَبِئْسَ خَالِصًا سَائِلًا لِشَارِبِينَ) ، أى : لا يخص به أحد :

ولما ذكر البئ وأله تعالى جعله شراباً للناس سائلاً، نَسِيَ بلكر ما يتخذُه الناس من الأشربة ، من ثمرات التخليل والأعشاب ، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه ، ولهذا آمنن به عليهم فقال : (ومن ثمرات التخليل والأعشاب تتخلون منه مسكرًا) ، ذلك على إباحته شرها قبل تحريمه ، وذلك على التسوية بين السكر المتخذ من العنب ، والمتخذ من التخليل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكلما حكم سائر الأشربة المتخذة من الخبث والشجر والنورة والصل ، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك - كما قال ابن عباس في قوله : (سكرا ورزقا حنثًا) ، قال : السكر : ما حرم من ثمرتها ، والرزق الحسن مأكل من ثمرتها - وفي رواية : (السكر حرامه ، والرزق الحسن حلاله) . يعنى مايس منها من تمر وزبيب ، وما حمل منها من طلاء (١) - وهو الدبس - وغنل ونيل ، حلال يشرب قبل أن يشهد ، كما وردت السنة بذلك .

(لأن في ذلك آية قوم يقتلون) ، ناسب ذكر التخليل ما هنا ، فإنه أشرف ما في الانسان ، ولهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صلباً لمعولها ، قال الله تعالى : (وجعلنا فيها جنتنا من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) . سبحانه الذى خلق الأزواج كلها عما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون (٢) ،

وَأَتَيْنَكَ بِكَ إِلَى التَّحْلِ أَنْ تَحْلِيَ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا وَمِمَّا يَنْشُرُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كُنِيَ مِنْ كُلِّ الْأَشْجَرِ فَاسْلُكِي سَبِيلَ رَبِّكَ ذَلَا يَخْرُجُ مِنْ بُلُوغِنَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٤﴾

المراد بالوحى ها هنا : الإلهام والهداية والإرشاد إلى التحل أن يتخذ من الجبال يبوتاً تأوى إليها ، ومن الشجر ، وما يبرشون . ثم هي محكمة في غاية الإقنان في تسديسها ورضعها ، بحيث لا يكون بينها عخل .

ثم أذن لها تعالى إذا قدريا تسخيرا أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى لها مليلة ، أى : سهلة عليها حيث شادت في هذا الجو العظيم والبرارى للماشية ، والأودية والجبال الشاهقة ، ثم تعود كل واحدة منها إلى موضعها وبيتها ، لا تخيد عنه بمئة ولا يسرة ، بل إلى بيتها وملعها فيه من فراخ وحسل ، فتنبئ الشمس من أجنحتها ، وتبقى العسل من شيا ، وتبيض القراخ من دبرها ، ثم تصيح إلى مرأيتها .

وقال قتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ( فاسلكي سبل ربك ذللاً ) ، أى : مطية (٣) . فجعله حالا من السالكة - قال ابن زيد : وهو كقول الله تعالى : (وذللناها لهم فيها ركوبهم ومنها ياكلون) - قال : ألا ترى أنهم يقولون التحل من بيوتهم من بلد إلى بلد وهو يصحبهم .

(١) الطلاء - بالكسر والله - : القرباب الملبوخ من صمغ العنب . أما الدبس - بكر فسكون - فهو عمل التمر وحماضه .  
كما ذكر المصنفون ، ينظر المصالح ، والنهاية ، واللسان .

(٢) سورة يس ، الآيات : ٣٤ - ٣٦ .

(٣) تسمية المطيرى : ١٤ / ٩٤ .



## تفسير سورة النحل

١٥٥

والقول الأول أظهر ، وهو أنه حال من الطريق ، أى : فاسلكيها ماذلة لك ، لص عليه مجاهد : وقال ابن جرير : كلا القولين صحيح.

وقد قال أبو يعلى الموصلى : حدثنا شيان بن قرق ، حدثنا مسكين بن عبد الويز ، عن أبيه ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُسْرُ اللَّيَابِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا ، وَاللَّيَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ » ،

وقوله تعالى : ( يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ) ، أى : ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة ، على اختلاف مراعيها وما كلها منها .

وقوله : ( فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ) ، أى : في العسل شفاء للناس من أدواء معرض لهم .

قال بعض من تكلم على الطب النبوى : لو قال فيه : و الشفاء للناس ، لكان دواء لكل داء ، ولكن قال ( فيه شفاء للناس ) ، أى : يصلح لكل أحد من أدواء يارده ، فإنه حار ، والشىء يبلوى بضله .

وقال مجاهد بن جبر في قوله : ( فيه شفاء للناس ) ، يعنى : القرآن ،

وهذا قول صحيح في نفسه ، ولكن ليس هو الظاهر . ها هنا من سياق الآية ، فإن الآية إنما ذكر فيها العسل ، ولم يتابع مجاهد على قوله ها هنا ، وإنما الذى قاله ذكره في قوله تعالى : ( وتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) (١) ...

الآية وقوله تعالى : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّلُورِ ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ) (٢) ،

والدليل على أن المراد بقوله تعالى : ( فيه شفاء للناس ) ، هو العسل - الحديث الذى رواه البخارى ومسلم في صحيحهما من رواية قتادة ، عن أبي التمر كل على بن داود (٣) التامى ، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أمتى استعطفتنى (٤) بطنه ؟ فقال : اسقه صلا فسقاه صلا ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ، اسقته صلا فإزاده إلا استطلقا ؟ قال : اذهب فاسقه صلا . فذهب فسقاه صلا ، ثم جاء فقال : يا رسول الله ، فإزاده إلا استطلقا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلق الله وكلب بطن أميك ! اذهب فاسقه صلا . فذهب فسقاه فبرئ (٥) .

قال بعض العلماء بالطلب : كان هذا الرجل عطسه فضلات ، فإسقاء صلا وهو حار تحلت ، فأسحرت في الاندفاع ، فزاد إسهاله ، فأخذت الأعرج أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ، ثم سقاه فازداد التحليل والنفخ ، ثم سقاه فكلت ، فلما اندفعت الفضلات القاسية المظرة بالبدن استمسك بطنه ، وصلح مزاجه ، واندفعت الأسقام والأكلام ببركة إشارته ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام .

(١) سورة الإسراء ، آية : ٨٢ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٥٧ .

(٣) يقال أيضا : « كل بن داود » - ينظر التلخيص : ٣١٨/٧ .

(٤) الاستطلاق : الإسهال .

(٥) مسلم ، كتاب السلام ، باب : « التامى يشفى العسل » : ٢٦/٧ ، والبخارى ، كتاب الطب ، باب : « دواء البطن » .

وفي الصحيحين : من حديث هشام بن حروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجده الحكواء والعسل . هذا لفظ البخاري (١) .

وفي صحيح البخاري ، من حديث سالم الأفلح ، عن سعيد بن جبير (٢) ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشفاء في ثلاثة : في شربة محتجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنهى أمي عن الكي (٣) » .

وقال البخاري : حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد الرحمن بن الفضل ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، سمعت جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن كان في شيء من أدويتكم ، أو يكون في شيء من أدويتكم خير ، فلي شربة محتجم ، أو شربة عسل ، أو للذة بنار توافق اللذء ، وما أحب أن أكتوى (٤) » .  
ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة ، عن جابر ، به (٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن إسحاق ، أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن أبي الخير ، عن عتبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث إن كان في شيء شفاء : فشرطة (٦) محتجم ، أو شربة عسل ، أو كية تصيب ألما ، وأنا أكره الكي ولا أحبه (٧) » .

ورواه الطبراني عن هارون بن مكتول (٨) المصري ، عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، عن عبد الله بن الوليد ، به ولفظه : « إن كان في شيء شفاء : فشرطة محجم ... وذكره ، وهذا إسناد صحيح ، ولم يخرجه .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن زيد بن ماجه القزويني في سننه : حدثنا علي بن سلمة وهو البجلي (٩) ، حدثنا زيد ابن الحباب ، حدثنا سفيان بن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالشفامين : العسل والقرآن (١٠) » .

وهذا إسناد جيد ، تفرد بإخراجه ابن ماجه مرفوعاً ، وقد رواه ابن جرير (١١) ، عن سفيان بن وكيع ، عن أبيه ، عن سفيان - هو الثوري - به موقوفاً ، ونحوه أشبه .

(١) البخاري ، كتاب الأشربة ، باب « شراب الخلاء والعسل » : ١٤٣/٧ . وكتاب الطب ، باب « الفواء بالعسل » : ١٥٩ / ٧ .

(٢) في المخطوطة مكان « سعيد بن جبير » : « جابر بن جبر » . وللتب من الصحيح .

(٣) البخاري ، كتاب الطب ، باب « الفواء بالعسل » : ١٥٩/٧ .

(٤) البخاري ، الكتاب وأبواب المتضمنات : ١٥٩ / ٧ .

(٥) مسلم ، كتاب السلام ، باب « لكل داء دواء واستجاب التداوي » : ٢١/٧ ، ٢٢ .

(٦) لفظ السند : « فلي شربة » .

(٧) سنن الإمام أحمد : ١٤٩/٤ .

(٨) في المخطوطة : « علول » . وللتب من المسند الصغير للطبراني : ١٢٧/٢ ، والمشتبه للمصنف : ٩١٣ .

(٩) في المخطوطة : « هو الملقب » . وللتب من سنن ابن ماجه ، والمشتبه للمصنف ، تعليق : ٥٥٧ ، والخلاصة .

(١٠) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب « العسل » ، الحديث : ٣٤٥٢ ، ١١٤٢ / ٢ .

(١١) تفسير الطبري : ٩٤ / ١٤ .

ووروثنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « إذا أراد أحدكم الشفاء ، فليكتب آية من كتاب الله في صحيفته ، وليضربها ماء السماء ، وليأخذ من امرأته حرها عن طيبه نفس منها ، فليشتر به صلا فليشربه بذلك فإنه شفاء (١) » ، أي من وجوه ، قال الله : (وتزل من القرآن ما هو شفاء) (٢) ، وقال : (ولولنا من السماء ماء مازكا) (٣) ، وقال : (فإن طبع لكم من شيء منه نفساً فكلوه حتىكم مريحاً) (٤) ، وقال في العسل : (فيه شفاء للناس) »

وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا عمود بن خداش ، حدثنا سعيد بن زكريا القرشي (٥) ، حدثنا الوهبي بن سعيد الهاشمي ، عن عبد الحميد بن سالم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لحقَّ العسل ثلاث خدواتٍ في كل شهر ، لم يصبه عظيم من البلاء » (٦) »

الزهر بن سعيد مروي :

وقال ابن ماجه أيضاً : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الثريائي ، حدثنا عمرو بن بكر السخسكي : حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة : سمعت أبا أيمن بن أمّ سكرام - وكان قد صلى القبلتين - يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكم بالسنى (٧) والسنتوت ، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام . قيل : يا رسول الله ، وما السام ؟ قال : المثلث .

قال عمرو : قال ابن أبي عبلة : « السنتوت » : الشبث (٨) ، وقال آخرون : بل هو العسل الذي [ يكون ] (٩) في زقاق السم ، وهو قول الشاعر (١٠) :

هُمُ السَّمَنُ السَّنْتُوتِ لَا أَلْسَ فِيهِمْ • وَهُمْ يَمْتَحِنُونَ الْجَارَ أَنْ يَمُرَّ دَا

كلما رواه ابن ماجه (١١) وقوله : « لَا أَلْسَ فِيهِمْ » ، أي : لا غلط (١٢) ، وقوله : « يَمْتَحِنُونَ الْجَارَ أَنْ يَمُرَّ دَا » [ أي : يمشطهد ويظلم ] (١٣) »

(١) في ورود هذا من الإمام عل نظر ، فإن هذا العسل لشبه بما يصنعه السمرة ، وإنما نزل القرآن الكريم لئلا يبالغ المجتهد لما الأجسام فلما من العقابر - التي خلقها الله - التيها الكثير

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٨٢ .

(٣) سورة قف ، آية : ٩ .

(٤) سورة النساء ، آية : ٤ .

(٥) في المخطوطة : « زكريا المقرئ » ، والمثبت عن سنن ابن ماجه والملاحمة .

(٦) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب : العسل ، الحديث : ٣٤٥٠ : ٢ / ١١٤٢ .

(٧) السنى - يفتح السين والثلاثون - : نبات معروف من الأدوية ، له حسل [ أي : ثمر ] إذا يابس وحركه الریح صمد له زجلا . الترجمة : سنانة .

(٨) الشبث - يكثر فسكر : بقله .

(٩) ما بين القوسين من سنن ابن ماجه .

(١٠) البيت في اللسان : مادة « ألس » ، و « قرء » ، غير منسوب .

(١١) سنن ابن ماجه ، كتاب الطب ، باب : السنى والسنتوت ، الحديث : ٣٤٥٧ : ٢ / ١١٤٤ .

(١٢) في اللسان : « الألس : أسله النرلس ، وهو الحياطة . والألس : الأصل السود . والألس : اللبس . والألس : الكتاج .

(١٣) ما بين القوسين مكانه يافض في المخطوطة ، وللمثبت من الطبقات السابقة . وفي اللسان : « و « لفتريه » : اندماج » .

وقوله : ( إن في ذلك لآية لقوم يفكرون ) ، أى : إن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقية إلى السلوك في هذه المهام والاجتهاد في سائر النصار ، ثم جمعها للشمع والصل ، وهو من أطيب الأشياء . - ( لآية لقوم يفكرون ) في عظمة خالقها ومقدرها ومستخرجها ويمسرها ، فيستدلون بذلك على أنه القادر ، الحكيم العليم . المكرم من الرجب .

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَيُنَكِّلُكُمْ مِنْ يَدِهِ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿١﴾  
غير تعالى عن تصرفه في عياده ، وأنه هو [ الذى ] أنشأهم من العدم ، ثم بعد ذلك يتوفاهم ، ومنهم من يتركه حتى يدركه الممزم - وهو الضعف في الخلقة - كما قال الله تعالى : ( الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة • ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العظيم القدير ) (١) .  
وقد روى عن حل رضى الله عنه في أرذل العمر : خمس وسبعون سنة . وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والحرف وسوء الحفظ وقلة العلم . ولهذا قال : ( لكيلا يعلم بعد علم شيئا ) ، أى : بعد ما كان علما أصبح لا يدري شيئا من التفسر (٢) والحرف . ولهذا روى البخارى عند تفسير هذه الآية :

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعمى ، عن شبيب ، عن أنس بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو : « أعود بك من البخل والكسل ، والغرم (٣) وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفنفة النجال ، وفنفة الحيا والممات » (٤) .

ورواه [ مسلم ] من حديث هارون الأعمى ، « ٤ » [ ٩ ] .

وقال زهير بن أبى سلمى في معلقة المشهورة (٥) :

سَعَيْتُ تَكَايَفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَحْشُرُ • ثَمَانِينَ حَامًا - لَا أَبَاكَ - يَسَامُ (٦)  
رَأَيْتُ النَّبَا حَبِطَ (٨) حَشَوَاهُ مِنْ نَعْبٍ • نَحْنُ . وَمَنْ تَحَطَّى بِحَمَرٍ أَعْمَ

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ

مَسَوَاءٌ أَفْتِنَهُمُ اللَّهُ يَجْعَلُونَ ﴿٧﴾

بين تعالى لمشركين جهلهم وكبرهم فيها زعموه من الشركاء ، وهم يعترفون أنها عبيد له ، كما كانوا يقولون في تليانهم في حجهم : « لييك لا شريك لك » ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك . فقال تعالى منكرا عليهم : إنكم ،

(١) سورة الروم ، آية : ٥٤ .

(٢) القند في الأصل : الكلب ، وأفتد : تكلم بالكلب ، ثم قالوا الشيخ إذا هرم : قد أفتد ، لأنه يتكلم بالهرف من الكلام من سنن الصفة .

(٣) لا يوجد في الصحيح : « والغرم » .

(٤) البخارى ، تفسير سورة الفصل : ١٠٣ / ٩ .

(٥) ما بين التوسن للمطوفين مكانه يافى في الخطوطة . وقد سقط من الطبعات السابقة : وأسقط أيضا لفظ : « ورواه » . والحديث رواه سلم في كتاب الذكر والعماء والفرية والاستغفار ، باب « التمدد من السج والكل » : ٧٥ / ٨ .  
وقد أنبتنا ما بين التوسن أحياء على ما أفتاه من ابن كثير . من قفره الحديث من الصحيحين ، وإله أعلم .

(٦) ديوانه : ٢٩ .

(٧) لا أياك : كلمة يستعملها العرب عند الغلظة وتضيق الأمر .

(٨) الشا : ضف البسر . ونحيبه غيب حشوا : لرجسته . وأسله من التلقة المشوا : لأنها لا تبصر ما أمامها ، فهي تنبذ بينها ، وذلك أنها ترفع رأسها فلا تصدع مواضع أخطائها .

لا ترضون أن تساوا هيبكم فيما رزقناكم ، فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيده له في الإلمية والتنظيم ، كما قال في الآية الأخرى : ( ضرب لكم مثلا من أنفسكم : هل لكم ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ، فأنتم فيه سواء ، تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ) (١) .... الآية .

قال النوفى ، عن ابن عباس في هذه الآية : يقول : « لم يكونوا لي شركاء فيما رزقناهم ، فكيف يشركون عبيدي معى في سلطانى ، فلذلك قوله : ( أنعمة الله بعبادهم ) .

وقال في الرواية الأخرى ، عنه : « كيف ترضون في ما لا ترضون لأنفسكم » (٢) .

وقال مجاهد في هذه الآية : هذا مثل للأمة الباطلة .

وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله ، فمثل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي قرائته ، فتملكون بالله خلقه وعياده ؟ فإن لم ترض لتملك هذا ، فإله أسق أن يتزوه منك (٣) .

وقوله : ( أنعمة الله بعبادهم ) ، أى : إنهم جعلوا لله ما ذروا من الحرث والأكام نصيبا ، فجعلوا نعمته ، وأشركوا معه غيره .

وعن الحسن البصرى قال : كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه الرسالة إلى أبى موسى الأشعرى : « واقع برزقك من الدنيا ، فإن الرحمن فضل بعض عياده على بعض الرزق ، بل يضل به كلا ، فيضل من يسطر له ، كيف شكره الله وأداؤه الحق الذى اقترض عليه فيما رزقه وغیره ؟ » رواه ابن أبى حاتم .

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَوْزَانِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُم مِّنَ الْغَيْبِ أَفَاءً لِّبَنِي  
الْإِنْسَانِ وَيَنْصَحُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ هُمْ يُكْفَرُونَ ﴿٧٨﴾

يذكر تعالى نعمة على عبيده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل اتلاف ومودة ورحمة . ولكن من رحمته خلق من بنى آدم ذكورا وإناثا ، وجعل الإناث أزواجا للذكور .

ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة ، وهم أولاد البنين ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن . والضحك وابن زيد .

قال شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ( بنين وحفدة ) : هم الولد وولد الولد (٤) ،

(١) سورة الروم ، آية : ٢٨ .

(٢) الآثاران في تفسير الطبرى : ١٤ / ٩٥ ، ٩٩ .

(٣) لفظ الطبرى من مجاهد : ١٤ / ٩٦ : « فإله أسق أن يتزوه به ، من نفسك ، ولا تملك بالله أحدا من عياده وخلقته » .

(٤) تفسير الطبرى : ١٤ / ٩٨ .

وقال شيد : حدثنا حجاج عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بنوك حين يغفلونك ويغفلونك (١)  
ويبنونك ويغفلونك ، قال جميل (٢) :

حَقَّدَ الْوَلَدُ حَوْلَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ • بِأَكْثَرِ أَرْمَةِ الْأَجْمَالِ (٣)

وقال بجاهد : ( بنوك وحفلة ) : ابنه وخادمه : وقال في رواية : « الحفلة » الأنصار والأعران والخدام .

وقال طائوس : الحفلة الخدم : وكلها قال كفاة ، وأبو مالك ، والحسن البصري .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا مسمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة أنه قال : الحفلة من خدمك من ولدك وولد  
وليك (٤) .

قال الضحاك : إنما كانت العرب يخدمها بنوها

وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : ( وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفلة ) ، يقول : بنو امرأة الرجل ، ليسوا  
منه . ويقال : « الحفلة » : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقال : فلان يخدم لنا . قال : ويرحم رجال أن الحفلة تختار (٥)  
الرجل : (٦) .

وهذا الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وأبو الضحى ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد  
ابن جبلة ، وجاهد ، والقرظي . ورواه عكرمة ، عن ابن عباس .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هم الأصهار .

قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى : « الحفلة » ، وهو الخفلة ، التي منه قوله في القنوت :  
« وإليك نسعي ونغمد » ، ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والأصهار والخدم ، فالخدمة حاصلة بهذا كله ، ولهذا  
قال : ( وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفلة ) .

قلت : فمن جعل ( وحفلة ) متعلقاً بأزواجكم ، فلا بد أن يكون المراد الأولاد ، وأولاد الأولاد ، والأصهار ،  
لأنهم أزواج البنات ، وأولاد الزوجة ، كما قال الشعبي والضحاك ، فإنهم غالباً يكونون تحت كتب الرجل وفي حجره  
وفي خدمته . وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه السلام في حديث بصرة بن أكثم : « والولد عبد لك » رواه أبو  
داود (٧) .

وأما من جعل الحفلة هم الخدم فعنده أنه معطوف على قوله : ( واقف جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) ، أي : وجعل  
لكم الأزواج والأولاد .

(١) يرفقه نوك : يمينونك .

(٢) كلما ، ولم يجده في ديوان جميل ط بيروت . وفي تفسير الطبري مكان جميل : « حميد » . ولم يجده في ديوان حميد بن  
ثور ، وإن كان فيه قصيدة من البحر والفتافية ، لكن جوها غير جو البيت الذي معنا .

(٣) الأثر والبيت في تفسير الطبري : ١٤ / ٩٨ .

(٤) تفسير الطبري : ١ / ٩٧ ، ٩٨ .

(٥) الأغصان : جمع خن - يفتحين - وهو : كل ما كان من قبل المرأة ، كالأب والابن .

(٦) تفسير الطبري : ١٤ / ٩٨ .

(٧) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب : في الرجل يتزوج المرأة فيجدها حيلة ، الحديث ٢١٣١ / ٢ : ٢٤١ / ٢٤٧ .

(وزرّكم من الطيات) ، من الطعام والمشارب .

ثم قال تعالى : منكرًا على من أشرك في عبادة الله غيره : ( أقبالباطل يؤمنون ) ، وهم : الأصنام والأنداد ، ( وبمنعمة الله هم يكفرون ) ، أي : يسترون نعم الله عليهم ويفسونها إلى غيره .

وفي الحديث الصحيح : « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ممثنا عليه : ألم أزويجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الليل والإبل وأذرك ترأس وترتج » (١) .

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَا تَقْضِيهِمْ فِيهِ  
الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى إخبارًا عن المشركين الذين عبدوا معه غيره ، مع أنه هو المنعم المفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ، ومع هذا يعبدون من دونه من الأصنام والأنداد والأوثان ( مالا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ) ، أي : لا يقدر على إزوال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ، ولا يملكون ذلك ، أي : ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ، ولهذا قال تعالى : ( فلا تفسروا الله الأمثال ) ، أي : لا تجعلوا له أندادًا وأشياءًا وأمثالًا ، ( إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ) ، أي : إنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا الله ، وأنتم تجهلون تشركون به غيره .

ضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَتَكَبَّرُ فِيهِ سِرًّا وَيُؤْتُونَ  
الْحَمْدَ لِلَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس : هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن : وكلنا قال قتادة ، واختاره ابن جرير : والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر . والمرزوق الرزق الحسن ، فهو يتنق من سرا وجهرا ، هو المؤمن ؟ وقال ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : هو مثل مضروب للزنى والحق تعالى ، فهل يستوى هذا وهذا ؟ وما كان الفرق ما بينهما بينا واضحا ظاهرا لا يجهله إلا كل غي ، قال تعالى : ( الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون )

وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَبْتَاطِ بِحُجْرٍ هَلْ يَسْتَوِي  
هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾

قال مجاهد : وهذا أيضا المراد به الزنن والحق تعالى ، يعني أن الزنن أبكم لا يتكلم ولا يتنطق غيره ولا بشيء ، ولا يقدر على شيء بالأكفية ، فلا مقال ، ولا فصال ، وهو مع هذا «كلٌّ» ، أي : حبال وكلفة على مولا ، ( أينما يوجهه ) ، أي : يسه ( لا يات غير ) ولا ينسج مساه ، ( هل يستوى ) من هذه صفاته ، ( ومن يأمر بالعدل ) ، أي : بالقسط ففعله حتى وفعله مستقيم ، ( وهو على صراط مستقيم ) . ولهذا قال السدي ، وقتادة وحطاه الخراساني : واختار هذا القول ابن جرير .

(١) تقدم الحديث عنه تفسير الآية ٤٦ من سورة البقرة : ٢٦/١ ، وشرح فريه هناك . والحديث رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، من أبي هريرة : ٢٦٦ / ٨ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : هو مثل الكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم .

وقال ابن جرير : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز ، حدثنا يحيى بن إسحاق ، السيلحيني ، حدثنا حماد ، حدثنا عبد الله ابن عثمان بن خثعم ، عن إبراهيم ، عن عكرمة ، عن يعلى بن أمية ، عن ابن عباس في قوله : ( ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ) : نزلت في رجل من قریش وعبدته . وفي قوله : ( مثلاً رجلين أحدهما أبكم ) إلى قوله : ( وهو على صراط مستقيم ) ، قال : هو عثمان بن عفان — قال : والأبكم الذي أبنا يوجهه لا يأتي بغير قال هو : مولى لعثمان بن عفان ، كان عثمان يفتق عليه ويكفله ويكفيه المئونة ، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما (١) .

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هَوَاقِفٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾  
وَاللَّهُ أَنزِلُكُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْنَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَلَا يَصْرُوْا لَهُ فِئَةٌ لَّكُمْ فَتَبْشُرُوْنَ  
﴿١١﴾ اللَّهُ يَوْمَآ إِلَى الْعَرْشِ مُخْرَجَتْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ فَتُفْهِمُ هُنَّ إِنَّا لِلَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

يُخْرِجُ تَعَالَى مِنْ كَمَالِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ ، فِي عِلْمِهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاسْتِصْغَابُهُ بِلَيْكٍ ، فَلَا إِطْلَاعَ لِأَحَدٍ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُنْزِلَهُ تَعَالَى عَلَى مَا يَشَاءُ — وَفِي قُدْرَتِهِ التَّامَّةُ الَّتِي لَا تُخَالَفُ وَلَا تُخَافُ ، وَأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً فَآتَا بِقَوْلِهِ لَهُ « كُن » ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ ( وما أمراً إلا واحدة كلمح بالبصر ) (٢) ، أَيْ : فَيَكُونُ مَا يَرِيدُ كَطَرْفِ الْبَصَرِ . وَهَكَذَا قَالَ هَامِثًا : ( وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) ، كَمَا قَالَ : ( ما خلقكم ولا بهنكم إِلَّا كَتَفِثِينَ وَاحِدَةً ) (٣) .

لَمْ يَذْكُرْ تَعَالَى مَبْنًى عَلَى عِبَادَةٍ ، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ بَطُونِ أَمْنَتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ؛ لَمْ يَعِدْ هَذَا بِرِزْقِهِمْ تَعَالَى السَّمْعَ الَّتِي بِهِ يَدْرِكُونَ الْأَصْوَاتَ ، وَالْأَبْصَارَ الَّتِي بِهَا يَحْصُونَ الْمُرْتَبَاتِ ، وَالْأَلْفَنَةَ — وَهِيَ الْعُقُولُ — الَّتِي مَرْكَزُهَا الْقَلْبُ عَلَى الصَّحِيحِ ، وَقِيلَ : التَّمَاخِيلُ وَتَحْقِيقُهَا بِهَيْئِ بَيْنِ الْأَشْيَاءِ ضَارِعًا وَنَافِعًا ؛ وَهَذِهِ الْقُوَى وَالْخَوَاصُ تُحْصَلُ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّجَرُّعِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، كَلِمًا كَبِيرًا زَيْدًا فِي صَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَقُوَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْلُغَ أَشَدَّهُ .

وِإِذَا جَعَلَ تَعَالَى هَذِهِ فِي الْإِنْسَانِ ، لِيَسْتَطِيعَ بِهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى ، فَيَسْتَعِينُ بِكُلِّ جَارِحَةٍ وَحُضْرٍ وَقُوَةٍ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُ ، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَقُولُ تَعَالَى : مَنْ هَادَى لِي رِبْلًا قَدَّ يَارِزُنِي (٤) ، وَمَا خَرَجَ ، وَمَا قَرَّبَ إِلَى عِبْدِي مِثْلَ أَدَاءِ مَا اقْتَرَضْتُ (٥) عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عِبْدِي يَقْرُبُ إِلَى بَانَوَائِلِ حَتَّى أَحْبَبَهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّتِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّتِي يَبْصُرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا » .

(١) تفسیر قطری : ١٤ / ١٥١ .

(٢) سورة القصص ، آية : ٥٥ .

(٣) سورة لقمان ، آية : ٢٨ .

(٤) لفظ الصحيح : « قَدَّ أَكْبَدْتُهُ بِالْخَرْجِ » .

(٥) لفظ الصحيح : « وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى عِبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ... » .



ولئن سألني لأعطينه ، ولئن دعاني لأجيبه (١) ، ولئن استأذني (٢) لأعذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه (٣) .

فمنى الحديث : أن العبد إذا أخلص الطاعة صارت أفضاله كلها لله عز وجل ، فلا يسمع إلا الله ، ولا يبصر إلا الله ، أي : ما شرعه الله له ، ولا يبطش ولا يعشئ إلا في طاعة الله عز وجل ، مستعيناً بالله في ذلك كله . ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في خبر الصحيح ، بعد قوله : «ورجله التي يعشئ بها» : «فبي يسمع ، وببي يبصر ، وببي يبطش ، وببي يعشئ» ، ولهذا قال تعالى : ( وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، كما قال في الآية الأخرى : ( قل : هو الذي أنشأكم ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون . قل : هو الذي ذرأكم في الأرض ، وإليه تمحشرون ) (٤) .

ثم لله تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض ، كيف جعله يطير بجناحيه بين السماء والأرض ، في جو السماء ما يحسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى ، الذي جعل فيها قوى تفعل ذلك ، وسخر الهواء بحملها ويسر الطير للملك ، كما قال تعالى في سورة الملك : ( أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ، ما يحسبهن إلا الرحمن ، إنه بكل شيء بصير ) (٥) . وقال هاهنا : ( إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ) .

وَمَا جَعَلْ لَكُمْ مِنْ دِينٍ تَنْتَكِرُونَ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَانِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتُنتَهِونَ عَنْ أَصْوَانِهَا إِنْ جِئْتُم بِهَا بِلَاغٍ أَوْ بِلَاغٍ مِنْ أَهْلِهَا أَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا خَلَقَ ظِلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِهَا أَمْشِيرًا يُحْمَلُونَ عَلَيْهَا أَثْقَالُهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ قُلُوا أَمْرًا عَلَيْكُمْ أَلْبَعَثَ الْفَرَسَ الْفَرَسَ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْتَكِرُوهَا وَكَثُرُوا الْكَافِرُونَ ﴿١١﴾

يلكز تبارك وتعالى تمام نعمته على عبده ، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم ، ياروون إليها ، ويستقرون بها ، ويتنقلون بها سائر وجوه الانضفاع ، وجعل لهم أيضاً ( من جلود الأنعام بيوتا ) أي : من الأدم (٦) ، يستخفون حملها في أسفارهم ، ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر [ والحضر ] . ولهذا قال : ( تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصواتها ) أي : الفرس ، ( وأوबारها ) أي : الإبل ، ( وأشعارها ) أي : الخمر - والضمير عائد على الأنعام - ( أَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا خَلَقَ ظِلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِهَا أَمْشِيرًا يُحْمَلُونَ عَلَيْهَا أَثْقَالُهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ) (١٠) . قوله : ( أَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا خَلَقَ ظِلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِهَا أَمْشِيرًا يُحْمَلُونَ عَلَيْهَا أَثْقَالُهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ) .

(١) قوله : «ولئن دعاني لأجيبه» . ليس في الصحيح .

(٢) لفظ الصحيح : «ولئن استأذني» .

(٣) قوله : «ولا بد له منه» ليست في الصحيح . والحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : «التواضع» ، ٢٢١/٨ .

(٤) سورة الملك ، آية : ٢٣ ، ٢٤ .

(٥) آية : ١٩ .

(٦) الأدم : الجلد ، والأدم : اسم جمع له .

وقال ابن عباس : الأثاث الخاف : وكلما قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، وعطية القوف ، وعطاء الخراساني ، والفساح ، وقادة (١) :

وقوله : (إلى حين) ، أي : إلى أجل مسمى ووقت معلوم .

وقوله : (والله جعل لكم ما خلق ظلالا) ، قال قادة : يعني الشجر .

(وجعل لكم من الجبال آكالا) ، أي : حصولا ومعاقل ، كما (جعل لكم سراييل تقيكم الخمر) ، وهي الثياب من القطن والكتان والصوف ، (وسراييل تقيكم بأسكم) ، كالدرع من الحديد المصنوع والزرذ وغير ذلك ، (كلتكم ثم نعمت عليكم) ، أي : هلكا بجعل لكم ما تمنعون به على أمركم ، وما تحتاجون إليه ، ليكون - عونا لكم على طاعته وعبادته ، (لعلكم تسمعون) .

هلكا فسرهم الجمهور ، وقروعه بكسر اللام من (تسمعون) ، أي : من الإسلام .

وقال قادة في قوله : (كلتكم ثم نعمت عليكم) : هذه السورة تسمى سورة التشم :

وقال عبد الله بن المبارك وعبد بن الحوام ، من حنظلة السلويس ، من شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه كان [يقروا] (تسمعون) - بفتح اللام - يعني من الجراح - رواه أبو حنيفة قاسم بن سلام ، عن جاد ، وأخرجه ابن جرير من الوجهين ، وقد حله القراء (٢) .

وقال عطاء الخراساني : إنما ذكر القرآن على قدر معرفة العرب ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (والجبال لكم ما خلق ظلالا ، وجعل لكم من الجبال آكالا) ، وما جعل من السهل أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ؟ ألا ترى إلى قوله : (ومن أموالها وأوبارها وأشمارها أناثا ومنثاقا إلى حين) ، وما جعل لكم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشحره ألا ترى إلى قوله : (ويترك من السماء من السحاب فيها من برد) ، لمسيبهم من ذلك ، وما أنزل من المطر أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى : (سراييل تقيكم الخمر) ، وما يفي من البرد أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب حر (٣) .

وقوله : (فإن تولوا) ، أي : بعد هذا البيان وهذا الامتنان ، فلا عليك منهم ، (فإنما عليك البلاغ المبين) ، وقد أيدته إليهم .

(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) ، أي : يعرفون أن الله تعالى هو المولى إليهم ذلك ، وهو المتفضل به عليهم ، ومع هذا ينكرونها ذلك ، ويميلون معه غيره ، ويستولون النصر والرزق إلى غيره ، (وأكثرهم الكافرون) - كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زوعة ، حدثنا صفوان (٤) ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن مجاهد ، أن

(١) ينظر حاشي الأثر في تفسير الطبري : ١٥ ، ١٠٢ .

(٢) تفسير الطبري : ١١ ، ١٠٦ .

(٣) تفسير الطبري : ١٥ ، ١٠٥ .

(٤) هو صفوان بن صالح الكوفي ، يروي عن الوليد بن سلم ، ويروي عنه أبو زوعة . ينظر ترجمته في الجرح والتعديل .

أمرأياً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسأله ، قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ) ، قال الأعرابي : نعم . قال : ( وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ) ، قال الأعرابي : نعم . ثم قرأ عليه ، كل ذلك يقول الأعرابي : نعم ، حتى بلغ : ( كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ) ، قول الأعرابي فأقول الله : ( يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ) (١) .

وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ لَا يَخْشَوْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرُّوا لَهُمْ فَأَلْجَأُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءَ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَاوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ وَاللَّهُ وَضَّلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿١٤﴾

غير تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة ، وأنه يبعث من كل أمة شهيداً ، وهو نبياها ، يشهد عليها بما أجاهت فيها بلغها عن الله تعالى ، ( ثم لا يؤذن للذين كفروا ) ، أي : في الاعتذار ، لأنهم يعلمون بطلانهم وكدبه ، كما قال : ( هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتلقون ) (٢) . ولهذا قال : ( ولا هم يستعينون ) ، وإذا رأى الذين ظلموا ، أي : أشركوا ( العذاب فلا يخفف عنهم ) ، أي : لا يفتقر عنهم ساعة واحدة ، ( ولا هم ينظرون ) ، أي : لا يؤخر عنهم ، بل يأخذهم سريعاً من الموقف بلا حساب ، فإنه إذا جرى بهم يوم تقاد يسعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك ، فيشرف عنق (٣) منها على الخلاق ، وترفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، فتقول : إني وكلت بكل جبار عنيد ، الذي جعل مع الله إلهاً آخر ، وبكلنا وكلنا ، وتذكر أصنافاً من الناس ، كما جاء في الحديث . ثم تنطوى عليهم وتلقطهم من الموقف كما يلقط الطائر الحب — قال الله تعالى : ( إذا رأهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً . وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرن دعوا هنالك ثوراً . لا تدعوا اليوم ثوراً واحداً وادعوا ثوراً كثيراً ) (٤) ، وقال تعالى : ( ورأى الجبرموت أنثار فلقتلوا أنهم موقعوها ولم يجدوا فيها مصراً ) (٥) ، وقال تعالى : ( لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون . بل تأتيهم بغتة فتبهم فلا يستطيعون ودعوا ولا هم ينظرون ) (٦) ،

(١) الأثر في الدر المنثور : ٤ / ١٢٦ .

(٢) سورة المرات ، آية : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) تقدم تفسير هذه الكلمة في ٣ / ٢٧٩ .

(٤) سورة الفرقان ، الآيات : ١٢ - ١٤ .

(٥) سورة الكهف ، آية : ٥٣ .

(٦) سورة الأنبياء ، آية : ٣٩ ، ٤٠ .



وقد قال الحافظ أبو بلي : حدثنا سريج بن يونس ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن عبد الله بن مرة ، عن مسروق ، عن عبد الله بن قول الله : ( زدناهم عذابا فوق العذاب ) - قال : زيدوا عقابا أنيابها كالنخل الطوال (١) ،

وحدثنا سريج بن يونس ، حدثنا إبراهيم بن سليمان ، حدثنا الأعمش ، عن الحسن ، عن ابن عباس أنه قال : ( زدناهم عذابا فوق العذاب ) ، قال : هي خمسة أنهار فوق العرش يملؤون ببعضها بالليل وبعضها بالنهار (٢) ،

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُبَيِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى عذابا عيده ورسوله عبداً صلى الله عليه وسلم : ( ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ) ، يعني أمته .

أى : اذكر ذلك اليوم وهو له وما منحك الله فيه من الشرف المنظم والمقام الرفيع : وهذه الآية شبيهة بالآية التي أنصبي إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم صدر « سورة النساء » فلما وصل إلى قوله تعالى : ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ) . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حسبك » - قال ابن مسعود رضي الله عنه : فالتفت فإذا حياه ثلوثان (٣) .

وقوله : ( وتزلنا عليك الكتاب تيانا لكل شيء ) - قال ابن مسعود : قد بين لنا في هذا القرآن كل علم ، وكل شيء (٤) ، وقال مجاهد : كل حلال وحرام .

وقول ابن مسعود أم وأشل ، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق ، وحلم ما سائق ، وحكم كل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دلياهم ودينهم ، وماشهم ومعادهم :

( وهدي ) ، أى : تقلوب ، ( ورحة وبشرى للمسلمين ) :

ما وقال الأوزاعي : ( وتزلنا عليك الكتاب تيانا لكل شيء ) ، أى بالسهة .  
ووجه اقتران قوله : ( وتزلنا عليك الكتاب ) ، مع قوله : ( وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ) ، أنزلناه - والله أعلم - : إن الذي فرض عليك الكتاب يبلغ اليك ، الذى أنزله عليك ، ساطك عن ذلك يوم القيامة ، ( تكتسب اليك الذى أرسل

(١) أخرجه البخاري من طريق أبي معاوية : ١٤ % ١٠٧ .

(٢) الأثر في لدر للشعر : ١٢٧ % من أبي بلي ، وابن النضر ، وابن أبي حاتم ، والله : ٥ % ، خمسة أنهار مع لدر صبا الله عليكم ، يملؤون ببعضها بالليل ، وبعضها بالنهار .

(٣) تقدم هذا الحديث عند تفسير الآية ٤١ من سورة النساء : ٢ % ٢٦٦ . وخرجناه هناك .

(٤) تفسير البخاري : ١٤ % ١٥٨ .

إليهم ولنسألن المرسلين) (١) ، (فوريك لنسألهم أجمعين . عما كانوا يعملون) (٢) ، (يوم يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا أجيئتم ؟ قالوا : لا علم لنا ، إنك أنت علام الغيوب) (٣) وقال تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) (٤) ، أي : إن الذي أوجب [عليك] تبليغ القرآن ، لرادك إليه ، وميعتك يوم القيامة ، وسألتك عن أداء ما فرض عليك . هذا أحد الأقوال ، وهو ممتنع حسن .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾

يُحِبُّ تَعَالَى أَنَّهُ يَأْمُرُ بِعِبَادِهِ بِالْعَدْلِ ، وَهُوَ الْقِسْطُ وَالْوِزَانَةُ ، وَيُنْدِبُ إِلَى الْإِحْسَانِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : (وإن حاقبكم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خیر للصابرين) (٥) ، وَقَالَ : (وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله) (٦) ، وَقَالَ : (والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له) (٧) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا ، مِنْ شَرِيعَةِ الْعَدْلِ وَالتَّوَكُّلِ إِلَى التَّضَلُّعِ .

وَقَالَ عَلَى بَنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) ، قَالَ : شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٨) .

وَقَالَ سَفِيانُ بْنُ حَيْثَةَ : الْعَدْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : اسْتِوَاءُ السَّرِيرَةِ . وَالْعِلَاقَةُ مِنْ كُلِّ عَامِلٍ لِلَّهِ عَمَلًا . وَالْإِحْسَانُ : أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ عِلَاقَتِهِ وَالْمُنْكَرِ : أَنْ تَكُونَ عِلَاقَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ سَرِيرَتِهِ .

وَقَوْلُهُ : (وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى) ، أَيُّ : يَأْمُرُ بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، كَمَا قَالَ : (وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ أَمْوَالَهُمْ) (٩) .

وَقَوْلُهُ : (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) ، فَالْفَوَاحِشُ : الْغُرَمَاتُ : مَا ظَهَرَ مِنْهَا لِمَنْ فَعَلَهَا ، وَلَهَا قَالُ فِي الْمَوْضِعِ الْآخَرِ : قُلُ : إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ (١٠) . وَأَمَّا الْبَغْيُ فَهُوَ : الْمُدُونُ عَلَى النَّاسِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْلَسَ أَنْ يَسْجَلَ اللَّهُ حَقْوِيَّتَهُ فِي الدُّنْيَا ، مَعَ مَا يَدْبُرُ لِمَصَاحِبِهِ فِي الْآخِرَةِ ، مِنَ الْبَغْيِ وَقَطْعِيَةِ الرَّحِمِ (١١) » .

(١) سورة الأعراف ، آية : ٦ .

(٢) سورة الطبر ، آية : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ١٠٩ .

(٤) سورة القصص ، آية : ٨٥ .

(٥) سورة القصص ، آية : ١٢٦ .

(٦) سورة الفرقان ، آية : ٤٠ .

(٧) سورة المائدة ، آية : ٤٥ .

(٨) تفسير الطبري : ١٤ : ١٠٩ .

(٩) سورة الإسراء ، آية : ٢٦ .

(١٠) سورة الأعراف ، آية : ٣٣ .

(١١) أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : البغي ، الحديث ٤٢١١ : ٢ : ١٤٠٨ . والإمام أحمد في مسنده عن أبي

وقوله : ﴿ يعظكم ﴾ أى : يأمركم بما يأمركم به من الخير ، وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر ، (لمحكم لتكرون) . قال الشعبي ، من شئتم بن شئكم : سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) :: الآية : ورواه ابن جرير (١) .

وقال سعيد بن قادة : قوله : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) :: الآية ، ليس مع خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به ، وليس من خلق سيء كانوا يتمايزونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه : وإعنا من مفساسف الأجلال وعلماها .

قلت : ولما جاء في الحديث : (إن الله يحب مبادئ الأخلاق ، ويكره مفساسفها) .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه «كتاب معرفة الصحابة» : حدثنا أبو بكر محمد بن القتيبي الحلبي ، حدثنا يحيى بن همدان بن يحيى هاشم ، حدثنا الحسن بن (٢) داود النكدي ، حدثنا عمر بن حل المدي ، من علي بن عبد الله بن عمر ، عن أبيه قال : بلغ أكرم بن صبيلى هجر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يأتيه ، فأتى قومه أن يدعوهم وقالوا : أنت كبيرنا ، لم تكن لتتخف إليه ! قال : فليأت من يبلغه حتى ويبلغني عنه : فأتى رجلان فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقالا : نحن رسل أكرم بن صبيلى ، وهو يسألك : من أنت ؟ وما أنت ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أما من أنا فانا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا فانا عبد الله ورسوله» . قال : ثم تلا عليهم هذه الآية : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتباع ذى القربى ، وينهى عن الفسقة والمنكر والبغى لمحكم لتكرون) ، قالوا : أريد علينا هذا القول ؟ فردده عليهم حتى حفظوه . فأتيا أكرم فقالا : أبى أن يرفع ليه ، فأسأنا من ليه ، فوجدناه زاكى النسب ، واسأنا (٣) في مصر ، وقد روى إلينا بكاء مات قد سمعنا ، فلما سمعنا أكرم قال : إنه قد أراه يأمر بمكارم الأخلاق ، وينهى عن ملاحمها ، فكرونا في هذا الأمر رؤوسا ، ولا نكونوا فيه أفتابا .

وقد ورد في قول هذه الآية الكريمة حديث حسن ، ورواه الإمام أحمد :

حدثنا أبو النضر ، حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثني عبد الله بن عباس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتاه بينه جالسي ، إذ مر به عثمان بن مظعون ، فكشع (٤) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تجلسي ؟ فقال : بلى ، قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شفقص (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره إلى السماء فنظر ساحة إلى للسماء فأعط يقض بصره حتى وضعه على بطنه (٦) في

(١) تفسير الطبري : ١٤ / ١٠٩ .

(٢) أخرجه ابن السكن ، عن ابن صاعد ، عن الحسن بن داود بإسناده ، ذكر المصنف في الإيساء ، الترجمة ١٨٥ : ٢١٨/٩ .

١١٩ . وقال : وهو مرسل .

(٣) كلما في غبطة الأثر ، وفي الملامح : فلان وسط - يتعجب - ووسط : إذا كان حسيبا في نومه . علي بن أبي النضر السلمي .

ووسط قومه في الحبس : يسلم سعة حسنة : فلا يبعد أن يكون الرفض منه حل فاعل .

(٤) في المسند : «فكشع» . والكشع : بدر الأستار عند التمس .

(٥) شفقص الرجل بصره : فتح عينه لا يقره .

(٦) في المسند : «حل يمه» .

الأرض، فصرخت: (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جليسه عثمان إلى حيث وصع بصره. فأخذ يُنفضُ (٢) رأسه كأنه يستنفض ما يقال له، وابن مطعون ينظر: فلما قضى حاجته واستنفض ما يقال له، شخص بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء كما شخص أول مرة، فأتبعه بصره حتى توارى في السماء. فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال: يا محمد، فيم كنت أجالسك؟ ما رأيك تفعل كفعلك الغداة؟ قال: وما رأيته فعلت؟ قال: رأيته شخص (٣) بصره إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعت على يمينك، فصرخت إليه وتركتني، فأخذت تُنفضُ رأسك كأنك تستنفض شيئاً يقال لك. قال: وفعلت لذلك؟ فقال عثمان: نعم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني رسول الله (٤) أنا وأنت جالس. قال: رسول الله؟ قال: لم. قال: فما قال لك؟ قال: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإتباع ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) - قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمداً صلى الله عليه وسلم (٥).

إستناد جيد متصل حسن، قد بُيِّن فيه السماع المتصل. ورواه ابن أبي حاتم، من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصراً.

حديث آخر، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك، قال الإمام أحمد:

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حريم، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا، إذ شخص بصره فقال: أتاني جبريل، فأمرني أن أضبع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: (٦) (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) (٦) . . . الآية.

وهذا إستناد لا بأس به، ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين، والله أعلم.

وَأَمَّا مَا يَأْمُرُ اللَّهُ فَعَلَمُوا لَهُمْ وَلَا تُفَضِّلُوا الْإِيمَانَ بِمَا تَوَكَّلْتُمْ عَلَيْهِمْ وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْفَالَا إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ ﴿١٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَرْلَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبْنَا نَحْنُ الَّذِينَ إِيْمَنُكُمْ دَخَلَا بِئْسَ كَرِهُونَ ﴿١١﴾ تَكُونُ أَمْمًا مِنْ أُمَّةٍ إِنْ يَأْمُرُ بِكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢﴾

وهذا ما يأمر الله تعالى به، وهو: الوفاء باليهود والمواثيق، والمحافظة على الإيمان المؤكدة، ولهذا قال: (ولا تفضّلوا الإيمان بعد توكّلها).

(١) أنه: ما له وقول.

(٢) أي: إلى السند، ينفض: يرفق، وفي النهاية: وأخذ ينفض رأسه كأنه يستنفض ما يقال له: أي يحرّكه ويحيل إليه.

(٣) لفظ المسند: وأبوت شخص بصره.

(٤) يعني جبريل عليه السلام.

(٥) مسند الإمام أحمد: ١ / ٣١٨.

(٦) مسند الإمام أحمد: ٤ / ٢١٨.



ولا تعارض بين هذا وبين قوله : ( ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا ) (١) - وبين قوله تعالى : ( ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ) (٢) ، أى : لا تتركوها بلا تكفير ، وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين : ( ولقي والله إن شاء الله ، لا أحلف على عين فرأى غيرها خيراً منها ، إلا أتيت الذي هو خير وتكلمتها - وفي رواية : وكفرت عن يميني ) (٣) - لا تعارض بين هذا كله ، ولا بين الآية المذكورة ها هنا ومعنى قوله ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) ، لأن هذه الأيمان ، المراد بها الداخلة في اليهود والمواثيق ، لا الأيمان التي هي واردة على حث أو منع ، ولهذا قال مجاهد في قوله : ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) ، يعنى : الحلف (٤) أى : حلف الجاهلية ، ويؤيده ما رواه الإمام أحمد :

حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شعبة - حدثنا ابن نجر وأبو أسامة ، عن زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جابر بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا حلف في الإسلام ، وأما حلف كان في الجاهلية لم يزهده الإسلام إلا شدة ) (٥) ؛ وكذا رواه مسلم ، عن ابن أبي شعبة ، به (٦) :

ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن في التمسك بالإسلام كفاية مما كانوا فيه .

وأما ما ورد في الصحيحين ، عن حاصم الأحول ، عن أنس رضي الله عنه أنه قال : حلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في دارنا (٧) - فسمتها أنه آخى بينهم ، فكانوا يتوارثون به معنى نسخ الله ذلك ، والله أعلم .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عمار الأسدي ، حدثنا حبيب (٨) الله بن موسى ، أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن مزينة

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٢٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٨٩ .

(٣) أخرجه في كتاب الأيمان ، ينظر البخاري : ١٥٩/٨ ، ومسلم ، باب : حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ، ويكثر من يمينه : ٨٢/٥ ، ٨٢/٥ .

(٤) تفسير الطبري : ١١٠/١٤ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٨٣/٤ .

(٦) مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مواثيق النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم : ٧ / ١٨٣ .

(٧) البخاري ، كتاب الخصام : ١٣٠/٩ ، ومسلم ، الكتاب والباب للتعلم : ١٨٣/٧ .

(٨) في المخطوطة وتفسير الطبري : عبد الله بن موسى . والمثبت عن تفسير الطبري ، تحقيق الأستاذ محمود شاكر ٢٢٧٪ ٢ . الأثر ١٥١١ ، ففيه يروى محمد بن حمارة الأسدي عن حبيب الله بن موسى .

وتد كان في المخطوطة أيضاً وتفسير الطبري : « أخبرنا أبو ليلى » ، فأثبتنا « ابن أبي ليلى » . وهو : محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى الأنصاري ، فهو يروى عن مزينة بن جابر ، كما في التلخيص : ١٠١/١٠ ، ويروى عنه حبيب الله بن موسى . كما في ترجمته في التلخيص : ٣٠٢/٩ .

هذا وقد وقع في تفسير الطبري مكان « مزينة » : « مريضة » . ولعل الله سبحانه أن يكون التوفيق لحليفنا نبياً فيبطلنا من رجال هذه السنة ، وهو حسناً ونعم الوكيل .

في قوله : ( وأوفروا بعهد الله إذا هادتم ) - قال : نزلت في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من أسلم بايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فقال : ( وأوفروا بعهد الله إذا هادتم ) ، هذه البيعة التي بايعهم على الإسلام ، ( ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ) : البيعة لا يحملنكم قلة محمد لا وأصحابه أ (١) وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام (٢) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا صخر ابن جويرية ، عن نافع قال : لما خلع الناس يزيد بن معاوية ، جمع ابن عمر بنيه وأهله ، ثم تشهد ، ثم قال : أما بعد فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الفاجر ينصيبه له نواه يوم القيامة ، فيقال : هذه غدره فلان : وإن من أعظم الغدر - إلا أن يكون الإفراك بالله (٣) - أن يبايع رجل رجلًا على بيع الله ورسوله ، ثم ينكث بيعته ، فلا يحملن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون صلبم (٤) بيني وبينه (٥) ،

المرفوح منه في الصحيحين (٦) :

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا حجاج ، عن عبد الرحمن بن عابس ، عن أبيه ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من شرط لأخيه شرطاً ، لا يريد أن يفي له به ، فهو كالمدلى جارة إلى غير منعمة (٧) وقوله : ( إن الله يعلم ما تفعلون ) ، تهديد ووعد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها :

وقوله : ( ولا تكفروا كاتني ) نقضت غزها من بعد قوة أنكاثا - قال عبد الله بن كثير ، والسدسي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئاً نقضته بعد إيرامه (٨) .

وقال مجاهد ، وقتادة ، وابن زيد : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده :

وهذا القول أرجح وأظهر وسواء كان بمكة امرأة نقضت غزها أم لا .

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري .

(٢) تفسير الطبري : ١١٠/١٤ .

(٣) لفظ المسند : « وإن من أسلم اللبر أن لا يكون له الإفراك بالله تمالك » . وهو خطأ ، وقد ورد على الصواب : كما هنا

في المسند : ٩٦/٢ .

(٤) لفظ المسند : « فيكون صلى الله عليه وسلم بيني وبينه » . وهو خطأ ، وقد ورد على الصواب في المسند : ٩٦/٢ ، والصحيح : القضيعة ، والمخني : قصص طليعة بيني وبينه .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٨/٧ .

(٦) سبق تخريج المرفوح من هذا الحديث عند تفسير الآية ٢٧ من هذه السورة .

(٧) مسند الإمام أحمد : ٤٠٤/٥ .

(٨) تفسير الطبري : ١١١/١٤ .

وقوله : ( أنكالا ) ، يجعل أن يكون اسم مصدر (١) : نقصت غزها أنكالا ، أى : أنقاضها ، ويحتمل أن يكون بدلا من خبر كان ، أى : لا تكونوا أنكالا ، جمع لكث من ناكث (٢) ، ولهذا قال بعده : ( تصحلون أفعالكم دخلا بينكم ) أى : خديعة ومكر ، ( أن تكون أمة هي أرفق من أمة ) ، أى : تخلفون الناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمعوا إليكم ، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم ، فنهى الله عن ذلك ، لينبه بالأذى على الأذى ، إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه ، فلا بد بنهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى .

وقد قدمنا لله الحمد في سورة الأنفال : (٣) قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمية ، فسار معاوية إليهم في آخر الأجل ، حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم ، أغار عليهم وهم شاكرون لا يشعرون ، فقال له عمرو بن حبشة الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدرا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان بينه وبين قوم أجل فلا يسلط » حكته حتى يتقضى أمية » ، فرجع معاوية بالجيش رضى الله عنه وأرضاه .

قال ابن عباس : ( أن تكون أمة هي أرفق من أمة ) ، أى : أكثر (٤)

وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأحر ، فيقتضون حلفت هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأحر . فنهوا عن ذلك :

وقال الضحاك ، وقتادة ، وابن زيد نحوه .

وقوله : ( إنما يلوكم الله به ) - قال سعيد بن جبيرة : ينى بالكثرة : رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : أى بأمره إليكم بالوفاء والعهد (٥)

( وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ) ، فيجازى كل عامل بعمله ، من خير وشر .

(١) ينى أن ( أنكالا ) جمع لكث ، بكسر فسكون ، وهو النزل من الصفوف أو الشرف ، يوم وتلج ، إذا خللت التنجية طمعت قبلها صارا ، وتكثت غير طها للبرومة ، وخلطت بالصفوف الجند ، ونشبت به ، ثم ضربت بالمطارق وفزلت ثالية واستعملت والذي ينيكها يقال له : نكاث... . فقد وضع الاسم - وهو التثنية المنكوث - مكان المصدر... ويقول الأولون في فوج المعالي ٢٢١/١٤ : « وجوز الزجاج كون النصب على المصدرية ، لأن نقصت بمعنى تكثت فهو ملاك لماله في المعنى » .

(٢) كلما ، ولم نجد « نكالا » بهذا المعنى في المعاجم ..

(٣) ينظر : ٢٢/٤ .

(٤) تفسير الطبري : ١٧٢/١٤ .

(٥) تفسير الطبري : ١١٦/١٤ .

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ يَحْكُمَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ مِنْ خَلْقٍ قَلِيلٍ ﴿١٠٠﴾  
 وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ دَعْوًا يَسْتَكْبِرُوا فَكَرِهَ اللَّهُ قَدَمَ يَعْدُ ثُبُوتَهَا وَتَدَوُّوا السُّوءَ بِمَا صَدَدَتْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّهُ هَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلُونَ ﴿١٠٢﴾ مَا عِنْدَ رَبِّكَ يَفْتَدِ  
 بِمَا عِنْدَ اللَّهِ يَاقُ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى : (ولو شاء الله ليحكم) أي الناس (أمة واحدة) ، كما قال تعالى : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض  
 كلهم جميعا) (١) ، أي : لو فبق بينكم : ولما جعل اختلاف ولا تباعض ولا شتاء (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة  
 ولا يزالون مختلفين : إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) (٢) ، وهكذا قال هاهنا : (ولكن يضل من يشاء ويهدي من  
 يشاء) ، ثم يسألك يوم القيامة عن جميع أعمالكم ، فيجازيكم عليها على القليل والكثير والعظيم (٣) .  
 ثم حذر تعالى عباده من اتخاذ الأيمان دخلا ، أي : خديعة ومكر ، انلا تزل قدم بعد ثبوتها : مثل من كان على  
 الاستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى ، بسبب الأيمان الخائنة المشتملة على الصد عن سبيل الله ، لأن الكافر إذا  
 رأى أن المؤمن قد عاهد ثم خبر به ، لم يبق له وثوق بالدين ، فانهض بسببه عن الدخول في الاسلام ، ولهذا قال :  
 (وتلوتوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم) .

ثم قال تعالى : (ولا تشعروا بهد الله ثمنا قليلا) ، أي : لا تتعاضوا عن الأيمان بالله حترض الحياة الدنيا وزينتها ،  
 فإنها قليلة ، ولو حيزت لابن آدم الدنيا بغيرها لكان ما عند الله هو خير له ، أي : جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن  
 به وطالبه ، وحفظ عهده رجاء موعوده : ولهذا قال : (إن كنتم تعلمون . ما عندكم ينفد) ، أي : يفرغ وينقضي ،  
 فإنه إلى أجل معلود محصور مقدر متناه ، (وما عند الله باق) ، أي : وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاذ له ،  
 فإنه دائم لا يحول ولا يزول ، (ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) : قسم من الرب عز وجل  
 متكفي باللام ، أنه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم ، أي : ويتجاوز عن سيئها :

لَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ أَفُؤُنَّ لَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى ونسنة نبيه ، من ذكر أو أنثى لمن يرى  
 آدم ، وقلبه مؤمن بالله ورسوله ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله - بأن يحية الله حياة طيبة في الدنيا ،  
 وأن يجزيه بأحسن مما عمله في النار الآخرة :

(١) سورة يونس ، آية : ٩٩ .

(٢) سورة هود ، آية : ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) تقدم شرح هذه المفردات في : ٣٧١/٤ .

والحاجة الطبية تشمل وجه الرأفة من أي جهة كانت . وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلّال الطيب .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها بالقتاة . وكلما قال ابن عباس ، وعكرمة ، ووهب بن منه :

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : آتيا : السادة .

وقال الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، لا يطيب لأحد الحياة إلا في الجنة ،

وقال الضحاك : هي الرزق الحلّال والمعبادة في الدنيا ، وقال الضحاك أيضا : هي العمل بالطاعة والانصراف بها : (١)

والصحيح أن الحياة الطبية تشمل هذا كله كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد .

حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا سعيد بن أبي أيوب ، حدثني شرحبيل بن شريك ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي ، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قد أطلع من أسلم ورزق كفافا ، وقسمه الله بما آتاه » (٢) ، ورواه مسلم ، من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ ، به (٣) .

وروى الترمذي والنسائي ، من حديث أبي هاشم ، عن أبي علي الجاني (٤) عن فضالة بن عبيد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أطلع من هدى إلى الإسلام ، وكان عيشه كفافا ، وفق به » : وقال الترمذي : هذا حديث صحيح (٥) .

وقال الإمام أحمد ، حدثنا يزيد ، حدثنا هشام ، عن يحيى ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظّم للمؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا [ ويتاب عليها في الآخرة . وأما الكافر فيعطيه حسنة في الدنيا ] (٦) حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا » (٧) . انفرد بإخراجه مسلم (٨) .

(١) ينظر هذه الآثار في تفسير الطبري : ١١٤/١٤ + ١١٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٦٨/٢ .

(٣) مسلم ، كتاب الزكاة ، باب « في التكليف والقتاة » : ١٠٢/٣ .

(٤) في الخطوطة : « النجوى » مكان « النجوى » . والمثبت من الترمذي : وهو عمرو بن مالك الجاني المصري . ينظر ترجمته في التمهيد : ٩٦ + ٩٥/٨ .

(٥) تحفة الأحرار ، أبواب الزهد ، باب « ما جاء في الكفاف والصبر عليه » ، الحديث ٢٤٥٣ : ١٥/٧ + ١٦ .

(٦) ما بين القوسين المتوفين سقط من غطوة الأثر ، وقد أثبتاه من مسند الإمام أحمد . وقد ورد في رواية أخرى في المسند ٢٨٣/٣ : « وأما الكافر فيعطى بحسناته » .

(٧) مسند الإمام أحمد : ١٢٣/٣ .

(٨) مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب « جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة » ، وتجهيل حسنات الكافر في الدنيا : ١٢٥/٨ .

فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٠٠﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٢﴾

هذا أمر من الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، إذا أرادوا قراءة القرآن ، أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ، وهو أمر للرب ليس بواجب ، حكى الإجماع على ذلك الإمام أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة : وقد قلنا الأحاديث الواردة في الاستعاذة مبسولة في أول التفسير (١) والله الحمد ولله :

والمنع في الاستعاذة عند ابتداء القراءة ، فلا يلبس على القارئ قراءته ويغلط عليه ، ويمنعه من التبر والتكبر ، ولهذا ذهب الجمهور إلى أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة ، وحكى عن حمزة ، وابن حاتم السجستاني : أنها تكون بعد التلاوة . واحجنا بهذه الآية . ونقل الثوري في شرح للذهب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضا ، وعبد بن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، والصحاح الأول ، لما تقدم من الأحاديث الدالة على تفكها على التلاوة ، والله أعلم .  
وقوله ، ( إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ) - قال الثوري : ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يبرون منه (٢) .

وقال آخرون : مناه لا حجة له عليهم . وقال آخرون : كقوله : (إلا جاهدك منهم المخلصين) :

(إنما سلطانه على الذين يتولونه) - قال جاهد : يطعمونه :

وقال آخرون : المخلوه وليا من دون الله

(والذين هم به مشركون) ، أي أشركوه في عبادة الله تعالى : ويحتمل أن تكون الباء سببية ، أي : صاروا بسبب

طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى :

وقال آخرون : مناه أنه شركهم في الأموال والأولاد (٣) :

وَإِذَا هُم بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ فَعَنَوْا بِآيَةِ رَبِّهِمْ وَاللَّهُ طَائِفٌ فِي السَّمَاوَاتِ مُنْظِرٌ ﴿١٠٣﴾ يُنْذِرُ الَّذِينَ لَا يَجْعَلُونَ لِحُكْمِ اللَّهِ كِتَابًا وَلَا يُرِيدُونَ فِي أَمْرِهِ إِذًا ۚ وَمَا يَرْثِيكَ بِمَا يُكَذِّبُكَ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ ۚ وَلِكُلِّ قَوْمٍ نَبِيٌّ ۖ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ نَبِيٌّ ۖ وَرَبُّكَ فَاعِلٌ ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالى عن ضعف حقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم ، وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة ، وذلك أنهم إذا رأوا آية تغير الأحكام ناسخها بمسوخها قالوا الرسل (إنما أنت مفر) ، أي : كتاب . وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد :

وقال جاهد : (يملك آية مكان آية) ، أي : وفتحها وأثبتها غيرها :

(١) ينظر ٢٧/١ - ٣١ .

(٢) في المخطوطة : « أن لا يبرون منه » . والمثبت من الطبعات السابقة ، والأثر في الدر المنثور عن الطبري وابن أبي حاتم

١٧/٤ : ليس له حل أن يسلم حل ذنب لا يفر لهم .

(٣) وهو مأخوذة من قوله تعالى : (وشاركهم في الأموال والأولاد) . ومصحف وما يفسر الشيطان إلا غرورا .

وقال قتادة : هو كقول تعالى : ( ما ننسخ من آية أو ننسها ) (١) ،

فقال تعالى بجيبا لهم : ( مل نزل روح القدس ) ، أى : جبريل ؛ ( من ربك بالحق ) ، أى : بالصدق والعدل ، ( ليثبت الذين آمنوا ) ، فيصدقوا ما نزل أولا وثانيا وتثبت له قلوبهم ، ( وهدى وبشرى للمسلمين ) ، أى : وجهه هاديا وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله .

وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ۖ وَهَلْ لِّلسَّانِ عَرَبِيٌّ مِّنْ عَرَبٍ

يقول تعالى عبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت : إن محمداً إنما يعلمه هذا الذى يتلوه علينا من القرآن بشر ، ويشيرون إلى رجل أعجمى كان بين أظهرهم ، غلام لبعض بطون قريش ، وكان يباعا بين يدي عتد الصفا ، فربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء ، وذلك كان أعجمى اللسان لا يعرف العربية ، أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يتردد جواب الخطاب فيما لا بد منه ، فلهم قال الله تعالى راداً عليهم في افتراءهم ذلك : ( لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ) ، يعنى : القرآن ، أى : فكيف يعلم من جاء بهذا القرآن ، في فصاحته وبلاغته ومعانيه الثامة الشاملة ، التى هى أكمل من معاني كل كتاب نزل على نبي لرسول ، كيف يعلم من رجل أعجمى ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل .

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " فيما بلغني - كثيراً ما يجلس عند المروة إلى مسيبة (٢) غلام نصراني يقال له جبر ، عبد لبعض بني الحضرمي ، فكانوا يقولون : والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني ، غلام بني الحضرمي (٣) فأقول الله : ( ولقد علم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ) (٤) .

وكذا قال عبد الله بن كثير . وعن عكرمة وقاتدة . كان اسمه يعيث .

وقال ابن جرير : حدثني أحمد بن محمد الطرمي ، حدثنا أبو عامر (٥) ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن مسلم بن حيد الله الملاقي ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [ يعلم ] قتيلاً عجمي ، وكان اسمه « بلعام » وكان أعجمى اللسان ، وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده ، فقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأقول الله هذه الآية : ( ولقد علم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ) (٦) .

(١) تفسير الطبري : ١١٨/١٤ .

(٢) في الخطوط : « إلى مسيبة غلام » . ولكتبت عن سيرة ابن هشام .

(٣) ما بين القوسين سقط من تفسير ابن كثير . وقد أجتناه من سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام : ٣٩٣/١ .

(٥) في تفسير الطبري : « أبو عامر » . وقد وجدنا في ترجمة إبراهيم بن نومان في الجرح والمعتدل لابن أبي سالم : ١٠٧/١ أنه يروى عنه أبو عامر القتيبي . وهو عبد الملك بن عمرو القتيبي .

(٦) تفسير الطبري : ١١٩/١٤ .

وقال الضحاك بن مزاحم: وهو سلمان الفارسي، وهذا القول ضعيف، لأن هذا الآية مكية، وسلمان إنما أسلم بالمدينة، وقال صيد (١) الله بن مسلم: كان لنا غلامان روميان يقرأن كتاباً أحما باسمهما، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بهما، فيقوم فيسمع منهما فقال المشركون: يصلم منهما، فأنزل الله هذه الآية (٢)؛ وقال الزهري، عن سعيد بن المسيب: الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتد بعد ذلك عن الإسلام، وأقرى هذه لقالة، فبسه الله !

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَعَايَتْ اللَّهُ لَبِئْسَ الْأُمَّةَ لَا يُفْقَهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَافِرُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
وَعَايَتْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٦﴾

غير تعالى أنه لا يهمل من أعرض عن ذكره وتعالى عما أتوه على رسوله، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يفهمهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسوله في الدنيا، ولهم عذاب أليم موصوفهم في الآخرة :

ثم أخبر تعالى أن رسوله ليس بمفتن ولا كذاب؛ لأنه (إنما يفتري الكلب) على الله وعلى رسوله شراً الخلق، (الذين لا يؤمنون بآيات الله) (٢) من الكفرة والمحللين المعروفين بالكلب عند الناس؛ والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كان أميد الناس وأبرهم وأكملهم علماً وعملًا وإيمانًا وإيقانًا، معروفًا بالصدق في قومه، لا يشك في ذلك أحد منهم حيث لا يدعي بينهم إلا بالأمين عند؛ ولهذا لما سأله هرقل ملك الروم أنها ستبان عن تلك المسائل إلى ما لها من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان فيها قال له: أو تكتم تنهونه بالكلب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا؛ فقال هرقل: فما كان ليبدع الكلب على الناس ويلهيه فيكلمه على الله عز وجل.

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقُلْ لِمَنْ مَعْلُومٌ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَتْرًا فَاعْلَمُوا  
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُ وَلِسْتَ لِمَعْلُومٍ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحْبَبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبَّحُوا بِغَيْرِ فَعْلٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ  
كُفِرُوا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾

أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر وطمان به وأنه قد خشي عليه؛ ولعلمهم بالإيمان ثم هلوه من، وأن لهم عذاباً عظيماً في النار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه

(١) في تفسير الطبري: وعبد الله بن مسلم، وكلاهما صواب، ينظر التلخيص، ترجمة صيد الله بن مسلم، ٤٨٠/٤٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ١٢٠/١٤.

(٣) سورة النمل، آية ١٥٥.



من الردة لأجل الدنيا ، ولم يبد الله قلوبهم ويتجهم على الدين الحق ، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا يفهمهم ، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا يسمعون بها ، ولا أغنت عنهم شيئا فهم غافلون عما يراهم .

(الاجر) ، أى : لا بد ولا حَسَب أن من هذه صفته ، ( أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ) ، أى : الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم (١) يوم القيامة .

وأما قوله : ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) ، فهو استثناء عن كفر بلسانه ووافق للمشركين بلفظه مكروها ، لما ناله من ضرب وأذى ، وقلبه يأبى ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله .

وقد روى العوفي عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في عسار بن ياسر ، حين عليه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فوافقهم على ذلك مكروها ، وجاء معتلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه (٢) الآية . وهكذا قال الشعبي ، وأبو مالك ، وقاعدة .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا عبد بن قور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن ابن عبيدة [ بن ] (٣) محمد بن عمار بن ياسر قال : أخذ المشركون عمار بن ياسر فطبعوه حتى قاربهم (٤) في بعض ما أرادوا ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان . قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عادوا فعد .

ورواه البيهقي بأيسر من ذلك ، وفيه أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلتهم غير ، وأنه قال : يا رسول الله ، ما تركت حتى سببتك وذكرت آلتهم غير . قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئنا بالإيمان . فقال : إن عادوا فعد . وفى ذلك أثر الله : ( إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ) .

ولما اتفق العلماء على أنه يجوز أن يؤكل الكفر ، إقامته ، ويجوز له أن يستقل (٥) كما كان يلازم رضى الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل ، حتى إنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول : أحد . أحد . ويقول : والله لو أعلم كلمة أغنيكم لكم منها لقلتها ، رضى الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلة الكلاب : أنشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم . فيقول : أنشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع . فلم يزل يقطعه لإرباً وإرباً وهو ثابت على ذلك (٦) .

(١) الأمال : جميع أمم . والمفسرون في الجمع : الأوطان . ينظر للمصباح المشير .

(٢) تفسير البغوي : ٤ / ١٢٢ .

(٣) ما بين القومين ، عن تفسير البغوي . وفي التلخيص ، ترجمة محمد بن عمار بن ياسر ، أنه يروى عنه أنه أبو عبيدة .

٣٥٩ / ٩ .

(٤) في تفسير البغوي : حتى يراهم . ويرواهم : قبل متى فعلهم .

(٥) في اللسان ، مادة : قتل : المستقل : الضميت . وفي مادة : موت : واسكت الرجل : إذا طاب نفسا بالموت . والضميت : الشياخ الطالب الموت حل صد ما يحى عليه بفس هذا النسو . والضميت : المستقل : اللان لا يقال في الخرب من للوت . وحل هذا فنى : لا يجوز له أن يستقل : يجوز له أن يصرحل ما هو عليه من الإيمان والإطمان به . وإن حرضه ذلك لقتل

(٦) ينظر ترجمته في أسد الغابة ١ / ٤٤٣ تصحيحنا .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن عكرمة ، أن عليا رضي الله عنه حرّق ناسا أولاداً من الإسلام ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لم أكن لأحرقهم بالنار ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تعدوا بملذاب الله . وكنت قاتلهم بقول (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك عليا فقال : ويح أم ابن عباس (٢) . رواه البخاري (٣) .

وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن أيوب ، عن حميد بن هلال المدائني ، عن أبي بردة قال : قدم علي أبي موسى معاذ بن جبل باليمن ، فإذا رجل عنده ، قال : ما هذا ؟ قال : رجل كان يهوديا فأسلم ثم جرد ، ونحن نريده على الإسلام منذ — قال : أحسبه — شهرين فقال : والله لا أقعد حتى تقصروا عنه ، فقصرت عنه ، فقال : قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه — أو قال : من بدل دينه فاقتلوه (٤) .

وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر (٥) :

والأفضل والأولى أن يثبت للمسلم على دينه ، ولو أفضى إلى قتله ، كما قال الحافظ ابن عساكر ، في ترجمة عبد الله ابن حنيفة السهمي أحد الصحابة : أنه أسرته الروم ، فجماعوا به إلى ملكهم ، فقال له : تنصر وأنا أشركتك في ملكي وأزوجك ابنتي . فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب ، على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ، ما فعلت ؟ فقال : إذا أعتقتك قال : أنت وذلك ! فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية ، فبأنه ، ثم أمر به فأُتِل ، ثم أمر بقدر — وفي رواية : يبقرة من نحاس ، فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فأنفاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلوح ؛ وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقى فيها ، فرفع في البكرة ليلقى فيها ، فبكى ، فطعم فيه ودعاه فقال له : إني إنما بكيت لأن تقبلي إنما هي نفس واحدة ، تلقى في هذه القدر الساعة في الله ، فاحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تملب هذا المذاب في الله (٦) — وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياما ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير ، فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال : ما منك أن تأكل ؟ فقال : أما إنه قد حرّ لي ، ولكن لم أكن لأشمتك في : فقال له الملك : فقيل رأسي وأنا أطلقك . [ فقال : وتطلق معي جميع أسارى للمسلمين ؟ قال : نعم ] فقيل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر ابن الخطاب : حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدا . فقام فقبل رأسه ،

(١) لفظ المسند : « نقول » .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١ / ٢١٧ .

(٣) البخاري ، كتاب استنابة المرتدين ، باب : حكم المرتك والمتركة : ١٩ / ١٨ / ١٩ .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٥ / ٢٣١ .

(٥) البخاري ، كتاب استنابة المرتدين ، باب : حكم المرتك والمتركة : ١٩ / ٩ . ومسلم ، كتاب الإمامة ، باب : النبي

طلب الإمامة والحرص عليها : ٦ / ٦ .

(٦) ينظر أسد الغابة : ٣ / ٢١٢ ، ٢١٣ بصحيفتنا .

فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَيْتِهِمْ مَا فَتَحُوا ثُمَّ جَاءَهُمْ وَصَرُّوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهِمَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَنَّتِهَا مِنْ نَسَبٍ وَوُجُوهٍِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة، مهانين في قومهم قد وهتهم (١) على الفتنة، ثم إسم أمكنهم الخلاص بالمجرة، فتركوا بلادهم وأهلهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه، والتفتوا إلى سلك المؤمنين، وجاهدوا معهم الكافرين، وصبروا، فأعبر الله تعالى أنه (من بعدنا)، أي: تلك القطعة، وهي الإجابة إلى الفتنة لنفوسهم، وحجهم يوم مآذهم (يوم تألق كل نفس لخصمها)، أي: نجاه (من نفسها)، ليس أحد يحتاج عنها لأب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة (إذ توفى كل نفس ما عملت)، أي: من خير أو شر (وهم لا يظلمون)، أي: لا يقصم من ثواب الخير ولا يزداد من ثواب الشر (٢) الشر، ولا يظلمون قهرًا؟

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُمْسِكَ السَّمَاءَ بِإِصْبِهِ إِنِّي مُنْفِثُ الْسَّحَابَ ۖ وَتَخْرُجُ الْكَوْكَبُ كُلُّ كَوْكَبٍ فِي سَكَنٍ مُّكَرَّمٍ ۖ وَهُمْ فِيهَا  
الَّذِينَ لَا يَخْرُجُونَ وَلَا يَمُوتُونَ ۚ وَمَا كَانُوا يَمْنَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ  
الْعَذَابُ وَلَهُمْ عَذَابٌ ۖ ﴿١٨﴾

هكذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يُتَخَفَتُ الناس من حولها ، ومن دخلها آمن لا يخاف ، كما قال تعالى : ( وقالوا : إن تتبع الهدى معك نتخلف من أرضنا ، أولم نتكن لهم حرما آتينا بجوارحهم فإلههم ربنا ) (٣) ، وهكذا قال هاننا ( يأتينا رزقها رغداً ) ، أى : هنا سهلاً ، ( من كل مكان ، ففكرت بأنهم الله ) ، أى : جعلت آلاء الله عليها وأعظم ذلك بركة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم ، كما قال تعالى : ( ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها ويحس القرآن ) (٤) ، ولهذا بدلهم الله بحليم الأولين خلفهما ، فقال : ( فأذاقها لباس الجحيم ونار ) ، أى : ألبسها وأذاقها الجحيم بعد أن كان يصيبهم إليهم ثمرة كل شيء ، ويأتينا رزقها رغداً من كل مكان ، وذلك لاستمصاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوابه إلا خلافة ، فذاقوا حليم سبع كيوست ، فأصابهم ستة أذمت كل شيء لهم ، فأكفروا بالعجز (٥) - وهو : وير الجحيم ، عجل بدمه إذا تحروه .

(١) أ: : واقتوم ؛ بقال ؛ وأنته مل الأمر مواتة ووتة ؛ طرحة وواقته ؛

(٢) الجواب : يكون في الخير والشر ، إلا أنه بالخير أنصح وأكثر استعمالاً .

(٣) سورة التمسح : آية : ٥٧ .

(1) سورة إبراهيم : آية : 78 و 79 .

(٤) سورة إبراهيم ، آية : ٢٨ و ٢٩ .  
(٥) في النهاية لابن الأثير : « الملبز : هو من يتخلفه في سنن الجماعة ، ينظرون اليه بأبصار الإيل ، ثم يقولون له بالقي .

ہا کلوہ - ونیل : المیز : شہر بہت پیلاہ بنی سلیم : کہ اصل کا اصل لہجہ : •

وقوله : ( واتخوف ) ، وذلك بأنهم بدّلوا بامنهم خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حين هاجروا إلى المدينة ، من سطوة سترأياه وجبوشه ، وجعلوا كل ما لهم في سبّال ودمار ، حتى فتحها الله عليهم ، وذلك بسبب صنيهم وبغيرهم وتكذيبهم الرسول الذي بعثه الله فيهم منهم ، وأمنّ به عليهم في قوله : ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ) (١) وقال تعالى : ( فأتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا ، قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولا (٢) دد الآية ، وقوله : ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ) إلى قوله : ( ولا تكفرون ) (٣) .

وكما أنه انعكس على الكافرين حالهم ، فخافوا بعد الأمن ، وجاعوا بعد الرغد ، بدّل الله المؤمنين من بعد خروهم أبنا . ورزقهم بعد العسيلة ، وجعلهم أمراء الناس وحكامهم ، وسادتهم وقادهم وأئمتهم .

وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل مضروب لكثرة ، قاله العوفي ، عن ابن عباس ، وإليه ذهب مجاهد ، وقائدة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وحكاها مالك عن الزهري رحمه الله .

وقال ابن جرير : حدثني ابن عبد الرحمن البزقي ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا نافع بن يزيد ، حدثنا عبد الرحمن بن شريح ، أن عبد الكريم بن الحارث الحضري حدثه ، أنه سمع مشرّح بن هاعان يقول : سمعت مسلم بن حنظل يقول : صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعثمان رضى الله عنه معصوم بالمدينة ، فكانت تسأل عنه : ما فعل ؟ حتى رأته راكبين ، فأولست إليهما تسألها ، فقالت : قتل فقالت حفصة : والى نفسى بيده ، إنها القرية (٤) التي قال الله : ( وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنهم الله ) - قال أبو شريح (٥) : وأخبرني عبيد الله بن المغيرة ، عن حديثه : أنه كان يقول : إنها المدينة (٦) .

فَكُفُّوا عَمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ  
الْمَيْمَةَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجُوا بِمَنْ آمَنُوا مِنكُمْ وَأُولَئِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ وَلَا  
تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَمِنْهُمَا حَرَامٌ وَلَقَدْ تَنَفَرْنَا عَلَىٰ آلِهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَىٰ آلِهِ  
الْكَذِبَ لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ مَنَعَهُ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب ، وبشكره على ذلك ، فإنه للمتم المتفضل به ابتداء ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له :

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .

(٢) سورة الطلاق ، آية : ١٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ١٥١ ، ١٥٢ .

(٤) بيده في تفسير الطبري : دعى المدينة .

(٥) أبو شريح : كنية عبد الرحمن بن شريح .

(٦) تفسير الطبري : ١٤ / ١٢٥ .

ثم ذكر ما حرمه عليهم بما فيه مضرة لهم في دينهم ودنياهم ، من الميتة والدم ، ولحم الخنزير .  
( وما أهل لغير الله به ) ، أى : ذبح على غير اسم الله : ومع هذا ( فمن اضطر إليه ) ، أى : احتاج في غير بني  
ولا عدوان ، ( لأن الله غفور رحيم ) .

وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في « سورة البقرة » (١) بما فيه كفاية عن إعادته ، والله الحمد .  
ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل المشركين ، الذين حطوا وحرّموا بمجرد ما وضعوه واصطلحوا عليه من الأعياء بأرائهم ،  
من البهيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وغير ذلك مما كان شرعا لم ابتدعوه في جاهليتهم ، فقال : ( ولا تقولوا لما تصف  
أنتم الكذب : هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب ) : ويدخل في هذا كل من ابتدع بدعة ليس فيها  
مستند شرعى ، أو حلل شيئا ما حرم الله ، أو حرم شيئا ما أباح الله ، بمجرد رأيه وتثبته .

« وما » في قوله : ( لا ) مصلوية ، أى : ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم :  
ثم ترد على ذلك فقال : ( إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ) ، أى : في الدنيا ولا في الآخرة : أما في  
الدنيا فمتاع قليل ، وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم ، كما قال : ( نعمتم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ ) (٢) ،  
وقال : ( إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون : متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ، ثم نلقيهم العذاب الشديد  
بما كانوا يكفرون ) (٣) .

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٣﴾  
إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَقُورُ وَجْهَهُمْ ﴿١٧٤﴾

لا ذكر تعالى أنه إنما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، وأنه أَوْصَح فيه عند الضرورة -  
وفي ذلك توسعة لهذه الأمة ، التي يريد الله بها اليسر ولا يريد بها العسر - ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في  
شريعتهم قبل أن ينسخها ، وما كانوا فيه من الآصار والأغلال والخرج والتضييق ، فقال : ( وعلى الذين هادوا حرمنا  
ما قصصنا عليك من قبل ) ، يعنى في « سورة الأنعام » ، في قوله : ( وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، ومن البقر  
والغنم حرمانا عليهم بشحومهم ، إلا ما حملت ظهورهما ) ، إلى قوله : ( لصادقون ) (٤) ، ولهذا قال هاتما : ( وما ظلمناهم )  
أى : بما ضيقنا عليهم ، ( ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ) ، أى : فاستحقوا ذلك ، كما قال ، ( فيظلم من الذين هادوا  
حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، ويصعبهم عن سبيل الله كثيرا ) (٥) :

(١) ينظر فيما تقدم تفسير الآية ١٧٣ من سورة البقرة : ١٪ ٢٩٣ - ٢٩٥ .

(٢) سورة لقمان ، آية : ٢٤ .

(٣) سورة يونس ، آية : ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) ينظر فيما تقدم تفسير الآية ١٤٦ من سورة الأنعام : ٤ ٪ ٣٤٨ - ٣٥١ .

(٥) سورة لقمان ، آية : ١٧٥ .

ثم أخبر تعالى تكراً وامتناناً في حق العبادة للمؤمنين : أن من تاب منهم إليه تاب عليه ، فقال : ( ثم إن ربك للذين حملوا السوء بجهالة ) - قال بعض السلف : « كل من عصي الله فهو جاهل » .  
( ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو ) ، أى : أظلموا كما كانوا فيه من المعاصي ، وأقبلوا على فعل الطاعات ، ( إن ربك من بعدها ) ، أى : تلك القلة والدة ( لتفور رحمي ) .

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَكَكَ أُمَّةً قَانَتْهُ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ وَعَازَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ بِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨﴾

عبد تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم ، إمام الخلفاء ووالد الأنبياء ، ويزعمه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية ، فقال : ( إن إبراهيم كان أمةً قانتةً حنيفاً ) ، فاما « الأمة » ، فهو الإمام الذي يقتدى به . والقانت : هو الخاشع المطيع ، والخنيف : المنحرف تصدأ عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال : ( ولم يك من المشركين ) .  
قال سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم الطين ، عن أبي العبيد ، أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الأمة ، القانت ، فقال : الأمة : معلم الخير ، والقانت : المطيع لله ورسوله ؛  
وحسن مالك قال : قال ابن عمر : الأمة : التي يعلم الناس دينهم .

وقال الأعمش ، عن الحكم (١) ، عن يحيى بن الجزار ، عن أبي العبيد : أنه جاء إلى عبد الله فقال : من لسان إذا لم نساله ؟ فكان ابن مسعود رقيقاً له ، فقال : أخبرني عن الأمة ، فقال : الذي يعلم الناس الخير .  
وقال الشعبي : حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال : قال ابن مسعود : إن معاذاً كان أمةً قانتةً حنيفاً . فقلت في نفسي : غلط أبو عبد الرحمن ، إنما قال الله : ( إن إبراهيم كان أمةً ) ، فقال : أتدري ما الأمة وما القانت ؟ قلت : الله أعلم . قال : الأمة الذي يعلم الخير . والقانت : المطيع لله ورسوله . وكذلك كان معاذ معلم الخير ، وكان مطيعاً لله ورسوله .

وقد روى من غير وجه ، عن ابن مسعود ، حرره ابن جرير (٢) .  
وقال مجاهد : ( أمة ) ، أى : أمة وحده ، والقانت المطيع - وقال مجاهد أيضاً : كان إبراهيم أمةً ، أى مؤمناً وحده ، والناس كلهم إذ ذاك كفار .

وقال قتادة : كان إمام هدي ، والقانت المطيع لله ،

(١) ما بين القوسين من تفسير الطبري . والحكم هذا هو ابن حبة ، يروي عن يحيى بن الجزار ، ويرويه عنه الأعمش ، ينظر التهذيب : ١١ / ١٩١ ، ٢ / ٤٣٣ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤ / ١٧٨ ، ١٢٩ .

وقوله : ( شاكرًا للنعمة ) ، أى : قائمًا بشكر نعم الله عليه ، كما قال : ( وإبراهيم الذى وفى ) ( ١ ) ، أى : قام بجميع ما أمره الله تعالى به .

وقوله : ( اجتنبه ) ، أى : اختاره واصطفاه ، كما قال : ( ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به هاديين ) ( ٢ ) .  
ثم قال : ( وعدها إلى صراط مستقيم ) ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضى .

وقوله : ( وآتياه في الدنيا حسنة ) ، أى : جميعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة ، ( وإنه في الآخرة لمن الصالحين ) .

وقال مجاهد في قوله : ( وآتياه في الدنيا حسنة ) ، أى : لسان صدق ( ٣ ) .

وقوله : ( ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا ) ، أى : ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه ، أنا أوحينا إليك يا خاتم الرسل وسيد الأنبياء : ( أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ) ، كما قال : في « الأنعام » : ( قل لا إله إلا الله ربى إلى صراط مستقيم ، دينًا قديمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين ) ( ٤ ) ، ثم قال تعالى متكرراً على اليهود :

﴿ تَمَسَّ جِبِلَّ السَّبْتِ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٥)

لا شك أن الله شرع في كل ملة يوماً من الأسبوع ، يجمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة ، لأن [ اليوم ] السادس الذى أكمل الله فيه الخليفة ، واجتمعت فيه ومنت النعمة على عباده ، ويقال : إنه تعالى شرع ذلك لبعث إسرائيل على لسان موسى ، فعبدوا عته واختاروا السبت ، لأنه اليوم الذى لم يخلق فيه الرب شيئاً من المخلوقات التى كمل خلقها يوم الجمعة ، فأثروهم تعالى به في شريعة التوراة ، ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه ، مع أمره إياهم بعبادة محمد صلى الله عليه وسلم إذا بعثه : وأخلى مواليتهم وعهودهم على ذلك ، ولهذا قال تعالى : ( إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ) .

قال مجاهد : أتبعوه وتركوا الجمعة ( ٥ ) .

ثم إنهم لم يزالوا متمسكين به ، حتى بعث الله عيسى ابن مريم ، فيقال : إنه حوّلهم إلى يوم الأحد ، ويقال إنه : لم [ يترك شريعة التوراة ] إلا ما نسخ من بعض أحكامها وإنه لم [ يزل يحافظ على السبت حتى رفع ، وإن النصراني بعده في زمان قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الأحد ، مخالفة لليهود ، وتحولوا إلى الصلاة شرقاً عن الصخرة ، والله أعلم .

١) سورة النجم ، آية : ٣٧ .

٢) سورة الأنبياء ، آية : ٥١ .

٣) تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٠ .

٤) سورة الأنعام ، آية : ١٦٦ .

٥) تفسير الطبري : ١٤ / ١٣٥ .

وقد ثبت في الصحيحين ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هلك يومهم الذى فرض الله عليهم فاخذفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالتاس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد » .  
لفظ البخارى (١) .

ومن أبى هريرة ، وحليفه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الله من الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ، وكان للنصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة ، والمقضى بينهم قبل الخلق » . رواه مسلم (٢) .

وَأَمَّا ذَلِكَ سَبِيٍّ بِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَنَدُهُمْ بِأَتَى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى أمر أرسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق إلى الله (بالحكمة) .  
قال ابن جرير : وهو ما أتته عليه من الكتاب والسنة (والموعظة الحسنة) (٣) ، أى : بما فيه من التواجر والوفاء بالتاس ذكرهم بها ، ليحللوا بأمر الله تعالى .

وقوله : ( وجندهم بأتى هى أحسن ) ، أى : من احتاج منهم إلى مناظرة وجلدك ، فليكن بالوجه الحسن يرفق ولين وحسن خطاب ، كما قال : ( ولا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ) (٤) ، فأمره تعالى بذلك للجلال ، كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون فقال : ( قولا له قولنا لعله يفتكر أو يخشى ) (٥) .

وقوله : ( إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ) ، أى : قد علم الشقى منهم والسعيد ، وكتب ذلك عنده وفرغ منه ، فادعهم إلى الله ، ولا تلعب نفسك على من ضل منهم حسرات ، فإنه ليس عليك هداهم ، إنما أنت نذير ، عليك البلاغ ، وعلينا الحساب ، ( إنك لا تهدي من أحببت ) (٦) ، و ( ليس عليك هداهم ) (٧) .

(١) البخارى : كتاب الإيمان : ٨ / ١٥٩ ، ١٦٠ . ومسلم : كتاب الجمعة ، باب « هداه الله الأمة ليوم الجمعة » : ٩ / ٧٢ .

(٢) - مسلم : كتاب والباب الثامن : ٣ / ٧٢ .

(٣) - تفسير الطبري : ٩٨ / ١٣١ ، ولفظه : « بالحكمة » يقول : يوحى الله الذى يوحى إليك ، كتابه الذى ينزله عليك والموعظة الحسنة .

(٤) - سورة التوبة : ٤٦ .

(٥) - سورة القصص : ٢٨ .

(٦) - سورة القصص : ٢٨ .

(٧) - سورة القصص : ٢٨ .



وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴿١٨﴾  
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَلَنْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ مِّنْهُمْ وَلَنْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ مِّنْهُمْ وَلَنْ يَضُرَّكُمْ شَيْءٌ مِّنْهُمْ

يا مريم تعالي بالعدل في الاقتصاد والملائة واستبواء الحق ، كما قال عبد الرزاق ، عن التوري ، عن حاتم ، عن ابن سيرين : أنه قال في قوله تعالى : ( فعاقيروا مثل ما عوقبتم به ) : إن أخذ منك رجل شيئاً ، فخذ له منه (١) مثله ، وكلما قال مجاهد ، وإبراهيم ، والحسن البصري ، وشهرهم . واختاره ابن جرير .

وقال ابن زيد : كانوا قد أمروا بالصفح عن المشركين ، فأسلم رجال ذوو منعة ، فقالوا : يا رسول الله ، لو أذن الله لنا لاتصبرنا من هؤلاء الكلاب ! فزلت هذه الآية ، ثم نسخ ذلك بالجهاد .

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء بن يسار قال : تزلت : « سورة النحل » ، كلها بحكة ، وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها تزلت بالمدينة بعد أحد ، حيث قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن ظهروا عليهم لنتلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما سمع المسلمون ذلك قالوا : والله لئن ظهروا عليهم لنتلن بهم مثله لم ينلها أحد من العرب بأحد قط . فأنزل الله : ( وإن عاقبتم فعاقيروا مثل ما عوقبتم به ) . . . إلى آخر السورة (٢) .

وهذا مرسل ، وفيه بهم لم يسم ، وقد روى هذا من وجه آخر متصل ، فقال الحافظ أبو بكر البزار :

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا عمرو بن حاصم ، حدثنا صالح المري ، عن سليمان التيمي ، عن أبي عثمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد ، فنظر إلى منظر لم ينظر أوجع لقلب منه . أو قال : لقلبه ، فنظر إليه وقد مثل به فقال : رحمة الله عليك ، إن كنت - لما علمت - لو صولا للرحم ، فعولا للخيرات ، والله لو لا حزن من بملك عليك ، لسنرت أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع - أو كلمة نحوها - أما والله على ذلك ، لأمثلن بسبعين كمثلك . فزل جرير عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه السورة ، وقرأ : ( وإن عاقبتم فعاقيروا مثل ما عوقبتم به ) . . . إلى آخر الآية ، فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني عن يمينه - وأمسك عن ذلك .

وهذا إسناد فيه ضعف ، لأن صالحا - هو ابن بشر المري - ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري : هو منكر الحديث ، وقال الشعبي وابن جرير : تزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم : لنتلن بهم . فأنزل الله فيهم ذلك . وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مستد أبيه : حدثنا هدية بن عبد الوهاب المروزي ، حدثنا الفضل بن مومي ، حدثنا

(١) تفسير الطبري : ١٣٢ / ١٤ ، ١٣٣ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤ / ١٤٢ .

عيسى بن حيد ، من الربيع بن أنس ، عن أبي العاتية ، عن أبي بن كعب قال : لما كان يوم أحد ، قتل من الأنصار ستون رجلا ، ومن المهاجرين ستة ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لفرزناهم عليهم (١) ، فلما كان يوم الفتح قال رجل : لا تعرفت قريش بعد اليوم . فنادى (٢) [متاد] : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الأسود والأبيض إلا غلاتا وغلالاتا - لاسا سماهم - فانزله الله تبارك وتعالى : (وإن عاقبتهم) : الآية . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نصبر ولا نعاقب : (٣) .

وهذه الآية الكريمة لما أمثال في القرآن ، فإنها مشتملة على مشروعية الملك والتنبؤ إلى الفضل ، كما في قوله : (وجواء صيته سبحة مثلها) ، ثم قال : (من حفا وأصلح فأجره على الله) (٤) : وقال : (والجروح قصاص) ، ثم قال : (من تصديق به فهو كفارة له) (٥) ، وقال في هذه الآية الكريمة : (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ، ثم قال : (وئن صبرتم لهم خسر الصابرين) .

وقوله : (واصبر وما صبرك إلا بالله) ، تأكيد للأمر بالصبر ، واختيار بأن ذلك إنما ينالك بمشيئة الله وإعائته ، وحوله وقوته .

ثم قال تعالى : (ولا تحزن عليهم) ، أي : حلى من خالفك ، لا تحزن عليهم ، فإن الله قد ر ذلك ، (ولا تذك في ضيق) ، أي : لم (وما يحزنون) ، أي : ما يحزنون (٦) في حداثتك وإرسال الشر إليك ، فإن الله كافيك وناصرك ، ومؤيدك ، ومظفرك ومظفرك بهم .

وقوله : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، أي : معهم بتأييده ونصره ومعولته وهذه معية خاصة ، كقوله : (إذ يرحم ربك إلى الملائكة أني معكم ، ففتحوا الذين آمنوا) (٧) ، وقوله لرمسى وهارون : (لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) (٨) ، وقوله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق وهما في الغار : (لا تحزن إن الله معنا) (٩) - وأما المعية العامة فيالسمع والبر والعلو ، كقوله تعالى : (وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير) (١٠) ، وكقوله تعالى : (ألم نر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعمهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من

(١) أي : لنزولهم وتضاعفهم .

(٢) لفظ المست : فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ... .

(٣) مستجاب الإيم أسسه : ١٣٥ .

(٤) سورة القدر : آية : ٥٠ .

(٥) سورة المائدة : آية : ٤٥ .

(٦) أي : محزون .

(٧) سورة الأنفال : آية : ١٢ .

(٨) سورة طه : آية : ٤٦ .

(٩) سورة التوبة : آية : ٤٠ .

(١٠) سورة الحديد : آية : ٤ .

ذلك ولا أكبر إلا هو معهم أينما كانوا (١) ، وكما قال تعالى : ( وما تكون في شأن وما تلوم منه من قرآن ولا تعملون من عمل ، إلا كنا عليكم شهوداً ) (٢) .:: الآية :

ومعنى : ( الذين اتقوا ) ، أى : تركوا المحرمات ، ( والذين هم محسنون ) ، أى : فعلوا الطاعات : فهؤلاء الله يحفظهم ويكلوهم ، ويصبرهم ويؤتيهم ، ويقررهم على أعمالهم وعنائهم :

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا مسعر ، عن ابن عمر ، عن محمد بن جابر قال : كان عثمان رضى الله عنه من الذين آمنوا ، والذين اتقوا ، والذين هم محسنون .

[ آخر تفسير سورة النحل ، والله الجهد اجمعهم واللثة ، وبه المستعان ، وهو حسينا ونعم الوكيل ]

(١) سورة المجادلة ، آية : ٧ .

(٢) سورة يونس ، آية : ٦١ .







- (د) دعوة محمد صلى الله عليه وسلم : ٢٤٥  
دماء يوسف عليه السلام : ٢٢٧
- (هـ) رؤيا الانبياء : ٢٩٨  
الراودة : ٢٠٦ - ٢١٢
- (ز) صبر الرؤيا : ٢١٤ - ٢١٨
- (ح) الشروب السابقة : ٢٤٥ ، ٢٤٦ - ٢٤٩
- (ط) القصص وسر وجودها في القرآن : ٢٩٥
- (ي) لغة العرب : ٢٩٤
- (ك) النظر في خلق السموات والارض : ٢٤١
- (ل) الوحى : ٢٠٥  
سورة الفرق
- (م) الجنة : ٢٨٥
- (ن) حرس العهد : ٢٥٦ - ٢٦٢  
الحق والباطل : ٢٦٦
- (س) الرزق : ٢٧٥
- (ع) السماد والاختيار : ٢٧١ - ٢٨٠
- (ف) استعمال المطاب : ٢٥٤ - ٢٥٦  
المطاب : ٢٨٥ ، ٢٩٢  
علم الله : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٨٤
- (ق) قدرة الله : ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٦٢ - ٢٦٧  
القرآن : ٢٨١  
القرآن والسلف : ٢٨١ - ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢
- (ر) التوحيد : ٢٦٧ - ٢٦٨  
سورة ابراهيم
- (ز) دماء ابراهيم : ٢٦٤ ، ٢٦٢
- (ح) توسل الرسل واسنان اقوامهم : ٢٣٧
- (ص) الصلاة : ٢٢٨
- (ع) علم الله : ٢٢٢  
امثال الكافرين : ٤٠٦
- (ق) قدرة الله : ٢٠٦ ، ٢٢٩ ، ٢٢٠  
القرآن : ٢٩٦  
قصة موسى : ٢٩٧ - ٣٠٠  
قصة نوح وعاد وقمود : ٣٠٠ - ٣٠٦  
القيامة : ٤٠٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١
- (د) الكفار : ٢٢٦ - ٢٢٨  
الكلمة الطيبة : ٢٣٦ - ٢٣٧
- (هـ) لمر الله : ٢٣٦
- (و) التوحيد : ٢٤١
- (ز) الجحيم
- (ح) كابلين : ٢٥٤ - ٢٥٥
- (ط) التثبيت على الحق : ٢٦٩ - ٢٧٢
- (ي) التخالص : ٢٦٦ - ٢٦٩
- (ك) خلق السموات والارض والانس : ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ٢٦٢
- (ل) السحاب ابراهيم : ٢٥٨
- (م) القرآن : ٢٦٤ - ٢٦٦  
قصة نوح : ٢٥٩ - ٢٦٢  
النساء فضيحة : ٢٦٢  
القيامة : ٢٢٢
- (ن) الكفار : ٢٤٤ ، ٢٤٦
- (هـ) الاخلاق بعد الانذار : ٢٤٤
- (و) التثبوت : ٢٥٥ - ٢٥٨

## سورة النحل

البحر : ٨٠

البيت : ٩٠

( ج )

الجدال : ٣٢

جزاء المصنوع : ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٤

الجمعة : ٣١

( ح )

الحرمات مع الطمومات : ٢٦

الحق : ٧٨ ، ٧٩

حكم الله : ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨

( خ )

خلق السموات والارض والانس والامم والنحل : ٢٤ -

٥٠ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٥٠٥

( د )

الدعوة : ٨٤ ، ٣٢

( ذ )

الذكر : ٢٤

( ر )

الرسالة : ٩٢ ، ٩٦

( ز )

الزواج : ٦٠

( ح )

سنة الله : ٨٥

( ط )

الطرق : ٨٢

( ع )

عظمة الله : ٩٤

العدل : ٥١٤ - ٥١٦ ، ٥٢٢

مأبئة الكفر : ٥٢٧ ، ٥٢٨

علم الله : ٨٣ ، ٨٠

المهد : ٥١٦ - ٥٢٠

( غ )

غروب الشركين : ٨٨ - ٩١ ، ٩٦ ، ٥٠٧ ، ٥٢٢ - ٥٢٤

( ق )

قبض الأرواح : ٨٦ - ٨٨

قراءة القرآن : ٢٢

القيامة : ٧٧ ، ٥١١ - ٥١٤ ، ٥٢٧

( ك )

الكلب : ٢٤

الكرام على الكفر : ٢٤ - ٢٧

الكاكرون : ٨٣ ، ٨٤

( ل )

الليل والنهار : ٨٠

( م )

التمادي في الباطل : ٨٨

المطر : ٧٦

ملة ابراهيم عليه السلام : ٣٠

( ن )

النبيات : ٨٠

لعم الله : ٧٦ - ٥٠٥ ، ٥٠٦

( هـ )

الهجرة : ٩١

( ز )

التوحيد : ٩٥ - ٥٠٧

الوحى : ٢٤ ، ٨٤



## أعلام المفسرين والفقهاء

٥٢ < ٦٥ < ٧٤ < ٩٧ < ١٠٣ < ١٠٦ < ١٠٨ < ١٠٩ < ١١٩ < ١٢٤  
 < ١٢٤ < ١٢٦ < ١٣٧ < ١٤٢ < ١٤٤ < ١٥٢ < ١٥٧ < ١٦٢  
 < ١٦٩ < ١٧٠ < ١٧٢ < ١٨٦ < ١٩٨ < ٢٢٠ < ٢٤٤ < ٢٤٥  
 < ٢٥٢ < ٢٧٢ < ٢٧٤ < ٢٨١ < ٢٨٤ < ٢٩٢ < ٣٠٦ < ٣٠٧  
 < ٣٠٨ < ٣١١ < ٣٢٠ < ٣٢٣ < ٣٣٦ < ٣٣٧ < ٣٤٢ < ٣٥١  
 < ٣٧٠ < ٣٨٢ < ٣٩٢ < ٣٩٣ < ٣٩٤ < ٤٤٥ < ٤٥٢  
 < ٤٥٧ < ٤٦٧ < ٤٧١ < ٤٨١ < ٥٠٥ < ٥٠٦ < ٥١٠ < ٥٢٣  
 < ٥٢١

الحسن بن أبي الحسن البصري : ٩٧

الحسن بن علي : ٩

الحسن بن محمد بن الحنفية : ٤ < ٦ < ٩

الحكم بن عتيبة : ٩٧ < ٤٤٨

أبو حنيفة : ٧٥ < ٧٧

( خ )

خالد بن معدان : ٢٨١

خلف بن عاصم الكوفي : ١٥٤

( د )

أين دحية ( عمر بن الحسن ) : ٦٦٠

أبو الفرداد : ١٦٧ < ١٨١

( ذ )

أبو ذر : ٢٥ < ٨٢ < ٨٤ < ١٧٨

( ر )

الربيع بن أنس : ٢٢٤ < ٢٢٥ < ٢٢٦ < ٢٤١ < ٢٦٨ < ٢٧٢

الربيع بن خثيم : ١٢١

ربيعة الجرجسي : ٢٠٦ < ٣١٢

أبو رجاء الطبرستي : ٢٥٥

أبو رزيق : ١٢١

أبو رزق : ٢٧٦

( ٣ )

زبد بن حبيش : ٢٠٧

أبن أبي ذكريا : ٣٢٣

الزهري : ٤٦ < ٥١ < ١٠٨ < ١٠٩

زيد بن أبي مريم : ٦٤٤

زيد بن أسلم : ٢٧ < ٩٧ < ١٠٠ < ١٢١ < ١٥٥ < ٢٢٤ < ٢٧٤ < ٢٨٥

زيد بن ثابت : ٢١٠ < ٢١٢ < ٢٨٥

زيد بن ثابت : ١٥٢

( ص )

صالح بن عبد الله : ٤٧١

الصديقي : ١٦ < ١٨ < ٢٢ < ٢٨ < ٤٦ < ٥٢ < ٥٥ < ٦٠ < ٦٥

٧٧ < ٧٩ < ٨٤ < ٩٧ < ١٢١ < ١٥٥ < ١٦٩ < ١٩٨ < ٢٤٥

٣٦٢ < ٣٦٥ < ٣٦٧ < ٣٦٨ < ٣٧٠ < ٣٧٢ < ٣٧٥ < ٣٧٨

( ٤ )

إبراهيم التيمي : ٢٢٤ < ٤٠٥

إبراهيم النخعي : ٤ < ٥١ < ١٠٨ < ١٠٩ < ٢١٦ < ٢٢٤ < ٢٤٥

٢٨٧ < ٢٢٤ < ٣٦١ < ٣٦٢ < ٣٧٦ < ٤٤٨ < ٥٠٦ < ٥٢٢

٥٢٣

أبي بن كعب : ١٤٢ < ١٨٠ < ١٩٧ < ٢٢٢ < ٤٢٥ < ٤٣٦

أحمد بن تيمية : ٦ < ٢٢٠

أحمد بن حنبل : ٧٥ < ١٠٩ < ٤٧٨

أبو الأحوص : ٤٩٧

أسحاق بن راهوية : ١٠٩ < ٢٨١

الإمامي : ٩٤ < ١٥٤ < ٤٤٠ < ٤٥٤

أبو أمامة : ٣٦١ < ٣٧٤ < ٤٥٦

أنس بن مالك : ٢٤٤ < ٢٣٩ < ٤٣٩ < ٤٤٢ < ٤٤٥ < ٤٦٨ < ٤٦٩

الأوزاعي : ٩٧ < ٣٠٩ < ٥١٣

أيمن بن معاوية : ٢٥١

أبوعب بن عبد الله : ٣٦٢

أبو أيوب : ١٦٢

( ب )

الباق ( أبو جعفر ) : ٥١ < ٤٩٢

البراء بن عازب : ٤٤ < ٢٥٢ < ٤٦٥

أبو بكر الصديق : ٤ < ٩ < ٥٤ < ٥٩ < ١٨٠ < ١٩٨

يونس بن مفضل : ١٣٧ < ٢٨٧

( ث )

ثابت بن النخعي : ٣٦٠

أبو ثعلبة : ١٢٧

( ج )

جابر بن عبد الله : ٧٣ < ٨٠ < ١٥٤ < ١٦٩ < ٢٨١

أبو جحيفة : ٢١٥

أبن جريج : ١٩ < ١٤٤ < ١٥٤ < ١٨٦ < ٢٢٦ < ٣٦٨ < ٣٧٤

٣٢١ < ٣٢٢ < ٣٢٤ < ٣٣٦ < ٤٥٤ < ٥٢٢

أبو الجند جيلان بن فروة : ٢٢٢ < ٣٦٢

النجدي : ٢٥٦

أبو الجوزاء : ٤٥٠

( ح )

أبو حاتم السجستاني : ٥٢٢

حبيب بن أبي ثابت : ١٥٥

حذيفة بن اليمان : ٥٩ < ٧٧ < ١٠٥ < ١٧٦ < ١٩٨ < ٢٦٩

٢٢٢

الحسن البصري : ٤ < ١٢ < ١٨ < ١٩ < ١٢٤ < ٢٢٤ < ٢٦٩ < ٤٢٣

( ج )

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : ١٥٦ ء ٢٤٨

عاصم بن عمر بن قتادة : ١٤٩

أبو العالية : ٣ ء ١٠٥ ء ١٥٤ ء ٢٢٥ ء ٢٢٦ ء ٢٤٥ ء ٢٨٤

٣٥٦ ء ٣٧٥ ء ٣٨٣ ء ٤٤٣

عامر بن سعد : ١٩٨

عامر الشعبي : ٤ ء ٥ ء ١٩ ء ٣٥ ء ٥١ ء ٦٤ ء ٩٧ ء ١٠٨

١٢٨ ء ١٤١ ء ١٥٢ ء ١٦٢ ء ٢٥٤ ء ٢٨١ ء ٣٠٦ ء ٣٩٢

٤١٠ ء ٤٧١ ء ٥٢٥ ء ٥٣٢

عبد الله بن عبد الله بن الزبير : ١٥ ء ١٤

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ٣٠ ء ٥١ ء ٥٣ ء ٥٤ ء ٩٢

١٠٦ ء ١٠٨ ء ١٤٤ ء ١٥٢ ء ١٥٥ ء ١٥٧ ء ٢١١ ء ٢٢٤

٢٧٢ ء ٢٨١ ء ٢٨٢ ء ٢٢١ ء ٢٢٢ ء ٢٢٣ ء ٢٢٤ ء ٢٢٥

٢٥٨ ء ٤٠١ ء ٤٠٢ ء ٤٠٨ ء ٤٤٠ ء ٤٤٦ ء ٤٤٧ ء ٤٦٧

٤٧١ ء ٤٩٢ ء ٥٠٠ ء ٥٠٥ ء ٥١٨ ء ٥١٩ ء ٥٢٣

عبد الرحمن بن سابط : ١٩٨

(أبو عبد الرحمن السلمي : ١٥٦ ء ٢٠٧

عبد الرحمن بن أبي ليلى : ١٩٨

عبد الله بن أبي أوفى : ٥١

عبد الله بن عتبة : ٤

عبد الله بن أبي بكر : ١٤٩

عبد الله بن الزبير : ٩ ء ٥١ ء ٣٦٤

عبد الله بن شداد بن أهداد : ٥١ ء ٢٢٨ ء ٢٣٦ ء ٢٣٧

عبد الله بن عباس : ٣ ء ٤ ء ٨ ء ٩ ء ١٦ ء ١٧ ء ١٩ ء ٢٥

٢٢ ء ٢٧ ء ٢٨ ء ٢٩ ء ٣١ ء ٣٤ ء ٣٧ ء ٣٨ ء ٣٩

٤٣ ء ٤٤ ء ٤٥ ء ٥١ ء ٥٥ ء ٥٧ ء ٦٣ ء ٦٤

٧٤ ء ٧٧ ء ٨٠ ء ٨٤ ء ٨٧ ء ٨٩ ء ٩١ ء ٩٢ ء ٩٥

٩٦ ء ٩٧ ء ١٠١ ء ١٠٥ ء ١٠٦ ء ١٠٨ ء ١١٠ ء ١١٣

١١٩ ء ١٢٤ ء ١٢٩ ء ١٣٨ ء ١٣٧ ء ١٤٢ ء ١٤٥ ء ١٤٦

١٤٨ ء ١٥١ ء ١٥٤ ء ١٥٥ ء ١٥٦ ء ١٥٧ ء ١٦٠

١٦١ ء ١٦٢ ء ١٦٣ ء ١٧٢ ء ١٧٣ ء ١٨٢ ء ١٨٣ ء ١٩٨

٢١١ ء ٢١٢ ء ٢١٦ ء ٢٢٠ ء ٢٢٢ ء ٢٢٤ ء ٢٢٥ ء ٢٢٦

٢٢٨ ء ٢٣٠ ء ٢٣٦ ء ٢٣٩ ء ٢٤١ ء ٢٤٤ ء ٢٤٥ ء ٢٥٣

٢٥٤ ء ٢٥٧ ء ٢٥٩ ء ٢٦٠ ء ٢٦٤ ء ٢٦٥ ء ٢٦٧ ء ٢٧٤

٢٧٨ ء ٢٨١ ء ٢٨٢ ء ٢٨٣ ء ٢٨٤ ء ٢٨٧ ء ٢٨٩ ء ٢٩٢

٢٩٨ ء ٣٠١ ء ٣٠٢ ء ٣٠٣ ء ٣٠٤ ء ٣٠٦ ء ٣٠٧ ء ٣٠٨

٣٠٨ ء ٣٠٩ ء ٣١٠ ء ٣١١ ء ٣١٤ ء ٣١٥ ء ٣١٧ ء ٣١٨

٣١٩ ء ٣٢٠ ء ٣٢٣ ء ٣٢٦ ء ٣٢٧ ء ٣٢٧ ء ٣٢٨

٣٢٨ ء ٣٣١ ء ٣٣٦ ء ٣٣٧ ء ٣٣٧ ء ٣٣٧ ء ٣٣٧

٣٣٨ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩

٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩ ء ٣٣٩





## غريب اللغة

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
( ث )		( ا )	
٢٦٩ ...	ثروة من قومه .	٤٥ ...	أجل أجل من ليس له عهد ...
٤٤ ...	اللطائف ...	١١٩ ...	أوق الله له بأذنه ...
٢٨١ ...	الله أعلم بشئناه .	٤٥٣ ...	أولهم إليها ...
٦٨ ...	ثاوروهم .	١٦٤ ...	أسمع أطيط السياه ...
( ج )		٥٠٣ ...	الأسس ...
٢٥٢ ...	جوجو ...	٥٧ ...	( لا يرفعوا فيكم إلا ) .
٣٩٥ ...	أجد نخله ...	١٩٢ ...	لم يخرج من إل .
٢٤٥ ...	جد حاه .	١٦٨ ...	أوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
٦٩ ...	والأسارى مجدة ...	٢٩٧ ...	لم يأتوا أن يمينا ...
٧٣ ...	إذا اجتدي ..	٤١٧ ...	لا دريت ولا تليت ...
٩١ ...	جدل اللعان ..	٤٣٨ ...	أنا ، أنا ...
٣٦٥ ...	خيلا جردا ...	( ب )	
١٢٦ ...	أجر بالجرير ..	١٦٢ ...	حضر في بئى ...
٣٨٦ ...	طعامهم جشأ ...	٧٢ ...	مثل الجباد ...
٣٢٥ ...	الجمالة .	٩٨ ...	سورة البحوث ...
٤٩٧ ...	الجمك ...	٣٣٢ ...	بذرة البكاء ..
١٧٤ ...	كاد أن يتجمل ..	٣٧٨ ...	ورقها برود ..
١٩١ ...	نمفل الناس ...	٣٧٩ ...	برك راحة ...
٧٠ ...	مجتكد القوم .	٣٥٥ ...	من يتاحى وتيتشر ..
٤١١ ...	أنى بجمار ...	٣٣١ ...	حب البطم ...
٢٤٥ ...	جماء ..	٧٦ ...	باعوث ..
١٩٨ ...	وجيتيتها ملكان ...	٣٨٦ ...	الغراب الأبقع .
١٢٦ ...	للجهيد ...	٣٦٥ ...	كفدة البكر ..
١٠٩ ...	أصابته جاشة ...	٣٦٨ ...	البكر والأصال ...
٣٠٢ ...	الجام ...	١٦٩ ...	أبلاء الله من الصديق ..
( ح )		٤٢٣ ...	ليتهشن ابهاشأ ...
١١٧ ...	وحيرة ولعة .	٢٧١ ...	بضريون البئض ...
١٧٨ ...	حلة حيرة ...	( د )	
٣٧٣ ...	خسة آلاف حيرة ...	٣٤٢ ...	قول ...

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
١٩٢	خدره الله في لار جهنم	٢٧٠	حريك وراسه حريك
٢٩٨	ختران .. ..	٤٧٧	حمل فجلوها
٨٠	خرج وهدايا ..	٤٧٠	حين فامت منه حيتا
٢٥٣	خزير السقية	٢٩	حيت كما بدماء ورق الشجر
٤٤٦	خضفمنا	٢٨٨	حيت حتى فمات ورقه
١١٧	الجنة لا خطر لها	٤٧٧	حجر حجرة
٨٢	أشغلها	٣٦٦	حجرت الحثوث
٥٧	خلوف غلغول	٤٤٤	حيز إلى حجرة
١٠٥	الخلق الكسبه	٤٥٥	حيز إلى حجرة
٣٣١	خلق خلقت القلوة	١٢	حيد كحادك
٢٧٤	ولست على به	١٠٥	حرف الحارث
٣٧	عفى في خيمة عليه	٣١٧	حزى الحزاة
٦٩	قلامت الخيلان	٣٩٣	حشش لغباق عليك حششك
(د)		١٩٢	حشش من بين صفاق وحشش
٥١٠	الديس	١١١	حشش رأيت متعلقاً بحشش
٤١٢	أهل الذكور	١٩٢	حشش حشش لك
١٩	ولا أدحر	٤٢٤	حشو تقع أفتاه في حشوه
٤١٧	لا ذريت ولا لبيت	٣٨٠	حشم حكمة برذون
٤٩٠	يذحون	٧١	حلب لم يقرموا لنا حشك فاة
٣٣١	ضيف مدقع	١٧١	حلس بأحلاسها
٣٥٣	الذكل	٣٤٢	حمر الحمر
٢٨٧	الذكج	١٢٥	حمل كنا تتحمل على ظهورنا
٣٧	ذمنة	١٣٩	حمل فاستعملوا رسول الله
(ذ)		١٠٨	حمل تحمل حمالة
١٨٩	ذرع الناس حول المنبر	٢٩٦	حمم أحمه بالحمم
٤٤٩	لاذرت ما بين السماء والأرض	٤١٤	حفظ حنوط الجنة
٤٢٣	للسك الأفر	٩١	حوب لا يحاسب
٤٣٧	أذكرك	٤٢١	حوش الحوشه الطياطين
١١	أذكروها	٥٩	حوق ضوكة وعوسهم
١٦١	ذخير متلطخ	٢٢٧	حال حال من حال البحر
(ر)		١٢	حيح أحيثهم للباد
٥٧	راك التمام	٣٥٩	حيح للمصوم وأكرموم
٣٢٩	الاسترجاع	(خ)	
		٧٣	خادر في مرصد

الصفحة	الكلمة	الصفحة	الكلمة
٧٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	السَّمْهَرِيُّ ...	٧٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	خادر في مَرْحَبَد ...
٢٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	فَلَمَسَتْ حَرْفًا ...	٨٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	بشر الكاذبين يَرْضَعُ ...
١٧٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	يُخْبِرُونَ بِالسَّنَةِ ...	٣٧٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	عَزَّ لِلْمَرْحُزِيِّ ...
٥٠٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	السَّيِّ ...	٤٧٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	وملك ...
٧١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أُسَوَّرَ ...	٤٢٥ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	يَأْخُذُونَ بِأَرْبَعِهِ ...
١٦٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	تَسَوَّرَتْ حَالَةً ...	٤١٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	فِي أَيِّهِ مِنْ رُوحِهَا ...
	(ش)	٤٧٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	يريش تِلَا ...
		٤١٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	وَيَطْلَعُ ...
٥٠٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	الشَّيْبَةُ ...		(ز)
٤٧٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شِرْق ...	٤٩٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	زِير ...
٨٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شِعْب ...	٤٥٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	يَرْجِي الضَّعِيفَ ...
١٧٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَدَّ ...	١٣١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	أَوْ أَنْ سَكَنًا أَرْجَبَتْ ...
٢٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَرَف ...	١٢١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	طَلَعَ رَجُلُ أَرْزَق ...
٢٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَرَك ...	٣٨٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	تَرَفَّ بِهَم ...
٣١٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَرَى ...	١٩٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	لَهُ زَلْقُومٌ طَوِيلٌ ...
٦٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَعْب ...	١٢٦ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	الزُّهْدُ ...
١٥٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَعَفَ الْجِيَالُ ...	٢٥٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	جَوْجُو' أَرْوَرُ ...
٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَعْر ...	٧٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	زَوَى لِي الْأَرْضَ ...
١١٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَمَر ...	٤٤٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	زَيْب ...
١٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَنَ ...		(س)
٦٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	شَم ...	١٨٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	كَانَ سَبَبًا دَلِي ...
	(س)	١٦٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَجَرَتِ الْقُتُونُ ...
٣٤٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَبْر ...	٢٧٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَجَل ...
٤٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَحْل ...	١١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَحْل ...
٤٥٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَحْب ...	٣٠٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَخْل ...
٥٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٢٤٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَلَم ...
٢٠١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدَح ...	١٧١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَمَرِي ...
٣٧٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٢١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَفْد ...
٢١١ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٥٧ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَقِب ...
١٦٦ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٢٩٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	سَقَطَ النَّاسُ ...
١٤٣ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٢٨٠ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَر ...
١٩٢ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٦٩ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَر ...
٤٤٦ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...	٣٧٤ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَفْط ...
٥١٨ ... ٢٢٢ ... ٢٢٢	صَدْر ...		





الكلمة	الصفحة	الكلمة	الصفحة
فوط	٤٧٢ ...	كرب	٢٦٧ ...
فوق	٢٦٧ ...	كسح	٣٣١ ...
فصل	٣٣١ ...	كف	٩٠ ...
ظل	٩٠ ...	كف	١٧٧ ...
ظل	١٧٧ ...	كن	٥٠٤ ...
فند	٥٠٤ ...	كوم	٣٧٨ ...
فن	٣٧٨ ...		٢١٤ ...
فوق	٢١٤ ...		٢٨٠ ...
فود	٢٨٠ ...		
		( ق )	
قرب	١٧١ ...	لجم	١٧١ ...
قرب	١٧٩ ...	لوز	١٨٧ ...
قحف	٣٦٤ ...	لزم	٢٨٦ ...
قلذ	٨٠ ...	لقح	٤٤٨ ...
قرم	٤٧٧ ...	لمع	٢٨٠ ...
قصب	٤٥٧ ...	لوى	٢٧١ ...
قضض	٦٨ ...		
قطر	٣٧١ ...	مخش	٧١ ...
قمر	٨٢ ...	مخط	٤٧٠ ...
قلل	٣٨ ...	مند	٢٨٥ ...
قلل	٤٢٤ ...	مرج	٢٤ ...
قلل	٣٧٨ ...	مرى	٤٤٨ ...
قل	٧٥ ...	مسح	٤١٨ ...
قمص	٤٨١ ...	مسح	٤١٤ ...
قمع	٤٦ ...	مط	٢٧٤ ...
قمم	٤٤٨ ...	مكك	٣٢٥ ...
قمم	١٢٦ ...	ملا	١٠ ...
قمع	٤٦٣ ...	ملط	١١٧ ...
قمع	٤١١ ...	من	٢٨ ...
ق.د.	١٨ ...	مون	٣٧٩ ...
ق.	١٠٩ ...		
ق	٣٤٧ ...		
ق	٧ ...		
ق	١٥٥ ...		
		( ك )	
		كسح	٢٦٧ ...
		كف	٩٠ ...
		كف	١٧٧ ...
		كن	٥٠٤ ...
		كوم	٣٧٨ ...
			٢١٤ ...
			٢٨٠ ...
		( ل )	
		لجم	١٧١ ...
		لوز	١٨٧ ...
		لزم	٢٨٦ ...
		لقح	٤٤٨ ...
		لمع	٢٨٠ ...
		لوى	٢٧١ ...
		( م )	
		مخش	٧١ ...
		مخط	٤٧٠ ...
		مند	٢٨٥ ...
		مرج	٢٤ ...
		مرى	٤٤٨ ...
		مسح	٤١٨ ...
		مسح	٤١٤ ...
		مط	٢٧٤ ...
		مكك	٣٢٥ ...
		ملا	١٠ ...
		ملط	١١٧ ...
		من	٢٨ ...
		مون	٣٧٩ ...
		( ن )	
		نبط	١٦٨ ...
		نر	٤٢٥ ...
		نجد	٣٦٦ ...





## تصويبات

الصفحة	المطر	نقطاً	الصواب
٢٢	٤ من التعليق	عينة	عنيس
٣٩	٢	وقال	وقاله
٥٧	١٠ من التعليق	الشنب	السقب
٧١	١٧	أسورة	أسوره
١٢٦	٩ من التعليق	وكسر الزاى	وكسر الماء
١٧٨	٩	قطن	قطن
٢٣٧	٢	لا إله إلا أنا فاعبدون	( لا إله إلا أنا فاعبدون )
٢٨٠	٦ من التعليق	هكلنا	فهكلنا
٢٩٥	٢	أبي كعب	أبي بن كعب
٣٣٩	٧	عن حاصم عن عمر	عن حاصم بن عمر
٣٤٥	١	عن مجاد	عن مجاهد
٣٥٦	٨ من التعليق	بن جرير	ابن جرير
٤٠١	٥	مريم	مريم
٤١١	٦	يقناع	يقناع
٤٣٥	٥ من التعليق	تفسير ابن أبي حاتم	بتفسير الطبري على صورة مختلفة ، وقال ابن أبي حاتم :

## تنبيهات

١ - ألحقنا في نهاية العدد ( ٢٧ ) من هذا المجلد صفحتي : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، وجاء أن نوضح هذه الورقة في مكانها من المجلد ، أى : في العدد ( ٢٦ ) ، حيث إنه سقطت فيه من صفحة ٣٣٣ الآيات : ٩٦ - ٩٨ هـ

٢ - نشكر السادة الذين يتابعون عملنا ، ويوافوننا برسائلهم واستلزاماتهم ، ونحب أن نطمئن الجميع إلى أننا نلبي غاية الجهد في هذا العمل ، وما يقع فيه من خطأ فهو من قبيل السهو الذي لا يخلو منه إنسان ، وسوف نلبي على ملاحظاتهم في صواب الخطأ آخر كل مجلد ، والله المستعان .







Biblioteca Alexandria



0252486